UNIVERSAL
LIBRARY

OU-234596

UNIVERSAL
LIBRARY

الدر البهية و الجوهرة النقية

المستطرف في كل فن مستظرف

ادب نوادر

٤٦٢ و ٤٦٣

الجزء الاول من كتاب المستطرف فى كل فن
مستظرف تأليف الامام الاوحد العالم
العلامه اللوذعى الفهامه الشيخ
شهاب الدين أحمد الأبشهى
تغمده الله بالرحمة
والرضوان
آمين

وبهامشه كتاب ثمرات الاوراق فى المحاضرات لحجة العرب وترجمان الادب الامام تقى الدين بن
أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته
مكملا بمحاجة آدابه للواقف عليه بأن نظم فى سموط فرائده عقود ذيليه أولهما فى المحاضرات
أيضا للامام ابن حجة المذكور ضاعف الله لنا وله الاجور وثانيهما للعلامة الاديب والفهامة
الاريب الهمام الكامل واللوذعى الفاضل الشيخ ابراهيم بن الاحدب بلغه الله فى آخرته كل
مأرب بمنه وكرمه آمين بجاه سيد الاولين والآخرين

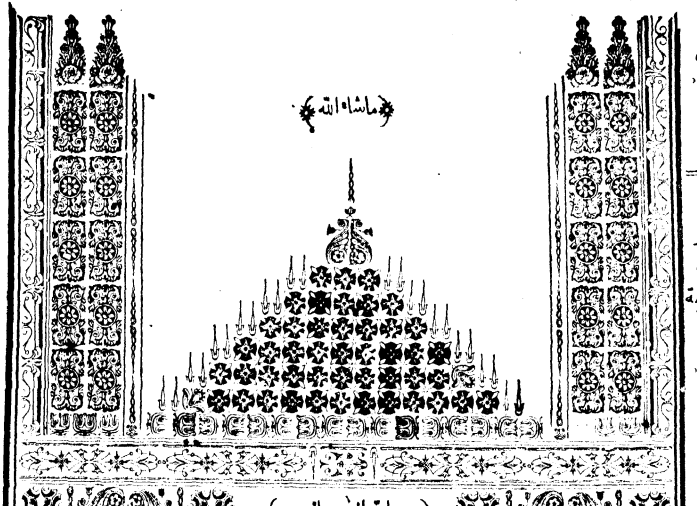

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المتفرد بالعز والبقاء والارادة والتدبير ما لحي العليم الذي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير أحمده حمد معترف بالعجز والتقصير وأشكره على ما أعان عليه من قصد ويسر من عسير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا ظهير له ولا وزير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المبعوث الى كافة الخلق من غني وفقير ومأمور وأمير صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير وينجو بها في الآخرة من عذاب السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير ﴿أما بعد﴾ فقد رأيت جماعة من ذوي الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا المجلدات في التواريخ والنوادر والأخبار والحكايات واللطائف ورقائق الأشعار وألفوا في ذلك كتبا كثيرة وتفرد كل منها بغرائد فوائد لم تكن في غيره من الكتب محصورة فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف ﴿وسميته المستطرف في كل فن مستظرف﴾ واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الأخيار ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشري في كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت أن يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجمعت فيه لطائف وظرائف عديدة من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة وأودعته من الاحاديث النبوية والامثال الشعرية والالفاظ اللغوية والحكايات الجدية والنوادر الهزلية ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ما تشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون وينشرح بمطالعته كل قلب محزون شعر

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

(وجعلته)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قال) الشيخ الامام حجة العرب وترجمان الادب تقي الدين أبو بكر ابن حجة الحنفي منشئ دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله برحمته ﴿أما بعد﴾ حمد الله الذي فكهنا بثمار أوراق العلماء والصلاة والسلام على نبيه شجرة العلم التي أصلها ثابت وفرعها في السماء وعلى آله وصحبه الذين هم فروع هذه الشجرة وأغصانها التي دنت لهذه الامة قطوفها الثمرة فاني وريت بتسمية هذا الكتاب بثمار الاوراق علما أن قطوفه لم تدن لغير ذوي الاذواق ﴿فمن ذلك﴾ ما نقلته من درة الغواص لابي محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات أن أبا العباس المبرد روى ان بعض أهل الذمة سأل أبا عثمان المازني في قراءة كتاب سيبويه عنه وبذل له مائة دينار في تدريسه اياه فامتنع أبو عثمان من ذلك فقال له المبرد جعلت فداك أترد هذه النفقة مع فاقتك واحتياجك اليها فقال أبو عثمان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة حديث وكذا كذا آية من كتاب الله ولست أرى أن أمكن منها دنيا غيرة على كتاب الله تعالى وحمية له قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي

أظلوم ان مصابكم رجلا
أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من يا لحضرة في اعراب رجلا فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم

(وجعلته) يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون متوجة بألفاظ كأنها الدر المكنون كما قال بعضهم شعرا في المعنى

فى كل باب منه درمؤلف * كنظم عقود زينتها الجواهر
فان نظم العقد الذى فيه جوهر * على غير تأليف فما الدر فاخر

(وضمنته) كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت أن يتيسر لى مارمته من الوصول (وجعلت) أبوابه مقدمة وفصلتها فى مواضعها مرتبة منظمة ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى فى بابه ان شاء الله تعالى والله المسؤل فى تيسير المطلوب وأن يلهم الناظر فيه ستر مايراه من خلل وعيوب انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه فهرسة الكتاب والله سبحانه الموهن للصعاب

(الباب الاول) فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول (الباب الثانى) فى العقل والذكاء والحق والذم وغير ذلك (الباب الثالث) فى القرآن العظيم وفضله وحرمته وماأعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والأجر الجسيم (الباب الرابع) فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس) فى الآداب والحكم وماأشبه ذلك (الباب السادس) فى الامثال السائرة وفيه فصول (الباب السابع) فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول (الباب الثامن) فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وماجرى مجرى ذلك (الباب التاسع) فى ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الاجواد (الباب العاشر) فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وماأشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى عشر) فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب (الباب الثانى عشر) فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وماأشبه ذلك (الباب الثالث عشر) فى الصمت وصون اللسان والنهى عن الغيبة والسعى بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع عشر) فى الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته (الباب السادس عشر) فى الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وماأشبه ذلك (الباب السابع عشر) فى ذكر الحجاب والولاية ومافيها من الغرر والخطر (الباب الثامن عشر) فيما يجرى فى القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك (الباب العشرون) فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك (الباب الحادى والعشرون) فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استخراج الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثانى والعشرون) فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء الحوائج للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب الثالث والعشرون) فى محاسن الاخلاق ومساويها (الباب الرابع والعشرون) فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وماأشبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب السادس والعشرون) فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان (الباب السابع والعشرون) فى العجب والكبر والخيلاء وماأشبه ذلك (الباب الثامن والعشرون) فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) فى الشرف والسودد وعلو الهمة (الباب الثلاثون) فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين (الباب الحادى والثلاثون) فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم (الباب الثانى والثلاثون) فى ذكر الاشرار والغجار ومايرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون)

من رفعه على انه خبر هذا الجارية مصرة على ان شيخها أباعثمان المازنى لعنها اياه بالنصب فأمر الواثق بامتحانه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال لى ممن الرجل قلت من مازن يا أمير المؤمنين قال أى الموازن قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام موهم وقال ياأسمك لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كانت فى أول الاسماء فكرهت ان أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجبه منى ذلك ثم قال لى ماتقول فى قول الشاعر

أظلوم ان مصابكم رجلا
أهدى السلام تحية ظلم

أترفعر جلا أم تنصبه فقلت الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك فقلت ان مصابكم مصدر بمعنى أصابتكم فأخذ الزيدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم ومنصوب به والدليل عليه ان الكلام متعلق الى أن تقول ظلم فيستم فاستحسنه الواثق وأمر له بألف دينار قال أبو العباس المبرد فلما عاد أبو عثمان الى البصرة قال لى كيف رأيت رد دنانك مائة فعوضنا ألفا ونقلت من درة الغواص أيضا ان حامد بن العباس سأل على بن عيسى فى ديوان الوزارة ماد واء الحمار وكان قد علق به فأعرض عن كلامه وقال ماأنا وهذه المسئلة فحمل حامد منه والتفت الى قاضى القضاة أبى عمر فسأله عن ذلك فتنخح لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما أتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة

في الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الاجواد وأحاديث الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم (الباب الخامس والثلاثون) في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك (الباب السابع والثلاثون) في الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه (الباب التاسع والثلاثون) في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) في الشجاعة وغرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادي والاربعون) في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن (الباب الثاني والاربعون) في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون) في الهجاء ومقدماته (الباب الرابع والاربعون) في الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) في بر الوالدين ودم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانسان وفيه فصول (الباب السادس والاربعون) في الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان واللباس وما أشبه ذلك (الباب السابع والاربعون) في ذكر الحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما جاء فيه (الباب الثامن والاربعون) في الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب التاسع والاربعون) في الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها (الباب الخمسون) في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين الى الاوطان (الباب الحادي والخمسون) في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه (الباب الثاني والخمسون) في ذكر الفقر ومدحه (الباب الثالث والخمسون) في ذكر التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد (الباب الرابع والخمسون) في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك (الباب الخامس والخمسون) في العمل والكسب والصناعات والحرف والعجز والتواني وما أشبه ذلك (الباب السادس والخمسون) في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول (الباب السابع والخمسون) فيما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن ونحو ذلك (الباب الثامن والخمسون) في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان (الباب التاسع والخمسون) في أخبار العرب وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب شعرهم (الباب الستون) في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا (الباب الحادي والستون) في الحيل والحدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ونحو ذلك (الباب الثاني والستون) في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات مرتبا على حروف المعجم (الباب الثالث والستون) في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم (الباب الرابع والستون) في خلق الجان وصفاتهم (الباب الخامس والستون) في ذكر الانهار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول (الباب السادس والستون) في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول (الباب السابع والستون) في ذكر المعادن والاحجار وخواصها (الباب الثامن والستون) في الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الخلفاء (الباب السبعون) في ذكر القينات والاغاني (الباب الحادي والسبعون) في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار به والعفاف واخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثاني والسبعون) في ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت

وكان

بصانع أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية حيث قال وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها
ثم تلاها أبو نواس في الاسلام فقال
دع عنك لومي فان اللوم اغراء
ودواني بالتي كانت هي الداء
فأسفر حينئذ وجه حامد وقال لابن عيسى ما ضرك يا بارد أن تجيب ببعض ما أجاب به مولانا قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى أولا ثم بقول النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا وأدى المعنى وخرج من العهدة فكان خجل ابن عيسى أكثر من خجل حامد لما ابتدأه بالمسألة انتهى
ويضارع هذه الحكاية في لين بعض القضاة المتقشفين وادعائهم مع الزهد والتقشف للمستفتين ما نقلته من دزة الغواص للزبرجي أيضا قال اجتمع قوم على شراب فتغنى مغنيهم بشعر حسان
ان التي ناولتني فرددتها
قتلت قتلت فهاتها لم تفعل
كلتاهما حلب العصير فعاطني
بزجاجة أرجاؤها لم تفصل
فقال بعضهم امرأتي طالق ان لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي عن علة هذا الشعر كيف قال ان التي فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا فيه ومضوا يتخبطون القبائل الى بني شقرة فوجدوا عبيد الله بن الحسن يصلي فلما فرغ من صلاته قالوا له قد جئناك في أمر دعتنا اليه الضرورة وشرحوا له الخبر وسألوه الجواب فقال مع زهده وتقشفه ان التي ناولتني فرددتها عنى بها الخمرة المزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير

وكان وكان والموشحات والرجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايمدح ومايذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) فى ذم الخمر وتحريمها والنهى عنها (الباب الخامس والسبعون) فى المزاح والنهى عنه وماجاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) فى النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله تعالى (الباب التاسع والسبعون) فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار (الباب الثمانون) فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء من السنة والعيادة وثوابها وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى والثمانون) فى ذكر الموت ومايتصل به من القبر وأحواله (الباب الثانى والثمانون) فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول (الباب الثالث والثمانون) فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب الرابع والثمانون) فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب ختمتها بالصلاة على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم المعاد

(الباب الاول فى معانى الاسلام وفيه خمسة فصول)

الفصل الاول فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه

وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له فردلا مثل له صمدلا ندله أزلى قائم أبدى دائم لا أول لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ وهو فوق كل شئ فوقية لا تزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابهه قربه قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار فى ذار القرار على مادلت عليه الآيات والاخبار حى قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحادثات لا يجرى فى ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفاعل لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ومورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمعونته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته لعجزوا عن ذلك ولو تعاونوا عليه ولو صار متكلم بكلام لا يشبهه كلام خلقه وكل ماسواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته وممن حركة وسكون الا لانه فى ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية وقال أبو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية ... تدل على أنه الواحد
ولله فى كل تحريكة ... وتسكينة فى الورى شاهد

(وقال غيره)

كل ما ترتقى اليه بوهم ... من جلال وقدرة وسناء
فالذى أبدع البرية أعلى ... منه سبحانه مبدع الاشياء

(وقال) على رضى الله عنه فى بعض وصاياه لولده اعلم يابنى انه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا يضاده فى ملكه أحد ولم يزل ولا يزال أول قبل الابتداء وآخر بعد الفناء والصلاة والسلام كل مايتصور فى الاذهان فالله سبحانه بخلافه وقال لبيد بن ربيعة

يريد الحرة المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات انتهى (قال الحريرى) وقد بقى فى الشعر مايحتاج الى تفسيره أما قوله ان ناولتنى فردد تها قتلت قتلت فانه خاطب به الساقى الذى ناوله كأس الممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة اذا مزجتها فأراد أن يعلمه انه فطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه بالقتل فى مقابلة المزج ثم انه عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه مالم تقتل يعنى الصرف التى لم تمزج وقوله ازخاءها للمفصل يعنى به اللسان وسمى مفصلا بالكسر لانه يفصل بين الحق والباطل قال الحريرى وليس على ماعتمده القاضى عبيد الله من الاستماح وخفض الجناح مايقدح فى نزاهته ويغض من نبله ونباهته والله أعلم (ونقلت من درة الغواص) أن عروة ابن أذينة الشاعر وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى ... ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه ... ولو قعدت أتانى لا يعنينى

وأراك قد جئت من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال له يا أمير المؤمنين زادك الله بسطة فى العلم والجسم ولا رد وافدك خائبا والله لقد بالغت فى الوعظ وأذكرتنى ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها وتوجه راجعا الى الحجاز فلما كان فى الليل ذكره هشام وهو فى فراشه فقال لرجل من قريش قال حكمة ووفد الى فحبيته وردته عن حاجته وهو مع

ألا كل شيء ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل * وكل ابن أنثى لوتطاول عمره
الى الغاية القصوى فللقبر آيل * وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرئ يوما سيعرف سعيه * اذا حصلت عند الاله الحصائل

(وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان أشعر كلمة قالتها العرب
* ألا كل شيء ماخلا الله باطل * ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بأن محمدا رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر وأوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة بر يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق والحساب حق وان الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الدلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا الدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

﴿الفصل الثاني في الصلاة وفضلها﴾ قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفوا في اشتقاق اسم الصلاة فهو فعيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروفة في كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أي ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار اذا قومته والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد وربه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا احضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال بعضهم لا تفوت أحدا صلاة في جماعة الا بذنب * وكانت راتبة العبد وبه في الصلاة في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة * وقال بعضهم صليت خلف ذي النون المصري فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم مت وبقي كالميت جسدا لا روح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبي انخلع من هيبة تكبيره * وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي وادا جن عليه الليل نام عني أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه * وعبد الله بن المبارك

ذلك شاعرا لا آمن ما يقول فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه فقال لاجرم ليعلم ان الرزق سيأتيه ثم دعا مولى له وأعطاه ألفي دينار وقال الحق بهذا ابن أدينة وأعطه اياها قال فلم أدركه الا وقد دخل بيته فقرعت الباب عليه فخرج الى فأعطيته المال فقال أبلغ أمير المؤمنين قولي سمعت فاكدت ورجعت الى بيتي فأتاني رزقي (ويضارع هذا الحكاية) ماحكى عن هدبة بن خالد رحمه الله تعالى قال حضرت مائدة المأمون فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط بناني الارض فنظر الي المأمون فقال أما شممت يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين ولكن حدثني حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التقط ما تحت مائدته أمن من الفقر فنظر المأمون الى خادم واقف بين يديه فأشار اليه فما شعرت أن جاءني ومعه منديل فيه ألف دينار فناولني اياه فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذاك انتهى (ومن لطائف ماجنيت من ثمرات الاوراق) ان رجلا من الحذاق كان يكتب كتابا والى جانبه آخر فانتهى في كتابه الى اسم عمر وفي كتبه بغير واو فقال يامولا نازدها واو الفرق بينها وبين عمر فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة الواو بمعنى تفوق (قلت) وبعضهم يرى ان الواو تزاد بعد لا النافية في الجواب اذا قيل هل فعلت كذا وكذا فيقول لا وعافاك الله قال أبو الفرج بن الجوزي روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لرجل عربي أكان كذا وكذا فقال لا أطال الله بقاك فقال الامام عمر رضي

رضي الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع

وكان سيدي الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم النحريري رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

يا أيها الراقدكم ترقد * قم ياحبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل ولو ساعة * تحظى اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدي أويس القرني لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبي يطيل المكتوبة ويقول هي رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفؤها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر * وجز أحمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل أثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله * وكان مسلم بن يشار اذا أراد أن يصلي في بيته يقول لاهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم وكان اذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو في الصلاة فما شعر به حتى أطفئ * وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير في المسجد الحرام يسمع جذعا منصوبا بالطول انتصابه في الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط * وختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعي شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال * عند الصباح يحمد القوم السرى * فقال يا ابن أخي للذ ولا محمد ول للجمالين وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه في الصلاة فقيل له كيف تصبر فقال بلغني أن الفساق يتصببون تحت السياط ليقال فلان صبور وأنا بين يدي ربي أفلا أصبر على ذباب يقع علي * وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلي في القمر كأنه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بالاسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع في مصلاه كوكف المطر وكان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يسمع لغليه خفقان وغليان * هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالمحب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له أدع الله أن يجعلني رفيقك في الجنة فقال أعني على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الاصم رحمه الله تعالى فاتتني صلاة الجماعة مرة فعزاني أبواي محق البخاري وحده ولومات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضي الله تعالى عنهم يعزون أنفسهم ثلثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه. (وأنشد بعضهم)

خسر الذي ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا وثوابا
ان كان يجحدها لجهلك أنه * أضحى بربك كافرا مرتابا
أو كان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعي ومالك رأياه * ان لم يتب حد الحسام عقابا
والرأي عندي للامام عذابه * بجميع تأديب يراه صوابا

الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلتم لا وعافاك الله (وحكى) عن الصاحب بن عباد انه قال هذه الواو هنا أحسن من واوات الاصداغ في وجنات الملاح (قلت) وهذه الواو أعني واو عمرو نظم فيها الشعراء كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو أمية السلمي

قل لمن يدعى سليمى سفاها
لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو
ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

(وقال أبو سعيد الرستمي وأجاد)

أبى الخلق أن يعطى ثلاثون شاعرا
ويحرم مادون الرضا شاعر مثلي
كما سامحوا عمرا بواو ومزيدة
وضيق باسم الله في ألف الوصل

(ومن لطائف المجنى) ما نقل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قيل انه قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نرفيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل الفاضل الى دار العماد وجد أشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجالس أنس وراحة خمر وآلات طرب فانشد

ما ان محتك خبا يا الود من رجل
مالم ينلك بمكروه من العزل
محبتي فيك تأبى عن مساحتي
بأن أراك على شئ من الزلل

فلما قام من عنده نزع العماد مما كان فيه وأقلع ولم يعد الى شئ من ذلك ألبتة

(ومن اللطائف) ما نقل عن الملك الظاهر رحمه الله تعالى قيل انه لما استعرض الامير بدر الدين بيليك الخازندار ليستتريه قال له أناخر يا مولانا السلطان وأحسن الكتابة فأحضرت له دواة فكتب يقول

لولا الضرورة ما فارقتكم أبدا
ولا تنقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك فى شرائه (ويضارعه ماحكى عن الصاحب كمال الدين بن العديم) قيل ان انسانا رفع قصة الى الصاحب المشار اليه فأعجبه خطها فأمسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض عمالته كه فكتبها لى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه فقال هذا خطك قال نعم قال فهذه طريقتى من هو الذى أظهرك عليها فقال يامولانا كنت اذا وقعت لأحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فأمره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى
وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد بأكثر من الخط ورفع منزلته بعد ذلك (وأذكرنى اتفاق التوربة فى الكمال هنا) ماحكى عن القاضى فخر الدين لقمان والقاضى تاج الدين أحمد بن الأثير رحمهما الله انهما كانا مخدمة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق انه هرب مملوكه المذكور وناداه ياطنبا فقال له نعم ولم يأته وكانت ليلة مطيرة مظلمة فخرج فخر الدين لقمان رأسه من الخيمة فقال تقول نعم ولم أرك فقال القاضى تاج الدين

فى ليلة من جمادى ذات أندية
لا يبصر الكلب فى ارجائها الطنبا

(ومن اتفاق التوربة أيضا) ماكتبه الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة ملغزا فى باب الى والده

ماواقف فى المخرج
يذهب طورا ويجى

اللهم أعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(وعما يستحسن الحاقه بهذا الفصل) ذكر شئ من فضل السواك والأذان (أما السواك) فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال أيضا صلاة بسواك أفضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم الناس ما فى السواك لباعوا مع الرجل فى لحافه وقال أيضا أفواهكم طرق لكلام ربكم فنظفوها * والاختيار فى السواك أن يكون بعود الاراك ويجزى بغيره من العيدان وبالسعد والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الأيمن من فيه وينوى به الاتيان بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال الاصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لى فيه يا أرحم الراحمين ويستاك فى ظاهر الاسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وأضراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السواك أنه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح (وأما الاذان) فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قيل فى قوله تعالى وهن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت فى المؤذنين وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس وعن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين رواه البخارى ومسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة رواه البخارى والاحاديث فى فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها﴾

قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة فى مواضع شتى من كتابه قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما خالطت الزكاة مالا قط الا أهلكته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مال زكى ولم يزك ومن كان عنده مال يحج ولم يحج سأل الرجعة يعنى قوله تعالى رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت (ولنختم) بهذا الفصل ذكر شئ من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما أعد الله تعالى للمتصدقين من الاجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزى المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات الآية وآيات الكريمة فى ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذى فى جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفى صحيح مسلم وموطأ مالك وجامع الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة أو قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله تعالى (ودخلت) امرأة مسئلا على عائشة رضى الله عنها فقالت كان أبى يحب الصدقة وأمى تبغضها ما تتصدق فى عمرها الا بقطعة شحم وخلقة فرأيت فى

التمام

المنام كان القيامة قد قامت وكان أمي قد غطت عورتها بالحلقة وفي يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت الى أبي وهو على حافة حوض يسقي الناس فطلبت منه قدحا من ماء فسقيت أمي فتوديت من فوق ألا من سقاها فشل الله يدها فانتبهت كما ترين (ووقيف) سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها في مزرعته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت يارب ولدي فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل (وعشش) ورشان في شجرة في دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ افراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان أخذوا افراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يارسول الله أردت ان يكون لي أولاد يدركون الله تعالى من بعدي فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل ان يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقال اعترضنا ملكان فطرحا ناقي الحافقين (وقال) النخعي كانوا يرون ان الرجل الظلوم اذا تصدق بشيء دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال رد واحد صدمة البلاء ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال زد وا مذمة السائل ولو بظلف محرق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات الله وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تعش الملائكة ذلك اليوم سبعة أيام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو امرأ مسلما ثوبا الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال محمد العزرمي ابن عمير الصلاة تبلغ نصف الطريق والصوم يبلغ باب الملك والصدقة تدخل عليه وعن الربيع بن خيثم انه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خز فرأى سائلا فأعطاه اياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر رضي الله تعالى عنه ان الاعمال تباهت فقال الصدقة انا أفضلكن وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله ضركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كساه لله كساه الله وقال الشعبي من لم يرغبه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شيء أعطاه دهنا أو تمرة مما ينتفع به فان لم يكن عنده شيء أعطاه كلاما أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بها ثوب السائل (ووجه) رجل ابنه في تجارة فمضت أشهر ولم يقبله على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما ربحا فسأله أبوه هل أصابك في سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت في جملة الناس واذا بشابين أخذاني فطرحاني على الشط وقالا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بأكثر من ذلك وقال علي رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه اذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل الزاد فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله اياه ولله در القائل حيث قال

يبكي على الذاهب من ماله * وانما يبقى الذي يذهب

لست أخاف شره

مالم يكن عرجي

فكتب اليه والده في الجواب ذهاب واياب وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام (قيل) ان الصاحب جمال الدين بن مطروح كتب لبعض الرؤساء رقعة الى صديق له يشفع فيها عنده فكتب ذلك الرئيس هذا الامر علي فيه مشقة فكتب ابن مطروح في جوابه لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والاقدام قتال

لولا المشقة ساد الناس كلهم

وقضى الشغل على الفور انتهى

﴿قيل﴾ ان يوسف الصديق عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء

(وقال الشاعر)

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة

بل في الشدائد تعرف الاخوان

﴿ولله در يزيد بن المهلب﴾ من ذي مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان في سجن الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد دخل عليه نجم وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح في قيدك السماحة والـ

ـجود وفضل السلاح والحسب

لا تصبرن ان تتابعت نعم

وصارف في البلاء محتسب

برزت سبق الجياد في مهل

وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال أعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر ﴿قال الاصمعي﴾ حضرت مجلس الرشيد وفيه مسلم بن الوليد اذ دخل

(وحكى) ان رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة اذ اوقدت به امرأة جميلة فسألته أن يقتحم لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فأعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فأدخلها مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تذكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قالت له ياهذا والله أنت ما عصيت الله مع غيري وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى في وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرني قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم في كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فقدر ذلك الرجل العاصي يده وأخذ رغيفا فبقي منهم رجل لم يأخذ شيأ فقال أين رغيفي فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أما بيت طاو يا فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق ان أبيت طاويا لانني عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فأوحى الله تعالى اليهم ان زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فأوحى الله اليهم ان زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذي آثر به على نفسه فوزنوا فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته

(وحكى) ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته بين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته اذهبي اليه بهذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسأل الحاز زوجها عن بكائها فأخبرته ان السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهر زوجها الاول فقال الحاز لزوجها أنا والله ذلك السائل (وذكر) عن محمول الدر رجلا أتى الى أبي هريرة رضي الله عنه فقال ادع الله لابني فقد وقع في نفسي الخوف من هلاكه فقال له ألا أدلك على ما هو أنفع من دعائي وأنجع وأسرع اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوي بها نجاة ولدك وسلامة ما معه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدرهم وقال هذا خلاص ولدي وسلامته وما معه فنادى في تلك الساعة منادي البحر ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال يا أبت لقد رأيت في البحر عجبا يوم كذا وكذا في وقت كذا وكذا وهو اليوم الذي تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء الا ان الفداء مقبول وزيد مغاث وجاء ناز جال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين والآثار والحكايات في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية ان وعى وأن أيس للانسان الا ما سعى والله أعلم

﴿الفصل الرابع في الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الاجر والثواب﴾

(قال) الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص * فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قضاء الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهموم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

أبو نواس فقال له الرشيد ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ولوفي الخمر فقال قاتلك الله ولوفي الخمر فانشد

يا شقيق النفس من حكم
غث عن ليلى ولم أنم
حتى انتهى الى آخرها فقال
فمشت في مفاصلهم
كتمشي البرء في السقم

فقال أحسنت والله يا غلام اعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فأخذها وخرج قال الاصمعي فلما خرج نادى عنده قال لي مسلم بن الوليد ألم تر الى الحسن بن هانئ كيف سرق شعري وأخذ به مالا وخلعا فقلت له وأي معنى سرق لك قال قوله فمشت في مفاصلهم البيت فقلت وأي شيء قلت فقال

كأن قلبي وشيا بها اذا خطرت
وقلبها قلبها في الصمت والحرس
تجري محبتها في قلب رامقها
جري السلافة في أعضاء منتكس

﴿ترجمة المعتزلة﴾

المعتزلة طائفة من المسلمين يرون ان أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الانسان وان القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وان الله تعالى غير مرئي يوم القيامة وان المؤمن اذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان في منزلة بين منزلتين يعنون بذلك انه ليس بمؤمن ولا كافر وان الاعجاز القرآني في الصرفة لا أنه في نفسه معجز ولولم يصرف الله العرب عن معارضته لاتوا بما يعارضه وان من دخل النار لم يخرج منها * وانما سموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصري رضي الله تعالى عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقال الجماعة

عليه وسلم أنه قال من أفطر يوما في رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر روى في صحيح النسائي عنه أيضا صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهري أن تسبيحة واحدة في شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره وروي عن قتادة أنه كان يقول من لم يغفر له في شهر رمضان فلن يغفر له في غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في شهر رمضان من الخير لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما الشهد تا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلي في ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا في الجنة من ياقوتة حمراء فيها سبعون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن تقبل فليقل في كل ليلة عند فطره يا واسع المغفرة اغفر لي وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حي لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله في يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروى في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهي الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفي صحيح البخاري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه * وفضل الصوم عزيز لانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت في الصحيح من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبرا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقد يكتفى في فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿الفصل الخامس في الحج وفضله﴾ قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفي الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم في الدنيا وفي الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من ياقوت الجنة وانه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء في الحديث الصحيح ان آدم عليه الصلاة والسلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة لحقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سعة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تزيخامذ كورا قيل انها سقت أهل الموسم كلهم الدويق بالطبرزد والنبق واستصحب البقول المزروعة في المراكب على الجمال وأعدت خمسمائة رأس للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد

بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتين فطرده الحسن رضي الله تعالى عنه عن مجلسه فاعتزل عنه فقيل لاتباعه معتزلة * ولم يزل مذهب الاعتزال يقوى الى أيام الرشيد فظهر بشر المريسي وأحضر الشافعي مكبلا في الحديد فسأله بشر والسؤال ما تقول يا قرشي في القرآن فقال اياي تعني قال نعم قال مخلوق فخلى عنه وأحس الشافعي رضي الله عنه بالشر وان الفتنة تشتد في اظهار القول بخلق القرآن فهرب من بغداد الى مصر ولم يقل الرشيد رحمه الله بخلق القرآن فكان الامر بين أخذ وترك الى أن ولي المأمون فقال بخلق القرآن وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في الدعوة الى ذلك الى ان قوى عزمه في السنة التي مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأخبر في الطريق انه توفي فبقي الامام محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فأحضر الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق والقاضي أحمد بن أبي داود وغيرهما فناظر وه ثلاثة أيام فلم يقطع في بحث وسفه أقوال الجميع فأمر به فضرب بالسياط الى ان أغمي عليه ورمي على باريه وهو مغشي عليه ثم حمل وصار الى منزله ولم يقل بخلق القرآن ومكث في السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال للامام أحمد لا تجمعن اليك أحدا ولا تساكني في بلد أنا فيه فاختفى

ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين (ولما) بنى آدم عليه الصلاة والسلام البيت وقال يارب ان لكل عامل أجرا فما أجرعملي قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدني قال جعلته قبلة لك ولاولادك قال يارب زدني قال أغفر لكل من استغفرني من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبي * وفي الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة (وأول) من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها الممسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه (ورؤى) الحسن بن علي رضي الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكي ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسيكينك ببابك يردد ذلك مرارا ثم انصرف رضي الله عنه فرؤى كأن معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا انه صدقة لاكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلي فتوجهوا معه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم (وحج) عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقتهم لله تعالى لعله يعتقني من النار وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما اني لأستحيي من ربي أن القاه ولم امش الى بيته شيئا من المدينة الى مكة عشرين مرة (ومن) لطيف ما انشد عمرو بن حيان الضرير حين لبى بعد اليه الحجاج شيأ

كان الحجيج الآن لم يقربوا منى * ولم يحملوا منها سوا كاولا نعلا
أتونا فما جادوا بعود اراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

(وقال غيره)

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم وأن وزره * يحط ولكن فوقه في جهنم

(وقال آخر)

حج في الدهر حجة * ج فيها وأحرما * وأتانا من الحجا
زكراح محسرما * فهو ذو الحجة الذي * ما توفى محرما

(وتخاصم) بدوي مع حاج عند منصرف الناس فقيل له أتخاصم رجلا من الحجاج فقال

يحج لكيما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

وقال أبو الشمقمق

اذا حجت عيال أحد دنس * فما حجت ولكن حجت العير

والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب الثاني في العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك﴾

نص الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى ومسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عزمن قائل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعز علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أحاسب وبك اعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضيء خلقه الله عز وجل في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة ﴿واعلم﴾ ان العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فأما الاول فهو العقل العزيزي المشترك بين العقلاء وأما الثاني فهو العقل التجريبي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ أكمل

عقلا

الامام أحمد لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فأحضره وأكرمه وأطلق له مالا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل جارية الى ان مات المتوكل وفي أيامه ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع ما توقع من المحنة واظهار السنة وتكلم في مجلسه بالسنة ولم يزالوا أعني المعتزلة في قوة الى أيام المتوكل ولم يكن في هذه الأمة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم (ومن) مشاهيرهم على ما ذكر وامن الفضلاء الاعيان الجاحظ وواصل ابن عطاء والقاضي عبد الجبار والرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي الشافعي وهذا غريب ومن المعتزلة أيضا الصاحب ابن عباد وصاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وابن جني والله أعلم (ومما جنيته من ثمرات الاوراق) ان الرشيد سأل جعفرا عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعا وعندي جاريتان وهما يكسباني فتناومت عنهما لانظر صنعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يديها الى ذلك الشيء فلعبت به فانتصب قائما فوثبت المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لانه حدثت عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من احيا أرضا ميتة فهي له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره انما الصيد لمن أخذه فضحك الرشيد حتى استلقى على

عقلا وأتم درايةً وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سوادلته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهب رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها اجماعا لى ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية أشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو صبى حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام فى أمر الغنم والحرث وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثى فأهلكته وأكلته ولم تبق لى فيه شيأ فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذذاك على ما نقله أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ما هو الارفق بالفريقين فقال لى سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده فى قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفى هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكلا حكمهم شاهدين فهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيأ من أنواره ومواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب فى كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يوجد منه ومايصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام فأقول يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته فى اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا ويورثه سوء السمعة وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى الكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفى أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذى يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعيته فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابى فقال هذا كلام يقطر عسلا وقيل بأيدى العقول تمسك أعنة النفوس وكل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شئ غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار فى المروج واختلف الحكماء فى ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة فى القلب كالنور فى العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك

فقاء وقال هل من سلو عنهما فقال
جعفر هما ومولاهما حكم أمير المؤمنين وحملهما اليه (ومن ذلك) ما حكى عن بعض المطربين انه غنى فى جماعة عند بعض الامراء
اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل
ولو نظرت شزرا اليك القبائل
وان فوق الاعداء فحوك أسهما
تنتهما على أعقابهن المناصل
فطرب الامير الى الغاية وامر له بمال فقال لبعض حاشيته كيف هات مخلعة لهذا المغنى وافهمه المغنى ما يقول الامير فقام لقلة حظه الى بيت الخلاء وفى غيبته جاء المملوك بالخلعة فوجد المغنى غائبا وقد حصل فى المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغنى بعد ما خرج ان الامير كان قد أمر لك بخلعة فلما كان بعد أيام بحضرة المغنى عند ذلك الامير وغنى فقال
اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل
ولو نظرت شزرا اليك القبائل
بفتح التاء ورضم الباء فأنكر واعليه ذلك فقال نعم لانى لما بلت فى ذلك اليوم فأتتنى السعادة من الامير فأوضحوا له القصة فضحك وأعجبه ذلك وأمر له بخلعة ﴿ومن المنقول﴾ ان عبد الله بن المعتز من خلفاء بنى العباس مع كماله وغزارة فضله كان لم يزل منغصا فى مدة حياته بويع له بالخلافة وظن ان الحظ قد تنبه له فلم يتم الامر له الا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله تعالى على انه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم ان لا يسفكوا فى واقعته دما ومحله من الادب لا يخفى وشعفة فضله كالصبح لا تخفى ولا تطاق وقد قيل
لله درك من ملك بضيعة
ناهيك فى العلم والعليا وفى الحسب

بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدر وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى وذهب جماعة الى أنه في القلب كما روى عن الشافعي رحمه الله تعالى واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حيلة وتجربة (قال الشاعر)

ألم تر أن العقل زين لأهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

(وقال آخر) اذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الايام في كرها عقلا

(وقال) عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فأنت عاقل * ويقال لأشرف الاشرف العقل ولا غنى الاغنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين
ومن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلي رضي الله تعالى عنه صف لنا العاقل قال هو الذي يضع الشيء مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني الذي لا يضع الشيء مواضعه وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفكر ولا تعمل بغير تدبير وقال أردشير أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى أنوشروان أربعة تؤدي الى أربعة العقل الى الرياسة والرأي الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم ابن محمد من لم يكن عقله أغلب الخصال عليه كان حتفه من أغلب الخصال عليه وقيل أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتحبب الى الناس وقيل من أعجب برأي نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه انه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وأرحمهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق وقيل لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأ حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان من العقل وسئل بعضهم أيما أحمد في الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بأبي وأمي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل الى صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعيرا وحكى بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه كان ينشد هذه الابيات ويترنم بها

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها
والنفس تعلم اني لا أصدقها * ولست أرشد الا حين أعصيها

(وقال) بعض الحكماء العاقل من عقله في ارشاد ورأيه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم * ولا يكفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلقته ونظافة بدنه اذ كم من كثيف مبيض وجلد مفضض

وقد

مافيه لو ولا ليت تنقصه

واغا أدركته حرفة الادب

(وقال ابن الساعاتي)

عفت القريض فلا أمسه أبدا
حتى لقد عفت أن أرويه في الكتب

هجرت نظمي له لا من مهانته
لكنها خيفة من حرفة الادب

قلت ومارح الزمان مولعا بخمول أهل الادب وخمود نارهم كان الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف من كبار أهل الادب وكان حسن السيرة متدينا قال ان عاقب على ذنب وله المناقب الجميلة وكان أكبر اخوته ومع كمال صفاته وآدابه التي سارت بها الركبان ما صفا له الدهر ولا هنأه الملك بعد أبيه السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى لبث مدة يسيرة بدمشق المحروسة ثم حضر اليه عمه أبو بكر العادل وأخوه الملك العزيز عثمان فأخرجاه من ملكه بدمشق الى صرخد ثم جهزاه الى سميساط وفي ذلك كتب الى الامام الناصر ببغداد

مولاي ان أبا بكر وصاحبه
عثمان قد منعا بالسيف حق علي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي
من الاواخر ما لاقى من الاول

فكتب الناصر الجواب ولكن الفرق مثل الصبح

واني كاتب يا ابن يوسف معلنا
بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن
بعد النبي له بيثرب ثائر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم
وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الامام الناصر بل توفي فجأة بسميساط رحمه الله تعالى ومن شعره ماذكره ابن واصل في مفرج

وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فاردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي ففحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله * وقيل ان اياس بن معاوية الماضي كان من أكبر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق ان رجلا أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل أخبرت بذلك أحدا غير ي قال لا قال فهل علم الرجل انك أتيت الى قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندي أموال كثيرة ورأيت أن أودعها عندك فاذهب وهيئ لها موضعا حصينا يقضي ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضي اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي اياس أتحاكم أنا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضي وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء إلى القاضي طامعا في تسليم المال فسبه القاضي وطرده وكانت هذه الواقعة مما تدل على عقله وصحة فكره (ولما) مات بعض الخلفاء اختلف الرؤساء واجتمعت ملوكيا فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة والرأي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأي عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال في غد أخبركم ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء

﴿وأما ذم الحمق﴾ فقد قال ابن الاعرابي الحماقة مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكانه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت اليه في أمر من الامور والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه أعز الاشياء عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لان مخ رجها من الدماغ فمن أفرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفته من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والحلوم العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والحيلاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال أفحش وان سئل بخل وان سأل ألح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكى صرخ وان اعتبرنا هذه الخلال وجدناها في كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل

الكروب

يا من يسود شعره بخضابه
فعساه من أهل الشيبة يحصل
هافا ختضب بسواد حظي مرة
وتلك الامان بانه لا يفصل

﴿قلت﴾ ومثله الملك الناصر داود ابن الملك المعظم وكان داود صاحب الكرك مابرح مع كمال فضله منكدا مشتتا في البلاد توجه الى بغداد ومعه فخر القضاة ابن بصاقة والشيخ شمس الدين الخسرشاهي وقد استصحب جواهر نفيسة والتجأ الى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده في الملا فاقد له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التي مطلعها

وران ألمت بالكثيب ذوائبه
وجنح الدجى وخف خجول غياهبه

تنبه فؤادي في تلك الربوع رهوده
وتبكي على تلك الطلول سحائبه

وقال منها في حكاية حاله مع الخليفة أيحسن في شرع المعالي ودينها
وأنت الذي تعزى اليه مذاهبه

بأني أخوض الذنوب الدوم مغفر
سبار يته مغفرة وسباسبه

ويأتيك غيري من بلاد قريبة
له الامن فيها صاحب لا يجانبه

فيلقى دنوا منك لم ألق مثله
ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه

وينظر في لألأ قد سلك نظرة
فيرجع والنور الامامي صاحبه

ولو كان يعلوني بنفس ورتبة
وصدق ولا لست فيه أصاقبه

لكنت أسلي النفس مما تعاني
وكنت أذود العين مما تراقبه

ولكنه مثلي ولو قلت أنني
أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

الناصر يشير الى مظفر الدين كوكبوري ابن كوجلك فانه قدم

من الاحمق قال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما وعالجت الاحمق فأعياني والسكوت عن الاحمق جوابه ونظر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال حجر على حجر ﴿حكى﴾ أن أخوين اصطحبا في طريق فقال أحدهما للآخر تعال نقمر على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أقمر على قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أقمر على ثياب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما الشيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رجل يتعبد في صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الارض فرأى حماره يرعى في ذلك العشب فقال يا رب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أن يدعو عليه فأوحى الله اليه لا تدع عليه فاني أجازي العباد على قدر عقولهم ويقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الا ما يوجب حجة الله عليه وخطب سهل هند ابنت عتبة فحمقته فقال

وما هو حتى يا هند الا محببة * أجر لها ذيلي بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولاطمت في البطحاء من كل طارق

ويقال للأبله السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطح ولا يرمح والاحمق المؤذي هو من بقر سقر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث في القرآن وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم﴾

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الانام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته ان أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لا شيء أسطع من اعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا ألذ من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أسفر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وقال الشعبي الذي يقرأ القرآن اغما يحدث عن ربه عز وجل ووفد غالب بن صعصعة على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بإبلك قال أذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال له يا أبا الاخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه في سنة وفي ذلك قال

وما صب رجلي في حديد مجاشع * مع القيد الا حاجة لي أريدها

وقال أنس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴿حكى﴾ الزمخشري في كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الحواص مر بعصر وع فأذى في أذنه فناداه الشيطان من جوفه دعني أقتله فانه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله

تعالى

الى الديوان فطلب الحضور فأذن له وبرز له الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته غاية الاعجاب وهي من النظم البديع في غاية لا تدرك فاستدعاه بعد شطر من الليل واجتمع به خلوة وما تمم ما ظفر به مظفر الدين المذكور وسبب ذلك أن الخليفة راعى عمه المذكور والذي ثبت عند أهل التاريخ ان عمه العادل ما فعل ذلك الا حسدا له على كمال أدواته وبلاغة آدابه وقيل انه كتب خطا منسوبا بالزرى بالحدائق المديجة (وحكى صاحب الريحان والريعان) قال حضر شاب ذكي بعض مجالس الادب فقال بعضهم ما تصحيف نصحت فحتني قال تصحيف حسن فاستغرب امراءه وكان بالمجلس شاعر من أهل بلنسية فأتم الشاب وقال مختبرا له ما تصحيف بلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فجعل البلنسي يقول صدق ظني انك تدعي وتنتحل ما تقول والفتى يفضحك ثم قال له أشعرت أنت يا شاعر فقال له وأي نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال له ان لم يكن في اللفظ فهو في المعنى ثم قام وهو يقول ذلك فتنبه بعض الحاضرين ونظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل الشاعر المنازع ومضى الى الشاب معترفا ومعتذرا انتهى وهذا المعنى في بلنسية نظمه الشيخ بدر الدين الدماميني أحجية فقال

يا واحد العصر ما بلدة
محاسنها في الورى تذكر
يجبى ما يرادف تصحيفها
وحقك أربعة أشهر

(ومن الغريب) ما نقل عن الفقيه عمارة اليمني الشاعر أنه مر بعصلوب

تعالى اذا دخل شهر رمضان يفرمن مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة فى المصحف وكان أبو حنيفة والشعبى رحمهما الله تعالى يختمان فى رمضان ستين ختمة وقال على رضى الله تعالى عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وقال الشعبى اللسان عدل على الأذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يارسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع أهل الدنيا وقال على كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضى الله عنهما لان أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب الى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزنى قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى ياصالح هذه القراءة فأين البكاء وكان عثمان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بمريم الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن على رضى الله عنه لاخير فى عبادة لا فقه فيها ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنه ولعن أباه اذا أنشر المصحف أغمى عليه ويقول هو كلام ربى وابطأت عائشة رضى الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ماحبسك قالت قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام فاستمع اليه طويلا ثم قال هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله وقال ابن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله قد اختلفت على القراآت فعلى قراءة من تأمرنى فقال على قراءة أبى عمرو * وعن أبى عمر وانى لم أزل أطلب أن اقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فقرأت عليهم فأشدد بها يدك * فينبغى للانسان أن يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا * وقال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله تعالى فى كتابه الاذكار قد كان للسلف رضى الله عنهم عادات مختلفة فى القدر الذى يختمون فيه فكانت جماعة منهم يختمون فى كل شهر ختمة وآخرون فى كل عشر ليال ختمة وآخرون فى كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون فى كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة فى كل يوم وليلة ختمتين وختم بعضهم فى اليوم والليلة ثمان ختمات فربعا فى الليل وأربعا فى النهار وروى ان مجاهدا رحمه الله تعالى كان يختم القرآن فى شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء * وأما الذين ختموا القرآن فى ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير رضى الله تعالى عنهم وروينا فى مسند الامام الجمع على حفظه وجلالته واتقانه فى قراءته أبى محمد الدارمى رحمه الله عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى قال الدارمى هذا حديث حسن عن سعد وأفضل القراءة ما كان فى الصلاة وأما فى غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الاخير أفضل من الاول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة فى وقت من الاوقات ولا فى أوقات النهى عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا شديدا ويجب على القارئ الاخلاص فى قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وأن لا يقصد بها توصلا الى شئ سوى ذلك وان

فقال

ومد على صليب الصلب منه
يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب
دعاه الى الغواية والضلال
فلم يمض ثلاثة أيام حتى صلب بين القصرين مع الجماعة الغرماء (وكان) الفقيه نجم الدين عمارة أديبا ماهرا فقيها شافعى المذهب من أهل السنة قدم فى دولة الفاطميين الى الديار المصرية مع صاحبها يومئذ الفائز بن الظافر وزيره الصالح بن رزيك فكان عنده فى أكرم محل وأعز جانب واتحده على ما كان بينهما من الاختلاف فى العقيدة ثم رحل الى اليمن وعاد الى مصر وأقام بها الى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورثى أهل القصر بقصيدته التى أولها

رميت يا دهر كف المجد بالشلل
ورعته بعد حسن الحلى بالعطل

(ومنها)

قدمت مصرا فأولتنى خلائقها
من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن
تمامها انها جاءت ولم أسل
يا لائمى فى هوى أبناء فاطمة
لك الملامة ان قصرت فى عدل
بالله زر ساحة القصرين وابك معى
عليهما الاعلى صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة
بنسل آل أمير المؤمنين على
وهى طويلة فى غاية الحسن فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه. (وقيل) انه استفتى عليه فى قوله من قصيدته الميمية وكان مبدأ هذا الامر من رجل

* سعى فأصبح يدعى سيد الامم *

يتأدب مع القرآن ويستحضر فى ذهنه أنه يناجى ربه سبحانه وتعالى ويتلو كلامه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فإنه ان لم يكن يراه فإن الله يراه وينبغى للقارئ اذا أراد القراءة ان ينظف فمه بالسواك وان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور ويتيسر المرغوب ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من ان تذكر وقد كان الواحد من السلف رضى الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكى لمن لا يقدر على البكاء فإن البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا * وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان أراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما والاحاديث فى فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فلينظر فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيى الدين النووى قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء فى فضل القرآن أحاديث كثيرة * وروى فى فضل قراءة سور من القرآن فى اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفى رواية من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفورا له وفى رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال من قرأ فى ليلة اذا زلزلت الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والاحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد أشرنا الى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم﴾

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لأهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة والجليس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار فى الدرجات العلى ومجالسة الملوك فى الدنيا ومرافقة الابرار فى الآخرة والفكر فى العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبى صلى الله عليه وسلم خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة فى طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد فى طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وهو يريد ان يحيا الاحاديث والاقلام دخل الجنة وقال على كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضى الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون فى سفن النجاة يسيرون وقال موسى عليه السلام فى مناجاته الهى

من

فأفتى الفقهاء بقتله وقالوا ان هذا الكلام رأى الفلاسفة فى النبوات وانهاء بالتكسب وهى احدى المسائل التى كفروا بها والصحيح انه يجتبى من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء عنده شعور بأنه يكون فيما بعد نبيا والذى يظهر ان هذا مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه فى تلك القصيدة وما يبعد أن القاضى الفاضل رحمه الله كان له ميل الى هلاكه لانه لما استشاره السلطان صلاح الدين فى ضربه قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى خلاصه قال فيقتل قال كذا الملوك اذا أرادوا شيأ فعلوه ونهض فأمر بصلبه مع الغرماء فلما أمسكوه مر واله على باب الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل الى بيته وأغلق الباب فقال الفقيه عمارة عبد الرحيم قد احتجب

ان الخلاص من العجب

(نكتة أدبية) قال ابن سناء الملك من أبيات

صلينى وهذا الحسن باق فربما
يعز بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضى الفاضل رحمه الله على هذه القصيدة وكتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وما قلت هذه الغاية الا تعلمنى انها البداية ولا قلت هذا البيت آية القصيدة الا وتلا ما بعده وما ريهم من آية أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولا عيب فى هذه المحاسن الا قصور الافهام وتقصير الايام والا فقد لهج الناس بمحاسنها ودونوا ما دونها والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها ولكن بيت يعز ويكنس أردت أن أكتسه من

من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضى الله عنهم العلوم أربعة الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم للازمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الامة والدنيا داؤها فاذا. كان الطبيب يطلب الداء فتى يبرئ غيره (وسئل) الشعبى عن مسئلة فقال لا علم لى بها فقيل له ألا تستحيى فقال ولم أستحيى مما لم تستحى الملائكة منه حين قالت لا علم لنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال على كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(وقال بعضهم)

انى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لاصحابه * وعدة للغش والظلم

(نظر) رجل الى امرأته وهى صاعدة فى السلم فقال لها أنت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فعلك أبى وأمى ان مات الامام مالك احتاج اليك أهل المدينة فى أحكامهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم بالله والفقه فى دينه وكرر هاعليه فقال يارسول الله أسألك عن العمل تخبرنى عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عد فى الملكوت الأعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والاسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم بأجود الاجواد قالوا بلى يارسول الله قال الله أجود الاجواد وأنا أجود ولد آدم وأجود من بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل وقال الثورى كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى أنه قال لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس وكانوا هم تبعا لهم ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لابناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فأعظم بها مصيبة والله أعلم وللقاضى العلامة أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى وقد أحسن كل الاحسن كأنما طرزت فى مخلع حسان شعر

ولم أقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لى سلما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى * لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أ أشقى به غرسا وأجنيه ذلة * اذا قنع الجهل قد كان أسلما

القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها انتهى * فأجاب ابن بسام الملك قائلا قد علم المملوك ما نبه عليه مولانا من أمر البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له معجبا به معتقدا ان قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه فى الكنس الا ابن المعتز حيث يقول

وقوافى مثل القنا من الخط

وخدى من لحيتى مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالعته فتتعثر عليه وتتعذر وما مال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أبا عبادة قد قال

ويا عاذلى فى عبرة قد سفحتها * لبين وأخرى قبلها للتحجب
يحاول منى شيمة غير شيمتى * وتطلب منى مذهبا غير مذهب

وقال

وما زارنى الا ولهت صبابة * اليه ولا قلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد المملوك أبا تمام قد قال

سلم على الربع من سلمى بذى سلم * ووجدته أيضا قد قال

خشنت عليه اخت بنى حنين * فاشهد أزمن هذا اللفظ طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكان سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت بالربع أشكو فقد مشبهه * حتى بكت بدموعى أعين الزهر
لولم أعرها دموع العين تسفحها * لرحتى لاستعارتها من المطر

وقد قال

قد لك غصن لاشك فيه كما

وجهك شمس نهار وجسدك فوجد المملوك طبعه الى هذا الامر مائلا وخاطره في بعض الاعيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب ونغلب على خاطره مع علمه انه المغلوب وحبك الشئ يعمى ويصم فقد أعماه حبه وأصمه الى ان نظم تلك اللفظة في تلك الابيات تقليد الابن المعتز قالها وحمل أثقالها وهي زلة تغتفر في جنب حسناته وأما المملوك فهي عورة ظهرت في أبياته (فأجابه الفاضل بقوله) ولا حجة فيما احتجه بابن المعتز عن التكنس في بيته فانه غير معه وم من الغلط ولا يقلد الا في الصواب فقط وقد علم مما ذكره ابن رشيق في العمدة من تهافت طبعه وتباين صنعه ومخالفة وضعه فذكره من محاسنه ما لا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه ما لا تلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضي السعيد على أبي تمام فنقصه حظه وأما البحتري فأعطاه أكثر من حقه وقال

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(قال) الشيخ صلاح الدين الصفدي لما وقف على هذا الفصل رأيت ابن سناء الملك استعمل هذه اللفظة في غير هذا الموضع ولم يتعط بنهي الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما تجه بل غلب عليه الهوى فقال وخلصني من يد عشقه

ظلام على خده خندسه كنست فؤادي من حبه

ولحيته كانت المكنسه

قلت مابرح الشيخ صلاح الدين غفر الله له يذوق تقليدا كقوله عن ابن سناء الملك لما استعمل في هذه

فان قلت زند العلم كاب فاغما * كباحين لم تحرس حماه وأظلما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره وقال الفضل شر العلماء من يجالس الامراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا رأى طالبي العلم قال مرحبا بكم وبنا بيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب رياحين كل قبيلة وقال علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما آتى الله أحدا علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا ورد بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثدي النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون ومثل الذين لم يذوقوا من هذا الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضي الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لامتي من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونه الا أربح الله تجارتهم (شعر)

العلم أنفس شئ أنت ذاخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فأول العلم اقبال وآخره

(قال) الثعلبي دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألني عن اسمي فأخبرته ثم قال ياشعبي كيف علمك بكتاب الله قلت عني يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الى فيها المنتهى قال كيف علمك بانساب الناس قلت أنا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا ديوانه قال لله أبوك وفرض لي أموالا وسيودني على قومي فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت وأنا سيدهم (قال البستي)

اذا المرء دعم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا

فبشره ان الله أولاه فتنة * تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضي الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري وقال الاوزاعي شكت النواويس الى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال علي رضي الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض ولصالح المخمي شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم

تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

(ودخل) عبد الله بن مسلم الهذلي على المهدي في القراء فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في الرماة فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في المغنين فأخذ كذلك ثم دخل في القصاص فأخذ كذلك فقال المهدي لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله في أحد منك ومل جماعة من الحكم مجالسة رجل فتوارى عنه في بيت فرق السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الليل فصبر فشكر الله له ذلك فجعله امام الحكم لا يختلفون في شئ الا صدر واعن رأيه وشكا رجل الى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصي فانشأ يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظي * فأرشدني الى ترك المعاصي

وذلك ان حفظ العلم فضل * وفضل الله لا يؤتى لعاصي

ووجد فى بعض الآثار عن بعضهم أنه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة فى كل شئ أردت بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قيل) واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك يا ذا الجلال والاكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الاحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه (ومن فوائد سيدى الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى) فى الحفظ يقرأ فى كل يوم عشر مرات فقهمنا ها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الى قوله تعالى وكأ فاعلين يا حى يا قيوم يا رب موسى وهرون ويا رب ابراهيم ويا رب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ارزقنى الفهم وارزقنى العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين وعن بنى يوسف قال مات لى ولد فأخرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس أبى حنيفة خوف أن يفوتنى منه يوم وقال محمد ابن اسحق بن خزيمة ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل البخارى حتى كان يقال ان حديثا لا يعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال البخارى رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح وقال ما وضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى وقال مجاهد أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فلبرحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعى لما قدم مصر بعد موته والله لأنت أعلم من مالك وانما أصحابك يضيعونك وقال الليث بن سعد ما هلك عالم قط الا ذهب ثلث علمه ولو حرص الناشر ويقال اذا أسئل العالم فلا تعب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر (شعر)

لا تدخرن غير العلو * م فانها نعم الذخائر
فالمرء لو بح البقا * ء مع الجهالة كان خاسر

وللشافعى رضى الله تعالى عنه شعر

أخى لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة أستاذ وطول زمان

وقال الزهرى العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل عالم سراج زمانه يستضئ به أهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندامة قال أما فى الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما فى الآخرة فعالم مفرط (شعر)

كن عالما وارض بنصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة * صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يا نبى الله ان هذا العصفور يقول يا موسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لا يعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لا تعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت ولا الخضر وما علمى وعلمك وعلم الخضر فى علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن عالمان والبواقى لا يعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يا رب قد قلت للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فلو لم تطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال يا موسى كنت آمر دابة من دوابى

الصيغة المشتملة على الهجو بشاعة المكنسة ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قصده بل غلب عليه الهوى * أما نقد الفاضل على بن سناء الملك بوضع المكنسة على وجنة معشوقته التى ليس للعذار بر جنتها شعور فنقد صحيح * وأما وضع مكنسة اللحية على وجنة من طلعت لحيته وكان جائرا على عاشقه وشبكها هنا فى قالب الهجو فهو نوع من المرقص والمطرب ولو وقف الفاضل على هذه المكنسة لاعدها الا بيانه انتهى (ومن لطائف المنقول) ما حكى عن الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد والد القاضى القضاة تقى الدين تغمدهما الله برحمته ورضوانه وهو ان الشيخ مجد الدين المشار اليه كان كثير الاحسان الى أصحابه يسعى لهم على قدر استحقاقهم فمن يصلح للحكم ومن يصلح للعدالة فجاءه بعض طلبته وشكا اليه رقة الحال وكثرة الضرورة فقال له اكتب قصتك وأنا أتحدث مع الولد فكتب ذلك الطالب المملوك فلان يقبل الارض وينهى انه فقير ومضرور بالظاء القائمة وقليل الحض بالضاد ونا ولما للشيخ فلما قرأها تبسم وقال يا فقير سبحان الله ضرك قائم وحظك ساقط انتهى * ومن لطائف المنقول عن قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله تعالى) أنه كان يهوى بعض أولاد الملوك وله فيه الأشعار الرائقة يقال ان أول يوم زاره بسط له الطرحة وقال ما عندى أعز من هذه طأ عليها ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه من الركوب فكتب اليه

يا سادتى انى قنعت وحقكم
فى حبكم منكم بأيسر مطلب

أن تبتلعها قال موسى يارب وأين تلك الدابة قال فى مرج من مروج قال موسى يارب وأين ذلك المرج قال فى علم من علمى لا يعلمه الا أنا وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى فكرة فقال فيم تفكرون تفكرون فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا بقال لها البيضاء تقطعها الشمس فى أربعين يوما فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يارسول الله أين ابليس منهم قال ما علموا بابليس خلق أم لا قال أمن بنى آدم قال ما علموا بآدم خلق أم لا فهذه كلها مما أعدها الله فى علم غيبه اغماء أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون وقال قتادة لو كان أحد منا مكتفيا من العلم لاكتفى نبى الله موسى عليه السلام اذ قال هل أتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وقال الحكماء أفضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ما خزنته الدفاتر وانما العلم ما خزنته الصدور وقيل العلم يؤدى الى التصدير وقيل من تواضع للعلم لله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل عمى وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يسودون العبد العلم والادب والصدق والامانة وقيل أهل العراق أطلب الناس للعلم وقال حماد بن سلمة مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها ولا براهيم بن خلف المهرانى

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فاجلها منها مقيم الالسن

وقال على بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تعنون * ولا تعدل صلاح اللسان فانه
يخبر بما عنده وبين * ويعجبنى زى الفتى وجماله * فيسقط من عينى ساعة يلحن

ودخل اعرابى السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويرجحون * وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال له لا تنظر فى العربية فقال بلغنى ان من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لان يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطأ وكان يقال مجالسة الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الاسود الدؤلى اذا أردت ان تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولم تدرى بأنك جاهل * ومن لى بأن تدرى بأنك لا تدرى

وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس قال لا تقل هذا قال فحذف على كلمة واحدة قال هذه واحدة أبو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم فيقال حسان رضى الله تعالى عنه

الناس كنوه أبا حكم * والله كناه أبا جهل

* وأما ما جاء فى الادب * فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال على كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروأة مصاحب فى المجلس أنيس فى الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الالباب الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا وقيل عقل بلا أدب كسراج بلا سلاح * (وحكى) * ان رجلا تكلم بين يدى المأمون فأحسن فقال ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث لا ينبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء

ان لم تجودوا بالوصال تعطفا
ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لاتمنعوا عينى القريحة ان ترى
يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبى مالذى
ألقاه من كداذا لم ترتكب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة
لولا لديك حملها من مذهبى
فسما بوجهك وهو بدر طالع
وبليل طرتك التى كالغيهب
وبقامتك كالقضيب ركبت من
أخطارها فى الحب أصعب مركب
لولم أكن فى رتبة ارعى لها الـ
ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سترى فى هواك ولذلى
خلع العذار ولج فيك مؤنبى
لكن خشيت بأن تقول عواذلى
قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى
فارحم فديتك حرقة قد قاربت
كشف القناع بحق ذاك النبى

(قال) الشيخ جمال الدين بن عبد القادر التبريزى الذى يهواه القاضى شمس الدين بن خلكان رحمه الله الملك المسعودى ابن الملك الظاهر وكان قد تيمه حبه وكنت أنام عنده بالعادلية فتحدثنا فى بعض الليالى الى ان ذهب الناس فقال لى ثم أنت ههنا وأنا فى عسر وقرط وقام يدور حول بركة العادلية وهو يقول فى دوانه

أنا والله هالك
آيس من سلامتى
أوارى القسامة التى

قد أقامت قيامتى

(وقيل) ان قاضى القضاة شمس الدين المشار اليه رحمه الله سأل بعض أهل دمشق الحر وسوكان المسؤل من خواص أصحابه عن ترجمته عند أهل دمشق فاستعفاه من ذلك فألح عليه فقال أما العلم

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وقال بعض الاعاجم مفتخرا

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى وما أنا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فانمى منسمى الى أدبى

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الادب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضى الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم اليه وحوضة وجوههم فقال مالكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة وقال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا فى منزلته وابن الشريف اذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا فى سقوطه وقيل أحسن الادب أن لا يفتخر المرء بأدبه ومع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم أضاعوا المجد أولهم * ما فى المكارم والتقوى لهم أدب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم * وقد زين صحيح المنصب الادب

وقيل أربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود ولا يتم البطش الا بالجراءة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق والله تعالى أعلم

﴿الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك﴾

قال الحكماء اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة والزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بأنه أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك فدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من أطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجع من جهل المرء أن يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسه فى اكرام دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدرى ما حاله ولا تعرف من أهله من كثرت هباته جاءه بالمواهب اشتد ازعاجه للمصائب لا تبت على غير وصية وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسيء بحسن أفعالك ودل الجميل بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يجد الخمول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد فى خلقه نقص فى حظه من

والفضل فهم يجمعون عليه وأما النسب فيدعون فيه ادعاء ويقولون ان مولانا يأكل الحشيش ويحب الغلمان (فقال) أما النسب والكذب فيه فهذا نوع من الهذيان ولو أردت أن أنتسب الى العباس أو الى على ابن أبى طالب أو الى أحد من الصحابة لا جاز واذلك أما النسب الى قوم لم يبق منهم بقية وأصلهم فرس وجاموس فما فيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر فانه الذى ما تحبه الغلمان فالى غير أجيبك عن المسئلة انتهى (ومما يناسب لطيفة قاضى القضاة شمس الدين ما نقلته من روض المجالس ونزهة الانيس) حكى عن سليمان بن محمد المهدى الصقلى قال كان بافريقية رجل نبيه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فبينما هو ذات ليلة وقد انفرد بنفسه ليشرب الخمر اذ ذكر محبوبه فجرى بخاطره ما يفعله به من التجنى فزاد شكره وقام من الفور وقد غلب عليه سكر الغرام وسكر المدام فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضى فاعلموه بفعله فقال له القاضى لأى شئ أحرقت باب هذا الغلام فأنشد على الفور

لما تمادى على بعادى
وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا
ولا معينا على السهاد
حملت نفسى على وقوفى
ببابه وقفة الجواد

الثمن الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال يقطع رجاءه مما في أيدي الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بمواعيد الله ايالك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروءة قيل لأفلاطون ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وان كان حقا قال مدح الانسان نفسه أربعة تؤدي الى اربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهلكه حدة الغرة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف الخصم آفة النهم قبح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم أسد الآراء والغفلة أضر الاعداء من قعد عن حيلته أقامته الشدائد ومن نام عن عدوه أيقظته المكايد من قرب السفلة واطرح ذوي الاحساب والمروآت استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر من صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهي من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد زهدهما كلام المرء يبان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شأنه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فان الصمت حرز والصدق عز من أكثر مقاله سئم ومن أكثر سؤاله حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ما عز من أذل جيرانه ولا سعد من حرم اخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال أزهدهم في السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غاظك بقبيح الشتم منه فغظه بحسن الحلم عنه من بخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا اصطنعت المعروف فاستره واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام أمن من الاعدام من طاب أصله زكا فرعه من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة من من بعروفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره من رضي من نفسه بالنساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع في همته بلغ في خسته من رقى في درجات الهمم عظم في عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه ضاق رزقه من صدق في مقاله زاد في جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف في النوال وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف في الآثام أفضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام المروءة أن تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى أصدقائه ويخجله ببغضه الى أوداته لا تسئ الى من أحسن اليك ولا تمنن على من أنعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه ونماؤه من طال تعديه كثرت أعاديه شر الناس من يبصر الظلوم ويخذل المظلوم من حفر حفيرا لاخيه كان حتفه فيه من سل سيف العدوان أغمد في رأسه من لم يرحم العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لا تحاج من يذهلك مخوفه ويملكك سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي جرح الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد أوسعه جوابا ومن أجابه عتابا من أمات شهوته أحيا مروأته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته عظمت خطيئته اياك والبغي فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس في الخير أربعة أقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقي ومن تركه استحسانا فهو ذنب من سالم سلم ومن قدم الخير غنم من لزم الرفاد عدم المراد ومن دام كسله خاب أمله الجهول مخطئ وان ملك والمتأني مصيب وان هلك من أمارات الخذلان معاداة الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق من نظر في

فطار من بعض نار قلبي
أقل في الوصف من زناد
فاحرق الباب دون علي

ولم يكن ذلك من مرادي
قال فاستظرف القاضي واقعته واستعلم شعره ورق لحكايته ماله وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام وأطلقه (ومما يناسب هذه اللطائف) قيل انه رفع الى المأمون ان حاشكا يعمل السنة كلها لا يتعطل في عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا
ما دام للورد أزهار ونوار

فاذا شربت مع ندمائه على الورد غني
أشرب على أورد من حمراء صافية

شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
ولا يزالون في صبوح وغبوق

ما بقيت ورده فاذا انقضى الورد عاد
الى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقني ربي الى الورد أصطبح
وان مت والهفي على الورد والخمر

سألت اله العرش جل جلاله
يواصل قلبي في غبوق الى الحشر

فقال المأمون لقد نظر هذا الرجل الى الورد بعين جليلة فينبغي أن نعينه على هذا المروءة فأمر أن يدفع له في كل سنة عشرة آلاف درهم في زمن الورد (ومن اللطائف ما حكى عن مجير الدين الخياط الدمشقي) قيل انه كان يهوى غلاما من أولاد الجند فشرب مجير الدين في بعض الليالي وسكر فوقع في الطريق فرأى الغلام عليه بشمعة وهو راكب فرآه في الليل مطروحا على الطريق فوقع عليه بالشمعة ونزل فأقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على وجهه ففتح عينيه فرأى محبوبه

العواقب سلم من النوائب ومن أسرع فى الجواب أخطأ فى الصواب من ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت وسائله من فعل ماشاء لقى ماساءه من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده غلب ضده القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل قليل تحمد آخرته خير من كثير تندم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتتك اذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة لا تشتك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يعمل لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من أفشى سره أفسد أمره الحازم من حفظ مافى يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب مالا يكون طال تعبه لا تفتح بابا يعييك سده ولا تلزم سهما يعجزك رده سوء التدبير يسبب التدمير اتخذ صديقك ماتاب عنك لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن العجب من عاقل يصحبه لان كل شئ يفر من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطب تحت طلب ومنية تحت امنية لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من الخضوع الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه استدرجته من لم تسر حياته لم تحمد وفاته من أعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية اذا ملك الارذل هلك الافاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفاء خير من قرب يوجب الجفاء اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده من اطلع على جاره انهتكت حجب أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه أظهر الناس نفاقا من أمر بالطاعة ولم يأتوبها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب ومن صبر على النكبة كمن لم ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لا بغرابة الدواب من زادت شهوته نقصت مروءته من عرف بشئ نسب اليه ومن اعتاد شيأ حرص عليه عند الجهال يظهر فضل الرجال من أخر الاكل لتطعامه ومن أخر النوم طاب منامه موت فى دولة وعز خير من حياة فى ذلة وعجز مقاساة الفقر هى الموت الاحمر ومسئلة الناس هى العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسركم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوى الالباب عمارة القلوب شرما صحب المرء الحسد ربما أصاب الاعمى رشده وأخطأ البصير قصده اليأس خير من التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا فى غير عجب ولا ماشيا فى غير أرب من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه أشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه ملهأهله الحسد للصديق من سقم الموده كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذى أنت فيه استر سوأة أخيك لما يعلم فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة من كرم أصله لان قلبه ومن قل لبه زاد عجبه ربما أدرك بالظن الصواب ليس لمجب رأى ولا لمتكبر صديق سل عن الرفيق. قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك لا تخلو من عداوة جاهل أو عاقل فالجهد من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك معروف بذنبه خير من بأك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن على ذى خطا خطأه فستفيد منك علما ويتخذك عدوا استحى من ذم من لو كان حاضرا لبالغت فى مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والتوانى يوجب التضييع

على رأسه فاستيقظ وأنشد

يا محرقا بالنار وجه محبه
مهلا فان مدامعى تطفيه
أحرق بها جسدى وكل جوارحى
واحذر على قلبى فانك فيه

(ومن اللطائف ماحكاه الاصمعى) قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغنى ويقول

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له أما سداد الثغر فلا علم لنا به كيف أنت فيه وأما سداد الكنف فمعلوم قال الاصمعى وكنت حديث السن فأردت العبث به فأعرض عنى مليا ثم أقبل على وأنشد

وأكرم نفسى انى ان أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت وأى كرامة حصلت لها منك وما يكون من الهوان أكثر مما هنتها به فقال بل لا والله من الهوان ماهو أكثر وأعظم مما أنا فيه فقلت له وما هو فقال الحاجة اليك والى أمثالك فقال فانصرفت وأنا أخزى الناس

(ذكرت) بقول الكناس غريم الاصمعى ما يضارع ذلك اعنى قوله

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

قيل انه كان لابى حنيفة رضى الله عنه جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جنه الليل رجع الى منزله بلحم ودهك فيطبخ اللحم ويشوى السمك فاذا دب فيه السكر أنشد

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد البيت الى أن يغلبه السكر وينام وكان الامام أبو حنيفة يصلى الليل كله ويسمع حديثه وانشاده ففقد صوته بعض الليالى فسأل عنه فقيل أخذه

والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأنى تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباغض وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السؤدد وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل * واعلم ان السياسة تكسو أهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحسن ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فاقلع المروآت كلها تتبع للعقل والرأى تتبع للتجربة والعقل أصله التثبت وثمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات لا تحمل بطنك مالا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله تعالى أعلم

(الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول)

(الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم)

(اعلم) ان الامثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وهو أفصح العرب لسانا وأكملهم بيانا فكم فى ايراد واحد اره من مثل يعجز عن مباراته فى البلاغة كل بطل وسنذكر ان شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة * فمن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حمحص الحق قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ما على الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولا ينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب فغررت منكم لما خفتكم وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون فذكرنا فما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لا يجليها لوقتها الا هو فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو فى شان فبأى حديث بعده يؤمنون ومار بك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ان هى الا فتنتك فاعتبروا يا أولى الابصار وانه لقسم لو تعلمون عظيم ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت

العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى الامام الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الامير فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط فلما دخل على الامير أجلسه مكانه وقال ما حاجة الامام فقال لى جارا سكاف أخذه العسس منذ ثلاثة أيام فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليتهم وتخليتهم أجمعين فركب الامام وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل الى داره قال له الامام أبو حنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حسبة الجوار ورعايته ولله على أن لا أشرب بعدها خمرا فتاب من يومه ولم يعد الى ما كان عليه انتهى

(ومما يناسب هذه اللطائف) ما ذكره الحريرى فى كتابه الموسوم بتوشيح البيان نقل أن أحمد بن المعدل كان يحب باخيه عبد الصمد وجدا عظيما على تباين طريقيهما لان أحمد كان صواما قواما وكان عبد الصمد سكيرا خمارا وكانا يسكنان دارا واحدة فنزل أحمد فى غرفة أعلاها وعبد الصمد فى أسفلها فدعا عبد الصمد ليلة جماعة من ندمائه وأخذ فى القصف والعزف حتى منعوا أحمد الورد ونقضوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيآت أن يخسف الله بهم الارض فرفع عبد الصمد رأسه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وذكرت) بهذا الاقتباس الذى خلب القلوب هنا بحسن موقعه اقتباسا خلب قلوب الناس لعظم موقعه وماذا الا أن الحاكم الفاطمى على ما ذكرا بنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح قيل انه

ولتعلمن نبأه بعد حين وكان بين ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون (ومن) الامثال من الحديث النبوي انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم اليد العليا خير من اليد السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغني ظلم يد الله مع الجماعة الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من الايمان تخير والنطفكم اعذا بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا حرج المجالس بالامانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه ايالك ومايعتذر منه الوحدة خير من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا دع ما يريبك الى مالا يريبك من كثر سواد قوم فهو منهم النصر أخالك ظالما أو مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر أن يكون كفرا نعم صومعة الرجل بيته الاعمال بخواتيمها

(الفصل الثاني في أمثال العرب) ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء موكل بالمنطق ان أخاك الهجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك أنف في السماء وأست في الماء ان الذليل الذي ليست له عضد أي الرجال المهذب انما هو كبرق خلب اذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم أمرهم ايالك أعني فاسمعي ياجارة ان لم يكن وفاق ففراق انك لا تجني من الشوك العنب اذا حان القضاء ضاق الفضاء ان المنايا كن خيرها الابكار اذا كنت منا طحافنا طح بذوات القرون أرى الى ركن بلا قواعد ايالك ان تشرب بلسانك عنقك أكل وحمد خير من أكل وذم آفة المروءة خلف الوعد اذا قلت له زن طأطأ رأسه وحزن اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقض له حتى يأتيك خصمه فلعله فقئت عيناه ترك الذنب أيسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه الناس اخوان وشتى في الشيم بلغ السيل الزبى أجع كلبك يتبعك حافظ على الصديق ولو في الحريق اشتدي أزمة تنفرجي اتبع السيئة الحسنة تمحها الجميل أعرف بفرسانها رمتني بطرفها وانسلت رب رميسة من غير رام الرياح مع السماح رب أكلة تمنع أكلات استراح من لا عقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع أدى الى عطب ربما كان السكوت جوابا رب ملوم لا ذنب له رب عين أنم من لسان رحم الله من هدانى الى عيوبى ركوب الخنافس ولا المشى على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه طاعة النساء ندامة أطلب تظفر طرق الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرتعه وخيم عند النطاح يغلب الكبش الاجم

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

أعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء أو يهان عند النازلة تعرف أخالك في العمر مرضياه والشمس أضوأ منه القول ما قالت حذام لقد أسمعت لو ناديت حيا أقل طعامك يحمد منه ما كل فتاة بأبيها معجبة كل كلب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام أنثى والجواب ذكر كل انا مرئ مما فيه كما زرع تحصد كل امرئ في بيته صبي كلب جوال خير من أسد رابض

لقد ذل من بالت عليه الثعالب * ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل قادم دهشة لعل لها عذرا وأنت تلوم لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لك لسان من رطب ويدان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة ورجال لا عطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضرا السحاب نباح الكلاب

فسد حاله في آخر أمره وادهى الالهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس الى الايمان به وبدل لهم نفائس وكان ذلك في فصل الصيف والذباب يقرأكم على الحاكم والخدام تدفعه ولا يندفع فقرر في ذلك الوقت بعض القراء وكان حسن الصوت يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فاضطربت الامة لعظم وقوع هذه الآية الشريفة في حكاية الحال حتى كان الله أنزلها تكذيبا للحاكم فيما ادعاه وسقط الحاكم من فوق سريره خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ في استجلاب ذلك الرجل الى أن اطمأن البه فجهزه رسولا الى بعض الجزائر وأمر باغراقه ورؤى بعد ذلك في المنام فقيل له ما وجدت فقال ما قصر معي صاحب السفينة أرمي بي على باب الجنة (ومن الاقتباسات التي وقعت للمتأخرين في أحسن المواقع المتعلقة بحكاية الحال) ما سمعت وشهدت حكاية حاله بالجامع الأموي وما ذاك الا أن قاضي القضاة علاء الدين أبي البقاء الشافعي رحمه الله تعالى كان قد عزل من وظيفة قضاء القضاة بدمشق المحروسة فعاد الى وظيفته وألبس التشريف من قلعة دمشق وحضر الى الجامع على العادة ومعه أخوه قاضي القضاة بدر الدين الشافعي بالديار المصرية فاستفتح الشيخ معين الدين الضرير المقرى وقرأ قالوا يا أبانا مالنا نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا

لاتثقن من كلب سوء جروا مقتل الرجل بين فكيه ماحل جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة الاخوان خير من فقدهم النفس مولية يحب العاجل هذه بتلك والبادى أظلم ياحبذا الامارة ولو على الحجارة يكسوا الناس واسته عارية يدك منك وان كانت شلاء

﴿الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين﴾ التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر ولاتجلس حيث يؤخذ برجلك وتجر اجرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحلاوى لايحبوه من الحيات الحب تدو رالى الرحى ترجع المؤذى ردى كلما جلوته صدى الاسواق موالد الله فى أرضه السلامة احدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لايؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد فى الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب تجتمعه الخضوع عند الحاجة رجولية النحس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصح بين الملا تقريع الحر وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر الثقيل اذا تخفف صار طاعونا أضيع من حلى على زنجية العمل للزرنيخ والاسم للنورة أنشط من ابر دخل نصفه البغل الهرم لا يفزعه صوت الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامة جواهر الاخلاق تفضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من اللئيم وذمه ذل من لاسفيه له ريق العدو سم ناقع رب ساع كقاعد زكاة البدن العلل زلق الحمار وكان من سهوة المكارى زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لاتبقى ولاتذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سواء قوله وبوله سفيرا لسوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لاتعد أيامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكساء طاعة الولاة بقاء العز طفيلى ويقترح عناية القاضى خير من شاهدى عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر فى فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء فى الغربة وطن فرمن الموت وفى الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار ولايزور قيل للزمار تهيأ للزمر قال المزمار فى كمى والريح فى فمى كل قليلا تعش كثيرا كلامه مريح فى قفص كالابرة تكسوا الناس وهى عريانة كلمة حكمة من جوف خرب كادالمريب يقول خذونى كنت سند الافصرت مطرقة كل مافاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصوا جناحه لو كان المزاح فضلا لم ينتج الاشرا لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل حديد لذة لو ضاعت صعقة ماوجدت الا فى قفاه لو كان فى اليوم خير مافات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا ولا بالله التوفيق

﴿الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم﴾

﴿حرف الالف﴾

ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل * اذا جاء موسى وألقى العصا
فقد بطل السحر والساحر * اذا لم يكن فيكن ظل ولاخبا * فأبعد كن الله من شجرات
اذا كنت فى فكرى وقلبى ومقلتى * فأى مكان من مكانك ألطف * اذا أراد كريم منع صاحبه
فليس يخفى عليه كيف ينفعه * اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضلالت وان تقصد الى الباب تهتدى
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل * اذا لم يكن عندى نوال هجرتنى
وان كان لى مال فأنت صديقى * الناس فى طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق * انما أنفسنا عارية
والعوارى حكمها أن تسترد * ان العدو وان أبدى مسالمة * اذا رأى منك يوما ثغرة وثبا
أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حر * اذا ملك لم يكن ذا هبه
فدعه فدولته ذاهبه * اذا نارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثابت الجنان

ومحفظ أخانا الى آخر الآية لحصل بالجامع الاموى ترنم صفق له النسر بجناحيه (وروى المرزبانى) باسناده أن المجنون خرج مع أصحاب له يتمارون وادى القرى فمر بجبلى نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلهما قال فاى ريح تهب من نحو أرضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام فى ناحية من الجبل ومضوا فامتار واله ولهم ثم أتوا فحبسهم حتى هبت الصبا.

ورحل معهم وفى ذلك يقول

أياجبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
أجد بردها أو تشف منى حرارة
على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا تنسمت
على نفس مهموم تجلت همومها

وضمن البيت الاول الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح اسمه نعمان

أقول وقد عانقت نعمان ليلة
بنور محياه انار أديمها
وقد أرسلت الياه نحوى نسوة
يروح كرب المستهام شميمها
أياجبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

وكان لابن الجوزى رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق انه طلقها فحصل له عند ذلك ندم وهيام أشرف منه على التلف فحضرت فى بعض الايام مجلس وعظه فحين رآها عرفها فاتفق انه جاء امرأتان وجلستا أمامه فحجبتاها عنه فأنشد فى الحال

أياجبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

(قلت) وعلى ذكر نعمان والكناية عنه فمن الطف ماذكره الشيخ بدر الدين حسن بن زفر الطبيب الاربلى

اذا كنت لا ترضى بما قد ترى * فدونك الحبل به فاختنق * ان الامور اذا ابدت لزوالها
فعلامة الادبار فيها تظهر * اذا ضاع شيء بين أم وبنتها * فاحداهما الاشك ذلك آخذه
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص * اذا ما أراد الله اهلال غفلة
سمت بجناحيها الى الجو تصعد * اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهل
اذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع * اذا صوت العصفور طار فؤاده
ولكن حديد الناب عند الثرائد * أهن عامرا تكرم عليه فأغما * أخوعامر من مسه بهوان
اذا محاسني اللاتي أتيت بها * عدت ذنوبا فقل لي كيف أعتذر * اخوان صدق ما رأوك بغبطة
فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى * اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فأيسر ما يمر به الوحول
ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائره * اذا أنت لم تعلم طبيبا كل ما
يسوءك أبعدت الدواء عن السقم * اذا أنت حملت الحزن أمانة * فانك قد أسندتها غير مسند
أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل * اذا أنت عبت المرء ثم أتيته
فأنت ومن تزري عليه سواء * أسأت اذا أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس
الحادثات اذا ألم خطوبها * فلها مسارعة ومحاسن * الخير لا يأتيك متصلا
والشر يسبق سيله مطره * العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر أبقى لها * أيادارهم ما كنت أنت بدارهم
ولا أنا مذ سار الركاب بهم أنا * أقلب طرفي لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

﴿حرف الباء الموحدة﴾

بنا فوق ما تشكو وأقصر العلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا
بالملح نصلح ما نخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير
بني عمنا ان العداوة نشأتها * ضغائن تبقى في نفوس الاقارب

﴿حرف التاء المثناة الفوقية﴾

تحن اليه أفئدة البرايا * وتهواه الخلائق للسماع
تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت سننتها للناس قبلي
تجلى الضرورات في الامور الى * سلوك مالا يليق بالادب
تفرقت الظباء على خراش * وما يدري خراش ما يصيد
تجتلي الاذن منه أحسن مما * تجتلي العين من وجوه البدور

﴿حرف الجيم﴾

جن له الدهر فنال الغنى * آه لمن أغفله الدهر
جربت أهلي وأهليه فما تركت * لي التجارب في وادا مرئ غرضا

﴿حرف الحاء المهملة﴾

حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ما حياك انسان

﴿حرف الحاء المعجمة﴾

خفض الجناح واصبر رويدا * فالرزايا لدى توالت تولت
خليلي ان الجلب صعب مراسه * وان عزيز القوم فيه يهان
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثوالك في قلبي فأين تغيب
خن من أمنت ولا تركن الى أحد * فما نجعتك الا بعد تجربي

﴿حرف الدال المهملة﴾

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنما من عود
دعيني أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

﴿حرف الذال المعجمة﴾

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاء منعم

﴿حرف الراء﴾

في كتابه روضة المجالس ونزهة الانيس وهو أن بعض الرؤساء قال أخبرني بعض الاصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لي بالموصل اذ جاءه كتاب من بغداد من صديق له وفيه تشوق وفيه عتاب بهذا البيت

تناسيتم العهد القديم كأننا

على جبلي نعمان لن نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتز فقلت بالله عليك أسألك شيأ لا تخفه. قال سل قلت هذه معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال أي والله ومن أين علمت ذلك فقلت من البيت لانها ذكرتك فيه بجبلي نعمان وهما كناية عند الظرفاء من أهل الأدب عن جانبي الكفل المليح والمليحة فقال والله ما أدركت ما أدركت (ونعلت من اللطائف المسبوكة في قالب التورية) ان بعض الكتاب دخل يسلم على بعض فضلاء النحاة وكان من أصحابه فوجده قائما يلوط بأحد الغلمان الملاح من طلبته في قراءة النحو ولم ير الغلام فجلس النحوي في مكانه وبقي الغلام واقفا بهوتا فقال الكاتب للنحوي مالي أرى هذا الغلام واقفا فقال النحوي وقع عليه الفعل فانتصب (ومثل ذلك قصة ابن عنين مع الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل) لما كتب اليه في مرضه

انظر الى بعين مولى لم يزل

يولي الندى وتلاف قبل تلافي

أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه

فاغنم دعائي والثناء الوافي

لحضر اليه المعظم بنفسه ومعه ثلثمائة دينار وقال له أنت الذي وأنا العائد وهذه الصلة (وظرف من قال)

رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب ردواعلى محائفا سودتها * فيكم بلاحق ولا استحقاق رضيت ولا أرضى اذا كان مسخطى * من الامر مافيه رضا صاحب الامر

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

﴿حرف الزاى﴾ زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

﴿حرف السين المهملة﴾ سرورى أن تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع
سوء حظى أنالى منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب
سبمكاء ونحسبه لجينا * فابدى الكير عن خبث الحديد
ستذكرنى اذا جربت غيرى * وتعلم انى نعم الصديق

﴿حرف الشين المعجمة﴾ شفيعى اليك الله لا رب غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل
شكرتك قبل الخبر ان كنت واثقا * بأنى بعد الخبر لا شك شاكر

﴿حرف الصاد المهملة﴾ صحيح لنا والده أولا * وأنت فى حل من الوالد

﴿حرف الضاد المعجمة﴾ ضاقت ولم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور

﴿حرف الطاء المهملة﴾ طويل عمر المعالى والندى أبدا * قصير عمر الاعادى والمواعيد
طوبى لاعين قوم أنت بينهم * القوم فى نزهة من وجهك الحسن

﴿حرف الظاء المشالة﴾ ظهرت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ظلمت أمرا كلفته فصبر خلقه * وهل كانت الاخلاق الا غرائزا

﴿حرف العين المهملة﴾ علم الله كيف أنت وأعطاك * المحل الجليل من سلطانه
على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر
عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
عتبت على عمرو فلما تركته * وجربت أقواما بكيت على عمرو

﴿حرف الغين المعجمة﴾ غنى بلا دين عن الخلق كلهم * وان الغنى الا عن الشىء لابه
غلام اتاه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر أم ولا أب

﴿حرف الفاء﴾ فلم أر كالايام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فنفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
فصبر جميل ان فى اليأس راحة * اذا الغيث لم يطمع بلا دك ماطره
فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل
فان كانت الاجسام منا بعادت * فان المدى بين القلوب قريب
فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

﴿حرف القاف﴾ قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
قد نال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع
قد يدرك المتأنى نجح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

(حرف الكاف) كلوا اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على الخلاق رزقكم غدا
كفى زاجرا للمرء أيام دهره * ترى حوله بالواعظات وتعتدى
كنت من كربتى أفر اليهم * فهم كربتى فاين الفرار
كانوا من بنى أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام

وذى أدب بارع لكنه
وأولجت فيه قداعتف
فقلت فديتك أعصر عليه
ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت
لقولك أعصر بفتح الالف
فقلت لك الويل من أحمق
فقال وأحمق لا ينصرف
(وأظرف منه قول الحسين بن الربان)
أتيت حانة خمار وصاحبها
عما جن متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة
وكل علق رشيق هيف حسن
فقال لى اذ رأى عينى قد انصرفت
الى النساء كلام الحاذق الفطن
أنت وركب وصف واعدل بمعرفة
واجمع وزدو استرح من نجمة وزن
(ومثله ما حكى) أن بعض الفقراء
وقف على باب نحوى فقرعه فقال
النحوى من بالباب فقال سائل
فقال ينصرف فقال اسمى أحمد
فقال النحوى لغلامه اعط سيبويه
كسرة ﴿ومثله قول عنين﴾
شكا ابن المؤيد من عزله
ودم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان
فتظلم أيامه المنصفه
ولا تجبن اذا ما صرفت
فلا عدل فيك ولا معرفه
﴿والطف منه قول القائل﴾
و رقيع أراد أن يعرف النحو
ويرى العيار المستقى
قال لى لست تعرف النحو مثلى
قلت سلنى عنه أجب فى الوقت
قال ما المبتدا وما الخبر الجيد
سرور أو جزفقلت ذقنك فى استى
(وأحسن منه وأبدع قول الشيخ
زين الدين بن الوردى)
وشادن يسألنى * ما المبتدا والخبر
منلهما لى مسرعا * فقلت أنت القمر

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء
كأنك من كل النفوس مركب * فأنت الى كل الأنام حبيب
كالكلب ان جاع يمتعك بصيصة * وان يمل شبعا يبع من الاشر

﴿حرف اللام﴾

لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا
لعمرى ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق
للموت فينا سهام وهى صائبة * من فاته اليوم سهم لو يفته غدا
لو أن خفة عقله فى رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب
لو كان مابى فى صخر لاثر فيه * فكيف يحمله خلق من الطين
لعمرك ما الايام الا معارة * فما استطعت من معروفها فتزود
لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم فى النائبات أقاربه

﴿حرف الميم﴾

من يحسد الناس يحسدوه * والناس من عابهم يعاب
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضع
من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات أقاربه
ما كان فى المخدع من أمركم * فانه فى المسجد الجامع
ما قام عمرو فى الولاية قائما * حتى قعد

﴿حرف النون﴾

نسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل
نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف ما لابد من شربه
ندمت ندامة الكسعى لما * رأت عينا ما صنعت يداه

(حرف الهاء)

هنا كم الله بالدنيا ومتعكم * بما نحن لكم منها ورضاه
هل بالحوادث والايام من عجب * أم هل الى رد ما قد فات من طلب
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك الى الزوال
هنيئا لمن لاذ للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا
هم يحسدونى على موتى فواحزنى * حتى على الموت لا أخلو من الحسد

﴿حرف الواو﴾

ولم أر كالمعروف أما مذاقه * حلو وأما وجهه فجميل
واذا خشيت من الامور مقدرا * وهربت منه فنحوه تتوجه
والرزق يحظى باب عاقل قومه * ويبيت بوابا ببابه الاحمق
ولا يعدك طول الحلم منى * فما أبدا تصادفنى حليما
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل
وما المرء خير فى حياة * اذا ما عد من سقط المتاع
وما المرء الا كالهلال وضوؤه * يوافى تمام الشهر ثم يغيب
وقد تسلب الايام حالات أهلها * وتعدو على أسد الرجال الثعالب
ومن يأمن الدهر الخؤون فانني * برأى الذى لا يأمن الدهر اقتدى
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال
ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب

﴿ومن النكت المسوكة فى قالب التورية أيضا﴾ ما قيل ان شهاب الدين القوصى حضر عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين الحكيم فقال الملك الاشرف لشهاب الدين ما تقول فى سعد الدين الحكيم فقال يا مولانا السلطان اذا كان بين يديك فهو سعد الدين وعلى السماط سعد بلع وفى الحمام عن الضيوف سعد الاخيمة وعند مرض المسلمين سعد الذابح قال فضحك الملك الاشرف واستحسن اتفاقه البديعى (وأبدع منه فى هذا الباب) ما نقل من الشيخ نظام الدين قيس قيل انه لقى الصاحب عز الدين عبد العزيز بن منصور فسأله الصاحب عن حاله فقال

حال متى علم ابن منصورها
جاء الزمان الى منها ثائبا

(قلت) ان نظام الدين أحق من أبى الطيب بهذا البيت (ومن النكت بالتورية أيضا) قيل ان بعض الماجنات أراد السفر فلقيها بعض المجان فقال لها خذى معك هذا الكتاب وأشار الى ذكره فقالت له على الفور ان لم ألق أمك أعطه أختك (ومثل ذلك) ان الشيخ بدر الدين بن الصاحب لقى شخصا ومعه مليحان فقال ما اسمك فقال عبد الواحد فقال اخرج منهما فانا عبد الاثنين (ومثله) ان ابن نقيلة المغنى مرض وأشرف على الموت فجاءه ابن الصاحب يعوده فقال له كيف حالك النقيلة فقال ما أخوفنى أن تصير مدفونة (ومثله) ان بعض المجان رأى امرأة حاملة مسرموجة فقال لها متى زوجك حملك ترى كاشه فقالت له رح لأمك منه بغردة (ومثله) ان بعضهم رأى امرأة حاملة قردة

ومن يكن مثلي ذا عيال ومقترا * من الزاد يطرح نفسه أي مطرح
ولربما منع الكريم وماله * بخل ولكن سوء حظ الطالب
ولأبات يسقيني الماء وحده * وهذا جزا من بات ضيف الضفادع
ومن عاش في الدنيا فلابد أن يرى * من العيش ما يصفو وما يتكدر
ولو دامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن ما لهن دوام
وأحسن فان المرء لابد ميت * وانك مجزي بما كنت ساعيا
ولا ترين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا
ومالامرئ طول الخلود وانما * يخلده طول الثناء فيخلد
ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
وكان رجائي أن أعود متمما * فصار رجائي أن أعود مسلما
وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع
ولابد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع
وهون وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي مات صاحبه
ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

﴿حرف اللام ألف﴾

لا تنظرن الى الجهالة والحجى * وانظر الى الاقبال والادبار * لا تسأل المرء عن خلائقه
في وجهه شاهد من الخبر * لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم * لا يبالي الشتم عرض
كله شتم وذم * لا تنظرن الى امرئ ما أصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم
لا يسكن المرء في أرض يهان بها * الا من العجز أو من قلة الحيل * لا يقبلون الشكر ما لم ينعموا
نعما يكون لها الثناء تبيعا * لا أسأل الناس عما في ضمائرهم * ما في ضميري لهم من ذا يكفيني

﴿حرف الياء المثناة التحتية﴾

يفر من المنية كل حي * ولا ينجي من القدر الحذار * يريك الرضا والغل حشو جفونه
وقد تنطق العينان والفم ساكت * يهم للشعر اذا رآه * ويعيش ان رأى وجه اللجام
يفارقني من لا أطيق فراقه * ويصحبني في الناس من لا أريده * يزيد تفضلا وأزيد شكرا
وذلك دأبه أبدا ودأبي * يوامي الغراب الذئب في كل صيده * وما سارت الغربان في سعف النخل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول * يغر الفتى مر الليالي سليمة
وهن به عما قليل غوائر * يغيظني وهو على رسله * والمرء في غيظ سواه حليم
يريك البشاشة عند اللقا * ويبريك في السر بري القلم

﴿الفصل الخامس في الامثال السائرة بين الناس مرتبة على حروف المعجم﴾

﴿حرف الالف﴾

ان كنت ما تعمل جميل افعل كما يعمل معك * اذا أبغضك جارك حول باب دارك * اذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله * المستعجل والبطي عند المعدية يلتقي * ألف ذقن ولا سلام عليكم * ألف ذقن ولا ذقني * اذا غاب عنك أصله كانت دلائل نسبته فعله * اذا وصلت وسلم الله بيع ما قسم الله * اذا كنت أعمى وأطروش شم رائحة النقوش اذا كان النبيذ دردي والعشيق كردي والبقل فول حار والعشاء بيسار ايش يكون الحال * اذا كان القطن أحمر والمغسل أعور والدكة مخلعة والنعش مكسر اعلم ان الميت من أهل سقر والوادي الاحمر * ايش ينفع الضراط عند طلوع الروح قال تقريف

سقمان التخبيط فقال لها اعتقي هذا الغراب فقالت له رح لا سبيه ينقرك (ومثله) ان الشيخ بدر الدين المذكور أولا حضر الى مجلس قاضي القضاة ناصر الدين المالكي فذكروا محاسن القاضي محب الدين ناظر الجيش من وحسن اخلاقه ثم ذكروا محاسن الشعر فانشده قاضي القضاة

فكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علت برسول الله عدنان

فكل من الجماعة أثنى على هذا البيت فقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب والقاضي محب الدين يحب هذا البيت فطربوا له (ومما وقع له بذلك المجلس) انه لما قدم المشروب على العادة كان قد تولى الساقي غلوك له اسمه بكتمر فلما شرب الشيخ بدر الدين قال له قاضي القضاة ما تقول يا شيخ قال رأيت ملك العلماء بكتمر الساقي (ومثله) أن الصاحب بن سكر أراد قارئا يقرأ بالمدرسة التي أنشاها بالقاهرة فاختاروا له رجلين أحدهما اسمه زيادة والآخر مرتضى فوقع في ظهر القصة مرتضى زيادة وزيادة مرتضى (ومثله) ان أبا الحسن الجزار جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فأذن للناس في الدخول ولم يأذن له فكتب في ورقة

الناس كلهم كالارقد دخلوا * والعبد مثل الحصى ملقى على الباب

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وقل يا خصي ادخل فدخل أبو الحسين وهو يقول هذا دليل على السعة (ومن التنكيت والحشمة بالتورية) ان الشيخ صلاح الدين الصفدي قال أخبرني الشيخ فتح الدين بن سيد الناس

للحاضرين وتفريق للملائكة * الفشر والنشر والعشا خميرة * أكل الدقة والنوم في الازقة ولا دجاجة محمرة يعقبها مشقة * ايش أنت في الحارة يا مخجل بلاطاره * الرجم بالطوب ولا الهروب * اذا وقعت يا فصيح لا تصيح * أقرع يقول لاقرع امش بنا نزرع في بركة القرعان ايش ما يطلع يطلع النصف لي والربع لي والثمن لي والثمن الآخر لك ولي * العدو ما يبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب * اقعد يا حمار حتى ينبت لك الشعير * أي موضع راح الحزين يلقى جنازة قال الشاعر

ان دام هذا السير يا مسعود * لاجمل يبقى ولا قعود

(غيره) اذا لم تكن لي والزمان شرم رم * فلا خير فيك والزمان تراللى

(غيره) اذا أقبلت كادت تقاد بشعرة * وان أدبرت كادت تقد السلاسلا

﴿حرف الباء الموحدة﴾

بينما يترقى البخيل قضى الكريم حاجته * بينما يسعد المعترف غمره * بينما أصل قبره نسيت همه * بينما يعدل المعترك جاء الموت شأنه * بينما يخلص ربنا حتى انفرقعت جوزة حلق * بينما يقطع الجريد يفعل الله ما يريد * بينما يجي الدرياق من العراق يكون المسلوع مات * بين حانه وبانه حلقت لحانه * بدوى مقروح اتى الشر مطروح أين يخلي ويروح * بدال لحمتك وقلقاسك هات لك شد على راسك * بدال اللحمة والباذنجان هات لك قيص ياعريان * بدال لحمتك التلاته هات لك شد ياشماته بقي للكلب سرج وغاشيه وغلمان وحاشيه * بقى للخرا مر او يحلف بالطلاق * بعدا لجوع والقلة بقى لك حمار وبغله

تموت الحدادي وعينها في الصيد * تعالوا بنا نفتح ونوجع غدا نصطلح * تدحرج الحر العند البعر قال له ايش أنت قال له برم قردش * ترك الفضول من حزم العقول * تراب العمل ولا زعفران البطالة تسكر وتخانق ما هو شئ موافق * تجارة الاحمق على أهل بيته * تضارب الريح مع الموج جاالهم على النواتيه تزاور واقلا تجاوروا * تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

﴿حرف التاء المثلثة﴾

ثوب العبرة ما يدفى * ثقيل واسمه صخر بن جبل * ثور علوه وأنمى عليه قال حتى يطلع شئ يرشوه عليه ثور عاجز ما يدوس اقيه * ثقيل من أولاد الزنا مر العنا * ثوب عليه وثوب على الوتد قال أنا اليوم أحسن من كل من في البلد

﴿حرف الجيم﴾

جور القط ولا عدل الفار * جمل موضع جمل يبرك * جمل المقل دموعه * جمل بحمه قال وأين المحبة * جيت أصطاد صادوني * جارله حق وجار ماله حق وجار لا صحبته عافية * جارك مرآتك ان لم ينظر وجهك نظر فقال * جاء كتاب من عند خاله قال كل من هو في حلله * جاء كتاب من عند عمه قال كل من هو ملهى بهمه * جاؤا ينعلوا أخيل الباشا مدت أم قويل رجلها * جوز هاله ما لحما لاله * جوز وامشكاح لزمة ما على الاثنين قيمه

﴿حرف الحاء المهملة﴾

حاجة لا تهمك وصى عليها هاز وج أملك * حول حبيبي ما عونه وقدرته مع كانونه * حمار حنكوه بالتوت على باب الغيط يموت * حلينا القلوع وأوسينا وأصبحنا على ما أمسينا * حب وداري واكره وداري حدتني ونصحتني عايرتني وفرحتني * حط فليساتك في كمك واشتري أبولك وأملك * حبة قرص تخرب أرض

﴿حرف الخاء المعجمة﴾

خذيني وارعي فيه أنا حصاد ملوخيه وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل مالي نية خدمت لي وصلحت لك خذ ذا الصبي فوق صبيانك تمام لا حزانك * خزينه في جره وملحه في صره * خبزه بلا ادام ويعزم على الجيران

﴿حرف الدال المهملة﴾

دار الظالم خراب ولو بعد حين * درهم لك ودرهم عليك لا لك ولا عليك * دواء ما لا تشتهي النفوس تجهيل

﴿ف ل﴾

بالقاهرة قال قلت للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ان بهاء الدين بن النحاس يرجح أبا تمام على المتنبي فما رأيك أنت فسكت فقلت ثانيا فقال كنت كذا في الاول قال الشيخ صلاح الدين ولما حكيت للشيخ جمال الدين بن نباته قال أنا على رأي ابن دقيق العيد قال الشيخ صلاح الدين وممن رأيته يعظم أبا تمام شيخنا أثير الدين وبرجحه على المتنبي فعذلناه في ذلك فقال أنا ما أسمع عذلا في حبيب اه (ونقلت من خط الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله قال سافرت سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين بن قزوينة الى دمشق المحروسة وقد ولى نظر مملكتها ووالدي رحمه الله افتاءها وكان له دواة ريسمي صيحا وهو من عتقاء جده الوزير أمين الدين ابن الغنام وكان لطيفا كثير النوادر فاتفق ان جمال الدين بن الرهاوي موقع دست الوزارة ركب يوما فتقنطر به الفرس وداس على رأس احليلي فحمل الى داره وأقام أياما الى أن عوفي وحضر مجلس الوزارة وهو خاص بالناس فقال الصاحب ما سبب تأخرك فقال تقنطر بي الفرس وداس رأس احليلي فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبح الحمد لله على سلامة الخصي فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوي وانصرف (وحكى) ان بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما فوجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد الخس فعل بالخويدم الصغير فقال بل مولانا

الغراق

﴿حرف الذال المعجمة﴾

ذا دب ما يسدر يح ذى ماهى رمانه * الا قلوب ملانه * ذا لى وذا أيدى عليه * ذى مائده ما يقعد عليها طفيلى * هذا الخبز ماهو من ذا العجين * الولد خزامن ظرفه * كل من شمال رجليه وحك أنفه * ذكروا مصر القاهرة قامت باب اللوق بحشايشها * ذكروا المدن جاءت القرى تحمل

﴿حرف الراء المهملة﴾

راح ذاك الزمان بناسه * وجاهذا الزمان بفاسه * وكل من تكلم بالحق كسروا رأسه * رأوا حجارا راكب حيط قالوا الى أين ياحجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لا يشرق ولا يغرب * رأوا سكران يقرأ قالوا غن تشاكر وحلك * رأوا شيخا يتمشى على الصراط * رأوا وردانه على سندس قالوا ما الذى الفسقية الاذى البلطية * رأوا على قبر مكتوب ياسعادة تساكنه * قالوا أبصر من يراحمه راكب بلاش ويناغش مرأة الريس * ركبتك ورأى حطيت يدك فى الخرج * راح الجندى وخلى خلقه عندى * رزق الكلاب على المجانين * راسين فى عمامه مايكون * راحت على جمل وجات على قطه قال ما الذى الشمله الاذى الحطه قال الشاعر

راح الذى كانعيش بفضله بين الورى * وبقى الذين حياتهم * ووجودهم مثل العدم

﴿حرف الزاى المعجمة﴾

زقزوق على بركه يضحك وهو يضحكه * زاوية بلاعيش بنيت ليش * زوج القصير يحسبها صغيره زوجت بنتى اقعد فى دارها جاءتنى وأربعة وراها قال الشاعر

زوجت بنتى تستر * ويتملى بيتى قماش * جاغزلها فى أكلها * ونيكها طلع بلاش

زنبور زن على حجر من قال له ايش تريد قال أحلسك قال أنا أحلس البلاد * زنبور زن على فلس بحمش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدته معدن يادندن

﴿حرف السين المهملة﴾

سل المجرب ولا تسل الطبيب * سمولك مسحر قال فرغ رمضان * سمولك حبل قال وطولت * سمولك راجع قال ان شاء الله تجى الحق * سمع وزر ولا استتر (قال الشاعر)

سيغنى الله عن بقراط دن * ويأتى الله باللبن الحليب

(وقال آخر) سيغنى الله عن زيد وعمرو * ويأتى الله بالفرج القريب

﴿حرف الشين المعجمة﴾

شره وضيع ويغضب سريع * شئ مانابه وتقطعت ثيابه * شعر يحلق وشعر ما يحلق * شرب السموم القاتلة ولا الحاجة الى السفل * شمنى ولا تدعكنى * شئ ما يجى على القلب عنايته صعبه * شراء العبد ولا تربيته * شخت بغله عامت زبله * ركبت خنفسه زمر زنبور قال ماذا الجوق الجليلى الا قطعات النيل

﴿حرف الصاد المهملة﴾

صام سنه وفطر على بصله * صبرى على الحبيب ولا فقده * صاحب يضر عدو مبين * صباح الفوال ولا صباح العطار * صباحك ياأعور قال ذى خنافه بايته * صباح الخير ياجارى أنت فى دارك وأنا فى دارى

﴿حرف الضاد المعجمة﴾

ضرب الحبيب كاكل الزبيب * ضربتين فى الرأس تعمى * ضرب وبكى وسبق يشتكى * ضربة على كيس غيرى كأنها فى عدل حنا * ضمنوا حداية لغراب قال الكل يطيروا * ضربوا بياع الكسبره خرى بياع الثوم * قال ذى داهية جاءت على الخضريه

﴿حرف الطاء المهملة﴾

طارت الطيور بأرزاقها * طفيلى ويجلس فى الصدر * طفيلى ويقترح * طويل الكم خطار * قليل الفرح

السيد الكبير فجعل منه وأبرزها فى قالب المجون (وأنشد ابن الجوزى فى بعض مجالس وعظه)

أصبحت ألطف من مر النسيم على * زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمنى

من كل معنى لطيف أجتلى قدحا * وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام اليه انسان فقال ياسيدى الشيخ فان كان الناطق حمارا فقال أقول له ياحمار اسكت (ويحبينى قول برهان الدين الغيراطى)

صاح هزى قباب طيبة لاحت * وفؤادى على الفراق حريص

وتبدت نخيلها للطايا * فعيون المطى للنخل خوص

(ويطربنى ماحكاه أبو الفوارس ابن اسرائيل الدمشقى) قال كنت يوما عند السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فحضر رسول صاحب المدينة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ومعه قرود وهدايا فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الاحمر وقال الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول هذه المروحة مارأى مولانا السلطان ولا أحد من بنى أيوب مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول يامولانا السلطان لا تعجل قبل تأملها وكان السلطان صلاح الدين ملكا حليما فتأملها فاذا عليها مكتوب

أنا من نخلة تجاور قبرا * سادمن فيه سائر الناس طرا

شملتنى عناية القبر حتى * صرت فى راحة ابن أيوب أقرا

واذا هى من خوص النخل الذى فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقبلها السلطان صلاح الدين ووضعها على رأسه وقال لرسول

في الدار * طبق وجاريه على صحن بساريه * طباوا جاكم عثمان يدمن وراويد من قدام * طعامك ماجانى ودخانك أمحانى * طار طيرك وأخذ غيرك * طول ما أعيش بكفيني رعى الحشيش * طول الغيبه وجانا بالحبيبه

﴿حرف الظاء المعجمة﴾

ظهرك عندى نصف الليل

﴿حرف الغين المهملة﴾

عنقوده مدلى فى الهوا * من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى * عشق بداله لا اباله * عاشق ما يسمع بكا صغير عاشق ما يسمع كلام مفارق * عاشق مقل شى مازرع ايش جايشتغل * عزومه حسبت عليك كل وبحلق عينيك * عند المخاصة يبان القليط * عند الطعان يبان الفارس من الجبان * عريان التينه وفى حزامه سكينه * عريان وفى كمه ميزان

﴿حرف الغين المعجمة﴾

غابت السباع ولعبت الضباع * غربه وكربه ما يحمل الحال * غطاس وقلقاس تحسين فى قدره * غالى السوق ولا رخيص البيت

﴿حرف الفاء﴾

فرحه بلا كسر تعمى البصر * فقير ونفير وكلامه كثير ويقولها تواعشا من يخنى * فوق الشراطه ملح أود انه * فارس خراويسوق فى الوحل * فارس خراواسمه عنتر * فارس خراويسابق الخيل * فردضربه فى الرأس تكفى * فصدواقردضرط قالوابه دم زايد * فرغت الرعانه ياجانم

﴿حرف القاف﴾

قالوا للاعمى زوق عصاتك قال هو أنا محب فيها * قالوا للجمار اجتر قال مضغ الحمال ماينطلى * قالوا للقرد شب قال أيادى ملاح وتمسك الماصول * قالوا للقرد اطلب من تربك قال أنا هو عنده بوجه بسيط * قالوا للجمل زمر قال لا شقف ملومة ولا أيادى مفرودة * قالوا للديه طرزى قالت ذى خفة أيادى * قالوا للكلاب احرثوا قالوا ماجرت بهذا عادة * قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعى * قالوا البقر الديوان اذا متم يكفنوكم فى حرير قالوا استهيناتر وح بجلودنا * قالوا للغزالة ارحل حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا حملوا المناسف

﴿حرف الكاف﴾

كل من عودته بأكلك كلما نظرك جاع * كشكار دايم ولا علامة مقطوعة * كل كره واشرب كره * ولا تعاشر كره * كل هم كاوى عندهمى ياوى * كل شى لا يشبه قانيه حرام * كل مائة عصفور ما يجوا حدايه * كل ألف مصه ما يجوا بغصه * كل ألف بوسه ما يجوا بعبوسه * كلت باليمان بالشعره والصنان كل حبيبى كل المعانى أعسرج وقليط ومعيبانى * كل حبيبى وأكل أعسرج وقليط وأحول وفيه عادة أخرى لمن يواصل يخرا * كانه خان للفجر لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر * كانه من طواحين الكشكار دايرعلى رجل الفار * كانه عصفور ينيك بلاش ويأوى فى الاعشاش

﴿حرف اللام﴾

لولاك يا كمى ما أكلج يا فى * لولاك يا السانى ما انسكيت ياقفاى * لولا الغيرة والحسد كانت عجوزة كفت بلد * لولا أختك ما صرت ابن عمتك * لو قلبنا ها بلية ما جاب هكذا * لو كان فيها خير مارماها طير * لك وعليك ما يصعب عليك * لك اسوة بغيرك * لقمة بلقه ولا خروف برقه * لقمة تحت حيطه ولا خروف بعيطه * لو سلم الكرم من حاريثه طابت مغارسه * لو تقطع يده وتدليها من فيه صنعة ما يخليها لو عمل لى من الذهب وليمه هو عندى بتلك العين القديمه * لو شال رأسه الى السما كان عصيدة بما لو نظر الجمل لصنعه كان كدمه * لولا الكشط والبرايق ما كانت أولاد الحرا كتاب

﴿حرف الميم﴾

محبة بلا عبه ما تساوى حبه * ماشلتك يادمعتى الا لشدتى * من عاشر غير جنسه دق الهم صدره من قدم النحس تعب فى تأخيره * من عاشر الحداد احترق بناره * من عاشر الزبدانى فاحت عليه رائحته من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا استه وهزه * من لا يحط يده لزنده ما يعرف حره من برده

صاحب المدينة النبوية صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة (وأحسن ما سمع فيها) قول عرقلة الدمشقى

ومحبوبة فى القيظ لم تخل من يد
وفى القر تسلوها اكف الحبائب
اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا
أتت بالهوى الممدود من كل جانب

(وقال غيره واجاد)

ومروحة أهدت الى النفس روحها
لذى القيظ مبثوثا بها مر يحها
روينا عن الريح الشمال حديثها
على ضعفه مستخرجا من صحيحها

(نقل الحافظ البعمرى) ان أبا نصر المنازى واسمه أحمد بن يوسف دخل على أبى العلاء المعرى فى جماعة من أهل الادب فأنشد كل واحد منهم من شعره ما تيسر فأنشده أبو نصر

وفاما الفيء الرمضاء واد
سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحة فحنا علينا
حنو الوالدات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا
ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا
فيحجبها ويأذن للنسيم
ترو ع حصاه حالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم

فقال أبو العلاء أنت أشعر من بالشأم ثم رحل أبو العلاء الى بغداد فدخل المنازى عليه فى جماعة من أهل الادب ببغداد وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا فأنشد كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنازى فأنشد

لقد عرض الحمام لنا بسجع
اذا أصغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخلى فقيل غنى
وبرح بالشجى فقيل ناحا

مارأيتك يانور حتى ابيضت العيون * مالى على فراقكم جلد الاهجاجى من البلد * ماكفانا هم أبونا قام أبونا جاب أبوه قال خذوا جدكم ربوه * من عدم نابه ونصابه وثيابه وشبابه كان الموت أولى به * من يكلم القبيح يروح عرضه وينفضح * ماتنقدوهم كلهم زغلية مافيهم من يجب النقاد

﴿حرف النون﴾

نواية تسند الجرة قال وتسند الزير الكبير * نفسك أتلفت أى شئ أخلفت * نصف البلا ولا البلا كله ناقص ونحاس * ناموسة باتت على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لها وأنت كنت على أى ورقة نبتك مطيتك * نسيت يافلاح ما كنت فيه كعبك المشقق والوحل فيه * نيلك حتى تبقى ديلك

﴿حرف الهاء﴾

هانت الزلابيه حتى أكلها بنو وائل * هان المسك وانتشر * هدية تعرقوبها تخليتها ولالومها * هدية الاحباب على ورق السداب قال هو أعمى عن ورق الموز هو عرس تاكل وتسل * أهدوا هدية وأعينهم فيها يقولوا الله يردها * هانوا اذا الغزل الجميل لذا القلب المدبل

﴿حرف الواو﴾

واحد تنتفه وآخر لقفه وقال آخر ياقريب الفرج * واحد يخطبوا له وهو قائم عليه قال أنا فى حاجتك واحد جارز زاى قرد يجرش ترمس قال مالذى الفاكهة البدرية الاذى الصورة القمرية * واحد سموه عنبر وصنعته مر باقى قال الذى كسبه فى الاسم خسره فى الصنعة * وحش ويكش ويقعد فى الوش ويعنى بليناكم * وقت أكل الدجاج مايفتكر فى وقت شيل التراب هات يدك * وايش قام على تومه يفصل الحكومه * وقت الشواو التجنى ماقلت يا أختى الحقنى * ووقت ضرب الدرة قلت اصفعوا واصفعنى

﴿حرف اللام ألف﴾

لاتعبرنى * لاأعدمك الدهر حيرنى وحيرك * لاأصل شريف ولا وجه ظريف * لاأخولك ولا ابن عمك تشق ثوبك على ايش * لاعاش بليق لاحراس ولا دراس * لاعاش العار ولا بنى له دار * لاربح ثوابه ولا خلا لاصحابه * لافى الفراق نجد راحه ولافى الوصل * لاتشكرن فتى حتى تجربه * لاتفرح لمن يروح حتى تنظر من يجى * لايضر السحاب نبح الكلاب * لايغرك تظريق الاصل فى ريقى

﴿حرف الياء﴾

ياشب مليح ماأحسن وصفك لافى يدك ولافى طرفك * ياويل من ذاق الغنى بعد جوعه يموت وفى قلبه من الهم واجس * ياطارق الباب بعد العشى لاتطرق الباب ماتم شئ * يامن ملناما كان حلنا السامالنا فى العشر سنة * يهنيكم قدومه قد جاكم بشومه * ياليتنا انكسر نا ولا بك انتصرنا * ياويل من كان عشيمه من بيت خيه * ياطالب الشر بلا أصل تعمال للصائم بعد العصر

﴿أمثال النساء حرف الالف﴾

أحبك ياسوارى مثل معصمى * الذى فى قلب أم حنين تحليه فى الليل * ان كنتى حره لاتضيعى نقابك بره ان لم تعملى وتفتخرى والا اقعدى وانعنرى * ان كانت الدابة أحن من الوالدة قال ذى داهية عيار * الكلام لك ياجاره الا أنت حماره * ايش نعمل الماشطه فى الوجه المشوم * ايش قام على الحزينه بالنقش والزينه * ايش ينفع النفخ فى الوجه الاصم * أرمله عدس ومتزوجه عدس اقعدى بعدسكى * اسم الزوج ولاطعم الزمل * العاقله فينا ترتنى بيقطينا * اذا كان زوجى راضى ايش فضول القاضى * استعارت الرعنه شئ حسبته لها أخذت المقص ودارته لها * اقعدى فى عشك حتى يجى حد ينشك

﴿حرف الباء الموحدة﴾

بعدان كنتى لى وحدى بقيت أسمع أخبارك * بعد سنه وشهرين جابت بنت بشغرين * بعدان كان زوجها بقى طباخ فى عرسها * بعد مشيك فى الحلفه بقى لك سلام وغرفه واسمك ستيته * بعد أمى وأختى الكل

وكم للشوق فى أحشاء صب
اذا اندملت أجد لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى
وسكران الفؤاد وان تصاحى
بذاك بنوا الهوى سكرى صحاة
كاحداق المهامر رضى صحاحا

فقال أبو العلاء ومن بالعراق عطفا على قوله من بالشأم انتهى (نادرة) مشى البيدق اليزيدى مع شاب موسوم بالجمال فقال له شمس الدين بن المنجم الشاعر أرالك يابيدق تغرز نت حول هذه النفس فقال واذا كان فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس ويقطع عليك الرقعة ولو كان فى كفك الفيل (ومثله فى الظرف) ان بعض الاجناد كان كثير اللعب بالشطرنج وكان الجندى خليعا ظريفا فأعطاه الامير فى بعض الايام فرسا فقال له لاتفرط فيها فقال نعم وبعد ذلك التقاه الامير وهو لابس جوخة فقال ويلك أين الفرس فقال ياخوند ضربنى الشتاء شامات فتسترت بالفرس (ويحيينى قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب)

تأمل تر الشطرنج كالدهر دوله
نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما
محركها باق وتفنى جميعها
وبعد الفنا تحيا وتبعث أعظما

(قلت) ويشبه هذا قول الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صلاح الدين من القصر يعانى الخيال أعنى خيال الظل ليفرجه عليه فقام الفاضل عند الشروع فى عمله فقال له الناصر ان كان حراما فما نحضره وكان حديث العهد بخدمته قل أن يلى السلطنة فما أراد أن يكدر عليه فقد الى آخره فلما انقضى ذلك قال له الملك الناصر

جيرانى * بينما تتنقب الحوله انصرف القاضى * بنت الخراتزف لابن الخرابدف * باتت ناموسه على جميزه قالت صبحك الله بالخير قال من درى بك قبله * بدال ماتمشى وتهزى كتفك رقبى فردة خفك * بخراوتزاحم بالبوس * بقى لام سيسى برقع وللضفدعه رماره * بعد مشيك فى الحلاقى ابستى الصافى * بعيد على الحزينه تستعمل الزينه

﴿حرف التاء﴾

تابت القحمه يوم وليله قالت مابقى فى البلد حكام * تضاربت المجنونه والحقا حسبتها الرعنه من حقا تضارب وتتعرى وتصيح ياقلة رجالى * تأخذوا أبوناو تكابروا * ترتانه وبيبانه ومفاتيح الخزانه * تباهت الرعنه بشعر بنت أختها * تخلونى والا استحل بجارنا قالت اذا كان ذا فى قلبك خذيه بلا استحلال تتعمى بالخرج ولاتخلى الغنج * تقعد عيوشه فى ديارتها مالاحد حاجة فى زيارتها

﴿حرف الثاء﴾

ثوب سيدى * ثوب حبيبى * ثوب ستى ثوب قحبه

﴿حرف الجيم﴾

جاره بجاره والعداوه خساره * جانى عذولى ورتانى ماهى محبه الاشماته لى * جاريه وز يديه على باذنجانه مقليه * جاتنا العدوه ملحمله قطران لاغيره وقلبها فرحان * جاب ثيابه يغسلهم بلاصابونه معهم

﴿حرف الحاء المهملة﴾

حوله وتتنقب بنخ * حزانى ماعندهم دقيق اشتروالهم نخل رقيق * حزانى ماعندهم خبز اشتروالهم بعشره لوخيه * حزينه وواعيه * حبله ومرضعه وعلى كتفها أربعه * وطلعت الجمل تحبب دواللحبل حوله ونصرانيه لاماتحمه ولاأصل طيب * حزينه مالها مايمولها سمعت زنبورها خوشكلدم * حزينه مالها ملك اكترت لها ثواب * حزينه مالها كاملينه طلبت لها خف وشعريه

﴿حرف الخاء المعجمة﴾

خطبوها تعززت وكان زمان البوار * خلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب * خذى قطيفه واكتمى سرى قالت مايطاوعنى قلبى * خلت مايعنيها واتبعت حلق رجليها

﴿حرف الدال المهملة﴾

درى زوجك بكتيتك تمى نهارك مع ليلتك * دق من أسفل ولاتطلع ماأنت على القلب

﴿حرف الذال المعجمة﴾

ذكرت العجوز اطلالها

﴿حرف الراء﴾

رقصتى ماأحستنى كان قعادك أجمل * رعنا يضحكوا بها وهى تضحك تساعدهم * زأوا جاموسه منقبه بحصير قالوا ماهذا التشكل الوضيع الاذا القماش الرفيع * راحت تبيع ربعه غابت جمعه * راحت رجال الهبيه وبقيت رجال الحبيبه * راحت رجال اللام والقلقاس وبقيت رجال الخبز بالفسفاس رأوا خنفسه على مكنسه قالوا مالذى الصيفه الاذا الحمار الازعر

﴿حرف الزاى﴾

زمر بالزمير ه تبان لك العاقله من المجنينه * زوجى ماحكم على قام لى عشيق بشمعة زوجوا بنت نشادرى لسرباتى قالوا قليلات الحراتتدحرج لبعضها

﴿حرف الشين المهملة﴾

سودا وتتقش بسباخ * سودا منقبه قفل على خزانه * سألوها عن أبيها قالت جدى شعيب

﴿حرف الشين المعجمة﴾

شدى قرطاسك من عند موسه قالوا داشى مافرحتى به وأنتى عروسه * شامته ومعزيه

كيف رأيت ذلك قال رأيت موعظة عظيمة رأيت دولا تقضى ودولا تأتى وما طوى الازار اذا المحرك راحد فاخرج ببلاغته هذا الجد فى هذا الهزل انتهى (وللشيخ) بدرالدين الصاحب مضمنا فى الشطرنج)

أميل لشطرنج أهل النهى
وأسلوه من ناقل الباطل
وكم رمت تهذيب لعابها
وتأبى الطباع على الناقل

(ويعجبنى قول الشيخ عزالدين الموصلى حيث قال)

جاهل شطرنج ينادى وقد
أمات نفس اللعب من عكسه
ماتفعل الافعال فى جاهل
مايفعل الجاهل فى نفسه

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت فى شكله من معانى الحسن أشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة
والخد فيه لقتل النفس شامات

(نادرة لطيفة)

حكى ان السراج الوراق جهز غلاما له يوما ليبتاع له زيتا طيبا ليأكل به لفتا فاحضره وقلبه على اللفت فوجد زيتا مارا فانكر على الغلام ذلك وأخذه وجاء الى المباع وقال له لم تفعل مثل هذا فقال له والله ياسيدى مالى ذنب لانه قال اعطنى زيتا للسراج انتهى (ومثله) ماحكاه الصاحب فخرالدين بن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصى انه كان حصل له طلوع فى جسده فتردد اليه المزين وصنع له فتائل على العادة قال فقلت له يوما كيف الحال ياسراج الدين فقال كيف حال سراج فيه سبع فتائل

(ورأيت له فى ديوانه يداعب سراج الدين المذكور بقوله)

ياذا السراج اشترى ايرى فأنت به
أولى وذلك للامر الذى وجبا

سكندرى وتدعى بالسراج وذا
مثل المنار اذا ما قام وانتصبا

(نادرة لطيفة)

اجتمع محدث ونصرانى فى سفينة فصب النصرانى من ركوة كانت معه فى مشربة وشرب وصب وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداك هذا خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من خمار يهودى وحلف أنها خمر عتيق فشربها بالعجلة وقال للنصرانى أنت أحمق فنحن أصحاب الحديث نروى عن الصحابة والتابعين أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ما ضر بها الا لضعف الاسناد

﴿نادرة لطيفة﴾

نظر طفيلى الى قوم ذاهبين فقال يشبه أنهم فى دعوة ذاهبون الى وليمة فقام وتبعهم فاذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم فلما أنشد كل واحد شعره وأخذ جائزته لم يبق الا الطفيلى وهو جالس ساكت فقال له أنشد شعرك فقال لست بشاعر قيل فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى فى حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وأمر له بجائزة الشعراء (حكى) الهيثم بن عدى قال ماشيت الامام أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه فى نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان المريض بخيلا وتواصينا على أن نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال بعضنا آتتناغداء فالقداتينا من سفرنا هذا نصبا قال فتطلى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج

﴿حرف الصاد المهملة﴾

صارت القعيمه واعظه * صارت القويقه شاعره

﴿(حرف الضاد المعجمة)﴾

ضحك ابن سنمى على أمه قالت ما أخف دمه

﴿(حرف الطاء المهملة)﴾

طلعت ترحم نزلت تتوحم

﴿(حرف الظاء المعجمة)﴾

ظريفه وعفيفه ولها نفس شريفه

﴿(حرف العين المهملة)﴾

عما يتحفف مجنونه وتقول حواجبك سود مقرونه * عاقلة وجاءت طفلة وجاءتها خطار واشتر والها قلقاس
ذكر وحطب أخضر فى نهار مطر وقالوا لها طبخنى * على قدر لحمه تقع الصلحه * عجوز وجابت غلام اذا
جننت لا تلام * عجوز وخرفانه دى داهيه كمانه

﴿(حرف الغين المعجمة)﴾

غيرك يقوم مقامك عليش قلبى أعذبه

﴿(حرف الفاء)﴾

فرحت حزينه خربت مدينه

﴿(حرف القاف)﴾

قالوا للمقانى اتزوقوا قلبوا عصابيهم * قلبه ما كنست بيتها كنست المسجد قالوا دى قلبه تطلب الثواب

﴿(حرف الكاف)﴾

كل من تبعت هواها صارت سراويلها رداها * كبرتى يا روقه وبقى لك دبوقه * كانوا مغانى صار واملاهى
لا راحت ولا جات كاهى * كلى قليه وباقى هنيئه * كأنها من الباسيطه قماش على جريده * كأنها حزمة
فجل أصفر وعروقها أخضر * كأنها من عمايم اليهود صفر اطويله رفيعه * كأنها من بيت النوالى ما يتحدث
فيها سوى الحاشيه * كأنها ضبة جعيدى محلاه ولا تأخذ شئ

﴿(حرف اللام)﴾

لو كان ما ينغش الا السمان بارت المواشط من زمان * لساعة ما جلبت جابت المرسين * لولا المعايرما كانت
الحرائر

﴿(حرف الميم)﴾

ماشطه وقشط بنتها * من افتكر نا بياسمينا ما نسينا

﴿(حرف النون)﴾

نواية تسند الجرة قال وتسند الزير الكبير

﴿(حرف الهاء)﴾

هش يا دبانة أنا حبلى من مولانا

﴿(حرف الواو)﴾

وجه لا يرى بالذهب يشترى

﴿(حرف الالف ألف)﴾

لا أنبى مليحة ولا تغنى بايش تدلى

﴿(حرف الياء)﴾

يعيش المدلل بلا مكال * ياغزالة الاقمار أين كنتى بالنهار * يا ما تحت النقاب والبشعريه من كل بليه
يا من ملنا ما كان حلنا للساعة ما لنا فى العشر سنه

﴿الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى البيان والبلاغة﴾ أما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى * وأما البلاغة فانهم امن حيث اللغة هى أن يقال بلغت المكان اذا أشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى أم لكم أيمان علينا بالغة أى وثيقة كأنها قد بلغت النهاية وقال اليونانى البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال الهندى البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندى يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعانى

وقيل ان معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة ولو لم يكن فى ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدى والكتاب على عقل المكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدى البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة وقال البحترى خير الكلام ماقل ودل ولم يطل * وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان قال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به * وكل نابغة عصر عنك تعترف
مهد لى العذر فى نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدى له الصدف

(وروى) أن ليلى الاخيلية مدحت الحجاج فقال ياغلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها قال فطلب حجاما فقالت ثكلتك أمك انما أمرك ان تقطع لسانى بالصلة فلو لا تبصرها بانحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة فى اللفظ معانى الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبى البليغ من يحول الكلام على حسب الامالى ويخيط الالفاظ على قدر المعانى والكلام البليغ ما كان لفظه فلا رمعناه بكرا وقال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه فى حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق الى أقوم طريق

﴿الفصل الثانى فى الفصاحة﴾ قال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله تعالى عليه اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما وزعم بعضهم أن المعانى فى البلاغة والفصاحة فى الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم فى صدرى وان قصر سقط من عينى * وقد اختلف الناس فى الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعانى ومنهم من قال انها لا تختص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بأن قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعانى وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف فى كلام الناس والذى أراه فى ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف فى الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا * ومن المستحق فى الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متنافرة فى مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كنت كتفت الحب كنت كما * كما وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قيل ان هذا البيت لا يمكن انشاده فى الغالب عشر مرات متوالية الا ويغلط المنشد فيه لان القرب فى المخارج يحدث ثقلا فى النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار * وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام على مصر وملك زمام الامور وأطلعه ملكها على الخفى من أمره والمستور وقال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

فعجز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج انتهى

*(ومن غرائب المنقول)

أن يحيى بن اسحق كان طبيبا حاذقا صانعا بيده وكان فى صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره نقل عنه من حذقه انه أتى اليه بدوى على حمار وهو يصيح على باب داره أدركونى وكلوا الوزير بخبرى فلما دخل عليه قال ما بالك قال ورم باحليلى منعنى النوم منذ أيام وأنا فى الموت فقال له اكشف عنه فاذا هو رارم فقال لرجل معه احضر لى حجرا أملس فطلبه فوجده فقال له ضع عليه الاحليل فلما تمكن احليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب الاحليل ضربة غشى على الرجل منها ثم اندفع الصديد يجرى فلما انقطع جريان الصديد فتح الرجل عينيه ثم مال فى اثر ذلك فقال له اذهب فقد برأت علتك وأنت رجل عابث واقعت بهيمة فى دبرها فصادفت شعيرة من علفها تحت فى عين الاحليل فورم لها وقد خرجت فى الصديد فقال له الرجل قد فعلت ذلك وهذا يدل على الحذق المفرط

(ومثله) ان ابن جميع الاسرائيلى كان من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى فى أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الامر *ومما نقل عنه من حذقه انه كان جالسا فى دكان وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح يا أهل الميت ان صاحبكم لم يمت ولا يحل أن تدفنوه حيا فقال بعضهم لبعض هذا الذى يقوله لا يضرنا ويتعين أن غفلته فان كان حيا فهو المراد وان لم يكن حيا فما يتغير

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال بارك الله لك ياعم في جمالك أي فصاحتك (وعرضت) على المتوكل جارية شاعرة قال أبو العيناء يستجيزها أحمد الله كثيرا * فقالت حيث أنشدك ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت في اسمائها فاشترها * وقال فيلسوف كما ان الآنية تمتحن باطمانها فمعرفة صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه * وقال المبرد قلت للمجنون أجزني هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وأبراقه فاليوم لاشك ماطر

فقال

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا أمير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا * وقال الهيثم بن صالح لابنه يابني اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب قال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك * وقال الشعبي كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول أجزها أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الي منها * وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بتيقظ ولا يقظة الا بمنام قال ابن المبارك وهذا اللسان يريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر رضي الله عنه أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو استقيمون لقومت ألستكم هلا قلت لا ورحمك الله (ومنه) ماحكي ان المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها * وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

سحبان يقصر عن محور بيانه * عجزا ويغرق منه تحت عبابه
وكذاك قس ناطق بمكاظه * يعيا لديه بحجة وجواب

(وقيل) انه جمع ابن المنكدر شابان فكانا اذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان ان ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قينة فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة * وكان أصحاب أبي علي الثقفي اذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا واداحضة وكتب ابراهيم بن المهدي اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك الغناء الاكبر وعليك بالسهل مع تجنبك الالفاظ السفل ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الاحنف سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام علي حتى مضى رضي الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة وقال معاوية رضي الله تعالى عنه ما رأيت أبلغ من عائشة رضي الله تعالى عنها ما أغلقت يا أبا فأرادت فتحه الا فتحته ولا فتحت يا أبا فأرادت اغلاقه الا أغلقته (ومن غريب) الكنايات الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة ما حكي أن رجلا كان أسيرا في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا نرسله الا محضر تنا ثلاثا تنذرهم فجاؤا بعبد أسود فقال له أتعقل ما أقوله لك قال نعم اني لعاقل فأشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال ما أراك الا عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لا أدري وانه لكثير فقال أيما أكثر النجوم أم الثمران قال كل كثير فقال أبلغ قومي التحيية وقل لهم بكر موا فلانا يعني أسيرا كان في أيديهم من بني بكر بن وائل فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد دنا وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جلي الاصهب بأمارة ما كان معكم حيسا واسألوا عن خبري أخ الحرث فلما أدى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد دنا العرفج يريد

علينا شيء فابتدعوه اليهم وقالوا بيننا ما قلت فأمرهم بالعود الى البيت وأن يتزعوا أكفانه فلما فرغوا من ذلك أدخله الحمام وسكب عليه الماء الحار وحمي بدنه ونظله فظهر فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة فقال أبشروا بعافيته ثم تمم علاجه الى أن أفاق وصاح فكان ذلك مبدأ اشتهاره بشدة الحذق والعلم ثم انه سئل بعد ذلك ومن أين علمت ان في ذلك الميت بقية روح وهو في الاكفان محمول فقال نظرت الى قدميه فوجدتهما فاغمتين وأقدام الموتى منبسطة فحدست انه حي وكان حدسي صائبا

* (نادرة لطيفة) *

قيل ان المنصور بن أبي عامر الاندلسي كان اذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسر الى الغزاة الا من الجامع فاتفق انه في بعض حركاته للغزاة توجه الى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء فصادف نزيامن قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقال رجل ابشر يا أمير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة فقد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن المنصور ذلك واستبشر به وكانت الغزوة من أبرك الغزوات (ومثل هذا) لما خرج المنصور العباسي الى قتال أبي يزيد الخارجي في جماعة من الاولياء وواجه الحصن سقط الرمح من يده فأخذه بعض الاولياء فسمه وقال

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

ان

ان الرجال قد استلأموا وابسوا السلاح وأما قوله شكت النساء أى أخذت الشكاة للسفر وأما قوله اعروا ناقتى الحراء أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الاصهب أى الجمل وأما قوله أكلت معكم حيسا أى ان اخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا * وأسرت طيء غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشترطوا عليه فقال أبوه والذى جعل الفرقدين يسيمان ويصبحان على جبل طيء ما عندى غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكانه قال له الزم الفرقدين يعنى فى هربك على جبل طيء ففهم الابن ما أراده أبوه وفعل ذلك فنجى * وكانت عليه بنت المهدى تهوى غلاما خادما اسمه طل لحلف الرشيد ان لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى نهى جنه أمير المؤمنين ومن ذلك قولهم تركت فلانا يأمر وينهى وهو على شرف الموت أى يأمر بالوصية وينهى عن النوح ويقال ما رأيت فلانا أى ماضربته فى رئته ولا كلمته أى ما جرحته فان الكلوم الجراح وما رأيت ربيعا قالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر وما رأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذى تجرد من ثيابه وما رأيت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصليا فالراكع العاشر الذى كالوجهه والساجد المدمن النظر والمصلى الذى يجيء بعد السابق وما أخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبيرة من الغزل والفروجة الدراعة وما أخذت لفلان بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقره أى عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط (وحكى) أن معاوية رضى الله تعالى عنه بينما هو جالس فى بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وكان آخر كلامه ان لعن عليا رضى الله تعالى عنه ولعن لا عنه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل لو يعلم أن رضاك فى لعن المرسلين للعنهم فاتق الله يا أمير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله تعالى عنه فلقد لقى ربه وأفرد فى قبره وخلا بعمله وكان والله المبرز سبقه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته فقال معاوية يا أحنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا أو كرها فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان تعفنى فهو خير لك وان تجبرنى على ذلك فوالله لاتجرى شفتاى به أبدا فقال قم فاصعد قال أما والله لا نصعدنك فى القول والفعل قال وما أنت قائل ان أنصعدنى قال أصعد على المنبر فأحمد الله واثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقول أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن عليا الا وان معاوية وعليا افترقا فاختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغى عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم أقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحى فقال معاوية اذا نعفيك يا أبا بحر * وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب ان عليا قد قطعك وأناوصلتك ولا يرضينى منك الا أن تلعنه على المنبر قال أفعل فصعد المنبر ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان معاوية بن أبى سفيان قد أمرنى ان ألعن على بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت منهما بشىء فقال والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام الى نبيه المتكلم ودخلت المرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين اقر الله عينك وفرح لك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نواحيهم فقال اما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فردود الينا ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ما قالت هذه المرأة فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها اقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة واذا سكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرح لك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا

قال فضحك المنصور وقال لم لا قلت فألقى نومى عصاه فقال يا أمير المؤمنين العبد تكلم بما عنده من اشارات المتأدبين وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل على النبى من كلام رب العالمين فكان الامر على ما ذكره وأخذا لحصن وحصل الظفر بأبى يزيد (حكى) ان الشيخ شهاب الدين بن محمود قال عدت قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى دمشق بالمدرسة الجيبية سنة احدى وثمانين وستمائة فأنشدنى لبعض أهل الادب فى نقيب الاشراف بالمدائن زناه خلب قلبى وهو يقول

قد قلت للرجل المولى غسله
هلا أطاع وكنت من نصحائه
جنبه ماء لك ثم غسله بما
اذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل أثاثوية الخنوط وشحها
عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بنقله
شرفا الى البيت تراهم بازائه
لاتوه اعناق الرجال بحمله
يكفى الذى حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع فى نفسى انه أحق الناس بهذا الرثاء وانه نعى نفسه فمات فى ذلك الاسبوع برد الله مضجعه (نكتة لطيفة) * قيل انه لما رجع الشيخ شهاب الدين السهروردى رحمه الله من الشام الى بغداد وجلس على عادته أخذ يقلل أحوال الناس ويهضم جانب الرجال ويقول انه ما بقى من يحارى وقد خلت الدنيا وأنشد

ما فى الصحاب اخو وجد نطارحه
حديث نجد ولا خل نجاريه

فصاح من أطراف المجلس رجل عليه قباء وكلوتة فقال يا شيخ كم

عما أتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتجهموا من ذلك (وحكى) أن بعضهم دخل على عدو من النصارى فقال له أطال الله بقاءك وأقر عينك وجعل يومى قبل يومك والله انه ليسرنى ما يسرك فأحسن اليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لان معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة المسلمين به فى اداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فمعناها سكن الله حركتها أى أعماها وأما قوله وجعل يومى قبل يومك أى جعل الله يومى الذى أدخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه النار وأما قوله انه ليسرنى ما يسرك فان العافية تسره كما تسر الآخرة فانظر الى الاشتراك وفائدته ولولا الاشتراك ما تهيأ لمتسترم ادولا سلم له فى التخلص قياد * وكان حماد الراوية لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة فى المصحف فصحف فى نيف وعشرين موضعا من جملتها قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وحزنا بالباء الموحدة وما يجمعون بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثاثا ورئيا بالزاى وترك الهمزة عذابى أصيب به من أشاء بالسين المهملة صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة بالنون والعين المهملة سلام عليكم لا تبتغى باسقاط التاء يا بل الذين كفروا فى عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة قرن الشقاق بالغرة وهذا لا يقع الامن الاذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فأرسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأزلهم منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لامير المؤمنين بريدون النظر الى وجهه والسلام * فكان معنى قوله آخذا بالعزم أى اذا عزم على ظلم أو جور فعله فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أى أخذ كل ما معهم حتى ساوى بين الغنى والفقير وقوله عمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صار واقفا لا علم له كون شىء من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أى ليشكوا حالهم ومازل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكى) أن القاضى الفاضل كان له صديق خصيص به وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه وهم بقتله فتسحب الى بلاد التتر وتوصل الى أن صار وزيرا عندهم وصار يعرف التتر كيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب اليه كتابا يعرفه فيه انى أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى أن يحضر فاذا حضر قتلته واسترحت منه فحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب اليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالحمدلة والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به العادة فى الكتب فسددان ثم أوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه فى غاية الكمال وما فهم ان وكان قصد الفاضل ان الملك لا يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه وكتب جوابه بأنه سيحضر عاجلا فلما أراد أن ينهى الكتاب ويكتب ان شاء الله تعالى مد النون وجعل فى آخرها ألفا وأراد بذلك ان لا تدخلها أبدا ما داموا فيها فلما وصل الكتاب الى

تنقص بالقوم والله ان فيهم من لم يرض أن يجاريك وقصاراك أن تفهم ما يقول هلا قلت

ما فى الصحاب وقد سارت حمولهم

الا محب له فى الركب محبوب

كانما يوسف فى كل راحلة

والحى فى كل بيت منه يعقوب

فصاح السهروردى ونزل عن الكرسى وطلب الشباب فلم يجده * (حكى) * عن ابن المطرزى الشاعر انه مر وقى رجله نعل بالية بالشريف الرضى فامر باحضاره وقال أنشدنى أبياتك التى تقول فيها

اذا لم تبلغنى اليك ركائبى

فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الى نعله البالية وقال هذه كانت ركائبك فاطرق ابن المطرزى ساعة ثم قال لما عادت هبات مولانا الشريف الى مثل قوله وخذا النوم من جفونى فانى

قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبى الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملك على من لا يقبل فخجل الشريف وقابله بما يليق من الاكرام * (قلت) * وأما الاجوبة الحاضرة المفحمة والبلاغتها فهى فى المحل الارفع * (فمن ذلك) * انه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة فقالوا يا أمير المؤمنين ابعث لنا الى الحسن ابن على فقال لهم فيم فقالوا كى نوبخه ونعرفه ان أباه قتل عثمان فقال لهم انكم لا تنتصفون منه ولا تقولون شيأ الا كذبكم الناس ولا يقول لكم شيأ يبلغنه الا صدقه الناس فقالوا ارسل اليه فانا سنكفيك أمره فأرسل اليه معاوية فلما حضر

الفاضل فهم الاشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) ان بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها من هذه فقالت يا مولاى هذه زوجة غلامك فير وزقال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفير وز وقال له يا فير وز قال لبيك يا مولاى قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فأخذ فير وز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز أمره وبات ليلته فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا الحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فير وز اقام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فير وز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فير وز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائر فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انى أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتنى فقالت بل عرفتك يا مولاى ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

سأترك ماء كم من غير وارد * وذاك لكثرة الوارد فيه * اذا سقطت الذباب على طعام
رفعت يدى ونفسى تشتهيه * وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاى قول الشاعر

قل للذى شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبدا * قدأ كل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها فنسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك * وأما ما كان من فير وزفانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر انه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة الا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فأنعم عليه بمائة دينار فمضى فير وز الى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة أبيك قالت وماذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يا فير وز اما ان تخبرنا بسبب غضبك واما أن تحاكما الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فاستركت لها على حفاظ طلبوه الى الحكم فأتى مجلسهم وكان القاضى اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضى القضاة انى أجرت هذا الغلام ببستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة مورثة مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضى الى فير وز وقال له ما تقول يا غلام فقال فير وز أيها القاضى قد تسلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ما قولك قال والله يا مولاى ما رددت البستان كراهة فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثرا لاسد فخفت أن يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فير وز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فير وز الى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضى ولا غير بشئ من ذلك والله أعلم * وهذا كله مما يأتى به الانسان من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز وضمائر مجيده المستور فى أمره من الراحة فى كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لان فى

قال يا حسن انى لم أرسل اليك ولكن هؤلاء أرسلوا اليك فاسمع مقالتهم وأجب ولا تحتقرنى فقال الحسن عليه السلام فليتكلموا ونسمع فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هل تعلم يا حسن ان أباك أول من أثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله به ثم قام الوليد بن عقبة بن أبى معيط فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا بنى هاشم كنتم اصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان يفضلكم ويقربكم ثم يعيبون عليه فقتلتموه ولقد أردنا يا حسن قتل أبيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله ذنب ثم قام عقبة فقال تعلم يا حسن ان أباك بغى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فيسر لبهما ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة فكان كلامه كله سبا لعلى وتعظيما لعثمان فقام الحسن عليه السلام فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال يا معاوية لم يشتمنى هؤلاء ولكن أنت تشتمنى بغضا وعداوة وخلافا لجدى صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس وقال أنشدكم الله أتعلمون ان الرجل الذى شتمه هؤلاء كان أول من آمن بالله وصلى للقبلتين وأنت يا معاوية يومئذ كافر تشرك بالله وكان معه لواء النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومع معاوية وأبيه لواء المشركين ثم قال أنشدكم الله والاسلام أتعلمون ان معاوية كان يكتب الرسائل لجدى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد الرسول اليه ثلاث مرات كل ذلك وهو يقول هو يأكل فقال النبى صلى

المعاريض مندوحة عن الكذب كما روى في غزوة بدر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال من القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء يردد ها لينظر أي العرب يقال لهم ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فان الله عز وجل قال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للكافر الذي سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهدي السبيل وقد صدق فيما قال رضي الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الاسلام وكما حكي عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول في القرآن فقال الشافعي اياي تعني قال نعم قال مخلوق فرضي خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعي الا نفسه وكما حكي عن ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من عمال الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعة فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم علي رضي الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته فأرضى الفريقين ولم يرد الا أبا بكر رضي الله عنه لان الضمير في ابنته يعود الى أبي بكر رضي الله عنه وهي عائشة رضي الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعة ظنوا أن الضمير في ابنته يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فاطمة رضي الله عنها وكانت تحت علي رضي الله عنه فهذا منه جيدة حسنة وكلمة باتت جفون الفريقين منها وسنة والله أعلم

﴿الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال﴾ دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال ياصبي تتكلم في هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صبيا فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال أحطت بما لم تحط به ثم قال ألم تر أن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الامر بالكبر لكان داود أولى (ولما) أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فانه أحق بالكلام منك فقال الصبي يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين انا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي من علينا بك ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا وأما عدم الرهبة فقد أمناجورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضي الله عنه عظني يا غلام فقال يا أمير المؤمنين ان أناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر في سن الغلام فأذله اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر رضي الله عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

﴿وحكي﴾ ان البادية قحطت في أيام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا ان يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ماشاء أحد ان يدخل علي الا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما في طيه الا بنشره فان أذن لي أمير المؤمنين ان أنشره نشرته فأعجبه كلامه وقال انشره لله درك فقال يا أمير المؤمنين انه أصابتنا سنون ثلاث سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة رقت العظم وفي أيديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذرا فأمر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك

الله عليه وسلم لا أشبع الله بطنه أما تعرف ذلك في بطنك يا معاوية ثم قال وأنشدكم الله أتعلمون ان معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه هذا كله لك يا معاوية وأما أنت يا عمر وفتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك شبه الأمهم حسبا وشرهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت اني شانئ محمدا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ان شانئك هو الابتر ثم هجوت محمدا صلى الله عليه وسلم بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني لا أحسن الشعر ولكن ألعن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت الى النجاشي بما علمت وعملت فأكذبك الله وردك خائبا فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام فلم تملك علي بفضل وأما أنت يا ابن أبي معيط فكيف أولمك على سيك العلى وقد جلد ظهرك في الخمر ثمانين سوطا وقتل أباك صبرا بأمر جدي وقتله جدي بأمر ربي ولما قدمه للقتل قال من للصبية يا محمد فقال لهم النار ولم يكن لكم عند النبي الا النار ولم يكن لكم عند علي غير السيف والسوط وأما أنت يا عتبة فكيف تعد أحدا بالقتل لم لا قتلت الذي وجدته في فراشك مضاجعا لزوجتك ثم أمسكتها بعد أن بغت وأما أنت يا أعور ثقيف ففي أي ثلاث تسب عليا أوفي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم أفي حكم جائر أم في رغبة في الدنيا فان قلت شيأ من ذلك فقد كذبت وأكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان

حاجة قال مالى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم (وقيل) ان سعد ابن ضمرة الاسدى ليرل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره فبعث اليه يقول ان لك عندى ألف ناقة على انك تدخل فى طاعتى فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا أيها الملك ان الرجال ليسوا بعظم أجسامهم وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم أنشأ يقول

يا أيها الملك المرجو نائله * انى لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الاجسام ان لنا * أحلام عاد وان كنا الى قصر
فكم طويل اذا أبصرت جثته * تقول هذا غداة الروع ووطفر
فان ألم به أمر فأفظعه * رأيته خاذلا بالأهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال انى لا انقض منها المفتول وأبرم منها المحلول وأحيلها حتى تحول ثم أنظر فيها الى ما تؤل وليس للدهر بصاحب من لا ينظر فى العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بألف ناقة وقال له يا سعد ان أقمت وأسينالك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الى من الدنيا وما فيها فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه ﴿وحكى﴾ ان هرقل ملك الروم كتب الى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه يسأله عن الشئ ولا شئ وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شئ وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لا أب له وعن رجل لا أم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ما هو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاء ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شئ تنفس ولا روح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذى فى القمر فقيل لمعاوية لست هنالك ومتى أخطأت فى شئ من ذلك سقطت من عينه فاكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فيكتب اليه فأجابه أما الشئ فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى وأما لا شئ فانها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأما صلاة كل شئ فسبحان الله وبحمده وأما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذى لا أب له فالمسيح وأما الرجل الذى لا أم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به فى البحر وأما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق وأما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبنى اسرائيل وأما الظاء الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بين مدين والارض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى منادان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا ألقيته عليكم فأخذوا التوراة معذرين فرده الله تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم الآية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى أنبتها الله تعالى على يونس عليه السلام وأما الشئ الذى تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس وأما اليوم فعمل وأمس قبل وغد فأجل وبعد غد فأمل وأما البرق فخاريق بأيدى الملائكة تضرب بها السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره وأما المحو الذى فى القمر فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل * ودعا بعض البلغاء لصديق له فقال نعم الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك عالم تحتسبه ﴿وحكى﴾ أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها ان قال له من

فقد كذبت وأكذبك الناس وأما وعيدك فاغما مثلك كمثل بعوضة وقفت على نخلة فقالت لها استمكى فانى أريد أن أطير فقالت لها النخلة ما علمت بوقوفك فكيف يشق على طيرانك وأنت فما شعرنا بعدوتك فكيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية ألم أقل لكم انكم لا تنتصفون منه والله لقد أظلم علىّ البيت حتى قام فليس فيكم بعد اليوم خير انتهى

﴿ومن غريب النقل﴾ ان شريك ابن الاعور دخل على معاوية وهو يحتال فى مشيته فقال له معاوية والله انك لشريك وليس لله من شريك وانك ابن الاعور والصحيح خير من الاعور وانك للديم والوسيم خير من الديم فبم سودك قومك فقال له شريك والله انك لمعاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وانك ابن حرب والسلم خير من الحرب وانك ابن صخر والسهل خير من الصخر وانك ابن أمية وما أمية الا أمة صغرت فسميت أمية فكيف صرت أمير المؤمنين فقال له معاوية أقسمت عليك الا ما خرجت عنى ﴿نكتة لطيفة﴾ اتفق أن الملك المعظم عزم على الصيد فقال له بعض جماعته يا مولانا ان القمر فى العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة ان تصبر الى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصيد فيه فما هو مفكر اذ دخل عليه مملوك له من أحسن الناس وجها فوقف امامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين بالله يا مولانا اركب فى هذه الساعة فهذا القمر قد حل فى القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا بالقول فلم ير أطيب من

أكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للهاتين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أتجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأترکهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتقعر فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المتعقب على الطعام فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال الله أبولك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسب هو ام غير حسب قال أصلح الله الامير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحسان يعرف شمائله والنذل الجاهل بجهله فمثله كمثل الذرة اذا وقعت عند من لا يعرفها اذدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهى عندهم لعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله أبولك فما العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبولك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فما العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال فهل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير انى بشأنهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كرمن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأخرأحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أتن من الجيفة فقال له الحجاج ياغضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير اقول ما رديه ويؤديه ويضنيه فقال انى أظنك لا تقول له ما قلت وكأنى بصوت جلاجلك تجعجل فى قصرى هذا قال كلا أصلح الله الامير سأحدد له لسانى وأجريه فى ميدانى قال فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتعبد قبل ان يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والغيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضربت قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذ اباعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصد نحوه وقد اشتد الحر وحمية الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فرب بقعة قد فارقها وخير تاركها ما حاجتك يا اعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الامير بن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابى ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال أكره أن يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الارض قال فأين تريد قال أمشى فى مناكبها فقال الاعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتعرض الشعر قال انما يقرض الفأر فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لى ان أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقنى حر الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت ورحلك فقال الاعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابى ما عندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابى ياجار بنى كعب قال

الغضبان

ثلاث السغرة ولا أكثر من صيدها

﴿ومن غرائب المنقول﴾ ما حكى اسحق النديم عن أبيه قال استأذنت الرشيد أن يهب لى يوما من الجمعة لا ابعث فيه بجوارى واخوانى فأذن لى فى يوم السبت وقال هو يوم استثقله فأله فيه بما شئت قال فأقمت يوم السبت بمنزلى وتقدمت لاصلاح طعامى وشرابى وأمرت بوابى باغلاق الباب وأن لا يأذن لاحد من الناس فبينما أنا فى مجلسى والحرم قد حفوا بى اذا أنا بشيخ عليه هيبة وجمال وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقعمة بالفضة ورائحة الطيب تفوح منه فدا خلنى لدخوله على مع ما قدمت من الوصية غيظ عظيم وهممت بطرد بوابى ومن يحجبنى لاجله فسلم على أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ فى حديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن مابى فظننت أن غلمانى قصدوا مسرتى بادخاله على لظرفه وأدبه فقلت له هل لك فى الطعام فقال لا حاجة لى به فقلت هل لك فى الشراب فقال ذاك اليك قال فشربت رطلا وسقيته مثله فقال يا أبا اسحق هل لك فى ان تغنى ونسمع منك ما فقت به على العالم والخاص قال فغاظنى منه ذلك ثم سهلت الامر على نفسى وأخذت العود وضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت مارضى بما فعله حتى سمانى باسمى ولم يحسن مخاطبتى ثم قال هل لك فى أن تزيدنا ونكافئك قال فتقدمت وأخذت العود فغنيت وتحفظت وقت ما غنيته قياما تاما فطرب وقال أحسنت يا سيدى ثم قال أتأذن لعبدك فى الغناء فقلت شأنك

الغضبان بئس الشيخ أنت فوالله ما ظلمك أحد فتستغيث فقال الاعرابي ما رأيت رجلا أقسى منك أتتك مستغيث فحجبتني وطردتني هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض قال مالي بمعاداتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان بن القعقري فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة فقال الاعرابي اني لأظنك حرورا يا قال اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير ويريده فقال اني لاظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله في قوم تسودهم * اني أظنك والرحمن شيطانا

أتيت قبته أرجو ضيافته * فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرض يابسها الجيش بها اضعاف هزلاه ان كثر واجاعوا وان قلوا ظمأوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولا نزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان أيها الامير فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأني بصوت جلاجلك تجلجل في قصري هذا ذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الحمراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا أيها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال أصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم انزعوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث) الزبير قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون وقد كانت نساؤهم أخذت فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك بن يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن لي في الكلام فقال تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين ونسمتع الله لحياطة ديننا وذيانا ورعاية أدنانا وأقصانا بما تأتي يا أمير المؤمنين ونسأل الله أن يمد في عمرك من أعمارنا وأن يقيك الاذى بأسماعنا وأبصارنا فان الحق لا تعفوا آثاره ولا ينهدم مناره ولا يثبت حبله ولا يزول ما دامت بين الله وبين عباده والامين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاور النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفي نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر المؤمنين في الضياع التي أفادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل أسلافه الطاهرين الراشدين وقد قمت مقامي هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة الراشدين وبالمهدي ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين مزدلفا اليك بالطاعة التي أفرغ عليها غصني واختشكت بها سني وريش بها جناحي متعوذا من شماتة الاعداء وحلول البلاء ومفارقة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن علي جدي وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق

واستضعفت عقله كيف سولت له نفسه ان يغني بحضرتي بعد ما سمعه مني فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلته ينطق بلسان عربي واندفع يغني

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت أن الحيطان والابواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي ثم غنى الاياحمامات اللوى الابيات فكاد يذهب عقلي طربا ثم قال يا ابراهيم خذ هذا الغناء وانح نحوه في غنائك وعلمه جواري بك فسألته أن يعيد ما غناه فقال لم تحتمل الي شيء من ذلك ثم غاب من بين عيني فارتعت وقمت الى السيف فجردته ثم غدوت نحو الابواب وقلت للجواري أي شيء سمعتن فقلن سمعنا أحسن غناء فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أي شيء والله ما دخل الينا اليوم أحد من الناس فرجعت لا أتأمل أمري فاذا به قد هتف من بعض جوانب الدار فقال لا بأس عليك يا أبا اسحق أنا ابليس وقد اخترت مناد متك في هذا اليوم فلا ترتاع فركبت على الفور الى الرشيد واتحفته بهذه الطرفة فقال وبحك اعتبر الاصوات التي أخذتها عنه فأخذت العود فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد وأمر لي بصلة وقال لبنته أمتعنا يوما واحدا كما أمتعك قال أبو الفرج الاصبهاني هكذا حدثنا ابن أبي الازهر وما أدري ما أقول فيه (ويضارع هذا ما أورده ابن خلكان في ترجمة ابن

في نصابه وأقره في داره وأرابه يا أمير المؤمنين ان الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والجم الغفير من الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهبنا نعم آبائك اللاتي غذتناصغارا وكبارا وشبابا وأشياخا رأمشاجا في الاصلاب ونطفا في الارحام وقدمنا في القرابة حيث قدمنا الله منك في الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فاقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلا بك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق ويقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسؤول عن رعيته وان النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا أمير المؤمنين انه لا عفو أعظم من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافي ومنعه الكافي ثم أنشد يقول

أمير المؤمنين أتاك ركب * لهم قربى وليس لهم تلاد
هم الصدر المقدم من قريش * وأنت الرأس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت * وأرجو أن يطيب بك المعاد
فكيف تقالكم لحظات عين * وكيف يقل سودد ك البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وأمر له بالحلل الفاخرة والجوائز السنية وأمر برد ضياعه وقرب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما أغناه (ومن) حكايات الفصحاء ونوادر البلغاء ما حكى ان عبد الملك ابن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأعل مسامرته فقال أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله على ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين أنف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين عيب فم فقا كف لسان مخر نغنوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين فقال بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال أصلح الله الامير أنا أقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول أنف أسنان أذن بطن بنصر برة ترقوة ثمرة تيسة ثغر ثنايا ثدي جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دربد دماغ دارديرذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زردمة زب فهناك فضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غيب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هيثم هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدي أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما زيدنا عليهم شيأ أعطوه ما يتمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه (وكان) الحجاج بن يوسف الثقفي من الفصحاء وكان على عتوه وأسرافه جوادا وكان اذا ضحك واستغرق في الضحك اتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على ألف خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشام مزقوا الخبز أشلاء يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك في كل يوم وكان يقول أرى الناس يتخلفون عن طعامي فقيل له انهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولي اليهم كل يوم الشمس اذا طلعت وعند المساء اذا غربت (حكى) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولي النجدة من جنده وقال أيها الناس ان العراق كدرماؤها وكثر غوغاؤها وأملولح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخمادنيرانها فهل من مجد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب زكي وأنف حمي فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوي الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين أنا للعراق قال ومن

درید) قال أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد سقطت من منزل فانكسر بعض أعضائي فسهرت ليلتي فلما كان آخر الليل غمضت عيني فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل علي وأخذ بعضادتي الباب وقال أنشدني أحسن ما قلت في المعمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد شيأ في هذا الباب فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت قال أبو ناجية من أهل الشام وأنشدني وحمراء قبل المزج صفراء بعده
بلت بين ثوبي نرجس وشقائق * حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتسب لون عاشق * فقلت له أسأت قال ولم قلت لانك
قلت وحمراء قد مت الحمرة ثم قلت نرجس وشقائق فقدمت الصفرة
فقال ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا أبيض وأبو ناجية من كنى ابليس قال قاضي القضاة شمس الدين محمد بن خلكان في تاريخه وفي رواية أخرى ان الشيخ أبا علي الفارسي قال أنشدني ابن دريد هذين البيتين وقال جاءني ابليس في المنام ثم ذكر بقية الكلام الخ (ونقل) ابن خلكان وغيره ان أبا بكر بن فريعة قاضي السندية وغيرها من أعمال بغداد كان من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالاجوبة عن جميع ما يسئل عنه في أفصح لفظ وأملح سجع وكان مختصا بحضرة الوزير أبي محمد المهلبي ومنقطعا اليه وله مسائل وأجوبة مدونة في أيدي الناس وكان رؤساء ذلك العصر والعلماء والفضلاء يداعبونه ويكتبون له المسائل الغريبة المضحكة فيكتب الاجوبة من غير توقف ولا يكتب الا مطابقا لما سألوه وكان الوزير المذكور

أنت لله أبوك قال أنا الليث الضمضام والهزبر الهشام أنا الحجاج بن يوسف قال ومن أين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعمل السيوف قال اجلس لا أم لك فلست هنالك ثم قال مالي أرى الرؤس مطرقة والالسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال أنا المجندل الفساق ومطفئ نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال اليك عني وذاك فلست هنالك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها واوان لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازوار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلني قطعته ومن نازعني قصمته ومن خالفني نزعته ومن دنا مني أكرمته ومن طلب الامان أعطيته ومن سارع الى الطاعة بجلته فهذه آيتي وعلامتي وما علامتك يا أمير المؤمنين أن تبلوني فان كنت للاعناق قطاعا وللاموال جماعا وللارواح نزاعا وانك في الاشياء نفاعا والا فليستبدل بي أمير المؤمنين فان الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبد الملك أنت لها فما الذي تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هي له من الجند شهوته وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة اذ أتانا آت فقال هذا الحجاج قدم أمير على العراق فتطاولت الاعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد فاذا نحن به يمشي وعليه عمامة حمراء متلثما بها فصعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذو وحالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته وموالية واتباعه عليهم الخز والديباج قال وكان في المسجد يومئذ عمير بن صابي التميمي فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له أسبه لكم قال لا كفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن صابي وقال لعن الله بني أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا أميرا كما هو ما كان بشئ والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيأ فانى لا أعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا أصلح الله الامير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان أول شئ نطق به أن قال والله اني لا أرى رؤسا أينعت وقد حان قطافها واني لصاحبها واني لا أرى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لانكم طالما أزعجتم الفتنة واضطجعتم في مرقد الضلال والله لانكان بكم في البلاد ولا جعلنكم مثلا في كل واد ولاضربنكم ضرب غرائب الابل واني يا أهل العراق لا أعد الا وفيت ولا أعزم الا أمضيت فاياي وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءكم رسول منكم فكذبتموه فأخذكم العذاب وأنتم ظالمون فما زال يقرعهم بالوعيد حتى أرعد وأبرق ثم قال يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الاخلاق يا عبيد العصا وأبناء اللصوص المتربة أفواههم يا أشباه القرد والخنازير عبدة الطاغوت يا بني مقاريف الذنوب ومطاعيم الشيطان يا أصحاب المخازي والمثالب يا أعداء الكتاب المعلنين بالفرية على الله يا أهل الجفاء والنفاق ومراكز الشقاق ومنابت الاحقاد يا أهل المدر الرقاق والعيدان الجوف يا طغام الاحلام وعبيد الاقلام ولعاعة كما تلوذ الذباب أما والله لاذيقنكم الهوان ولاحملنكم على المحجة العوراء ولاقرعنكم بقارعة يتحدث بها من حضر ومن غبر ثم نزل فدخل القصر وأرسل الى الناس أن اغدوا على العطاء فغدوا عليه فأعطى الفارس مائة والراجل خمسين ثم أرسل اليهم أن اغدوا على السلاح فغدوا عليه فعرض عليهم الخيل والسلاح ثم أرسل اليهم

عمي وعمك عبد الله بن علي فخذه واقتله واياك أن تحبن في أمره ثم مضى المنصور الى الحج وكتب اليه من الطريق يستحثه على ذلك فكتب اليه قد أنفذت أمر أمير المؤمنين وكان الامر بخلاف ذلك فلم يشك أبو جعفر أنه قتله وردعا عيسى بن موسى كاتبه يونس فقال له ان المنصور دفع الى عمه وأمرني بقتله فقال له يريد أن يقتلك به فانه أمرك بذلك سرا وبدا به عليك علانية والرأي أن تستره في منزلك ولا تطلع عليه أحدا فان طلبه منك علانية دفعته اليه علانية ولا تدفعه اليه سرا أبدا ففعل ذلك وقدم المنصور فدس على عمومته من يحركهم أن يسألوا المنصور أن يهب لهم أخاهم عبد الله ففعلوا ذلك وكلموه فأجاب وقال نعم على بعيسى بن موسى فأتاه فقال ياعيسى كنت دفعت اليك عمي وعمك عبد الله قبل خروجي الى الحج وأمرتك أن يكون في منزلك مكرما قال قد فعلت ذلك قال قد كلمني فيه عمومتك فرأيت الصفح عنه فأتني به قال يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله قال لا بل أمرتك بحبسه عندك ثم قال المنصور لعمومته ان هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم وادعى اني أمرته بذلك وقد كذب قالوا فادفعه الينا فقتله قال شأنكم فاخرجوه الى صحن الدار واجتمع الناس واشتهر الامر فقام أحدهم وشهر سيفه وتقدم الى عيسى ليضربه فقال عيسى لا تعجلوا فان عمي حي ردوني الى أمير المؤمنين فردوه اليه فقال يا أمير المؤمنين انما أردت بقتله قتلي هذا فعجل حتى ان أمرتني بدفعه اليهم دفعته قال اثتنابه فأتى به فجعله في بيت فسقط عليه فمات

عليكم فلم يبق أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقرأته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الامير اني على الضعف كما ترى ولي ابن هو أقوى مني على الاسفار أفتقبله بدلا مني فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدري من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن صابئ الذي يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله عنه وهو مقتول فوطئ في بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار في قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين ياسياف اضرب عنقه فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر *(ومن حكايات الحجاج)* ما حكي أنه لما أمر فرغ في قتل أسرى دير الجماجم وأعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغني عنك اسراف في الدماء وتبذير في العطاء وقد حكمت عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الاموال أن تردها الى مواضعها ثم تعمل فيها برأيي فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فان كنت أردت الناس لي فما أغنانا عنهم وان كنت أردتهم لنفسك فما أغنانا عنهم وسيأتيك عني أمر ان لين وشدة فلا يؤمننك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية واذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب في أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضاني بالذي أنا طالبه
فان ترمني غفلة قرشية * فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمني نبلة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمنني والحوادث جمة * فانك تجزى بالذي أنت كاسبه
فلا تعدما يأتيك مني وان تعد * يقمن به يوما عليك نوادبه
فلا تمنعن الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعط الحقوق فانما النوافل شيء لا يثبتك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر اسرافي في الدماء وتبذيري في الاموال ولعمري ما بالغت في عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتلي العصاة اسرافا واعطائي المطيعين تبذيرا فليمض لي أمير المؤمنين ما سلف ووالله ما أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم عمدا فأقادهم ولا قتلت الا لك ولا أعطيت الا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب في أسفل الكتاب

اذا أنا لا أبقي رضاك واتقي * اذاك قليلي لا توارى كواكبه
وما امرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذي هو راكبه
اذا قارف الحجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصياح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * واقص الذي تسري الى عقاربه
وأعط المراسي في البلاء عطية * لرد الذي ضاقت علي مذاهبه
فمن يتقني بؤسى ويرجو مودتي * ويخشى شدائد الدهر جم نوائبه
وأمري اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقله لم أقل ما يقاربه
ومهما أردت اليوم مني أردته * وما لم ترده اليوم اني مجانبه
وقف بي على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والامور فانني * شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتي ولم يعاود لامر كرهته ان شاء الله تعالى فمن

يلومني على محبته ياغلام اكتب اليه الشاهد يرى مالا يرى الغائب وأنت أعلى عينا بما هنالك *(وفى مروج الذهب للمسعودى)* أن أم الحجاج وهى الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا در له فقلب له دبر وأبى أن يقبل الثدى وأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فأخبره مخبر من أهله فقال لهم اذبحوا له تيسا وألعقوه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدى فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث بن كلدة فدخل عليها يوما فى السحر فوجدها تخلل أسنانها فظلمها فسألته لم فعلت فقال لها ان كنت باكرت الغداء فأنت شرهة وان كان بقايا طعام بفيك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن وانما تخللت من شظايا السواك فقال قضى الامر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفى فأولدها الحجاج وقيل ان الحجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة وتمات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف فى القتل على مثال لا يبلغه وصف أحصى من قتله الحجاج بأمر مسوى من قتله فى حربه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد فى سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحدهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد وقيل للشعبى أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاء كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج وحده لزدناعليهم والله أعلم وقد مضى القول فى ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأنا قائل ان شاء الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

(ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن)

(حكى) عن أبى عبد الله النميرى انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كأنها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فاحتمل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدركنى فاها قد غلبنى فوها الاطاقة لى بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أى العرب أنت قالت أنا من بنى كلاب قال وما الذى حملك أن تكونى من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام عبر لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أى الناس أنت فقال أو عندك علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أى مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا من تهامة به مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أى كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها فى المكرمات يدا من تهامة به كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أى قريش قال من أجملها ذكرا وأعظمها خفرا من تهامة قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بنى هاشم قال أنا من بنى هاشم قالت من أى هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة من تهامة به هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لا تزوجن بهذه الجارية لانها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هنالك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهى والدة ولده العباس والله أعلم

(وحكى) ان هذه ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فانفذ اليها يخطبها ويبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد أبيها المعسرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى

وكان المنصور قد وضع فى أساس البيت ما لها شرع فى عمارته وأعده لهذا المعنى ولما جلس فيه عمه أجرى الماء فى أساس البيت مرارا بحيث لا يشعر به أحد فذاب الملح وسقط البيت وركب المنصور بعد موت عمه وفى خدمته عباس ابن المتوفى وكان يباسطه فى كل وقت فقال له المنصور وهو يحادثه هل تعرف ثلاثة فى أول أسمائهم عين قتلوا ثلاثة فى أول أسمائهم عين قال لا أعرف الا ما تقول العامة يا أمير المؤمنين ان عليا قتل عثمان وكذبوا والله وعبد الملك بن مروان قتل عبد الله ابن الزبير وسقط البيت على عم أمير المؤمنين قال فضحك المنصور وقال اذا سقط البيت على عمى فماذنبى قال قلت ما الذنب يا أمير المؤمنين وقتل عبد الله كان بسبب البيعة التى تقدمت له مع السفاح وشرحها يطول انتهى (ونقلت من خط قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان ما صورته) نقلت من خط القاضى كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه أن ابن الدقاق البلنسى الشاعر المشهور كان بسهر الليل ويستغل بالأدب وكان أبوه حدادا فقيرا فسلامه وقال يا ولدى نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فانفق انه برع فى العلم والادب وقال الشعر وهمل فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة مطربة أولها

يا شمس خدر ما لها مغرب
ويدرتم قط لا يحجب

وقال منها

ناشد تك الله نسيم الصبا
أين استقرت بعد نا زينب
لم تسر الا بشذا عرفها
أولا فماذا النفس الطيب

العراق فأقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها فى بعض الايام وهى تنظر فى المرآة وتقول

وماهند الامهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل

فان ولدت فلا لله درها * وان ولدت بغلا فحق لها البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم وهى التى كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا ولا فاندمنا وهذه المائتا ألف درهم التى جئت بها بشارة لك بخلاصى من كاب بنى ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلى الاناء بحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لأحل العقد الا بشرط فان قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملى من المعرة الى بلدك التى أنت فيها ويكون ما شياحافيا بجليته التى كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الامر ولم يخالف وأنفذ الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند فى محمل الزفاف وركب حولها جوارى وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتوا غد عليه وتضحك مع الجفاء دايتها ثم انها قالت للجفاء يا دايتا كشفى لى عن جوف المحمل فكشفته فوقع وجهها فى وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشد يقول

فان تضحكى منى فياطول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول

وما نلت الا ذا أراحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نسب

فالمال مكتسب والعز مجتمع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض ونادت يا جمال انه قد سقط منادرهم فارفعه اليها فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت فى بعض النسخ ما هو أوسع من هذا ولكن اقتصرت على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها وقال لولاها خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بأنفها الاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع منى ما أقول فقال قولى فأنشدت تقول

ماسلم الظبى على حسنه * كلا ولا البدر الذى يوصف

الظبى فيه خنس بين * والمدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها * وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة فى الجمال فائقة فى الكمال غير انها كانت تعرج برجلها فقال لولاها خذ بيدها وارجع بها ولا عرج بها لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه فى وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فأعجبه سرعة جوابها وأمر بشرائها * ومن ذلك * ما حكى ان كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فعبر يوما تحت جوسق بستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع أحد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد الى منزله وأرسل اليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عزبا وكتب اليها رقعة يعرض اليها بالزيارة فى جوسقها فلما

فأطلق له ثلثمائة دينار فجاء الى أبيه وهو جالس فى حانوته متكئ على صفته فوضعها فى حجره وقال خذ هذه وابتع بها بزا انتهى

(حكى عن عبد العزيز بن الفضل) قال خرج القاضى أبو العباس أحمد ابن عمر بن شريح وأبو بكر بن داود وأبو عبد الله نفطويه الى وليمة فأفضى بهم الطريق الى مكان ضيق فأراد كل منهم تقديم صاحبه عليه فقال ابن شريح ضيق الطريق يورث سوء الادب فقال ابن داود لكنه تعرف به مقادير الرجال فقال نفطويه اذا استحكمت المودة بطلت التكاليف (وحكى عن شريح جد أبى العباس المشهور بالصلاح الوافر) انه كان أعجميا لا يعرف بلسان العرب شيأ فاتفق له انه رأى البارئ عز وجل فى النوم فحادثه وقال يا شريح طلبكن فقال ياخداى سار بسار وهذا لفظ أعجمى معناه بالعربى يا شريح اطلب فقال يارب رأسا برأس كما يقال رضيت أن أخلص رأسا برأس (ومن لطائف المنقول) انه كان بالعقبة ظاهر دمشق المحروسة خان تجمع فيه أسباب الملاذ ويتفق فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا يوصف فرفع ذلك الى أبى الفتح موسى بن أبى بكر العادل بن أيوب الملقب بالاشرف فهدمه وعمره جامعا وسماه الناس جامع التوبة كأنه تاب الى الله وأناب عما كان فيه وجرت فى خطابته نكتة لطيفة وهى انه كان بمدرسة الشام التى خارج البلد امام يعرف بالجمال قيل انه كان فى زمان صباه يلعب بشئ من الملاهى وهى التى تسمى

قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت اليه مع العجوز عنبرا وجعلت فيه زر ذهب وربطت ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعة فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير فى أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت أباها متحيرا فى ذلك قالت له يا أبت أنا علمت معناه قال وما هو لله درك قالت

أهدت لك العنبر فى جوفه * زر من التبر خفى اللمام

فالزر والعنبر معناهما * زر هكذا محتفيا فى الظلام

قال فعجب من فطنتها واستحسن ذلك منها ﴿وحكى﴾ ان طائفة من بنى تميم كانوا يكسرون أول الفعل فمرت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فناداها شخص منهم وأراد أن يوقعها فيما ينسب اليهم من كسر الفعل فقال لأى شئ يا بنى تميم ماتكتمون فقالت ولم لا نكتمنى وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل ان شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيأ من العروض قال نعم قالت قطع لى

حولوا عنا كنبستكم * يا بنى حمالة الحطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت أصحابه فقال ويحك لم تبرحى حتى أخذت بثارك ﴿وحكى﴾ ان شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق اذ هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتنى امض الى دارى وقف بالباب وقل * ألا أيها البنتان ان أبا كما * فقال سمعا وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى الدار وقف بالباب وقال * ألا أيها البنتان ان أبا كما * وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل * ألا أيها البنتان ان أبا كما * أجابتاه بفم واحد * قتيل خذا بالثار ممن أتاكما * ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم فاستقرره فأقر بقتله فقتله والله أعلم * وقيل بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذ هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشى فقال لها تنحى عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

ومارونة بالحسن طيبة الثرى * يميع الندى جثمانها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك ياهذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلى ومثل أملك لطاب ريحها لم لا قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ماجئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا * وقيل أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لاصحابه ما تقولون فيها فقالوا عاجلها بالقتل أيها الامير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك يا حجاج قال ومن هو صاحبى قالت فرعون استشارهم فى موسى عليه السلام فقالوا أرجئه وأخاه * وأتى بأخرى من الخوارج لتجعل يكلمها وهى لا تنظر اليه فقيل لها الامير يكلمك وأنت لا تنظرين اليه فقالت انى لا أستحيى ان أنظر الى من لا يستحيى ان ينظر الله اليه (وحكى) ابن الجوزى فى كتابه المنتظم فى مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما ولى عمر رضى الله عنه الخلافة بلغه أن أصدقة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم وان فاطمة رضى الله عنها كان صداقها على بن أبى طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم فأدى اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضى الله عنها فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا فى مهور النساء على أربعمائة درهم فمن زاد ألقيت زيادته فى بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه فقامت امرأة فى يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل جاءت امرأة الى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان فى مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا أمير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها فى أمر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت

الجفانة ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدودا فى الاخيار فلما احتاج الجامع المذكور الى خطيب رشح جانبه للخطابة لكثرة الثناء عليه فتولاها فلما توفى تولى بعده العماد الواسطى الواعظ وكان متهما باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الملك الصالح عماد الدين اسمعيل بن العادل أيوب فكاتب اليه الجمال عبد الرحيم المعروف بابن روتينه أبياتا وهى هذه

ياملبكا أوضح السحق لدينا وانه
جامع التوبة قد حملنى منه أمانه
قال قد الملك الصالح أعلى الله شانه
ياعماد الدين يامن * حمد الناس زمانه
كم الى كم أنا فى بؤ * س وضر واهانه
لى خطيب واسطى
يعشق الشرب دنانه
والذى قد كان من قبـ ـل يغنى بجفانه
فبكا نحن ومازلـ ـنا ولا أبرح حانه
زدنى للنسمط الاو ـل واستبق زمانه

(ومن لطائف المنقول) ان بثينة وعزة دخلتا على عبد الملك بن مروان فانحرف الى عزة وقال أنت عزة كثيرة قالت لست لكثير بعزة لكننى أم بكر قال أتروين قول كثير

وقد زعمت انى تغيرت بعدها
ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
قالت لست أروى هذا ولكننى أروى قوله
كأنى أنادى اذ أكلم صخرة
من الصم لو تمشى بها العصم زلت

ثم انحرف الى بثينة فقال أنت بثينة جميل قالت نعم يا أمير المؤمنين قال ما الذى رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين قالت الذى رأى النساء فيك

كلامها الحكم بينهما فقال كعب على بزوجها فاحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال أفي أمر طعام أم شراب قال بل في أمر مباعد ذلك اياها عن فراشك فأنشأت المرأة تقول

يا أيها القاضي الحكيم انشده * الهي خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليـــــله لا يرقده * فلست في أمر النساء أحمده

فأنشد الزوج يقول زهدني في فرشها وفي الحلل * اني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تخويف جعل

فقال له القاضي ان لها عليك حقا لا بد * في أربع نصيبها من عمل
* فما طهاذاك ودع عنك العلل *

ثم قال ان الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا أدري من أيكما أعجب أمن كلامها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة

﴿ حكاية ﴾ المتكلمة بالقرآن قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق اذ أنا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضلت عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سوي فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني ويسقين فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم تجد واماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيح لنا الافطار في السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلمينني مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك عنه مسؤولا فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت ناقتي قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فرقت لها بما فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبري حتى أعقلها قالت ففهمنا ها سليمان فعقلت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت اقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها قد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشيبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم المجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها

فجعلوك خليفتهم قال فضحك حتى بدا له ضرس أسود ولم ير قبل ذلك وفضل بثينة على عزة في الجائزة ثم أمرهما أن يدخلا على عاتكة فدخلتا عليها فقالت لعزة أخبريني على قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان دينه وما كنت وعدتيه قالت كنت وعدته قبلة ثم تأثمت منها قالت عاتكة وددت انك فعلت وأنا كنت تحملت اثمها عنك ثم ندمت عاتكة واستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة انتهى (وبحجبني قول اسامة ابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره)

انظر الى الايام كيف تسوقنا
قسرا الى الاقرار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره
نارا وكان حريقها بالنار

قلت ومما يناسب هذه الواقعة ان الوجيه بن صورة المصري دلال الكتب بمصر كان له دار موسوقة بالحسن فاحترقت فعمل فيها انشوا لملك المعروف بابن النجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة
وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوس
فعما قليل في نهابر يعدم
وما هو الا كافر طال عمره
لجاءته لما استبطأته جهنم

قلت وهذه اللطائف تضارع قصة أبي الحسين الجزار مع بعض أهل الادب بمصر وكان شيخا قد ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت فلما مع أبو الحسين الجزار بذلك كتب اليه

أيها السيد الاديب دعاه
من يحب خال عن التنكيت

الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن في الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وماجرى بجرى ذلك﴾

(قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يامعن نعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا ياأمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازالت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
تمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يامعن وأمر له بالجوائز والخلع * ووفد بن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولاتدفنني في الفلاة فانني * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذي يقول أبي

لاتسأل الناس ماليا وكثرته * وسائل الناس ماجودي وماخلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس أني من سراتهم * اذا هما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) أخذ عبد الملك بن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثي فقال له ألست القائل

ومنا شريد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك مناداة ذلك فكان ذلك سببا لنجاته ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك ومالله من شريك وان أبالك الاعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية ومامعاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن أمية وما أمية الا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

أيشتمني معاوية بن حرب * وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوث * ضراغمة تهش الى الطعان
مربعر بالدمامة من سفاه * وربات الحجال من الغواني

ودخل يزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا أجرك رسنه وأولاك أمانته فقال يا أمير المؤمنين زايتني والامر لك وهو عني مدبر فلو رأيتني وهو علي مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت واستعظمت مني ما استحقرت فقال سليمان أترى الحجاج استقر في جهنم فقال يا أمير المؤمنين لأثقل ذلك فأن الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان * وقال يزيد لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال علي كرم الله وجهه ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة * ووجد الحجاج على منبره مكتوبا فلم يتمتع بكفر قليلا انك من أصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور * ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ثم قال له أنتم معشر بني هاشم تصابون في انك شيخ وقد قربت من النا
رفكيف ادهنت بالكبريت
(قيل) ان أبا القاسم الزعفراني مدح الصاحب بن عباد بقصيدة نونية وانتهى الى قوله منها
وحاشية الدار يمشون في
صنوف من الخز الا أنا
فقال الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيباني ان رجلا قال له احلني أيها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ثم قال لو علمت ان الله سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمر نالك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا من الخز لاعطيناكه (وبلغ) حديث معن المذكور للعلاء بن أيوب فقال رحم الله ابن زائدة لو كان يعلم ان الغلام يركب لامر له به ولكنه كان عربيا خالصا لم يدنس بقاذورات الاعاجم انتهى (قيل) ان بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب وكان جرير الحكم شعراء الاسلام في الاربعة فالفخر قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

(والمديح قوله)

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

(والهجا قوله)

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(والنسيب قوله)

ان العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله انسانا

(وقال أبو عبيدة) التقى جرير

أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم * وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فأقبل عليهم وقال يا بني هاشم ان خيري لكم لمفتوح وان بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم ولا يرد بابي دونكم ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمر المختلفا انكم ترون أنكم أحق بما في يدي مني واذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حمد له هذا مع انصافي قاتلكم واسعفي سائلكم قال فاقبل عليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال والله ما منحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك لخير الله أوسع منك ولئن أغلقت دوننا بابا لنكفن أنفسنا عنك وأما هذا المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر أكفالك أم أزيدك قال كفالي يا ابن عباس * وقال معاوية يوما أيها الناس ان الله حيا قريشا بثلاث فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين ونحن عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى لايلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معاوية فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وأنتم قومه وقال تعالى لما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وأنتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه ثلاثة ثلاثة ولو زدتنا زدناك * وقال معاوية أيضا لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال اجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه * وقال يوما لجارية ابن قدامة ما كان أهون ك على قومك اذ سموك جارية فقال ما كان أهون ك على قومك اذ سموك معاوية وهي الانثى من الكلاب قال اسكت لا أم لك قال أم لي ولدتني أما والله ان القلوب التي أبغضتك بها لبين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادنا وانك لم تملكنا قسوة ولم تملكنا عفوة ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا فأعطيناك سمعا وطاعة فان رفيت لنا وفينا لك وان نزعت الى غير ذلك فانا تركناوراءنا رجالا اشدادا وأسنة حدادا فقال معاوية لا أكثر الله في الناس مثلك يا جارية فقال له قل معروفا فان شر الدعاء محيط بأهله * وخطب معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلومونني اذا قصرت في عطايا كم فقال له الاحنف وانا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال حين هتك ستر ك (ومن ذلك) ما حكي ان الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك مأوى العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أو تعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح قال اني أخاف أن تدركه رقة فيسجد * وقالت عجوز لزوجها أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب قال أما حلال فنعم وأما طيب فلا * وقال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال أدب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد * وتنبأ رجل في زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبي سفلة فقال جعلت فداك كل نبي يبعث الى شكله (ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة) ماذكر أن ابراهيم مغني الرشيد غنى يوما بين يديه فقال أحسنت أحسن الله اليك

والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى

فخارا فأخبرني بما أنت فاخر

فقال له جرير بلبيك اللهم لبيك قال أبو عبيدة أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه قيل لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد الشعراء اليه وأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء بن حياة وكان جليس عمر فلما رآه جرير دخلا وقام اليه وأنشده

يا أيها الرجل المرخي عمامته

هذا زمانك فاستأذن لنا عمر

فدخل عليه ولم يذكر له شيأ من أمرهم ثم مر بهم عدي بن ارطاة فقال جرير أبيات آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لعلت مغفرة

قد طال مكثي عن أهلي وأرطاني

قال فدخل عدي على عمر فقال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة قال ويحك يا عدي مالي وللشعراء قال أعزك الله أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى ولك في رسول الله عليه الصلاة والسلام اسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلة فقطع بها لسانه قال أو تروي من قوله شيأ قال نعم قوله

رأيتك يا خير البرية كلها

نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا

عن الحق لما أصبح الحق مظلما

ونورت بالبرهان أمرا مدلسا

وأطفأت بالاسلام نارا تضرما

فمن مبلغ عن النبي محمدا

وكل امرئ يجزى بما كان قدما

فقال له يا أمير المؤمنين اغمايحسن الله الى بك فأمر له بمائة ألف درهم * وقال رجل لبعض العلوية أنت بستان فقال العلوى وأنت النهر الذى يسقى منه البستان * وذبحت عائشة رضى الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأفضلت منها كتفا فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ما عندك منها فقالت ما بقى منها الا كتف فقال كلها بقى الا كتفا وقال عبد الله بن يحيى لأبى العيناء كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف أنت لنا فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو بن سعد بن سالم فى حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمرو من أنت قال عمرو وعمرك الله ابن سعد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله قال أنت تكلؤنا الليلة قال الله يكلؤك يا أمير المؤمنين وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

ان أخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دينار قال عمرو وددت لو أن الابيات طالت * وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبى صغير أرأيت يا فتح أحسن من هذا الفص لفص كان فى يده قال نعم يا أمير المؤمنين اليد التى هو فيها أحسن منه فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة وقيل ان رجلا سأل العباس رضى الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد ابن مرة الكندى أأنت سعيد قال أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة وقال المأمون للسيد بن أنس أأنت السيد قال أمير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس * وقال الحجاج للمهلب وهو يعاشيه أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة أراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكنى اقتصرت على هذا وأوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية واسأل الله تعالى العون والعناية

﴿الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء ومرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الاجواد﴾

قيل خطب المأمون فقال عباد الله اتقوا الله وأنتم فى مهل بادروا الاجل ولا يغرنكم الامل فكفانى بالموت قدر تزل فشغلت المرء شواغله وفوت عنه فواصله وهيئت أكفانه وبكاه جيرانه وصار الى التراب الخالى بجسده البالى فهو فى التراب عفير والى ما قدم فقير وقال الشعبى ما سمعت أحدا يخطب الا تمنيت أن يسكت مخافة أن يخطئ ما خلا زيادا فانه لا يزداد الا كثارا الا ازداد احسانا (وخطب) على رضى الله عنه فقال فى خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان أقمتم أخذكم وان فررتم منه أدركم كالموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر ألا وان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وانه يتكلم فى كل يوم ثلاث كلمات فيقول أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر وحر هاشد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين أدخلنا الله وإياكم دار النعيم وأجارنا وإياكم من العذاب الاليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال فى بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن رضى الله عنه خطب بالبصرة فقال أيها الناس كل كلام فى غير ذكر فهو لغو وكل صمت فى غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن فى أضغاث أحلام قيل احتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء ليبعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار الى

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه
وكان قديما ركنه قد تهدما
فقال عمرو يا لك يا عدى من بالباب منهم قال عمر بن أبى ربيعة قال أليس هو الذى يقول
ثم نبهتها فقمت كعابا
طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها بعد قالت
ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام
فلو كان عذر الله اذ فجرتم على نفسه لكان استره لا يدخل والله على أبدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال أوليس الذى يقول
هما دليانى من ثمانين قامة
كما انقض بازأقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا
أحى فيرجى أم قتيل نحاذره
لا يدخل على والله فمن بالباب سواه قال الاخطل قال يا عدى هو الذى يقول
ولست بصائم رمضان طوعا
ولست بآكل لحم الاضاحى
ولست بزائر بيتا عتيقا
الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتا عتيقا
بمكة أبتغى فيه صلاحى
ولست بقائم بالليل أدعو
قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا
وأسجد عند مبتلج الصباح
والله لا يدخل على وهو كافر أبدا فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاخوص قال أليس الذى يقول
الله بينى وبين سيدها
يفرمنى بها وأتبعه
فما هو دون من ذكرت فمن هنا أيضا قال جميل بن معمر قال أليس هو الذى يقول
الا ليتنا نحيا جميعا وان أمت
يوافق فى الموتى ضريحى ضريحها

معاوية ثم قال فان يهلك فهذا وأشار الى يزيد ثم قال فمن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال له معاوية أنت سيد الخطباء

﴿فصل فى ذكر الشعر والشعراء ومراقاتهم﴾ قيل ما ابتدعى شارد الشعر مثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخصر الخالى ﴿وقيل أمسك على النابغة الجعدى أربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بنى جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا أسرمنا بالظفر بعدونا * وقال أبو نواس ماقلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى فحاظ ذلك بالرجال وقال الخليل الشعراء أمراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه مالا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال أفرضت القريض قال نعم قال أرويت الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أباز ياد بارك الله لك فى أبيك فأروه الشعر فقد وجدته كاملا وانى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول أرووا الشعر فانه يدل على محاسن الاخلاق ويقى مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بمعرفان النسب وتعلموا من النجوم مايدلكم على سبلكم فى البر والبحر ولقد هممت بالمخزوم صفين فما ثبتنى الا قول القائل

أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

وقيل لم يرقط أعلم بالشعر والشعراء من خلفى الاحمر كان يعمل الشعر على السنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة وبذل له بعض الملوك مالا جزيلا على أن يتكلم فى بيت من الشعر شكوا فيه فأبى * وكان الحسن بن على رضى الله عنه يعطى الشعراء فقيل له فى ذلك فقال خير مالك ماوقيت به عرضك وقال أبو الزناد مارأيت أروى للشعر من عروة قلت له ما أر والذيا أبا عبد الله فقال ومار وايتى مع رواية عائشة رضى الله عنها ما كان ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول القائل كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا ولم ينطق به موزونا فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه أشهد أنك رسول الله حقا وتلا قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له (ولنذكر نبذة من مراقات الشعراء وسقطاتهم)* (فمن ذلك) قول قيس بن الخطيم وهو شاعر الاوس وشجاعها

وما المال والاخلاق الا معارة * فما استطعت من معروفها فتزود

وكيف يخفى ما أخذ مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهى معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ما الايام الا معارة * فما استطعت من معروفها فتزود

(ومن ذلك) قول عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

أخذه من قول امرئ القيس

فلو أنها نفس تموت شريتها * ولكنها نفس تساقط أنفسا

ويقال من سرق شيأ واسترقه فقد استحقه وهو أن يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ * فمن السرقة الفاحشة قول كثير فى عبد الملك بن مروان

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد درين نسؤها

أخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروى

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها لؤلؤ وشنوف

وجرير على سعة تجره وقدرته على غرر الشعر وابتكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وتر ويه النسوان وهو

فلو كان عبد الله عمى لقاومانى الدنيا لعمل بعد ذلك صالحا لكان أصلح والله لا يدخل على أبدا فهل سوى من ذكرت أحد قال جرير قال أما هو الذى يقول

ترفقن صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان لا بد فهو الذى يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فأنشده قصيدته الرائية المشهورة التى منها

والله نرجو اذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر

نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

هذى الارامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

الخير مادمت حيا لا يفارقنا ويوركت يا خير الخيرات من عمر

فقال يا جرير ما أرى لك فيما ههنا حقا قال بلى يا أمير المؤمنين انى ابن سبيل ومنقطع فقال له ويحك يا جرير وقد ولينا هذا الامر ولا غلك الا ثلثمائة درهم فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله ياغلام أعطه المائة الباقية قال فأخذها جرير وقال والله لهى أحب الى مما اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك فقال ما يسوءكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عليه لراض وأنشد

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(ومن لطائف الظرف) ماحدث ابراهيم بن المهدى قال قال لى جعفر يوما انى استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل أنت مساعدى فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمعاونتك قال

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء لم يخلد

وقد قال الشماخ وأمر ترجى النفس ليس بنافع * وآخر تخشى ضيرها لا يضيرها

وهو مأخوذ من قول الآخر ترجى النفوس الشيء لا تستطيعه * وتخشى من الاشياء ما لا يضيرها

وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول

وأحسن من نور تفتحه الصبا * بياض العطايا في سواد المطالب

أخذه من قول الاخطل

رأيت بياضا في سواد كأنه * بياض العطايا في سواد المطالب

﴿ومن سقطات الشعراء﴾ ماقيل ان أبا العتاهية كان مع تقدمه في الشعر كثير السقط روى أنه لقي محمد بن مبادر بمكة فمازحه وضاحكه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة في كل سنة وأنا أقول في كل سنة مائتي قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال ماهذا الذي يقول أبو العتاهية فقال يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول

ألا ياعتبة الساعه * أموت الساعة الساعه

لقلت كثيرا ولكني أقول

ابن عبد الحميد يوم توفي * هدر كاما كان بالمهدود

مادر نعشه ولا حاملوه * ماعلى النعش من عفاف وجود

فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا * وكان بشار بن برد يسمونه أبا المحدثين ويسلمون اليه في الفضيلة والسبق وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع ذلك قال

انما عظم سليمى حبتي * قصب السكر لا عظم الجمل

واذا أدنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله اذا قامت لمشيتها تثنت * كان عظامها من خيزران

ومع قوله في الفخر كان مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومع قوله أيضا اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وأبو الطيب المتنبي في فضله المشهور وأخذه بزمام الكلام وقوته على رقائق المعاني وعلى مافي شعره من الحكم والامثال السائرة يقول

وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وغير شيء معناه المعدوم والمعدوم لا يرى فهذا سقط فاحش ومما يستهجن من قوله وتكاد أن تعمه الاسماع قوله

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا * فلا قل عيش كلهن قلاقل

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى

ان كان مثلك كان أو هو كائن * فبرئت حينئذ من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله

ونهب نفوس أهل النهب أولى * بأهل المجد من نهب القماش

أخذه من قول أبي تمام

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

قال أبو عبد الله الزبيري اجتمع رواية جرير ورواية كثير ورواية جميل ورواية الاحوص ورواية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي أشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنهم بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكروا لها أمرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذي يقول

فبكر الى بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه وهو ينتظرني للميعاد فصلينا ثم أفضينا الى الحديث وقدم الطعام فأكلنا فلما غسلنا أيدينا خلعت علينا ثياب المنادمة ثم ضمخنا بالخلوق ومدت الستائر ثم انه ذكر حاجة فدعا الحاجب فقال اذا أتى عبد الملك فأذن له يعني قهرمانه فاتفق ان جاء عبد الملك بن صالح الهاشمي شيخ الرشيد وهو من جلالة القدر والورع والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان الرشيد قد اجتهد أن يشرب معه قدحا واحدا فلم يقدر عليه ترفعا لنفسه فلما رفع الستر وطلع علينا سقط في أيدينا وعلمنا أن الحاجب قد غلط بيننا وبين عبد الملك القهرمان فأعظم جعفر ذلك وارتاع له ثم قام اجلالا له فلما نظر الى تلك الحال دعا غلامه فدفع اليه سيفه وعمامته ثم قال اصنعوا بنا ماصنعتم بأنفسكم قال فجاء اليه الغلمان فطرحوا عليه الثياب الحرير وضمخوه ودهنوه بالطعام فطعم وشرب ثلاثا ثم قال ليخفف عني فانه شيء ماشربته والله فتهلل وجه جعفر وفرح ثم التفت اليه فقال جعلت فداءك بالغت في الخير والفضل فهل من حاجة تبلغ اليها قدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها مكافأة لما صنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين على غضبا فتسأله الرضى عني فقال له جعفر قد رضي أمير المؤمنين عنك ثم قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال هي لك حاضرة من مالي ومن مال أمير المؤمنين مثلها ثم قال وابني ابراهيم أحب ان أشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين ابنته

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

وأى ساعة أحلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلى بسلام ثم قالت راوية كثير أليس صاحبك الذى يقول

يقر بعينى مايقر بعينها * وأحسن شئ مابه العين قرت

وليس شئ أقر بعينها من النكاح أيعجب صاحبك ان ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت راوية جميل أليس صاحبك الذى يقول

فلو تركت عقلى معى ماطلبتها * ولكن طلابها لما فات من عقلى

فما أراه هوى وانما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت راوية نصيب أليس صاحبك الذى يقول

أهيم بدعد ماحييت فان أمت * فواحزنى من ذا يهيم بها بعدى

فما له همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلا قال

أهيم بدعد ماحييت فان أمت * فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية الاحوص أليس صاحبك الذى يقول

من عاشقين تواعدا وترا سلا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تثن على واحد منهم وأجمع رواتهم عن جوابهم رضى الله عنها (وروى) ابن الكلبى قال لما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فى الدخول حتى قدم عدى بن ارطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا أيها الرجل المزجى مطيته * هذا زمانك انى قد خلا لزمنى

أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * أنى لدى الباب كالمشدود فى قرن

لا تنس حاجتنا لا قيت مغفرة * قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

فقال نعم يا أبا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضى الله عنه مالى وللشعراء فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فأعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فن بالباب منهم قال ابن عمك عمر ابن أبى ربيعة القرشى قال لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه أليس هو القائل

ألا ليتنى فى يوم تدنو منيتى * شممت الذى مابين عينيك والفم

وقبلت طهورى كان ريقك كله * وليت حنوطى من مشاشك والدم

وياليت سلمى فى القبور ضجيعتى * هنالك أوفى جنة أو جهنم

فليته عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذرى قال أليس هو القائل

ألا ليتنا نحيا جميعا فان نمت * يوفى لدى الموتى ضريحى ضريحها

فما أنا فى طول الحياة براغب * اذا قيل قد هوى عليها صفيحها

أظل نهارى لا أراها وتلتقى * مع الليل روحى فى المنام وروحها

والله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال أليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

أبعده الله فوالله لا يدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصارى قال أبعده الله

العالية قال وأحب ان تخفق على رأسه الالوية قال قد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك ابن صالح قال ابراهيم بن المهدى فبقيت متحيرا متعجبا من اقدام جعفر على أمير المؤمنين من غير استئذان وقلت عسى ان يجيبه فيما سأل من الرضا والمال والولاية ولكن من أطلق لجعفر أو لغيره تزويج بنات الرشيد فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لارى ما يكون فدخل جعفر فلم يلبث حتى دعا بأبى يوسف القاضى وابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية بين يديه وحملت البدر الى منزل عبد الملك وخرج جعفر فأشار الينا فقال تعقلت قلوبكم بحديث عبد الملك فأحببتم علم آخره لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك وكان متكئا فاستوى جالسا وقال ايه ولله أبوك فقلت سألنى فى رضا أمير المؤمنين قال فيم أجبت قلت قد رضى أمير المؤمنين عنك قال قد رضيت ثم ماذا قلت وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار قال فيم أجبته قلت قد قضاها أمير المؤمنين عنك قال قد قضيت قلت وذكر أنه راغب فى أن يشد ظهر ولده ابراهيم بصهرك قال فيم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال قد أمضيت ذلك ثم ماذا لله أبوك قلت وذكر انه يشتهى أن تخفق على رأس ولده ابراهيم الالوية قال فيم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين

والله لا دخل على أبدا أأليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية ثم حتى هرب بها منه

الله بيني وبين سيدها * يفرمني بها وأتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل يفتخر بالزنا في قوله

هما دليانى من ثمانين قامة * كما انقض بازلين الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى فيرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الاحراس لا يفطنوا بنا * ووليت فى أعقاب ليل أبادره

والله لا دخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبى قال أليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمرى * ولست بآكل لحم الاضاحى

ولست براجر عسا بكورا * الى الطلال مكة بالنجاح

ولست بقائم كالعبد يدعو * قبيل الصبح حى على الفلاح

ولكنى سأشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عنى فوالله لا دخل على أبدا ولا وطئ لى بساطا وهو كافر فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال أليس هو القائل

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهذا فأذن له قال عدى بن ارطاة فخرجت فقلت ادخل يا جرير فدخل وهو يقول

ان الذى بعث النبى محمدا * جعل الخلافة فى الامام العادل

وسع الخلائق عدله ووقاره * حتى ارعوا واقام ميل المائل

انى لارجوه منه نفعا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

والله أنزل فى الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فأنشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

ممن يعد لك يكفى فقد والده * كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر

أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت * أم قد كفانى ما بلغت من خبرى

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر

ان الخلافة جاءته على قدر * كما أتى ربه موسى على قدر

هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

الخير مادمت حيا لا يفارقنا * يوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال والله يا جرير لقد وافيت الامر ولا أملك الا ثلاثين دينارا فعشرة أخذها عبد الله ابنى وعشرة أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله يا أمير المؤمنين انها لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ورائى ما يسوءكم خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانثنى عنه راضى ثم انشأ يقول

رأيت رقى الجن لا يستفزه * وقد كان شيطانى من الجن راقيا

﴿ ومما جاء فى كبوات الجياد وهفوات الاجواد ﴾

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته قلت عثراته وقالوا كل صارم ينبو وكل جواد يكبو وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدله سقطة وهوان عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال يا أبا بحر ما كان أبوك فى قومه قال كان أوسطهم وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا فقال انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان أبوك قال كانت له فتوة ومروأة ومكارم أخلاق ولم يكن

مصر قال فتوليته فأحضر ابراهيم والقضاة والفقها وأتمله جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ما أدرى أيهم أكرم وأعجب ما ابتداه عبد الملك من الموافقة وشرب الخمر ولم يكن شربها قط ولباسه ما ليس من لبسه من ثياب المنادمة أم اقدام جعفر على الرشيد بما أقدم أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه (ومن لطائف المنقول) ما حكى عن أبى معشر البلخى المنجم الامام المصنف صاحب التصانيف المفيدة فى علم النجوم قيل انه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وان ذلك الملك طلب رجلا من اتباعه وأكابر دولته لبعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم ان أبا معشر يدل عليه بالطريقة التى يستخرج بها الخبايا والاشياء الكامنة فأراد ان يعمل شيأ حتى لا يهتدى اليه ويبعد عنه حديثه فأخذ ستا وجعل فيه دما وجعل فى الدم هاونا وذهب وقعد على الهاون أياما وتطلبه الملك وبالغ فى الطلب فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وطلب اظهاره فعمل المسئلة التى يستخرج بها وسكت زمانا طائرا فقال له الملك ما سبب شكوتك وحيرتك فقال أرى شيأ عجيبا فقال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل فى بحر من دم ولا دم ولا أعلم فى العالم موضعا على هذه الصفة فقال له أعد نظرك ففعل ثم قال ما أرى الا ما ذكرت وهذا شئ موقع لى مثل فلما أيس الملك من تحصيله نادى فى البلد بالامان للرجل ولمن اخفاه فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدى الملك فسأله عن الموضع الذى كان فيه

فأخبره بما اعتمد عليه فأعجبه حسن احتياله فى اخفاء نفسه ولطافة أبى معشر المنجم فى استخراجه وله غير ذلك من الاصابات (قال قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان وعما يناسب هذا من فطن المتطببين ما رواه الحسين بن ادريس الحلوانى قال سمعت الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه يقول ما أفلح سمين قط الا أن يكون محمد بن الحسن قيل له ولم ذلك قال لانه لا يعدو العاقل احدى خلتين اما ان يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد ثم قال وكان بعض ملوك الارض قديما كثير الشحم لا ينتفع بنفسه فجمع الحكماء وقال احتالوا لى بحيلة يخف عنى لحمى هذا قليلا قال فما قدروا له على شئ فجاء رجل عاقل لبيب متطبب فقال عالجنى ولك الغنى قال أصلح الله الملك أنا طبيب منجم دعنى حتى أنظر الليلة فى طالعك لأرى أى دواء يوافقه فلما أصبح قال أيها الملك الامان فلما أمنه قال رأيت طالعك يدل على انه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فان اخترت عالجتك وان أردت بيان ذلك فاحبسنى عندك فان كان لقولى حقيقة فعل عنى والا فاقتص منى قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما فكلما انسلخ يوم ازداد هما وغما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمان وعشرون يوما فبعث اليه وأحضره فقال ماترى فقال أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب والله انى لأعلم عمرى فكيف أعلم عمرك ولكن لم يكن عندى دواء الا الغم فلم اقدر اجلب اليك الغم الا بهذه الحيلة فان الغم يذيب

اهتم سلاجا وقال سعيد بن المسيب ما فاتنى الاذان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد وقال قتادة ما نسيت شيأ قط ثم قال يا غلام ناولنى نعلى قال النعل فى رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بنى أمية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها ان الحادى حدا به يوما فقال

ان عليك أيها النجى * أكرم من يمشى به المطى

فقال هشام صدقت وذكر عنده سليمان أخوه فقال والله لا شكونه يوم القيامة الى أمير المؤمنين عبد الملك ولما ولى الخلافة قال الحمد لله الذى أنقذنى من النار بهذا المقام قال النابغة أى الرجال المهذب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى التوكل على الله تعالى﴾ قال الله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من دعانى أجبته ومن استعاننى أعنته ومن استنصرنى نصرته ومن توكل على كفيته فأنا كافى المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين (حكى) انه كان فى زمن هارون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما فأمر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففى بعض الايام رؤى عبد يصفق ويرقص ويغنى فحمل الى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله ذلك من دون الناس فقال ان سيدى عنده خزائن ولا نامتوكل عليه أن يطعمنى منها فلهذا أنا آناذ الا أبالى فأنا أرقص وأفرح فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكى) ان حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور وانات ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا الذكر الجوع فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لابيكم أن يذهب الى بيت ربه فى هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيأ ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولايمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فانه متناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ما تكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها الى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى عودت القوم بفضلك وأنك لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلنى معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا من أنت قال الامير بيابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها الى السماء وقالت الهى وسيدى سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا ثم انها أخذت كوزا جديدا ومألته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لامير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله

الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير ياسيدى لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئاً وأخبرت انهم البارحة باتوا جياعا فقال الامير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حمل الامير منطقته من وسطه ورمى بها فى الدار ثم قال لاصحابه من أحبنى فليلق منطقته فحمل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير ودفع اليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واسترد هاامنهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء انما يجب أن تفرحى فان الله قد وسع علينا فقالت يا أم والله انما بكائى كيف بتنا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى أحد طرفة عين اللهم انظر الى أبنائنا وديره بأحسن التدبير هذا ما كان من أمرهم * وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فانه لما خرج محرما والحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفى الامير من وقته فأمر له بمركب وما يأكل وما يشرب فتمام ثلاثة الليلة مفكرا فى أمر عياله فقيل له فى منامه يا حاتم ان أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغارقوم كبارقوم آخرين ان الله لا ينظر الى أكبركم ولكن ينظر الى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه * ومن كلام الحكماء من أيقن ان الرزق الذى قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم أن الذى قضى عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولاه خبره من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله . وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال ياغلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن تنفعك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام ﴿ورفع﴾ الى الرشيد أن بدمشق رجلا من بنى أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعانى الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق وخذ معك مائة غلام واثنى بفلان الاموى وهذا كتاب الى العامل لا توصله له الا اذا امتنع عليك فاذا أجاب فقيده وعاده بعد أن تحصى جميع ما تراه وما يتكلم به واذكرلى حاله ومآله وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولا فامتلئ يوما أو هممت قلت نعم قال فسر على بركة الله فخرجت أطوى المنازل ليلا ونهارا لا أنزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموى فاذا هى دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم وهيئة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلمان فيها جلوس فجمعت على الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عنى فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما صرت فى وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لى هو فى الحمام فأكرمونى وأجلسونى وأمر وابن معى ومن يحجبنى الى مكان آخر وأنا أنتقد الدار وأتأمل الاحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم على وسألنى عن أمير المؤمنين فأخبرته أنه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرت له أطعمة الفاكهة فقال تقدم يا منارة كل معنا فتأملت تأملا كثيرا اذ لم يكنى نقلت ما آكل فلم يعاودنى ورأيت مالم أره الا فى دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا ولا أعطر رائحة ولا أكثر آنية منه فقال تقدم يا منارة فكل قلت ليس لى به حاجة فلم يعاودنى ونظرت الى أصحابى فلم أجد أحدا منهم عندى لكثرة حفدته وعدم من عندى فلما غسل يديه أحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فأتم الركوع والسجود وأكثر من الركوع

الشهم فأجازه على ذلك وأحسن اليه غاية الاحسان وذاق حلاوة الفرح بعد مرارة الغم (قلت) ويحجبنى قول جعفر بن شمس الخلافة فى هذا المعنى

هى شدة يأتى الرخاء عقيبها
واسى يبشر بالسرور العاجل
واذا نظرت فان بؤسا عاجلا
للمرء خير من نعيم زائل

(ويعجبنى قوله وان كان فى غير مانحن فيه)

مدحتك ألسنة الانام مخافة
وتشاهدت لك بالثناء الاحسن
أترى الزمان مؤخرا فى مدتى
حتى أعيش الى انطلاق الالسن

(نادرة لطيفة) نقل عن قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه ان الجنيد قال ما انتفعت بشئ كانتفاعى بأبيات سمعتها قيل له وما هى قال مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغنى من دار وتقول هذه الابيات

اذا قلت أهدى الهجر لى حلل الاسى
تقولين لولا الهجر لم يطب الحب
وان قلت ما أذنبت قالت بحيلة
حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

صعقت وصحت فبينما أنا كذلك اذ خرج صاحب الدار فقال ما هذا ياسيدى فقلت له مما سمعت فقال انها هبة منى اليك فقلت قد قبلت وهى حرة لوجه الله تعالى ثم دفعها لبعض أصحابنا بالرباط فولدت منه ولدا نبيلا تولى على قديمنه ثلاثين حجة

(وذكر قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان فى ترجمة أبى على الفارسى) أنه كان يوما يسايره عضد الدولة ابن بويه فى ميدان سميران فقال له لم انتصب المستثنى فى قولنا قام القوم الا زيدا فقال الشيخ بفعل مقدر تقديره أستثنى زيدا فقال له

بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما أقدمك يا منارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص أصحابه وغلمانه وسائر عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلي وماشككت أنه يريد القبض علي فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر أيمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات يا منارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما سرنا في ظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط ويقول هذه الضيعة لي تعمل في كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرائب الأشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي منها كل سنة كذا وكذا فقلت يا هذا ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهلك أمرك حتى أنفذني خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب إليه ما تدري ما تقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيد فريدا وأنت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال أنا لله وأنا إليه راجعون لقد أخطأت فراستي فيك يا منارة ما ظننت أنك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوفور عقلك فإذا أنت جاهل عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفاء أما خرجي على ما ذكرت فإني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى فإن كان قد قضى على بأمر فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قد قدر الله علي بشيء فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من على وجه الارض على أن يضروني لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى ومالي ذنب فأخاف وانما هو اوش وشي عند أمير المؤمنين وبهتان وأمير المؤمنين كامل العقل فإذا اطلع على براءتي فهو لا يستحل مضرتي وعلى عهد الله لا كلمتك بعدها الا جوابا ثم أعرض عني وأقبل على التلاوة ومازال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض فقال هات يا منارة أخبرني من يوم خرجت عني الى يوم قدومك علي فابتدأت أحدثه بأموري كلها مفصلة والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدي لاصحابي فلم أجد منهم أحدا اسود وجهه فلما ذكرت بعينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رحليه أسفر وجهه واستبشر فلما أخبرته بحدثي معه في ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد أزعجناه وأرعبناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله أخرج اليه وانزع قيوده وفكه وأدخله علي مكرما ففعلت فلما دخل قبل الارض فرحب به أمير المؤمنين وأجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعي الى بلدي وجمع شملي بأهلي وولدي قال هذا كائن فسل غيره قال عدل أمير المؤمنين في عمالك ما أحوجني الى سؤالي قال فخلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يا منارة اركب الساعة معه حتى تردّه الى المكان الذي أخذته منه قم في حفظ الله وودائعه ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك فانظر الى حسن توكله علي خالفه فإنه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لبّاه ومن سأله أعطاه ما تمناه وزوى أن هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة في التوراة فيكنّ يا هي يا ابن آدم لا تجزعن من ذي سلطان مادام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد أبدا يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائني ملآنة وخزائني لا تنفد أبدا يا ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك فان طلبتني وجدتني وان أشت بغيري فتلت وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها الا ما قدرته لك وكنت عندي مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أعي بخلقهن أبعيني رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا يا ابن آدم لا تطالبني

عضد الدولة هل لا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد فانقطع وقال هذا الجواب ميداني ثم انه لما رجع الى منزله وضع في ذلك كلاما حسنا وحمله اليه فاستحسنه (وحكى أبو القاسم أحمد الاندلسي) قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي الفارسي وأنا حاضر فقال الى لأغبطكم على قول الشعر فان خاطري لا يواتيني الى ذلك مع تحقيق العلوم التي هي من معاده فقال له رجل فما قالت قط شيأ منه قال ما أعلم ان لي شعرا غير ثلاثة أبيات في الشيب وهي قولي

خضبت الشيب لما كان عيبا
وخضب الشيب أولى ان يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خلي
ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بداء مما
فصيرت الخضاب له عقابا

(ومن لطائف المنقول ان أبا محمد الوزير المهلبي) كان في غاية من الادب والمحبة لاهله وكان قليل اتصاله بعز الدولة بن بويه في شدة عظيمة من الضرورة والمضايقة وسافر وهو على تلك الحالة ولقي في سفره شدة عظيمة فاشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا

ألا موت يباع فاشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي
يخلصني من العيش الكريه
اذا أبصرت قبرا من بعيد
وددت لو انني مما يليه
الا رحم المهيمن نفس حر
تصدق بالوفاء على أخيه

وكان له رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفي وقيل أبو الحسن العسقلاني فلما سمع الابيات اشترى له لحما بدرهم وطبخه وأطعمه وتفارقا

برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فانه لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني وأنا على كل شئ قدير وبكل شئ محيط (قال الشاعر)

ومالك الا الله فى كل حالة * فلا تتكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تأتى ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم أنفه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن فى الامر كله * فما خاب حقا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذى ترجوه منه تفضلا

﴿الفصل الثانى فى القناعة والرضا بما قسم الله تعالى﴾ جاء فى تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يا رسول الله ما القناعة قال الايأس عما فى أيدى الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من القناعة بالجانب الاوفر وانه كان يشتهى الشئ فيدافعه سنة قال الكندى

العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع

وقال بشر بن الحرث خرج فتى فى طلب الرزق فبينما هو يمشى فأعيا فأوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره اذا وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هى

انى رأيتك قاعدا مستقبلى * فعلمت انك للهموم قرين ✽ هون عليك وكن بربك واثقا
فأخو التوكل شأنه التهوين * طرح الاذى عن نفسه فى رزقه ✽ لما تيقن أنه مضمون

قال فرجع الفتى الى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم فى مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة والفلاحة وفى ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ما هم فيه فالحائك اذا رأى من صاحبه تقصيرا أو خللا قال ويلك ياحجام والحجام اذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك يا حائك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى الى البدوى فى بيت من قطعة خيش معمد بعظام الجيف كلبه معه فى بيته لباسه شملة من وبر أو شعر ودواء بعير الابل وطيبه القطران وبعير الظباء وحلى زوجته الودع وثمار المقل وصيده اليربوع وهو فى مفازة لا يسمع فيها الا صوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مقتخر به وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه يا بنى اذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فانها مال لا ينفد وايالك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ الا أغناك الله عنه وأصاب داود الطائى فاقة كبيرة فجاء محمد بن أبى حنيفة رضى الله عنه بأربعمائة درهم من تركة أبيه وقال هى من مال رجل ما أقدم عليه أحدا فى زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيأ لقبلتها تعظيما للميت واكراما له ولكنى أحب أن أعيش فى عز القناعة وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وأنشد المبرد

ان ضن زيد بما فى بطن راحته * فالارض واسعة والرزق مبسوط
ان الذى قدر الاشياء يحكمته * لم ينسنى قاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيأ من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة أرفع من الرضا وهو رأس المحبة قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة وكان عبد الله ابن مرزوق من نظماء المهدى فسكر يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت له اذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما يملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تخت رأسه لبنة وما تحت جنبه شئ فقالا

وتنقلت الاحوال وولى الوزارة ببغداد لعز الدولة المذكورة وضاق الحال برفيقه الذى اشترى له اللحم فى السفر وبلغه وزارة المهلبى فقصده وكتب اليه

ألا قل للوزير فدته نفسى
مقال مذكر ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضيق عيش
ألا موت يباع فاشتريه

(فلما) وقف عليها تذكر الحال وهزته أريحية الكرم فأمر له بسبعمائة درهم ووقع له فى رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملا رتفق منه انتهى ﴿وذكر الحريرى صاحب المقامات فى كتابه المسمى بدرة الغواص﴾ ما مثاله قال حماد الراوية كان انقطاعى الى يزيد بن عبد الملك بن مروان فى خلافته وكان أخوه هشام يحفوني لذلك فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت فى بيتى سنة لا أخرج الا لمن أثق به من اخوانى سرا فلما لم أسمع أحدا ذكرنى فى السنة أمنت وخرجت وصليت الجمعة فى الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا على وقالا يا حماد أجب الامير يوسف بن عمر الثقفى وكان واليا على العراق فقلت فى نفسى من هذا كنت أخاف ثم قلت لعل الله تعالى حتى آتى أهلى وأودعهم ثم أسير معكما فقالا ما الى ذلك من سبيل فاستسلمت فى أيديهما فمضيا بى حتى صرت الى يوسف بن عمر وهو فى الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى الى بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر اما بعد فاذا قرأت

له لم يدع أحد شيأ لله الا عوضه الله منه بديلا فما عوضك عنما تركت له قال الرضا بما أنا فيه وقال الثورى ما وضع أحد يده فى قصعة غيره الا ذل له وقال الفضيل من رضى بما قسم الله له بارك الله له فيه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس فى الشتاء جلالى ونور القمر سراجى وبقل البرية فاكهتى وشعر الغنم لباسى أبيت حيث يدركنى الليل ليس لى ولد يموت ولا بيت يخرب أنا الذى كبيت الدنيا على وجهها (بيت مفرد)

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

(وقال) عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو تروح ليس معها شئ من أرزاقها لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم أنكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لا تحرث ولا تحصد الله يرزقها وقيل وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا اليه خلته فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعيينى

وقد جئت من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين لقد وعظت فأبلغت وخرج فركب ناقته وكر راجعا الى الحجاز فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على فجهته وردته خائبا فلما أصبح وجه اليه بالفى دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ أمير المؤمنين منى السلام وقل له كيف رأيت قولى بعيت فأكديت فرجعت فأتانى رزقى فى منزلى ولا ولى عبد الله بن عامر العراق قصده صديقا له أنصارى وثقفى فلما سارا تخلف الانصارى وقال الذى أعطى ابن عامر العراق قادر على أن يعطينى فوفد الثقفى وقال أحوزا لحظين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له ما فعل زميلك الانصارى قال رجع الى أهله فأمر للثقفى بأربعة آلاف دينار وبعث الى الانصارى بثمانية آلاف دينار فخرج الثقفى وهو يقول

فوالله ما حرص الحريص بنافع * فيغنى ولا زهد القنوع بضائر

خرجنا جميعا من مساقط رؤسنا * على ثقة منا بجود ابن عامر

فلما أنخنا الناجعات ببابه * تخلف عنى اليثربى ابن جابر

وقال ستكفينى عطية قادر * على ما يشاء اليوم للخلق قاهر

فان الذى أعطى العراق ابن عامر * لربى الذى أرجو لسد مفاقرى

فقلت خلالى وجهه ولعله * سيجعل لى حظ الفتى المتزاور

فلما رآنى سأل عنه صبابة * اليه كما حنت ظؤار الاباعر

فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعا * ولا ضائر شيئ خلاف المقادر

قيل أوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد ولبعض العرب

ولا تجزع اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل

ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل

وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل

فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوى العقول

وأوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام أنظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أرانى لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبى وابن نبى ودخل على بن أبى طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد أمسك على بغلتى فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج على وفى يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة

كتابى هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير توريع وادفع له خمسمائة دينار وجملها مهر يايسر عليه ثنتى عشرة ليلة الى دمشق فأخذت الدنانير ونظرت فاذا اجمل مرحول فركبت وسرت حتى وافيت دمشق فى ثنتى عشرة ليلة فنزلت على باب هشام واستأذنت فاذن لى فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب من حرير أحمر وقد ضمخ بالمسك فسلمت عليه فرد على السلام واستدنانى فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جارية تبان لم أر أحسن منها ما ط فقال كيف أنت وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال أتدرى فيم بعثت اليك فقلت لا الا وقد بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالى لا أعرف قائله قلت وما هو يا مير المؤمنين قال

ودعوا الصبوح يوما لجاجات

قينة فى يمينها ابريق

فقلت بقوله عدى بن زيد العبادى فى قصيدة قال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون فى وضح الصبـ

ـح يقولون لى أما تستفيق

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله

والقلب عندكم موثوق

لست أدرى اذا كثر العذل فيها

أعذول يلومنى أم صديق

(قال حماد فانتميت فيها الى قوله)

ودعوا الصبوح يوما لجاجات

قينة فى يمينها ابريق

قدمته على عقار كعين الـ

ـديك صفى سلافها الراووق

مزجت مزجها فاذا اما

مزجت لذ طعمها من يذوق

قال فطرب هشام ثم قال أحسنت يا حماد سل حاجتك قلت احدى الجاريتين قال هما جميعا ان كما

بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال على رضى الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ماقدر له وقيل لراهب من أين تأكل فأشار الى فيه وقال الذى خلق هذا الرحى يأتيها بالطحين وقال سليم بن المهاجر الجيلى

كسوت جميل الصبر وجهى فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل
فما عشت لم آت البخيل ولم أقم * على بابه يوما مقام ذليل
وان قليلا يستر الوجه أنى * الى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخى خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل قال اصبر حتى أعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك فى رزقه شك فى خالقه وقال أبو حازم ما لم يكتب لى لو ركبت الريح ما أدركته وقال عمر بن أبى عمر اليونانى

غلا السعر فى بغداد من بعد رخصه * وانى فى الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع * غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستانى غنى بلا دنيا عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعلى عن الشئ لا به

وقال منصور الفقيه

الموت أسهل عندى * بين القنا والاسنه
من أن يكون لنذل * على فضل ومنه

(وأنشد أعرابى)

أيا مالكا لا تسأل الناس والتمس * بكفيك فضل الله فالله أوسع
ولو يسأل الناس التراب لاوشكوا * اذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى قال عليك باليأس مما فى أيدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر وقيل اذا وجدت الشئ فى السوق فلا تطلبه من صديقك وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت لولم نعش الا من حيث نعلم لم نعش وقال أعرابى أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحتقرك معها من فوقك وقال المعرى

اذا كنت تبغى العيش فابغ توسطا * فعند التناهى يقصر المتطاول
توقى البدو والنقص وهى أهلة * ويدركها النقصان وهى كوامل

(وقال آخر)

اقنع بأيسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات
فانما البحر الا وهو منتقص * ولا تعكر الا فى الزيادات

وقال أعرابى استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصرى

وكم ملك جانبته عن كراهة * لاغلاق باب أو لتشديد حاجب
ولى فى غنى نفسى مراد ومذهب * اذا انصرفت عنى وجوه المذاهب

وقيل ينبغى أن يكون المرء فى دنياه كالمدعو الى الوليمة ان أتته صحفة تناولها وان لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن ابراهيم البلخى قال لى ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أخبرنى عما أنت عليه قلت ان رزقت أكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ فقلت كيف تعمل أنت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم

هى القناعة فالزمها تعش ملكا * لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

(وقال آخر)

وان القناعة كنز الغنى * فصرت بأذيالها ممتسك

عليهما وما لهما فأقام عنده مدة ثم وصله عائشة ألف درهم قلت انظر أيها المتأمل الى نفاق رخيص الادب فى ذلك العصر وكساد غالبه فى هذا العصر وبشهادة الله ان البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من بغداد الى دمشق فى اثنى عشرة ليلة وأجير عليه بالجاريتين والمائة ألف درهم تأنف نفسى ان أضعه فى قصيدة من قصائدى لرخصه وسفالته وهو

ودعوا الصبوح يوما فجاءت
قينة فى يمينها ابريق
(وكنت أود) أن أكون فى ذلك العصر ويسمع هشام بن عبد الملك قولى فى هذا الباب من قصيدة قلتها فى ليلة رقم البدر المنير لها

طار ابه لعصا الجوزاء نقرات
وبات لى من لماه اذ تبسم لى
تحت الضفائر صبحات وغبقات
والراح دق على فهمى تصورها
لكن لها ضاع فى الكاسات نفحات
كانت علامة تحقيق وقال فى
هى المنازل لو فيها علامات
مذ انشأتنا بمجعنا فى محاسنها
مغرد بن وللانشاء مجمعات
هذا وأفواه كاساتى قد ابتسمت
ومازجتها ثغور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الهم ما سكنت
فللمصاب على التسكين حركات
(قال نعلب) ما أحد من الشعراء تكلم فى الليل الطويل الا قارب ولكن خالد الكاتب أبدع فيه فقال

رقدت فلم ترث للساهر
وليل المحب بلا آخر
ولم ندر بعد ذهاب الرقا
د ما صنع الدمع بالناظر

وقال بعض من كان يحضر مجلس المبرد كنا نختلف اليه فاذا كان آخر

فلا ذا يراني عـلى بابه * ولا ذا يراني له منهـملك
فصرت غنيا بلا درهـم * أمر على الناس شبـه الملك

جاء فتح الموصلي الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيأ للعشاء و وجدهم بغير سراج فجلس ليلته يبكي من الفرح و يقول بأي يد كانت مني تركت مثلي على هذه الحالة والله تعالى أعلم

﴿ الفصـل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل ﴾ قال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر و روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأمضيت و روى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة ان أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه و روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح أول هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد في رزقه وقيل لحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما أحسن ما قال بعضهم

اذا طاوعت حرصك كنت عبدا * لكل دنيئة تدعى اليها

(وقال آخر وأجاد)

قد شاب رأسي و رأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا لفي تعب

وقيل للاسكندر ما سر و ر الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره * أنسيت الامل وغروره * وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه اشترى أسامة ابن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فأقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي ما أبلغه وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه لا يزال الكبير شابا في اثنين حب المال وطول الامل وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال كقصير الاجل طويل الامل مسيء العمل وقيل من جرى في عنان أمله كان عاثرا بأجله لو ظهرت الآجال * لاقتضحت الآمال * ولقد أحسن أبو العباس أحمد بن مروان في قوله

وذي حرص تراه يلم وفرا * لوارثه و يدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

ولقد أحسن من قال في الجناس الحقيقي

اذا ما نازعتك النفس حرصا * فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم أنت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من ألهاه أمله * أخزاه عمله * قال عبد الصمد بن المعدل ولي أمـل قطعت به الليالي * أراني قـد فنيت به وداما

قال الحسن اياكم وهذه الاماني فانه لم يعط أحد بالامنية خيرا قط في الدنيا ولا في الآخرة (قال قس بن ساعدة)

وما قد تولى فهو لا شك فائت * فهل ينفعني ليتني ولعلني

(وقال آخر)

ولا تتعلل بالاماني فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب

(وقال آخر وأجاد)

الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذي المنى في الصدر وسواس

(وقال آخر)

شط المزار بسعدى وانتهى الامل * فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الا رجاء فما ندري أندركه * أم يستمر فيأتي دونه الاجل

المجلس أملى علينا من ظرف الاخبار وملح الاشعار ما تاح الى حفظه فأنشدنا يوما مرثية زياد الاعجم في المغيرة بن المهلب التي منها فاذا مررت بقبره فاعقر له

كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها

فلقد يكون أخا دم وذبائح

قال فخرجت من عنده وأنا أدبرها في لساني لاحفظها فاذا بشيخ قد خرج من خربة وفي يده حجر فهم أن يرميني به فتقرست بالمجمرة والدفتر فقال ماذا تقول أتشتمني فقلت اللهم لا ولكني كنت عند أستاذنا أبي العباس المبرد فأنشدنا مرثية زياد الاعجم في المغيرة بن المهلب فقال ايه ايه أنشدني ما أنشدكم بارد لكم لا مبرد كم فأنشدته فقال والله ما أجود الرائي ولا أنصف المرثي ولا أحسن الراوي قلت لماذا عساه أن يقول قال كان يقول

احملاني ان لم يكن لكما عقـ
ـرا في جنب قبره فاعقرا في
وانضحا من دمي عليه فقد كا
ن دمي من فداه لو تعلمان

قال فقلت هـل رأيت أحـدا وامي أحدا بنفسه قال نعم هذا الفتى الفتح ابن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه ثم تركني وتولى فلما عـدت الى المبرد قصصت عليه القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام البـاذنجان أنتهى * قيـل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده وقوى به الوسواس ورؤي ببغـداد والصبيان يتبعونه فأسند ظهـره الى قصر المعتصم والصبيان يصيحون به يا بارد فقال كيف أكون بارد وأنا الذي أقول

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته
وكم مثله من مسعد ومعين

(وقال

(وقال أبو العتاهية)

لقد لعبت وجدا الموت فى طلبى * وان فى الموت لى شغلا عن اللعب
لو شعرت فكرتى فيما خلقت له * ما اشتد حرصى على الدنيا ولا طلبى

(وله أيضا) تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(وقد ضمنت البيت الاخير فقلت)

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال
وجمع من حرام أو حلال * هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء فى الطمع وذمه) قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضى الله عنه ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفى الحديث اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم قال الذين يعملون به قال فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس * واجتمع الفضل وسفيان وابن كرعة البربرى فتواصوا ثم افترقوا وهم مجمعون على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهى تجرى فى أولاده الى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسمعيل بن قطرى القراطيسى

حسبى بعلمى ان نفع * ما الذل الا فى الطمع * من راقب الله نزع
عن سوء ما كان صنع * ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

(وقال سابق البربرى)

يخادع ريب الدهر عن نفسه الغنى * سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع فى سوف ويملك دونها * وكم من حريص أهلكته مطامعه

وقيل لاشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جارى فأنت خبزى وقال أيضا ما رأيت رجلين يتساران فى جنازة الا قدرت ان الميت أوصى لى بشىء من ماله وما زفت عروس الا كنت ببيتى رجاء أن يغلطوا فيدخلوها الى قال بعضهم

لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما فى يديه
واغضب على الطمع الذى * استدعاك تطلب ما لديه

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادى عشر فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب﴾

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر واختلف أهل التأويل فى أمره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه أحدها أنه أمره بها فى الحرب ليستقر له الرأى الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها أنه أمره بمشاورة ما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وان كان فى غنية عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أمرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب

ورقت دموع العين حتى كأنها
دموع دموعى لا دموع جفونى

(وحدث أبو الحسن على بن مقلة) قال حدثنى أبى عن عمه قال اجتاز بى خالد الكاتب وأنا على باب دارى بسر من رأى والصبيان حوله يلعبون به فجاء فى لما رآنى وسألنى صرفهم عنه فصرفتهم وأدخلته داره وقلت له ما تشتهى تأكل قال الهريسة فتقدمت باصلاحها له فلما أكل قلت أى شىء تحب بعد هذا قال رطب وأمرت باحضاره فأكل فلما فرغ من أكله قلت له أنشدنى من شعرك فأنشدنى

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعى
كأنك بعد الضر خال من النفع
فان كنت مطبوعا على الصد والجفا
فمن أين لى صبر فاجعله طبعى
لئن كان أضحى فوق خدك روضة
فان على خدى غديرا من الدمع
فقلت زدنى فقال لا يساوى تهريسك ورطبك غير هذا (ومن المروى عنه)
قال بعض طلبة المبرد خرجت من مجلس المبرد فلقيت خالدا الكاتب فقال من أين قلت من مجلس المبرد قال بل البارد ثم قال ما الذى أنشدكم اليوم قلت أنشدنى

أعار الغيث نائله * اذا ما ناؤه نغدا
وان أسد شكا جبنا
أعار فؤاده الاسدا

فقال أخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ألا تعلم انه اذا أعار الغيث نائله بقى بلا نائل واذا أعار الاسد فؤاده بقى بلا فؤاد قلت فكيف كان يقول فأنشد

علم الغيث الندى من يده
مذ دعاه علم الباس الاسد
فاذا الغيث مقر بالندى
واذا الليث مقر بالجلد

قال فكتبتهما وانصرفت (نادرة لطيفة) دخل أبو دلامة على المهدى

برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأى * وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فأما الرجل الرجل فذو الرأى والمشورة وأما الرجل الذى هو نصف رجل فالذى له رأى ولا يشاور وأما الرجل الذى ليس رجل فالذى ليس له رأى ولا يشاور وقول المنصور لولده خذ عنى ثنتين لا تقل فى غير تفكر ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة فيها بركة وانى لاستشير حتى هذه الحبشية الاعجمية وقال اعرابى لا مال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستخارة ونى بالاشارة فحقيق أن لا يخيب رأيه وقيل رأى السديد أحمى من البطل الشديد (قال أبو القاسم النهروندى)

وما ألف مطرور السنان مسدد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال على رضى الله عنه خاطر من استغنى برأيه ومع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا

فأضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فانفذه عاجلا * فان فساد العزم أن يتقيدا

ولمحمد بن ادريس الطائى

ذهب الصواب برأيه فكأنما * آراؤه اشتقت من التأييد

فاذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

(ولمحمد الوراق)

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظرا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا

قال الرشيد حين بدا له تقديم الامين على المأمون فى العهد

لقد بان وجه الرأى لى غير انني * عدلت عن الامر الذى كان أحزما

فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما * توزع حتى صار نهبا مقسما

أخاف التواء الامر بعد استوائه * وان ينقض الحبل الذى كان أبرما

(وقال آخر)

خليلى ليس الرأى فى جنب واحد * أشيروا على اليوم ما تريان

(ووصف) رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب وقال اردشير بن بابك أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسر والى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال لا تستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكونن أول مشير وايالك والرأى الخطر وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لوح وقيل ينبغى أن يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأى فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب ولم نر قدحى شيء خفيف فى غيره قال أبو الاسود الدؤلى

وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر به لعلمهم شتى منها الثلاثة بين المستشارين منافسة فتذهب اصابة الرأى لان من طباع المشتركين فى الامر التنافس والطعن من بعضهم فى بعض وربما سبق أحدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه وفى اجتماعهم أيضا للمشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك وأذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من أذاعه للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم ألحق الجانى بمن لا ذنب له وقيل اذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتابا بأن تقول أنت فعلت وأنت أمرتنى ولولا أنت لفعلت هذا كله فجر ولوم وخفة وقال أفلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاد من لا يشكره فهو كمن بذر

فانشده قصيدة فقال سل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين هب لى كلبا قال فغضب وقال أقول لك سل حاجتك تقول هب لى كلبا فقال يا أمير المؤمنين الحاجة لى أولك فقال بل لك فقال انى أسألك أن تهب لى كلب صيد فأمر له بكلب فقال يا أمير المؤمنين هيئى خرجت للصيد أعدو على رجلى فأمر له ببدابة فقال يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها فأمر له بغلام فقال يا أمير المؤمنين هيئى صدت صيدا وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال يا أمير المؤمنين فهؤلاء أين يبيتون فأمر له بدار فقال يا أمير المؤمنين قد صرت فى عنقى عيالا فمن أين لى ما يقوت هؤلاء قال المهدى اعطوه جريب نخل ثم قال هل بقيت لك حاجة قال نعم تأذن لى أن أقبل يدك انتهى (وحكى) أن هشام ابن عبد الملك قدم حاجا الى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال أتونى برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تغانوا قال فمن التابعين فأتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بأمير المؤمنين ولم يكنه وجلس الى جانبه بغير اذنه وقال كيف أنت يا هشام فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت يا أمير المؤمنين فى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك فقال يا طاوس ما حملك على ما صنعت قال وما صنعت قال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائى بغير اذنى وقلت يا هشام كيف أنت فقال له طاوس أما خلع نعلى بحاشية بساطك فانى أخلعهما بين يدى رب العزة فى كل يوم خمس مرات ولا

في السماخ قال الشاعر يمدح من له رأي وبصيرة

بصير بأعقاب الامور كأنما * يخاطمه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد (ولما) أراد نوح بن مريم قاضي مرو أن يزوج ابنته استشار جاراله مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لابد أن تشير علي قال ابن رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك ممن تقتدي وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه وأجهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضي الله تعالى في أمره ما يحب * وقال بعضهم خير الرأي خير من فطره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثير العهود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا * وقيل سبعة لا ينبغي لصاحب لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائي واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الحرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره وذي الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته (وحكي) ان رجلا من أهل يثرب يعرف بالاسلمي قال ركبني دين أثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى مال لابد منه وضاقت علي الارض ولم أهتد الى ما أصنع فشاورت من أثق به من ذوي المودة والرأي فأشار علي بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له تمنعني المشقة وبعد الشقة وتيهه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادني على ما ذكره الصديق الاول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أصلح الله الامير اني قطعت اليك الدهناء وضربت أكباد الابل من يثرب فأنه أشار علي بعض ذوي الحجى والرأي بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكني رأيتك أهلا لقضاء حاجتي فان قمت بها فأهل لذلك أنت وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما في خزانة المال الساعة فأخذني معه فوجدت في خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها الي فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحا وسرورا ثم عاد الحاجب بي اليه مسرعا فقال هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جني مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا فقال الاسلمي فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود

عمت عطاياك أهل الارض قاطبة * فأنت والجود منحوتان من عود

من استشار قباب النجع مفتخ * لديه فيها البقاء غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت ديني ووسعت على أهلي وحازيت المشير علي ووعاهدت الله تعالى أن لا أترك الاستشارة في جميع أموري ما عشت (وحكي) عن الخليفة المنصور أنه كان صدر من عمه عبد الله بن علي ابن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان والياعلى الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجهه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساءه ظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحزنه فأدته فكرته الى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادة

يعاتبني ولا يغضب علي وأما قولك لم تسلم علي بامرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضيا بامرتك فخفت أن أكون كاذبا وأما قولك لم تكنني فان الله عز وجل سمى أنبياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ان في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام فخرج انتهى (نادرة لطيفة) مروية عن أبي عمر عامر الشعبي ولكن يتعين ان نبدأ بشيء من ترجمته أولا قال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام والشعبي بالكوفة ويقال انه أدرك خمسمائة من الصحابة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (والنادرة الموعود ذكرها) هي ما حكى الشعبي قال أنفذني عبد الملك بن مروان الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألني عن شيء الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة فحبسني عنده أياما كثيرة فلما أردت الانصراف قال أمن بيت المملكة أنت فقلت لا ولكني من العرب فدفع الي رقعة وقال اذا أديت الرسائل الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولي الى عبد الملك وأنسيت الرقعة فلما وصلت الباب أريد الخروج تذكرت الرقعة فرجعت فأوصلتها اليه فقال

اكرامه ثم أخرج من كان بحضرته وأقبل على عيسى وقال له يا ابن العم انى مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعدا لى على حمل ثقله فهل أنت فى موضع ظنى بك وعامل مافيه بقاء نعمتك التى هى منوطة ببقاء ملكى فقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسى طوع أمره ونهيه فقال ان عمى وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد على مابعضه يبيح دمه وفى قتله صلاح ملكنا فهذا اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى اعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمى وافكرت فى قتله رأيت من الرأى ان أشاور فى قضيته له رأى عسى أن أصيب الصواب فى ذلك فأحضرت يونس بن فروة الكاتب وكان لى حسن ظن فى رأيه ومقيد صالحة فى معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين دفع الى عمه عبد الله وأمرنى بقتله واخفاء أمره فما رأيك فى ذلك وماتشير به فقال لى يونس أيها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فانى أرى لك أن تدخله فى مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل أحد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وأبوابا وأظهر لامير المؤمنين انك قتلته وأنفذت أمره فيه وانتهيت الى العمل بطاعته فيكون به اذا تحقق منك انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بأمره أنكر أمره لك وآخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأظهرت لامير المؤمنين انى أنفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر فى نفسه انى قد قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله وحشهم على ان يسألوه فى أخيهم ويستوهبوه منه فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه فى عبد الله فقال نعم ان حقوقكم تقتضى اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو فى مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى ابن موسى فأحضر لوقته فقال ياعيسى كنت دفعت اليك قبل خروجى الى الحج عمى عبد الله ليكون عندك فى منزلك الى حين رجوعى فقال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال المنصور فدسألنى فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم بإجابة سؤالهم فيه فاقتله الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك ولو أردت قتله لاسلمته الى من هو يصدر ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل أخيكم مدعيا انى أمرته بقتله وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذونى الى الرحبة واجتمع الناس على فقام واحد من عمومتى الى وسل سيفه ليضربنى به فقلت له ياعم أفاعل أنت قال أى والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخى فقلت لهم لا تعجلوا وردونى الى أمير المؤمنين فردونى اليه فقلت يا أمير المؤمنين انما أردت قتلى بقتله والذى دبرته على عمه حتى الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حى سوى فان أمرتنى بدفعه اليهم دفعته اليهم الساعة فأطرق المنصور وعلم ان ريح فكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره فارق خسارا ثم رفع رأسه وقال اثنانه فقضى عيسى واحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه عندى وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت وحظى وزالت كربتى وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان المنصور أسكن عبد الله فى بيت أساسه قد بنى على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة

﴿ومما جاء فى النصيحة﴾ اعلموا أن النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه الصلاة والسلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين

لى هل قال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لى أنت من أهل بيت المملكة قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة ثم خرجت من عند عبد الملك فلما بلغت الباب طلبنى فرددت فلما مثلت بين يديه قال أتدرى ما فى الرقعة قلت لا قال اقرأها فقرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره قلت يا أمير المؤمنين لو علمت مافيها ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أتدرى لم كتبها قلت لا قال حسدنى عليك فأراد ان يغريني بقتلك انتهى (وقيل) كان الشعبى ضئيلا نحيلا فقيل له فى ذلك فقال رحمت فى الرحم وكان قد ولد هو وأخ آخر وأقام فى البطن سنتين ذكره صاحب كتاب المعارف (ويقال) ان الحجاج قال له يوما كم عطاك فى السنة فقال ألفين فقال له ويحك كم عطاؤك قال ألفان فقال ويحك كيف لحنت أولا فقال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت وما يحسن ان يلحن الامير وأعرب فاستحسن ذلك منه وأجازه ﴿نادرة بديعة غريبة﴾ منقولة عن سديد الملك أبى الحسن على بن منقذ صاحب قلعة شيزر وكان سديد المذكور مقصودا من البلاد ممدوحا مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجى وغيرهما وله شعر جيد أيضا ومنه قوله وقد غضب على مملوكه فضربه

أسطو عليه وقلبى لو تمكن من
كفى غلمها غيظا الى عنقى
وأستعين اذا عاقبته حنقا
وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وكان موصوفا بقوة الفطنة ويحكى عنه فى ذلك حكاية عجيبة وهى انه

وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم * فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا * والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم مافيه والذب عنه من تأويل الملحدين وطعن الطاعنين وتعليم مافيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سنته بالطلب لها واحياء طريقته في بث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة * والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كلفوا القيام به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ماجهلوا وتحذيرهم عن يريد بهم السوء واعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة وردالقلوب النافرة اليهم والنصيحة لعامة المسلمين والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقي مايشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم (واعلم) ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا ألو العزم وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قل لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وفي منشور الحكم وذل من نصحك وقلاك من مشى في هواك وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ان شئتم لا نصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون في الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * أني أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله ويردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما ذخائره * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد اني قد أعددتك لامر قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد أعدك مني قلبا معقودا بالنصيحة لك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وأنشد الاصمعي

النصح أرخص ما يباع الرجال فلا * تردد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى مناهلها * على الرجال ذوي الالباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عزلها القبول
فخالفت الذي لك فيه حظ * فذلك دون ما أملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب ان لا يضع يده في يد الحجاج فلم يقبل منه وسار اليه فحبسه وحبس أهله فقال فيروز

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فأصبحت مسلوب الامارة نادما
أمرتك بالحجاج اذ أنت قادر * فنفسك أولى اللوم ان كنت لائما
فما أنا بالباكي عليك صبابة * ومه أنا بالداعي لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود لونه من الفضيحة وقال طرفة

ولا ترفدن النصح من ليس أهله * وكن حين تستغني برأيك غانيا
وان امرأ يوما تولى برأيه * قدعه يصب الرشد أو يلك غاويا

وفي مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشر لك فتهتد * له الرأي يستغشش مالم تتابعه
فلا تنحن الرأي من ليس أهله * فلا أنت محمود ولا الرأي نافعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كان يتردد على حلب قبل تملكه قلعة شيزر وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى أمر خاف سديد الملك منه على نفسه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود صاحب حلب الى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين بن علي النحاس الحلبي أن يكتب الى سديد الملك كتابا يتشوقه فيه ويستعطفه ويستدعيه الى حلب ففهم الكاتب انه يقصد له شرا اذا جاءه اليه وكان الكاتب صديقا الى سديد الملك فكتب الكاتب كما أمره محدومه الى أن بلغ الى آخره وهو ان شاء الله فشد الثوب وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك فعرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن يجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكتاب واستعظموا مافيه من رغبة محمود فيه وايثاره لقربه فقال سديد الملك اني أرى ما الآمرون في الكتاب ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة فصول الكتاب أنا الخادم المقر بالانعام وكسر الهمزة من أنا وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود وقف عليه ومر بما فيه وقال لاصدقائه قد علمت ان الذي كتبته لا يخفى على مثله وقد أجاب بما طيب قلبي عليه وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأجاب سديد الملك بقوله انا لن ندخلها أبدا مادام موافيها وكانت هذه الحكاية معدودة من شدة يقظته وفهمه انتهى (وحكى الصابي في كتاب الاعيان والامثال) ان رجلا اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزور

كتابا من الوزير أبي الحسن علي بن الفرات وزير المقتدر بالله العباسي الى ابن زيتون المارد الى عامل مصر يتضمن المبالغة في الوصايا وزيادة الاكرام وعمل المصالح فلما دخل مصر اجتمع بابن زيتون ودفع اليه الكتاب فلما قرأ ابن زيتون الكتاب ارتاب في أمره لتغير لفظ الخطاب عما جرت به العادة وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله فرعاه رعاية قريبة ووصله صلة قليلة وحبسه عنده على وعد وعده به ثم كتب الى أبي الحسن ابن الفرات يذكر الكتاب الذي ورد عليه وأنفذه بعينه فلما وقف عليه ابن الفرات عرف الرجل وذكر ما كان عليه من الحرمة وماله من الحقوق القديمة عليه فعرضه على كتابه وعرفهم الصورة وتعجب اليهم منها وقال لهم ما الرأي في مثل هذا الرجل فقال بعضهم تأديبه وقال بعضهم قطع ايامه وقال أجلهم محضرا يكشف لابن زيتون أمره ويرميه بطرده وحرمانه فقال ابن الفرات ما أبعدكم من الخير رجل توسل بنا وحل المشقة الى مصر وأمل الحير بجاهنا والانتساب الينا يكون حاله عندكم أحسن نظرا تكذيب ظنه وتخييب سعيه والله لا كان هذا أبدا ثم أخذ القلم ووقع على الكتاب المزور هذا كتابي ولست أعلم أنكرت أمره واعترضت فيه شبهة وليس كل من يخدمنا نعرفه وهذا رجل خدمني أيام نكبتي فأحسن تفقده ورفده وصرفه فيما يعود نفعه عليه ثم رد الكتاب الى ابن زيتون من يومه ومضت على ذلك مدة طويلة اذ دخل على ابن الفرات رجل ذو هيبة مقبولة وبزة جميلة

﴿الباب الثاني عشر في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك﴾

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات والآيات في ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منشورة وروينا في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان * وقال شيخنا محيي الدين النووي رحمه الله تعالى عليه في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب في معناها انكم اذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما أمر به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والآية مرتبة في المعنى على قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ * وقال محمد ابن تمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع أثر * ومن كلام علي رضي الله تعالى عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب وأنشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعي فتنزجر

وكتب رجل الى صديق له أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحي من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير * قيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان اتيتني بعبد آبق كتبتك عندي حميدا ومن كتبته عندي حميدا لم أعذبه بعدها أبدا وقال الرشيد لمنصور ابن عمار عظني وأوجز فقال يا أمير المؤمنين هل أحد أحب اليك من نفسك قال لا قال ان أردت أن لا تسيء الى من تحب فافعل وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه أيها الناس الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات * ولما لقي ميمون بن مهران الحسن البصري قال له لقد كنت أحب أن ألقاك فعظني فقرأ الحسن البصري أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يتعون فقال عليك السلام يا أبا سعيد لقد وعظتني أحسن موعظة ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضي الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وقال أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها فاتكما عنها رحلان فاعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما وقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان ان أباه كان يحبه فأحباه ثم قال يا بني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بني من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضي بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بيته ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن

تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يابني الادب ميزان الرجل وحسن الخلق خير قرين يابني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهاء يابني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يابني لاشرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجل من العافية يابني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب (ولما) حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله فقال جادلكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ماجمع وتركتم عليه ماحمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له وقال الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت أنه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يامحمد ماهذه الجريدة التي بيدك أقذفها لاتملأ قلوبهم رعبا فكيف بمن سفك دماء المسلمين وانتهب أموالهم يا أمير المؤمنين ان المغفور له ماتقدم من ذنبه وماتأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابيا من غير تعمد يا أمير المؤمنين لو أن ذنوبا من النار نصب ووضع على الارض لأحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو أن ثوبا من النار وضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يقمصه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويردفضلها على عاتقه وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان والي المدينة احدر أن يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا أب ولا جد فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ومن أبطأ عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه وروى زياد عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر الى مالك بن أنس وابن طاوس قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا أن اجلسا فجلسنا فأطرق زمانا طويلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فلمسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن يناله الحائش من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما فهم ذلك قال قوما عني فقال ابن طاوس ذلك ما كان ينبغي قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضي الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يارب لا أسألك اليوم الا نفسي * وقال سيدي الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو أمير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام علي نحو ماسلمت رد اجميلا وأكرمني اكراما جزيلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت أيها الملك ان الله تعالى قد أحلك محلا عليا شامخا وأنزلك منزلا منيرا فخما باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض

فاقبل يدعوله ويثني عليه ويبكي ويقبل يديه والارض فقال له ابن الفرات من أنت بارك الله فيك قال صاحب الكتاب المزور الى ابن زيتون الذي صحبه كرم الوزير بفضله فضحك ابن الفرات وقال كم وصل اليك منه قال أوصل الى من ماله ومن قسط قسطه على عماله عشرين ألف دينار فقال الحمد لله على صلاح حالك ثم اختبره فوجده كاتبا سديدا فاستخدمه انتهى والحمد لله على ذلك

(ذكر الحصري في كتابه المسمى بالدر المصون في سر الهوى المكنون)

ان الحاحظ ذكر للواثق لتأديب بعض أولاده فلما رآه استبشع منظره فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه قال الحاحظ فخرجت من عنده فرأيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانحدار الى مدينة السلام فعرض على الانحدار معه فانحدرت ونصبت ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة تغني

كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الاحباب
ثم سكتت فأمر طنبورية فغنت
وارحمتا لعاشقينا
ما ان أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو
ن ويقطعون فيصبرونا
فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا فقالت يصنعون هكذا وضربت بيدها على الستارة وبدت كأنها فلقة بدر ثم رمت بنفسها في الماء قال وكان على رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وفي يده مذبة فألقى المذبة من يده لما رأى ما صنعت الجارية ثم أتى الى موضع

أن يكون أحد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم أن هذا الذى أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن القتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد أتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وأمانا للخائف ثم أتممت المجلس بأن قلت قد رحت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت الى الاقامة فيها غير هذه المملكة ثم أنشدته

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

(وقال) الفضل بن الربيع ج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت مر هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال ويحك قد حالت فى نفسى شئ لا يخرجه الا عالم فانظر لى رجلا أسأله عنه فقلت هنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال جد لما حاجتك لحادثة ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيأ فانظر لى رجلا اسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلى فى غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال لمن هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالى ولأمير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى الى أعلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد كفى اليه فقال أواه من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب نقى فقال جد لما حاجتك يرحمك الله تعالى فقال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم أن يتحملوا عنك شخصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء ابن حيوة فقال لهم انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت وقال محمد بن كعب ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مكث ساعة ثم قال والله لا أقول هذا وانى لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له ارفق يا أمير المؤمنين

سقوطها ونظر اليها وأنشد
أنت التى غرفتنى
بعد القضا لو تعلمينا
ورمى بنفسه فى أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقين ثم غاصا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمر وان لم تحدثنى حديثا يسلينى عنهما ألحقتك بهما قال الجاحظ لخصرنى خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد يوما للمظالم وعرضت عليه القصص فرأت قصة فيها مكتوب ان رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج الى جاريته فلانة حتى تغنينى ثلاثة أصوات فعل ان شاء الله تعالى فاغتاظ سليمان لذلك وأمر من يأتيه برأسه ثم أرد فدرسولا آخر أن يدخل به اليه فلما دخل قال ما حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالقعود حتى لم يبق أحد من بنى أمية الا خرج ثم أمر بالجارية فأخرجت ومعها عود فقال لها غنى ما يقول لك فقال الفتى غنى تألق البرق نجدى فقلت له
يا أيها البرق انى عنك مشغول
فغنته فقال له سليمان أتأمر لى برطل فأتى به فشربه ثم قال لها غنى حبذا رجعها اليناياداها
فى يدى درعها تحل الازارا
فغنته فقال لسليمان أتأمر لى برطل فأتى به فشربه ثم قال غنى أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت صرمى فاجمل
فغنته فقال لسليمان تأمر لى برطل فلما استتم شربه حتى صعد على الغور على قبة لسليمان فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان انا لله وانا اليه راجعون أترى الاحمق ظن انى أخرج اليه

فقال يا ابن الربيع قتلته أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق هرون الرشيد فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شكا اليه سهرا فكتب له عمر يقول يا أخي اذكر سهر أهل النار في النار وخلود الأبدان فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك أن تزل قومك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك فقال له لقد خلعت قلبي بكتابك لا وليت ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاءه اليه فقال يا رسول الله أمرني امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله فقال ياحسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له أعليك دين قال نعم دين لربي يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان سألني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال هرون انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا وانما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه ألف دينار فخذها وأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله أنا دللتك على سبيل الرشاد تكافئني أنت بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذا رأيتني على رجل فدلني على مثل هذا فان هذا سيد المسلمين اليوم (واعلم) ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته * وقالت أم الدرداء رضي الله تعالى عنها من وعظ أخاه سرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه ويقال من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وسره ومن وعظه جهارا فقد فضحه وضره * وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال كان الرجل اذا رأى من أخيه شيأ أمره في ستر ونهاه في ستر فيؤجر في ستره ويؤجر في أمره ويؤجر في نهيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأيتم أخاكم زاذلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم وبالله التوفيق الى أقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الصمت وصون اللسان﴾ قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد (واعلم) أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شئ وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعي رضي الله عنه في الام اذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا في صحيحيهما عن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم الناس من لسانه ويده وروينا في كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله

جارية تي وأردها الى ملكي يا غلمان خذوا بيدي هذه الجارية وانطلقوا بها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عليه فلما انطلقوا بها نظرت الى حفيرة في دار سليمان اتخذت للطر فجذبت نفسها من أيديهم ثم قالت

من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير في عشق بلا موت

فرجت بنفسها في الحفيرة فماتت فسري عن محمد وأحسن صلتي انتهى ﴿وكتب﴾ أبو منصور أفتكين التركي متولي دمشق الى عضد الدولة بن بويه كتابا مضمونه ان الشام قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتني بالاموال والرجال والعدد حاربت القوم في مستقرهم فكتب اليه عضد الدولة في جوابه هذه الكلمات وهي متشابهة في الخط لا تعرف الا بعد النقط والضبط وهي غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدأ بهذا قال القاضي شمس الدين بن خلكان تعمده الله برحمته لقد أبدع غاية الابداع ﴿قلت﴾ وابدع منه قول السلامي فيه من قصيدته التي منها

اليك طوى عرض البسيطة جاعل
قصارا لمطايا أن يلوح لها القصر
فكمنت وعزمي في الظلام وصارمي
ثلاثة أشياء كما اجتمع النشر
وبشرت آمالي بانك هو الورى
ودارهى الدنيا ويوم هو الدهر

قال ابن خلكان هذا على الحقيقة هو السحر الحلال كما يقال * وقد أخذ هذا المعنى القاضي أبو بكر الارجاني فقال

ياسائلي عنه لما جئت أمدحه
هذا هو الرجل العاري من العار

ما النجاة قال أمسك عليك لسانك ولسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن ورويناه في كتاب الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وفقه الله تعالى (وأما الآثار) عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على شيء منها * فما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي أكثر من أن تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عداعليك ولحقك شره ومما أنشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الغارمي لعمرك ان في ذنبي لشغلا * لنفسي عن ذنوب بني أمية
على ربي حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

وقال علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي لرب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال علي بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وهن فان الصمت أولى وأسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابي ذر رضي الله عنه عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون على أمر دينك ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لا تمحدت ضيعتك ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك والخارج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت وقال حكيم اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ما هو أبلغ من الكلام لان السفيه اذا سكت عنه كان في اغتمام وقيل لرجل بم سدتم أكابركم سنا ولا بأكثركم مالا فقال بقوة تسلطانه على لسانه وقيل الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها وقيل اجتمع أربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ما ندمت على مالم أقل مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر أنا على رد مالم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين مالم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها شوك طائر فرماه فأصابه فقال ما أحسن من حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك وقال علي رضي الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع وان أكثرت منه قتل وقال لقمان لولده يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن فيقلن بخير ان تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

﴿الفصل الثاني في تحريم الغيبة﴾

اعلم ان الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا في الناس حتى لا يسلم منها الا القليل من الناس وهي ذكرك الانسان بما يكره ولو بما فيه سواء كان في دينه أو بدنه أو

نفسه

لقيته فخرأيت الناس في رجل
والدهر في ساعة والارض في دار
ولكن أين الثريا من الثرى * وأين أبو الطيب المتنبي أيضا بهذا المعنى لكنه ما استوفى بقوله
هو الغرض الاقصى ورؤيتك المنى
ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق
ولكن ليس لاحد منهما طلاوة بيت السلامي انتهى (نادرة لطيفة) كان أبو بكر الحلي يتولى نفقات أبي المسك كافور الاخشيدي وكان له في كل عيد أضحى عادة وهو أن يسلم الى أبي بكر المذكور بغلا محملا ذهبا وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة الى الجبانة وما بينهما قال أبو بكر المذكور كان يمشي معي صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل وأطوف من بعد العشاء الاخيرة الى آخر الليل حتى أسلم ذلك الى من تضمنت اسمه الجريدة فأطرق منزل كل انسان ما بين رجل وامرأة وأقول الاستاذ أبو المسك كافورا الاخشيدي يهنئك بالعيد ويقول لك اصرف هذا في منفعتك فأدفع اليه ما جعل له وفي آخر وقت زاد في الجريدة الشيخ أبا عبد الله بن جابر وجعل له في ذلك العيد مائة دينار فطفت في تلك الليلة وأنفقت المال في اربابه ولم يبق الا الصرة فجعلتها في كمي ومررت مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة فطرقت الباب فنزل الينا الشيخ وعليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يرد علي وقال ما احتشمك قلت الاستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام فقال والي بلدنا قلت نعم قال حفظه الله يعلم اني أدعو له في الخلوات وأدبار الصلوات عالما الله سامعه ومستجيبه قلت وقد أنفذ معي نفقة وهي هذه الصرة

نفسه أوخلقه أوخلقه أوماله أو ولده أووالده أو زوجته أوخادمه أوعمامته أوثوبه أومشيته أوحركته أو بشاشته أوخلاعته أوغير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو بكتابك أو رمزت اليه بعينك أو يدك أورأسك أونحو ذلك فاما الدين فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل فى النجاسات ليس يارا بوالديه قليل الادب لايضع الزكاة مواضعها لايجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعمى أوأعرج أوأعمش أوقصير أوطويل أوأسود أوأصفر وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الادب متهاون بالناس لايرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما أشبه ذلك أوكقولك فلان آبنوسى نجار أوحداد أوحائك تريد تنقيصه بذلك أوفلان مى الخلق متكبر مرائى معجب مجعول جبار ونحو ذلك أوفلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك وقد ورد فى ذلك أحاديث صحيحة منها ما رواه مسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل وان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذى حديث حسن صحيح وروينا فى سنن أبى داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرتها فتنتها وروينا فى سنن أبى داود عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم وروى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليزنى فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق يسعى بهم الى السلطان جىء به يوم القيامة مزرقة عيناه ينادى بالويل والثبور يعرف أهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة أفضل الناس عند الله أسلمهم صدرا وأقلهم غيبة وقال الاحنف فى خصلتان لا أغتاب جليسى اذا غاب عنى ولا أدخل فى أمر قوم لا يدخلونى فيه وقيل للربيع بن خيثم ما نراك تعيب أحدا فقال لست عن نفسى راضيا فأتفرغ لذم الناس وأنشد

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها * لنفسى من نفسى عن الناس شاغل

وقال كثير عزة وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم أول من عمل الصابون سليمان وأول من عمل السويق ذوالقرنين وأول من عمل الحبس يوسف وأول من عمل خبز الجرداق غروذ وأول من كتب فى القراطيس الحجاج وأول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام * وأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان أصر فهو أول من يدخل النار ويقال لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك اغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصرى رضى الله تعالى عنه ان فلانا اغتابك فأهدى اليه طبقا من رطب فقال له أغتبتنى فأهديت الى فقال الحسن أهديت الى حسناتك فأردت أن أكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدى لانهما أحق بحسناتى واذا حاكى انسان انسانا بأن يمشى متعارجا أومتطأطأ أو غير ذلك من الهيئات يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كما يفهم بالتصريح فيقال لاحدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفرلنا الله يصلحه نسأل الله العافية نحمد الله الذى لم يبتلينا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة ﴿ واعلم ﴾ انه كما يحرم على المغتاب

ويسألك قبولها التصرف فى مؤنة هذا العيد المبارك فقال نحن رعيته ونحبه فى الله تعالى ومانفد هذه المحبة بعلة فراجعته القول فتبين لى الضجرة فى وجهه والقلق واستحييت من الله أن اقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت قال لحقت فوجدت الامير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرنى فلما رآنى قال ايه يا أبا بكر قلت أرجو الله أن يستجيب فيك كل دعوة صالحة دعيت لك فى هذه الليلة وفى هذا اليوم الشريف فقال الحمد لله الذى جعلنى لا يصال الراحة الى عباده ثم أخبرته بامتناع ابن جابار فقال نعم هو جدير لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم ثم قال لى عد اليه واركب دابته من دواب النوبة واطرق بابه فاذا نزل اليك فانه سيقول لك ألم تكن عندنا فلا ترد عليه جوابا ثم استفتح واقرأ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى يا ابن جابار الاستاذ كافور يقول لك ومن كافور العبد الاسود ومن هو ومولاه ومن الخلق ليس لاحد منه الله ملك ولا شركة تلاشى الناس كلهم ههنا أندرى من هو معطيك وعلى من رددت أنت ماسألت وانما هو أرسل لك يا ابن جابار أنت ما تفرق بين السبب والمسبب * قال أبو بكر فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل الى فقال لى مثل لفظ كافور فأضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ما قال لى كافور فبكى وقال لى أين ما حملت فأخرجت الصرة فأخذها وقال

ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يستمع انسانا يبتدئ بغيبة أن ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك نفاق قال الله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ومما أنشدوه فى هذا المعنى

ومعلمك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه
وكم أزعج الحرص من طالب * فوافى المنية فى مطلبه

﴿الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة﴾ قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورزيلة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز بأخيه فى المجلس وهو الهمزة اللمزة وقال على والحسن البصري رضي الله عنهما العتل الفاحش السيئ الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الأكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبي هو الشديد فى كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذى لا يعرف من أبوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغي الام ذو حسب لئيم

وروينا فى صحيحي البخاري ومسلم عن حذافة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة نمام وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله قال الامام أبو حامد الغزالي رحمة الله تعالى عليه النميمة انما تطلق فى الغالب على من نم قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغي للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا ما فى حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية وينبغي لمن حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا ان لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب وان لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بغي يعني ولد زنا قال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لا نيم على الناس الا ولد بغي وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة فهي المهلكة والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال فى النوازل والاحوال وتسلب العز من يعزه وتحط المسكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل سنا عدته الايام وتراخت عنه الاقدار أن يصغي لساع أو يستمع لنمام * ووجد فى حكم القدماء أبغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسعى بأخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذ أسرق اللصوص المتاع سرقوهم المودات وفى المثل السائر من أطاع الواشي ضيع

علمنا الاستاذ كيف التصوف قلت له أحسن الله جزاءك ثم عدت اليه فأخبرته بذلك فسر وسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله على ذلك (ونقل ابن خلكان فى تاريخه) ان أبا عبيد الله محمد بن الاعرابي كان يزعم ان الاصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان شيأ وكان يقول جائزني كلام العرب أن يعاقب بين الضاد والظاء فلا يخطئ من يجعل هذا فى موضع هذا وينشد الى الله أشكو من خليل أوده

ثلاث خصال كلها لي غائض * ويقول هكذا سمعته بالضاد (ومن النوادر اللطيفة) ورد أبو نصر الفارابي الى دمشق على سيف الدولة بن حمدان وهو ذا لك سلطانها قيل انه لما دخل عليه وهو يزري الاتراك وكان ذلك زيه دائما وقف فقال له سيف الدولة اجلس فقال حيث أنا أو حيث أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخر جه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد أساء الادب وانى سائله عن أشياء ان لم يعرفها أخرجوه به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين فى كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك فى أن تأكل قال لا قال فهل لك أن تشرب قال لا قال هل تسمع قال نعم فأمر سيف الدولة باحضار العيان فحضر

الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه * ودفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروينا في كتاب أبي داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيأ فاني أحب ان أخرج اليكم وأنا سليم الصدر * ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذي لست أدري من تلونه * أناصح أم على غش يناجيني
اني لاكثر مما سمتني عجبا * يدنو شهوا وأخرى منك تأسوني
تغتابني عند أقوام وتمدحني * في آخرين وكل عنك يأتيني
هذان شيآن قد نافيت بينهما * فاكفف لسانك عن شتمي وتزييني

وقيل لالاف لمروح جموح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بأبي براقش وأبي قلمون فأبو براقش طائر منقط بألوان النقوش يتلون في اليوم ألوانا وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطائش الذي لا ثبات معه أبو رياح تشبيها بمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح ويعناه معمودة وأصابعها مضمومة الا السبابة فاذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور بأضعف نسيم يصيبه والذي يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبا رياح أيضا ويقال أخلاق الملوك مثل في المتلون قال بعضهم

ويوم كأخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهها يا لك يامن صفاته * دنو واعراض ومنع ونائل

وكلم معاوية الاحنف في شيء بلغه عنه فأنكره الاحنف فقال له معاوية بلغني عنك الثقة فقال له الاحنف ان الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية واذا أتاه ساع يقول له ان صدقتنا أبغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان أسفلتنا أقلناك وكتب في جواب كتاب ساع نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء واخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فانه لو كان في سعايته صادقا لكان في صدقه لئيما لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة الا أفسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ثم لا بد ان عرف بها ونسب اليها ان يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وأنشد بعضهم

من تم في الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفتيه

(وقال آخر)

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذي وجهين كياد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شيء لم يوا جهك به * انما اللوم على من أعلمك

(وقال آخر)

ان يعلموا الخير أخفوه وان عملوا * شرا أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

(وقال آخر)

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

كل ماهر في الصنعة بأنواع الملاهي فخطأ الجميع فقال له سيف الدولة هل تحسن هذه الصنعة قال نعم ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها فأخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك كل من في المجلس ثم فكها وركبها تركيبا آخر فبكى كل من في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وحركها فنام كل من في المجلس حتى البواب فقهرهم نياما وخرج * وهو الذي وضع القانون وكان منفردا بنفسه لا يجالس الناس وكان مدة اقامته بدمشق لا يكون غالبا الا عند مجتمع المياه أو مشتبك الرياض وهناك يؤلف كتبه وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مسكن ولا مكسب وسأله سيف الدولة في مرتب من بيت المال فقال يكفيني أربعة دراهم وليزل على ذلك الى أن توفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة وأربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن ظاهر دمشق خارج الباب الصغير * ومن المنقول من خط القاضي الفاضل * ان نور الدين الشهيد كتب الى راشد الدين سنان صاحب القلاع الاسماعيلية كتابا يهدده فيه فشق ذلك على سنان فكتب اليه بما هو فوق الوصف بحكاية الحال وهو

ياذا الذي يقرع السيف هدرنا
لا قام مصرع قلب كنت تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده
واستصرخت بأسود الغاب أضبعه
أضحى يسد فم الأفعى باصبعه
يكفيه ماذا تلاقي منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن في أذن الفيل

وبعوضة تعد فى التماثيل ولقد قالها
من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم
فما كان لهم من ناصرين أولله ق
تدحضون وللباطل تنصرون وسيعلم
الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون
وأما ما صدر من قولك فتلك أمانى
كاذبة وخيالات غير صائبه فان
الجواهر لا تزول بالاعراض كما أن
الارواح لا تتضعضل بالامراض فان
عدنا الى الظواهر والمحسوسات
وعدلنا عن البواطن والمعقولات
فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه
وسلم فى قوله ما أوذى نبى ما أوذيت
ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل
بيته ورشيعته والحال ما حال والامر
مازال ولله الحمد فى الآخرة والاولى
اذ نحن مظلومون لا ظالمون ومغصوبون
لا غاصبون وقل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا
وقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا
وما ينقمونه من الفوت ويستقربون
به الى حياض الموت قل فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين وفى أمثال العامة
أو الملبط تهددون بالشط فهى للبلاء
جلبابا وتدرع للرزايا أثوبا وأنت
لكالباحث على حتفه بظلفه أو
الجادع انفه بكفه وماذلك على الله
بعزيز ﴿ومن غرائب الظرف
ماحكاه ابن خلكان فى تاريخه﴾
قال حدثنى من أثق به ان شخصا
قال له رأيت فى تأليف أبى العلاء
المعرى ما صورته أصلحك الله
وأبقاك لقد كان من الواجب أن
تأتينا اليوم الى منزلنا الحالى لكى
يحدث لى أنسك بازين الاخلاء فما
مثلك من غير عهد أو غفل وسأله
من أى الابحر وهل هو بيت واحد
أم أكثر فان كان أكثر فهل أبياته
على روى واحد أو مختلفة الروى
قال فأفكر فيه ثم أجابه بجواب

وقال الحسن ستر ما عاينت أحسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذى أتاها

﴿وما جاء فى النهى عن اللعن﴾

مارو ينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا فى صحيح مسلم أيضا عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وروينا فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها ويجوز لعن أصحاب الاوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك * وثبت فى الاحاديث الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وموكله قال لعن الله المصورين وانه قال لعن الله من لعن والديه وانه قال لعن الله من ذبح لغير الله وانه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وانه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ فى البخارى ومسلم بعضها فيهما وبعضها فى أحدهما والله أعلم

﴿وما جاء فى العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى وقال بعضهم

تلحف بالخمول تعش سليما * وجالس كل ذى أدب كريم

(وقال جعفر بن الفراء)

من أخمل الناس أحياها وروحها * ولم يبت طاريا منها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

وقال اعرابى رب وحدة أنفع من جليس وحشة أنفع من أنيس وكان أبو معاوية الضرير يقول فى خصلتان ما يسرنى بهما رد بصرى قلة الاعجاب بنفسى وخلو قلبى من اجتماع الناس الى وقال عمر رضى الله عنه خذوا حظكم من العزلة * وصعد حسان على أطم من آطام المدينة ونادى بأعلى صوته ياصباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فأحببت أن تسمعوه قالوا هات يا حسان فقال

وان امرأ أمسى وأصبح سالما * من الناس الا ما حنى لسعيد

ولما بنى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك وأسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية وقيل لعروة أخى مراد س لم لا تحدث ثنا ببعض ما عندك من العلم فقال أكره أن يميل قلبى باجتماعكم الى حب الرياسة فأخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضل فى مرضه نعوده فقال ما جاء بكم والله لو لم تجيئوا لكان أحب الى ثم قال نعم الشئ المرض لولا العيادة وقيل للفضل ان ابنك يقول وددت لو أنى بالمكان الذى أرى الناس فيه ولا يرونى فقال ويح ابنى لم لا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونى وقال على رضى الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه فى شغل والناس منه فى راحة وقال سفيان الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس وقيل لراهب فى صومعته ألا تنزل فقال من مشى على وجه الارض عثر والكلام فى مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان وطاعته ولاة أمور الاسلام ومايجب للسلطان على الرعية ومايجب لهم عليه

روى عن الحسن أنه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عزالله وظله فى الارض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم نكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى عن هذا السلطان الذى ذلت له الرقاب وخضعت له الاجساد ماهو قال ظل الله فى الارض فاذا أحسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من وراثها الاضاقت عليه رحمة الله تعالى التى وسعت كل شئ وقال مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه وجدت فى بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك رقاب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا ألسنتكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمة الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لبزرجمهر ما أحسن هذا الملك لو دام فقال لو دام لاحد ما انتقل الينا ومر طارق الشرطى بابن شبرمة فى موكبه فقال

أراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فارفع اليه معاجة فقال لا أعيد هذا اليوم من ايام ملكى وقال الجاحظ ليس شئ ألذ ولا أسر من عز الامر والنهى ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن أعناق الرجال لان هذه الامور نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس وقيل الملك خليفة الله فى عباده ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته وقال الحاج سلطان يخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال أردشير لابنه يا بنى الملك والدين اخوان لا غنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع قيل لما دنت وفاة هرمز وامر أنه حامل عقد التاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة حتى ولدته ولد فقلك وأغار العرب على نواحى فارس فى صباه فلما أدرك ركب وانتخب من أهل النجدة فرسانا وأغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع أكتاف سبعين ألفا فقيل له ذو الاكتاف وأمر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وان يسكنوا بيوت الشعر وأن لا يركبوا الخيل الا عراة (وقيل) من أخلاق الملوك حب التفرد كان أردشير اذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان واذا لبس حلة لم يرعلى أحد مثلها واذا تختم بخاتم كان حراما على أهل المملكة أن يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة اذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته مادامت على رأسه وكان الحجاج اذا وضع على رأسه عمامة لم يجترئ أحد من خلق الله أن يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبر فى من سافر الى اليمن انه لا يأكل الا وزبها أحد غير الملك وقيل من حق الملك أن يفحص عن أسرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها وكان أردشير متى شاء قال لارفع أهل مملكته وأوضعهم كان عندك فى هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وماذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضى الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اقتفى معاوية اثره وتعرف الزياد رجل فقال أتتعرف الى وأنا أعرف بك من أبيك وأمك وأعرف هذا البرد الذى عليك فقزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه الله تعالى فى امر أة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا أبا فلان من قصتها وحليتها وفعلها وشأنها كيت وكيت فوالله ما زال يصفها ويصف أحوالها حتى أتم بنى ﴿ وما جاء فى طاعة ولاة أمور الاسلام ﴾ أمر الله تعالى بذلك فى كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وروينا فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله

محسن قال ابن خلكان فقلت للقائل اصبر حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله فأجاب القاضى شمس الدين ابن خلكان بعد حسن النظر بما أجاب به عنه الرجل وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على أربعة أبيات فى روى اللام وهى على صورة يصوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لاجل قطع الموصول منها ولا بد من الاتيان بها لتظهر صورة ذلك وهى

أصلح الله وأبقى مالك لقد كان من الواجب أن تأتينا ال * يوم الى منزلنا ال
خالى لكى يحدث لى
أنسك يازين الاخل
لاء فما مثلك من
غير عهد أو غفل
(قلت) وعلى ذكر أبى العلاء الضرير يعجبنى قول مظفر بن جماعة الضرير
قالوا عشقت وأنت أعمى
ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلا وما عاينتها
وتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك فى المنا
م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا
د وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيت جماله
حتى كساك هواه سقما
وبأى جارحة وصلـ
ـت لوصفه نثرا ونظما
فأجبت انى موسوى الـ
ـعشق انصاتا وفهما
أهوى بجارحة السما
ع ولا أرى ذات المسمى
﴿ ويعجبنى أيضا قول ضرير آخر ﴾
وقادة قالت لاترابها
ياقوم ما أعجب هذا الضرير

عنهما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم * وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله في أرضه من نامحه اهتدى ومن غشه ضل وعن حذيفة بن اليماني رضي الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله في الارض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه كيف كانت طاعتي لك قال أحسن طاعة قال فأطعني كما كنت أطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أمري فقد أطاعني ومن عصى أمري فقد عصاني وقد ورد في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالسمع والطاعة لولي الامر ومنا صحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت ذلك لطال الكلام لكن اعلم أرشدني الله واياك الى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع ان من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة أن طاعة الائمة فرض على كل الرعية وان طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين وان عصيان السلطان يهدم أركان الملة وان أرفع منازل السعادة طاعة السلطان ان طاعته عصمة من كل فتنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل وما أحسن ما قالت العلماء ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة بري من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ردينه القويم وان الخروج منها خروج من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا في أرفع محل وان طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها في كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا في ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا وان يصلح شأننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

* الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته *

(اما صحبة السلطان) فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي أبي يا بني اني أرى أمير المؤمنين يستخلفك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجربن عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبي رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال أي والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك أخا فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فضل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذ في الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة * وقال مسلم بن عمران خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تتغير منه اذا أقصاك * وروي ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فما ذا تريد عليك قال لا أغشى لك سرا ولا أدخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب للمستصحب أنت وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا فان الملوك فلا تطمعن في معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك واتقاءه منك أغلظ من اتقائه * وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال أنسك بهم تردد دائما * وقالوا علم السلطان وصاحبك تتعلم منه وأشر عليه وكأنك تستشير واذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويرفق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير منك فيكونون عونا عليك واياك ان تعادي

من

من اذا شاء ان يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال القديمة احذر وازمارة المخدة وفيه قيل بيت مفرد

ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فدار مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الأحمق ❊ وأما ما جاء في التحذير من صحبة السلطان ❊ فقد اتفقت حكماء العرب والعجم عن النهي عن صحبة السلطان قال في كتاب كليلة ودمنه ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الامرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول أحق الامور بالتثبت فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعارا الغرور وفي حكم الهند صحبة السلطان على مافيها من العز والثروة عظيمة الخطر * وقيل للعتابي لما تعجب السلطان على ما فيك من الادب قال لاني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء ويرمي من السور في غير شيء ولا أدري أي الرجلين أكون * وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويبطش بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعا لا تصحبن السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان أقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا من صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه فسد هو به فكان كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه قال الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة * في البحر ترجف دائما من خوفه
ان أدخلت من مائه في جوفها * يغتالها مع ما تهاف جوفه

وفي كتاب كليلة ودمنه لا يسعد من ابتلي بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا ان يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لا يغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لركوبه أخوف * وقال محمد بن واسع والله لسيف التراب ولقمم العظم خير من الدنو من أبواب السلاطين * وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من العابر على أبواب الملوك * وقيل من صحب السلطان قبل ان يتأدب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة وعنه اذا زادك السلطان تأنيسا وكراما فزده تهيبا واحتشاما * وقال أبو علي الصغاني اياك والملوك فان من ولاهم أخذ واله ومن عاداهم أخذ وارأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اعمها بمرار أبواب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان وقال حسان بن رئيس الحميري لا تقتلن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤون ولا بالدابة فانها شرود وقال عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

أرى الملوك بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم في ولاة بني مروان

اذا ما قطعتم لملكم عمامكم * وأفنيتمو أيامكم بمنام
فمن ذا الذي يغشاكم في ملمة * ومن ذا الذي يغشا كم بسلام

فانشده الاسديون شعره النابغة فيه فلما أنشدوه قالوا انا نستحي ان نسألك شيأ وان لنا حاجة قال وما هي قالوا صاحب لنا قدار جل يعني فقدت راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأقلت يتبع أمه فتمعته الجارية لترده فصاح حاتم ما تبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية (وقيل) أجود العرب في الجاهلية ثلاثة حاتم الطائي وهرم بن سنان وكعب بن مامة وحاتم كان أشهرهم بالكرم ذكر أنه أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ❊ وحكى الهيثم ابن عدي ❊ قال تمارى ثلاثة في أجواد الاسلام فقال رجل أسخى الناس في عصر الهذا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقال آخر أسخى الناس عرابة الاوسي وقال آخر بل هو قيس بن سعد ابن عبادة وأكثروا الجدال في ذلك وكثر صخبهم وهم بفناء الكعبة فقال لهم رجل قد أكثرتم الجدال في ذلك فما عليكم أن يمضي كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله اليه فصادفه قد وضع رجله في غرز ناقته يريد ضيعته فقال يا ابن عم رسول الله قال قل ما تشاء قال ابن سبيل ومنقطع به قال فأخرج رجله من غرز الناقة وقال له ضع رجلك واستو على الراحلة وخذ ما في الحقيبة واحتفظ بسيفك فانه من سيوف علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف ومضى صاحب قيس بن عبادة

رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام
ولم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

نهت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون فى الثواب ردا الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وقيل شر الملوك من أمنه الجرىء وخافه البرىء والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك﴾

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى فلو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى دلت هذه الآية على أن الوزارة تشد قواعد الملكة وأن يفوض اليه السلطان اذا استكملت فيه الخصال المحمودة ثم قال كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على أن بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج أشجع الناس الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن والك الجنة ولك ملك قال حتى أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال له هامان بينما أنت اله تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألو خبالا وليس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفى الامثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجود عقله فى انتخاب الوزراء واستيفاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل فى الخلق ذكره وترمح فى النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حليسة الملوك وزيتهم وزراؤهم وفى كتاب كليلة ودمنه لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان وقال شريح بن عبيد لم يكن فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب اليه صحائف فى كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك تناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذى يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافى فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا والى الماء محتاجا ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما أن السفير اذا أراد أن يقتل أخذ من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس فى الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط فى الوزير أن يكون صدوقا فى لسانه عدلا فى دينه مأمونا فى اخلاقه بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الامانة والبصيرة ليحذر الملك أن يولى الوزارة لئيما فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل * ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والادب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال الوزير منشدا

ياملكا طاعته لازمه * وحبه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يرغم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمى فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتنى غضبان فادفع الى رقعة بعد رقعة وكان فى

فصادفه نائما فقالت الجارية هو نائم فما حاجتك اليه قال ابن سبيل ومنقطع به قالت حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله يعلم ان مالى دار قيس غيره خذه وامض الى معاطن الابل الى أموال لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك فقيل ان فيما أتيته من رقدته أخبرته بما صنعت فأعتقها ومضى صاحب عرابة الاوسى اليه فألقاه فدخر ج من منزله يريد الصلاة وهو يمشى على عبدين وقد كف بصره فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به قال فخلى العبدين وصفق بيمناه على يسراه وقال أواه أواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا ولكن خذهما يعنى العبدين قال ما كنت بالذى أقص جناحيك قال ان لم تأخذهما فهما حران فان شئت تأخذوان شئت تعتق وأقبل يلتمس الحائط بيده راجعا الى منزله قال فأخذهما وجاء بهما فأثبت انهم أجود عصرهم الا انهم حكموا العرابة لانه أعطى جهده ﴿نادرة غريبة﴾ حضر يعقوب بن اسحق الكندى المسمى بوقته فيلسوف الاسلام مجلس أحمد بن المعتصم وقد دخل عليه أبو تمام فأنشد قصيدته السينية المشهورة فلما بلغ الى قوله

اقدام عمرو فى سماحة حاتم

فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

قال له الكندى ما صنعت شيأ فقال كيف قال ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا فان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الى قول العكوك فى أبى دلف

رجل أبر على ثمانين حجة

الاولى انك لست بالله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك فى أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تفتر عودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فتم ولا تخش الامير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من البصر فكما أن من لم ينظر فى المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم (واعلم) أنه ليس للوزير أن يكتم عن السلطان نصيحة وان استقلها ووضع الوزير من المملكة كوضع العينين من الرأس وكما أن المرآة لا تزيل وجهلك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدأ كذلك السلطان لا يكمل أمره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية ومافيهما من الغرر والخطر

(أما الحجاب) فقد قيل لاشئ أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل اذا سهل الحجاب أحجمت الرعية عن الظلم واذا عظم الحجاب هجمت على الظلم وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أنا ناخ ناقته الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثنى أبى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولى شيأ من أمور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فمارؤى على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القسرى يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسى فلا تحجبن عنى أحدا فان الوالى لا يحتجب الا لثلاث عيب يكره ان يطلع عليه أحد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو بخل يكره معه أن يسأل شيأ وكانت العجم تقول لاشئ أضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولا شئ أهيب للرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده بغير قضائها قيل فما الذى هو أشد منه قال وقوف الشريف ببابب الدنى ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوى على باب المأمون يوما فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه انه لو أذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا وأما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعرف فلا أفهم معناه ثم تمثل بهذا البيت

وما عن رضا كان الحمار مطيتى * ولكن من يمشى سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضربا شديدا وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر دواب

(قال الشاعر) رأيت أناسا يسرعون تبادرا * اذا فتح البواب بابك أصبعا
ونحن جلوس ساكتون رزانة * وحملا الى ان يفتح الباب أجمعا

ووقف رجل خراسانى بباب أبى دلف العجلى حينا فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف فى وصولها اليه وفيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه أبو دلف بقوله

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابى

(ومن) محاسن النظم فى ذم الاحتجاب قول بعضهم

سأهجركم حتى يلين حجابكم * على أنه لا بد سوف يلين

بأساوغير فى محياها شامخ
فأطرق أبو تمام ثم أنشأ يقول
لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس
ولم يكن هذا فى القصيدة فتزايد العجب منه ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية فاستصغر عن ذلك فقال الكندى ولوه لانه قصير العمر لأن ذهنه يخجن من قلبه فكان كما قال وقد تكون ظهرت له دلائل من شخصه فى ذلك الوقت على قرب أجله انتهى وسمع الكندى انسانا ينشد

وفى أربع منى حلت منك أربع
فما ان أدرى أيها هاج لى كربى
خيالك فى عينى أم الذكر فى فمى
أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

فقال لقد قسمتها تقسيما فلسفيا انتهى ونقل الشيخ جمال الدين ابن نباتة فى كتابه المسمى بسرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ان واضع العود بعض حكماء الفرس ولما فرغ منه سماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وجعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع الاربع فالزير بازاء السوداء والبم بازاء الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم فاذا اعتدلت أوتاره المرتبة على ما يجب جانست الطبائع وانتجت الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وبدئ هذا العلم ببطليوس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلى (وحكى ابن حمدون فى تذكرته) ان الحسن ابن حماد قال كنت بالمدينة فخلالى الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى بشعر ذى يزن

خذوا حذركم من صفوة الدهر انها * وان لم تكن خانت فسوف تخون

(وقال آخر) ماذا على بواب داركم الذى * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لو ردنا رد اجميلا عنكم * أو كان يدفع بالتى هى أحسن

(وقال آخر) أمرت بالتسهيل فى الاذن لى * ولم ير الحاجب ان يأذنا
فلن ترانى بعدها عائدا * ولن تراه بعد مستأذنا

(وقال آخر) ولقد رأيت ببابدارك جفوة * فيها لحسن صنيعك التكدير
مابال دارك حين تدخل جنة * وبباب دارك منكر ونكير

(وقال آخر) اذا جئت ألقى عند بابك حاجبا * كحيا من فرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد * وحاجبها من دون رضوان مالك

(وقال آخر) سأترك بابا أنت تملك اذنه * ولو كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلى مسرعا نحو مالك

(وقال آخر) ما ذا يفيد أن تكون محجبا * والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما أنت الا فى الحصار مهى فلا * تتعب فكل محاصر مأخوذ

(وقال أبو تمام) سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا
اذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجى سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد خطب الجفن منى واغماضى هجعة وأهب فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذى قال لك قال قال كلاما لا أفهمه وهو يريد أن لا يأذن لك وقال على ابن أبى طالب رضى الله عنه اغما أمهل فرعون مع دعواه الالوهية لسهولة اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهنى لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أمير يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسئلة الا أغلق الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومسئلته * وجاء النامى الشاعر لبعض الامراء فحجبه فقال

سأصبر ان جفوت فكم صبرنا * لملك من أمير أو وزير
رجونا هم فلما أخلفونا * تعادت فيهم غير الدهور
فبتنا بالسلامة وهى غنم * وباتوا فى المحابس والقبور
ولما لم ننل منهم سرورا * رأينا فيهم كل السرور

(وأنشدوا فى ذلك أيضا)

قل للذين تحجبوا عن راغب * بمنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقيا كم بوابكم * فالله ليس لبابه بواب

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فهتف بالبكاء فأتى اليه الناس وفيهم كعب فقال وما يبكيك يا سعد فقال ومالى لا أبكى وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال كعب لا تبت فان فى الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله * واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

فى كل يوم لى ببابك وقفة * أطوى اليه سائر الابواب
واذا حضرت رغبت عنك فانه * ذنب عقوبته على البواب

* وأما ذكر الولايات وما فيها من الخطر العظيم * فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن

ما بال قومك يا رباب
خزرا كانهم غضاب
فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء فقال يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع يغنى فعفى الصوت غناءه فما سمع بمثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام يعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمى يا بنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركته وتبعت الفقهاء فبلغنى الى ماترى فقلت أعدلى الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة أتريد ان تقول أخذته عن مالك ابن أنس * فائدة غريبة * روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن ينزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا رواه ابن ماجه * نادرة لطيفة * قال عبد الله بن أبى يزيد مررنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال فقلت لابن أبى سليكة يا أبا محمد أرأيت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع رواه أبو داود * نادرة لطيفة * تضمن المثل السائر فى قولهم عن الحائب رجع بخفى حنين المنقول عن حنين انه كان اسكافا من أهل الحيرة ساومه اعرابى بخفين ولم يشتر منه شيأ وغاظه ذلك فخرج الى الطريق التى لابد للاعرابى من المرور منها فعلق

سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء في التفسير ان من اتباع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذي في قلبك حبه خاصة وبهذا سلب سليمان بن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب أن يكون الحق لاهل جرادة فيقضي لهم فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحته الا لم يجد رائحة الجنة وفي الحديث من ولي من أمور المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فأبى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالي فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع الى أماكنها فان كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به في نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضي الله عنه سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان أي والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا في واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضي الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذ هذا بما فيها فقال سلمان من أرغم الله أنفه وألصق خده بالارض وروى أبو داود في السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبي عريف على الماء وانى أسألك أن تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي عليه الصلاة والسلام العرفاء في النار وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة وقال الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خرلي فقال أقعد في بيتك وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا أنجاه عمله أو أهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في ملكه فجار في حكمه فاستتلى سليمان على سريره وهو يبكي فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه وقال ابن سيرين جاء صبيان الى أبي عبيدة السلماني يتخيرون اليه في ألواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا حكم لا أتولى حكما أبدا وقال أبو بكر بن أبي مريم جاء قوم فمات صاحب لهم بأرض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا ولا عرافا ولا بريدا وانا أدلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فأعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى تحلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام وقال أبو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر اني أحب لك ما أحب لنفسي واني أراك ضعيفا فلا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ﴿ومن غريب ما اتفق﴾ ومجيب ما سبق﴾ ما حكي ان ملكا من ملوك الفرس يقال له أردشير وكان ذا ملك متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الأردن بالجمال البارع وأن هذه البنت بكر ذات خدر فسير اردشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على اردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا

الفردة الواحدة منهما في شجرة على طريقه وتقدم قليلا فطرح الفردة الثانية واختفى فجاء الاعرابي فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبهه بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه وتقدم فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الاول فخرج حنين من الكمين فأخذه بعيره وذهب ورجع الاعرابي الى ناحية بعيره فلم يجده فرجع يخفي حنين

فصارت مثلا ﴿نادرة لطيفة﴾ قيل ان بعض وفود العرب قدموا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أذابت العظم وفي أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فعلام تمنعونا عنها وان كانت لله ففرقوها على عباد الله وان كانت لكم فتصدقوا بها علينا ان الله يجزي المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ماترك الاعرابي لنا عذرا في واحدة ﴿ووقف اعرابي على حلقة الحسن البصري﴾ فقال رحم الله من تصدق من فضل أو اسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن البصري ماترك الاعرابي أحدا منكم حتى عمه بالسؤال قلت هذا النوع سماه البديعيون بالتقسيم ﴿نادرة أدبية بديعة﴾ حكى ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر بعد ما أورد لغزا في الحلال ومضروب بلا جرم

مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على
رشيق القد مشوق
وأكثر مايرى أبدا
على الاسواق في السوق

البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه اردشير في جيوشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فهبت أردشير من رؤيتها ياها فقالت له أيها الملك انني ابنة الملك الفلاني ملك المدينة الفلانية وان الملك الذي قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبي وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وانه أسرني في جملة الاسارى وأتى بي في هذا القصر فلما رأتني ابنته التي أرسلت تخطبها أحبتني وسألت اباها أن يتركني عندها التأنس بي فتركني لها فكنت أنا وهي كأنا روحان في جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر في البحر المالح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أردشير وددت لو أني ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فاتنة في الجمال فمالت نفسه اليها فأخذها للتسري وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث في يميني بأخذها ثم انه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له أنت غلبت أبي وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وانا ابنته التي خطبتها منه وانني سمعت أنك أقسمت لتقتلني فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا يتهيأ لك قتلي فعظم ذلك على اردشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشي أن تحدث الملوك عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأي هو الذي خطر لك والمصلحة هي التي رأيتها أنت وقتل هذه الجارية في هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأي الملك وحنثته في يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهي أولى بالستر ولا أرى في قتلها أستر ولا أهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها الليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيئا في البحر وهم من كان معه انها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فأخبره أنه غرقها فشكره على ما فعل ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك اني نظرت مولدي فرأيت أجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس في النجوم وان لي أولادا وعندي مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا أنا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك أن يقسمه بين أولادي بالسوية فانه ارفق الذي قد ورثته من أبي وليس عندي شيء اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب في عمرك ومالك لك ولا ولادك سواء كنت حيا أو ميتا فألح عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة فأخذه الملك وأودعه عنده في صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب في تسميته فرأى أنه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم أنه مملوك له اسمه شاه بور الى أن أراهق البلوغ هذا كله وأردشير ليس له ولد وقد طعن في السن واقعده الهرم فرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمي وضعفت قوتي واني أرى اني ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه من بعدي من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولي بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الاردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندي حية ولقد وضعت ولدا ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فأقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان في الولد روحانية تشهد بأبوة الاب وفي الوالد روحانية تشهد

قال بلغني أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيأ ﴿ومن نوادر الادب أيضا﴾ اشارة الحجاج الى قول ابن نباتة السعدي في فرس أغر محجل

غضبت صباح وقد رأتني قابضا
أبري فقلت لها مقالة فاجر

بالله الا ما طمت جبينه
حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد بذلك قوله

وكأنما طم الصباح جبينه

فاقتص منه فخاض في أحشائه

﴿ومن المنقول المشهور﴾ أن الادب وأهله كان عند أصحاب حماة في الذروة العالية ولكن قصة زكي الدين بن عبد الرحمن العوفي مع الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك تقي الدين عمر بن شهنشاه كانت على غير المعهود منه ومن سلفه الطاهر وماذاك الا ان زكي الدين المذكور أنشد الملك المظفر محمودا قبل ان يتملك حماة متى أرالك ومن تهوى وأنت كما

تهوى على رغمهم روحين في بدن
هناك أنشد والآمال حاضرة

هنئت بالملك والاحباب والوطن
فوعده ان تملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشد

مولاي هذا الملك قد نلته

برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته

فذا أوان الموعد الصادق

فدفع له ألف دينار وأقام معه مدة ولزمته أسفارا أنفق فيها المال الذي أعطاه وليحصل بيده زيادة عليه فقال

ان الذي أعطوه لي جملة

قد استردوه قليلا قليلا

قليت لم يعطوا وله يأخذوا
وحسبنا الله ونعم الوكيل

بنوة الابن لا يكاد ذلك يخرم أبدا وانني آتي بهذا الغلام بين عشرين غلاما في سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذو وآباه معروفين خلا هو وانى أعطي كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك في مجلسك هذا ولا يتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذي قلت فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي منهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ الوزير ذلك منه مرارا فقال له أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبي منهم والد بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة في هذا الوقت الى احضار الحق المختوم فأمر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأشياء مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة متانة محبته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

﴿الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم﴾

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بينهم بالحق ولا تتبع أهواءهم وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه فلم يعدل بينهما بالحق فعليه لعنة الله وعن أبي حازم قال دخل عمر على أبي بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن أبا بكر فقال أتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما قلبي وعيني وبصري وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وقلت وادعى رجل على علي عند عمر رضي الله عنهما وعلي جالس فالتفت عمر اليه وقال يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع علي الى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكرهت ما كان قال نعم قال وما ذاك قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت يا علي قم فاجلس مع خصمك فأخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بأبي أنتم بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات الى النور * وعن أبي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا * وأراد عمر بن هبيرة أن يولي أبا حنيفة القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة * وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال أقبل سيل

فبلغ ذلك الملك المظفر فأخرجه من دار كان قد أنزله بها فقال

أتخرجني من كسر بيت مهدم
ولي فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمني
وأنت فتدري ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ما ذنبي اليك فقال حسبنا الله ونعم الوكيل وأمر بخنقه فلما أحس بذلك قال

أعطيتني الالف تعظيما وتكرمة
يا ليت شعري أم أعطيتني ديني

(قلت) كان والد الملك المظفر أليق بهذا المقام الذي لم يقصد به زكي الدين العوفي غير تربيح الادب في اختلاف المعاني والمداعبة به والتوصل بذلك الى بسط الملك المظفر ولكن حال الزكي كما قيل الشاعر وكنت كالمتمني أن يرى فلقا
من الصباح فلما أن رآه عمى

(قلت) وكان والد السلطان الملك المظفر المنصور من كبار أهل الادب وكان أحب الناس لاهله وله كتاب طبقات الشعراء عشر مجلدات وسمع الحديث من الحافظ السلفي بالاسكندرية وكان مغرما بحب الادباء والعلماء وجمع تاريخا على السنين في عشر مجلدات ومن مصنفاته كتابه المسمى بمظاهر الحقائق وسرائر الخلائق وهو كبير نفيس يدل على فضله وجمع عنده من الكتب ما لا مزيد عليه وكان في خدمته ما ينا هز مائتي متعمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب وأقامت دولته ثلاثين سنة وتوفي سنة عشر وستمائة ومن شعره

أربي رياح وريحا
ن ومحبوب وشادي
والدي سلق لي الما

لمثله دفع الاعادي

(قلت) وقد تقدم القول أن قرران جميع ملوك حماة المحروسة من بنى أيوب وكان لهم المام بالادب وأهله وقد تعين ان نذكر هنا ترجمة مؤيدهم فانه كان بدر كلهم ومسك ختامهم وهو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسمعيل ابن الملك الافضل ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور ابن الملك المظفر صاحب حماة المحروسة كان أمير ا بدمشق المحروسة فخدم الملك الناصر لما كان بالكرك وبالغ فى خدمته فوعده بحماة ووفى له بذلك وجعله بها سلطانا يفعل فيها مايشاء من اقطاع وغيره ليس لاحد من الدولة المصرية معه حديث واركبه فى القاهرة بشعار المملكة وابهة السلطنة ومشى الامراء فى خدمته حتى الامير سيف الدين بن أرغون النائب وقام له القاضى كريم الدين بكل مايحتاج اليه فى ذلك المهم من التشاريف والانعامات على وجوه الدولة ولقبوه بالملك الصالح ثم بعد ذلك بقليل لقب المؤيد وتقدم أمر السلطان الملك الناصر الى نوابه ان يكتبوا اليه يقبل الارض والمقام الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى وفى العنوان صاحب حماة وكان الملك الناصر يكتب اليه أخوه محمد بن قلاوون أعزالله المقام الشريف العالى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى المولوى * وكان الملك المؤيد من علماء الفقه والادب والطب والحكمة والهيئة ونظم الحاوى وله تاريخ بديع وكتاب الكناش وكتاب تقويم البلدان هذا به وجدوله واجاد فيه ماشاء وله كتاب الموازين * وكان قد رتب للشيخ جمال الدين بن نباتة فى كل شهر

بالميمن فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فكشف عن باب معلق فظننا كنزا فكتبنا الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فكتب الينا لاتحركوه حتى يقدم اليكم كتابى ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفى يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضى الارض داهن فى القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضى الارض من قاضى السماء

واذا عند رأس سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن ابن أبى أوفى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله مع القاضى مالم يجر فاذا جار برئ الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغنى أن نصر بن على راود وعلى القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لايجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم أنى لهذا الامر كاره فاقبضنى اليك فقبض وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم القضاة جسور لاتاس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لان يدخل الرجل أصبعه فى عينيه فيقلعهما وبرى مما هو خير له من أن يكون قاضيا وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى كان أمير البصرة وقاضيا فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الى فأجد أحدهما أخف على قلبى من الآخر فاقضى له * وتقدم المأمون بين يدى القاضى يحيى بن أكثم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار فطرح للمأمون مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لاتأخذ على خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بينة فأراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال والله مادفعت لك هذا المال الاخشية أن تقول العامة انى تناولتك من جهة المقدرة ثم أمر ليحيى بمال وأجزل عطاءه * وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبى يوسف ابن يعقوب فى حكم فارتفع الخادم على خصمه فى المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك فى المجلس فتمتنع ياغلام ائتنى بعمرو بن أبى عمرو النحاس فانه ان قدم على الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى أمير المؤمنين ثم ان الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لاجزت بيعه ولم أردك الى ملكى فليست منزلتك عندى تزن رتبة المساواة بين الخصمين فى الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام الاديان والله تعالى أعلم (وقال) الابرش الكلبى يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * فى آخرين وملهوا واضها
حتى اذا ماقام ألف بينها * بالحق حتى جمعت أرفاضها

(وفى ضد ذلك قول بعضهم)

أبكى وأندب مسلة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ماعلمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الايام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جاء معك شهود لك فسكتت فقال لكاتبه ان القاضى يقول لك جاء شهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ماقال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك مارأيت ميتا يقضى بين الاحياء غيرك * وقيل المضروب بهم المثل فى الجهل وتحريف الاحكام قاضى منى وقاضى كسكر وقاضى أيذج وهو الذى قال فيه أبو اسحق الصابى

يارب عجل أعجلج * مثل البعير الاهوج رأيتـــه مطلعا * من خلف باب مرتج
وخلفه عذبية * تذهب طورا وتجى فقلت من هذا ترى * فقيل قاضى أيذج

وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهرى

رأيت رأسا كذبه * ولحية كالمذبه * فقلت من أنت قل لى * فقال قاضى شلبه

(وتقدمت)

(وتقدمت) امرأة جميلة الى الشعبي فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعي

فتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها فتنته بنان * كيف لو رأى معصميها
ومشت مشيا رويدا * ثم هزت منكبيها فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي فضرب الاشجعي ثلاثين سوطا (وحكى) ابن أبي ليلى قال انصرف الشعبي يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمر بنا بخادمة تغسل الثياب وهي تقول فتن الشعبي لما فتن الشعبي لما ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبي وقال رفع الطرف اليها ثم قال أبعده الله أما أنا فما قضيت الا بالحق * وأنشد بعضهم في أمين الحكم

تتماوت اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب وديعة لليتيم

﴿الفصل الثاني في الرشوة والهدية على الحكم وما جاء في الديون﴾ أما الرشوة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الراشي والمرتشي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تقولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل في دين الله الرشا قال الشهيدي وأصحابنا اليوم أقبل للرشا منهم وفي نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فأهدى له فقبل فذلك السحت فقيل له ما كنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر وأنشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت اذا خاصمت خصما كبيته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الحكومة غلبت * علي وقالت قم فانك ظالم

﴿وأما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال﴾

فقد روى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتي له بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه فأتي بجنازة فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين فقالوا ديناران يا رسول الله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال علي كرم الله وجهه هما علي يا رسول الله وهو بريء منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه جزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعله طوقا في عنقه وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا خرج الى الغزو فقال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضى دينه وعن الزهري قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على أحد عليه دين ثم قال بعد أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلي قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصداق ينوي أن لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوي أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شيء أستعرضه الا استعرضته من نفسي أراد أنه يصبر الى أن تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

واذا غلى شيء على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم أيضا

لقد كان القريض سميري قلبي * فأهلكتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي

ألف درهم غير ما يتعفه وهو مقيم بدمشق وتوجه الملك المؤيد في بعض السنين الى الديار المصرية ومعه ابنه الملك الافضل محمد فرض ولده فجهز اليه السلطان الحكيم جمال الدين ابن المغربي رئيس الاطباء فكان يجيء اليه بكرة وعشيا فيراه ويبحث معه في مرضه ويقدر له الادوية ويطبخ له الشراب بيده في دست فضة فقال له المغربي يا مولانا السلطان أنت والله ما تحتاج الى المملوك وما أجيء الا امتثالا للاوامر الشريفة ولما عوفي أعطاه بغلة بسرج ذهب ولجام وكنبوش مزركش وعشرة آلاف درهم والدست الفضة وقال يا رئيس اعذرني فاني لما خرجت من حماة ما حسبت مرض هذا الولد ومدحه شعراء زمانه وأجازهم وبنى بظاهر حماة المحروسة جامعا حسنا وسماه جامع الدهشة وأوقف عليه كتبا قيل انها ما اجتمعت لغيره من سائر الفنون فانه اجتهد في جمعها من سائر البلاد شرقا وغربا وتوفي رحمه الله سنة اثنين وثمانين وسبعمائة ومن شعره

كم من دم حللت وما ندمت
تفعل ما تشتهي فلا عدمت

سمعت فلو تبلغ الشموس الى
لثم مواطئي أقدامها لثمت

(والمنقول عن القاسم المكني بأبي دلف) انه جمع بين طرفي الكرم والشجاعة ولي دمشق في خلافة المعتصم فاما شجاعته فانه لحق قوما من الاكراد قطعوا الطريق فقطع فارسا طعنة فنفذت الطعنة الى فارس آخر رديفه فقتلتهما فقال بكر بن النطاح

فالوا وينظم فارسين بطعنة
يوم الهياج ولا تراه كليلا

وانى لاقضى الدين بالدين بعدما * يرى طالبى بالدين أنى لست قاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمير اذا ماقضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذالك غرم على غرم

واستعرض من الاصمعى خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبى برهن يساوى ضعف ماتطلبه فقال يا أبا سعيد أما تثق بى قال بلى وان خليل الله كان واثقا به وقد قال له ولكن ليطمئن قلبى اللهم أوفى عنا دين الدنيا باليسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين

﴿الفصل الثالث فى ذكر القصاص والمتصوفة وماجاء فى الرياء ونحو ذلك﴾

﴿أما ماجاء فى ذكر القصاص والمتصوفة﴾

فقد روى عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل لما قصوا هلكوا وروى أن كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضى الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثورى من الناس قال العلماء قلت فمن الاشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام قلت فمن السفهاء قال الظلمة * قيل وهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك فى الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس بن جبير النهشلى الصعقة التى عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضى الله عنها ان أقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن أكرم وأعظم من أن تذهب منه عقول الرجال وسئل ابن سيرين عن أقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا * وكان عمر وقاص يبكى بمواعظه فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا ألغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة وقال بعضهم قلت لصوفى يعنى جبتك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأى شئ يصيد * وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصة * وعظ عيسى عليه السلام بنى اسرائيل فأقبلوا يعزقون الثياب فقال ما ذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوها

﴿وأما ماجاء فى الرياء﴾

فقد قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ احذر أن يرى عليك آثار المحسنين وأنت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم أحب أن يعلم الناس انه كتمه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله فى شئ وعن شداد بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء وقيل بينما عابد يمشى ومعه حمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد أن يستظل معه فمنعه وقال ان أنت معى لم يعلم الناس أن الغمامة تظلنى فقال له الرجل قد علم الناس أننى لست ممن تظله الغمامة فحولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى العلمى يوما الناس يزعمون أنى مراء وكنت أمس والله صائما ولا أخبرت بذلك أحدا اللهم اصلح فساد قلوبنا واستر فضائحنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب التاسع عشر فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك﴾

(اعلم) أرشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ماقرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى فى الارض الذى يؤخذ به لضعيف من القوى والمحق من المبطل * واعلم ان عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه

لا تعجبوا فلوان طول قنانه
ميل اذا نظم الفوارس ميلا
وفيه يقول ابن عنين
تمشى المنا يا الى غيرى فاكرهها
فكيف أمشى اليها بارز الكتف
ظننت ان نزال القرن من خلقى
وان قلبى من جنبى أبى دلف
وأما شهرته فى الكرم فهو الذى قال فيه أبو تمام
ياطالبا للكيمياء وعلمها
مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن فى الارض الا درهم
ومدحته لاتاك ذاك الدرهم
ودخل عليه بعض الشعراء فأنشد أبو دلف ان المكارم لم تزل
مغلغلة تشكو الى الله حلها
فبشرها منه بميلاد قاسم
وأرسل جبريلا اليها لحلها
فأمر له بمال فقال الخازن لم يكن هذا القدر ببيت المال فأمره بضعفه فقال هذا غير ممكن فأمره بضعفه فلما حمل اليه المال قال أبو دلف
أتعجب ان رأيت على دينا
وان ذهب الطريف مع التلاد
وما وجبت على زكاة مال
وهل تجب الزكاة على جواد
وقال آخر
ان سار سار الجمود ان حل وقف
انظر بعينيك الى أسنى الشرف
هل نالة بقدرة أو بكلف
خلق من الناس سوى أبى دلف
فأعطاه خمسين ألف درهم وفيه يقول
انما الدنيا أبو دلف
العكوك بن على بن أبى جبلة
بين بلديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف
ولت الدنيا على أثره
كل من فى الارض من عرب

وأفضل الازمنة أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعدل الامام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام وأحسبه قال وأحسن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا بنبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامام العادل فاني أرجو أن لا أرجوا وأما الشهادة فأنى لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا وسأل الاسكندر حكماء أهل بابل أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته ويسأله ما الامر فيها فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرتعها والسلام * ويقال ان الحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل ينتقاص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الاولى الى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية الى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لابلغنه الى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة * ومن كلام كسرى لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل (ولما) مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولامير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لامير المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لاحد الغرماء ثم كتب للمنصور اني رأيت أمير المؤمنين كاحد الغرماء فكتب اليه المنصور رملئت الارض بك عدلا وكان أحمد بن طولون والي مصر متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للظالم وينصف المظلوم من الظالم (وحكي) أن ولده العباس استدعى بغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحي مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس اليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذي كسرت العود قال نعم قال أفعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لي فقال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسوي الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأطرق أحمد بن طولون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا مؤمن ورائك * ووقف يهودي لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمني فأنصفني منه وأذقني حلاوة العدل فأعرض عنه ووقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين انا نجد في التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا في ظلم أحد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه في الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث في الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ اليهودي حقه منه (وروي) أن رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فأتى الى المنصور فقال له أصلحك الله يا أمير المؤمنين أذكرك حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه فانما يفزع الى أمه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه ان لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى أبيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالي لعلمه أنه أقوى من أبيه فاذا زاد عقله شكا الى السلطان لعلمه انه أقوى ممن سواه فان لم ينصفه

بين يديه الى حضره
مستعير منك مكرمة
يكتسيها يوم مفتخره
فاعطاه أبو دلف مائة ألف درهم
ولما بلغت المأمون غضب غضبا
شديدا على العكوك فطلب فهرب
فاجتهدوا الى أن جاؤا به مقيدا
فلما صار بين يديه قال له يا ابن الحناء
أنت القائل في مدحك لابي دلف
كل من في الارض من هرب البيتين
جعلتنا من يستعير المكارم منه
ويفتخر بها فقال يا أمير المؤمنين
أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لان الله
تعالى اختصكم لنفسه على عباده
وآتاكم الكتاب والحكم وانما
ذهبت في شعري لاقران واشكال
أبي دلف فقال والله ما أبقيت من
أحد ولقد أدخلتنا في الكل وما
استحل دمك بهذا ولكن بكفرك
حيث قلت في عبد ذليل مهين
أنت الذي تنزل الآيات مترلها
وتنقل الدهر من حال الى حال
وما نظرت مدى طرف الى أحد
الا قضت بارزاق وآجال
ذاك هو الله يا كافر فأخر جواب لسانه
من قفاه ففعلوا به ذلك فمات * ومن
مصنفاته كتاب البزاة والصيد وكتاب
السلاح وكتاب النزو وكتاب سياسة
الملوك وكانت له اليد الطولى في
الغناء وهو مترجم بذلك في كتاب
الاغاني وذكر أبو عبيدة في كتاب
مثالب أهل البصرة ان النضر بن
شميل النحوي البصري كان عالما
بفنون من العلم صاحب غريب
وفقه وشعر ومعرفة بايام العرب
ورواية الحديث وهو من أصحاب
الخليل بن أحمد فانفق ان ضاقت به
المعيشة وزق حاله فخرج يريد
خراسان فشيعه من أهل البصرة
ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث

السلطان شكاه الى الله تعالى لعلمه انه أقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا الله تعالى فان أنصفتني والا رفعت أمري الى الله تعالى في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمه فقال المنصور بل تنصف منك وأمر أن يكتب الى واليه برد ضيعته اليه وكان الإسكندر يقول يا عباد الله انما الحكم الله الذي في السماء الذي نصر نوطا بعد حين الذي يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغني ان الله تعالى أحب شيأ الا أحببته واستعملته الى يوم أجلي ولا أبغض شيأ الا أبغضته وهجرته الى يوم أجلي وقد أنبئت أن الله تعالى يحب العدل في عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفي وسوطي ومن ظهر منه العدل من عمالي فليتمكن في مجلسي كيف شاء وليتمن على ما شاء فلن تخطئه أمنيته والله تعالى المجازي كلا بعمله ويقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان (وقيل) مات بعض الاكاسرة فوجد واله سقطا فقتح فوجد فيه حبة رمان كأكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل في خراجه بالعدل (وقيل) تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ما علمت في عمالي أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذي لحقنا ويأخذ بقبضه منه كما اذا أخذنا وان فعل ذلك لم يصبنا منه أكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغني أبيات عن سليم بن يزيد العدوي في العدل فهم بنا اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذي معك قال عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يجب أن يسمع أبياتك في العدل فقال سمعا وطاعة وأنشد يقول

حتى متى لا نرى عدلا نسر به * ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به * اذا تلون أهل الجور ألوانا
يا للرجال لداء لا دواء له * وقائد ذي عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو أني رأيت يوم عدل ثم مت وقيل لمالك بن عمر بن عبد العزيز أخذ في رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا الى عمته كان يكرمها وسألوها ان تكلمه فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفضى الامر الى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله لئن مد في عمري لأردنه الى ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت له يا ابن أخي اني أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافه دون القيامة قلا أمنيه الله وقال وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور أو عمل به أدخل الله النقص في أهل مملكته في الاسواق والزروع والضروع وكل شيء واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالي وتفسد بفساده وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حليها نقص أرعت في غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن أظن ان ملكا رآها أو وصله خبرها فهم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه ان لا يأخذها ولا يحسد أحدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها ومن المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها أين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على

أو نحوى أو عروضي أو لغوي أو اخباري أو فقيه فلما بعد واعن المدينة جلس فقال يا أهل البصرة يعز علي فراقكم والله لو وجدت كل يوم أكلة باقلاء ما فارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك القدر اليسير وسار حتى وصل الى خراسان فاستفاد بها مالا عظيما فمن ذلك انه أخذ على حرف ثمانين ألف درهم وهذه القصة نقلها الحريري صاحب المقامات في كتابه المسمى بدرة الغواص في أوهام الخواص قال حكى عن محمد بن ناصح الاهوازي قال حدثني النضر بن شميل المازني قال كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل علي أمير المؤمنين في هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا رجل كبير وضعيف وحرمر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك تقشف ثم أجرينا الحديث فأجرى ذكر النساء فقال حدثني هشام عن محاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لجمالها ودينها كانت سداد امن عوز بفتح السين من سداد فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشام حدثنا عوف عن ابن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كانت سداد امن عوز بكسر السين قال وكان أمير المؤمنين متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سداد اقلت نعم يا أمير المؤمنين لان سدادا بالفتح هنا لحن قال أو تلحنني قلت انما لحن هشام وكان

أخذها مني فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله ان لا يأخذها منها أبد اثم أمرها فعصرت فصبة منها فجاءت مل مقدح (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه سراج الملوك قال حدثنى بعض الشيوخ عن كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيأ فى ذلك العام ولا ثمرة واحدة وقال لى شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهى تحمل عشرة أرادب سنين وبية وكان صاحبها يبيعها فى سنى الغلاء كل وبية بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت فى الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالحرق من جانب البحر ثم جيء الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سراة الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر وروى أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا فى زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار وما والى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون فى الاطعمة الرفيعة ويتغالون فى المناكح والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك وما والى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم ورد كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم ختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك وينبغى للامام أن يكون على طريقة الصحابة والسلف رضى الله عنهم ويقتدى بهم فى الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبى مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التى يرسلها الله تعالى بشرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها قاطعا للقطر ورحا للعباد ولو تتبعت ما جاء فى العدل والانصاف وفضل الامام العادل لالفت فى ذلك مجموعا مما معا هذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر ويسأمه السامع وبالله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك﴾

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان لأخيه قبله مظلمة فى عرض أو مال فأتاه فتحلله منها قبل ان يأتى يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيأ يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى الى يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتى ولا حد من عبادى عندأحد منهم مظلمة فانى ألعنه ما دام قائما يصلى بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فاكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من أوليائى وأصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى الجنة وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يا لك ودعوة المظلوم فانها يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء الا قال الله عز وجل لبيك عبدى حقا لانصرنك ولو بعد حين وعنه أيضا أنه قال ألا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم

لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه
قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيأ فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى يقول

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة لى بعرو قال أفلا تفيدك معها مالا قلت انى الى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس وأنا لا أدرى ما يكتب ثم قال كيف تقول اذا أمرت أن يترب قلت أترب به قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت أطنه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الاولى ثم قال يا غلام ترتبه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه تبلغ النضر الى الفضل ابن سهل قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذبه شيأ فقال ألحنت أمير المؤمنين قلت كلا انما لحن هشام وكان لحانة فتتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لى الفضل بثلاثين ألف درهم فاخذت ثمانين ألف درهم بحرف واحد انتهى * وحكى ان النضر ابن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح الله بالصاد أى اذهبه وفرقه أوما سمعت قول الاعشى

واذا ما الخمر فيها أزبدت
أقل الازباد فيها ومصح

المعفو والذى لا يطلب فظلم العبد نفسه ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يارب ان حملك على الظالمين قد أضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين واذا منادٍ ينادى حملى على الظالمين أحل المظلومين فى أعلى عليين وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك ويقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم ورئى لوح فى أفق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت فلم أرمثل العدل للمرء رافعا * ولم أرمثل الجور للمرء واضعا

(وقال الشاعر) كنت الصحيح وكنا منك فى سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا

دعن عليك أكف طالما ظلمت * ولن ترد يد مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول انى لاستحى أن أظلم من لا يجد على ناصرا الا الله وقال أبو العيناء كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن أبى داود وقلت قد تظافروا على وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت له انا لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيئ الا باهله قلت هم فئة كثيرة فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقال يوسف بن اسباط من دعا على الظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان أخاه لابيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الحر فيكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون أى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين وقال ابن مسعود رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الحجر فى البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهى دار البقاء أسست على حجر من الظلم لاوشك ان تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يجمل رحب الذراعين سفك الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال مخنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم يقول ما هبت شيأ قط هيبتى من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له الا الله فيقول حسبك الله بينى و بينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله * وبكى على بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكى على من ظلمنى اذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تكن له حجة وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى * ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الأذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرض لى بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك فكتب الى وكيله ادفع اليه ارضه وأرضا مع أرضه وروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على ضربى يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان رزنه * وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلا تأمنن الدهر جورا ظلمته * فما الليل حران ظلمت بنائم

وروى أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضى الى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر أتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما تدرى بما صنع الدعاء

سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد ولا بد انقضاء

فقال له الرجل ان السين قد تبدل بالصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له انضر فانت اذا أبو صالح (قلت) ويشبه هذه النادرة ما حكى ان بعض الادباء جوز بحضرة الوزير أبى الحسن بن الفرات ان تقام السين مقام الصاد فى كل موضع فقال الوزير أتقول جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أم سلح فجعل الرجل وانقطع والذى ذكره أرباب اللغة فى جواز ابدال الصاد من السين أنه فى كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الاربعة وهى الطاء والخاء والغين والقاف فتقول الصراط والسراط وفى مخبر اكم صخر لكم وفى مسيغة مصغة وفى سقيل صقيل وقس على هذا (ونقل قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه) ان أبا جعفر أحمد بن عيسى البلادرى المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من يقول مثل قول البحترى فى المتوكل

فلوان مشتاقا تكلف فوق ما

فى وسعه لمشى اليك المنبر

قال البلادرى فرجعت الى دارى وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى قال هاته فانشدته ولوان بردا المصطفى اذ لبسته

يظن لظن البرد انك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته

نعم هذه أعطافه ومنا كبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما أمرك به فرجعت فبعث الى سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدى ولك الجراية والكفاية مادمت حيا (ويحيمنى من المدائح الرائقة فى حلل الحشمة)

فيمسكها اذا ماشاء ربي * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء اياك ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام وقال الهيثم بن فراس لسامي من بني سامة بن لؤي في الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يزيد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل * ووجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم

الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي في مصلاه رقعة مكتوب فيها

بقي وللبغي سهام تنتظر * أنفذ في الاحشاء من وخز الابر * سهام أيدي الفاتنين في السحر

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء ما كنت لأولي هذا بعد ما حدثني ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشياع الظلمة حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في نار جهنم وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للمظالم يوما فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة قال نعم ادنني اليك فاني مظلوم وقد أعوزني العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فذكر حاجتي قال وما يحبسك وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال فهيم ظلمتك قال في ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصبا مني بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدي خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم فقال له محمد هذا قول تحتاج معه الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شيء آخر فما معني قولك بينة وشهود وأشياء وأي شيء هذه الاشياء ان هي الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق واني لاري فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وان يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه فكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته له يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد اعتدت معهم الانصاف ورفعت عنهم الاجحاف ورددت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب ﴿ومما نقل﴾ في الآثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلا من ضعفاء بني اسرائيل كان له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها فأخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي جعلتني ضعيفا وجعلته قويا عني فخذ لي بحقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة فلما أكل منها فقمت السمكة فأهوت بنكزته في أصبع يده فنكزة طار بها عقله صار لا يقر بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها قال له دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسري الالم الى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الالم والوجع الى الكف واليد وازداد

قول عبد الله الاسطرلابي

أهدي لمجلسه الكريم وانما
أهدي له ما حزت من نعمائه
كالبحر يعطره السحاب وماله
فضل عليه لانه من مائه

(ومثله) قول القاضي الفاضل وقد كتب به الى وزير بغداد

يا أيها المولى الوزير ومن له
منن حللن من الزمان وثاقي
من شاكر عني ندالك فانني
من أعظم ما أولمت ضاق نطاقي
منن تخف على يديك وانما
ثقلت مؤنتها على الاعناق

(قلت) كان نظم القاضي الفاضل رحمه الله ونثره كفرسي رهان ولكن نثره أكثر محفوظا ـ وأجمع الناس انه أتى مع الاكثار بالعجائب (وذكر قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في تاريخه) ان مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو بعيد في أكثرها ولعمري ان الانشاء الذي صدر في الايام الاموية والايام العباسية نسي وأتى بانشاء الفاضل وما اخترعه من النكت الأدبية والمعاني المخترعة والانواع البديعة والذي يؤيده قولي قول العماد الكاتب في الخريدة انه في صناعة الانشاء كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع (ومن غرر نثره) هذه الرسالة التي أنشأها في حمائم الرسائل ومعجب فيها ذيل البلاغة والفصاحة على سحبان وائل (وهي) مبرحة لا تحمل من البطائق أجنحة وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحة وتحمل من الاخبار ما تحمله الضمائر وتطوي الارض اذا نشرت الجناح الطائر وترى لها الارض حتى ترى ما سيبلغه ملك هذه الامة وتقرب

منها السماء حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا هة وتكون مراكب الاغراض والاجنحة قلوعا وتركب الجو بحرا يصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الحاجات على انجازها ولا تعوق الارادات عن انجازها ومن بلاغات البطائق استفادت ماهي مشهورة به من السجع ومن رياض كتبها ألفت الرياض فهي اليها دائمة الرجع وقد سكنت النجوم فهي انجم وأعدت في كنانتها فهي للحاجات أسهم وكادت تكون ملائكة لانها رسل واذا أنيطت بالرقاع صارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين أسفارها وقسر بها وجعلها طيف خيال اليقظة الذي صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود أدائه الامانة في رقابها أطواقا وأدنت من أذنابها أوراقا وصارت خوافي من وراء الحوافي وأعطت سرها المودع بكتمان مصحبة عليه ذيول ريشها الصوافي ترغم أنف النوى بتقريب العهود وتكاد العيون بملاحظتها تلاحظ نجم السعود وهي أنبياء الطير ولكثرة ما تأتي به من الانباء وخطباؤها الانها تقوم على منابر الاغصان مقام الخطباء ومن غريب المنقول انني حضرت في بعض الليالي على جانب النيل المبارك في خدمة مولانا المقر الاشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد ابن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله تعالى برحمته والرضوان وبيده الكريمة جزء من تذكرة الشيخ صلاح الدين الصفدي بخطه وهذه الرسالة أول الجزء فشرع في

التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد الى المعصم لئلا يسري الالم الى الساعد فقطعها فانتقل الالم الى الساعد فازال هذا كلما قطع عضوا انتقل الالم الى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائما على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى له في منامه قائلا يقول يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك امض الى خصمك الذي ظلمته فأرضه فانتبه من النوم وفكر في أمره فعلم ان الذي أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسأل عن الصياد وأتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيأ من ماله وتاب من فعله فرضي عنه خصمه الصياد فسكن في الحال ألمه وبات تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزتي وجلالي لولا أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته ﴿ومما تضمنته أخبار الاخيار﴾ ما رواه أنس رضي الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاعد اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر رضي الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسي ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فلما رأيت ذلك عمرا أباه خشيت أن آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد الموسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال أنس رضي الله عنه فلقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على ضلع عمر وقفا يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني قال أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فجعل عمر و يعتذر اليه ويقول اني لم أشعر بهذا * وقيل لماظم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجورا فان بالله مستجيرون وانا ظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته (وحكى) أن الحجاج حبس رجلا في حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد يوم القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج الى بينة وكتب في آخرها

ستعلم يا ثوم اذا التقينا * غدا عند الاله من الظلوم
وما زال الظلوم هو الملوم * سيقطع التلذذ عن أناس * أداموه وينقطع النعيم
الى ديان يوم الدين فصلي * وعند الله تجتمع الخصوم

﴿وحكى﴾ أبو محمد الحسين بن محمد الصالحي قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أتل فأتيته منزنجارا وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينوني والحقوا بالشط فأول ملاح تروند منحدرا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتوني به وو كلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة منحدرة وهي فارغة فقبضنا عليه و وكلنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أسد قتي يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والاضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت منحدرا في المشرعة

الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين وأخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال وأين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضر وابه فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاى من أعلمك أو حى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يقتل فكان ما شاهدتم * فينبغى على كل ولى أمر أن يعدل فى الاحكام وأن يتبصر فى رعيته وعلى كل عاقل أن يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله فى السر والعلانية ويعلم أن الله يجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه واذا أخذ الظالم بقلته والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استيجاء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استيجاء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال﴾ قال جعفر ابن يحيى الخراج عماد الملوك وما استعز راعمل العدل وما استنذر واعمل الظلم وأسرع الامور فى خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وبانكسار الخراج من الجور ومثل السلطان اذا أجحف بأهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو ان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما أدخل على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذى يطين سطحه بتراب أساس بيته واذا أضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء فى السلطان (وروى) ان المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى مميرا يحدثه فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا أجيب خطبتك حتى تجعلى لى فى صداق بنتى مائة ضيعة خربة فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المأمون وجلس للظلامة أنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية * وقال أبو الحسن بن على الاسدى أخبرنى أبى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون فى زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من أموال مصر الخراج سنة واحدة من الذهب العين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف فى عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البلدان وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذر وسائر نفقات تطبيق الارض ثمانمائة ألف دينار وما ينصرف للزارع والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلو لهم من برفرعون أربعمائة ألف دينار وليا ينصرف لكهنتهم

قراءتها وكرر هما سرا وهو يترنم فى بديعها وغريبها ورسم فى اثناء ذلك فى معارضتها فلم أجد بدا من الشروع لالتزام الواجب وأوترت قسوس العزم مطمئنا بهذا الرأى الصائب وقد أوصلت هنا شمل القطعتين ليتأمل المتأمل فى جنى الجنتين وينزه نظره فى حدائق الروضتين ويطرب لسجع حمائم الدوحتين (قلت) شرح قاموس العيون الادون رسالته المقبولة وطلب السبق فلم يرض معرق البرق مرجا ولا استطلى صفحته المصقوله وهز جواد التسليم فقصر وأمست أذياله بعرق السحب مبلوله وأرسل فأثر الناس برسالته وكتابه المصدق وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير كنت نجما ولى يدى مخلق يؤدى ماجاء على يده من الترسل فيهيج الاشواق ومابرحت الحمائم تحسن الاداء فى الاوراق وصحبناه على الهدى فقال ماضل صاحبكم وماغوى ومن روى عنه حديث الفضل المسند فعن عكرمة قد روى يطير مع الهواء لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح اذا دخل تحت جناحه ان برز زمن مقتضاه لم يبق للبرد قيمه بل تنعزل بتدبيج أو راقه وتعلق عليه من العين القيمه ما يحبن الاصبر على السجن وضيق الاطواق ولهذا حدت عواقبه على الاطلاق ولا غنى على عود الا أسال دموع الندا من حدائق الرياض ولا أطلق من كبد الجوا الا كان سهما مريشا تبلغ به الاغراض كم على انصار بريش القوادم كالاهداب لعين الشمس وأمسى عند الهبوط لعين الهلال كالطمس فهو الطائر المجون والغاية

وبيوت صلاتهم مائتا ألف دينار ولما ينصرف فى الصدقات مما يصبو ينادى عليه برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائتا ألف دينار فاذا فرقت الأموال على أربابها دخل أمناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة الاموال ورد عواله بطول البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وأنهوا اليه حال الفقراء فيأمر باحضارهم وتغيير شعثهم وعد لهم السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذى كان له ولما ينصرف فى نفقات فرعون الراتبة فى كل سنة مائتا ألف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك ويجعله فى بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار *وقال أبو رهم كانت أرض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذا الانهار تجرى من تحتى الآية وكان ملك مصر عظيما لم يكن فى الارض أعظم منه ملكا وكانت الجنان بحافتى النيل متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ والزروع كذلك من أسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا ما دبر وامن جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم (وقال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فأخذ فى حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه أن يجرى لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أراد والى حيث قصد فليس خليج بمصر أكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك أموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون وأخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم ردعلى أهل القرى أموالهم فردعليهم ما أخذ منهم فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض قال هى خزائن مصر وانما استوفق أمر مصر ليوسف عليه السلام وكل وسارت الاشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه وكانت مصر أرخص فرسخا فى مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وتاب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فأسلم وكانت السنون التى حصل فيها الغلاء والجوع عمات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمى بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل لها لا تفعلى لانه ربما تذكر كرما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسىء اليك ويكافئك على ما سبق منك اليه فقالت أنا أعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية فى طريقه يوم خروجه وكان يركب فى زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من أنت فقالت أنا التى كنت أخدمك بنفسى وأرجل شعرك بيدى وأكرم مثواك بجهدى وكان منى ما كان وقد ذقت وبال أمرى وذهبت قوتى وتلف مالى وعمى بصرى وصرت أسأل الناس فمنهم من يرحمنى ومنهم من لا يرحمنى وبعد ما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محقرة ومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقى فى قلبك من حبك اياى شئ قالت نعم والذى اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الى من ملء الارض ذهبا وفضة فقضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أعماتنى وجنالك وان كنت ذات بعل أغنيتك فقالت لرسول الملك أنا أعرف أنه يستهزئ بى هو لم يرد نى فى أيام شبابى وجمالى فكيف يقبلنى وأنا عجوز زمناء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلى ودعا الله تعالى بلهمه العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنها

ورجالها

السماقه والامير الذى اذا أودع
أسرار الملوك حملها بطاقه فهو من
الطيور التى خلا لها الجو فنقرت
ماشاءت من حبات النجوم والجمعاء
التى من أخذ عنها شرح المعلقات
فقد أعرب عن دقائق الفهوم
والمقدمة والنتيجة لكتاب الحجلى
فى منطق الطير وهى من جملة
الكتاب الذى اذا وصل القارئ منه
الى الفتح تهلل بفاتحة الحبر وان
تصدر البارزى بغير علم فكم جمعت
بين طرفى كتاب وان سألت العقبان
عن بديع السجع أحجمت عن رد
الجواب شعر

رعت النجوم بقوة جيف الفلا
ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف
ماقدمت الاوأو رثتنا من شمائلها
الاطيفة نعم القادمه وأظهرت لنا
ان خوافيها ما كانت له خبر كاتمه كم
أهدت من مخلقها وهى غادية راتحة
وكم حنت اليها الجوارح وهى أدام
الله اطلاقها غير جارحه وكم أدارت
من كؤس السجع ماهو أرق من
قهوة الانشاء أبهم على زهر المنثور
من صيغ الاعشاء وكم عامت بحور
الفضا ولم تخف موج الجبال وكم
جاءت ببشارة وخضبت الكف
ورمت من تلك الاغلة قلامة الهلال
وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى
ظفرت بكف الخضيب وانحدرت
كأنها دمعة سقطت على خد الشفق
لامر مريب وكم لمع فى أصيل
الشمس خضاب كفها الوضاح
فصارت بسوطها وفرط البهجة
كمشكاة فيها مصباح والله تعالى
يديم بافنان أبوابه العالية ألحان
السواجع ولا برح تغريدها مطربا
بين البادى والراجع انتهى

(وذكر رضيه الدين أبو الفتح نصر
الله المعروف بابن الاثير الجزرى

و جمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغي للقوي أن لا ينسى الضعيف وللغني أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسؤل يصير سائلا ورب راحم يصير مرحوما فنسأل الله تعالى أن يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله * ولما ملك يوسف عليه السلام خزائن الارض كان يجوع ويأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع * ومن حسن سيرة العمال * ما روى أن عمر رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير ابن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضي الله عنه أن أقدم علينا فلم يشعر عمر الا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده واداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له يا عمير أجئتنا أم البلاد بلادسوء فقال يا أمير المؤمنين أمانتك الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بقرابها فقال له وما معك من الدنيا قال عكازتي أتوكأ عليها وأدفع بها عدوان لقيته ومزود أحمل فيه طعامي واداوة أحمل فيها ماء لشربي ولطهوري وقصعة أثوتأفيها وأغسل فيها رأسي وآكل فيها طعامي فوالله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبع لما معي قال فقام عمر رضي الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقني بصاحبي غير مقتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمير فقال أخذت الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لآتيتك به فقال عمر عد الى عملك يا عمير قال أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردني الى أهلي فأذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لي عميرا وانزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو في سعة أم ضيق فان كان في ضيق فادفع اليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة أيام قال يا حبيب ان رأيت أن تحول الى جيراننا فلعلهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فانا والله ولله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها أمير المؤمنين اليك فدعا بغر وخلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى أن أنفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك يا أمير المؤمنين من عند أزهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال يا أمير المؤمنين أما الثوبان فأقبلهما وأما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند أهلي صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم (وروي) أن عمر رضي الله عنه صر أر بعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه في بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجارية له وقال لها اذهبي بهذه السبعة الى فلان بهذه الخمسة الى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام الى عمر وأخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من أمره فمضى اليه وقال له كما قال لابي عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فأخبر عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضي الله تعالى عنهم أجمعين

* (الفصل الثاني في أحكام أهل الذمة) * روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألنا كم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها كنيسة ولا دير ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع أبوابها للمار وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوسا

في كتابه المسمى بالوشي المرقوم في حل المنظوم * وقال حدثني الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني بمدينة دمشق (سنة ٥٨٨) ثمان وثمانين وخمسمائة وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية ان فن الانشاء لا تطاوعه رأس مكانا أو بيانا وكل من أنشأ أقام لسلطانه بانشائه سلطانا وكان من العادة أن كلا من أرباب البيوت اذا نشأله ولد أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويسمع فارسلني والدي وكان اذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ العبيدي وهو أحد خلفائهم فدخلت ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس به في تلك الايام وهو صاحب الانشاء بمصر موفق الدين أبا الحجاج يوسف المعروف بابن الجلال فلما مثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبي رحب بي ثم قال ما الذي أعددت لفن الانشاء وكتابته فقلت ليس عندي سوى اني أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال في هذا بلاغ ثم أمرني بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت عليه وطال تدربي بين يديه أمرني ان أحل عليه ديوان الحماسة لحللته من أوله الى آخره ثم أمرني أن أحله مرة أخرى لحللته انتهى ما ذكره ابن الاثير (قلت) وقال عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة في حق موفق الدين بن الجلال كان فن الترسل والانشاء آل اليه وكان في ذلك ناظر مصره وانسان ناظره وقبلة جامع مفاخره * قلت * الذي نبت عند المؤرخين وعلماء هذا الفن ان القاضي الفاضل رحمه الله تعالى أخذ علم الانشاء وحكمه عن موفق الدين بن

ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شعرنا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قرابتنا الدخول فى دين الاسلام ان أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس وأن لا نتشبه بالمسلمين فى شئ من ملابسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب فى السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كانوا وأن نشد الزنار على أوساطنا ولا نظهر صلبانا ولا كتبنا فى شئ من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس فى كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى شئ مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه أن أمض ما سألوه وألحق فيه حرفين واشرط عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده * وروى أن بنى تغلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا فقال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاما فجعلوا الجزز أصيهم وشق من أردينهم حزما يحتزمون بها وأمرهم أن لا يركبوا بالسروج وأن يركبوا على الاكف من شق واحد * وروى أن أمير المؤمنين الخليفة جعفر المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وقرب منه أهل الحق وأبعد عنه أهل الباطل فأحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا فى دينهم ولا يحل فى دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت دنيا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفيا فقال يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر رضى الله عنه ان العدو قد كثر وان الجزية قد كثرت أفتستعين بالاعاجم فكتب اليه انهم أعداء الله انهم لنا غششة فأنزلوهم حيث أنزلهم الله * ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال انى أريد أن أتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لاتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فأجابه بمثل الاول فقال نعم فخرج به وفرح به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم فى أن لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين * وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله أن لا تولوا على أعمالنا الا أهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن فى أهل القرآن خير فأجدر أن لا يكون فى غيرهم قال أصحاب الشافعى ويلزمهم أن يتميزوا فى اللباس عن المسلمين وأن يلبسوا ما لا نسوة يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة ويشدوا الزنانير على أوساطهم ويكون فى رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص أو جرس يدخلون به الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات وأما المرأة فانها تشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى أو يكون فى عنقها خاتم تدخل به الحمام ويكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالاكاف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون فى المجالس ولا يبدؤن

بالسلام

الحلال مشى ه الخليفة الحافظ العلوى ورتبته فى الانشاء معلومة ولكن جنحت الى الوقوف على شئ من نظمه لا نظر فى الرتبتين كما قررت ذلك فى نظم القاضى الفاضل ونثره فوجدت قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله قد أورد له فى تاريخه نظما ونثرا دالين على ان نظمه ونثره رضيعا لبان وفرسا رهان ﴿ فمن ذلك قوله فى الشمعة ولله دره حيث أجاد ﴾

وصحبة بيضاء تطلع فى الدجا
صحابا تشفى الناظرين بداتها
شابت ذوائبها وان شبابها
واسود مفرقها وان فتاتها
كالعين فى طبقاتها وهو معها
وسوادها وبياضها رضيانها

(وله)

وأغن سيف لحاظه
يغرى الحسام بجده
عجب الورى لما جنت
ت وقد فنيت ببعده
وبقاء جسمى ناحلا
يصلى بوقد تصده

(نادرة) كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة أن اجمع بين اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة قول القضاء افقههما فجمع بينهما فقال له اياس أيها الرجل سل عنى وعنه فقيهى المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما ففهم القاسم ان سألهما عنه أشارا به فقال له لا تسل عنى ولا عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياس بن معاوية أفقه منى واعلم منى بالقضاء فان كنت كاذبا فما عليك ان توليني وأنا كاذب وان كنت صادقا فينبغى ان تقبل قولى فقال له اياس انك جئت برجل وقعت به على شفير جهنم فنجى نفسه

بالسلام و يلجؤن الى أضيق الطرق و يمنعون أن يتطاولوا على المسلمين فى البناء ويجوز المساواة وقيل لا تجوز وان تملكوا دارا عالية أقر وعليها و يمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل و يمنعون من المقام فى أرض الحجاز وهى مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام أهل الملة انتقض عهدهم وان زنى أحدهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق انتقض ذمته وفى تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فمنهم من قال انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر رضى الله عنه الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغنى ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه أربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثنى عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ولم يخالفه أحد وكان الصرف اثنا عشر بدينار وهذا مذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل وأحد قولى الشافعى و يجوز للامام أن يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين * وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع ان تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد فى ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر ان لا يترك فى دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم﴾

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين فى سبيل الله وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله رواه البزار والطبرانى فى معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم ويرزقهم وفى مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن عبيد بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم فى حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كتبت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم فى الحلية ورويناه فى مكارم الاخلاق لابى بكر الخرائطى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه فى حاجة فنامت فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه أبو نعيم وابن أبى الدنيا وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الله الى غيرهم رواه الطبرانى ورويناه من طريق الطبرانى باسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه

منها بين كاذبة يستغفر الله تعالى منها و بين صادقة يخاف فقال له عدى أما اذ فهمتها فانت لها أهل فاستقضاه (نادرة لطيفة) نقل ابن عبد ربه فى العقد ان أبا سفيان زار معاوية فى الشام فلما رجع من عنده دخل على الامام عمر رضى الله عنه فقال له الامام أجدنا قال ما أصبنا شيأ فنجد بك فأخذ الامام عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول قل لها يقول لك أبو سفيان انظرى الخرجين اللذين جئت بهما من عند معاوية فاحضريهما فلم يلبث هم ان أتى بالخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فألقاها عمر فى بيت المال فلما ولى عثمان ابن عفان رضى الله عنه أراد ردها اليه قال ما كنت لآخذ ما لا عابه عمر على والله أن لنا اليه حاجة ولكن لا نرد على من قبلك غير د عليك من بعدك

﴿استنجاز المواعيد﴾

(قلت) وما ظنك بشئ قد جعله الله فى كتابه العزيز مدحة وفخرا لانبيائه فقال واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ولم يكن فى خلف الوعد الا قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون لكنى قال هم بن الحرث كانوا يقولون و يفعلون فصاروا يقولون ولا يفعلون ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون فهم ضنوا بالكذب فضلا عن الصدق (و يحيينى قول العباس بن الاحنف)

ما ضر من شغل الفؤاد بخله
لو كان علمنى بوعد كاذب
صبرا عليك فما أرى لى حيلة
الا التمسك بالرجاء الخائب

فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقى فى الدرجات وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد فى زئيره قالوا الله و رسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل يارسول الله أى الناس أحب اليك قال أنفع الناس للناس قيل يارسول الله فأى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه فى حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم بعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبرانى فى الصغير باسناد حسن وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة رواه الطبرانى وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجل على مؤمن سرورا الا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى ويوحده فاذا صار العبد فى قبره أتاه ذلك السرور فيقول له أما تعرفنى فيقول له من أنت فيقول أنا السرور الذى ادخلتنى على فلان أنا اليوم أونس وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك الى ربك وأرى منزلك فى الجنة رواه ابن أبى الدنيا وعن على ابن أبى طالب رضى الله عنه يرفعه اذا أراد احدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسى وانا أنزلناه فى ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع * ومن كلام الحكماء اذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا فى خير واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه ان لا يفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسؤل أغث عن حاجتك فقال ما نام عن حاجته من أسهر لها ولا عدل بها عن صحة النجح من قصد لها فجب من فصاحته وقضى حاجته وأمر له بمال جزيل * وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان الحمل اذا أفرط فى مص ندى أمه لطمته وقال ذو الرياستين لثمامة بن أشرس ما أدرى ما أصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى أن لا يملك منهم أحد فقال له صدقت وجلس لهم فى قضاء حوائجهم وحدث أبو جعفر محمد ابن القاسم الكرخى قال عرضت على أبى الحسن على بن محمد بن الفرات رقعة فى حاجة لى فقرأها ووضعها من يده ولم يقع فيها بشىء فأخذتها وقمت وأنا أقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

واذا خطبت الى كريم حاجة * وأبى فلا تعقد عليه بحاجب
فلربما منع الكريم ومابه * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا أبا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت * وسأل اسحق بن ربعى اسحق بن ابراهيم المصعبى أن يوصل له رقعة الى المأمون فقال لكاتبه صمها الى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتى واشدد عراها * فقد أفضت بمنزلة الضياع
اذا شاركتها بلبان أخرى * أضر بها مشاركة الرضاع

(وقال أبو دقاقة البصرى)

أفحمت حواجبنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال

سأموت من مطل وتبقى حاجتى
فيما لديك وما لها من طالب

(وذكر حيان بن سليمان عامر بن الطفيل فقال) والله كان اذا وعد الخير وفى واذا وعد الشر أخلف وهو القائل

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى
ولا أمتنى من صولة المتهدد
وانى وان أوعدته أو وعدته
لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

(وقال ابن حازم)

اذا قلت عن شىء نعم فأتمه
فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها
لئلا يظن الناس انك كاذب

(ويعجبنى قول عبد الصمد الرقاشى فى خالد بن يسم حامل الرى وقد أبطأ عليه بوعد)

أخالد ان الرى قد أجحفت بنا
وضاق علينا رسمها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما سحابة
أضاءت لنا برقا وأبطأ رشاشها
فلا غيمها يصحو فنرجع طامعا
ولا ودقها فيها يمنى فنروى عطاشها

(قلت) ومن البلاغة المرفضة فى هذا الباب خطاب كوثر بن زفر وقد وعد يزيد بن المهلب وأبطأ بوعده وهو * أصلح الله الامير أنت أعظم من أن يستعان بك أو يستعان عليك ولست تفعل من الخير شيأ الا وهو يصغر عنك وأنت تكبر عنه وليس العجب ان تفعل ولكن العجب ان لا تفعل * قيل ان يزيد بن المهلب لما سمع هذا الخطاب البليغ مال سكرا وطربا وقال له سل حاجتك قال حملت من عشير عشر ديات قال قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها (ويعجبنى قول بعضهم) أما بعد فان شجرة وعدك قد أورقت فليكن عودها سالما من

أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور معا بغير عقال
(وقال سلم الخاسر) اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

(ولله در القائل حيث قال)

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدى العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج فرض المقسم الجواد

وعن عبيد الله بن الحسن بن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فارسل الى رسولا أو اكتب لى كتابا فانى لاستحيى من الله أن يرانى ببابى وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه انه قال والذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا شعورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما يا جابر ما أكثر نعم الله عليه وكثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها﴾

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم خص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشئ من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضى الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الارض ويجلس على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفئ حر هذا وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختم الدباء فأكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارق فى سفره قارورة الدهن والمكحلة والمرآة والمشط والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضى الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وكان له عبيد وإماء لا يرتفع على أحد منهم فى مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما وكان يقول أنا أفصح العرب وقال أنس رضى الله عنه والذى بعثه بالحق نبيا ما قال لى فى شئ قط كرهته لم فعلته ولا فى شئ لم أفعله لم فعلته ولا لامنى أحد من أهله الا قال دعوه فانما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى لا مانع من أن النبى صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من الرتبة التى هى أعلى مرتبة من العبودية للنبى صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبدا له متواضعا لحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا اكاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى أتى الله تعالى من دعاء لبناء ومن صالحهم لم يرفع يده حتى

حوائج المطل والسلام

﴿لطيف الاستمناح﴾

قال الحكماء لطيف الاستمناح سبب النجاح والنفس ربما انطلقت وانشرحت للطيف السؤال وامتنعت وانقبضت بجفاء السائل (ولله در القائل)

ان الكريم أخا المودة والنهى
من ليس فى حاجاته بمثقل

﴿دخل عبد الله بن صالح﴾ على الرشيد فقال له اسأل بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامة فقال بالخلافة والعامة فقال يا أمير المؤمنين بدأك بالعطية أطلق من لسانى فاجزل عطيته ﴿وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة﴾ فقالت أشكو اليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا لها بيتها الحما وخبزا ومعنا ﴿نادرة لطيفة﴾ كان أبو جعفر المنصور أيام بنى أمية اذا دخل البصرة دخل متكتما وكان يجلس فى حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت اليه الخلافة قدم أزهر عليه فرحب به وقربه وقال ما حاجتك يا أزهر فقال يا أمير المؤمنين دارى متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم وأريد أزوج ابنى محمدا فوصله باثنى عشر ألف درهم وقال قد قضينا حاجتك يا أزهر فلا تأتنا بعد هذا الا فأخذها وارتحل فلما كان بعد سنة أتاه فقال له أبو جعفر ما حاجتك يا أزهر قال جئت مسلما فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا فاذهب

يكون هو الذي يرفعها يعود المريض ويتبع الجنائز ويجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة وأتعبهم لله عز وجل بدنا وأجدهم في أمر الله لا تأخذه في الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيأ الا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين أمرين الا اختار أيسرهما الا أن يكون اثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجماع الناس لرجحت وهي قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفي رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيئ الخلق أجنبي عند أهله وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق أحب الي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق لان الفاجر اذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه (بيت مفرد)

ادارام التخلق جاذبته * خلائقه الى الطبع القديم

قيل أبى الله لسيئ الخلق التوبة لانه لا يخرج من ذنب الا دخل في ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شئ لم يقل ما بال فلان ولكن يقول ما بال أقوام يقولون حتى لا يفضح أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم ما شئ في الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره لاهل بيته مد له في عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الاذى يزيدان في الرزق وقيل سوء الخلق يعدي لانه يدعو الى أن يقابل بمثله * وكتب الحسن بن علي الى أخيه الحسين رضي الله عنهم في اعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين أنت أعلم مني بأن خير المال ما وقى به العرض فانظر الى شرف أدبه وحسن خلقه كيف ابتدأ كتابه بأنت أعلم مني وكان بينه وبين أخيه كلام فقيل له ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال اني سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة وأنا أكره أن أسبق أخي الاكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضي الله عنهما وأنشد في المعنى

واني لالقى المرء أعلم أنه * عدو وفي أحشائه الضغن كامن
فأمحضه بشرا فير جع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

(ومرق) بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فانفذ الى الجوهري بصفتها فقالوا باعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذي مر قها قبض عليه وأحضر بين يدي جعفر فلما رأى ما ظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت مني هذه الجوهرة فوهبتها لك وأقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهري بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذي يطيب خاطرك به لا تبع بيع خائف * ودخل محمد بن عباد على المأمون فجعل يعممه بيده وجارية على رأسه تتبسم فقال لها المأمون ما تضحكين فقال ابن عباد أنا أخبرك يا أمير المؤمنين تتعجب من قبحي واكرامك اياي فقال لا تعجبي فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يماني

(وحكي) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا في لحاقه حتى بعد

ولا تأتنا بعد طالبا ولا مسلما ولا عائذا فأخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل فقال له ما حاجتك يا أزهر قال يا أمير المؤمنين دعاء كنت اسمعك تدعو به جئت لاكتبه فضحك أبو جعفر وقال الدعاء الذي تطلبه غير مستجاب فاني دعوت الله به أن لا أراك فلم يستجب لي وقد أمرنا لك باثني عشر ألفا وتعال اذا شئت فقد اعتقنا الحيلة فيك ﴿ودخل رجل من الشعراء﴾ على يحيى بن خالد بن برمك فانشده سألت الندى هل أنت حر فقال لا
ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة

توارثني من والد بعد والد

فأمر له بعشرة آلاف درهم ﴿أجواد الجاهلية الذين انتهى اليهم الجود ثلاثة نفر﴾ حاتم من عدي الطائي وهرم بن سنان المزني وكعب بن مامة الايادي ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء أوقد نارا في بقاع الارض لينظر اليها المار ليلا فيبادر اليها وهو القائل لغلامه يسار
أوقد فان الليل ليل قر
والريح يا مة وقد ريح صر
حتى يرى نارك من مر
ان جلبت ضيفا فانت حر

﴿وأما﴾ هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه

تراه اذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذي أنت سائله

(وأما) كعب بن مامة الايادي فلم يأت له الا ما ذكر عنه من ايثاره رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدي وناهيك بهذا الكرم الذي ماسبق اليه (وأما أجواد الحجاز) فثلاثة في عصر واحد

عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعي احفظ على فرسي حتى أبول فعمد الراعي الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذي عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعي قدم الى فرسي فانه قد دخل في عيني من ساقي الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا ﴿وذكر﴾ أن أنوشروان وضع الموائد للناس في يوم نوروز وجلس ودخل وجوه أهل مملكته في الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب وأحضرت الفواكه والمشموم في آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه وأنوشروان يراه فلما فقده الشراب صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فأخبره بالقضية فقال قد أخذه من لا يرده ورآه من لا يتم عليه فلا تفتش أحدا فأخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجد له كسوة جميلة فلما كان في مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الارض وقال نعم أصلحك الله * وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم يا غلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح يا غلام فدخل غلام تركي وهو يقول ما ينبغي للغلام ان لا أكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام الى كم يا غلام فنكس المأمون رأسه طويلا فما شككت انه يأمر بي بضرب عنقه ثم نظر الي فقال يا عبد الله ان الرجل اذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه واذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه وانا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا * وقال ابن عباس رضي الله عنهما ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة واليا وكان وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ما ترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مدينا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الى ينابعين أرق من الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الجني ولقد شهدت منه مشهد الو كان من معاوية لذكرته تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر في وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ما رد ها الا ذقن الوليد وانكب جميع ما فيها في حجره فبقي الغلام متمثلا واقفا معه من روحه الا ما يقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه وأقبل علينا تبرق أسارير جبهته فأقبل على الفراش وقال يا بائس ما أرانا الا لاروعنك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى * ومرض أحد بن أبي داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى ان أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال الغبري لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان الكرام والمعروف أوديةٌ * أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم وألقته خلف ظهره فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى * وكان ابن عمر رضي الله عنهم اذا رأى أحدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرآة له فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدع عياله وروي ان أبا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع في وقت الهاجرة فألقى عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقي للرماد فقال أبو عثمان لا تقولوا شيأ فان من استحق أن يصب عليه النار فصوح بالرماد لم يجزه أن يغضب وقيل لابراهيم بن أدهم تغمده الله تعالى برحمته هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين

وهم عبيد الله بن العباس وعبد الله ابن جعفر وسعيد بن العاص (وأجواد أهل البصرة خمسة في عصر واحد) وهم عبد الله بن عامر وعبد الله بن أبي بكر مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالم بن زياد وعبد الله بن معمر القرشي التيمي وطلحة الطلحات وهو طلحة بن خالد الخزاعي (وأجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد) وهم عتاب بن ورقاء الرياحي وامساء بن خارجة وعكرمة الفياض * فمن جود عبيد الله انه أول من فطر جيرانه وأول من وضع الموائد على الطريق (ومن جوده) ان أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه فقال له يدك عندنا قال له رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يملأ من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال اجل اني لأذكرك ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار عشرة آلاف درهم قال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده عندنا فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسهيل ولد غيرك لكان فيك كفاية فكيف وقد ولد سيد المرسلين ثم نمى فرع بك وبأبيك ومن جوده أيضا (ان معاوية حبس عن الحسين بن علي رضي الله عنه صلاته حتى ضاقت عليه الحال فقيل له لو وجهت الى عمك عبيد الله بن العباس لكفاك وقد قدم بألف ألف قال الحسين فما مقدارها عنده والله انه لاجود من الريح اذا عصفت وأمضى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق

حاله وانه يحتاج الى مائة ألف فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان أرق الناس قلبا وألينهم عطفا انهملت عيناه ثم قال ويلك يامعاوية تكون لبن المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال ثم قال لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ماغلكه من ذهب وفضة ودابة وأخبره انى شاطرته فان أقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه النصف الآخر قال فلما وصل الرسول الى الحسين قال اللهم غفرا والله على عمى وماظننت انه يتسع بهذا كله فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل هذا فى الاسلام (ومن جوده أيضا) ان معاوية أهدى اليه وهو عنده فى شهر من هدايا النور وزحلا كثيرة ومسكا رآنية من ذهب ونضة وجوهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو يطيل النظر فيها فقال هل فى نفسك منها شئ قال نعم والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف فضحك عبد الله فقال فشأنك بها فهى لك قال جعلت فداءك أنا أخاف ان يبلغ ذلك معاوية فيغضب لذلك قال فأختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن وهو يحملها الليلة ليلا ففعل الحاجب والله ان هذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم ولوددت ان لا أموت حتى أراك مكانه يعنى معاوية يتفظن عبيد الله انها مكيدة منه فقال دع هذا الكلام انا من قوم نقى عما عقدنا ولا ننقض ما أكدنا وقال له رجل من الانصار جعلت فداءك والله لوسقيت حاتما بيوم ماذكرته العرب وأنا أشهد ان عفو وجودك أكثر من مجهود وطل صوبك أكثر من وابله (ومن جود

احداهما انى كنت قاعدا ذات يوم فجاءنى انسان فمال علىّ والثانية كنت جالسا فجاءنى انسان فصفعنى وروى ان علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال أما تسمع ياغلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ﴿وحكى﴾ ان أبا عثمان الحيرى دعا انسانا الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل ياأستاذ ليس لى وجه فى دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال ياأستاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ماقال فى الاولى ثم فعل به ذلك أربع مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له ياأستاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف على أخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال أبو عثمان لاتمدحنى على خلق تجده فى الكلاب فان الكلب اذا دعى حضر واذا زجر انزجر ﴿وقال الحرث بن قعبى يعجبنى من القراء كل فصيح مفصاك فأما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله فى المسلمين مثله ﴿ومن محاسن الاخلاق﴾ ماحكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته وقد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان محو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشى على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطا خطوات خائف ان لا ينبهنى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يصلى وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طول ليلته يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت ياأبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير صبيت جعلنى الله فداك ياأمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالغلام فأزعجك فقلت ياأمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهنالك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لى بألف دينار فأخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبهته وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشو فاه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فأنتبه قال يحيى وكنت معه يوما فى بستان نور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لغير البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يحدثنى أن أتحول أنا الى الظل ويكون هو فى الشمس فأمتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يحيى والله لتكونن فى مكانى ولأكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله ياأمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال يحيانى عليك الا ماوضعت يدك على عاتقى مثل مافعلت أنا فانه لا خير فى صحبة من لا ينصف ولنظر الى أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ما أحسنها والى أفعالهم ما أزينها نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وان يبارك لنا فى أرزاقنا انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك﴾

﴿اعلم﴾ أن المودة والاخوة والزيارة سبب التآلف والتآلف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم أن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لاوليائه من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء

وندب اليه وآخى بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلقون فيها من الألم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وأنشد وافى ذلك

وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى الكف مقطوعة * ولا خير فى الساعد الاجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون فى السراء والضراء ومن كلام على رضى الله عنه وكرم وجهه

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عددوا واحد الكثير

وقال الاوزاعى الصاحب للصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وذخائر وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت فى اللذات فوجدتها كلها معلولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطىء والنظر الى الحسن من كل شىء قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهى أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتى الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضى الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط وأكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلى ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقى من اللذات ما تتوق اليه نفسى الا محادثة أخ كريم وأنشد وافى معنى ذلك

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا عددهم قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(وقال لبيد) ما عاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح
(وقال آخر) اذا ما أتت من صاحبك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك أى الاخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لا يملك على القرب ولا بنسيك على البعد ان دنوت منه دانك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودته فعله أكثر من مودة قوله وأنشد وافى المعنى

ان أخاك الصدق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا رب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(وقال غيره) وليس أخى من ودنى بلسانه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان أعوزته النوائب

(وقال أبو تمام) من لى بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وقيل لخالد بن صفوان أى اخوانك أحب اليك قال الذى يسد خلتى ويغفر زلتى ويقيل عثرتى وقيل من لا يؤاخى الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
(وقال آخر) اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

عبد الله بن جعفر) ان عبد الله بن أبى عمارة دخل على نخاس يعرض فيانا للبيع فشغفه حب واحدة منهن ولم يكن له جدة يتوصل بها الى المشترى فشبب بذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فى ذلك فكان جوابه ان قال

يلومنى فيك أقوام أجالسهم
فما أبالى أطار اللوم أم وقفا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج وبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه ان تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال مالى لا أرى ابن عمارة زائرا فأخبر بذلك فأتى مسلما فلما رأى أن ينهض استحلسه ثم قال ما فعل بك حب فلانة قال حبها فى اللحم والدم والمخ والعصب قال أتعرفها ان رأيتها قال لو أدخلت الجنة لم أنكرها فأمرها عبد الله ان تخرج اليه وقال له انما اشتريتها لك والله ما دنوت منها فشأنك بها بارك الله لك فيها فلما ولى قال يا غلام احمل اليه مائة ألف درهم قال فبكى عبد الله وقال يا أهل البيت لقد خصكم الله بشرف ما خص به أحدا من صلب آدم فهنا كم الله بهذه النعمة وبارك لكم فيها (ولقد) تقر ان أجواد الاسلام أحد عشر جوادا ذكرت من جود بعضهم ما تيسر وقال صاحب العقد انه جاء بعدهم طبقة أخرى وهى الطبقة الثانية (فمنهم الحكم بن أحطب قيل سأله اعرابى فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابى فقال له لعلك استقللت ما أعطيناك فقال لا والله ولكنى أبكى لما تأكل الارض منك ثم أنشد

وان أنت لم تشرب مرارا على الأذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خللا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرمه ودّه ولكن دا وكلمته واستر عورته وأبقه وابر أمن عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما أمره بالبراءة من عملهم الى * وقال صلى الله عليه وسلم الأرواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام ان روحى المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفى ذلك قال بعضهم

هو يتكم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه
وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

(وقال آخر) تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا * من طيب ذكركم نشرا فاحيانا
فمن هنالك عشقناكم ولم نركم * والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ما تحاب اثنان فى الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه ما زار أخ أخا فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناداه ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس مرور يعدل لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل فى الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون لصديق صديقا لك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الاشياء ودّ من يهودى وحفظ من نصرانى ورياضة من دهرى وكرم من أعجمى والحذر من الكريم اذا أهنته واللئيم اذا أكرمته والعاقل اذا أخرجته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا أحبب من الاخوان من أولاك جماعة كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسى جماله وبقى شاكرا ناشرا ذاكرا لجميلتك يوليك عليها الاحسان الجميل الكثير الجزيل ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل وقال ابن عائشة لقاء الحليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا رقم بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

خليلى للبغضاء حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف
فما تنكر العينان فالقلب منكر * وما تعرف العينان فالقلب عارف

(وقال آخر) وكنت اذا الصديق أراد غيظى * وشرقنى على ظمإ بريق
غفرت ذنوبه وكظمت غيظى * مخافة أن أعيش بلا صديق

(وقال آخر) وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى فضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا * لضر عدو أو لنفع صديق

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا لقوا واذا صافحوا واذا تلاقوا وكان الضحاك بن شرحبيل الهمذانى اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فأمر له بألف دينار وكان هناك رجل قد فسح له فى المجلس فدفعها الذى فسح له فقال

وكنت جليس فعقاع بن شور * وما يشقى بفعقاع جليس
فصولة السن ان نطقا وبخر * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضى الله عنهما الجليسى على ثلاث ان أرمقه بطرفى اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغى له اذا حدث ويقال لكل شئ محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الحسن كالعطار ان لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل الكير ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الاطعمة وتقول أيضا صبحتك الافالح وكل طير صالح ووصف المأمون ثمامة بحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أول ما يتعين على الجليس الانصاف فى المجالسة بان يلحظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما فى محله

فكان آدم حين حان وفاته
أوصاك وهو يجود بالحو باء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم
وكفيت آدم عيلة الابناء

﴿وحكى﴾ عن العتبى انه قال حدثنى رجل قال قدم علينا الحكم ابن أحطب وهو مملق فأغنانا فقلت وكيف أغناكم وهو مملق فقال علمنا المكارم فعدا غنينا على فقرنا (ومنهم معن بن زائدة) يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج وأتاه رجل يستحمله فقال يا غلام أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هذا لأعطيتك (ومنهم يزيد المهلب) قيل كان هشام بن حسان اذا ذكره قال كانت السفن تجرى فى بحر جوده

﴿وحكى﴾ الاصمعى انه قدم على يزيد قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ما ندرى اذا ما فاتنا
طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد
أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عودتنا
أولا فارشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار (ومنهم يزيد ابن حاتم) قيل ان ربيعة الرأى قدم مصر فأتى يزيد السلمى فلم يعطه شيأ ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنه لأمر ضرورى فخرج وهو يقول

أرانى ولا كفران لله راجعا
بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فلما فرغ يزيد من ضرورته سأل عنه فأخبر عنه انه خرج وهو يقول كذا وأنشد البيت فأرسل من يجد فى طلبه فأتى به فقال كيف قلت فأنشد البيت فقال شغلنا عنك

وقال صلى الله عليه وسلم ذو العلم والسلطان أحق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضي الله عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس فى الصدر وينبغى للانسان أن لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه أن يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ما وافق الحال وأوجبوا على المستمع انه اذا رد عليه من المتكلم ما كان مر بسمعه أولا أن لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى أن يستوعب منه القول وعد وا ذلك من باب الادب واعلم اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن فى حفظه وقيل ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الجالس فى مجلس ليس له بأهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعون والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتأمر على رب البيت فى بيته والآتى الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف بقدر السلطان ويتعين على الجليس أن يراعى ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا اذا كان جليسه ذا هيبة فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة

وقال أبو العباس السفاح ما رأيت أغزر من فكر أبى بكر الحذلى لم يعد على حديث ناقوقيل ان أبا العباس كان يحدثه يوما اذ عصفت الريح فارمت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلى ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلى فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما لى قلب واحد فلما غره النور بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الحمراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لقد ثبتك الله لا رفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبنى أحد قط غلبة رجل يصغى الى حديثى وفى نوابغ الحكم اكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من حق الملك اذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده أو مد رجليه أو تمطى أو اتكأ أو فعل ما يدل على كسله أن يقوم من بحضرته وكان اردشير اذا تمطى قام سماره ومن حق الملك أن لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال لى قد سمعته منك وعن الشعبى قال ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبى رباح ان الرجل ليحدثنى بالحديث فأنصت له كأنى لم أسمعه قط وقد سمعت به من قبل أن يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد الى الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما فى وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على السخاء كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد ولا تحفظ من تشبيك أصابعك ومن العبث بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى كلام مجالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما واذا ضاحكت فأنصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات الى من وراءك وأهدئ غضبك وتكلم واذا قربك سلطان فكن منه على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهى ولا يحملنك لطفه بك على أن تدخل بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده وبالك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمذاكرة باخلاق الملوك والحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضرتهم ولا تخلل أسنانك بعد الاكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت

وعجلت علينا ثم أمر بخفيه فخلعا
من رجليه وملئا مالا وقال ارجع بهما بدلا من خفى حنين (ومنهم أبو دلف واسمه القاسم وفيه يقول ابن أبى جبلة

انما الدنيا أبو دلف
بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف
ولت الدنيا على أثره

(وقال)

انظر بعينك الى أعلى الشرف
تقل نله بقدرة أو بكلف

خلق من الناس سوى أبى دلف
فأعطاه خمسين ألف درهم (ومنهم خالد بن عبد الله القسرى) قيل انه كان جالسا فى مظلة اذ نظر الى اعرابى يخب على بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم لا تحجبه فلما قدم أدخله فسلم فقال

أصلحك الله قل ما بيدى
فما أطيق العيال اذ كثروا
أناخ دهر رمى بكلكله
فارسلونى اليك وانتظروا

فقال خالد اذ أرسلوك الى وانتظروا والله لتعودن اليهم بما يسرهم فأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة (ومنهم عدى بن حاتم) حكى صاحب العقد قال دخل أبو دارة على عدى ابن حاتم فقال انى مدحتك قال امسك حتى آتيك بمال فانى أكره أن أعطيك ثمن ما تقول هذه ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاثة اماء وفرسى هذا حبس فى سبيل الله فامدحنى على حسب ما أجزتك (قيل) ان أروى بنت الحرث بن عبد المطلب كانت أغلظ الوافدات على معاوية بخطابها وكان حلم معاوية أعظم من خطابها دخلت عليه وهى عجوز كبيرة فلما رآها معاوية قال مرحبا بك

فذاك ذلك ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم واياك أن تمازح لبيبا أو سفيها فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجرأ عليك ولان المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الايمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه وعيب القلب وبياعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك

﴿وأما آداب المسايرة﴾ فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى سفر على بعير فكان اذا جاءت نوبته فى المشى مشى فيعزمان عليه أن لا يمشى فيأبى ويقول ما أنتم بأقدر منى على مشى وما أنا بأغنى منكم عن أجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسى وقيل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا فى ثلاث اذا سار وا ليلا أو خافوا سيلا أو واجهوا خيلا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته

﴿وأما ما جاء فى الاخوان القليلى الموافاة العديمى المكافاة الذين ليس عندهم لصديق مصافاة﴾ فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أقالنى عثرة ولا ستر لى عورة وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود (قال الشاعر)

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد فى الانام
وأحسبه محالا نعقوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصار واشوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما فى حال الولاية فكثير وأنشد

الناس اخوان من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

(ولما) نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحدا من أصحابه الذين كانوا يألفونه فى ولايته فلما ردت اليه الوزارة وقف أصحابه ببابه ثانيا فقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

(وقال آخر) فما أكثر الاصحاب حين نعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل

(وقال البحترى)

اياك تغتر أن تخدعك بارقة * من ذى خداع يرى بشرا وألطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة * ومرت فى الارض أو ساطا وأطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا أبدا * ولا أخا يبتذل الانصاف انصافى

(وقال بعضهم فى المعنى أيضا)

خليلى جربت الزمان وأهله * فما الذى منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خليلا يوفى بالعهود ولا أنا

(وقال آخر) لما رأيت بنى الزمان وما بهم * خلى وفى للشدائد أصطفى
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

يا خالة كيف كنت بعدنا قالت بخير يا أمير المؤمنين لقد كفرت النعمة وأسأت بابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة فى الاسلام بعد ان كفرتم برسول الله فأتعس الله منكم الجدود وأمرغ منكم الخدود ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هى العليا ونبينا هو المنصور فوليتم علينا بعد فاصبحتم تحجمون على سائر العرب بفرارتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب اليه منكم وأولى به منكم فكافيتكم بمنزلة بنى اسرائيل فى آل فرعون وكان على رضى الله عنه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة هرون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال لها عمرو ابن العاص كفى أيتها العجوز الضالة واقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت له وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغى بمكة وأرخصهن أجرة وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم انك ابنه فسئلت أمك عن ذلك فقالت كلهم أتانى فانظروا أشبههم به فالحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلطمت به فقال مروان كفى أيتها العجوز واقصدى ما جئت له فقالت وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم ثم التفتت الى معاوية فقالت والله ما أجرأهؤلاء غيرك وأمك القائلة فى قتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم

نحن جزيناكم ببوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لى عن عتبة من صبر
ولا أخى وعمه وبكر

(بيت مفرد) وكل خليل ليس فى الله وده * فانى به فى وده غير واثق

(وقال آخر) اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تأمن خليلك أن يخونا
فانك لم تخنك أخ أمين * ولكن قلما تلقى أمينا

(وقال آخر) تحب عدوى ثم تزعم أننى * أود لك ان الرأى عنك لعازب
وليس أخى من ودنى بلسانه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان أعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وأمر بقطع يده لما بلغه انه زورعنه كتابا الى أعدائه وعزله لم يأت اليه أحد ممن كان يصحبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له فى بقية يومه انه برىء مما نسب اليه فخلع عليه ورد اليه وظائفه فأنشد يقول هذه الابيات

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا * عادانى الدهر نصف يوم
فانكشف الناس لى وبانوا * يا أيها المعرضون عنا * عودوا فقد عادلى الزمان

(ومثله فى المعنى) أخولك أخولك من يدنو وترجو * مودته وان دهى استجابا
اذا ما ريب حاربت من تعادى * وزاد سلاحه منك اقترابا

(وقال أبو بكر الخالدى)

وأخ رخصت عليه حتى ملنى * والشئ يملول اذا ما يرخص
ما فى زمانك من يعز وجوده * ان رمته الا صديق مخلص

فيجب على الانسان أن لا يصحب الا من له دين وتقوى فان المحبة فى الله تنفع فى الدنيا والآخرة وما أحسن ما قال بعضهم

وكل محبة فى الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما سواه * فكالحلفاء فى لهب الحريق

فينبغى للانسان أن يجتنب معاشرة الاشرار ويترك مصاحبة الفجار ويهجر من ساءت خلته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فأثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك انا نحاكيها فى الاخلاق خاصة فليس أحد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا فى خلائقه غليظا فى طبائعه قويا فى بدنه لا تؤمن ضغائنه فألحقه بعالم النمورة والعرب تقول أجهل من نمر واذا رأيت الرجل هجاما على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب أن يجفو ما من لا يجفوه ويؤذى من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح ألست تذهب وتتركه واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فألحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار ان أدنيته بعد وان أبعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يهجم على الاموال والارواح فألحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب واذا رأيت من يمشى بين الناس بالنميمة ويفرق بين الاحبة فألحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فساد بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لا يسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا فألحقه بعالم الخفافيش فانه يحبها أكل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر فى عطفيه فألحقه بعالم الطواويس واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازى بعد المدة الطويلة على السقطات فألحقه بعالم الجمال والعرب تقول أحقد من جمل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليعتبر ذا العاقل من صحبته الاشرار وأهل الغدر ومن لا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من

سكنت وحشيا فليل صدرى
فشكر وحشى على دهرى
حتى ترم أعظمى فى قبرى
(فاجابتها ابنة همى بقولها)
خزيت فى بدر وغير بدر
يا بنت جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك فقالت مالى عليك حاجة وخرجت عنه وهذه العبارة بنصها منقولة من العقد لابن المدبر به رحمه الله تعالى ﴿وحكى صاحب العقد أيضا﴾ قال قدم عقيل بن أبى طالب على معاوية فأكرمه وقربه وقضى عنه دينه ثم قال له فى بعض الايام يا عقيل أنا خير لك من أخيك على قال صدقت أخى آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك فأنت خير لى من أخى وأخى خير لنفسه منك لنفسك ﴿ودخل﴾ عقيل أيضا على معاوية وقد كف بصره فاقعد على سريره معه ثم قال له أنتم معاشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال عقيل وأنتم معاشر بنى أمية تصابون فى بصائركم (ودخل) عليه يوما فقال معاوية لاصحابه هذا عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل وهذا معاوية عمته حمالة الحطب ثم قال يا معاوية اذا دخلت النار فاجعل ذات اليسار فانك ستجد بى أبا لهب مغترشا عمتك حمالة الحطب فانظر أيهما خير لك الفاعل أم المفعول به (وقال له يوما) ما أبين الشبق فى رجالكم يا بنى هاشم قال لكنه فى نسائكم أبين يا بنى أمية ﴿وقال الجاحظ﴾ اجتمعت يوما ببنو هاشم عند معاوية فاقبل عليهم فقال يا بنى هاشم والله ان خيرى لكم لممنوع وان بابى لكم لمفتوح وقد

مكايد الخلق وأراح قلبه وبدنه والله أعلم

﴿وأما الزيارة والاستدعاء اليها﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتبازلين فيّ والمتزاورين فيّ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة أصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار * ومال من دونه صعب وأستار
لا يمنعنك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

ولتكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال الشاعر في معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسأل بالايدي اذا هو أمسكا

ويقال الاكثار من الزيارة يمل والاقلال منها يخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت

اذا ما تقاطعنا وحسن بيلدة * فأفضل قرب الدار منا على البعد

(وقال آخر) وان مرورى بالديار التي بها * سليمى ولم ألمم بها لجفاه
(وقال آخر) قد أتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لي وأقول
(وقال آخر) أزور بيوتا لا صقات ببيتها * وقلبي في البيت الذي لا أزوره

وزار محمد بن يزيد المهلبي المستعين ووهب له مائتي ألف درهم وأقطعه أرضا فقال

وخصصتني بزيارة أضحى لنا * مجدها طول الزمان مؤثل
وقضيت ديني وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المأمون الى جارية له تميز ان يستدعيها للزيارة

نحن في أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور
عيب ما فيه يا أهل ودى * انكم غبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف أي الرسل أنجح قال الذي له جمال وعقل وقيل اذا أرسلتم رسولا في حاجة فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يا بني لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حليما عارفا فاكن رسول نفسك وقال بعضهم

اذا أبطأ الرسول فقل نجاح * ولا تفرح اذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والعشرون في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم﴾

قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين رواه أبو يعلى والطبراني وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم قال ارحموا

ترحموا

نظرت في أمري وأمركم فرأيت أمرا مختلفا انكم ترون انكم أحق مني بما في يدي فاذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا هذا مع انصافكم قائلكم واسعافكم سائلكم فاقبل عليه ابن عباس رضي الله عنهما وكان جريئا عليه فقال والله ما منحتنا شيأ حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه وأما هذا المال فما لك منه الا ما لرجل واحد من المسلمين ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا أثر تحمله خف ولا حافر وأما حربنا اياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل أكفالك أم أزيدك قال كفاني (وقال الشعبي) قال ابن الزبير يوما لابن عباس فاتك أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما أم المؤمنين فأنت اخرجتها أنت وأبوك وخالك وبنا سميت أم المؤمنين وكالها خير بنين وقاتلت أنت وأبوك عليا فان كان مؤمنات للتم بقتال المؤمنين وان كان على كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفرارك من الزحف ﴿وذكر صاحب العقد﴾ ان عبد الله بن الزبير تزوج امرأة من فزارة يقال لها أم عمرو فلما دخل بها قال هل تدرين من معك قالت نعم عبد الله ابن الزبير بن العوام بن خويلد قال ليس هذا قالت فأي شيء تريد قال معك من أصبح في قريش كمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من الرأس قالت أما والله لو أن بعض الهاشميين حضرك قال خلافا لقولك قال فالطعام والشراب على حرام حتى أحضر الهاشميين وغيرهم ولا يستطيعون لذلك انكارا قالت ان أطعتني لم تفعل فأنت أعلم

ترحموا تغفروا يغفر لكم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي رواه أبو محمد بن عدي في كتاب الكامل وروينا من طريق الطبراني عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال الطبراني اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته على هذا الحديث فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فأنكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبدال أمتي لن يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

﴿الفصل الثاني في الشفاعة واصلاح ذات البين﴾ قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو رقعت به ظالما أو غثثت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له وعن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا له لتكن تؤجروا ويقضي الله تعالى على لسان نبيه ما شاء وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى أخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبراني في المكارم وقال علي رضي الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك بك ليكون شكري لك لا لغيرك * وقيل كان المنصور معجبا بحمادة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفزعون اليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فأمر الربيع أن يكلمه في ذلك فكلمه وقال اعف أمير المؤمنين لا تثقل عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها الى المنصور فقص عليهم القصة فأبوا الا أن يأخذها فقال اقذفوها في كمي ثم دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له أما ترى الى حسنها يا أبا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهنأك بإتمام نعمته عليك فيما أعطاك فما بانت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الايام أحصن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمجتها في عيني خصلة قال وما هي قال ليس لي فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد قطعتكها فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقي عمرك أكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم جذب الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحق عليك الا أخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرقاع فأعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الحير الا كريما وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت وأربحت * وقال المبرد

بشأنك فخرج من المجلس فاذا بحلقة فيها جماعة من قريش وفيها من بني هاشم عبد الله بن عباس رضي الله عنه وعبد الله بن الحرث ابن عبد المطلب فقال لهم ابن الزبير اني أحب ان تنطلقوا معي الى منزلي فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال ابن الزبير يا هذه اطرحي علينا سترك ثم أذن للقوم فلما أخذوا مجالسهم دعا ابن الزبير بالمائدة فتغدى القوم فلما فرغوا قال ابن الزبير انما جمعتكم لحديث رددته على صاحبة هذا الستر وزعمت ان لو كان بعض بني هاشم حاضرا ما أقر لي بما قلت وقد حضرتم جميعا والحديث الذي رددته علي قلت لها ليلة الدخول بها وأنا معها في خدرها ان معك من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من الرأس فردت علي فقال ابن عباس ان شئت أقول وان شئت أكف قال لا بل قل وما عسيت ان تقول ألست تعلم أن الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين وان خديجة سيدة نساء أهل الجنة عمتي وان صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدتي وان عائشة أم المؤمنين خالتي فهل تستطيع لهذا انكارا يا ابن عباس قال ابن عباس لا ولكن ذكرت شرفا شامخا وفخرا عظيما غير انك تلت ذلك كله وأنت تفاخر من يفخره فخرت وتسامى من بفضله سمو قال ابن الزبير وكيف ذلك قال لم تذكر مفخرا الا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أهل بيته وأقرب اليه واولى بالفخر به قال ابن الزبير فأنا أفاخرك بما كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال

أتاني رجل لاشفع له في حاجة فأنشدني لنفسه

الى قصد تك لا أدلي بحرفة * ولا بضرب ولكن قد فشت نعمك
فبت حيران مكروبا يؤرقني * ذل الغريب و يغشيني التذكر كرمك
ما زلت أنكب حتى زلزلت قدمي * فاحتل لتثبيتها لا زلزلت قدمك
فلو همت بغير العرف ما علقت * به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنلته من الاحسان ما قدرت عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعي اليك الله لا شيء غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين ألفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو أقام الى آخر عمره ما قطعتها عنه شعر

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا * وما خاب من بالمصطفى يتشفع
الى باب مولانا رفعت ظلامتي * عسى الهم عني والمصائب ترفع

(وقال آخر)

تشفع بالنبي فكل عبد * يجار اذا تشفع بالنبي
ولا تجزع اذا ضاقت أمور * فكم لله من لطف خفي

وروى أن جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عباد تنا لله تعالى على وجه الارض لعملنا ثلاث خصال سقي الماء للمسلمين واعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين اذا أذنبوا اللهم استرذنوبنا واقض عنا تبعاتنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس والعشرون في الحياء واللين والتواضع والجانب وخفض الجناح وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول في الحياء﴾

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان واداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من كسا بالحياء ثوبه لم يرى الناس عيبه وعن زيد ابن علي عن آبائه مرفوعة من لم يستح فهو كافر وقال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه اني لادخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فأحني فيه صلبي حياء من ربي وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء وقال الخواص ان العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فاذا رفعها منزلة الحياء لما أيقنوا ان الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا أبكينا أم لا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه وقيل القناعة دليل الامانة والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

﴿الفصل الثاني في التواضع ولين الجانب وخفض الجناح﴾

قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة التواضع وقال صلى الله عليه وسلم لا ترفعوني فوق قدري فتقولوا في ما قالت النصارى في المسيح فان الله عز وجل اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فأخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم له هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم في مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان اذا حدث شيء مما آتاه الله تعالى قال ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة

ابن عباس لقد أنصفت اسائلكم أيها الحضور أعبد المطلب كان أشرف في قريش أم خويلد قالوا عبد المطلب قال أسائلكم أهاشم كان أشرف في قريش أم أمية قالوا بل هاشم قال فأسألكم بالله أعبد مناف كان أشرف أم عبد العزى قالوا اللهم عبد مناف فأنشد ابن عباس يقول

تفاخرني يا ابن الزبير وقد مضى * عليك رسول الله لا تقول هازل
فلو غيرنا يا ابن الزبير بخرته * ولكن بنا سامت شمس الاصائل

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما افترقت فرقتان الا وكنت في خيرهما فقد فارقت من لدن قصي بن كلاب فنحن في فرقة الخير أولا ونحن في فرقة الخير آخرا فان قلت نعم خصصت وان قلت لا كفرت قال فضحك بعض القوم وقالت المرأة من خلف الستر أما والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى الاماترى فقال ابن عباس مه أنيتها المسرأة اقنعي ببعلك وأخذ القوم بيد ابن عباس فقالوا انهض أيها الرجل فقد أطعمته في منزله غير مرة فنهض ابن عباس وهو يقول

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا * فلو ترك القطا ليلا لناما

﴿وحكي﴾ ان صاحب العقد قال بينما معاوية جالس وعنده وجوه الناس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وقال لعن الله عليا فأطرق الناس وفيهم الاحنف فقال الاحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل ان علم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقي ربه وأفرد بقبره وخلا بعمله وكان والله مبرا في سبقه طاهر الثوب سليم الغيبة عظيم

لا تزيد المال الا غناء فتصدقوا بارد كم الله وقال عدى بن ارطاة لاياس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعد من الكبر وأسرع فى الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع يسلم الشرف وليس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له فى ذلك فقال ان أبى كان جبارا فأحببت أن أتواضع لربى لعله أن يخفف عن أبى تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودى فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يارب قال لانى رأيتك تتمرغ بين يدى فى التراب تواضعا لى وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس وقال أبو مسلم صاحب الدعوة ماتاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل من تواضع لله رفعه فسبحان من تواضع كل شئ لعزجبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والحيلاء وما أشبه ذلك﴾

(اعلم) ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التآلف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس ما تكبر أحد الا من زلة يجدها فى نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر أفلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت أنى مثلك فى ظنك وأن أعدائى مثلك فى الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال فى مشيه فقال جعلنى الله مثلك فى نفسك ولا جعلنى مثلك فى نفسى وقال الاحنف عجبت لمن جرى فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر * ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر فى مشيه فقال له مالك يابنى لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك فقال أوما تعرفنى قال أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ففسر الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بى يعنى أتكبر عليه * واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جزيرة الابرش غاية فى الكبر يقال انه كان لا ينادم أحدا لتكبره ويقول انما ينادمنى الغرقدان وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى انه قال لغلامه اسقنى ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا كرافكامه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها لتكسر * قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدى وأما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفى وقيل للحجاج بن أرطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يراحمنى البقالون * وقيل أتى وائل بن حجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأقطعه أرضا وقال لمعاوية أعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له اردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطنى نعليك قال ما يحمل نعلى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمان معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه * وقال المسور بن هند لرجل أتعرفنى قال لا قال أنا المسور بن هند قال ما أعرفك قال

المصيبة فقال له معاوية يا أحنف لقد اغضيت العين على القذى أما والله لتصعدن المنبر ولتلعن عليا طوعا أو كرها فقال ان تعفنى خير لك وان تجبرنى على ذلك فوالله لا تجدنى شغبا به أبدا قال وما أنت قائل يا أحنف قال أحمد الله وأصلى على نبيه ثم أقول ان أمير المؤمنين أمرنى أن ألعن عليا ومعاوية وعلى اقتتلا واختلفا وادعى كل واحد منهما انه مبغى عليه فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا أزيد على ذلك ولا أنقص ولو كان فيه ذهاب نفسى فقال معاوية اذا أعفيتك انتهى (وقال معاوية) لعقيل ان عليا قطعك ووصلتك ولا يرضينى منك الا أن تلعنه على المنبر قال أفعل فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أمير المؤمنين أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل فقال له معاوية يا عقيل انك لم تبين من المراد منا قال والله لازدت حرفا والكلام راجع الى نية المتكلم (ومن غريب المنقول) ما نقل عن المنصور وهو انه وعد الهذلى بجائزة ونسى فحجا معا ومرا فى المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلى يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الاحوص

* يا دار عاتكة التى أتغزل *

فأنكر عليه أمير المؤمنين المنصور ذلك لانه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة نظر فى القصيدة الى آخرها ليعلم ما أراد الهذلى بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

فتعساو نكسا لمن لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لاحمق يلوى التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما فى التيه لم تته

التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والعشرون فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت﴾

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبى معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة نزلت فى أبى جهل وعمار بن ياسر والنسب الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر فى الاسلام بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبيكم واحد وان أباكم واحد وانه لا فضل لعربى على عجمى ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى الا هل بلغت (وقال الاصمعى) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حى يا قيوم لم تنم

أدعوك ربى حزينا هائما قلقا * فارحم بكائى بحق البيت والحرم

ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود فى كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتى

ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى * فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى

أتيت بأعمال قباح رديئة * وما فى الورى عبد جنى كجنايتى

أتحرقنى بالنار يا غاية المنى * فأين رجائى ثم أين مخافتى

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يحرمنا علينا قلت عبيدك الاصمعى سيدى ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول اغا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات يا أصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون والفخر وان نهت عنه الاخبار النبوية وبحته العقول الذكية الا أن العرب كانت تفتخر بما فيها من البيان طبعا لا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم الاهم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لأنى أبصر به منكم وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة فى الثناء عليها ويقول عند انشادها أى علم بين جنبى وأى لسان بين فكى وقال الجاحظ لو لم يصف الطبيب مصالح دوائه للعالجين ما وجده طالب ولما أبدع بن المقفع فى رسالته التى سماها باليتيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولو لم يحلها عن هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر فى هذا الباب ان شاء الله تعالى شيأ من نظم البلغاء ونثرهم فى الافتخار ومن تفاخر منهم

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فعلم المنصور أنه أشار الى هذا البيت فتذكر ما وعده به وأنجزه له واعتذر اليه من النسيان (ومثله) ما حكى ان أبا العلاء المعرى كان يتعصب لابى الطيب المتنبى فحضر يوما مجلس المرتضى فجرى ذكر أبى الطيب فهضم من جانبه المرتضى فقال أبو العلاء لو لم يكن لابى الطيب من الشعر الا قوله

* لك يا منازل فى القلوب منازل *

لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب وأخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تعلمون ما أراد بذكر البيت قالوا لا قال عنى به قول أبى الطيب فى القصيدة

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

(ومثله قصة السرى الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبى أيضا) فان السرى الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى فى مجلسه يوما ذكر أبى الطيب فبالغ سيف الدولة فى الثناء عليه فقال له السرى أشتهى ان الامير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لاعارضها وتحقق الامير بذلك انه أركب المتنبى فى غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته التى مطلعها

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى * وللحب ما لم يبق منى وما بقى

قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها فى تلك الليلة فلم أجد لها من مختارات أبى الطيب لكن رأيته يقول فى آخرها عن ممدوحه اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق

أراه غباوتى ثم قال له الحق * فقلت والله ما أشار سيف الدولة

بعون الله وفضله وتيسيره * قال أبو بكر الهذلي سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوى الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفي يده سوط يكاد يمس الارض فلما رآه المنصور أمرني باحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وعن بلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأى منه فقال أنشدني شعرا فأنشده شعر الاوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

ان الامور اذا أوردتها صدرت * ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر وله بهذه الخلال فقال له والله يا أخا بني تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكني أحق ببيته منه ومن شعر أبي الطمحان

واني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال فيهم حيث كان مسودا * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن علي رضي الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثا الا جعل له عدوا من المجرمين فأنا ابن علي وأنت ابن صخر وأمك هند وأمي فاطمة وجدتك قبيلة وجدتي خديجة فلعن الله الامنا حسبا وأخلنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله * وروى ان معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن علي فقال له معاوية مر حيار جل تركا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال معاوية اني قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لاهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة * ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يغمز قهرا ويقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد بجدي من هذا فجعل يزيد يردد جوابا وفي ذلك يقول علي ابن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بطخدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع

(وله أيضا)

اني وقومي من انساب قومهم * لمسجد الخيف من بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلي بن أبي طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعي مفتاحه فقال علي ما أدري ما تقولان أنا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة أشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية * وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا انه مسلم ما ذكرته فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذي عد تسعة آباء مشركين فحق على الله ان يجعل عاشرهم في النار والذي انتسب الى أب مسلم فحق على الله ان يجعله مع أبيه المسلم في الجنة قال سلمان الفارسي

أبى الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيي الموتى فأنكر سليمان

الا الى هذا البيت (ومثله) ما حكاه ابن الجوزي في كتاب الاذكياء وهو من الغرائب في هذا الباب ان رجلا من طلبة العلم قعد على جسر بغداد يتنزه فأقبلت امرأة بارعة في الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربي فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله علي بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري وما وقفا بل سارا مشرقا ومغربا قال الرجل فتبعت المرأة وقلت والله ان لم تقولي لي ما أراد بابن الجهم فضيحتك قالت أراد به قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وعنيت أنا بأبي العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال

(ومثله) ما هو منقول عن الامام الحافظ فتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله دخل الى الجامع الازهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين وانصرف قال لابي الحسين ما أردت الا قول بن سناء الملك فقال أبو الحسين الجزار وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق أما مراد الشيخ بهاء الدين فهو اشارة الى قول بن سناء الملك

أنا في مقعد صدق * بين قواد وعلق

وأما مراد أبي الحسين من قول السراج الوراق فهو

ومهفهف راض الابى
فقاده سلس القياد
لما توسط بيننا
جرت الامور على السداد

فبلغ كل منهما ما أراد من صاحبه

قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وجدى فدى الموءدات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموءدات وللعباس بن عبد الطلب

ان القبائل من قريش كلها * ليرون اناهام أهل الابطح
وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الأوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المرواني من الاندلس الى صاحب مصر يفتخر

ألستم بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفتنا لأجبناك والسلام * وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندي وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مفاخر اليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ يهم به خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه وفهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمي رضي بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لي أمير المؤمنين في الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المفتخم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال المدن قال فما اسم الأذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل الم تر ان الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والمدن بالمدن وقال تعالى والأذن بالأذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صنارتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أم منكم قال منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم الا سائس قرد أو دابغ جلد أو نامي برد فضحك أبو العباس وأقرخالد وحياهما جميعا * وقال بشار بن برد يفتخر

اذا نحن صلناصولة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلما

(وقال العموال بن عادياء)

اذا المرء لم يدنس باللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل * وان هو لم يحمل على النفس ضيمها

ولم يشعر أحد بمراد الاثنين غيرهما
(قلت و بالنسبة الى هذا الذكاء المفرط الصادر من هؤلاء القوم يتعين أن نورد هنا نبذة من كتاب الاذكياء لابن الجوزي (فمن ذلك) ماروى عن منصور بن العباس وهو انه جلس يوما في أحد دهاليز المدينة فرأى رجلا ملهوفا يجول في الطرقات فأرسل اليه من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره انه خرج في تجارة فأفاد فيها مالا كثيرا وانه رجع بها الى زوجته ودفع المال اليها فذكرت المرأة ان المال مرق من المنزل ولم ير نقبا ولا مسلقا فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال تزوجتها بكرا أم ثيبا قال ثيبا قال شابة أم مسنة قال شابة فدعا المنصور بغار وربطيب وقال تطيب بهذا فانه يذهب همك فأخذها وانطلق الى أهله فقال المنصور لجماعة من نقبائه اقعدوا على أبواب المدينة فمن مر بكم وشممتم فيه رائحة الطيب فأتوني به ومضى الرجل بالطيب الى بيته فدفعه الى المرأة وقال هذا من طيب أمير المؤمنين فلما شمته أحبها الى الغاية فبعثت به الى رجل كانت تحبه وهو الذي دفعت المال اليه فقالت له تطيب بهذا الطيب فتطيب به ومر مختالا ببعض الابواب ففاحت منه روائح الطيب فأخذ وأتي به الى المنصور فقال له من أين استفدت هذا الطيب فتلجلج في كلامه فسلمه الى صاحب شرطته وقال له ان أحضر كذا وكذا من الدنانير فخذ منه والا فاضربه ألف سوط فما هو الا أن جرد وهدد حتى أذعن برد الدنانير وأحضرها كهيئتها ثم اعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير وقال له أرأيتك أن رددت اليك

فليس الى حسن الثناء سبيل * تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول * وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجارالاكثرين ذليل * لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسمابه * الى النجم فرع لا ينال طويل * وانا أناس لا نرى القتل سبة
اذا ما رأته عامر وسلول * يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل * تسيل على حد الظبات نفوسنا
وليست على غير الظبات تسيل * ونحن كماء المزن ما في نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول * اذا سيد منا خلا قام سيد
قؤول بما قال الكرام فعول * وما حدثت نار لناد دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر مشهورة وحجول * وأسيافنا في كل شرق ومغرب
بهن فراع الدارعين فلول * معودة أن لا تسل نصالها * فتعمد حتى ينتباح قتيل

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول
فانا بنو الريان قطب لمجدهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

(ولما) قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فأفحم فلما سكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلا حي يفاخرنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤنس الفزع
ونحن الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الذوائب من فهر وإخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع * يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا * قوم اذا حاربوا ضروا عدوتهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع * لو كان في الناس سباقون بعدهم
فكل سبق لأدنى سبقهم تبع * لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
ولا يضنون على جار بفضلهم * ولا يمسهم في مطمع طمع * خذ منهم ما أتوا عفوا اذا عطفوا
ولا يكن همك الامر الذي منعوا * أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك ورب كم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بني تميم

أبيني آل شماخ علينا * ومطرعى لشداد فصيل
فان تغمد منا صلنا نجدها * غلاظا في أنامل من يصول

وقال سالم بن أبي وابصة

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق
أحمى الذمار وترميني به الحدق * فما زلقت ولا أبديت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلقوا

(وأما التفاضل والتفاوت)

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهما كانا من خيار الصحابة وأبوهما أعدى عدو لله ولرسوله صلى الله

الدنانير أتحكمني في امرأتك قال نعم يا أمير المؤمنين قال هاهي دنانيرك وقد طلقت امرأتك وقص عليه الخبر ﴿ومن ذلك﴾ ما روى عن المهدي وهو ان شريك ابن عبد الله القاضي دخل عليه يوما فأراد المهدي أن يخبره فقال للخادم أحضر للقاضي عودا فذهب الخادم فجاءه بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر شريك فاضطرب شريك من ذلك وقال ماهذا يا أمير المؤمنين قال عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضي فقال شريك جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ثم أفاضوا في الحديث حتى نسي الامر فقال المهدي لشريك ما تقول في رجل أمر وكيله أن يأتي بشيء بعينه فجاء بغيره فتلف ذلك الشيء فقال يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم أضمن ما أتلفت ﴿ومن ذلك﴾ انه حكي انه قدم رجل الى بغداد ومعه عقد يساوي ألف دينار فأراد بيعه فلم يتفق فجاء الى عطار موصوف بالخير والديانة فأودع العقد عنده وحج وأتى بهدية للعطار وسلم عليه فقال من أنت ومن يعرفك فقال أنا صاحب العقد فلما كلمه رفسه وألقاه عن دكانه فاجتمع الناس وقالوا ويلك هذا رجل صالح فما وجدت من تكذب عليه الا هذا فتحير الحاج وتردد اليه فما زاده الا شتما وضربا فقيل له لو ذهبت الى عضد الدولة لحصل لك من فراسته خير فكتب قصته وجعلها على قصبة وعرضها عليه فقال ما شأنك فقص عليه القصة فقال اذهب غدا واجلس في دكان العطار ثلاثة أيام حتى امر عليك في اليوم الرابع فأقف وأسلم عليك فلا تردعلي الا

السلام فاذا انصرفت أعد عليه ذكر العقد ثم اعلمني بما يقول لك ففعل الحاج ذلك فلما كان في اليوم الرابع جاء عضد الدولة في موكبه العظيم فلما رأى الحاج وقف وقال سلام عليكم فقال الحاج وعليكم السلام ولم يتحرك فقال يا أخي تقدم من العراق ولا تأتينا ولا تعرض علينا حوائجك فقال له ما اتفق هذا ولم يزده على ذلك شيأ هذا والعسكر واقف بكماله فانذهل العطار وأيقن بالموت فلما انصرف عضد الدولة التفت العطار الى الحاج وقال له يا أخي متى أودعتني هذا العقد وفي أي شيء هو ملفوف فذكرني لعلي أتذكر فقال من صفته كذا وكذا فقام وفتش ثم فتح جرابا وأخرج منه العقد وقال الله أعلم انني كنت ناسيا ولولا تذكرني ما تذكرت فأخذ الحاج العقد ومضى الى عضد الدولة فأعلمه فعلقه في عنق العطار وصلبه على باب دكانه ونودي عليه هذا جزاء من استودع ثم جحد ثم أخذ الحاج العقد ومضى الى بلاده

﴿ومثله ما نقل عن ذكاء اياس الذي سارت به الركبان﴾ قيل ان رجلا استودع أمين اياس مالا وخرج المودع الى الحجاز فلما رجع طلبه فجعده فاتى اياسا فاخبره فقال له اياس أعلمته انك أتيتني قال لا قال أفنازعته عند غيري قال لا قال فانصرف واكتم سرك ثم عد الى بعد يومين فمضى الرجل ودعا اياس أمينه فقال قد حضر عندنا مال كثير أريد أن أسلمه اليك أخصمين منزلك قال نعم قال فأعد موضعا للمال وقوما يحملونه وعاد الرجل الى اياس فقال انطلق الى صاحبك فان أعطاك المال فذاك وان جحد فقل له اني أخبر القاضي بالقصة

وقال

عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه أما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال أحمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق ومحاق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه * وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت أبا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع وربتهما قال أشعب فكنت أسفل وكان يعلو حتى بلغت أنا وهو هاتين الغايتين وقال أبو العوادل ذكر يا ابن هرون علي وعبد الله بينهما أب * وشتان ما بين الطباقع والفعل
ألم ترعبد الله يلحى على الندى * عليا ويلحاه على البخل

وج أبو الاسود الدؤلي بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبي ربيعة فغازلها فأخبرت أبا الاسود فأتاه فقال

وانى لينهاني عن الجهل والخنى * وعن شتم أقوام خلائق أربع * حياء واسلام وتقوى وانني
كريم ومثلي من يضر وينفع * فشتان ما بيني وبينك انني * على كل حال أستقيم وتضلع

(وقال ربيعة البرقي)

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم * يزيد سليم سالم المال والفتى
فتى الازد للاموال غير مسالم * فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب القيسي اني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين

يقول أنا الكبير فعظموني * ألا ثكلتك أمك من كبير * اذا كان الصغير أعم نفعا
وأجلد عند نائبة الامور * ولم يأت الكبير بيوم خير * فما فضل الكبير على الصغير

والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد وعلو الهمة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد وقيل لقيس ابن عاصم بم سدت قومك قال لم أضاصم أحدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ما شاتمت رجلا مذ كنت رجلا اني لم أشاتم الا أحد رجلين اما كريم فأنا أحق أن أجله واما لئيم فأنا أولى أن أرفع نفسي عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الاحنف بن قيس فقال الحاجب ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم منكم أحد الا لنفسه فلما رصلوا اليه قال الاحنف لولا عزم أمير المؤمنين لاخبرته ان رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب * وقال رجل للاحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وما ذاك قال تركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك وقيل السيد من يكون للاولياء كالغيث الغادي وعلى الاعداء كالليث العادي * وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسي وسوددانه قدم من سفر فجمعه والشماخ بن ضرار المزني الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة يا شماخ قال قدمتها لامتار منها فلا له عرابة واحملها برا وتمرا وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

﴿وأما علو الهمة فهو أصل الرياسة﴾

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد في مجلسه فقام رجل

وقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي فقال المنصور يا عمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ورفعني وأقعد في أدنى منه لاجل ضيعة * وتحدث السفاح هو وأم سلمة ويافي نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وأنا أهب له سبحتي هذه فان ثمنها خمسون ألف دينار فان هو قبلها علمنا أنه غير زاه النفس فوجه اليه فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هي من الطرف وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله انما نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هي لك فرجع الخادم فقال قد وهبها لي فأعطت أم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه وأهدى عبيد الله بن السري الى عبد الله بن طاهر لما ولي مصر مائة وصيف مع كل وصيف ألف دينار و وجه اليه بذلك ليلا فرده وكتب اليه لو قبلت عدية ليلا لقبلتها نهارا فما أتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (وكان) سبب فتح المعتصم عمورية ان امرأة من الثغر سبيت فنادت وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك أيتها المنادية * وكان سعيد بن عمرو ابن العاص ذا مخرة وهمة قيل له في مرضه ان المريض يستريح الى الانين والى شرح مابه الى الطبيب فقال أما الانين فهو جزع وعار والله لا يسمع الله مني أنينا فأكون عنده جزوعا وأما وصف مابي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ان شاء أمسكها وان شاء قبضها * ومن كبر النفس ما روي عن قيس بن زهير انه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته * ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمى الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال يا هذا انك اخترتني جارا واخترت داري دارا فامنع ما يدنك علي دونك وان جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبي على أهله * وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بني جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر أن يسميها وينسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكرنا اسما ولا نسبا ولكن قال

لعجوز تصلي الخمس عاذت بغالب * فلا والذي عاذت به لا أنيرها

وقال مروان بن أبي حفصة هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل

(وقال ابن نباتة) ولو يكون سواد الشعر في ذمم * ما كان للشيب سلطان على اللمم

(وقيل) ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده ومجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستمالته وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين اني ما أحرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدو الامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الي واستجار بي فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزيني في ضيفي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لا بد أن ترسل الي يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده وردعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيده هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فما بالله عليك أبدا بأيوب من قبله ثم اجعل يزيدا ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة

فأتى الرجل صاحبه فقال تعطيني الوديعة أو أشكوك الى القاضي وأخبره بالحال فدفع اليه المال فرجع الرجل وأخبرا ياسا وقال أعطاني الوديعة وجاء الامين الى اياس ليأخذ المال الموعود به فزجره وقال له لا تغربني بعد هذا يا خائن ﴿ ومثله ﴾ انه ولي القضاء بواسط رجل مشهور بالدين والذكاء المفرط فجاءه رجل استودع بعض الشهود كيسا مختوما وذكر أن فيه ألف دينار فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبة المودع ظن انه قد مات فهم بانفاق المال وخشي من مجيء صاحبه ففتق الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم وأعاد الخياطة كما كانت فقدر أن الرجل حضر الى واسط وطلب الشاهد بوديعته فاعطاه الكيس بختمه فلما حصل في منزله فض ختمه فاذا في الكيس دراهم فرجع الى الشاهد وقال له اردد علي مالي فاني أودعتك دنانير والذي وجدت دراهم فانكر فاستدعى عليه الى القاضي المتقدم ذكره فلما حضرا بين يديه قال الحاكم للمستودع منذ كم أودعك الكيس قال منذ خمس عشرة سنة فقال القاضي لصاحب الكيس أحضر لي الدراهم فأحضرها فقال القاضي للشهود اعتبروا تواريخ الدراهم فوجدوا سكتها فاذا منها ما له سنتان وثلاث سنين ونحو ذلك فأمره ان يدفع له الدنانير فدفعها وعزله القاضي وأطاف به البلد وأسقطه ﴿ ومثله بل أغرب منه ﴾ ان رجلا استودع رجلا مالا ثم طلبه فجحده فخاصمه الى اياس وقال المدعي اني أطالبه بمال أودعته اياه وقدره

أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأت الى أبي أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب بن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل (وحكى) ان رجلا من الشيعة كان يسعى في فساد الدولة فجعل المهدي لمن دل عليه أو أتى به مائة ألف درهم فأخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فمر به معن بن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فقال معن للرجل مالك ومالي فقال ان أمير المؤمنين طالبه قال دخل سبيله قال لا أفعل فأمر معن غلمانه فأخذوه غصبا وارد فه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر أمير المؤمنين المهدي بالقصة فأرسل خلف معن فاحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجير علي قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت في يوم واحد في طاعتكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيها عاتبتي أفما ترونني أهلا أن تجيروا الى رجلا واحدا استجار بي فاستحيا المهدي وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرناه من أجرت يا أبا الوليد قال ان رأى أمير المؤمنين أن يصل من استجار بي فيكون قد أجاره وحباه قال قد أمرت له بخمسين ألف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغي أن تكون صلاة الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأى أمير المؤمنين أن يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة ألف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لمساخط الخلفاء وقال جعفر بن أبي طالب يقول لابنه يا أبت اني لا أستحي أن أطعم طعاما وجيراني لا يقدرون على مثله فكان أبوه يقول اني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحي فقالوا نريد جارك فقال اما اذ جعلتموه جاري فوالله لا تصلون اليه وأجاره حتى طار فسمي مجير الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات في معنى ذلك كثيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثلاثون في الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضي الله تعالى عنهم أجمعين﴾

(اعلم) ان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من ان تحصر وأشهر من ان تذكر واني والله أحبهم وأحب من يحبهم وأسأل الله أن يميتني على محبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وان يحشرنا في زمرتهم وتحت ألويتهم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير (شعر)

أني أحب أبا حفص وشيعته * كما أحب عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما * ومار ضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة سادات ومعتقدي * فهل على بهذا القول من عار

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم اليوم صائما فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أطعم اليوم منكم مسكينا فقال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في أحد الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر وقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق بشيرا ما سلكت واديا الا سلك الشيطان واديا غير واديك لما أسلم رضي الله عنه قال يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال والذي بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضي الله عنه الشام وقف على طومر سيئاء فأرسل البطريق عظيمها لهم وقال انظر الى ملك العرب فرآه على فرش وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته في قربوس السرج وعمر يخسل

كذا وكذا فقال له اياس ومن حضرك قال كان رب العزة حاضرا قال دفعته اليه في أي مكان قال في موضع كذا قال فاي شيء تعهده من ذلك الموضع قال شجرة عظيمة قال فانطلق الى الموضع وانظر الى الشجرة لعل الله يظهر لك علامة يتبين بها حقك أو لعلك دفنت مالك تحت الشجرة فنسيت فتذكره اذا رأيت الشجرة فمضى الرجل مسرعا فقال اياس للرجل المدعى عليه اقعد حتى يرجع خصمك فجلس واياس يقضي بين الناس ونظر اليه بعد ذلك ثم قال له يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكرها قال لا فقال له والله يا عدو الله انك لخائن فقال أقلني أقالك الله يا أمير المؤمنين فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال اياس قد أقر بحقك فخذه * ومن لطائف المنقول من كتاب الاذكياء * أن يحيى بن أكثم القاضي ولي القضاء بالبصرة وسنه عشرون سنة فاستصغره أهل البصرة فقال أحدهم كم سن القاضي فعلم يحيى أنه استصغره فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سور حين ولاه عمر ابن الخطاب قاضيا على أهل البصرة قال فعظم في أعين أهل البصرة وهابوه * ومن المنقول من كتاب الاذكياء * ان بعض اللصوص دخل بيتا ومعه جماعة تحت أمره ونهيه في القتل والسرقة فظفروا بصاحب البيت وأوقفوه

يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يمسحها من التين ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لا ترى بحمارتك هذا طاقة أعطوه ماشاء * وأما أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه فقضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضي الله عنه وقال جبير بن عمير دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها أخبريني من كان أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة قلت انما أسألك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده فردها الى فيه قلت فما حملك على ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضي على وقال معاوية لضرار بن حمزة الكناني صف لي عليا فاستعفى فألح عليه فقال اما اذ لا بد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقضي الفصل ويتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان والله يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ الحائف ويبكي بكاء الحزين فكأني الآن أسمعه يقول يا دنيا الي تعرضت أم الي تشوقت هيهات هيهات غري غيري لقد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزني عليه والله حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل أول من سل سيفا في سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضي الله عنه وذلك انه صاح على أهل مكة ليلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا زبير قال سمعت أنك قتلت قال فما أردت أن تصنع قال أردت والله أن أستعرض أهل مكة وروي أخبط بسيفي من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وأعطاه ازاره فاستتر به وقال له أنت حواري ودحاله * قال الاوزاعي كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها ويأبى داره التي بمصر بستمائة ألف درهم فقيل له يا أبا عبد الله غبنت قال كلا والله اني لم أغبن أشهدكم أنها في سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال من حملك على ظهره وكان حمله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة أقرأه السلام وأعلمه اني لا أراه يوم القيامة في هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذي عن يمينك قال المقداد بن الاسود قال ان الله يحبه ويأمرك أن تحبه من هذا الذي بين يديك يتقي عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار * ومر أبو ذر على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي فلم يسلم فقال جبريل هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه فقال أتعرفه يا جبريل قال والذي بعثك بالحق نبيا لهو في ملكوت السموات السبع أشهر منه في الارض قال بم نال هذه المنزلة قال بزهده في هذا الحطام الفانية وقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن ألف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية وقال أبو بكر السقاح لأبي بكر الهذلي بم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثنتي عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقلب درهما قط في تجارة ولم يل عملا للسلطان ولم يأمر بشيء حتى يفعله ولم ينه عن شيء حتى يدعه قال السقاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن وأفصح الناس وأخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس لان عمر ملك

للقيل فتدخل عليهم في ابقاء مهيبته وأخذ ما في البيت بكماله فقال كبيرهم حلفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف انه لا يعلم بهم أحدا فأصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه ولا يقدر أن يتكلم لاجل اليمين فجاء الى أبي حنيفة وأعلمه بحاله وقال له احضراً كابر حيك وأدين حيرانك وامام جماعتك فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة هل تحبون أن يرد الله على هذا الرجل متاعه قالوا نعم فقال اجمعوا اعز يكم فادخلوهم الجامع ثم أخرجوهم واحدا واحدا وكلما خرج منهم واحد قولوا هذا لصك فان كان ليس بلصه قال لا وان كان لصه فلسكت فاذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ذلك فرد الله عليه ما سرق له (ومنه) ان الربيع صاحب المنصور كان يعادي أبا حنيفة فحضر يوما عند أمير المؤمنين فقال الربيع يا أمير المؤمنين ان أبا حنيفة يخالف جدك ابن عباس وكان جدك يقول اذا حلف الرجل على شيء ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين كان ذلك جائزا وأبو حنيفة لا يجوز ذلك الا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك عهد قال كيف ذلك قال يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لابي حنيفة (ومنه) ان الامام أبا حنيفة رضي الله عنه قال دخلت البادية فاحتجت الى الماء فجاءني اعرابي ومعه قربة ملآنة فأبى أن يبيعها الا بخمسة دراهم فدفعتها له ثم أخذت القربة فقلت ما رأيك يا اعرابي في السويق فقال هات فأعطيته سويقا ملتوتا بزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم

عطش فقال على بشربة فقلت بخمسة دراهم على قدح من ماء فاستترددت الخمسة وبقى الماء (ومنه) انه استودع رجل بالكوفة رحلا مالا وحج ورجع فطلبه فجعده وجعل يحلف له فانطلق الرجل الى أبى حنيفة فأخبره بذلك فقال له الامام لا تكلم أحدا بجحوده وكان الرجل يجالس أبا حنيفة فقال له وقد خلا لهم المكان ان هؤلا بعثوبستشيرونني فى رجل يصلح للقضاء وقد اخترتك فانصرف من عنده الامام فجاء صاحب الوديعة فقال له الامام ارجع الى صاحبك وذكره لاحتمال ان يكون ناسيا فذهب اليه فلم يحتج معه الى علامة بل دفع اليه متاعه وتوجه ذلك بعد ذلك الى أبى حنيفة فقال أبو حنيفة انى نظرت فى أمرك فأردت ان أرفع قدرك ولا أسمك حتى يحضر ماهو أنفس من هذا (ومنه) انه كان بجوار أبى حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له يوما من الايام يا امام أريد التزويج الى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من ولها فطلب منى من المهر فوق وسعى وطاقتى فقال أبو حنيفة فاستخر الله تعالى وأعظم ما طلبوه فلما عقدوا النكاح جاء الى أبى حنيفة فقال انى سألتهم ان يأخذوا منى البعض ويدعوا البعض عند الدخول فأبوا فما ترى قال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك فان الامر يكون أسهل عليك من تعقيدهم ففعل ذلك فلما زفت اليه ودخل بها قال له أبو حنيفة ما عليك أن تظهر الخروج بأهلك عن هذا البلد الى موضع بعيد فاكترى الرجل جملين وأحضر آلة السفر وما يحتاج اليه وأظهر أنه يريد الخروج من البلد فى طلب

الدنيا فزهد فيها وأريس لم يملكها فقيل لو ملكها لفعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال أنس بن مالك البنانى ان للخير مفاتيح وان لثابت ثمانين مفتاح الخير وكان حبيب الفارسى من أخيار الناس وهو الذى اشترى نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألفا كان يخرج البدرة فيقول يارب اشتريت نفسى منك بهذه ثم يتصدق بها وكان أيوب السختيانى من أزهد الناس وأورعهم ذكر عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله أيوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم لا أذكر ذلك المقام الا اقشعر جلدى وقال سفيان الثورى جهدت جهدى على أن أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم أقدر وكان الخليل بن أحمد النحوى من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وكان المملوك يتصدونه ويبذلون له الاموال فلم يقبل منها شيأ وكان يحج سنة ويغزو سنة حتى مات رحمه الله وقال ابن خارجة جالست ابن عوف عشرين سنة فما أظن الملكين كتبا عليه شيأ وروى انه غسل كرز بن برة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن قال كان أبو حنيفة واحد زمانه لو انشقت عنه الارض لانشقت عن جبل من الجبال فى العلم والكرم والزهد والورع وحج وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط فى عبادان أربعين ليلة وختم بها القرآن أربعين ختمة وتصدق بأربعين ألفا وروى أربعة آلاف حديث ومارؤى واضعا جنبه قط ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن أبى رباح وهو أسود مقلفل الشعر يفتى الناس فى الحلال والحرام فقيل يقول * تلك المكارم لا قعبان من لبن (ومن) مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم أجمعين سيدى أبو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربى أستاذ ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت اليه أيدى بنى آدم سنين كثيرة وكان أكلهم من أصول العشب شيأ تعودا كله (ومنهم) سيدى فتح بن شحرف بن داود يكنى أبا نصر من الزاهدين الورعين لا يأكل الخبز ثلاثين سنة قال أحمد بن عبد الجبار سمعت أبى يقول صحبت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أر رفع رأسه الى السماء ثم رفعها يوما فقال طال شوقى اليك فجعل قدومى عليك وقال محمد بن جعفر سمعت نساكا يقول غسلنا فتح بن شحرف فرأينا مكتوبا على فخذه لا اله الا الله فتوهمنا مكتوبا واذا هو عرق داخل الجلد ومات ببغداد فصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحوا من خمسة وعشرين ألفا الى ثلاثين ألفا (ومنهم) سيدى فتح بن سعيد الموصلى يكنى أبا نصر من أقران بشر الحافى وسرى السقطى كبير الشأن فى باب الورع والمجاهدات قال ابراهيم بن نوح الموصلى رجع فتح الموصلى الى أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشونى فقالوا ما عندنا شئ نعشيك به فقال ما بالكم جلوس فى الظلمة فقالوا ما عندنا شئ نسرج به فجعل يبكى من الفرح ويقول الهى مثلى يترك عشاه ولا سراج بأى يد كانت منى فما زال يبكى الى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يمشى وحده ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت الى أين فقال الى بيت ربى عز وجل فقلت بما تحرك شفتيك قال أتلو كلام ربى فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر سنا منى فقلت خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال انما على نقل الخطا وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادى يقينى وراحلتى رجلاى فقلت أسألك عن الخبز والماء قال يا سماء أرأيت لو دعاك مخلوق الى منزله أكان يحمل بك ان تحمل زادك الى منزله قلت لا فقال ان سيدى دعا عباده الى بيته وأذن لهم فى زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم وانى استحييت ذلك فحفظت الادب معه أفترا يضيعنى فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصرى فلم أره الا بمكة فلما رآنى قال أنت أيها الشيخ بعد على ذلك الضعف من اليقين (ومنهم) سيدى أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الجبرى صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى وكان يقال فى الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان الجبرى بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله الحلاج بالشام ومن كلامه لا يكمل الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل وقال منذ أربعين سنة ما أمنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا تقلبنى فى شئ فسخطته (ومنهم) سيدى سليمان الخواص يكنى أبا تراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد الموصوفين

سكن الشام ودخل بيروت وكان أكثر مقامه ببيت المقدس قيل اجتمع حذيفة المرعشي وابراهيم بن أدهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت فقال بعضهم الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا وقال بعضهم الغنى من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ما تقول أنت في ذلك فبكى وقال رأيت جوامع الغنى في التوكل ورأيت جوامع الفقر في القنوط والغنى حق الغنى من أسكن الله في قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمه منه رضا فذلك الغنى حق الغنى وان أمسى طاويا وأصبح معوزا فبكى القوم من كلامه (ومنهم) سيدي أبو سليمان بن عبد الرحمن ابن أحمد بن عطية الدراني أحد رجال الطريقة قدس الله سره كان من أجل السادات وأرباب الجد في المجاهدات ومن كلامه من أحسن في نهاره كفي في ليله ومن أحسن في ليله كفي في نهاره ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من ان يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شيء علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال لكل شيء صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال أحمد بن أبي الحواري شكوت الى أبي سليمان الوسواس فقال اذا أردت أن ينقطع عنك فأي وقت أحسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه لا شيء أبغض الى الشيطان من سرور المؤمن واذا اغتممت به زادك وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى اجتمع علينا على أبي سليمان الداراني فسمعوه يقول يارب ان طالبتني بسيء طالبتك بتوحيدك وان طالبتني بذنوبي طالبتك بكرمك وان جعلتني من أهل النار أخبرت أهل النار بحبي اياك وقال علي ابن الحسين الحداد سألت أبا سليمان بأي شيء تعرف الابرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه أنه قال غبت ليلة عن وردي فاذا حوراء تقول لي أتنام وأنا أربي لك في الخدور منذ خمسمائة عام (ومنهم) سيدي أبو محمد عبد الله بن حنيف من زهاد المتصوفة كوفي الاصل ولكنه سكن أنطاكية ومن كلامه لا تغتم الا من شيء يضرك غدا ولا تفرح الا بشيء يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة (ومنهم) سيدي أبو عبد الله محمد بن يوسف البناء أصبهاني الاصل كتب عن سفائة شيخ غلب عليه الانفراد والخلوة الى أن خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان في ابتداء أمره يكسب في كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فانه أخذ من ذلك لنفسه درهما وتصدق بالباقي ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة في مسجده خرج الى الجبل الى قريب الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول في الجبل يارب اما أن تهب لي معرفتك أو تأمر الجبل أن يطبق علي فاني لا أريد الحياة بلا معرفتك ومنهم سيدي يحيى ابن معاذ الرازي قدس الله سره يكنى أبا زكريا أحد رجال الطريق كان أوحد وقته ومن كلامه لا تكن ممن يفضحه يوم موته سريرائه ويوم حشره ميزانه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديق يحتاج الى أن يقال له اذكرني في دعائك وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله تشتغل في أمرك الخلق وقال من كان غناه في كيسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه في قلبه لم يزل غنيا ومن قصد بجوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروي أنه قدم شيراز فجعل يتكلم على الناس في علم الاسرار فأتته امرأة من نسائها فقالت كم تريد أن تأخذ من هذه البلدة قال ثلاثون ألفا أصرفها في دين علي بخراسان فقالت لك علي ذلك على أن تأخذها وتخرج من ساعتك فرضي بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فوجدت تلك المرأة فيما فعلت فقالت انه كان يظهر أسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك (ومنهم) سيدي يوسف بن الحسين الرازي يكنى أبا يعقوب كان وحيد وقته في اسقاط التصنع عالما أديبا صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي من كلامه اذا أردت أن تعلم العاقل من الاحمق فحدثه بالمحال فان قبل فاعلم انه أحمق وقال اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء وقال لان ألقى الله تعالى بجميع المعاصي أحب الي من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت

المعاش وان يصحب أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤا الى أبي حنيفة يستشيرونه فقال لهم أبو حنيفة له أن يخرجها الى حيث شاء فقالوا لم نصبر على ذلك فقال ارضوه بان ترددوا عليه ما أخذتم منه فأجابوه الى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى ان القوم قد سمعوا وأجابوا الى أن يردوا عليك ما أخذوا منك من المهر ويبرولك فقال الفتى لا بد من زيادة آخذها منهم فقال أبو حنيفة أيما أحب اليك أن ترضى بما بذلوا لك والا أقمرت المرأة لرجل يدين عليها ولا يمكنك حملها ولا السفر بها حتى يقضي ما عليها من الدين قال فقال الفتى الله الله يا امام لا يسمع أحد منهم بذلك ثم أجاب وأخذ ما بذلوه من المهر ﴿ومنه﴾ أن رجلا جاء الى أبي حنيفه وقال يا امام قد فقت مالا من مدة طويلة ونسيت الموضع الذي دفنته فيه فقال الامام ليس في هذا فقه فاحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة الى الغداة فانك ستذكر ان شاء الله تعالى ففعل فلم يمض الا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع الذي دفن فيه فجاء الى أبي حنيفة فأخبره فقال قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي الليل كله فهلا أتممت ليلتك كلها شكرا لله تعالى (ومنه) أن بعضهم كانت له زوجة جميلة وكان يحبها حبا شديدا ويبغضه بغضا شديدا ولم تزل المنافرة بينهما ألبتة فأضجره ذلك وطالت مدة تجرعها عليه في الكلام فقال لها يوما أنت طالق ثلاثا بتاتا ان كنت طبختني بشيء ولم أخاطبك بشيء مثله فقالت له في الحال أنت طالق ثلاثا بتاتا فالتبس الرجل ولم يدر ما يجيب وخاف في جوابها من

وقوع الطلاق وأرشد الى أبي جعفر الطبري فأخبره بما جرى فقال له اذا طالبتك بالجواب فقل لها أنت طالق ثلاثا بتاتا ان أنا طلقتك فتكون قد خاطبتها ووفيت بيمينك ومنه قيل ان ذا النون المصري كان يعرف الاسم الاعظم قال يوسف ابن الحسين لما تحققت منه ذلك قصد مصر وخدمته سنة ثم قلت له يرحمك الله اني قد خدمتك ووجب حقي عليك وأشتهي أن تعلمني اسم الله الاعظم فلا تجد له موضعا مثلي قال فسكت ولم يجبني ستة أشهر وأومأ الي أنه يعلمني ثم أخرج من بيته طبقا ومكبة وقد شد اعند يل وكان ذو النون يسكن الجيزة فقال تعرف فلانا صديقنا من الفسطاط قلت نعم قال فأحب أن تؤدي هذا اليه قال فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأقول مثل ذي النون يوجه الى فلان بهدية ترى أي شيء هي فلم أصبر ان بلغت الجسر فحللت المنديل ورفعت المكبة فاذا فأرة نفرت من الطبق وفرت فاغتظت غيظا شديدا وقلت ذو النون المصري يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة فرجعت على ذلك الغيظ فلما رآني علم ما في وجهي فقال يا أحمق أتثمنك على فأرة فخنتني فكيف أثمنك على اسم الله الاعظم فسر عني فلا أراك بعدها (ومن ذلك ما هو منقول عن الافراط في ذكاء العرب) قيل سار مضر وربيعة واياد وانمار أولاد نزار بن معد الى أرض نجران فبينما هم يسيرون اذ رأى مضر كلأ فدرعى فقال البعير الذي رعى هذا أعور فقال ربيعة وهو أزور وقال اياد وهو أبتر وقال

زيارة ابن الحسين الرازي من بغداد فلما دخلت بلد سألت عن منزله فكل من سألته يقول أي شيء تريد من هذا الزنديق فضيت واصدري حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت في نفسي جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت الى مسجده فوجدته جالسا في المحراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أتحسن من قولهم شيأ قلت نعم وأنشدته

رأيتك تعبني دائما في قطيعتي * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت الي وقال يا بني أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عيني قطرة وقد قمت على القيامة بهذا البيت ومنهم سيدي حاتم بن علوان الاصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من أكابر مشايخ خراسان صحب شقيقا البلخي ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبي صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقر فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك في التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره وعلمت أني لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحي منه وسبب تسميته بالاصم ما حكاه أبو علي الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسألة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة فقال حاتم ارفعي صوتك وأراها أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه (ومنهم) الحسن بن أحمد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صحب أبا بكر المصري وأبا علي الروذباري وكان أوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشد وا في هذا المعنى

اذا ما أسرت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا
تطيب به أنفاسهم فتذيعها * وهل مرمسك أودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيده الاستغناء به عن الناس وقال صحبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم وقال اذا سكن الخوف في القلب لا ينطق اللسان بما لا يعنيه (ومنهم) سيدي جعفر بن نصر الخلدي يكنى بأبي محمد بغدادي المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روي أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكي بكاء محرقة فقال لها مالك تبكين فقالت

تكلى بولدي فانسأ يقول * يقولون تكلى ومن لم يثق * فراق الاحبة لم يشكل
لقد جرعتني ليالي الفراق * شرابا أمر من الحنظل

وروي أنه كان له فص فوقع منه يوما في الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة اذا دعا به عادت فدعا به فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها رصورة الدعاء أن تقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع علي ضالتي وقد روي أنه يقرأ قبله سورة والضحى ثلاثا روى الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه قال ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير الصوفي فقلت زودني شيأ فقال ان فقدت شيأ وأردت أن يجمع الله بيني وبينك أو بينك وبين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو الانسان (ومنهم) سيدي معروف بن فيروز الكرخي قدس الله سره يكنى أبا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو استاذ السري وكان أبوا نصرانيين فأسلما على مؤدبهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضربه المؤدب على ذلك ضربا موجعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أي دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى أبويه

فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقيل على أى دين فقال على دين الاسلام فأسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضى الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يا مسكين كم تبكى وتندب أخلص تخلص وقال سرى سألت معروفا عن الطائعين لله بأى شئ قدروا على الطاعات لله عز وجل قال بخروج حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فمر بنا صبيان فى زورق يضربون بالملاهى ويشربون فقال له أصحابه أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء فادع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدى كما فرحتهم فى الدنيا أسألك أن تفرحهم فى الآخرة فقال له أصحابه انما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا فى المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول للائكته من هذا فقالوا أنت أعلم يارب قال هذا معروف الكرخى سكر بحبى لا يفيق الا بلقائى وقيل له فى مرضه اوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصى هذا فانى أحب أن أخرج من الدنيا عريان كما دخلتها عريان وقال أبو بكر الحيا طرأيت فى المنام كأنى دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الريحان واذا أنا بمعروف الكرخى بينهم يذهب ويجئ فقلت يا أبا محفوظ ما فعل الله بك أوليس قدمت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقى حياة لا فقاد لها * قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

(ومنهم) قاسم بن عثمان الكرخى يكنى أبا عبد الملك من أجلاء المشايخ صحب أبا سليمان الدرانى وغيره وكان من أقران السرى والحرث المحاسبى وكان أبو تراب النخشبى يصحبه ومن كلامه من أصلح فيما بقى من عمره غفر له ما مضى وما بقى ومن أفسد فيما بقى من عمره أخذ بما مضى وما بقى وقال السلامة كلها فى اعتزال الناس والفرح كله فى الخلوة بالله عز وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة ترد المظالم وترك المعاصى وطلب الحلال وأداء الفرائض وقال لاصحابه أوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلا تحزنوا وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادا قصدوا الله بهممهم فأفردوه بطاعتهم واكتفوا به فى توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين الا فيما قرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشئ أفضل من المعرفة وروى عنه أنه قال رأيت فى الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فاذا هو لا يزيد على قوله قضيت حاجة المحتاجين وحاجتى لم تقض فقلت له مالك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدث كناسا بمعرفة فقام من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا التضرب أعناقنا فنظرت الى السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين على كل باب جارية فقدم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية فى يدها منديل فوقعت الى الارض فضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبقى باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقى استوهبنى بعض خواص الملك فوهبنى له فسمعتها تقول بأى شئ فاتك هذا يا محروم وأغلقت الباب فأنا يا أخى متحسر على ما فاتنى قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لانه رأى ما لم ير واوترك يعمل على الشوق (ومنهم) سيدى أبو بكر داف بن يحمد الشبلى كان جليل القدر مالكى المذهب عظيم الشأن صحب الجنيد ومن فى عصره وكان يبالغ فى تعظيم الشرع المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان المعظم جد فى الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربى فأنا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبى صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل أخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ما شئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما حج ورأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى

انما ر وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور وقال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد أهو أبتر قال نعم قال انما ر أهو شرود قال نعم والله هذه صفات بعيرى دلونى عليه فلحقوا انهم مارأوه فلزمهم وقال فكيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته فسار واحتى قربوا من البحران فنزلوا بالافعى الجرهمى فنادى صاحب البعير هؤلاء القوم وصفوا لى بعيرى بصفته ثم أنكروه فقال الجرهمى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويترك جانبا فعلمت أنه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذا بالتفرق وقال أنمار انما عرفت انه شرود لانه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه واخبث فقال الافعى ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فاخبروه فرحب بهم وأضافهم وبالغ فى اكرامهم (ومنه) أن عقبة الازدى كان مشهورا بمعالجة الجن وصدق العزائم فأتوه بجارية قد جننت فى ليلة عرسها فعزم عليها فاذا هى قد سقطت فقال لاهلها اخلونى بها فأجابوه فلما خلا بها قال لها اصدقينى عن نفسك وعلى خلاصك فقالت انه كان لى صديق وأنا فى بيت أهلى وانهم أرادوا أن يدخلونى على زوجى ولست ببكر فخفت الفضيحة فهل عندك حيلة فى أمرى فقال نعم ثم خرج الى أهلها فقال ان الجنى قد أجابنى الى

وقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

وروى أنه قال كنت يوما جالسا بالحجر في خاطري أني بخيل فقلت مهما فتح الله علي به اليوم ادفعه الى أول فقير يلقاني قال فبينما أنا متفكر اذ دخل علي شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه في مصالحك فأخذتها وخرجت واذا أنا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لي ادفعها للمزين فقلت له انها دنانير فقال انك لبخيل قال فناولتها للمزين فقال المزين ان من عادتنا أن الفقير اذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجرا قال فرميتها في الدجلة وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله تعالى (ومنهم) سيدي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازي قال بينما أنا بجبل لبنان أدور اذ أبصرت زرقان أخا ذي النون المصري جالسا على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الي وقال ما حاجتك فقلت بيتا شعر سمعتهما من أخيك ذي النون المصري أعرضهما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذ بن حيارى * نطلب الوصل ما اليه سبيل

فدواعي الهوى تحف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكني أقول قد بقينا مذهلين حيارى * حسبنا ربنا ونعم الوكيل

حيثما الفوز كان ذاك منانا * واليه في كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهر المقدسي فقال رحم الله ذا النون المصري رجع الى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال أبو عبد الرحمن السلمي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري وأظن أنه أخوه مؤاخاة لا اخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه (ومنهم) سيدي أبو عبد الله التباجي سعيد بن يزيد كان من أقران ذي النون المصري ومن أقران أستاذي أحمد بن أبي الحواري له كلام حسن في المعرفة وغيرها روي عنه أنه قال أصابني ضيق وشدة فبت وأنا مفكر في المسير الى بعض اخواني فسمعت قائلا يقول لي في النوم أيجمع بالحر المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس (ومنهم) سيدي بشر بن الحرث الحافي قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين محب الفضيل بن عياض وروى عن مهرى السقطي وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم في الدنيا مفارقة الاحباب وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه لقي رجلا سكران فجعل الرجل يقبل يد بشر ويقول يا سيدي يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل أحب رجلا على خير توهمه لعل الحب قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله * وروى أن امرأة جاءت الى أحمد بن حنبل تسأله فقالت اني امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل علي في ذلك شيء فقال يجب أن تبيني فلما انصرفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد نجحت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذي مات فيه قال له أهله نرفع ما لك الى الطبيب قال أنا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فأحوا عليه فقال لاختك ادفعي اليهم الماء فدفعته اليهم في قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصراني فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبماذا وصفت لكم قالوا وصفت بأنك أحذق أهل زمانك في الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو ماء راهب قد فتت الصوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الحافي لان ما في زمانه أخوف منه قالوا هو ماء بشر فقال أنا

الخروج منها فاختاروا من أي عضو واعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لا بد أن يهلك ويفسد فان خرج من عينها عميت وان خرج من اذنها صمت وان خرج من يدها شلت وان خرج من رجلها زمنت وان خرج من فرجها ذهبت بكارتها فقال أهلها انا لم نجد شيأ أهون من ذهاب عذرتها فأخرج الشيطان منه فأوهمهم أنه فعل ذلك وأدخلت المرأة على زوجها (ومن ذلك) ان الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا على عمل فبلغه عنه أنه قال

اسقني شربة ألذ عليها

واسق بالله مثلها ابن هشام

قال فأشخصه وعلم الرجل بالحال فضم اليه بيتا آخر فلما قدم على الامام قال ألست القائل

اسقني شربة ألذ عليها

واسق بالله مثلها ابن هشام

قال نعم يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت ثانيا وهو

عسلا بارد اذا ما سحاب

انني لاحب شرب المدام

فقال الامام الله الله ارجع الى عملك

(ومن لطائف هزليات الاذكياء) ان الرشيد خرج متنزها فانفرد عن العسكر ومعه الفضل بن الربيع فاذا هو بشيخ قد ركب حمارا ضعيفا وهو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد ياشيخ فقال حائطاني قال هل أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجني الى ذلك قال لحذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكراث فصير الجميع في قشر جوزة واكتحل من العشر فانه يذهب رطوبة عينيك فأتكأ الشيخ على ظهر حماره وضرط ضرطة

أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد ارسول الله فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا له ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندى نوديت يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب توفى سنة سبع وعشرين ومائتين (ومنهم) سيدى أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى من أجل المشايخ كبير الشان ومن كلامه مازلت أسوق الى الله تعالى نفسى وهى تبكى الى أن سقتها وهى تضحك وسئل بأى شئ وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقيل له ما أشد ما لقيت فى سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيته نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها الى شئ من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب وينجاذون عنه وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبنى فقيل له لم فقال لعله يقول فيما بينى وبينك يا عبدى فأقول لبيك فقوله لى يا عبدى أحب الىّ من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بى ما يشاء وقال له رجل دلنى على عمل أتقرب به الى ربى فقال أحب أولياء الله يحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فلعله ينظر الى اسمك فى قلب ولى فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفى سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى (ومنهم) شيخ الطائفة سيدى أبو القاسم الجنيد بن محمد القوارير ى شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السرى والحرث المحاسبى ودرس الفقه على أبى ثور وكان يفتى فى مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة * ومن كلامه رضى الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الادب أدبان أدب السر وأدب العلانية فأدب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب ورؤى فى يده يوما سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم بسبب وصلنا به الى ما وصلنا اليه ما تركه أبدا وقال حسن بن محمد السراج سمعت الجنيد يقول رأيت ابليس فى منامى وكأنه عريان فقلت له ألا تستحيى من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندى ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم فى مسجد الشونيزى قد أضنوا قلبى وأتعبوا جسمى كلما هممت بهم أشاروا الى الله عز وجل فأكاد أن أحرق قال الجنيدى فانتبهت من نومى ولبست ثيابى وجئت الى مسجد الشونيزى بليل فلما دخلت المسجد اذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤسهم فى مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شئ تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا فى مسجد الشونيزى أبو حمزة وأبو الحسن الثورى وأبو بكر الدقاق رضى الله عنهم وقال محمد بن قاسم الغارسى بات الجنيد ليلة العيد فى الموضع الذى كان يعتاده فى البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف فى عباءة وهو يبكى ويقول

بحرمة غربتى كم ذا الصدود * ألا تحنو على ألا تجود * سرور العيد قد عم النواحى
وحزنى فى ازدياد لا يبيد * فان كنت اقترفت خلال سوء * فعذرى فى الهوى أن لا أعود

توفى الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو ستين ألف رضوان الله عليهم أجمعين * ومن محبته وانتفعت بصحبته وفاضت الخيرات على ببركته سيدى الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالى وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريني المالكى قدس الله سره وروحه ونور ضريحه كان أوحد زمانه فى الزهد والورع قامعا لاهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق بجمعا وعربا وانتشر ذكره فى البلاد شرقا وغربا وأتت الملوك الى بابه واختاروا أن يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب الا فرج الله كربته ولا طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الارض لم يتسع نفسه فى الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهورا عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من أعدائه وأحبابه يدخل اليه أعدى عدوه فيقبل ببشره وبره

طويلة ثم قال خذ هذه الضرطة اجرة وصفك فان نفعتنا زدناك فضحك الرشيد حتى كان يسقط عن ظهر دابته (ومن الجد المفحم) ان رجلا من اليهود قال للامام على رضى الله عنه ما دفنتم نبيكم حتى قال الانصار منا أمير ومنكم أمير فقال له الامام أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة (ومنه) أن المتوكل قال يوما لجلسائه نعم المسلمون لهم على عثمان اشياء منها ان الامام أبا بكر رضى الله عنه لما تسنم المنبر هبط عن مقام النبى صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر دون مقام أبى بكر وصعد عثمان ذروة المنبر فقال عباد ما أحد أعظم منة عليك من عثمان يا أمير المؤمنين قال وكيف ويلك قال لانه صعد ذروة المنبر ولو أنه كلما قام خليفة نزل مرقاة نزل عثمان لمن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر فضحك المتوكل ومن حوله (ومن المنقول عن أذكياء الاطباء) ان جارية من جوار الرشيد عطست فلما أرادت أن تحمد ربها تطق وحصل فيها الورم فصاحت وآلمها فشق على الرشيد وعجز الاطباء عن علاجها فقال له طبيب حاذق يا أمير المؤمنين لا دواء لها الا أن يدخل اليها رجل أجنبى غريب فيخلو بها ويمسخها بدهن نعرفه فاجابه الخليفة الى ذلك رغبة فى عافيتها فأحضر الطبيب الرجل والدهن وقال أريد أن أمير المؤمنين يأمر بتعريتها حتى يمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن فشق ذلك على الخليفة وأمره ان يفعل وأضمر فى نفسه قتل الرجل وقال للخادم خذه وأدخله عليها بعد أن تعريها فعريت

عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وانى لالقى المرء أعلم أنه * عدوى فى أحشائه الضغن كامن

فأمنحه بشرى فيرجع قلبه * سليما وقد مانت لديه الضغائن

وكانت حملة أهل زمانه عليه وأحوالهم فى كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت

وما حملونى الضيم الا حملته * لانى محب والمحب حمول

وكان رضى الله عنه كثير المصافات عظيم الموفاة شأنه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد فى أمر الا أرشده الى الخير ونصحه صحبته رضى الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكانهم من طيبها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عنى حتى كنت أظن أن ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه قاطبة بيض الله وجهه فى القيامة وبلغه من فضل ربه مآربه وكان رضى الله عنه فقيها فى مذهب الامام مالك امام كبير لم يرله فى زمانه من شبيه ولا نظير وله فى علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لاتسع الكلام ولكنى أقول كان أوحد عصره والسلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس فى زمانه فى عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامراض والاسقام حصل له فى آخر عمره وضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه فى العشر الاول من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الامر واحتضر ولم يزل فى النزع الى ثلث الليل الاول من الليلة المذكورة ثم توفى رحمه الله تعالى سعيد حميد افى ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وثمانمائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف فى أقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم صاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو امام العصر علامة الدهر حق فيه قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

رضى الله عنه ورضى عنا به ونفعنا ببركته فى الدين والدنيا والآخرة فشرعوا فى تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهنى معى فى تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لى والد اشفيقا وبارا محسنا عاشوقا فلما انتهى غسله رضى الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على أعناقهم ومضوا به الى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرقات من كثرة الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم وهذا دليل على أنه كان قطب أهل زمانه * قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجتماع الناس والله أعلم فارتفع نعشه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدى سليمان الدواخلى نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التى أنشأها بسند قامع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتى المسلمين سراج الدين أبى حفص عمر الطريني المالكى فى قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة متقلبه ومثواه وحشرنا رايا فى زمرة سيد الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ونسأله التوفيق والامانة وأن يجمع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطريني أدام الله أيامه للمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم﴾

﴿اعلم﴾ ان كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم أكثر من ان تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم فى زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم المحشر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل ﴿حكاية﴾ قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقى مرارا فلم نر للاجابة أثرا فخرجت أنا وعطاء السلمى وثابت البنانى ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وأبو محمد السختيانى وحبيب الفارسى وحسان بن ثابت بن أبى سنان وعتبة الغلام وصالح المزنى حتى اذا صرنا الى المصلى

الجارية وأقيمت فلما دخل عليها وقرب منها وسعى اليها وأومأ بيده الى فرجها ليمسه غطت الجارية فرجها بيدها التى قد كانت عطلت تركتها ولشدة تمادا خلها من الحياء والجزع حمى جسمها بانتشار الحرارة الغريزية فأعانها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يدها فى فرجها فلما غطت فرجها قال لها الرجل الحمد لله على العافية فأخذه الحادم وجاء به الى الرشيد وأعلمه بالحال وما اتفق فقال الرشيد للرجل فكيف نعمل فى رجل نظرا الى حرمنا فمد الطبيب يده الى لحية الرجل فانتزعها فاذا هى ملصقة واذا الشخص جارية وقال يا أمير المؤمنين ما كنت لابذل حرمك للرجال ولكن خشيت ان اكشف لك الخبر فيتصل بالجارية فتبطل الحيلة ولا يفيد العلاج لانى أردت أن أدخل على قلبها فزعا شديدا يحمى طبعها ويقودها الى تحريك يدها وتمشى الحرارة الغريزية فى سائر أعضائها بهذه الواسطة فسرى عن الرشيد ما كان وقر فى صدره من الرجل وأجزل عطيته (ومن المنقول عن أذكياء المتطفلين) قال أبو عمر الجمحمى كان لى جار طفيلى وكان من أحسن الناس منظرا وأعذبهم منطقا وأطيبهم رائحة فكان من شأنه اذا دعيت الى وليمة يتبعنى فيكرمه الناس من أجلى ويظنون صحبتى له فاتفق ان جعفر بن العاصم الهاشمى أمير البصرة أراد أن يختن أولاده فقلت فى نفسى كانى برسول الامير قد جاءنى وكانى بالطفيل قد تبعنى والله لئن فعل لافضحنه فاعلمنى ذلك اذ جاءنى رسول الامير يدعونى فجازت

بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نرل اجابة أتراحى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البنانى بالمصلى فلما أظلم الليل اذا أنا بعبد أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف وقومت ما عليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء الى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى الى كم ترد عبادك فيما لا ينفعك أنفد ما عندك أم نقص ما فى خزائنك أقسمت عليك بحبك لى الا ما أسقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود أما تستحيى مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لى وما يدريك أنه يحبك قال تنح عنى يا من اشتغل عنه بنفسه افتراه بدا أنى بذلك الا لمحبته اياى ثم قال محبته لى على قدر ومحبتى له على قدرى فقلت له يرحمك الله ارفق قليلا فقال انى عملوك وعلى فرض من طاعة مالكى الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفوا أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما أصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندى مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق حبيبى فيهم فقال عودوا الى فى غير هذا الوقت فلما أردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة فخرج به خلف داره واذا بالاسود قائم يصلى فقلت حبيبى ورب الكعبة فجئت الى النخاس فقلت له يعنى هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا غلام ليست له همة فى الليل الا البكاء وفى النهار الا الخلوة والوحدة فقلت له لا بد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعا بخلاه وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد ان تبرئنى من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الى وقال يا مولاى الصغير لما ذا اشتريتنى وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله يا سيدى انما اشتريتك لأخدمك بنفسى قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة بالمصلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وأنا الذى عارضتك البارحة فى الكلام بالمصلى قال فجعل يمشى حتى أتى الى مسجد فاستأذننى ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى سر كان بينى وبينك أطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشى أقسمت عليك بك الا ما قبضتنى اليك الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجئت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على السواد وجهه كالقمر ليلة البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم فى أخينا ميمون هاكم الكفن فناولنى ثوبين ما رأيت مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فغبرنا نستسقى به الى الآن ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه (وحكى) عن حذيفة المرعشى رضى الله عنه وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضى الله عنه ومحبه مدة تقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال على بدواة وقرطاس فأحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى
قال حذيفة ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها الى أول من يلقاك قال فخرج فأول من لقينى رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة درهم فأخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل نصرانى قال فجئت ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتى الساعة فلما كان بعد ساعة أقبل النصرانى راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على ابراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد

على أن لبست ثيابى وخرجت فاذا أنا بالطفيلى واقف على باب داره وقد سبقنى بالتأهب فتقدمت وتبعنى فلما حضرت الموائد كان معى على المائدة فلما مد يده ليأكل قلت حدثنى درسة بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار قوم بغير اذنهم فأكل طعامهم دخل سارقا وخرج مغيرا فلما سمع الطفيلى ذلك قال أنفقت لك والله يا أبا عمرو من هذا الكلام على مائدتك سيد من أطعم الطعام فانه ما من أحد من الجماعة الا وهو يظن أنك تعرض به دون صاحبه وقد بخلت بطعام غيرك على من سواك ثم ما استحييت حتى حدثت عن درسة بن زياد وهو ضعيف وعن أبان بن طارق وهو متروك الحديث والمسلمون على خلاف ما ذكرت فان حكم السارق القطع وحكم المغيران يعزر على ما يراه الامام وأين أنت من حديث حدثناه أبو عاصم عن ابن جريج عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية وهو اسناد صحيح ومتن صحيح متفق عليه قال أبو عمرو والله لقد أفحمنى ولم يحضرنى جواب فلما خرجنا فارقنى من جانب الطريق الى الجانب الآخر بعد ان كان يمشى ورائى وسمعته يقول

ومن ظن ممن يلاقى الحروب
بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(ومن المنقول عن أذكياء المتلصصين) أن أبا بعض التجار قال احتال على رجل بحوالة فكان يأتينى كل يوم ويأخذ قدر نفقته

الى أن نفذت وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني أخرج من صندوق لي فأعطيه منه فقال لي يوما ان قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في عصره وخليفته على حفظ ماله وان لم يكن وثيقا تطرقت الحيل اليه وأرى قفلك هذا وثيقا فقل لي ممن ابتعته لابتاع مثله لنفسي فقلت من فلان الاقفالي قال فما شعرت يوما وقد جئت الى دكاني وتقدمت الى الصندوق لاخرج منه شيأ من الدراهم ففتحته فاذا ليس فيه شيء فقلت للغلام أي وهو عندي أمين غير منهم هل أنكرت شيأ من أحوال الدكان قال لا فقلت ففتش هل ترى نقبا أم في السقف حيلة قال لا والله فاعلم ان الذي كان في الصندوق قد ذهب وقلق الغلام فامسكته وقت مفكرا وتأخر الرجل عني فتيقظت له وذكرت سؤاله عن القفل وقلت للغلام أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله فقال احمل الدرابزيب فدعتين وثلاثة حتى أضعها في محلها وهكذا اصنع في غلقها قلت فمن تدع عند الدكان اذا انقلب الدرابزيب قال أتركه خاليا قلت فمن ههنا ذهبت فمضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت جاءك انسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل فقال نعم رجل من صفته كذا وكذا واعطاني صفة صاحبي فعلمت انه احتال على الغلام وقت المساء ودخل الدكان واختبأ فيها ومعه مفتاح القفل وأخذ المال ومكث طول الليل الى الصباح فلما فتح الغلام وحمل الدرابزيب ليضعها في محلها خرج وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج من المدينة فخرجت من البصرة ومعي قفلي ومفتاحي فقلت أبتدئ بواسط فلما صعدت طلبت سجانا فنزلته فلما

أن محمدا عبده ورسوله قال فبكى ابراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذي هدانا للاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿وحكي﴾ أن بعضهم كان ملاحا بحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدي من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ومن الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما أنا ذات يوم في الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليكم فرددت عليه السلام فقال أتحملني الى الجانب الغربي لله تعالى فقلت نعم فطلع الى الزورق وعديت به الى الجانب الغربي وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال اني أريد أن أحملك أمانة قلت وما هي قال اذا كان غدوة الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا ألهمت فائتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند رأسي وصل علي "وادفني تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة ياتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركني فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذي قال لي فلما جاء وقت الظهر نسيت فما تذكرت الا قريب العصر فسرت سرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الي ثم عدت الى الجانب الشرقي وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا أنا بشاب قد أقبل علي فحققت النظر في وجهه فاذا هو من صبيان الملاهي كان يخدمهم فأقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم علي "فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التي عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لابد أن تخبرني فقال لا أدري الا أني البارحة كنت في عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغني الى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لأستريح واذا برجل قد أيقظني وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولي وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كيت وكيت قال فدفعتها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها في الزورق وقال تصدق بها علي من شئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركني أتحرق وأبكي لما حرمت من ذلك وأقمت يومي ذلك أبكي الى الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله في النوم فقال ياعبدي أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع الى اغماد لك فضلي أوتيته من أشاء من عبادي وأنا ذو الفضل العظيم ﴿وحكي﴾ أبو اسحق الصعلوكي قال خرجت سنة الى الحج فبينما أنا في البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة شمشاط كنت في عز ورفاهة فأطاب لي نفسي بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يقيض لي وليا من أوليائه وأرجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لي والدة واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشمم ريحهم فهممت أن أريهم فاحتوستني السباع والهوام ولكن سمعي وحملوا لي هذه الرياحين التي تراها قال أبو اسحق فبينما أنا معه يرق له قلبي واذا بجيئة عظيمة في فهاباقة نرجس كثيرة فقالت دع ولي الله تعالى فان الله يغار على أوليائه قال فغشي عليه وغشي علي "فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شمشاط بعد ما حججت فاستقبلتني امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتني نادت يا أبا اسحق ما شأن الشاب الغريب الذي مات غريبا فاني انتظرته منذ كذا وكذا فذكرت لها القصة الى ان قلت لها أشمك ريحهم فصاحت أواه أواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط فكفنا أمرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع شعر

يا نسيما هب من وادي قبا * خبرني كيف حال الغربا

كسألت الدهر أن يجمعنا * مثل ما كنا عليه فأبى

(وحكى) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمر في بعض الايام بمقبرة فأخذ منها عظما فتفتت في يده ففكر في نفسه وقال ويحك يا دينار كأني بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا وانت الجسم تراب فاقدم على تغريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه الى السماء وقال الهي وسيدي ألقيت مقاليد أمري فاقبلني وارحمني ثم أقبل نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق اذا أخذه سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد جبة من صوف واقراصا من شعير وغلين وافعلي بي كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني ففعلت به ما أراد فكان اذا جن عليه الليل أخذ في البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار ألك قوة على النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بني ارفق بنفسك فقال دعيني أتعب قليلا لعلي أستريح طويلا يا أماه ان لي غدا موقفا طويلا بين يدي رب جليل ولا أدري أيؤمر بي الى ظل ظليل أو الى شر مقيل قالت يا بني خذ لنفسك راحة قال لست للراحة أطلب كانك يا أماه غدا بالحلائق يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار مع أهلها فتركته وما هو عليه فأخذني البكاء والعبادة وقراءة القرآن فمر أفي بعض الليالي فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكي حتى غشي عليه فجاءت أمه اليه فنادته فلم يجبها فقالت له ياحبيبي وقرة عيني أين الملتقى فقال بصوت ضعيف يا اماه ان لم تجديني في عرصات القيامة فاسألي مالك خازن النار عني ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادي أيها الناس هلموا الى الصلاة على قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر في الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ويقول وعزته وجلاله سألني وارحمني وغفر لي وتجاوز عني ألا أخبرك عني والدتي بذلك (وحكى) عن الحسن البصري قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت اقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن رآه ميتا فأخبر الناس بذلك فتعاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن في المحراب مكتوبا عليه هذا الكفن مردود عليكم بئس القوم أنتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من أحبابنا الا تكله الى غيرنا (وحكى) أبو علي المصري قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فعلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الايام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قال بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا أنا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فغلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا أرتعد فلما أردت جبته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لي وقالت ارسل الي زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها وجهتي وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما

(شعر) أحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لعبدكم آلامها وضناها
وفارقتم الدار الانيسة فاستوت * رسوم مبالها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها

دخلت الخان وجدت قفلا مثل قفلي على باب بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال رجل قدم أمس من البصرة فقلت ما صفته فوصف لي صاحبي فما شككت انه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتا الى جانبه ورصدته حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل ودخلت البيت فوجدت كيسي بعينه فأخذته وخرجت ووضعت قفله على بابه ونزلت على الفور في السفينة وانحدرت الى البصرة ولم أقم بواسط غير ساعة من نهار فرجعت الى منزلي بمالي كله

ومن المقبول عن أذكياء الصبيان انه وقف اياس بن معاوية وهو صبي على قاضي دمشق ومعه شيخ فقال اصلح الله القاضي هذا الشيخ ظلمني وأكل مالي فقال القاضي ارفق يا شيخ ولا تستقبله بمثل هذا الكلام فقال اياس ان الحق أكبرني ومنه سنك قال اسكت قال وان سكت فمن يقوم بحجتي قال فتكلم فوالله لا تتكلم بخير فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له فبلغ ذلك الخليفة فعزل القاضي وولى اياس مكانه

ومن المقبول عن أذكياء الشباب حكى المدائني قال خرج ابن زياد في فوارس فلقوا رجلا ومعه جارية لم ير مثلها في الحسن فصاحوا به خل عنها وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الاقدام عليه فعاد ليرمي فانقطع الوتر فهجموا عليه وأخذوا الجارية فهرب واشتغلوا عنه بالجارية ومد بعضهم يده الى اذنها وفيها قرط وفي القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة فقالت وما قدر هذه الدرة انكم لو رأيتم ما في قلنسوته من الدر لاستحقرتم هذه فتركوها واتبعوه وقالوا له القي ما في قلنسوتك وكان فيها وثر قد أعده

يرانى بساما خليلى يظننى * سرورا وأحشاى السقام ملاها
وكم ضحكت فى القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت أيها بعدها السامر * من الناس الا قال قلبى آها

﴿وحكى﴾ سرى السقطى رحمه الله تعالى قال أرقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما أصبحت دخلت المارستان فاذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهى تقول

تغل يدى الى عنقى * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد * أحس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ما حنثت ولكن * أنا بسكرانة وقلبى صاحى
لم أغلستم يدى ولم آت ذنبا * غير هتكى فى حبه وافتضاحى
أنا مفتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح
ما على من أحب مولى الموالى * وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت يا سرى هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هى تكلمنى اذ جاء سيدها فلما رآنى عظمنى فقلت والله هى أحق منى بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها فى الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لا تنام ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانها ماطربة قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود فى حجرها يوما فجعلت تقول

وحقك لا نقضت الدهر عهدا * ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحى والقلب وجدا * فكيف أقر ياسكنى وأهدا
فيا من ليس لى مولى سواه * تراك رضيتنى بالباب عبدا

فقلت لسيدها طلقها وعلى ثمنها اصباح وافقراه من أين لك عشرون ألفا يا سرى فقلت لا تعجل على فقال تكون فى المارستان حتى توفينى ثمنها فقلت نعم قال سرى فانصرفت وعينى تدمع وقلبى يخشع وأنا والله ما عندى درهم من ثمنها فبت طول ليلتى أتضرع الى الله تعالى فاذا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل على رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفنى يا سرى قلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فهتف بى هاتف وقال لى يا أحمد هل لك فى معاملتنا فقلت ومن أولى منى بذلك فقال احمل الى سرى السقطى خمس بدر من أجل الجارية الفلانية فان لنا بها عناية قال سرى فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع صليت وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت الى أن * عيل من حبلك صبرى ضاق من غلى وقيدى * وبما بها فى مذلك صدرى
ليس يخفى عنك أمرى * يا منى قلبى وذخرى أنت قد تعتق رق * وتفك اليوم أسرى

قال سرى فبينما أنا أسمعها واذا بعولها قد جاء وهو يبكى فقلت لا بأس عليك قد جئتك برأس مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت تزيدك قال والله لو أعطيتنى ما بين الخافقين ما فعلت وهى حرة لوجه الله تعالى قال فتعجب من ذلك وقلت ما كان هذا كلامك بالأمس فقال حبيبى لا توبخنى فالذى وفقنى من التوبيخ كفانى وأشهدك انى قد خرجت من جميع مالى صدقة فى سبيل الله تعالى وانى هارب الى الله تعالى فبالله لا ترد نى عن محبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكى فقلت ما يبكيك قال يا أستاذى ما قلبنى مولاى لما وهبنى اليه ورد على ما بذلت أشهدك أنى قد خرجت من جميع ما أملكه لله تعالى فى سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية أحرار لوجه الله تعالى قال سرى فقلت ما أعظم بركتك يا جارية قال فنزعنا الغل من عنقها والقيد من رجلها وأخرجناها من المارستان فنزعت ما كان عليها من

فنسيه من الدهش فلما ذكر تركه فى القوس ورجع الى القوم فولى القوم هاربين وخلوا الجارية

﴿وحكى ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء﴾ بعد تعن الحيوان الذى كان بذكائه يشبه ذكاء الآدميين فمن ذلك أن بعض الكتاب مر بمقبرة فاذا قبر عليه قبة مكتوب عليها هذا قبر الكتاب فمن أحب أن يعلم خبره فليمض الى قرية كذا وكذا فان فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها فقيل له ما يعلم ذلك الا شيخ هنا قد جاوز المائة فسأله فقال كان هنا ملك عظيم الشأن وكان يحب التنزه والصيد وكان له كلب قدر باله لا يفارقه فخرج يوما الى بعض متنزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة بلبن فجاؤا باللبن الى الطباخ ونسى أن يغطيه بشئ واشتغل بالطبخ فخرجت من بعض الشقوق أفعى فكمرت فى ذلك اللبن ومجته فى الثريدة والكلب رابض يرى ذلك وليس له حيلة يصل بها الى الأفعى وكان هناك جارية زمنة خرساء وقد رأت ما صنعت الأفعى وافى الملك من الصيد فى آخر النهار فقال يا غلمان ادركونى بالثريدة فلما وضعت بين يديه أومأت الخرساء فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفت اليه ويلح فى الصياح فلم يعلم مراده فقال للطعام نحوه عنى ومد يده الى اللبن بعد ما رمى الى الكلب ما كان يرمى اليه فلم يلتفت الكلب الى شئ من ذلك ولم يلتفت الى غير الملك فلما رآه يريد أن يضع اللقمة من اللبن فى فيه وثب الى وسط المائدة وأدخل فمه وكرع فى اللبن فسقط ميتا وتناثر لحمه وبقى الملك متعجبا من الكلب وفعله فأومأت الخرساء

ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة من شعر وولت قال سرى فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال الى مكة فبينما نحن نطوف اذ سمعناه وتافتقدناه فاذا هي امرأة كالهلال فلما رأتني قالت السلام عليك يا سري فقلت لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملتها فاذا هي الجارية فقلت لها ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت انسى به ووحشتي من غيره ثم توجهت الى البيت وقالت الهي كم تخلفني في دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقي اليك فعجل قدومي عليك ثم شهقت شهقة وخرت ميتة رحمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها مولاها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خر الى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفناهما في قبر واحد (شعر)

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم * من الود الا ما رجعتم الى وصلي
ولا تحرموني نظرة من جمالكم * فلن تجدوا عبدا ذليلا لكم مثلي
فوالله ما يهوى فؤادي سواكم * ولو رشقوه بالاسنة والنبل

﴿وحكي﴾ انه كان في زمن بني اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله له صحابة تسير له معه حيث يسير فاعتراه فتور في بعض الايام فأزال الله عنه صحابته وحجب اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه ومازال ينشتاق الى زمن الكرامة ويبكي ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام ليلة من الليالي فصلى ما شاء الله وبكى وتضرع ودعا الله تعالى ونام فقيل له في المنام اذا أردت أن يرد الله تعالى عليك صحابتك فائت الملك الفلاني في بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرد عليك صحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض حتى وصل الى تلك البلد التي ذكرت له في المنام فدخلها وسأل من يرشده الى قصر الملك فجاء الى القصر واذا عند بابه غلام جالس على كرسي عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوايجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدي الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت فقال ان حاجتي لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد في الجمعة يجتمع اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتي ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد داثر وأقام يعبد الله تعالى فيه وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذي يجلس فيه الملك جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس فلما خرج الوزير أذن للناس في الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وأنظر في أمرك قال فتحير صاحب السحابة في أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه الى قصره ثم مشى به في دهليز القصر فلم يجد في طريقه الا عملوكا واحدا فسار به حتى انتهى الى باب من حديد واذا به بناء مهدوم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش وليس هناك ما يساوي عشرة دراهم الا مجادة خلقة وقدح للوضوء وحصير رثة وشيء من الخوص فانخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة وناداه يا فلانة قالت لبيك قال أتدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعا بها لحاجته فخرجت فاذا هي امرأة كالشن البالي عليها مسح من شعر خشن وهي شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الى الملك وقال يا أخي نطلعك على حالنا أو نقضي حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم انه كان لي في هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الى بعض الله الى الدنيا وأهلها فأردت أن أسيح في الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فيملكونه عليهم فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين اليهم فعرفوا مرادها وما صنع الكلب فقال الملك لحاشيته هذا الكلب فداني بنفسه وقد وجب أن أكافئه وما يحمله ويدفنه غيري فدفنه وبنى عليه القبة التي رأيتها (قلت) قد أوردنا نبذة لطيفة من كتاب الاذكياء لابن الجوزي مختلفة الانواع وقد تعين أن نورد له هنا نبذة لطيفة من كتاب الحمقى والمغفلين لانه قال في كتاب الحمقى ما وضعت ذلك الا لان النفس قد تميل من ملازمة الجد وتراح الى بعض المباح من اللهو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لحنظلة ساعة وساعة * وعن علي رضي الله عنه أنه قال روحوا القلوب بطرائف الحكم فانها تمل كما تمل الابدان (وكان) رجل يجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثهم فاذا أكثروا ونقل عليهم الحديث قال ان الاذن مجاجة وان القلوب حضضها توا من أشعاركم وحدثنكم (وقال) أبو الدرداء رضي الله عنه اني لاستحم نفسي بشيء من الباطل كراهة أن أحملها من الحق ما يملها (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث أصحابه ساعة ثم يقول حضونا فيما خذ في أحاديث العرب وأشعارهم ومثله عن الزهري ومالك بن دينار (وكان) شعبة يحدث فاذا رأى أبا زيد قال له ايه أبا زيد استجممت دارنم ما تكلمنا

والدارقطني حكى نوادر أخبار (ووصف) رجل عند ابن عائشة فقيل هو جيد كله فقال ابن عائشة لقد أعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكهها بالانتقال من حال الى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع الى الجد بنشاط (وقال)

والنرائم وتبديد شمل الدين فبايعوني وأناوالله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيأ وأقعدت المماليك على الابواب بالسلاح ارهابا لاهل الشرور وردعا عن أهل الخير وتركت القصر مزينا على حاله وفتحت له بابا وهو الذي رأيته يوصلني الى هذه الحربة فأدخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأقوت من ثمنه أناوزوجتي هذه التي رأيتها وهي ابنة عمي زهدت في الدنيا كزهدي واجتهدت حتى صارت كالشن البالي والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم اني أقمت لي نائبا يذوب عني طول الجمعة وعملت اني مسؤل فجعلت لي يوما في الجمعة أبرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فأقام عندنا برحمة الله حتى نبيع خوصاتها ونبتاع من ثمنها طعاما وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسي العمر فأخذ عملا من خوص وسار به الى السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى ببقي ثمنه خوصا فلما كان عند الغروب أفطروا وأفطرت معهما وبت عندهما قال فقاما في نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رد مملكته وانك قد دللته علينا اللهم اردد ها عليه انك على كل شئ قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لي لك البشارة بقضاء حاجتك وتحويل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معي كما كانت فانا بعد ذلك ما أسأل الله تعالى بسرهما شيأ الا أعطاني اياه رحمة الله تعالى عليهما (شعر)

استعمل الصبر تجني بعده العسلا * ولازم الباب حتى تبلغ الامـــلا
ومرغ الخد في أعتابه سحـــرا * واحمل لمرضاته في الحب كل بلا
فما يفوز بوصل يا أخي ســـوى * صلب لثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادي في الدجى سحرا * فانهض وكن رجلا بالسعي قد وصلا

(وحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينما أنا سائر اذ رأيت شابا يسأكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس احرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله اني لا خشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لأني أسمع كلاما لك ولا أنظر اليك فقلت له لا تقل فانه حليم اذا غضب رضي واذا رضي لم يغضب واذا وعد وفى ومتى توعد عفا فقال يا شيخ أتشير علي بالتلبية قلت نعم فبادر الى الارض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ يحجرا فوضعه على خده الآخر وسيل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فاقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته الا بعني وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لي شئ أتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه (وحكى) انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الأندلسي وكان شيخ الكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات خرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا الى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساوسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلادة الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلا يدللها أبوها ويكرمها

ولا

الرشيد النوادر تمحمد الاذهان وتفتق الآذان (وقال آخر) لا يحب الملح الا ذكران الرجال ولا يكرهها الا مؤنثوهم وقال الشاعر

أرى روح القلب يبعض الهزل * تجاهلا مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل * والمرح أحيانا جلاء العقل

(قال ابن الجوزي في كتاب الحمقى) ان الاحنف بن قيس قال اذا رأيتم الرجل طويل القامة عظيم اللحية فاحكموا عليه بالحمق * وقال معاوية لرجل كفى أن نشهد عليك بالحمق ما نراه من طول لحيتك * وقال آخر وتلطف ما شاء من طالت لحيته * تكوم مع عقله * وقال أصحابه الفراسة من طالت قامته وطالت لحيته وجبت تعزيته في عقله وقالوا اذا كان الرجل طويلا طويل اللحية وأضيف الى ذلك أن يكون صغير الرأس فاحكم عليه بالحمق (وقال زياد) ما زادت لحية الرجل على قبضة الا كان ذلك نقصانا من عقله وقال الشاعر

اذا عرضت للفتى لحية * وطالت وصارت الى سرته
فقد ضاق عقل الفتى عندنا * بمقدار ما زاد من لحيته

(وقال ابن الرومي)

ان تطل لحية عليك وتعرض * فالمخالي محنوقة للحمير
علق الله في عذاريك مخلا * قولكا بغير شعير

(وقال بعضهم) صارم الاحمق فليس له خير من الهجران * وقيل مكتوب في التوراة من اصطنع الى أحمق معروفا فهي تحطيئة مكتوبة عليه * وقال سفيان الثوري هجران الاحمق قربة الى الله تعالى (فمن ضرب المثل بحمقه

ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تحبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له ياسيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فاقبل علينا وقال ياقوم اعلموا أن الجارية التي رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له ياسيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال ياقوم جرى القلم بما حكم به ووقعت في بحار العدم وقد انحلت عني عرى الولاية وطويت عني أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال ياقوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتحيرنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرد عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والحوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وهاهو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها اذا قام الى المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا ياشيخ ماذا ومادا وماهذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال ياأخواني وأحبابي ليس لي من الامر شيء بيدي تصرف في كيف شاء وحيث أراد أبعدني عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفا ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاي ما كان ظني فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكي وينادي ياشبلي انعظ بغيرك فنادى الشبلي بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب فقلت ياشيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حدثنا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال ياقوم أعطوني ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي رد ذلك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال ياقوم المواثيق من عندي سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاي أنا المذنب الجاني فعفا عني بجوده وبستره غطاني فقلت له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي ما قدر هؤلاء عندي وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطارق قد خرج

وتغفله) هبنقة واسمه يزيد وكان قد جعل في عنقه قلادة من عظام وودع وقال أخشى أن أضيع من نفسي ففعلت ذلك لأعرفها فحولت أمه القلادة الى عنق أخيه فلما أصبح ورآها قال ياأخي أنا أنت وأنت أنا وضل له بعير فجعل يقول من وجده فهو له فقيل له فلم تنشده قال الحلاوة الظفر (واختصمت) بنو طفاوة وبنو راسب في رجل ادعى كل من الفريقين انه منهم فقال هبنقة حكمه أن يلقى في الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من راسب فقال الرجل ان كان الحكم هكذا فقد زهدت في الطائفتين (ومنهم أبو غيشان) رجل من خزاعة كان يلي سدانة البيت فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشراب فلما سكر اشترى منه قصي ولايته سدانة البيت برق من خمر وأخذ منه مفاتيحه وسار بها الى مكة وقال ياقريش هذه مفاتيح أبيكم ابراهيم ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم وأفاق أبو غيشان فندم غاية الندم فقيل أحمق من أبي غيشان وقال شاعرهم

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت
برق خمر فبئست صفعة البادي
باعت سدانتها بالخمر وانقرضت
عن المقام وظل البيت والنادي

(ومنهم ربيعة البكاء) سمي البكاء لانه دخل على أمه وهي تحت زوجها فبكى وصاح أتقتل أمي فقالوا أهون مقتول أم تحت زوج فذهبت مثلا (ومنهم حمرة بن بيض) قال يوما لغلامه أي يوم صلينا الجمعة بالرصافة فافتكر الغلام ساعة ثم قال يوم الثلاثاء (ومنهم حجى) قال لبعضهم كان من أذكياء الناس وانما كان بينه وبين قوم عداوة فوضعوا عليه

من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا وردد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك ففيما نحن جلوس عنده في بعض الايام بعد صلاة الصبح واذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية ففنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذي تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التي تركتها بالغربية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعدت أعضاؤه فلما دخلها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت ياسيدي لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول ان أحببت أن تكوني من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لي بالوصول اليه قال أغمضي عينيك وأعطيني يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضي الى تلك الزاوية واقرئي الشيخ مني السلام وقولي له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغيرلونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حورا وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة﴾

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن وبقي شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال الشر يطفئ الشر فان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفئ احداهما الاخرى وانما يطفئ الشر الخير كما يطفئ الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عري من حلة التقوى ومحى عنه طابع الهدى لا تثنيه المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو لد خائم دينه مضيع ولد واعي شيطانه مطيع (شعر)

كأنه التيس قد أردى به هرم * فليس لحم ولا صوف ولا ثمر

وقيل من فعل ما شاء لقي ما ساء وقيل زنى رجل بجارية فأحبلها فقالوا له يا عدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام وقيل لاعرابي كان يتعشق فتنة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي اذا لذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية مع الخماس وهي تحلف أن لا ترجع اولا هاسألتها عن ذلك فقالت ياسيدي انه يواقعني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله في المسلمين مثله * وكانت ظلمة الغواد وهي صغيرة في المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة مملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشري رحمه الله أقمت ببمارسنين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقمار ينسب اليها العود

حكايات سارت بها الركبان وقيل كان من كبار الحمقى والمغفلين (وقيل) انه دخل الحمام وخرج منه فضربته ريح باردة فمس خصيتيه فاذا احداهما قد تقلصت فرجع الى الحمام وجعل يفتش الناس فقالوا له مالك فقال سرقت احدى بيضتي ثم انه دخل في الحمام وحمي فرجعت البيضة فلما وجدها سجد شكرا لله قال كل شيء لا تسرقه اليد لا يفقد (واشترى) يوما دقيقا وحمله على حمال فلما دخل الحمال في الزحام هرب فرآه بعد أيام فاستتر منه لئلا يطالبه بالأجرة (وكان) لهم جارية تسمى عميرة فضربتها ذات يوم أمه فصاحت الجارية فاجتمع الناس على الباب فخرج اليهم فقال ما لكم عافا كم الله انما هي أمي تجلد عميرة (ومنها ابن الجصاص) قيل انه كان يقصد التبالة خيفة من الوزير ابن الفرات ﴿فمن المنقول من حمقه﴾ انه كان يوما مع الوزير في مركب ومعه بطيخة فأراد أن يعطيها للوزير ويسبق في البحر فيسقي في وجه الوزير ورمى البطيخة في البحر هذا من المنقول عما ظهر عنه من التبالة والا فقد روي عنه أنه قال لما ولي ابن الفرات الوزارة قصدته قصدا قبيحا وأنفذ العمال الى ضياعي وبسط لسانه بثلبي وتقصي في مجلسه فدخلت يوما داره فسمعت حاجبه وقد وليت يقول هذا بيت مال يمشي على وجه الارض ليس له من يأخذه فقلت هذا من كلام صاحبه وقد كان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عينا سوى الجواهر والذخائر وغير ذلك فسهرت في ليلتي أفكر في أمري معه فوقع في نفسي الثلث الاخير من الليل أن

القمارى كما ينسب الى مندل قال مسكين الدارمى

ولا ذنب للعود القمارى انه * يحرق ان غنت عليه روائحه

وقال ابن عباس رضى الله عنهما عهدت الناس وهواهم تبع لاديانهم وان الناس اليوم أديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم

(ماجاء فى الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت وفى ذلك قيل

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحمق شجاع الوجه ودخل رجل قوما فقال وجوههم وأيديهم حديد أى وقاح مخلاة ووصف رجل وقحا فقال لودق الحجارة بوجهه لرصها ولوخلا بأستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لى من جلد وجهك رقعة * لجعلت منها حافرا للاشهب

(وقال آخر) اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب فى الامور كما يشاء

قال الوشمر وان أربعة قبائح وهى فى أربعة أقبح البخل فى الملوك والكذب فى القضاة والحسد فى العلماء والوقاحة فى النساء ويقال من جسر أسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لا تكونن فى الامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال على رضى الله عنه اذا هبت امرا فقع فيه فان شر توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضى الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا وقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والحباز الى مخبزه وقال بعض السلف لاتسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ماقل سفهاء قوم الا ذلوا وقال حكيم لايخرج احد من بيته الا وقد أخذ فى جزء قيراطين من جهل فان الجاهل لايدفعه الا الجهل أراد السفه قال الشاعر

ألا لايجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لاجاهل له أى من لاسفيه له يدفع عنه * وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالس اذ جاءه اعرابى فلطمه فقام اليه وأقعده على الارض فقال عمر ليس بعزيز من ليس فى قومه سفيه وقال الشاعر

ولا يلبث الجهال ان يتهضموا * أخا الحلم مالم يستعن بجهول

وقال صالح بن جناح اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الاحنف بن قيس وذى ضغن أبت القول عنه * بحلم فاستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفيه * يلاق المعضلات من الرجال

(وقال آخر) فان كنت محتاجا الى الحلم انى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج

ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج

فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج

(وقال آخر) فان قيل حلم قلت للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذ بك أن نجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الاجواد وأحاديث الاجواد

ركبت الى داره على الفور فوجدت الابواب مغلقة فطرقتها فقال البواب من هذا قلت ابن الجصاص فقال ليس هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت عرف الحجاب أنى حضرت فى مهم فعرفهم فخرج الى أحدهم وقال انه فى هذا الوقت لاينتبه فقلت الامر أهم من ذلك وأيقظه وعرفه عنى ماقلت لك فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وأدخلنى فاراح لدخولى وظن أنى جئته برسالة من الخليفة بأو حدثت حادثة وهو متوقع لما أورد عليه فنظر الى وقال ما الذى جاء بك فى هذا الوقت قلت خير ما حدثت حادثة ولا معى رسالة ولا جئته الا فى أمر يخصنى ويخص الوزير ولم تصلح مفاوضته الا على خلوة فسكن روعه وقال ان حوله أنصارا فانفضوا فقال هات فقلت أيها الوزير انك قصدتنى بأقبح قصد وشرعت فى هلاكى وازالة نعمتى وفى ازالتها خروج نفسى وليس عن النفس عوض وقد جعلت هذا الكلام عذرا بينى وبينك فان نزلت تحت حكمى فى الصلح والا قصدت الخليفة فى هذه الساعة وحولت اليه ألف ألف دينار وأنت تعلم قدرتى عليها وأقول له خذ هذا المال وسلمه الى ابن الفرات وأسلمك لان أختاره للوزارة ويقع فى نفسى أنه يجيب الى تقليده ممن له وجه مقبول ولسان عذب وخط حسن ولا أعتمد الا على بعض كتابك فانه لا يفرق بينك وبينه اذا رأى المال حاضرا فيسلمك فى الحال اليه ويفرغ عليك العذاب بحضورى ويأخذ منك المال المعين وأنت تعلم أن حالك تفنى بها ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال الى وأكون أهلكت عدوى وشفيت غيظى وزاد محلى بتقليدى وزيرا

فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال يا عدو الله أوتستحل ذلك فقلت بل عدو الله من استحل مني هذا فقال وما تريد فقلت تحلف الساعة بما أستحلفك من الايمان المغلظة ان تكون معي لا علي في صغير أمري وكبيره ولا تتقص لي رسما ولا تضع مني بل تبالغ في رفعتي ولا تبطن علي فقال وتحلف أنت أيضا لي بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة ففعلت أفعل ففعل لعنك الله والله لقد سحرتني واستدهى بدواة فعملنا نسخة يمين وحلف كل منا عليها فلما أردت القيام قال لي يا أبا عبد الله لقد عظمت في نفسي والله ما كان المقدر يفرق بيني وبين أحسن كتابي اذا رأى المال فليكن ماجرى بيننا مطويا فقلت سبحان الله فقال اذا كان غدا فسر الى المجلس فترى ما أعاملك به فقمت فأمر الغلمان أن يسيروا في خدمتي بأجمعهم الى داري ولما أصبحت جئته فبالغ في الاكرام والتعظيم وأمر بانشاء الكتب الى النواحي باعزاز وكلائي وحمايتهم فأملى فشكرته ووقت فأمر الغلمان أيضا بالمشي بين يدي والحجاب والناس يتعجبون من ذلك ولم يعلم أحد ما السبب وما حدثت بهذا الحديث الا بعد القبض عليه ﴿ وذكر ابن الجوزي في الباب السابع من كتاب الحمقى والمغفلين ﴾ أن جماعة من العقلاء صدر عنهم أفعال الحمقى وأصروا على ذلك مستصوبين لها فصار وا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين (فأول القوم ابليس لعنه الله تعالى) فانه صوب نفسه وخطأ حكمة الله تعالى ورمى عن قوس الاعتراض في عدم السجود لآدم عليه السلام ثم

(اعلم) ان الجود بذل المال وأنفعه ما صرف في وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى وأحد وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الا كثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضر فهو صاحب ايثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطي بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء (قال الايثار ماحكى) عن حذيفة العدوي انه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي في القتلى ومعي شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الى ابن عمي ان انطلق اليه وأسقه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فسمع آخر يقول آه فأشار الى أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات (ومن عجائب ماذكر في الايثار) ماحكاه أبو محمد الازدي قال لما احترق المسجد عن وظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن رفع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالي لولا ام لي وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليس لي أم فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل * وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاءت زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء زوجها بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لأطعم ضيفاني الباقية فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا نعم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا * وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كل افتقر وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخي أحب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود تلا قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وقال أكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكأ وقيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ وليستوفي المعنى ووجد مكتوبا على حجر انهز الفرص عند لمكانها ولا تحمل نفسك هم مالم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال علي رضي الله تعالى عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس في فضله فقال صدقت وكان أسماء ابن خارجة يقول ما أحب ان أرد أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه وان لئيما أصون عنه عرضي وكان مورق العجلي يتلطف في ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم البدرة ويقول له امسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها في حل وقال الحسن رضي الله عنه باع طلحة بن عثمان رضي الله تعالى عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا بيت هذا عنده لا يدري ما يطرقه لغرير بالله

تعالى

تعالى ثم قسمه فى المسلمين * ولما دخل المكمدر على عائشة رضى الله تعالى عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتنى فاقة فقالت ما عندى شئ فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالدبن أسيد فارسلت بها اليه فى أثره فأخذها ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا اعيان المدينة وهم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر * وأكرم العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه جاءه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائط لى بمكان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة ألف درهم براح الى بالمال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال زيادبن جرير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف فى مجلس وانه ليحفظ ازاره بيده (وذكر) الامام أبو على القالى فى كتاب الامالى أن رجلا جاء الى معاوية رضى الله تعالى عنه فقال له سألتك بالرحم التى بينى وبينك الا ما قضيت حاجتى فقال له معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فاى رحم بينى وبينك قال رحم آدم عليه الصلاة والسلام قال رحم مجفوة والله لا كونن أول من وصلها ثم قضى حاجته * (وروى) أن الاشعث بن قيس أرسل الى عدى بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فلما بعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكى من الاجواد ولم يتناول أحد شيأ وانما كان يطرحه فى الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من قريش من سفر فرفع على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال له ياهذا أعتاك على الدهر فقال لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه فصب فى حجره أربعة آلاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكانى * وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال على دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ما كان عليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له زوجته ما لك تعللت حيث شقت عليك الاجابة فقال انما أبكى لانى لم أتفقدحاله حتى احتاج الى أن سألنى * ويروى أن عبد الله بن أبى بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوما فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذ بعض غلمانكم فانى امرأة عزب مات زوجى منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال ياغلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله أتسخر بى فقال ياغلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال ياغلام احمل اليها ثلاثين ألفا فما أمست حتى كثر خطابها وكان رضى الله تعالى عنه ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحى والكسوة فى الاعياد ويعتق فى كل عيد مائة مملوك رضى الله تعالى عنه * ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه فى العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع منى الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا ينادى من كان لقيس عنده مال فهو منه فى حل فكسرت عتبة بابه بالعشى لكثرة العواد * وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم فى كل سنة فيفرقها فى الناس ولا يرى الا وعليه دين * ومن رجل بهيمة ثم خرج بها ليبيعها فر بعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه فقال ياصاحب البهيمة أتبيعها قال لا ولكنها هى لك هبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا يسيرا واذا بالحمالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحما وكسوة وأربعين يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فأعطاه جميع ذلك واعتذر اليه رضى الله تعالى عنه * ولما مات معاوية رضى

قال انظرنى الى يوم يبعثون فصارت لذته فى ايقاع العاصى فى الذنب كأنه يغبط ونسى عقابه الدائم فلا حمق كحمقه ولا غفلة كغفلته ولله در القائل فى ابليس

عجبت من ابليس فى غفلته
وخبث ما أظهر من نيته
تاه على آدم فى سجدة
وصار قواد الذريته

(الثانى فرعون) فى دعواه الربوبية وافتخاره بقوله أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى فافتخر بساقية لاهو أجراها ولا يعرف مبداها ولا منتهاها ونسى أمثالها مما ليس تحت قدرته وليس فى الحمق أعظم من ادعائه الالهية وقد ضربت الحكماء بذلك مثلا فقالوا دخل ابليس على فرعون فقال له من أنت قال ابليس قال ما جاء بك قال جئت متجسما من جنونك قال كيف قال أنا عاديت مخلوقا مثلى فامتنعت من السجود له فطردت ولعنت وأنت تدعى أنك اله هذا والله هو الحمق والجنون البارد (ومن عجيب الحمق والتغفل) اتخاذ الاصنام باليد والاقبال على عبادتها والاله ينبغى ان يفعل ولا يفعل (وكذلك) غرور فى بنائه الصرح ثم رميه بنشابة يريد ان يقتل اله السموات والارض (وكذلك) بنو امرائيل حين جاوزوا البحر وقد انجاهم الله تعالى من ذلك الاهوال واستنقذهم من فرعون قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة (وكذلك) قول النصارى ان عيسى اله وابن اله ثم يقرون ان اليهود صلبوه وهذا غاية البله والغفلة (وكذلك) الرافضة يعلمون اقرار على بيعة أبى بكر وعمر واستيلاده الحنفية من سبى أبى بكر وتزويجه

الله تعالى عنه وفد عبد الله بن جعفر على يزيد ابنه فقال له كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف فقال يزيد قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف فقال بأبي وأمي أنت فقال ولهذه ألف ألف فقال أما أني لا أقولها لاحد بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد فقال والله ما أعطيته الا لجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من يحميه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين * وخرج رضي الله تعالى عنه هو والحسنان وأبو حية الانصاري رضي الله تعالى عنهم من مكة الى المدينة فأصابتهم السماء بمطر فلجؤا الى خباء اعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابي شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الاعرابي بعد سنين فقالت امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال نسيت أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقي سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه فأمر له بمائة ناقة فحملها رعاتها ثم أتى الحسين رضي الله تعالى عنه فقال كفانا أبو محمد مؤنة الابل فأمر له بألف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه فقال كفاني اخواني الابل والشياه فأمر له بمائة ألف درهم ثم أتى أبا دحية رضي الله تعالى عنه فقال والله ما عندي مثل ما أعطوك ولكن ائتني بابلك فأوقرها لك تمرا فلم يزل السائر في عقب الاعرابي من ذلك اليوم * وقال الحسن والحسين يوما لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم انك قد أسرفت في بذل المال فقال بأبي أنتما ان الله عز وجل عودني أن يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني المادة وامتدحه نصيب فأمر له بخمس وأربعين ودنانير ودراهم فقال له رجل مثل هذا الاسود تعطي له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وخرج عبد الله رضي الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ما هي بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لي فهو في سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك منه فقال يجود هذا وأبخل أنا لا كان ذلك أبدا وكان عبيد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما من الاجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما يدلك قال رأيتك واقفا بفنائنا مزمنا وغلامك يمنعك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك فضل كسائي حتى شربت فقال أجل اني لاذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم فقال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده * وقدم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما على معاوية مرة فأهدي اليه من هدايا النوروز حلل كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل في نفسك منها شيء قال نعم والله ان في نفسي منها كان في نفس يعقوب من يوسف عليه الصلاة والسلام فضحك عبد الله وقال خذها فهي لك قال جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد علي قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذا الحيلة في الكرم أكثر من الكرم * وحبس معاوية عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما صلاته فقيل له وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين وأني تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية

أم كلثوم ابنته من عمر وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ثم في الرافضة من يسبهما وفيهم من يكفرهما وكل ذلك يطلبون به حب علي بزعمهم وقد تركوا حبهم وراء ظهورهم (وقد روى) عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال لو جاءني رجل فقال اني حلفت بالطلاق أن لا أكلم في هذا اليوم من هو أحمق وكلم رافضيا أو نصرانيا لقلت له حنثت فقال له بن الدبناري أعزك الله ولم صارا أحمقين قال لانهما خالفا الصادقين (أما الصادق الاول) فعيسى عليه السلام قال للنصارى اني عبد الله وقال ان اعبدوا الله فقالوا لا وعبدوه جهلا وحمقا (والصادق الثاني) الامام علي رضي الله عنه قال عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عن أبي بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة والرافضة يسبونهما (ومن المنقول عن حمق النساء) أن الامين لما حوصر قال لجاريته غني فغنت

أبكي فراقهم عيني فأرقها
ان التفرق للاحباب نكباء

فقال لعنك الله أما تعرفين غير هذا فغنت

ما اختلف الليل والنهار ولا
دارت نجوم السماء في فلك
الا لينتقل السلطان من ملك
غيب تحت الثرى الى ملك

فقال لها قومي فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته فقال قاتل الله قضى الامر الذي فيه تستفتيان ولما قتله المأمون دخل على زبيدة ليعزيها به فقالت ان أردت أن تسليني في غدائك عندي فتغدى عندها فأخرجت له من جواري الامير من تغنيه ففنت

صلاته عنه وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره انى شاطرته فان كفاه والا احملت اليه النصف الثانى فلما أتاه الرسول قال انا لله وانا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمى وما حسبت أنه يسمع لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار الى عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولد لى فى هذه الليلة مولود وانى سميته باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك فى الهبة وآجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لابيه مائتى دينار ليتفقها على تربيته ثم قال للانصارى عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش بؤس وفى المال قلة فقال الانصارى جعلت فداك لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب وقال جهم بن حذيفة يوما لمعاوية أنت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال ٠

يقيمنا ما نخاف وان ظعنا * به خيرا أراناه يقينا * نميل على جوانبه كأنا
اذا ملنا نميل على أبينا * نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

فأمر له بمائة ألف درهم وأنشده عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال * ولم أر فى الخطوب أشد وقعا
وأمضى من معاداة الرجال * وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

فأعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعده عند رجليه وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها تزعم انى لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال الحسن أو محيا ما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسى عند رجليك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا محمد الا ما أخبرتنى كم عليك دينا قال مائة ألف درهم فقال يا غلام اعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضى بها دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه ومائة ألف يستعين بها على نوائبه وسوغها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عامله على العراق بالبصرة فقيل انه أتى اليه بعض الشعراء فأقام ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى * فليس الى معن سوال شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فأتى به فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وتفكر فى نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد ساءه والله ظنه ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكى من هو باذله * اذا حال حول لم يجد فى دياره
من المال الا ذكره وجمائله * تراه اذا ما جئته متهللا * تعود بسط الكف حتى لوانه
أراد انقباضا لم تطعه أنامله * فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

(ومن قول معن) دعينى أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله أخبار فى الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبى طالب

هم قتلوه كى يكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فوثب المأمون مغضبا فقالت له زبيدة احرمنى الله أجرك ان كنت دسسته اليها أو لقنتها فصدقها وانصرف (ومن ذلك) ان المعتصم لما فرغ من بناء قصره أدخل الناس عليه فاستأذن اسحق بن ابراهيم فى الانشاء فأذن له فانشد

يا دار غيرك البلا وبحالك

يا ليت شعرى ما الذى أبلاك
فتطير المعتصم وجميع من حضر المجلس وتعجبوا كيف يصدر من مثل اسحق هذا التغفل المفرط ولم يجتمع بعد ذلك بالدار اثنان (ومن لطائف المنقول عن الحمقى والمغفلين) أن عيسى بن صالح تولى قنسرين والعواصم للرشيد وكان من الحمق على جانب عظيم قال بعضهم أتانى رسوله بالليل فأمرنى بالحضور فتوهمت ان كتابا جاءه من أمير المؤمنين فى مهم احتاج فيه الى حضورى فركبت الى داره فلما دخلت سألت الحجاب هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث أمر فقالوا لا فأمضيت الى الخدم فسألتهم فقالوا مثل مقالة الحجاب فصرت الى الموضع الذى هو فيه فقال لى ادخل ليس عندى أحد فدخلت فوجدته على فراشه فقال اعلم انى سهرت الليلة مفكرا فى أمر الى ساعتى هذه فقلت وما هو الامر أصلح الله الامير قال اشتهيت أن يصيرنى الله حورية فى الجنة ويجعل زوجى يوسف الصديق فطال لذلك فكرى فقلت له هلا اشتهيت محمدا صلى الله عليه وسلم أن يكون زوجك فانه سيد الانبياء عليهم السلام فقال لا تظن انى لم أفكر فى هذا قد فكرت فيه ولكنى

كرهت أن أغيظ عائشة رضي الله عنها (ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الاعراب) قيل صلى اعرابي خلف بعض الائمة في الصف الاول وكان اسم الاعرابي مجرما فقرأ الامام والمرسلات عرفا فلما بلغ الى قوله تعالى ألم نهلك الاولين تأخر الاعرابي الى الصف الاخير فقال ثم نتبعهم الآخرين فرجع الى الصف الاوسط فقال كذلك نفعل بالمجرمين فولى هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري (ومثله) صلى اعرابي خلف امام صلاة الصبح فقرأ الامام سورة البقرة وكان الاعرابي مستعجلا ففاته مقصوده فلما كان من الغد بكر الى المسجد فابتدأ الامام فقرأ سورة الفيل فقطع الاعرابي الصلاة وولى هاربا وهو يقول أمس قرأت سورة البقرة فلم تفرغ منها الى نصف النهار واليوم تقرأ سورة الفيل ما أظنك تفرغ منها الى الليل (ومنه) كان اعرابي قائما يصلي فأخذ قوم يصفونه بالصلاح وهو يسمع فقطع الصلاة وقال وأنا مع هذا لصاص (ومنه) دخل خالد بن صفوان الحمام وفي الحمام رجل ومعه ابنه فأراد الرجل أن يعرف خالدا ما عنده من البيان والنحو فقال يا بني ابدأ بيدالك ورجلك ثم التفت الى خالد فقال له يا أبا صفوان هذا كلام قد ذهب أهله فقال خالد هذا كلام ما خلق الله له أهلا (ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء) ان بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة وقد تما خبر المهدي أنه مات وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم بذلك فقال رافعا صوته

* مات الخليفة أيها الثقلان *

رضي الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الامير ان رأيت أن تأذن لي فأصحبك قال اذا قدمت واسطا فائتنا ان شاء الله تعالى فسافرت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى السمر فتحدثوا القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت الي يزيد وقال

أيه يا عقيل فقلت أفاض القوم في ذكر الجواري * فأما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت الى منزلي اذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت و بدرة عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لي في الرجوع فاكبت عدوي وأسر صديقي فقال اما اذ لا بد فاختر بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغنني أيها الامير قال اما هذا فلا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فتلك من فضله مالا أقدر على وصفه * (وحدث) * أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضي الى أم فلان أخبرها أني قد استغنيت فقال اعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امر أنه طالق ان حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت محمدا فأذن له فلما أبصره قال

أبا خالد لما ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد * تماقطرت بالشرق بعدك قطرة ولا اخضر بالمروين بعدك عود * وما السرور بعدك بمسعة * وما الجواد بعدك بجود فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فأخذها وانصرف ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه مرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي وقال مروان ابن أبي الجنوب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا وراحل كثيرة فقلت أبياتا في شكره فلما بلغت قولي فامسك ندى كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي وأمر له بضياع تقوم بألف ألف وقال أبو العينا ء ذكروا السخاء فاتفقوا على آلة المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد ابن أبي داود أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

(وفي الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا مثل حاجة * ولا يمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل سألت الندى والجود ما لي أراكما * تبددتما عزا بغير مبدد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا يا بن يحيى محمد
فقلت فهلا ما تما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد

فقالا أغنانا كي نعزي بفقده * مسافة يوم ثم نثلوه في غد

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه من كانت له الي حاجة فليرفعها الي في كتاب لا صون وجهه عن المسئلة وجاء رضي الله تعالى عنه أعرابي فقال يا أمير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الارض فكتب اني فقير فقال يا قنبر اكسه حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثنا قد نلت مكرمة * وليس تبغي بما قد متعه بدلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال يا قنبر زده مائتي دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله تعالى عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ولعبد الله بن جدعان

اني وان لم ينل مالي مداخلتي * وهاب ما ملكت كفي من المال
لأحبس المال الا حيث أنفقه * ولا يغيرني حال الى حال

وقال بعض العرب لولده يا بني لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا ماليه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدري متى أنت راغب

(وقال بعضهم) أبيت خميص البطن عريان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وأمنحه فرسي وأفترش الثرى * وأجعل ستر الليل من دونه لبسي
حذار أحاديث الخوافل في غد * اذا نمني يوما الى صدره مسي

وقال يحيى البرمكي أعط من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيأ وأعط منها وهي مدبرة فان منعك لا يبقي عليك منها شيأ فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله در ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا وقد أمر يحيى من نظمه فقال

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى أن تجود بها * فليس تبقي ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يا بني ما دام قلمك يرعد فأمطر معروفا وقال بعضهم

لا تكثرى في الجود لامتي * وذا البخل فأكثري لومي
كفى فلست بحامل أبدا * ما عشت هم غد الى يومي

وقال علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لا تستحي من عطاء القليل فالحرمان أقل منه * وسئل اسحق الموصلي عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي أين يتعدم جلساؤه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عند سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم * وشكا سعيد بن عمر بن عثمان بن عفان موسى شهوان الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك أتهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لي في كل زاوية مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

فقالوا هذا أشعر الناس فانه نهى الخليفة الى الانس والجن في نصف بيت ومدت الناس أبصارهم وأسماعهم اليه فقال

* فكانني أفطرت في رمضان *

قال فضحك الناس وصار شهرة في الحمق (ومثله) ان سيف الدولة ابن حمدان انصرف من حرب وقد نصر على عدوه فدخل عليه الشعراء فانشدوه فدخل معهم رجل شامي فأنشده

وكذبوا كفأر وسوسوا خلف حائط
وكنت كسنور عليهم تسقفا

فأمر باخراجه فقام على الباب يبكي فأخبر سيف الدولة ببكائه فرق له وأمر برده وقال له مالك تبكي قال قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه أطلب منه بعض ما يقدر عليه فلما خيب أملي بكيت فقال له سيف الدولة وبلك فمن يكون له مثل هذا النسل يكون له ذلك النظم وكم كنت أملت قال خمسمائة درهم فأمر له بألف درهم فأخذها وانصرف

* ومن المنقول عن المغفلين على الاطلاق * قال بعضهم دخلت مسجد دمشق فاذا أنا بجماعة عليهم سمة العلم فجلست اليهم وهم ينقصون من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقمت من عندهم مغضبا فرأيت شيخا جميلا يصلي فقطعت به الخبر فجلست اليه فقلت له يا عبد الله أما ترى هؤلاء القوم يشتمون علي بن أبي طالب وينقصونه وهو زوج فاطمة الزهراء وابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي يا عبد الله لو نجا أحد من الناس لنجا منهم أبو محمد رحمه الله تعالى قال فقلت ومن أبو محمد قال الحجاج بن يوسف وجعل يبكي فقمت من عنده وحلفت لا أقيم بها (ومن ذلك) أن

الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام فى جنح ليل قال فكانما ألقمت فاه حجرا وبات متململا بين رجاء ويأس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال فقال ماهذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليك بشطره فأنشأ يقول

رأتنى على مابى عميلة فاشتكى * الى ماله حالى فواسى وماهجر
ولما رأى الجد استعارت ثيابه * تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام حباه الله بالحسن يافعا * له سيميا لاتشتق على البصر
كان الثريا علقت فى جبينه * وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر

وكان عمر بن عبد الله بن معمر التيمى من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأ تقول

هنيئا لك المال الذى قد قبضته * ولم يبق فى كفى غير التحسر
أبوه بحزن من فراقك موجع * أناجى به صدرا طويل التفكر

فأجابها يقول ولولا عهود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وقد هبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف * ووفد أبو الشمقمق على مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فنماء خلها توجه الى منزله فوجده فى دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتموزوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق الجود أفلسهم وأذهب مالهم * واليوم ان راموا السماحة يخجلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعها اليه فكتب بذلك مستمنيا فى الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام فى تلك السنة واسقاط ماعليه من البقايا يأمر له بمائة ألف درهم معونة له على مروءته * وقال أبو العينماء حصلت لى ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضى فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور تقلد نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ثم قال يا أبا العينماء بالالفة والمحبة ما الذى جاء بك فى هذه الساعة فأنشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لى أسباب أعيش بها * ففى العلالك أخلاق هى السبب

فقال ياسلامة انظر أى شئ فى بيت المال ادون مال المسلمين فقال بقيمة من مال قال فادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فجعل يبكى عليه أبو العينماء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العينماء وهو يقول شآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وكان أحمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها فى الشهر ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أو صلة وسوى ما يطبخ فى دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما أيها الامير انى أطوف القبائل وأدق الابواب لصدقاتك وان اليد عند الى وفيها الحناء وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفأعطى أم أرد قال فأطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت اليك فلا ترديها * وقال سلمة بن عياش فى جعفر بن سليمان وماشم أنى ريح كيف شمتها * من الناس الا ريح كفك أطيب

فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا مضيافا

تقدم يصلى المغرب بجماعة فأطال القيام فلما فرغ من الصلاة سجد سجدتى السهو ولم يكن سها فقيل نحن أنكرنا عليك طول القراءة فما الجواب عن سجدتى السهو ولم تكن سهوت فقال ذكرت انى صليت بكم على غير وضوء فسجدت للسهو (ومن ذلك) ان عبدا كان بين اثنين فى الشركة فجعل أحدهما يضربه فلامه شريكه فقال انما ضربت حصتى (ومنهم) من قيل له كيف صنعتم فى رمضان فقال اجتمعنا ثلاثين فأنفذناه فى يوم واحد واسترحنا منه (قال الاصمعى) خرج جماعة من بنى غفار ومعهم رجل مغفل فأصابتهم ريح فى البحر أيسوا معها من الحياة فأعتق كل واحد منهم مملوكا أو مملوكة فقال ذلك الرجل اللهم انك تعلم ان ليس لى مملوك ولا مملوكة ولكن امرأتى طالق طلقة واحدة لوجهك الكريم (قال ابن الجوزى) فى آخر كتاب الحمقى والمغفلين ان المعلمين للصبيان صناعتهم تكاد أن تكون اكسير القلة العقل وابراز الحماقة (وقال) عدل عقل امرأة سبعين حائكا وعدل عقل حائك سبعين معلما وسبب قلة عقل المعلم انه مع الصبيان بالنهار ومع النساء بالليل (وكان) يحيى بن أكثم لا يقبل شهادة المعلم (وقيل) لصبى مالنا نراك كثير الحمق فقال لولا أكن كذلك لكنت ولدزنا (وقيل) لمعلم مالك تضرب هذا الصبى ولم يذنب قال اغا ضربته قبل أن يذنب لئلا يذنب (وقال) الجاحظ مررت بمعلم وهو يقرئ صبيا واذ قال الغلمان لا بنه وهو يعظه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فقلت له ويحك

فتغدى عنده اعرابي يوما فلما كان من الغد مر على بابه فرأى الناس في الدخول على هيئتهم بالامس فقال أوكل يوم يطعم الامير الناس قالوا نعم فأنشأ يقول

كل يوم كأنه عيد أضحى * عند عبد العزيز أو عيد فطر

وله ألف جفنة مترعات * كل قدر يعدها ألف قدر

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقي فتى من الشام قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة وأطفأ الشمعة كراهة أن يخجل الفتى فذكر ان أباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله ان يكتب له كتابا الى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له لا أدعك تقاسي الذل على أبوابهم * ودخل رجل على علي بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم وبنبيه الكريم الا ما أجرتني من خصمي فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فأطرق الوزير ساعة وقال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فأخذها وانصرف فبينما هو في الطريق اذ أمر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم وبنبيه الكريم متى أتاك خصمك معنا فارجع الينا متظلما وقال الاعمش كانت عندي شاة فرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ (وحكى) أبو قدامة القشيري قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فأتي به اليه فقال ما حالك على هذا الصياح قال فقدت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان يحبه وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف ﴿وحكى﴾ ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أمجادهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر في المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعني بعيرك بنجيبي وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائي بعيران فقال نعم وباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما رقم بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره في النوم فانتبه الرائي من نومه فوجد الدم يصبح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق يستقبلوهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيري بنجيبه في النوم فقال هذا نجيبة أخذه وأنا ولده وقد رأيته في النوم وهو يقول ان كنت ولدي فادفع نجيبي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (وروى) عن الهيثم ابن عدي انه قال تمارى ثلاثة نفر في الاجواد فقال رجل أمخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر أمخى الناس قيس بن سعد بن عبادة فقال الآخر بل أمخى الناس اليوم عرابة الاوسي فتنازعوا بغنائه الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم في الكلام فليمض كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى ننظر بما يعود فنحكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعته فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به قال فأخرج رجله وقال ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية لقيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك قيل ان قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها ولولم تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت تفعله لخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعراء

واذا ما اختبرت ودصديق * فاختبر وده من الغلمان

قد أدخلت سورة في سورة فقال نعم عافاك الله اذا كان أبوه يدخل شهرا في شهر فأنا أيضا أدخل سورة في سورة ولا آخذ شيأ ولا ابنه يتعلم شيأ انتهى ما تخيرته من كتاب الاذكياء والحمقى والمغفلين (ومما تخيرته من سلوان المطاع لابن ظفر) ان الوليد بن يزيد لما بلغه ان عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك قد شد عنه القلوب واستحاش عليه أهل اليمن ونازعه في ملكه احتجب عن عماله ودعا في بعض الليالي خادما فقال له انطلق متنكرا حتى تقف ببعض الطرق وتأمل من يمر بك من الناس فاذا رأيت كهلا رث الهيئة يمشي مشيا هونا وهو طرق فسلم عليه وقل له في أذنه أمير المؤمنين يدعوك فان أسرع في الاجابة فاثنني به وان استراب فدعه واطلب غيره حتى تجد رجلا على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فأتاه برجل على الشرط فلما دخل الرجل على الوليد حياه بتحية الخلافة فأمره الوليد بالجلوس والدنو منه وصبر الى أن ذهب روعه وسكن جاشه ثم أقبل عليه فقال له أتحسن المسامرة للخلفاء فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال الوليد ان كنت تحسنها فأخبرنا ما هي فقال يا أمير المؤمنين المسامرة اخبار لم تمض وانصات لخبر ومفاوضة فيما يعجب ويليق فقال له الوليد أحسنت لا أزيدك امتحانا فقل أسمع لقولك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما أحدهما الاخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثاني الاخبار بما يوافق غرضا من اغراض صاحب المجلس وان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شئ ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت بالذى يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت فخذهما وان شئت فأعتق فأخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكر واقصة كل واحد فحكموا لعرابة لانه أعطى على جهد * قيل ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشده شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا انما العبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا * الى وقالا خالد بن يزيد

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدناك زدناك فأنشده يقول

كريم كريم الامهات مهذب * تدفق بيمناه الندى وشمائله
هو البحر من أى الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله
جواد بسيط الكف حتى لوانه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدت تنازدناك فأنشأ يقول

تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى * وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب
وأنبت ريشا فى الجناحين بعدما * تساقط من الريش أوكاد يذهب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زتنازدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبى ما أخذت وانصرف (وأما الذين انتهى اليهم الجود فى الجاهلية) فهم حاتم بن عبد الله الطائى وهرم بن سنان وخالد بن عبيد الله وكعب بن مامة الايادى وضرب المثل بحاتم وكعب وحاتم أشهرهما * فأما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء فى المفازة ومات عطشانا وليس له خبر مشهور * وأما خالد بن عبيد الله فانه جاء اليه بعض الشعراء ورجله فى الركاب يريد الغزو فقال له انى قلت فيك بيتين من الشعر فقال فى مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشأ يقول

يا واحد العرب الذى * ما فى الانام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير

فقال يا غلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف * وأما حاتم فاخباره كثيرة وآثاره فى الجود شهيرة ويكنى أبا سفانة وأبا عدى وكان يسير فى قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدى يعادى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا الى طى فهرب عدى بأهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى بها الى النبى صلى الله عليه وسلم قالت هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فان أبى كان سيد قومه يفك العانى ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا انا بنت حاتم الطائى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته فى الدعاء له فأذن لها وقال لاصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا فى ردها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخى ائت هذا الرجل قبل أن تعلق حبائله فانى قد رأيت هديا ورأيا يسيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا لا تجتمعن رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم

لم أمهم بحضرة أمير المؤمنين طريقة فأضوضحوا وألزم أسلوبها فقال الوليد صدقت وهانحن نقترح لك ما تقتفيه قد بلغنا ان رجلا من رعيتنا سبى فى ضرر ملكنا فأثر سعيه وشق ذلك علينا فهل سمعت بذلك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين فقال له الوليد قل الآن على حسب ما سمعت وعلى ما ترى من التدبير فقال يا أمير المؤمنين بلغنى عن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان انه لما ذب الناس لقتال ابن الزبير وخرج بهم متوجها الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمرو قد انطوى على فساد نية وخبث طوية وطماعية فى نيل الخلافة وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا أنه كان يعرمه ولما أيعد أمير المؤمنين عن دمشق تعارض عمرو بن سعيد فاستأذن أمير المؤمنين فى العود الى دمشق فأذن له فلما دخل عمرو دمشق صعد المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة واستولى على دمشق ودعا الناس الى خلع عبد الملك فأجابوه الى ذلك وبايعوه وحصن بعد ذلك سور دمشق وحمى جوزتها فبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه مع ذلك ان والى حمص قد نزع يده من الطاعة وان أهل الثغور قد تشوفوا للخلاف فأحضر وزراءه فأطلعهم على ما بلغه وقال لهم دمشق ملكنا قد استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر وخراسان وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر ابن الحرث أمير قنسرين قد خرجا عن الطاعة وبايعا

وسلم

وسلم واني أرى أن تلحق به فان بك نبيا فالسابق فضله وان بك ملكا فلن تذل في عز اليمن فقدم عدي الى النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وساده محشوة ليفا وجلس النبي صلى الله عليه وسلم على الارض فاسلم عدي بن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يا بنية ان الكريم اذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما أن أعطي وتمسكي واما ان أمسك وتعطي فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت له منك تعلمت مكارم الاخلاق قال ابن الاعرابي كان حاتم الطائي من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا سئل وهب واذا سابق سبق واذا أمر أطلق وكان اذا أهل رجب الذي كانت تعظمه مضر في الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله انه ثن وجدا لا يستلفنه وان لم يجد اليتكافن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن أن يكن في بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حولته الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته الى المشرق وان كان من قبل اليمن حولته الى الشام وان كان من قبل الشام حولته الى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم أنها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقي حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم تزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده يا عدي ما ترى ما فعلت أمك فقال قد رأيت ذلك قال فاخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبي الى ابن عمي مالك وقولي له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فارسل الينا بشيء نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظري الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلي منه وان ضرب بلحيته على زوره ولطم رأسه فاقبلي ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من لبن فابلغته وأبلغته الرسالة وقالت له اغماهي الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده وضرب بلحيته وقال اقرئيها السلام وقولي لها هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتما لاجله وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم فرجعت الجارية فاخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت اذهبي الى حاتم وقولي له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا بمكانك فارسل الينا بناقة تقريهم ولبن نسقيهم فاتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك فقربت اليه دعوت فاخبرته بما جاءت بسببه فقال لها جبارا وكرامة ثم قام الى الابل فاطلق اثنتين من عقالها وصاح بهما حتى اتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح هذا الذي طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شيء فقال لها ويحك يا ماوية الذي خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم وكان اذ ذاك اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فوقدوها في بقاع الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيأ ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ثم جاد بفرسه في سنة مجدبة فقال (وحكى) ان ملكان ابن أخي ماوية قال قلت لها يوما يا عمة حدثيني ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أختي أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذني واياه الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فاقبل علي يحدثني ويعللني بالحديث حتى أنام فرققت به لما به من الجوع فامسكت عن كلامه لينام فقال لي أنمت فلم أجبه فسكت ونظر في فناء الخباء فاذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ما هذا فقالت يا أبا عدي أتيتك من عند صبية يتعاورون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها أحضري صبيانك فوالله لاشبعنهم فقامت سريعة لاولادها فرفعت رأسي وقلت له يا حاتم بما ذا تشبع أطفالها فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقال والله لاشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال قطعي واشوي وكلي

الناس لابن الزبير وهذه المضربة بسيوفها تطا المنابر تقتلي المرج فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم فقال لهم عبد الملك مالكم لا تتطقون هذا وقت الحاجة اليكم فقال أفضلهم وددت أن أكون طيرا على عود من أعواد تهامة حتى تنقضي هذه الفتن فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه قام وأمرهم بلزوم موضعهم وركب منفردا وأمر جماعة من شجعانه أن يتبعوه متباعدين ففعلوا وسار عبد الملك حتى انتهى الى شيخ ضعيف البدن سيء الحال وهو يجمع سماقا فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديثه ثم قال له أيها الشيخ ألك علم بنزول هذا العسكر فقال الشيخ وما سؤالك عنه فقال عبد الملك اني أردت الانتظام في سلكه فقال له اني أرى عليك سمة الرياسة فينبغي لك أن تصرف نفسك عن هذا الرأي فان الامير الذي أنت قاصده قد انحلت عرا ملكه والسلطان في اضطراب أموره كالبحر اذا هاج فقال عبد الملك أيها الشيخ قد قوى علي جذب نفسي الى صحبة هذا الامير فهل لك أن ترشدني الى رأي اتفق به عنده فلعله يكون سببا قريبا منه فقال الشيخ ان هذه النازلة التي نزلت بهذا الامير من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول واني لاكره أن أرد مسئلتك بالجميلة فقال لعبد الملك قل جزاك الله خيرا فقال الشيخ ان هذا الخليفة خرج الى قتال عدوه والارادة غير قابلة لمراده والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يرد ما قصده من محاربة ابن الزبير ووثوب عمر ابن سعيد على منبره واستيلائه على بيوت أمواله وسرير خلافته فاذا قصدت هذا الامير وانتظمت

وأطعمي صبيانك فما كلت المرأة وأشبعت صبيانها فايقظت أولادي وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا لهو اللؤم تأكلون وأهل الحي حالهم مثل حالكم ثم أتى الحي بيتا بيتا يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الارض منها قليل ولا كثير الا العظم والحافر ولا والله ماذاقها حاتم وانه لاشدهم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره

أماوى ان المال فادو رائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر

وقد علم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

وغادر قوم على طي فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى في جيشه وأهل عشيرته ولقي القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لي رمحك فرمى به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لي والمامات عظم على طي * مونه فاد هي أخوه انه يخالفه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما وضعته فبقي والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت احدى ثدي طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا ويدك على الآخر فاني لذلك قال الشاعر

يعيش الندى ما عاش حاتم طي * وان مات قام للسخاء مأتم

وكان العرب تسمي الكلب داهي الضهير ومتمم النهم ومشيد الذكر لما يجلب من الاضياف بنباحه والضهير الغريب وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالي الحي ورربطوها الى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدي الضلال وتأتي الاضياف على نباحها والحكايات في ذكر الاجواد والكرماء والاسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وفي مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيأ يبقى على مر الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شيء يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومبادعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك في القيامة كما ادخروا واعلم ان المأكول للبدن والموهوب للعاد والمتروك للعدو فاختر أي الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم﴾

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخل جامع لمساوى القلوب وهو زمام يقادبه الى كل سوء وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهما ان البخل لو كان قميصا لبسته أو كان طريقا ما سلكته * وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان * فاما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أناضيف فأشار الى العصا وقال لبعض الضيفان أعددتها * وأما حميد الارقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة أضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه وأما أبو الاسود فتصدق على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم * وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل عليه يا عبد اركم تعبر وكم تطوف وتطير لا طيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبني جمعت المال ثم خزنته * وحانت وفاتي هل أزاد به عمرا

اذا خزن المال البخيل فانه * سيورثه غما ويعقبه وزرا

في سلكه انظر في أمره فان رأيته قد أصر على قصده ابن الزبير فاعلم أنه مخذول فاجتنبه وان رأيته قد رجع من حيث جاء وترك قصده الاول فارج له النصر والسلامة فقال عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه الى دمشق الا كسيره الى ابن الزبير فقال الشيخ ان الذي أشكل عليك لواضح وها أنا أزيل عنك اللبس وهو أن عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم لان ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب له على مملكة فاذا قصد ابن سعيد كان في صورة مظلوم لانه تملك ببيعته وخان أمانته ووثب على دار ملك لم يكن له ولا لابيه من قبله بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وهو رد عليها متعد ومن الامثال سمين الغصب مهزول والى الغدر معزول وسأضرب لك مثلا يشفي النفس ويزيل اللبس زعموا أن تعلبا كان يسمى ظالما وكان له جحر يأوي اليه وكان مفتاح بابه تحت حجر يوما بيتغي ما يأكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج فعلم انها استوطنته وذلك ان الحية لا تتخذ جحرا بل اذا أعجبها جحر اغتصبته وطردت من به من الحيوان ولهذا قيل فلان أظلم من حية فهذا ظلمها ولما رأى ظالم أن الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه السكون معها ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به السير الى جحر حسن الظاهر حصين في أرض منيعة ذات أشجار ملتفة وماء معين فأعجبه وسأل عنه فقالوا هذا الجحر يملكه ثعلب اسمه مفوض وانه ورثه عن أبيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به وأدخله الى جحره وسأله عن حاله فقص عليه خبره مع الحية فعرفه له

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل بن هرون كتابا فى مدح البخل وأهداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلناه بابك عليه ما أمرت به فيه

وقال ابن أبى فنن ذرينى واتلافى لمالى فانى * أحب من الاخلاق ما هو أجمل
وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدى بخيلا جدا أصابه القولنج فى بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما فى بطنه فى الطست فقال لغلامه أجمع الدهن الذى نزل من الحقنة وأسرج به وكان المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الخادى فى طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع اعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فما زلت أمشى بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه ان يحدوله فى ذهابه وايابه بغير مؤنة وكان أبو العتاهية ومروان بن أبى حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشئ أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها الى المهدى فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه فى القدر دعا صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فأضافته فقال ان وهب لى أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق * ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال ان من عادتهم اذا رافقوا فى سفر ان يشترى كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها فى خيط ويجمعون اللحم كله فى قدر ويعسل كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاءها هو المرق وقيل ليخيل من أشبع الناس قال من سمع وقع اضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوء ابرا وجاه يعقوب ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء فيستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذى قدمن دبر ما أعاره اياها فكيف يكسونى وقد نظم ذلك من قال

لوان دارك أنبتت لك واحتشت * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعير ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبى بخيلا جدا مدحه انسان بقصيدة فقال كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا وقال دعبل كنا عند سهل ابن هرون فلن نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال و يلك يا غلام آتنا غداء فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل من الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته والله انى لاكره من يرمى برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه يحبب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت انى لا آكله أما قلت عنده من يأكله انظر فى أى مكان رميته فأتنى به فقال والله لا أدرى أين رميته فقال لكن أنا أعرف أين رميته رميته فى بطنك الله حسيبك وقيل من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس قال بعضهم فى أبى دلف

أبو دلف يضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف
أبو دلف لمطبخه قتار * ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزى صدره من سعال فوصف له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على

مفوض وقال له الموت فى طلب الثار خير من الحياة فى العار والرأى عندى أن تنطلق بى الى مأوالك الذى أخذ منك غصبا حتى انظر اليه فلعلى اهتدى الى مكيدة تخلص بها مأوالك فانطلقا معا الى ذلك الجحر فتأمله مفوض وقال لظالم اذهب بى فبت الليلة عندى لانظر ليلتى هذه فيما يسنح من الرأى والمكيدة ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض فرأى من سعته وطيب هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه وطفق يدبر الحيلة فى اغتصابه ونفى مفوض عنه فلما أصبحا قال مفوض لظالم انى رأيت ذلك الجحر بعيدا من الشجر والماء فاصرف نفسك عنه وهلم أعينك على احتفار بجرفى هذا المكان المشتهى فقال ظالم هذا غير ممكن لان لى نفسا تهلك لبعد الوطن حنينا فلما سمع مفوض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرغبة فى وطنه قال له انى أرى أن تذهب يومنا هذا فتحتطب حطبا وتربط منه حزمتين فاذا جاء الليل انطلقنا الى بعض هذه الخيام فأخذنا قبس نار واحتملنا الحطب والقبس الى مسكنك فنجعل الحزمتين فى بابه ونضرم النار فان نجت الحية احترقت وان لزمت الجحر قتلها الدخان فقال له ظالم هذا نعم الرأى فذهبا واحتطبا حزمتين ولما جاء الليل انطلق مفوض الى ظاهر تلك الخيام فأخذ قبسا فعمد ظالم الى احدى الحزمتين فألقاها الى موضع يحيط به فيه ثم جر الحزمة الأخرى الى باب مسكن مفوض فسده بها سدا محكما وقدر فى نفسه ان مفوضا اذا أتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته فاذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه

الوجيع أخف عليه من الدواء فبينما هو يعاطل الايام ويدفع الايام اذ أتاه بعض اصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يحلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فحلا صدره ووجد به نعما فلما حضر غداؤه مر به فرفع الى العشاء وقال لاهله أنه اطيبني لاهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويحلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دوائه وغدائه فالحمد لله على هذه النعمة وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فأتانا بسراج فيه فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عود يخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشانا ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه أعلمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء ويتشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الحراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين وقال الهيثم بن عدي نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الحوف
ضيفك قد جاء بزاده * فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا واراد التقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان قالت يا أبت مادمت مستمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالي كثروا أم قلوا والأم الثمام وأبخلهم حميد الارقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد أطفور

(وقال فيه أيضا) تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليه الانامل

واكل اعرابي مع أبي الاسود طعاما كثيرا ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها وقال اعرابي لنزيل نزل به نزلت بوادغير ممطور ورجل بك غير مسرور فاقم بعدم أو ارحل بندم والحمد ونى

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الحوان ولاح شخص * لاخطفن يد أسك والسلام
فقال سوأ بيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق اليه * ببيت لم يرد فيه القيام
أبى وابنا أبي والكلب عندي * بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له ابن لي يا ابن كلب * على خبزي أصادر أو أضام
اذا حضر الطعام فلا تحقوق * على لوالدي ولا ذمام
فما في الارض أقبح من خوان * عليه الخير يحضره الزحام

فاين هذا من القائل يخيل يرى في الجود عارا واغما * يرى المرء عارا ان يضن ويبخلا
اذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلا قته المنية أولا

(وقال آخر) وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس اليه ما حييت سبيل
ارى الناس اخوان الكريم ومالرى * بخيلا له في العالمين خليل

وقالوا اذا سألت لئيما شيأ فعاجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال ربعي الهمداني جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نلتها الا بكف كريم

مأوى وكان ظالم قد رأى في منزل مفوض طعاما ادخره لنفسه فعول ظالم على أنه يقتات به ان حاصره مفوض وهو من داخل وأذهله الشره والحرص عن فساد هذا الرأي ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد طالما ولا وجد الحطب فظن ان ظالما قد حمل الحزمتين تخفيفا عنه واندسبقه الى مسكنه الذي فيه الحية اشفاقا على مفوض فشق ذلك عليه وظهر له من الرأي أن يبادر اليه ويلحقه ليحمل معه الحطب فوضع القبس بالقرب من الحطب ولم يشعر أن الباب مسدود به لشدة الظلمة فما بعد عن الباب الا وضوء النار وشدة الدخان قد لحقاه فعاد وتأمل الباب فرأى الحطب قد صار نارا فعلم كيد ظالم وراءه فاحترق من داخل الجحر وحاق به مكره فقال هذا الباحث على حتفه بظلفه ثم ان مفوضا صبر حتى انطفأت النار ودخل بجحره فأخرج جثة ظالم فألقاها واستوطن بجحره آمنا فهذا المثل ضربته لك لانه ملائم لفعل عمرو بن سعيد في بغيه ومخادعته عبد الملك وحيلته في أخذ ارمالكه وتحصينها منه وهذا كفعل ظالم مع مفوض والله أعلم فلما سمع عبد الملك حكمة الشيخ في ضرب أمثاله سر بذلك سرورا عظيما ثم أقبل عليه فقال جزيت عني خيرا واني أريد أن تجعل بيني وبينك موعدا وتعرفني مكانك لأتفقه بعد يومي هذا فقال الشيخ وما تريد بذلك فقال له عبد الملك اني أريد مكافأتك على ما كان منك فقال له الشيخ اني أعطيت الله عهدا أن لا أقبل منة لبخيل فقال عبد الملك ومن أين علمت اني بخيل فقال لانك أخرت صلتي مع القدرة فما عليك لو وصلتني ببعض ما عليك

وانى لارجوان أمـوت وتنقضى * حياتى وماعندى يدللئيم
وأنشدا لجاحظ لابى الشمقمق
ممن تعلمت هذا * ان لاتجود بشئ أمامررت بعبد * لعبد حاتم طى
(ومما قالته الشعراء فى البخلاء وطعامهم) فمن أهجى ماقيل فيهم بيت جرير فى بنى تغلب
والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثال
وله أيضا فيهم
قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار
فتمنع البول شحا ان تجود به * وما تبول لهـم الا بمقدار
والخبز كالعنبر الهندى عندهم * والقمح خمسون أردبا بدينار
فاين هؤلاء من الذى قال فيه الشاعر أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره
(وقال بعضهم فى بخيل) أتانا بخيـل يخـبزله * كمثل الدراهـم فى رقتـه
اذا ماتنفس حول الخوان * تطاير فى البيت من خفته
(وقال آخر) تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان
(وقال آخر وقد بات عند بخيل) فبتنا كانابين هم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضنا بعضنا بصابه * ويأمر بعضنا بعضنا بالتجلد
(وقال آخر) وجيرة لاترى فى الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيـد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ماتطبخ النار
(وقال آخر وأجاد) فصدق ايمانه ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فاعبث بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبنى لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه
(وقال آخر) ذهب الكرام فلا كرام * وبقى العضاريط اللئام
من لايقبـل ولاينيـل ولا يشم له طعام
(وقال آخر) خليلى من كعب أعينا أخاكما * على دهرو ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرتن نداه حزين
اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كـمين
(وقال آخر) له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فأما جوده فعلى صحاب * وأما سـيفه فعلى الكلاب
(وقال آخر) زففت الى نهبان من صفو فكرتى * عروسا فغدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقتها عشرا
(وقال آخر) لو عبر البحر باموا جه * فى ليـلة مظلمة بارده
وكفه مملوة تخردلا * ماسقطت من كفه واحده
(وقال آخر) ياقائما فى داره قاعـدا * من غير معنى لا ولا فائده
قدمات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائدة
(وقال آخر) نوالك دونه شوك القتاد * وخبزك كالثريا فى البعاد
فلو أبصرت ضيفا فى منام * لحسرت الرقاد الى المعاد
(وقال آخر) لاتحجبن لخبزك من يده * فالكوكب النحس يسقى الارض أحيانا
(وقال ابن أبى حازم) وقالوا قد مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتى كريم

فقال عبد الملك أقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع سيفه وقال له اقبل منى هذا واحترص عليه فقيمته عشرون ألف درهم فقال الشيخ انى لا أقبل صلة ذاهـل فدعنى وربى الذى لا يذهـل ولا يبخل فهو حسبى فلما سمع عبد الملك كلام الشيخ عظم فى عينه وعلم فضله فى دينه فقال له أنا عبد الملك فارفع حوائجك الى فقال الشيخ وانا أيضا عبد الملك فهل نرفع حوائجنا الى من أنا وأنت له عبدان فانطلق عبد الملك وعمل برأى الشيخ فأنجح الله قصده وانتصر على أعدائه فلما سمع الوليد ما أخبره به الكهل استرجع عقله واستظرف أدبه واستحسن محاضرته وسأله عن نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحى منه وقال له من جهل مثلك فى رعيته ضاع فقال له الكهل يا أمير المؤمنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليها ولزم أبوابها فقال له الوليد صدقت ثم أمر له بصدقة معجلة وعهد اليه فى ملازمته فكان يتمتع بأدبه وحكمته الى أن كان من أمر الوليد ما هو مشهور والله أعلم

(ومما تخيرته من عجائب سلوان المطاع) قيل لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكرا نهاه نصحاؤه وعقلاء وزرائه وحذروه من ذلك فعصاهم وكان يقال أوزر الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيان من المشايخ فان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان من ادهى الناس فى الحزم وسداد الرأى واختلاف الاديان ولغاتها وكان من المتبحرين فى العلوم والمبرزين بالمكائد فسلم اليه

بلوت ومر بي خمسون حولا * وحسبك بالحر ب من علم
فلا أحد يعدلي يوم خير * ولا أحد يجود على عديم

(ومن) رؤساء أهل اليمن محمد بن الجهم وهو الذي قال ودت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمي واستسهلوا شتمي حتى ينتشر ذلك في الآفاق فلا يمتد الى آمل آمل ولا يبسط نحوي رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهونك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استئذانك لحاجاتنا فقال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء * وقال عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لي زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغديت وأخذت عظامه فوضعتها على باب داري لتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذي اشترى الرأس * وقال رجل من البخلاء لاولاده اشتروا لي لحما فاشتروه فامر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا العظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطي أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمششها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدري أحد لعام هي أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال أنت صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزما * ووقف اعرابي على أبي الاسود وهو يتغدى فسلم فردد عليه ثم أقبل على الاكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابي أما أني قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدي بها قال قد ولدت قال كان لابد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت أمها قال مات أحدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه قال وماتت الأم قال حزنا على ولديها قال ما أطيب طعامك قال لاجل ذلك أكلته وحدي ووالله لا ذقته يا اعرابي * وقيل خرج اعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه اعرابي من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال ما تحب قد ملأ الارض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلمنا البقاع قال قد ملأ الحي نبحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد علي ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبي ابقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق قال فمات قال أومات جملي زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أومات أم عمير قال نعم قال وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت في سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا في الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لي طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا في الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف مالنا وللضيف فبينما هي تكلمني اذ أقبل صاحب البيت فلما رآني قال من هذا قلت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بي من الامس فتبسمت فقال لم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التي رأيتها هي أختي وأن بعلها أخو امرأتي هذه فغلب على كل طبع أهله

سابور جميع ما يحتاج اليه في سفره وأمره أن لا يتجاوز في السير ولا يبعد عنه بحيث يراعي جميع أحواله في ليله ونهاره فتوجها نحو الشام وليس ذلك الوزير زي الرهبان وتكلم بلسانهم وتعرف بصناعة الطب الجراحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت به الجراحات ختمت بسرعة وانعدمت فكان ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم يداوي الجراحات بأدوية يضيف اليها يسيرا من ذلك الدهن فتبرأ بسرعة واذا عنى بأحد من ذوي الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فيبرأ على الفور ولا يأخذ على ذلك أجرة فانتشر ذكره في بلاد الروم وعقدت عليه الخناصر وأقبل عليه الناس وكان مع انفراده مع سابور يراعي جميع أحواله فلم يزالا كذلك حتى طافا جميع الشام وقصد القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم أبو الآباء فاستأذن عليه فأذن له وسأله عن قصده فاخبره أنه هاجر اليه لينتشر ببخدمته ويدخل في اتباعه ثم أهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه وأكرمه وأحسن نزله وألحقه ببطانته واختبره فوجده عالما بدينهم بل مبرزا فأعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتأمل أحوال البطرك ليصحبه بما يلائمه وينفق عنده فوجده مائلا الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار وكان الوزير في ذلك غاية فأخذ يتحفه بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فصار البطرك لم يعط عن الوزير صبرا لانه حلا لعينه وحل بقلبه وجعل الوزير مع ذلك يعالج الجراحات ولا يأخذ على ذلك عوضا فعظم

وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والثلاثون فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك﴾

﴿أما اباحة الطيب من المطاعم﴾ فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فى مأكله ومشربه وكان الحسن رضى الله تعالى عنه يقول ليس فى اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضل عمن يترك الطيبان اللحم والحبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الحبيص ليتك تأكل وتتقى الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للاذى أنت الى أحكام هذا أحوج من ترك الحبيص (وأما نعوت الاطعمة وما جاء فيها) فقد نقل عن الرشيد انه سأل أبا الحرث عن الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضى على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا القمة ومن هذا القمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضى لاحدهما أتى الآخر بحجته * واختلف الرشيد وأم جعفر فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضى فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف دينار الا دينارا وسمع الحسن البصرى رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الأصمعى أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى اعرابى بفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول هو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة وهو يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد القلب الحزين وهى شجرة أخى يونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد ويزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبى رافع قال كان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول أكل التمر ثمان من القولنج وشرب العسل على الريق ثمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوسب والكمر فس يقوى المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سماط معاوية ويصلى خلف على ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل وهو أعلم والجلوس وحدى لى أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الارز يزيد فى العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الارز يرى مناما حسنة ومن رأى مناما حسنا كان فى نهارين فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الارز الابيض بالسمن والسكر لبس من طعام أهل الدنيا وقيل لابى الحرث قدره فى الناس هذا وهو يتعاهد أحوال سابور فى كل وقت الى ان صنع قيصر وليمة وحضر الناس اليها على طبقاتهم فأراد سابور حضورها ليطلع على أحوال قيصر وعلى رتبته فى قصره وعظم وليمته فنهاه وزيره عن ذلك فعصاه وترا يا زى ظن انه يستتر به ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وكان قيصر من شدة احترامه من سابور وخيفته من أن يطرق بلاده وتحسن له همته العالية وحدة الشبيبة ذلك صور سابور فى مجلسه وعلى ستور بيته وعلى فرشه وفى آلات أكله وشربه ولما دخل سابور يوم الوليمة واستقر فى مجلسه وأكل مع من حضر أتوا بالشراب فى كؤس البلور والذهب والفضة وزجاج المحكم وكان فى المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم فلما وقعت عينه على سابور أنكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة ولما زاد فى تأمله وصل اليه دور الكاس فتأمل الصورة التى على الكاس وراجع النظر فى سابور فأشكل ان الصورة التى على الكاس وضعت على مثاله وغلب على ظنه أنه سابور فأمسك الكاس فى يده امساكا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التى على هذا الكاس تخبرنى اخبارا عجيبا فقيل له وما الذى تخبرك فقال تخبرنى ان الذى هى مثال له معنا فى مجلسنا هذا ثم نظر الى سابور وقد تغير لونه حين سمع مقالته فحقق ظنه فبلغ ذلك قيصر فادناه وقربه وسأله فأخبره ان سابور معه فى مجلسه وأشار اليه فأمر قيصر بالقبض عليه وقرب من قيصر فسأله عن نفسه فتعلل بضروب من العلل لم

ما تقول فى الفالوذجة قال وددت لو أنها ومالك الموت اعتلجا فى صدرى والله لو أن موسى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لا تعرف الألوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضى الله تعالى عنه فاتخذ الالوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفين يقول جنبوا ما ئدتى بنت نارين وقال كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل اذا ألقى اللحم فى العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فانه لا يتغير ويقال للسكباج سيد المرق وشيخ الاطعمة وزين الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقد ألقيت عن معدتك ثلث المؤنة ويقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

فى حبة القلب منى * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه أكرموا الخبز فانه أكرم ما رزقه الله تعالى وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله لا ينتظر به الادام اذا وجد ثم الخبز فكلوه حتى توقوا بغيره وفى حديث من داوم على اللحم أربعين يوما قست قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موزة فأخر عن استدعائه فقال مابال ولا تأتينا بس يدعونى الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذى أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مديده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد فقال له ما الذى ذممت منه سواد لونه أم شاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول فى الباذنجان قال أذناب الحاجم وبطون العقارب وزور الرقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح وضع الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لوزان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة فى يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا وأهدى رجل الى آخر فالوذجة زنخة وكتب اليه انى اخترت لعملها السكر السومى والعسل الماردانى والزعفران الاصبهانى فأجابه والله العظيم ما عملت الا قبل أن توجد أصبهان وقيل ان تفتح السوس وقيل ان يوحى ربك الى النحل وقيل ان أبا جهم بن عطية كان عينا لابى مسلم الحولانى على المنصور فأحس المنصور بذلك فطارحه الحديث وما حتى عطش فاستسقى فدعا له بقدح من سويق اللوز فيه السم فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقربنه * فشرب سويق اللوز أردى أبا جهم

﴿وقال أبو طالب المأمونى﴾

فما حملت كف امرئ متطعما * ألذ وأصفى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب فى الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة ودخل السائب على على رضى الله تعالى عنه فى يوم شات فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فأباه فقال أما انك لو شربته لم تزل دفئا شبعان ساثر يومك وعن نافع بن أبى نعيم قال كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات

﴿وأما الزهد فى المأكل﴾ فقد زهد فيه كثير من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة رضى الله تعالى عنها والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا مخلل ولا أكل رسول الله خبزا مخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول أف أف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الادام الخل وكفى بالمرء سرفا أن يشتهى ما قرب اليه وقال عمر رضى الله تعالى عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان

تقبل فقال ذلك المتفرس أيها الملك لا تقبل قوله فانه سابور لا محالة فهدده قيصر بالقتل فأعرف أنه سابور فحبسه قيصر مكرما وأمر أن يعمل له من جلود البقر صورة بقرة وتطبق عليها الجلود سبع طبقات ويتخذ لها باب وتجعل لها كوة لاجل المال ويستقر سابور بها وتجمع يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول ما يعمل له من طعام وشراب وغير ذلك فلما دخل سابور جوف تلك الصورة جمع قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد فارس ووكل بسابور وهو داخل البقرة مائة رجل من ذوى البأس والشدة يحملونها وصرف أمره الى المطران وهو خليفة البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يديه فاذا نزل العسكر نزلت الصورة التى فيها سابور وسط العسكر وضربت عليها قبة وتضرب للمطران قبة مجاورة لقبة سابور وسار قيصر محتفلا بجنوده وعساكره وقد عزم على خراب بلاد فارس وما جد السير قال وزير سابور للبطرك أيها الاب انما استفدت بخدمتك الرغبة فى مصالح الاعمال ولا عمل أصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجر منفعة الى مضطر وقد عملت اجتهادى فى مداواة الجرحى وان نفسى تنازعنى الى صحبة الملك قيصر فى سفره هذا لاغير فلعل الله تعالى يستنقذنى نفسا صالحة أو يسوقنى الى مداواة جريح من العسكر ليتقدس فلى بهذه المثوبات فكره البطرك ذلك وقال له قد علمت أننى لا أستطيع فراقك فكيف تطاوعنى بالسفر البعيد قال فلم يزل وزير سابور يتضرع الى

لحما لم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا علي ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله الضعف فأمر أن يطبخ اللحم بالابن فان القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد في المآكل والمشارب في باب مدح الفقراء ان شاء الله تعالى

﴿وأما ما جاء في آداب الاكل﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسي في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم الاكل في السوق دناءة عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الاكل قائما فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال اذا أكلت فضم شفتيك ولا تلتفتن يمينا وشمالا ولا تتلقمن بسكين ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة ولا تبصق في الاماكن النظيفة ومن هذا ما رواه الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الطعام والشراب وقال علي رضي الله تعالى عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤكل الطعام حارا وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال عمر بن هبيرة عليكم ببيرة عليكم ببيرة فان مباركته تطيب النكهة وتعين على المروءة قيل وما اعانته على المروءة قال أن لا تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكل من سفط المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وولد ولده من الحمق وعنه صلى الله عليه وسلم قال من لقط شيأ من الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث بن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فليتم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه وقال الحجاج لاعرابي وما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت يا حجاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدي الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما دجاجة فعكفها فقال معاوية هل بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك وبين أمها قرابة أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضي الله تعالى عنهما وحضر اعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أتراك تأكله بحدركان أمه بطحتك فقال أراك تشفق عليه كان أمه أرضعتك

﴿وأما ما جاء في كثرة الاكل﴾ فقد روى عن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم مازين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمر بن عبيد ما رأيت الحسن ضاحكا الا مرة واحدة قال رجل من جلسائه ما آذاني طعام قط فقال له آخر أنت لو كانت في معدتك الحجارة لطحنتها وقال علي كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه

البطرك الى ان استحى منه وسمح له بذلك وزوده وكتب معه الى المطران يخبره برتبته عنده وانه يحله في أعلى المراتب ويستضيء برأيه اذا أشكل عليه أمر فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وأنزله في قبته وجعل زمام أمره ونهيه بيده وصار الوزير يستميله بما يميل اليه ويطرفه في كل ليلة بطرف الاخبار رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدس في أحاديثه ما يريد أن يعلمه به ويبطنه من الامر ار فكان سابور يجد بذلك راحة عظيمة وكان الوزير قد أعد الخلاص سابور أنواعا من المكايد رتبها عند ما قدم على المطران منها انه امتنع عن مؤاكلة المطران وأخبره انه لا يحظ بطعام البطرك غيره لاجل بركته فكان اذا حضر طعام المطران أخرج هو ذلك الزاد الذي معه وانفرد بالاكل وحده فلم يزل قيصر سائر البجنود حتى بلغ أرض فارس فأكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه وقطع الاشجار وخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير ليستولي على دار ملك سابور قبل ان يشعروا فيملكوا عليهم رجلا منهم ولم يكن للفرس هم الا الفرار من بين يديه والاعتصام بالمعاقل والحصون فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى بلغ مدينة سابور وقرارملكه فأحاط بها ونصب عليها آلات الحصار ولم يكن عندها قوة ولا منعة في دفعه أكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل ذلك فهمه سابور من كتابات الوزير في محاضراته للمطران ولكن لم يسع له كله من حين مجيئه قيصر في تلك الصورة فلما علم سابور ان

من طبقة الجد الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار وتقول العرب أقل طعاما تجد منه ما وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الاكل وأنشدوا

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الاصمعي لرجل من بني فهد

اذا لم أزر الا آكل أكلة * فلا رفعت كفي الى طعامي

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشتري غلاما فالقي بين يديه تمرا فأكل فاكثر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الاكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس السوء خير من الاكيل السوء وشكا أبو العيناء الى صديق له سوء الحال فقال اشكر فان الله قد رزقك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلق الكبد ودعت أبا الحرث حميمة له فحادثته ساعة فجاع فظن الاكل فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لابأ كلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا

﴿وأما أخبار الاكلة﴾ فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بعكوك ملح * ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فاكله كله فلما أصبح طلب حماره ليركبه فقيل له هو في بطنك * وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازني ما أكلة بلغتني عنك قال جعت مرة وعي بعيري فنحرته وشويته وأكلته ولم أبق منه الا شيأ يسيرا حملته على ظهري فلما كان الليل أردت أن أجامع أمتي فلم أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل لي وبيننا جمل فعلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال اربعة أيام وقال الاصمعي ان سليمان بن عبد الملك كان شرههما وكان من شرهه أنه اذا أتي بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوي لا يصبر الى أن يبزد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى يأتي عليها فقال الرشيدي ويحك يا أصمعي ما أعلمك بأخبار الناس اني عرضت على جباب سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثني ثم أمر لي بجبة منها فكنت اذا لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشعر دل وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الى وقال يا شعر دل ما عندك ما تطعمني قلت عندي جدي كاعظم ما يكون سمنا قال تعجل به فاتيت به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا الخذ قال هلم يا أبا جعفر فقال اني صائم فاكله ثم قال يا شعر دل ويلك أما عندك شيء قلت ست دجاجات كأنهن أفحاذ نعام فاتيته بهن فاتى عليهن ثم قال يا شعر دل أما عندك شيء قلت سويق كله قراصة الذهب فاتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتني بقدر فاتيته بها ومعه الرقاق فاكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان فقعد وأكل مع الناس وكان هلال بن الاسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا عتلا * وقال أعرابي لرجل رآه شحيما أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك * وقال أبو الحسر الاعرابي كانت لي بنت تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كانها صلفعة في ذراع كانه جمار فلا تقع عينها على لقمة نفيسة الا خطفتني بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لي فيبرز كفا كانها كرنافة فوالله لئن تسبق عيني الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها * وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة * ويقال فلان يحاكي حوت يونس في جودة الالتقام وعصا موسى في سرعة الالتهام * وقيل لابي مرة أي الطعام أحب اليك قال لحم سمين وخبز سميذ أضرب فيه ضرب ولي السوء في مال اليتيم * وقال صدقة بن عبيد المازني أولم لي أبي لما تزوجت فعمل عشر جفان ثريدا من جزور فكان أول من جاء نا هلال المازني فقد منا له جفنة مترعة فاكلها ثم أخرى فاكلها حتى أتى

فتح البلد على صبره وساء ظنه ويئس من الحياة فلما جاءه الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا ضعفت قوتي عن احتماله فان كنتم تريدون بقاءه نفسي فنفسوا عني منها واجعلوا بينها وبين يدي وعنق حر قامن الحرير فجاءه الموكل بالطعام الى المطران وأعلمه بالذي قاله سابور فسمعه الوزير وعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه وفطن لما أراد سابور فلما جن الليل وجلس لمسامرة المطران قال له قد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ كذا وكذا ودت اني كنت حدثت به البطرك قبل سفري فقال له المطران اني أرغب اليك ان تحدثني الليلة أيها الراهب الحكيم فقال الوزير حبا وكرامة ثم اندفع يحدثه ورافعا صوته ليسمع سابور ويفهم الغرض ويستأنس فقال اعلم أيها المطران انه كان ببلاد نافتي وفتاة ليس في زمانهما أحسن منهما اسمع الفتى عين أهله واسم الفتاة سيدة النساء وكانا زوجين مؤتلفين لا يبتغي أحدهما بالآخر بدلا الى ان عين أهله جلس يوما مع أصحابه فتذاكروا النساء الى أن ذكر أحدهم امرأة أطنب في وصفها وبالغ وذكر أن اسمها سيدة الذهب فوقع في قلب عين أهله حبها فسأل الواصف عن منزلها فذكر انها ببلد بالغرب من بلده ففكر عين أهله في أمرها وخامر حبها فانطلق الى البلد التي هي ساكنة بها وسأل عن منزلها فعرفه وظل يتردد اليها حتى رآها فرأى منظرا حسنا ولكن لم تكن بأحسن من امرأته بل ضرورات النفس

على الجميع ثم أتى بقربة مملوءة من النبيذ فوضع طرفها فى شدقه وفرغها فى جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام * وكان عبيد الله بن زياد يأكل فى كل يوم خمس اكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بنى شيبان الغداء أصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى بزنبيلين فى أحدهما تينا وفى الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة المراشى يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للهدى فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فالقى اليه رغيف رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله * وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهرى انه سمع الشيخ الامام عز الدين ابن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبى سفيان كان يأكل فى كل يوم مائة رطل بالدمشقى ولا يشبع ونزل رجل بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجد قد أكل الخبز فذهب فاتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال لماذا قال بلغنى ان بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وما هى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك على

﴿ وأما المواظبة على الطعام ﴾ فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه قال قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة فجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أولا لطخن وجهك فقالت ما أنا بذاك فقمت فاخذت من الصحفة شيأ فألطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بينى وبينها فتناولت من الصحفة شيأ فلطخت به وجهى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك واشترى عندر يوما سمكا وقال لاهله اصلحوه ونام فاكل عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال قدموا الى السمك قالوا قد أكلت قال لا قالوا فاثم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت * ودخل الحمدونى على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يعدون أيديهم فقال لقد ذكرتمونى ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا الحكايات فى ذلك كثيرة

﴿ وأما الضيافة واطعام الطعام ﴾ فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذ وعمين ينظر اليه وليواسه بما يتلى يداه لاداوله وقال الحسن كانوا يسمعون احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خيرت بين شيئين الا اخترت الذى لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لى به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ما خلا مضيف الخليل عليه الصلاة والسلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان الزهرى اذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة أيام وقالوا المائدة مرزوقة أى من كان مضيفا فاوسع الله عليه وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأول من ترد الثريد وهشمه هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه فى الاسلام عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شئ فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجنى الى أن أفد على الناس فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبته

﴿ وأما آداب المضيف ﴾ فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة فى الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتى بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البدوى رحمه الله هذا الكلام بأبيات فقال اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * فرائك وأرمقه لديك المسالك

حب التنقل فى الاحوال ولازم عين أهله المعاودة الى منزل سيدة الذهب حتى فطن له بعلها وكان جافيا غليظ الطبع شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين أهله حتى مر به فلما رآه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه واستعان بجماعته عليه فاحتملوه الى داخل دار الذئب وربطوه الى سارية فى الدار ووكل به عجوزا مقطوعة اليد جدعاء عوراء شوهاء فلما جن عليه الليل أوقدت تلك العجوز النار بالقرب منه وجعلت تصطلى فذكر عين أهله ما كان فيه من السلامة والعافية والرفاهية والعز فبكى بكاء شديدا فأقبلت اليه العجوز وقالت له ما ذنبك الذى أوجب هذا فقال عين أهله ما علمت لى ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير وكذب فقال عين أهله للعجوز وما الذى كذب فيه الفرس عند الخنزير فقالت له العجوز ذكروا ان فرسا كان لاحد الشجعان فكان يبالغ فى اكرامه ويحسن اليه ويعده لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به فى صحبته كل يوم فيزيل لجامه ومرجه ويطيل رسنه فيترعرع ويرعى فى كل مرج مخصب حتى يرتفع النهار فيرده وهو على يده ثم انه خرج يوما الى المرج را كبا ونزل عنه فلما استقرت قدماه على الارض نفر الفرس وجمح ومر يعدو برسنه ولجامه فطلبه الفارس يومه كله فأعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع الفارس الى أهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس وأظلم عليه الليل جاع وطلب أن يرعى فنعه اللجام ورام ان يقرع فنعه السرج

فكن باسما في وجهه متهللا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ماتستطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف ان يأتي به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال حاتم الطائي

سلي الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما أتاني بين ناري ومجزري
أبسط وجهي انه أول القرى * وأبذل معروفي له دون منكر

(وقال آخر في عبد الله بن جعفر) انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى
(ولله در القائل) الله يعلم أنه ما سرني * شيء كطارقة الضيوف النزل
مازلت بالترحيب حتى خلتني * ضيفانه والضيف رب المنزل

(أخذه من قول الشاعر) ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل
(وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حمدان)

منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق وكل ما فيه حلال له * الا الذي حرمه الخالق

(وقال الاصمعي) سألت عيينة بن وهب الدارمي عن مكارم الاخلاق فقال أوما سمعت قول عاصم بن وائل

وانا لقرى الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

(وقال بعض الكرام) أناخ ضيفي قبل أنزل رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

(وقال آخر) عودت نفسي اذا ما الضيف نبهني * عقر العشار على عسر ويسار

ومن آداب المضيف أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندي تلوصاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

وقال علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة * ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عندوداعهم وأن لا يحدث بعار وعهم به كما حكى بعضهم قال استدعاني المعتضد بن ابراهيم الظاهري الى أكل هريسة في بكرة نهار فدخلت فاحضرت لنا الهريسة فما كلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فامر اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد يحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكي عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد في أول النهار يخدم القوم ويأنسون به ففي آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكي الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا على ولدي فانه بالامس سقط من على السطح فمات لساعته فما قاله لهم الا أخيرا حين سألوه فقال ما ينبغي لعاقل أن ينغص على أضيافه في التذاذهم ولا يكدر عليهم في عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف ان يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الامراء الكرام لا بأس

وراء ان يضطجع فمنعه الركاب فبات بشر فلما أصبح ذهب يبتغي فرجا فما هو فيه فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الى جهته الاخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه وليبه من جلد ما أتقن في دبغه فلما خرج أصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتد اعليه فورم موضع اللبب والحزم واشتد به الضرر وقوي به الجوع ومضت عليه أيام فتزايد ضعفه وعجز عن المشي فربط خنزير فهم بقتله فرآه ضعيفا جدا فسأله عن حاله فأخبره بما هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وسأله أن يصنع معه معروفا ويخلصه مما هو فيه فسأله الخنزير عن الذنب الذي أوقعه في تلك العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له فقال له الخنزير كذبت ولو صدقت خلصتك مما أنت فيه ومن جهل ذنوبه وأصر عليها لم يرج فلاحه فحدثني يا فرس عن ابتداء أمرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك فصدقه الفرس وأخبره بجميع أمره وكيف كان عند فارسه مكرما وكيف فارقه وما لاقى في طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير فقال الخنزير قاتلك الله لقد كفرت النعم وأكثرت الذنوب منها خلافك لفارسك الذي بالغ في الاحسان اليك وأعدك لمهماته ومنها كفرك احسانه ومنها تعديك على ما ليس لك وهو السرج واللجام ومنها اساءتك لنفسك بتعاطيك التوحش الذي لست من أهله ولا لك عليه مقدرة ومنها اصرارك على ذنبك وكنت قادرا على العود الى فارسك قبل أن يوهيك اللجام والجوع والحزام واللبب بالالم فقال الفرس للخنزير قد عرفت ذنبي

بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويحترز عن العدو وقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا يخدع لا يمكنه الله منا والا لبقي بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه ان يسهر مع أضيافه ويؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وان يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وان يرى اضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند انه قال اذا ضاف أحد فأره الكنيف فاني ابتليت به مرة فوضعته في قلنسوتي وقالوا لا بأس ان يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصداقة الوكيدة وقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضي الله عنها فأكل طعامها وهي غائبة وكان الحسن رضي الله عنه يوما عنده بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تمرة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع فقال له يا كع اتل علي آية الا كل فتلا ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن اضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما في يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون ما ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما قدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف (وحكي) عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفراني ببغداد فكان الزعفراني يكتب في كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعي منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فأعتق الجارية مسرورا بذلك وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا جملة الالوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهي ومن السنة ان يشيع المضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم الطعام الى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضني سراج لا يضيء ورسول بطيء ومائدة ينتظر لها من يجيء ونزل الامام الشافعي رضي الله عنه بالامام مالك رضي الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا ير عك ما رأيت مني لخدمة المضيف فرض

أعرض طعامك وابذل لمن أكلا * واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابري العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يقدم طعامه ويصف زياديه ويشتهي أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه مضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها الى النفوس ويعتذر ان في أصحابه من يحضر بالغدا عنده (وحكي) عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد ان يرفع العسل فدخل الضيف من قبل ان يرفعه فظن البخيل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى ان تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخي والله انه ليحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قليل (وحكي) عن بعضهم انه قال غلب علي الجوع مرة فقلت أمضي الى دار فلان لأتغدى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله لا قلت لك عليه الا ان أعطيتني كسرة قال فرجعت هاربا * ومن البخل تقديم الشيء اليسير وتخييمه * حكي عن بعض البخلاء انه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه أنا أجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذي يقول

فانطلق عني ودعني فاني أستحق
اضعاف ما أنا فيه فقال الخنزير
بعد ان عرفت وعدت على نفسك
باللوم واخترت لها العقوبة على
جهلها تعين الشروع في خلاصك
ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط
وقطع الحزام فنفس عن الفرس
قال فلما سمع عين أهله ما خاطبته
به العجوز قال لها صدقت فيما
نطقت فقد أدبتني فتأدبت ثم اعلمها
بخبره ثم رغبها في أن تمن عليه
بالخلاص كما فعل الخنزير بالفرس
فقالت العجوز الذي سألتني لا يمكنني
فعله الآن ولعلي أجد لذلك فرجا
ومخرجا عن قريب فعليك بالصبر
وأمسكت العجوز عن مخاطبته
قال فلما انتهى الوزير في حديثه
الى هذه الغاية أقبل على المطران
وقال اني أحس في أعضائي فتورا
وفي رأسي صداعا ولم أقدر الليلة
على اتمام الحديث ولعلي أكون
الليلة القابلة نشيطا الى ذلك فنهض
الى مضجعه فجعل سابور يتأمل
حديث الوزير ويتأمل الأمثال
التي ضربها له ودسها في المسامرة
ففهم أن الوزير كنى عن سابور
بعين أهله وكنى عن مملكته بسيدة
النساء وكنى عن بلاد الروم بسيدة
الذهب وكنى عن قيصر بالذئب
الذي ذكر أنه بعل سيدة الذهب
وكنى عن طموح نفس سابور الى
مملكة الروم بطموح نفس عين
أهله الى رؤية سيدة الذهب وكنى
عن أخذ قيصر له بقبض الذئب
على عين أهله وكنى عن نفسه وحاله
وعجزه بالعجوز القطعاء وعرفه أنه
لا يمكنه تخلصه في هذا الوقت كما
قررت العجوز لعين أهله وأنه شارع
في خلاصه فاستروح سابور ريح
الفرج فسكنت نفسه ووثق بوزيره

قالت أما ترحل تبغي الغنى * قلت فمن للطارق المعتم * قالت فهل عندك شيء له
قلت نعم جهد القتى المعدم * فكم وحق الله من ليلة * قد أطعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس ياهذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

(وقال بعض البخلاء)

سرى نحونا يبغي القرى طاوي الحشى * لقد علت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا الى الصبح شاتم * بعدد تطفيل الضيوف وضارب

﴿وأما آداب الضيف﴾ فهو أن يبادر الى موافقة المضيف في أموره منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل أكل كيف أمكن * فقد حكي انه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما أحتاج الى مكان أبيت فيه فقال الاعرابي اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيري فاني لا أرى ان تمدحني في البلاد وتهجوني فيما بيني وبينك (وحكي) عن بعض التجار قال استدعاني أبو حفص محمد بن القاسم الكرخي لاعرض عليه قماشا من تجارتي فبينما أنا بين يديه واذا باطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من مجلسه فقال يا فلان ما هذا الخلق العامي اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل الكمثرى في لعمة والتفاحة في لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فأكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني الا وقد جاءني غلامه ببغلته فاستدعاني اليه فقال لي يا فلان اني قليل الاكل بطيء الهضم ولقد طابت لي مؤاكلتك بالامس فأريد أن لا تقطع بعدها عني قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه في طلبي فحصل لي بقربه منه مال كثير وجاه عريض ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب المنزل عن شيء من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وان لا يتطلع الى ناحية الحريم وأن لا يخالفه اذا أجلسه في مكان وأكرمه به وان لا يمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل في بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عربيدا على اضيافه سيء الخلق جدا فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذي يظهر لي من هذا الرجل أنه كريم الاخلاق وما أظن سوء أخلاقه الا لسوء أدب الاضياف ولا بد أن أتطفل عليه لارى حقيقة أمره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي الى أن جاء الى باب داره فاذن لي فدخلت فاجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث أجلسني وأعطاني مسندا فاستندت اليه فاخرج لي شطرنجا وقال أتتقن شيأ قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا وأراد أن يسكب الماء على يدي فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج من يدي بعد أن قدم نعلي فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت يا سيدي أنشدك الله الا فرجت عني كربة قال وما هي فاخبرته الخبر فقال والله ما يحوجني لذلك الا سوء أدبهم يصل الضيف الى داري فأجلسه في الصدر فيأبى ذلك ثم أقدم اليه الطعام فلا أتحفه بشيء مستظرف الا رده علي ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ما تفعل ثم أريد أن أشيعه فلا يمكنني من ذلك فأقول في نفسي لا يحكم الانسان على نفسه حتى في بيته فعند ذلك أشتمه وألعنه بل وأضربه وفي معنى ذلك يقول بعضهم

لا ينبغي للضيف أن يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان في بيته * ان شاء أن ينصف أو ان يحيف

(ومما) يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الا أن يكون بدويا فانها عادته ومنها أن يتتبع طريق الشرهين كمن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي والامراق والحلزى وغير ذلك ومنها ان يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه أن يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير * ومنها قبح المؤاكلة وقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها التشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل والمزيد والمربد والمرشش والمقنش

فلما كانت الليلة القابلة وتعشى المطران وأخذ مقعده للسامرة قال الوزير أيها الحكيم الراهب أخبرني ما كان من أمر عين أهله وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب أم لا فقال الوزير سمعا وطاعة فشرع في حديثه وقال ان عين أهله أقام على حالته عدة أيام وكل يوم يدخل عليه الذئب ويهدده بالقتل ويزيده قيدا ثم ان العجوز جاءته في بعض الليالي وأضرمت لهما بالقرب منه نارا وجلست تصطلي ثم أقبلت على عين أهله وقالت له ساعدني على خلاصك بالصبر فقال لها عين أهله هان علي الطليق ما لقي الاسير فقالت العجوز حدثاني حديثك قصرت فهمك عن ادراك الحقائق أقتسمع حديثنا لك فيه سلوة قال نعم فقالت العجوز ذكروا أن بعض التجار كان له ولد وكان مشغوفا به فأتحفه بعض معارفه بخشف غزال فعلق قلب الصبي بذلك الخشف الصغير فكان لا يفارقه وجعلوا في جيده حبلا نفيسا وربطوه شاة ترضعه حتى اشتد ونجم قرناه فاتجمبه بريهما وسوادهما وقال لاهله ما هذا الذي ظهر في رأس الخشف قالوا قرناه وقالوا له انهما سيكبران ويطولان فقال الغلام لابيه اني أحب أن أرى غزالا كبيرا له قرنان كاملان فأمر أبوه بعض الصيادين أن يصيد له غزالا كبيرا فاحضره غزالا قد استكمل قوة ونموا فاعجب الغلام وحلى جيده أيضا فأنس الغزال الكبير بالخشف الصغير لمجانسة الطبيعة فقال الخشف للغزال ما كنت أظن لي في الارض شكلا قبل أن أراك فقال له الغزال ان أشكالك كثيرة فقال

والمنشف والملبب والصباب والنفاخ والحامى والمجنح والشطرنجى والمهندس والمتمنى والفضولى * فاما المتشارف فهو الذى يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعا الناحية الباب يظن ان كل مادخل هو الطعام وأما العداد فهو الذى يستغرق فى عد الزبادى ويعد على أصابعه ويشير اليها ويسمى نفسه والحراف هو الذى يجعل اللقم فى جانب الزبدية ويحرف بها الى الجانب الآخر والرشاف هو الذى يجعل اللقمة فى فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع حس لايخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذى يجعل اللقمة فى فيه وينفض أصابعه فى الزبدية والقراض هو الذى يقرض اللقمة باطراف أسنانه حتى يهذبها ويضعها فى الطعام بعد ذلك والبهات هو الذى يهت فى وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذى يلت اللقمة بأطراف أصابعه قبل وضعها فى الطعام والعوام هو الذى يميل ذراعيه عنة ويسرة لاخذ الزبادى والقسام هو الذى يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها فى الطعام من فيه والمخلل هو الذى يخلل أسنانه بأظفاره والمزبد هو الذى يحمل معه الطعام والمرتخ هو الذى يرتخ اللقمة فى الامراق فلا يبلع الاولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذى يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه والمفتش هو الذى يفتش على اللحم بأصابعه والمنشف هو الذى ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذى يملأ الطعام لبابا والصباغ هو الذى ينقل الطعام من زبدية الى زبدية يبرده والنفاخ هو الذى ينفخ فى الطعام والحامى هو الذى يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذى يراحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له فى المجلس فلا يشق عليه الآكل والشطرنجى هو الذى يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذى يقول لمن يضع الزبادى ضع هذه هنا وهذه ههنا حتى يأتى قدامه مايحب والمتمنى هو الذى يقول ليتنى لم يكن معى من يأكل والفضولى هو الذى يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقى عندك فى القدور شئ فأطعم الناس فان فيهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يلذله حديث الا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق فى يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والزفر تسولك بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدئ بالهندسة أولا فيقول كان ينبغى أن يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغى أن يكون ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان قد استحكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم * ولقد حكى عن مغن غير مجيد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة وماذاك الا انه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكلت قال أكلت فى بطنى واذا قيل له أين شربت قال شربت فى فمى ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة انه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه مايشترى شيأ فاذوقه فيعجز صاحب المنزل ويجعله اذا لم يكن فى بيته شئ موجود وليت شعرى اذا كان لايأكل فلاى شئ حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسرالى صديقه شيأ فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لايريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم أخلاق وانما ذلك يكون فى بيته لافى بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغنى لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم ادعوك فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته فى النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتى وشهوتى أو يقول مالى قوة طائلة فى ذلك فيقول أنا والله كلما مر على ّ عام تزايدت شهوتى وكثر لهذا الفن تشوقى ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ماهى فيه ممزوجها وربما كان ذلك سببا لفراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه

الخشف وأين هى فاخبره الغزال بتوحشها وانفرادها فى فلوات الارض وتناسلها فارتاح الخشف لذلك وتمنى أن يراها فقال له الغزال هذه أمنية لاخير لك فيها لانك نشأت فى رفاهية من العيش ولو تحصلت على ماتتمنيت لندمت فقال الخشف للغزال لابد من اللحاق باشكالى فلما رأى الغزال أن الخشف غير راجع لم يجد بدا من قضاء أربه لحرمة الالفة فرصد اوقتا قابلا وخرجا معا حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الخشف فرح ومرح ومرح بعد ولا يلتفت الى ماوراءه فسقط فى اخدود ضيق قد قطعه السيل فانتظر أن يأتيه الغزال فيخلصه فلم يأته وأمل ذلك التاجر فانه تنكر لفقد الخشف والغزال وأشفق أبوه عليه فاستدعى كل من يعانى الصيد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الخشف والغزال ووعدهم بالمكافأة على ذلك وركب التاجر معهم وفرق اتباعه على أبواب المدينة ينتظرون من يأتى من الصيادين وانطلق هو وعبيده حتى دخلوا الصحراء فرأوا على بعد رجلا منكبا على شئ بين يديه فأمر عبيده نحوه فرأوا صيادا قد أوثق غزالا كبيرا وقد عزم على ذبحه فتأمله التاجر فاذا هو الغزال الكبير الذى ولده خلصه من الصياد وأمر عبيده ففتشوه فوجدوا معه الحلى الذى كان على الغزال فسأله كيف ظفر به وأين وجده فقال انى بت فى هذه الصحراء ونصبت شركا ومكثت قريبا منه فلما أصبحت مر على هذا الغزال ومعه خشف يعدو ويمرح فى جهة غير جهة الشرك وجاء هذا الغزال يمشى حتى حصل فيه فقنصته

ويستطيب رائحته واذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل انه لطيف الشكر بديع الحركات ويظن في نفسه أنه يعشق وان رسول صاحبة البيت لا يبطئ عنه ومنهم من يقال له العب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة فيقع في الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا أنا ورفيقي ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير اذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويقلده بذلك المنن وأكثر الناس واقع في ذلك نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤف رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك

قد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضا بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت أنه يوصيني بترك الحدود وقال الحسن بن أبي الحسن اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال علي كرم الله وجهه أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب الي العفو حتى اني أتمنى أن لا أثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لاركبوها وقال لو علم الناس حبي للعفو لما تقربوا الي الا بالجنايات وقال علي كرم الله وجهه اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال رضي الله تعالى عنه أقيلوا ذوي المروآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويده بيد الله يرفعه وقال رضي الله عنه ان أول عوض الحليم عن حلمه ان الناس أنصاره على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ندم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سمه باسمك أعفي فقال له وعندك أعرض وكان الاحنف رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما أذاني أحد الا أخذت في أمره باحدى ثلاث ان كان فوقي عرفت له فضله وان كان مثلي تفضلت عليه وان كان دوني أكرمت نفسي عنه وكان منه وبين رابن الناس بالحكم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال انصر من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كما تختلف اليه في الحلم كما يختلف الى الفقهاء في الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به مكتوفا فقال ذعرتم أخي اطلقوه واحملوا الى أم ولدي ديته فانها ليست من قومنا ثم أنشأ يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية * احدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأى ذلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره والعرب تقول لا سؤدد مع الانتقام والذي يجب على العاقل اذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته

وان

وقصدت به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لي اني مخطئ في ادخال هذا الظبي الى المدينة حيا لعلمي انه اذا رؤي حيا طولبت بما كان عليه من الحلي فرأيت أن أذبحه وأدخل به لحما فهذا خبري فقال له التاجر لقد جنى عليك طمعك الخبيث فاذا علي لو أطلقته وحصلت ما كان عليه من الحلي ثم ان التاجر أرسل الغزال الى ولده مع أحد عبيده وقال للصياد ارجع معي فأرلي الجهة التي رأيت الخشف سعى نحوها فرجع به الى تلك الجهة فسمع من قريب صوته فصاح به التاجر فعرف الخشف صوته فصوت فسمع التاجر الصوت فأدركه فاذا هو في ذلك الاخدود ملفى فاخذوه ووهب التاجر للصياد ما رضي به وصرفه ورجع التاجر بالخشف الى ولده فكملت مسرة الغلام وجعل الخشف يجتنب الغزال الكبير اذا رآه ولا يألفه فتنغصت مسرة الغلام لذلك وجهد أهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الخشف والغزال فلم يقدروا على ذلك فبينما الخشف نائم في كناسه اذ دخل عليه الغزال فأيقظه وعاتبه على نفاره منه فقال الخشف أما أنت الذي غدرت وقد علمت احتيالي في غربتي الى معاونتك فقال له والله ما أخرني عن ذلك الا وقوعي في شرك الصياد وقص عليه القصة فقبل عذره وعاد الى الالفة كما كانا فلما سمع عين أهله خطاب الظبي وفهم كلامهما عن عجزها في تخليصه أمسك عن خطابها قيل فلما انتهى وزير سابور من حديثه الى هذا الحديث سكت فقال له المطران أيها الحكيم الراهب ما هذا السكوت فقال الوزير قد عاودني ذلك الفتور والذي أجده

وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق فى انتقامه الا أن يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ماهذا الوجوم وعهدى بك خطيبا السنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعى ذكر له عنه انه يميل الى بنى على والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبى أعظم من نقمتك وعفوك أعظم من ذنبى ثم قال

فهبنى مسيأ كالذى قلت ظالما * فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو منك لسوءما * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة وأحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذى فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذى أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى سبيله * واحضر الى الهادى رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا أمير المؤمنين ان اقرارى يلزمنى ذنبا لم أفعله ويلحق بى جرما لم أقف عليه وانكارى رد عليك ومعارضة لك ولكنى أقول

فان كنت تبغى بالعقاب تشفيا * فلا تزهدن عند التجاوز فى الاجر

فقال لله درك من معتذر بحق أو باطل ما أمضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله وركب يوما عمرو بن العاص رضى الله عنه بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للامير فسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم أنا فقام وأخذ بعنان بغلته وقال أصلح الله الامير أنت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب وجهها فقال انى لا أمل دابتى حتى تملنى ولا أمل رفيقى حتى يملنى فقال أصلح الله الامير أما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فمن الام قال على الخمير سقطت أمى النابغة بنت حرملة ابن عزة سبتها رماح العرب فأتى بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان وهبها للعاص ابن وائل فولدت له فجعل لك فجعل فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان أمه كانت بغيا عند عبد الله بن جدعان فوطئها فى طهر واحد أبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت بعد ما افاد عاهرا كلهم فحكمت فيه أمه فقالت هو للعاص لان العاص هو الذى كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بأبى سفيان * وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى اخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه انه دخلت عليه ابنة مروان بن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الامير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم أحد لانكم حاربتم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه ومنعتم الحسن رضى الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضى الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم على بن أبى طالب رضى الله عنه على منابركم وضربتم على بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحد فقالت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر برد أموالها عليها وبالغ فى الاحسان اليها * وكان معاوية رضى الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى وهذه مروءة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك بأست أملك فقال ذاك الذى أعجب أبا سفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شئ جرى بينهما يقول من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن أبى طالب أما بعد يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله الى أن يغيب فى الثرى فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أنى * أرى أن لا أراك ولا تراني
ولست أقول سوأ فى صديقى * ولكنى أصد اذا جفانى

فى أعضائى فقال المطران لا تفعل فان ذلك يشق على فقال الوزير نعم افعل ذلك طلبا لمرضاتك ثم اندفع يحدثه قال وبات عند أهله تلك الليلة فى أضيق الاحوال ولما أصبح دخل عليه الذئب فنال منه وهدده بالقتل وخرج من عنده فجعل يعلل نفسه بقية نهاره وعينها بالفرج فلما أقبل عليه الليل استوحش وانتظر أن تجلس اليه العجوز وتحادثه فلم تفعل فأيقن بقتله فى تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى مضى جانب من الليل ثم قال للعجوز لم أحظ فى هذه الليلة بمؤانستك فقالت له قد جرحت قلبى لقولك لى هان على الطارق ما لقى الاسير ولو اعتبرت بأطن حالى لعلمت أن أمرى أشد من أمرك فاستمع لى أحدثك اعلم أيها الفتى أنى كنت زوجة لبعض الفرسان وكان لى محيا فكنت معه فى أرغد عيش وولدت له أولادا كثيرة فغضب الملك على زوجى لامر كان منه فقتله وقتل أولادى الذكور وهو يعنى أبا وبناتى فاسترقانى هذا الغارس الذى عداعليك واحتملنى الى هذه البلدة وأساء الى وكلفنى من العمل مالا أطيق ولى معه على هذه الحالة سبع سنين ثم فررت منه فظفر بى فقطع يدى وعاود عسفى ومضرتى وقد عزمت على تخليصك الليلة وما أشك انه يقتلنى وجل قصدى ذلك لاجل الراحة مما نافيه ولاجل ذلك أنا أكثر الدخول والخروج اليك وأنا فى غاية الحيرة من الفزع والجزع ثم انها قامت فيودعين أهله وقطعت وثاقه وتناولت سكينا لقتل نفسها فقال لها عين أهله ان تركتك تقتلين نفسك فقد شاركتك

فركب اليه معاوية رضي الله عنه وناشده في الصفح عنه واستعطفه حتى رجع (وحكى) عنه رضي الله عنه انه لما ولي الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعده في مراده القدر المقدور واستحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا في القول الصحيح والمريض وآل حديثهم الى من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي كانت تتعمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب على تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضي الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون علي فيها قالوا لو أشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضي الله عنه بئسما أشرتم به وقبحا لما قلتم أيحسن أن يشتهر عني انني بعد ما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وقف اصحابها اني اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة ان أنفذ الى الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأ عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنار ثغة عن الطاعة فحملها في هودج وجعل غشاءه خزا ممطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قدمات الرأس ويتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لكن أبوك فلقد سمعتك تقولين أيها الناس ان المصباح لا تضيء في الشمس وان الكواكب لا تضيء مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابها قصيرا يا معشر المهاجرين والانصار فكانكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فأنه لا يستوي الحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر ألا وان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة اثنوا الحرب غيرنا كصين فهذا يومه ما بعده يا زرقاء اليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرني قولك وأني لي بتصديقه فقال لها معاوية والله لو فاوكم له بعد موته أنجب الى من حبكم له في حياته فاذكري حوائجك تقض فقالت يا أمير المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا بعدي حاجة فقال قد أشار علي بعض من عرفك بقتلك فقالت لئم من المشير ولو أطعته لشارك ته قال كلا بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا وتجاوز زمن أساء وأعطى من غير مسئلة قال فاعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها سالمة وكتب الى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول له فيه أما بعد يا معاوية ان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانهم عن ذلك والا كان لي ولك شأن والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بني ماترى قال أرى أن تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بني ثم أخذ رقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد وقفت على كتاب ولد

في دمك وانتزع السكين من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي نجتمعا أو نعطب معا فقالت ان كبر سني وضعف بصري يمنعاني من اتباعك فقال لها عين أهلها ان الليل متسع والموضع الذي أنا فيه قريب ولي قوة على حملك فقالت له العجوز اذ عزمت على هذا فاني لا أحوجك الى حملي وخرجا معا فلم ينقض الليل حتى بلغا حيث أمنا فجزاها عين أهله خيرا على ما صنعت واتخذها أما فهذا ما بلغني من ذلك فقال المطران ما أعجب أحاديثك أيها الحكيم ولقد وددت اني لا أفارقك أبدا ونهض كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل أمثاله ففهم أن الخشف مثل لسابور وأن الغزال الكبير مثل للوزير وأن خروج الخشف مع الغزال الى الصحراء وحصول الخشف في الاخدود مثل لصحبة سابور وزيره حتى حصل سابور في حبس قيصر وأن نفار الخشف عن الغزال لسوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن استنقاذه وتحقق أن الوزير قد عزم على خلاصه والخروج به الى المدينة ليلا وأن المدينة قريبة منهما وأنه يحمله ان عجز عن المشي فأيقن سابور بالفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ بها الطعام للطران وبها الموكلون بقيد سابور نائمون ينتظرون الطعام فتحيل الى أن ألقى في الطعام مرقدا قوي الفعل ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير بأكل زاده على ما جرت به العادة فلم تكن الا ساعة حتى صرع القوم فبادر الوزير الى فتح باب البقرة واستخراج سيده

حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى ماساءه والدنيا بأسرها هينة عندى فى جنب رضاه تركت عن أرضى لك فاضفها الى أرضك فما فيها من العبيد والاموال والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على كتاب معاوية رضى الله عنه كتب اليه قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقر أمر مى به الى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يابنى من عفا سادومن حلم عظم ومن تجاوز استمال اليه القلوب فاذا ابتليت بشئ من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء * ولما دخل الفيل دمشق واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية فى مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر فى بعض الحجر من قصر رجلا مع بعض حرمه فأتى لحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له ياهذا فى قصرى وتحت جناحى تهتك حرمتى وأنت فى قبضتى ماحملك على هذا قال فبهت الرجل وقال حملك أوقعنى فقال له معاوية فان عفوت عنك تستر هاعلى قال نعم فعفا عنه وخلى سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجانى ومعاوض قول الشاعر

اذا مرضنم أتينا كم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وحكى) عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال مارأيت رجلا أربط جاشا وأثبت جنانا من رجل سعى به الى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمر نى باحضاره فاحضرته اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى عندك لبنى أمية فاخرج لنا منها وأحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال ياأمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال فاطرق المنصور وتفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقوقهم وأريد أن آخذ ماظلموا المسلمين فيه فاجعله فى بيت أموالهم فقال ياأمير المؤمنين فتحتاج الى اقامة بينة عادلة أن مافى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يار بيع ماأرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شئ وما يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتى ياأمير المؤمنين أن تجمع بينى وبين من سعى فى الملك فوالله الذى لا اله الا هو مافى يدى لبنى أمية مال ولا وديعة ولكنى لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه قابلت بين هذا القول الذى ذكرته الآن وبين ذلك القول الذى ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يار بيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى اختلس لى ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف من طلبى له فسعى بى عند أمير المؤمنين قال فشد د المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وانه أخذ المال الذى ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع فى يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته الثلاثة آلاف التى أخذها وثلاثة آلاف أخرى ادفعها اليه فقال له المنصور ماعلى مافعلت من مزيد قال بلى ياأمير المؤمنين ان هذا كله لقليل فى مقابلة كلامك لى وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول مارأيت مثل هذا الشيخ يار بيع وغضب الرشيد على حميد الطوسى فدعا له بالنطع والسيف فبكى فقال له مايبكيك فقال والله ياأمير المؤمنين ماأفزع من الموت لانه لابد منه وانما بكيت أسفا على خروجى من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط على فضحك وعفا عنه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع * وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لى بك حرمة قال وماهى قال ان أبى جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يامولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فردزياد كمه على فمه فضحك وعفا عنه * وأمر الحجاج بقتل رجل فقال أسألك بالذى أنت غدا بين يديه أذل موقفا منى بين يديك الا عفوت عنى فعفا عنه ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الاشعث أتى رجل من بنى تميم فقال والله ياحجاج لان كنا أسأنا فى الذنب ما أحسنت فى العفو فقال الحجاج اف لهذا الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى

وأزال الجامعة عن عنقه ويديه وتلطف حتى أخرجه من عسكر قيصر وقصد به المدينة فانتهيا معا الى سورها فصرخ بهم الموكلون فتقدم الوزير اليهم وأمرهم بخفض أصواتهم وأعلمهم بسلامة الملك ثم عرفهم نفسه فابتدروا لهما وأدخلوهما المدينة فقويت نفوس أهلها وأمرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وأمرهم أن يأخذوا أهبتهم فاذا ضربت نواقيس النصارى الضرب الاول يخرجون من المدينة ويفترقون على عسكر الروم فاذا ضربت النواقيس الضرب الثانى يحملون بأجمعهم فامتثلوا أمره ثم ان سابور انتخب كتيبة عظيمة فيها مجعان أسارير تهووقف معهم مما يلى الجهة التى فيها أخيمة قيصر فلما ضربت النواقيس الثانى حملوا من كل جهة وقصد سابور أخيمة قيصر ولم يكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم وسد أبوابهم فما شعر واحتى دهمهم وأخذ سابور قيصر أسيرا وغنم جميع مافى عسكره واحتوى على جميع خزائنه ولم ينج من جنوده الا اليسير ثم عاد سابور الى مدينته ودار مملكته فقسم تلك الغنائم بين أهل عسكره وأحسن الى حفظة ملكه وفوض جميع أموره الى الوزير ثم انه أحضر قيصر فلاطفه وأكرمه وقال له انى مبقى عليك كما أبقيت على وغير مجازلك على التضييق ولكن آخذ لك باصلاح ماأفسدت من جميع ملكى فتبنى ماهدمت وتغرس جميع ماقلعت وتطلق كل ماعندك من أسارى الفرس فضمن له جميع ذلك ورفى به فلما تم سابور ماأراد من ذلك كله أحسن الى

سبيله * وكان ابراهيم بن المهدي يقول والله ما عفا عني المأمون تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن بله سوق في العفو بكره أن يكون تكسد بقتلي * وسئل الفضل عن القدوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان وفي بعض الكتب المنزلة ان كثرة العفو زيادة في العمر وأصله قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقال يزيد بن مزيد أرسل الي الرشيد ليلا يدعوني فأوجست منه خيفة فقال له أنت القائل أنا ركن الدولة والثائر لها والضارب أعناق بغاتها الا أم لك أي ركن وأي ثائر أنت قلت يا أمير المؤمنين ما قلت هذا انما قلت أنا عبد الدولة والثائر لها فاطرق وجعل يحك غضبه عن وجهه ثم فحل فقلت أحسن من هذا قولي

خلافة الله في هرون ثابتة * وفي بنيه الى أن ينفخ الصور

فقال يا فضل اعطه مائتي ألف درهم قبل أن يصيح * وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال ما أقبح بي أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة وجهك هذا الذي يستضاء به ذا تعلق بأطواقك وأقول أي رب سل مصعبا لم قتلني فقال اطلقوه فلما أطلقوه قال أيها الامير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيشي قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فقال

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولولم يكن ذنب لما عرف العفو

وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا فلما صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله فعفا عنه وأمر له بصلة وقال الحسن ان أفضل رداء تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك أحسن من برد الحبر وفيه قال أبو تمام

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه * بكفيك ما ملريت في أنه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته أشد علي من كلامه (شعر)

اذا كنت تبغي شيمة غير شيمة * طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب * وفي التوراة اذكرني اذا غضبت أذكرك اذا غضبت فلا أمحقك فيما أمحق واذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتي فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فأندرعينها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يباعدني من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب أضاع الارب قال أبو العتاهية

ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم * عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب

وقال أبو هريرة رضي الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالمرء اثما ان يقال له اتق الله فيغضب ويقال عليك نفسك * وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامل من عماله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فأحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فأعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبي فقم الى هذه الصحيفة وناولنيها وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبي فناولنيها وكان في الاولى قصرفما أنت وهذا الغضب انك لست بإله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذاك روى انه أنشد مروان وكان الشعبي أولع شيء بهذا البيت

ليست الاحلام في حال الرضا * انما الاحلام في حال الغضب

قيصر وأطلقه وجهزه الى دار ملكه واستقر قيصر على مهادنته والانقياد الى طاعته انتهى (ومن لطائف المنقول قصة أن زينب بنت اسحق زوج عبد الله بن سلام والبا بالعراق من قبل معاوية وكانت أزينب بنت اسحق زوجا له وهي من اجمل نساء عصرها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قد هام بجمالها وأدبها على السماع وربما بلغه عنها من حسن الخلق والخلق وفتن بها فلما عيل صبره خص بسره خصيصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شدة شغف يزيد بها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمرها فبث له شأنه فقال معاوية مهلا يا يزيد قال علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الامل فقال معاوية وأين حجابك ومروأتك فقال له يزيد قد عيل الحجى ونفد الصبر قال له يا بني ساعدني على أمرك بالكتمان والله بالغ أمره وكانت أزينب بنت اسحق قد سارت بذكر جمالها الركبان وضربت بها الامثال فأخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه فكتب الى عبد الله بن سلام يستحثه على الحضور ولصحبة عيناله وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبد الله بن سلام الشام أعده معاوية منزلا حسنا ونقله اليه وبالغ في اكرامه ثم قال لابي هريرة وأبي الدرداء ان ابنتي قد بلغت وأريد نكاحها وقد رضيت عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وأدبه وقد كنت جعلت لها في نفسها

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء * وروى ملأه الله أمنا وايمانا * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فأخذت السوط ومضت خلفه حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت ماتركت التقوى أحدا يشفى غيظه * وقال أبو ذر لغلامه لم أرسلت الشاة على علف الفرس قال أردت أن أغيظك قال لأجمعن مع الغيظ أجرا أنت حر لوجه الله تعالى * واستأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فقالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها بل السام عليكم واللعنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك بن مروان اعرابى يقال له حزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حزة من السجن يقول (شعر)

يدى يا أمير المؤمنين أعيذها * بعفوك ان تلقى مقاما يشينها
فلا خير فى الدنيا وكانت خبيثة * اذا ماشمال فارقتها يمينها

قال فأبى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه أم حزة وقالت يا أمير المؤمنين بنى وكاسبى وواحدى فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التى تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله (شعر)

اذا ماطاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق
فلست اذا أخاك صفوت صفح * ولا لاخ على عهد رثيق
اذا أزل الرفيق وأنت ممن * بلا رفق بقيت بلا رفيق
اذا أنت اتخذت أخا جديدا * لما أنكرت من خلق عتيق
فما تدرى لعلك مستجير * من الرمضاء فر الى الحريق
وكم من سالك الطريق أمن * أتاه مايحاذر فى الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له ياهذا لا تغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعا فانى أبيت مشاتمة الرجال صغيرا فان أجيبها كبيرا وانى لا أكافئ من عصى الله فى بأكثر من ان أطيع الله فيه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله عنه أن غلامه وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمات أقولها قال قل فأنشأ يقول

زعموا بأن الصقر صاد فى مرة * عصفورة رزق ساقه التقدير
والصقر منقض عليه يطير * انى لمثلك لا أتم لقمة * ولئن شويت فانى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (قال الشاعر)

أقر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان
(قال بعضهم) يستوجب العفو المرء اذا اعترف * وتاب عما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف
(وقال آخر) اذا ذكرت أيادى التى سلفت * مع فيض فعلى وزلاتى وتجترمى
أكاد أقتل نفسى ثم يدركنى * علمى بأنك مجمول على الكرم

وروى ان عمر رضى الله عنه رأى سكران فأراد أن يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبنى فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسى فلا أحب أن أضرب مسلما لحمية نفسى * وغضب المنصور على رجل من الكتاب فأمر بضرب عنقه فأنشأ

شورى ولكن أرجوان لا تخرج
عن رأيى ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذى قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك عبد الله ابن سلام وانكاسى اياك منه وحضاك على المسارعة الى رضائى ففعلى لهما عبد الله بن سلام كف كريم غير أن تحته أريب بنت اسحق وأنا خائفة أن يعرض فى من الغير ما يعرض للنساء ولست بفاعلة حتى يفارقها وأما أبو الدرداء وأبو هريرة فانهما لما وصلا الى عبد الله بن سلام أعلماه بما قال لهما معاوية فردهما خاطبين عنه فلما مثلا بين يدى معاوية قال انى كنت أعلمتكما انى جعلت لهما فى نفسها شورى فادخلا عليها وأعلماها بما رأيت لهما فدخلا عليها وأعلماها بذلك فأبدت ماقرره أبوها عندهما من قبل فعادا الى عبد الله بن سلام فأعلماه بذلك ففهم المراد وأشهدهما عليه بطلاق أريب وبعثهما اليه خاطبين فلما دخلا على معاوية أعلماه بطلاق أريب فأظهر معاوية كراهية ذلك وقال ما استحسنت طلاق زوجته ولا أحببته فانصرفا فى عافية وعودا الينا وكتب الى ابنته يزيد علمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لأريب بنت اسحق وعاد بعد ذلك أبو الدرداء وأبو هريرة الى معاوية فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها وهو يقول لم يكن لى أن أكرهها وقد جعلت الشورى فى نفسها فدخلا عليها وأعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته

يقول وانا الكاتبون وان أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه وخلى سبيله وأكرمه * وقال الرشيد لاعرابي بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لامنان اذا وهب ولاحقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضي اللسان قال فأومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه في هذا الكلب لاستحق بها السودد * وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا * وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فان قال صنت عن * اجابته نفسي وان لام لائم
وأما الذي مثلي فان زل أوهفا * تفضلت ان الحر بالفضل حاكم

وقال الاحنف بن قيس لابنه يا بني اذا أردت ان تؤاخي رجلا فاغضبه فان أنصفك والا فاحذره (قال الشاعر)

اذا كنت محتصا لنفسك صاحبا * فمن قبل أن تلقاه بالود اغضبه
فان كان في حال القطيعة منصفا * والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد (قال الشاعر)

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لاصفح ذل ولكن صفح اكرام

(وقال آخر) وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف ايا كم ورأى الاوغاد قالوا وما رأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا * وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لامعي وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال له ياهذا ان كان قد بقي معك شئ فهات وقله ههنا فاني أخاف أن يسمعك فتيان الحي فيؤذوك ونحن لانحب الانتصار لانفسنا وقال لقمان لابنه يابني ثلاثة لايعرفون الا عند ثلاثة لايعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه ومن أشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

(وقال آخر) واذا بغى باغ عليك بجهله * فأقتله بالمعروف لا بالمنكر

(وقال آخر) قل ما بدا لك من صدق ومن كذب * حلمي أصم واذني غير صماء

ويروى في بعض الاخبار ان ملكا من الملوك أمر أن يصنع له طعام وأحضر قوما من خاصته فلما مد السماط أقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من صرق الصحن شئ يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال أيها الملك انما صنعت هذا تمحضا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبي الذي تقتلني به فتله في ذنب خفيف لم يضره واخطأ فيه العبد ولم يقصد فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال فاطرق الملك مليا ثم رفع رأسه اليه وقال يا قبيح الفعل احسن الاعتذار قد وهبتك قبح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ﴿وحكى﴾ عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الآفاق بعقوه ورجحانه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدي عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق

فلما

ليسراها بذلك وذكر افضله وشرفه وكرمه ومروأته فقالت جف القلم بما هو كائن ولا أذكر شرفه وفضله واني سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ولا قوة الا بالله

فان يك صدر هذا اليوم ولى

فان غدا الناظره قريب

ثم تزايد حديث الناس بطلاق أربب وخطبة ابنه معاوية واستحث عبد الله أبا الدرداء وأبا هريرة فأتياها فقالا لها اصغي ما أنت صانعة واستخيري الله فقالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد اختار لي ذاته لا بكل الى غيره وقد سبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فنهم الناهي عنه والآمر به فلما بلغه كلامها علم انها حيلة وانه مخدوع وقال متعزيا ليس لامر الله راد ولعل ما صار اليه لا يدوم لهم مسروره قال وداع أمره وفشا في الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته الغرض ابنه بئس ما صنع ثم ان معاوية بعد انقضاء أيامها المعلومة توجه أبا الدرداء الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وهو يومئذ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال أبو الدرداء اذا قدم العراق ما ينبغي لذي عقل أن يبدأ بشئ قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة اذا دخل موضعا وفيه فقصد الحسين رضي الله عنه فلما رآه قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته لجده صلى الله عليه وسلم وقال ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أربب بنت اسحق فرأيت على حقا أن لا أبدأ بشئ

فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم بن المهدى وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم أحضر حتى وقف بين يدى المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما انتقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثار محكم فى القصاص العفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الابيات

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه * فخذ بحقك أولا
فاصفح بعفوك عنه * ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع فى عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى أعظم مما تحاول وأكثر مما تأمل ولقد حبب الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه لاثوبن عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع عليه ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فان يجد تلك ما أوليت من كرم * انى لبالؤم أولى منك بالكرم

وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره أن يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلنى فوالله انى لاعول أربعا وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا بنته فاسمع يا حجاج منى ما أقول ثم قالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة * ولما قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذى يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخى لك وجه عند هذا الامير فاستأذن لى عليه فاستأذن فأذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضى الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى * وحكى * أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل ابن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل فشرع فى ان يزن له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فطرق الفضل برأسه ثم قال للوكيل أندرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فأسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له ستر تنى ستر الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان أن يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتفى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما وأحسنهم خلقا وأكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزا وصفحا وأبرهم للمعتر عليه فجعانا الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك وأثنى عليه وقال لقد ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها اذا انقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله على وعليه وهى أمانة فى عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مخلص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يعيبك ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الامة وابن ملكها وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من أقر به من أمته وسيد شباب أهل الجنة فاختارى أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو جاءنى هذا الامر وأنت غائب لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه مرأيك فاما اذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى فيه بعد الله اليك وجعلته فى يديك فاخترلى أرضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس أمرهما عليك خفيا فقال أبو الدرداء أيتها المرأة انما على اعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك أداء الامانة فلم يحر جوابا من القول فقال يا بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى فى ذلك وأرضى عندى

﴿وأما ما جاء في العتاب﴾ فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ (شعر)

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من * يدي غلهما غيظا الى عنقي
واستعير له من سطوتي حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وذم بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت في سفر ومعي رجل من الاعراب فلما كان في بعض المناهل لقيه ابن عمه فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحي ففال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجني والتجني يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير في شيء يثمرته العداوة وقال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة ما بين المحبين في الهوى * عتابهم في كل حق وباطل

وعتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول

عرضنا أنفسا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان

(وقال آخر يعاتب صديقه)

وكنت اذا ما جئت أدنيت مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة * الي بها في سالف الدهر تنظر

(وقال أبو الحسن بن منقذ)

اخلاقك الغر السجايا يا مالها * حملت قذى الواشين وهي سلاف
ومرآة رأيك في عبيدك مالها * صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه حط عليه

اقرأ كتابك واعتبره فربما * فكفى بنفسك لي عليك حسيبا
أكذا يكون خطاب اخوان الصفا * ان أرسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ما كان عذري ان أجبت بمثله * أو كنت بالعتب العنيف مجيبا
لكنني خفت انتقاص مودتي * فيعد احساني اليك ذنوبا

(وقال آخر) أراك اذا ما قلت قولا قبلته * وليس لا قوالي لديك قبول
وما ذاك الا أن ظنك سيء * بأهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحما سي تأثما * بنفسك عجبا وهو منك قليل
وتنكران شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فنالته اضاقة ثم ولي عملا فأثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب اليه

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة * فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

(وقال آخر في المعنى) دعوت الله ان تسمو وتعلو * علو النجم في أفق السماء
فلما ان سموت بعدت عني * فكان اذا على نفسي دعائي

وكان ابن عرادة السعدي مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت على سلم فلما فقدته * وصاحبت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تجريب غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

وقال

والله أعلم وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفيته على شفتي الحسين فضمي شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن علي عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما وبلغ معاوية ما فعله أبو الدرداء فعظم عليه وقال من يرسل ذا له وعمى ركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقها اياها اذهبا وكان معاوية قد أطرحه وقطع عنه جميع وارده لقوله انه خدعه حتى طلق امرأته فلم يزل يجفوه حتى قل ما يبذله فرجع الى العراق فلما قدمها لقي الحسين فسلم عليه ثم قال لقد علمت ما كان من خبري وخبر أزينب وكنت قبل فراقي اياها استودعتها مالا وكان الذي كان ولم أقبضه ووالله ان ظني بها جميل فذاكرها في أمري فان الله يجزيك يدا حرك فسكت عنه فلما انصرف الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك في دينك وحسن صحبتك فسرني ذلك وأعجبني وذكر أنه استودعك مالا فما قالت صدق استودعني مالا لا أدري لمن هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى عليها الحسين خيرا وقال ألا أدخله عليك حتى تبرئي منه ثم لقي عبد الله فقال ما أنكرت مالك وزعمت انه كمد فدفعته اليها بطابعك فادخل ياهذا اليها واستوف مالك منها بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأخرجت اليه البدر فوضعها بين يديه وقالت له هذا

وقال مسلم بن الوليد ويرجعني اليك اذا نأيت بي * ديارى عندك تجربة الرجال

(وقال أبو الحسن القابسي)

اذا أنا ماتت المسئول فاغا * أخط بأقلامي على الماء أحرفا

وهبه از عوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه معاتبة الصديق أهون من فقده وما أحسن ما قيل في العتاب

وفي العتاب حياة بين أقوام * وهو المحك لذي لبس وابهام

فما تم شيء أحسن من معاتبة الاحباب ولا الذم مخالطة ذوي الباب والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم﴾

أرجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذي من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا والآيات في ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * وروى في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد محابة والانجاز مطرها وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

اذا قلت في شيء نعم فأتمه * فان نعم دين على الحر واجب

والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

(وقال آخر)

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

فلا تعدن عدة الا وفيت بها * واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل وعد اللئيم مطل وتعليل وقال اعرابي أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل ومدح بشار خالد بن برمك فأمر له بعشرين ألفا فبطأت عليه فقال لقائده أفي حيث يعرف أقامه فرفأخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول

أظلت علينا منك يوما سحابة * أناءلها برق وأبطا رشاشها

فلا غيمها يجلي فييأس طامع * ولا غيثها يأتي فترعى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمي

لئن جم الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل

ولا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وقيل مات للهذلي أم ولد فأمر المنصور الربيع أن يعزيه ويقول له ان أمير المؤمنين موجه اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصلة فلم يزل الهذلي يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسيه المنصور لحج المنصور ومعه الهذلي فقال المنصور وهو بالمدينة اني أحب أن أطوف الليلة المدينة فاطلب لي من يطوف بي فقال الهذلي أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص

يا بيت عاتكة الذي أتعزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

اني لامنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لأميل

مالك فشكر وأنني فخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثا لهما من ذلك جانبا كبيرا وقال لهما والله هذا قليل مني فاستعبرا حتى علت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقدرق لهما ثم قال أشهد الله انها طالق ثلاثا اللهم أنت تعلم انني لم استنكحها رغبة في مالها ولا في جمالها ولكني أردت احلالها لزوجها فطلقها ولم يأخذ شيأ مما ساق لها في مهرها بعد ما عرضته عليه وقال الذي أرجوه من الثواب خير لي فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله بن سلام وعاد اليه ما كانا عليه من حسن الصحبة الى ان فرق الموت بينهما هكذا نقله ابن بدرون في تاريخه والله أعلم (ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الامير بدر الدين أبي المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى لي الامير شجاع الدين محمد الشيرازي متولي القاهرة في الايام الكاملية سنة ثلاث وستمائة قال بتنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فأكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له أولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء أولادك فقال نعم وكاني بكم وقد أنكرتم بياضهم وسوادي فقلنا له نعم قال هؤلاء أمهم أفرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب فقلنا وكيف أخذتها قال حديثي عجيب فلنا لتحدثنا به قال زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار ولم يبلغ الثمن الى أكثر من ذلك فحملته الى القاهرة فلم يصل الى أكثر من ذلك فأشير علي بحمله الى

فذكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذى كان وعده الهرزلى فأنجزه له واعتذر اليه وقال الشاعر

تجمل وعد المرء اكرومة * يتشر عنه أطيب الذكر

والحر لا يطل معروفه * ولا يليق المطل بالحر

(وقال آخر) ولقد وعدت وأنت أكرم واعد * لا خير فى وعد بغير تمام

أنهم على ما وعدت تكرما * فالمطل يذهب بهجة الانعام

(وقال آخر) لعبدك وعد قد تقدم ذكره * فاوله حمد وآخره شكر

وقد جمعت فيك المكارم كلها * فمالك عن تأخيره مكرمة عذر

(وقال آخر) وميعاد الكريم عليه دين * فلا تزد الكريم على السلام

يذكره سلامك ما عليه * ويغنيك السلام عن الكلام

(وقال آخر) شكا لك لسانى ثم أمسكت نصفه * فنصف لسانى بامتداحك ينطق

فان لم تنجز ما وعدت تركتنى * وباقى لسانى بالمذمة مطلق

(وقال آخر) باتت لوعدك عينى غير راقدة * والليل حتى الدياجى منه السحر

هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من هجر على حذر

(وقال آخر) تذكر بالرقاع اذا نسينا * ويأبى الله أن تنسى الكرام

(وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم) فقد نقل فيه من عجاب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السامع ويشنف المسامع كقضية الطائى وشريك ثم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل يوما من يوم بؤس من صادفه قتله وأراد به يوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائى قد رماه حدث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيأ لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان فى يوم بؤسه فلما رآه الطائى علم انه مقتول وان دمه مطلول فقال حيا الله الملك ان لى صبية صغارا وأهلا حياعا وقد أرقت ماء وجهى فى حصول شئ من البلغة لهم وقد أقدمنى سوء الحظ على الملك فى هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال فى قتلى بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لى فى أن أوصل اليهم هذا القوت وأوصى بهم أهل المروأة من الحى لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود الى الملك وأسلم نفسى لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمنك رجل معناف ان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدى ابن شرحبيل ندمائ النعمان معه فالتفت الطائى الى شريك وقال له

يا شريك بن عدى * ما من الموت انهزام * من لاطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام

بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام * يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام

يا أخا النعمان جدلى * بضمان والتزام * ولك الله بانى * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى أصلح الله الملك على ثمانه فر الطائى مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتى المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك فم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو ان يكون الطائى فان لم يكن فأمر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك واذا بالطائى قد اشتد عدوه فى سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت ان ينقضى النهار قبل وصولى ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أنجب منك أما أنت يا طائى فما تركت لاحد فى الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به

الشام لحملته فازاد على تلك القيمة شيأ فوصلت به الى عكا فبعت بعضه بالاجل والبعض تركته عندى واكتريت حانوتا أبيع فيه على مهلى الى حيث انقضاء المدة فبينما أنا أبيع اذ مرت بى امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب فأتت تشترى منى شيأ فرأيت من جمالها ما بهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الى بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الاولى فتكررت الى وعملت انى أحبها فقلت للعجوز التى معها انى قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة فقالت لها ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أو انت وهو فقلت لها قد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على ان أدفع خمسين دينارا صورية فتوزنها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك فضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلواء فجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فى نفسى أما تستحى من الله وأنت غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم انى أشهدك انى قد عففت عنها فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم غت الى الصبح فنامت الى الصبح وقامت فى السحر وهى غضبى ومضت ومضيت أنا الى حانوتى فجلست فيه واذا هى قد عبرت على هى والعجوز وهى مغضبة وكأنها القمر فهلكت فقلت فى نفسى من هو أنت حتى تترك هذه البارعة فى حسنها ثم لحقت العجوز وقلت ارجعى فقالت وحق المسيح ما أرجع اليك الا بمائة دينار فقلت نعم رضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندى لحقتنى الفكرة

وأما أنت ياشريك فما تركت لكريم مساحة يذكر بها فى الكرم فلا أكون أنا الأم الثلاثة الاولى قد رفعت يوم بؤسى عن الناس ونقضت عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم شريك فقال الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى * فعددت قومهم من الاضلال
انى امرؤ منى الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال ديني فمن لا وفاء فيه لا دين له فأحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما الى أهله وأنالة ما تمناه (ومن ذلك) ماحكى أن الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر جميل الى ولد أبى طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شئ من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فأستحضر شخصا وجعله فى زى الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط أهلها وادخل دكاكيرها واسألهم الى القاسم بن محمد العلوى واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوى واكشف لى باطنه وابحث عن دفين نيته وائتنى بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمر به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس فى مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ماقصدته فهات ماعندك فقال ولى الامان قال نعم فأظهر له ما أراده ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أوتنصفنى فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فيجب على وأنا فى هذه الحالة التى تراها من الحكم والنعمة والولاية ولى خاتم فى المشرق وخاتم فى المغرب وأمرى فيما بينهما مطاع وقولى مقبول ثم انى ألتفت يمينا وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فائضا على أفتدعونى الى الكفر بهذه النعمة وتقول أغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتنى الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء به فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فأرحل من هذا البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فأخبره بصورة الحال فسره ذلك وزاد فى احسانه اليه وضاعف انعامه عليه (وعما) يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم ما رواه حمزة بن الحسين الفقيه فى تاريخه قال قال أبو الفتح المغطيق كنا جلوسا عند كافور الاخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا ونحن نصرف فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجارين وسلوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فأحضروه وان كان قد توفى فسلوا عن أولاده واكشفوا أمرهم قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما متزوجة والاخرى عاتق فرجعنا الى كافور وأخبرناه بذلك فصير فى الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطاهما الاجزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لا فقال اعلموا انى مررت يوما بوالدهما المنجم وأنا فى مملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة رثة فوقف عليه فنظر الى واستحلبنى وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب منى شيأ فأعطيته درهمين كانا معى ولم يكن معى غيرهما فرمى بهما الى وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرنى اذا صرت الى الذى وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدنى انك تفى لى ولا يشغلك ذلك عن افتقادى فعاهدته ولم يأخذ منى الدرهمين ثم انى شغلت عنه بما تجدد لى من الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعى ثم عبرت بعد ذلك على وكانت مستعربة فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بى عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كذا فارتعدت لذلك وعزمت انى أصرف عليها ثمن الكتان جميعه فبينما أنا كذلك والمنادى ينادى معاشر المسلمين ان الهدنة التى بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عنى وأخذت أنا فى تحصيل ثمن الكتان الذى لى والمصالحة على ما بقى منه وأخذت معى بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفى قلبى من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله بكسب وافر وأخذت أتجر فى الجوارى عسى يذهب ما بقلبى من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب منى جارية للملك الناصر فأحضرت جارية حسناء فاشتريتها منى بمائة دينار فأوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يلتفتوها فى الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق جميع الاموال فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخزانة التى فيها السبى من نساء الافرنج لخبروها فى واحدة منهن يأخذها بالعشرة الدنانير التى له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتى الافرنجية فقلت أعطونى هاتيك فأخذتها ومضيت الى خيمتى وخلوت بها وقلت لها أتعرفيننى قالت لا فقلت أنا صاحبك التاجر الذى جرى لى معك ما جرى وأخذت منى

الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم وقعت رأيته في المنام قد دخل علي وقال لي أين الوفاء بالعهد الذي بيني وبينك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد في احسانه الى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده والله أعلم (وما سفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات في الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضرب به الامثال في الوفاء بالاتفاق) حديث السموأل بن عاديا وتلخيص معناه ان امرأ القيس الكندي لما أراد المضي الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل درعا وسلاحا وأمتعة تساوي من المال جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والاسلحة المودعة عند السموأل فقال السموأل لا أدفعها الا لمستحقها وأبى ان يدفع اليه منها شيأ فعاوده فأبى وقال لا أغدر بذمتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء الواجب علي فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل في حصنه وامتنع فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معي فان سلمت الي الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموأل ما كنت لاخفر ذمامي وأبطل وفائي فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال في الوفاء تضرب بالسموأل واذا مدحوا أهل الوفاء في الانام ذكروا السموأل في الاول وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدي المقبوضة عنه بالاحسان اليه (وما) ونع في بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر وتقلقه الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسنة من الاواخر مرواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فانه قد بلغني أن شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلي ودينار حتى تراه هذه الحرابات فاستتر واختلف بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فأتوني به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الحرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها ورددها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي وصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم مر بنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم وما تقوله فيهم فقال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندي أيادي خطيرة أفتأذن لي أن أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر ابن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد وزلنا في بعض المساجد فدعوت بثوب بيات لي كنت قد أعددته للاستصباح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم

الذهب وقلت ما بقيت تبصرفني الا بخمسمائة دينار وقد أخذت لك ملكا بعشرة دنانير فقالت مديدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضي فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فتعجب وعقد لي عليها وبانت تلك الليلة عندي فلما حملت مني ثم رحل العسكر وأتينا دمشق وبعد مدة يسيرة أتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا بالاتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي فسألوا عنها واتضح الخبر أنها عندي وطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني وأحضرتها معي بين يدي مولانا السلطان الملك الناصر والرسول حاضر فقال لها الملك الناصر بحضرة الرسول ترجعين الى بلادك أو الى زوجك فقد فككنا أسرك وأسر غيرك فقالت يا مولانا السلطان أنا قد أسلمت وحملت وها بطني كما ترونه وما بقيت الافرنج تنتفع بي فقال لها الرسول أيما أحب اليك هذا المسلم أو زوجك الافرنجي فلان فاعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجتك فوليت بها فطلبني ثانيا وقال ان أمها أرسلت معي وديعة وقالت ان ابنتي أسيرة وأشتهي أن توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار وفتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هما ربطتي لم يتغيروا وهؤلاء الاولاد منها وهي

ودخلت شوارع بغداد أسائل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني لانهم لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعد نامائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد عذر خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار بنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين مل مكي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الى ورائي مخافة ان أمنع من الذهاب بها فمنعنا أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني اذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فأتى به فقال له يا بني هذا رجل غريب خذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى علي يدي وأدخلني الى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في الذعيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام فلما كان الغد تسلمني أخوه أحمد ولم أزل في أيدي القوم يتداولونني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الاموات هم أم في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه حماعة من الخدم فقلت والى قم فأخرج الى عيالك بسلام فعلمت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالي على هذه الحالة الله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونكهات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها مما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دور هم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم أمير المؤمنين الرشيد أجحفني عمرو بن مسعدة وأزعجني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلم أتحامل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فاندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي واشكرهم على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتي به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم الزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال ردله كل ما استبد أديته منه في مدته ووقم له بما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لولم آت خرابا تهم فأبكيهم وأبكيهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك وايا هم فاشكر

التي صنعت لكم هذا الطعام

(ومن الطائف المنقول من المستجاد)

قال الواقدي كان ابراهيم بن المهدي قد ادعى الخلافة لنفسه بالري وأقام ملكها سنة واحد عشر شهرا واثني عشر يوما وله أخبار كثيرة أحسنها عندي ما حكاه لي قال لما دخل المأمون الري في طلبي وجعل لمن أتاني بمائة ألف درهم خفت على نفسي وتحيرت في أمري فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدري أين أتوجه فوقفت في شارع غير نافذ وقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت علي أثري يرتاب في أمري فرأيت في صدر الشارع عبدا أسود قائما على باب دار فقدمت اليه وقلت هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر وبساط ووسائد جلود الا أنها نظيفة ثم اغلق الباب علي ومضى فتوهمته قد سعى الجعالة في وانه خرج ليدل علي فبقيت على مثل النار فبينما انا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديدة وجرة نظيفة وكيزان جدد فحط عن الحمال ثم التفت الي وقال جعلني الله فداك أنا رجل حجام وأنا أعلم أنك تتعرف مني لما أتولاه من معيشتي فسألك بحالم تقع عليه يدي وكان بي حاجة الى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر أني أكلت مثلها فلما قضيت أربي من الطعام قال هل لك في شراب فانه يسلي الهم فقلت ما أكره ذلك رغبة في مؤانسته فأتى بقطر مز جديد لم تمسه يد وجاءني بدست شراب مطينة وقال لي روق لنفسك فروقت شرابا في غاية الجود

ولهم فأرق ولا حسانهم فاذكر * وقيل اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه قال الشاعر

سقى الله أطلال الوفاء بكفه * فقد درست أعلامه ومنازله

وقال آخر

اشد يديك بحبل الوفاء * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمي كنت جالسا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكانا يخوضان في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرة فكنت لا أجد عند أحدهما أجود عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا حدث فخلوت معه ليلة فقلت له والله انى لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبال الناس على جلسائك فقال ان تعش قليلا فسترى العيون طامحة الى والاعناق نحوى متطاولة فاذا صار الامر الى فلعلك أن تنقل الى ركابك فلا ملان يديك فلما أفضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآنى أعرض عنى فقلت لعله لم يعرفنى أو عرفنى وأظهر لى نكرة فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرج الحاجب فقال أين مالك بن عمارة فقمت فأخذ بيدى وأدخلنى عليه فدانى منه وقال انك ترائيت لى فى موضع لا يجوز فيه الامار أيت فاما الآن فرحبا وأهلا كيف كنت بعدى فاخبرته فقال لى أتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما هو بعيرات رعيناه ولا أثر رويناه ولكنى أخبرك بخصال منى همت بها نفسى الى الموضع الذى ترى ما خنت ذا ودقط ولا شممت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهى حديثه ولا قصدت كبير من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتى وقد فعل ثم دعا بغلام فقال له ياغلام بوئه منزلا فى الدار فاخذ الغلام بيدى وأفرد لى منزلا حسنا فكنت فى النحال وأنعم بال وكان يسعم كلامى وأسمع كلامه ثم أدخل عليه فى وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتى ويقبل على ويحادثنى ويسألنى مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لى عشرون ليلة فتغديت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أى الامرين أحب اليك المقام عندنا مع النصفة لك فى المعاشرة أو الرجوع الى أهلك ولك الكرامة فقلت يا أمير المؤمنين فارقت أهلى وولدى على أنى أزورأمير المؤمنين وأعود اليهم فان أمرنى أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد فى زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك أترانى قد ملأت يديك فلا خير فيمن ينسى اذا وعد واذا شئت صحبتك السلامة (ومن ذلك) ما روى عن أبى بكار الاعمى وكان قد انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرنى الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده أبا بكار الاعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت فى هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وأقمته وضربت عنقه فقال أبا بكار ناشدتك الله الا ما لحقتنى به فقلت له ما الذى حملك على هذا فقال أغضانى من الناس فقلت حتى أستأمر الرشيد ثم أحضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبى بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع أضمه اليك وانظر ما كان يجرى عليه جعفر فأوفعه اليه وكان يحيى بن خالد اذا أكد فى يمينه قال لا والذى جعل الوفاء أعز ما يرى قال أبو فراس بن حمدان الشاعر

بمن يتقى الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم مهاب

وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانته هشاما عن تدبيره فى الحروب فقال كان رحمه الله تعالى يفعل كذا وكذا فقال المنصور على لعنة الله تطابا سلطى وتترحم على عدوى فقال ان نعمة عدو لك القلادة فى عنقى لا ينزعها الا قاسلى فقال له المنصور ارجع ياشيخ فانى أشهد أنك لوفى حافظ للخير ثم أمر له بمال فاخذه ثم قال والله

وأحضر لى قدحا جديدا وفاكهة وأبقالا مختلفة فى طست خلار جدد ثم قال بعد ذلك أتأذن لى جعلت فداءك أن أقعد ناحية وآتى بشرابى فأشربه مرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثم دخل الى خزانته فأخرج عودا مصفحا ثم قال ياسيدى ليس من قدرى أن أسألك فى الغناء ولكن قد وجبت على مروءتك حرمتى فان رأيت أن تشرف عبدك فلك علوا رأى فقلت ومن أين لك انى أحسن الغناء فقال ياسبحان الله ومولانا شهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون ابن داله عليه مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظم فى عينى ونبتت مروءته عندى فتناولت العود وأصلحته وغنيت وقد مر بخاطرى فراق أهلى وولدى وعسى الذى أهدى ليوسف أهله وأعزه فى السجن وهو أسير أن يستجيب لنا فيجمع شملنا

والله رب العالمين قدير

فاستولى عليه الطرب المفرط وطاب عيشه كثيرا ومن شدة طربه ومروره قال لى ياسيدى أتأذن لى أن أغنى ماسح بخاطرى وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت هذا زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا

فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

وذاك لان النوم يغشى عيونهم

سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا

اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى

جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا

فلو انهم كانوا بلا قون مثل ما

نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فوالله لقد أحسست بالبيت قد سار بى وذهب عنى كل ما كان بى من الهلع

لولا جلالة أمير المؤمنين وامضاء طاعته ما لبست لاحد بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد المهلب في بعض جبابين الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت الينا ثم أنشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه * يحول بهذا القبر يا فتيان
واني لاستحييه والتراب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يراني

(ومن ذلك) ما روى عن نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص الكلبي زوج عثمان رضي الله عنهما ان عثمان لما قتل أصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما يعجب الرجل مني قالوا ثنيا لك فكسرت ثنايا ها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء بني كلب ولما أحس مصعب ابن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زيادة قفص ياقوت قيمته ألف ألف وقال له ائتني بهذا فاخذه زياد ودفعه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك ولما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندي وديعة فامهله حتى آتيك بها فقال أمرعى فان الناس قد كثروا وركان مروان قد جلس لهم بار زاعن داره فمضت الى السوق وأتت الى قصاب فقالت اعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك فاخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت أترانى ياهدبة مترزوجه بعد ما ترى فقال الآن طابت نفسي بالموت جزاك الله من حليلة وفية خيرا (ولنجعل) لهذا الباب من القضايا ختاما هو أوجزها كلاما وأحسنها نظاما وأبينها حكما وأحكاما وهي قضية جمعت الامرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين أحدهما في بعده فغاز ونجا وحاز من مقترحات منائه ما أمل ورجا وغدر الآخر فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا باموره عالما بورود وصدوره فقال ما معناه ان أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فأخذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتي اني آخذ العهد على كل من أصرفه في شيء انه لا يخونني فعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في اشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش ابن طولون يحسن اليه فلما رأى خدمته منصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد في أموره بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتني بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية في مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هو من الامير بمحل قريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن الي وأخذ العهد علي ثم ترك ها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعد ما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للامير فاقامت أياما لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الحسناء الخائنة الحائنة الغادرة العائبة العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة المجدة السعيدة المسعدة الحامدة المحمودة الوصيفة

وسألته أن يغني ففني
تعيرنا انا قليل عديدنا
فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا
عزيز وجارالاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى القتل سبة
اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطول

فدا خلني من الطرب ما لا مزيد عليه الى أن عاجلني السكر فلم استيقظ الا بعد المغرب فعاودني فكري في نفاسة هذا الجام وحسن أديه وظرفه فقمت وغسلت وجهي وأيقظته وأخذت خريطة كانت معتبتي فيها دنانير لها قيمة فوريت بها اليه وقلت له استودعتك الله فانني ماض من عندك وأسالك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي المزيد ان أمنت من خوفي فأعادها علي منكدا وقال يا سيدي ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم آخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي ثمنا والله لئن راجعتني في ذلك لأقتلن نفسي فاعدت الخريطة الى كمي وقد أثقلني حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لي يا سيدي ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس في مؤنتك على ثقلة فاقم عندي الى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل فاقمت عنده أياما على تلك الحالة في ألذ عيش فتذممت من الاقامة في مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقد مضى بحدد لنا حالا وقت فتزينت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف أمر

شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا أنا بموضع مرشوش بماء فبصر بي جندي من كان يخدمني فعرفني فقال هذه حاجة المأمون فتعلق بي فمن حلاوة الروح رفعته هو ورفسه فرميته ما في ذلك الزلق فصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة واقفة في دهليز فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتني الى غرفة مفروشة وقدمت لي طعاما وقالت بهذا روعك فاعلم لك مخلوق واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك فقال ظفرت بالمغني وانفلت مني فاخبرها بالحال فاخرجت خرقا وعصبته بها وفرشت له ونام عليه لا وطلعت الي وقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم قالت لا بأس عليك ثم جددت لي الكرامة وأقمت عندها ثلاثا ثم قالت اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فيتم بك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فأتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننت خيرا فاشعرت الابراهيم الموصلي بنفسه في خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزي الذي أتانيه الى المأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلني الموصوفة الاليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأثرة على تأميره لاتخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى احمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من البكاء بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما يئس مني فعل ما تعلم الامير ذلك استشاط غيظا واغضابا وهم في الحال بقتله ثم عاوده ما كان عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املاه هذا الطبق مسكافاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق واحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شيء ولا هجس هاجس في قلبه فلما مثل بين يدي الامير وأخذ منه الشراب شرع في التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املاه هذا الطبق مسكافاخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة للامير آمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل بها على الامير فادار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املاه هذا الطبق مسكافمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فاخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكره قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه عما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه عما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير أبا الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ما ذكره أحمد فاعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه * فانظر رحمك الله الى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة التلف بعد امضاء القواضب ويقضي بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا في طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته مالا عمل له من بعده وقالوا ليس شيء أرفى من القمرية اذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا زال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿ الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه ﴾

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه عشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز في السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين أي بمتهم وفي الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم ان أمناء الاسرار أقل وجودا من أمناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتمان الاسرار لان أحراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحراز الاسرار بارزة

يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الاسرار أثقل من حمل الاموال فان الرجل يشتغل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه فيضيقه من القلق والكرب ما لا يطيقه من حمل الاثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القلوب أوعية والشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجائب الامور أن الاموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الاسرار فانها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ ما ربه ولو كتمه أمن من سطواته وقال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوي

ولست بمبد للرجال سريرتي * ولا أنا عن أسرارهم بسؤل

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ جهدوا
مازلت أسعى عليهم في ديارهم * والقوم في غفلة بالشأم قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

وأمر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه ومن أحسن ما قيل في كتمان السر قول الشاعر

ولها سر أثر في الضمير طويتها * نسي الضمير بانها في طيه

وقد أجاز الشيخ شمس الدين البدوي فقال

اني كتمت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بخفيه * وحفظت عهد ودادها متمسكا
في حبها برشاده وغيه * ولها سر أثر في الضمير طويتها * نسي الضمير بانها في طيه

وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكأنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير في انسان لا يمسك سره وقال الشاعر

ومستودعي سرا كتمت مكانه * عن الحسن خوفا أن يتم به الحسن
وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لا يبلغ الحسن

(وقال قيس بن الخطيم) أجود بمكنون التلاد وانني * بسري عمن سألني لضنين
وان ضيع الاقوام سري فانني * كتوم لاسرار العشير أمين

(وقال جعفر بن عثمان) ياذا الذي أودعني سره * لاترج أن أسمعه مني
لم أجره قط على فكرتي * كأنه لم يجر في أذني

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أفشيت سري الى أحد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدري به أضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا قال اكتمه على قال الشاعر

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثي * وسرى عنده فأنا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك عند من يستدعيه

اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك فقلت له على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم أنشدت

ذنبي اليك عظيم
وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا
فاصفح بحلمك عنه
ان لم أكن في فعالي
من الكرام فكنه
فرفع الي رأسه فبدرته وقلت
أتيت ذنبا عظيما
وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن
وان جزيت فعدل

فرق المأمون واستر وحت وراجع الرحمة من شمائله ثم أقبل على ابنه العباس وأخيه أبي اسحق وجميع من حضر من خاصته فقال ما ترون من أمره فكل أشار بقتلي الا أنهم اختلفوا في القتلة كيف تكون فقال المأمون لأحمد بن أبي خالد ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه وجعل ينكت في الارض وأنشد متمثلا

قومي هم قتلوا اميم أخي
فاذا رميت يصيبني سهمي
فكشفت القنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا الله عني أمير المؤمنين فقال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أتفوه معهم بعذر وعفوك أعظم من أن

فالطاب للوديعة خائن * وقيل لاعرابي مابلغ من حفظك للسر قال أفرغه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأني لم أسمعه وكان يقال أحزم الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده * وعندي له سر مذيعا له سرا

وأين هذا من القائل ولا تودع الاسرار أذنى فانما * تصير ما في انا قمثلم
أو القائل ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تعلو على قلبي
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر وانك كلما استودعت سرا * انمن النسيم على الرياض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي الناس أمناهم فنم واحدث بنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

(ولله در المتنبي حيث قال) وللسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الغدر والخيانة﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الاشياء عقوبة البغي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة في النار وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وكم أوقع الغدر في المهالك من غادر وضاقت عليه موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة حتف فماله من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب ما أحاطت به علوم ذوي الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما وقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثر الغنم وتنحى صار يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس ويسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية أو ما هذه الا

انطق معه بشكر ولكن أقول
ان الذي خلق المكارم حازها
في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة
وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تعدني
أسبابها الا بنية طائع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله
عفو ولم يشفع اليك بشافع
و رحمت أطفالا كفراخ القطا
وحنين والدة بقلب جازع
فقال المأمون لا تثريب عليك
اليوم قد عفوت عنك ورددت
عليك مالك وضياعك فقلت
رددت مالي ولم تجعل علي به
وقبل رد مالي قد حقنت دمي
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به
والمال حتى أسل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عار يه رجعت
اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
فان تجد تلك ما أوليت من كرم
اني الى اللؤم أولى منك بالكرم
فقال المأمون ان من الكلام درا وهذا منه وخلع عليه وقال يا عم ان أبا محمد والعباس أشاروا بقتلك فقلت انهم انصحاك يا أمير المؤمنين ولكن أتيت بما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون يا عم أمت حقدي بحيائك عندك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة امتنان السافعين ثم مجد المأمون طويلا ورفع رأسه وقال يا عم أتدري لم مجدت قلت شكرا لله تعالى الذي أظفرك بعدو ولتك فقال ما أردت هذا ولكن شكرا لله الذي ألهمني العفو عنك لحدثني الآن حديثك فشرحت له صورة أمري وما جرى لي مع الحجام والجندي والمرأة والمولاة التي غمت علي فأمر المأمون باحضارها وهي في دارها

أخت الجزيرة انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا ومعهما السلمى فنظر الى خيارا بله فوزلها الصدقة ثم استقبلهما بها فلما رآياه قالا ماهذا قال خذاه فان نفسى به طيبة فراعلى النساء وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ماهذه الا جزية أوماهذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيا فقال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعنى أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومونعنى من الانصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر رضى الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضى الله تعالى عنه ولم يقبلها فلما ولى عمر رضى الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضى الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضى الله عنه ولم يقبلها ثم ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضى الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة فى خلافة عثمان رضى الله عنه * فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يجزيه يوم فاقته وفقره فأى خزى أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأى سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأى عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوى الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط الا لصغر همته عن الوفاء وانضاع قدره عن احتمال المكاره فى جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا * اليه بئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الامين للمأمون فى بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيى أن يقول خذلنى الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لى الامين فى ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد فى نفسى ان أمرى لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الامير قال لانى كنت أحلف وأنا أنوى الغدر وكان كذلك لم يتم أمره (وورد) فى أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذى الاكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وسار الى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه الى شئ ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت أى حاضت فخرجت من الربض وكانت من أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أجل أهل زمانه فرآها ورآته فعشقها وعشقته وأرسلت اليه تقول ما تجعل لى ان دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبى فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب عليها بحبر جارية ثم أطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتدارى المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك فقالت له وأنا أسقى الحرس الخمر فاذا صرعوا قتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة واعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضور وتتململ فى فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنها فاثرت فيها

تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة فى المال فقال لها هل لك ولد أو زوج قالت لا فأمر بضربها مائتى سوط وخلد سجنها ثم قال احضروا الجندى وامرأته والحجام فأحضروا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المأمون أنت يجب أن تكون حجاما وكل به من يلزمه الجلوس فى دكان الحجام ليتعلم الحجامة وأكرم زوجته وأدخلها الى القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للامهات ثم قال للحجام قد ظهر من مروءة تلك ما يوجب المبالغة فى اكرامك وسلم اليه دار الجندى بما فيها وخلع عليه وأنعم عليه برزقه وزياده ألف دينار فى كل سنة ولم يزل فى تلك النعمة الى أن مات (ومما يضارع ذلك) أنه لما أفضت الخلافة الى بنى العباس اختفت رجال بنى أمية ومنهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان ابراهيم رجلا عالما عاملا أديبا كاملا وهو فى سن الشيبة فأخذ والله أمانا من السفاح فقال له يوما حدثنى عما مر بك فى اختفائك قال كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة فى منزل شارع على الصحراء فبينما أنا على ظهر البيت اذ نظرت الى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت أنها تريدنى فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحدا اختفى عنده فبقيت فى حيرة فاذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فاذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه واتباعه فقال من أنت وما حاجتك فقلت

وقيل كان ينظر الى محاسنها من صفاء بشرتها ثم ان سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جوادا وعارض فرغدا ثم اذبحه ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما أغدره * وتقول العرب جزاني جزاء سنمار وهو ان ازدجرد بن سابور الملقب بالمناخ على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد فسأل عن منزل صحيح مرى فدل على ظهر الحيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على أرض العرب وأمره أن يبني له جوسقا فامتثل أمره وبنى له جوسقا ما كأحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجموا من حسنه فقال لو علمت أنكم توفوني أجرته لبنيته بفناء يدو رمع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبني أحسن من هذا ولم تبنه ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق فتقطع فيكانت العرب تقول جزاني جزاء سنمار * ومن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلي رضي الله عنه وقتله وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضي الله عنه وقتله * وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتله * وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخره وقدم المهدي عليه فقال عيسى

أينسى بنو العباس دبي عنهم * بسيفي ونار الحرب زاد سعيرها
فنحت لهم شرق البلاد وغربها * فذل معاديهم واعز نصيرها
أقطع أرحاما على غير زيرة * وأبدي مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الامر في مستقره * ولاحت له شمس تلألأ نورها
دفعت عن الامر الذي أستحقه * وأوسق أوساقا من الغدر غيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ثعلبة حتى ألجؤه الى خباء اعرابي فأجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاق كما يلاقي مجير ام عامر
أعد لها الاستجارت ببيته * أحالب ألبان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(وحكي) بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت نيها * وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشلت معها * فمن أنبالك ان أبالك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغي وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الفصل الثاني في السرقة والسراق﴾ قيل مر عمر بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره * وسرق مدني قيصا فأعطاه لابنه يبيعه فسرق منه لجاره فقال بكم بعته قال برأس المال وقال اكتل السلمي وكان لصا فاتكا

واني لأستحيي من الله أن أرى * أجر جرحبلى ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء الدنيء بعيره * واجمال ربي في البلاد كثير

(وقال الفرزدق)

وان أبا الكرشاء ليس بسارق * ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرة الجعلي أخ قد كانت بينت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فأخذه اخوتها وأتوا به

رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فادخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في ذلك على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس لا يسألني عن شيء من حالي الا أنه يركب في كل يوم ركبة فقلت له يوما أراك تدمن الركوب ففهم ذلك قال ابراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا وقد بلغني أنه مختف فأنا أطلبه لادرك منه ثاري فتكثر والله تعجبي وقلت القدر ساقني الى حتفي في منزل من يطلب دمي وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه فاخبرني فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه فقلت له باهذا قد وجب علي حقك ومن حقك ان أدلك على خصمك وأقرب السبل الخطوة قال وماذاك قلت أنا ابراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بثارك فقال اني أحسبك رجلا قد مضه الاختفاء فأحببت الموت فقلت لا والله ولكن أقول لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق مليا ثم قال أما أنت فمستثنى أبي عند حكم عدل فيأخذ بثاره وأما أنا فغير مخفر دمتي فاخرج عني فلست آمن عليك من نفسي وأعطاني ألف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين

(ومن لطائف ما نقلته من المستجاد) حدث أبو الحسن بن صالح البغدادي بمصر قال أخبرني بعض عمال شيوخنا عن شيبة بن محمد الدمشقي قال كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتى

خالد بن عبد الله القسري وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو أخوه أخالد اقد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بعالم بأنه المسرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية

﴿الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء﴾ قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو أني بليت بهاشمي * خؤلته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ونشر رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فأنشأ يقول

فلو أن لحمي ذو هي لعبت به * سباع كرام أو ضباع وأذؤب
لهون وجدي أو لسلي مصيبتي * ولكنما أودى بلحمي أكالب

وقيل لبكسري أي الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوي قيل وكيف ذلك قال لانه اذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف من الكاشح المعلن فان مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداراة ماخفي وبطن وقالوا اياك أن تعادي من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك في لحافه وقال أبو العتاهية

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده
ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كان العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهي حبلى بهجرس بن كليب فلما كبر وشب قال أصاب أبي خالي وما أنا بالذي * أميل وأمري بين خالي ووالدي

وأورث جساس بن مرة غصة * اذا ما اعترتني حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك ياللرجال لقلب ماله جلد * كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم ترني ثأرت أبي كليبا * وقد رجت المرشح للدخول
غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذي البتول

(بيت) سن العداوة آباه لنا سلفوا * فلن تبيد ولا يأباه أبناه

ويقال دار عدرك لا حد أمرين اما الصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد الى مصعب

فبلغ مصعبا عني رسولي * وهل تلقى النصيح بكل واد
تعلم أن أكثر من تنابى * وان عموا اليك هم الاعادي

ويقال فلان كثير المراق مر المذاق وقال الحجاج لخارجي والله اني لأبغضك قال ادخل الله الجنة أشد نا بغضا لصاحبه * ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فأنكروا عليه وقال بعضهم ان أمه تركية وقد علمت في أخلاقهم ما علمت فقال ان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض في الناس فقال أواه هلك ابني هرمز فقد قيل اذا كان في الانسان خير واحد وله يكن ذلك الخير المحبة في

احتاج الى اخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا بنت العم قد رأيت من اخواني تغيرا وقد عزمت على لزوم بيتي الى أن يأتيني الموت ثم أغلق بابه عليه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا في حاله فكان عكرمة الفياض والياعلى الجزيرة فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد اذ جرى ذكر خزيمة ابن بشر فقال عكرمة ما حاله فقالوا صار في اسوا الاحوال وقد أغلق بابه ولزم بيته فقال عكرمة الفياض وما سمي الفياض الا للافراط في الكرم فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا فامسك عن ذلك فلما كان الليل عمد الى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر بامراج دابته وخرج سرا من أهله فركب ومعه غلام واحد يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام ثم أبعده عنه وتقدم الى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة فقال له اصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه وقبض على لجام الدابة وقال له من أنت جعلت فداك قال له ما جئت في هذا الوقت وأنا أريد ان تعرفني قال خزيمة فما أقبله أو تخبرني من أنت قال أنا طير عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى امرأته فقال لها ابشري فقد أتى الله بالفرج فلو كان في هذا فلوس كانت كثيرة فمي فامرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمس الكيس فيجد تحت يده خشونة الدنانير ورجع عكرمة الى منزله

الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض فى الناس فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما عين السخط تبدى المساويا

وفى المعنى قيل وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لا تجد العيوبا

وعن أبى حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ الذ من العافية وأنا أقول لو تزوجوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الاعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين فى نسب أو مجاورين فى بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لايوب عليه السلام أى شئ كان عليك فى بلائك أشد قال شماتة الاعداء وأنشد الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها * وداو عليل قلبك بالسلو
وكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن أبى جهينة المهلبى

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء

وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذ من شماتة الاعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر اذا ما جئته * ان البغاء من بنى مرام * أظهرن فى موت النبى شماتة
وخضبن أيديهن بالعلام * فاقطع هديت ألكفهن بصارم * كالبرق أو مض فى متون غمام

فكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا فى فسادك ولا رفعة الا فى سقوط حالك وقال حكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القطاة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * أقل اذا نظرت من الفراد
فان الحرب بدء أمن جبان * وان النار تضرم من رماد

(بيت مفرد) فمن لم يكن منكم سيفا فانه * يشد على كف المسى فيجلب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله فى الماضين تكفينا
كاد الاعادى فلا والله ما تركوا * قولا وفعلا وتلقينا وتجبينا
ولم نزد نحن فى سر وفى علن * على مقالتنا يا ربنا آمينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

﴿الفصل الرابع فى الحسد﴾ قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لانه شقيق فى النسب وجارى فى البلد وشريكى فى الصناعة فذكر جميع دواعى الحسد وقال اعرابى الحسد داء منصف يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد بخمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود أولاها غم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق ﴿ومن ذلك﴾

فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه منفردا فارتابت وشقت جيبها ولطمت خدها فلما رآها على تلك الحالة قال لها ما دهاك يا بنة العم قالت سوء فعلك يا بنة عم أمير الجزيرة تخرج بعد هدأة من الليل منفردا عن غلمانه فى سر من أهله الا الموز وجة أو سرية فقال لعد علم الله ما خرجت لواحدة منهما قالت لا بد تعلمنى قال فاكتميه اذا قالت أفعل فأخبرها بالقصة على وجهها ثم قال أتحبين أن أحلف لك قالت لا قد سكن قلبى ثم أصبح خزيمة صالح غرماءه وأصلح من حاله ثم نهض مع يزيد سليمان بن عبد الملك بفلسطين فلما وقف ببابه دخل الحاجب فاخبره بمكانه وكان مشهورا بالمروءة وكان الخليفة به عارفا فأذن له فلما دخل عليه وسلم بالخلافة قال ياخزيمة ما أبطأك عنا فقال سوء الحال يا أمير المؤمنين قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفى قال فمن أنهضك قال لم أشعر يا أمير المؤمنين بعد هدأة من الليل الا برجل يطرق بابى وكان منه كيت وكيت وأخبره بقصته من أولها الى آخرها فقال هل عرفته قال لا والله لانه كان متنكرا وما سمعت منه الا جابر عثرات الكرام قال فتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لأغنيناه على مروءته ثم قال على بغناة فاتى بها فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى عمل عكرمة الفياض وأجزل عطاياه وأمره بالتوجه الى الجزيرة فخرج خزيمة متوجها اليها فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه فسلم عليه ثم سارا جميعا الى أن دخلا البلد فنزل خزيمة فى دار

ماحكى أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم أحتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعد فى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل للبدوى منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أخزره لكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى مارسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوى ما تقول فيما يحملك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك وبعطيك ألف دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل قال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألف دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأنه أياما ماظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عنى للناس انى أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث عنك بما ليس لى به علم راغما كان ذلك مكرا منه وحسدا لعلمه كيف دخل بدا الى بيته وأطعمه الثوم وماجرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدا بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الاكارم آباء وأجدادا
ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضى الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شئ الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضى الله تعالى عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتى متسخط لفعلى غير راض بقسمتى التى قسمت لعبادى قال الشاعر

أيا حاسدا لى على نعمتى * أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله فى حكمه * لانعمك لم ترض لى ماوهب
فجازاك ربى بأن زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الاصمعى رأيت اعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخلو السيد من ود ودعدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضى الله عنه ألا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عمر وقد لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقى الا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

يا طالب العيش فى أمن وفى دعة * رغدا بلا قترصفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق

الامارة وأمر أن يؤخذ عكرمة وان يحاسب فحوسب ففضل عليه مال كثير فطلبه خزيمة بالمال فقال مالى الى شئ منه سبيل فأمر بحبسه ثم بعث يطالبه فأرسل اليه انى لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ماشئت فأمر به فكبل بالحديد وضيق عليه وأقام على ذلك شهرا فاضناه ثقل الحديد وأضربه وبلغ ذلك ابنة عمه فجزعت عليه واغتمت ثم دعت مولاة لها ذات عقل وقالت امضى الساعة الى باب هذا الامير فقولى عندى نصيحة فاذا طلبت منك قولى لا أقولها الا للامير خزيمة فاذا دخلت عليه سلمت الحلوة فاذا فعل قولى له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك فى مكافأتك له بالضيق والحبس والحديد قال ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال واسوأتاه جابر عثرات الكرام غريمى قالت نعم فأمر من وقته بداته فأمرجت وركب الى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم الى باب الحبس ففتح ودخل فرأى عكرمة الفياض فى قاع الحبس متغيرا قد أضناه الضر فلما نظر عكرمة الى خزيمة والى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فأقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله فرفع رأسه اليه وقال ما أعقب هذا منك قال كريم فعلك وسوء مكافأتى قال يغفر الله لنا ولك ثم أمر بفك قيوده وان توضع فى رجليه فقال عكرمة تريد ماذا قال أريد أن بنا لنى من الضر مثل ما نالك فقال أقسم عليك بالله أن لا تفعل فخرجا جميعا الى أن وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف فلم يمكنه من ذلك قال وما تريد قال أغير من حالك وحيائى

وقال آخر
اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

وفي نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك وبعضهم
انى حسدت فزاد الله فى حسدى * لاعاش من عاش يوما غير محسود

(وقال نصر بن سيار) انى نشأت وحسادى ذو و عدد * يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
ان يحسدوني على ما بين لما بهم * فمن ثم ما بي عما يجلب الحسدا

وكان عمر رضى الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس ما بال الحسود أشد غما قال لانه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا يضاف الى ذلك غمه لسرور الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الاربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس﴾ قد أثنى الله تعالى على الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء وعد عليه أفضل الجزاء والرأى فى الحرب امام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم فى سبيله أو قطرة دمع فى جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبد الله بن قيس رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى أصحابه فقال اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم ان عليك عيونا من الله تراك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهينا الى خيبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه رفعه لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها وعن ابن مسعود رفعه ان أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وقيل ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيبت عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد فى بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخى الا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فنسأل الله ان يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنى وزيادة

﴿الفصل الثانى فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها﴾ اعلم ان الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله فى ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتماسكت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادى هل من مبارز والثانى اذا انشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لأموره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب فى وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجى الضعيف

من ابنة عمك أشد من حيائى منك ثم أمر بالحمام فاخليت ودخلا جميعا ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرج فاطلع عليه وحمل اليه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه فى الاعتذار من ابنة عمه فاذن له فاعتذر اليها وقدم من ذلك ثم سأله أن يسير معه الى أمير المؤمنين وهو يومئذ مقيم بازمله فأتاهم به بذلك فسار اجميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فأخبره بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والى الجزيرة يقدم علينا بغير أمرنا مع قرب العهد به ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل عليه قال قبل أن يسلم ما وراءك يا خزيمة قال خير يا أمير المؤمنين قال فما أقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك لما رأيت من شوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض فأذن له فى الدخول فدخل فسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال يا عكرمة كان خيرك له وبالا عليك ثم قال له اكتب حوائجك وما تختاره فى رقعة فكتبها وقضيت على الفور ثم أمر له بعشرة آلاف دينار مع ما أضيف اليها من التحف والظرف ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية واذربيجان وقال له أمرت خزيمة اليك ان شئت أبقيته وان شئت عزلته قال بل أردد الى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته ﴿ويضارع ذلك من المستجاد أيضا﴾ ما روى عن أبى موسى محمد بن الفضل بن يعقوب كاتب عيسى بن جعفر قال حدثنى أبى قال كنت أتردد الى زينب بنت

وعدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كابه فرسه حماه حتى يبأس العدو منهم وهذا أحدهم شجاعة وعن هذا قالوا ان القائل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه فى كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا فى بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا فى المعترك قطعة خودة قدر الثلث بما حوته الرأس فقالوا انه لم يرقط ضربة أقوى منها ولم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها فى كنيستهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم فيرحل ابطال الروم اليها ليروها قالوا ومن الحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رمالك * وان كان فى ساعديه قصر

فان السيوف تجز الرقاب * وتجبز عما تنال الابر

واعلموا أن الناس قد وضعوا فى تدبير الحروب كتبا وراتبوا فيها رأيا ولنصف منها أشياء نبدأ منها أولا بما ذكره الله تعالى فى القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو فى مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبى صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وأفضل العدة أن تقدم بين يدى اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهى عن منكر وأمثال ذلك والشأن كل الشأن فى استجادة القواد وانتخاب الامراء وأصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغى أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجها والاردا الغنم الى الزريبة واعلم ان الحروب خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغى للعاقل العظيم القياد أن يكون فيه عدة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر القلب الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب ومن نغير وهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجمال والحديد يتحت الجمال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقى الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشد خلق ربك اللهم اللهم انا نعوذ بك من الهم والحزن * ومن الحيل فى الحرب ان يبث جواسيسه فى عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوى الشجاعة منهم فيدسى اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوى اطماعهم فى نيل ما عنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية ومن رأى وجهاء عاجلهم بالهدايا ولو سامهم أما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام أخبار مزورة ويرمى بها فى جيوشهم واعلم ان الحيلة لا ترد القضاء والقدر وان الدول اذا زالت صارت حياتها بالا عليها واذا أذن الله تعالى فى حلول البلاء كانت الآفة فى الحيلة وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب فى الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوى ببقاء مدته فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الابطال فى القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوى اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه تربص عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل

سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وأخذهما فتوجهت الى خدمتها يوما فقالت اقعد حتى أحدثك حديثا كان بالامس يكتب على الآماق كنت أمس عند الخيزران ومن عادتى ان أجلس بازائها وفى الصدر مجلس للمهدى يجلس فيه وهو يقصدنا فى كل وقت فيجلس قليلا ثم ينهض فبينما نحن كذلك اذ دخلت علينا جارية من جوارها فقالت أعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة وليس وراءها هى عليه من سوء الحال غاية تستأذن عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت أن تخبرنى فالتفتت الى الخيزران وقالت ماترين فقلت أدخليها فانه لا يدرى لعل فائدة أو ثواب فدخلت امرأة من أجمل النساء لا تتوارى بشئ فوقفت بجنب عضادة الباب ثم سلمت متمثلة ثم قالت أنا أمرنة بنت مروان بن محمد الاموى فقالت الخيزران لا حيالك الله ولا قربك فالحمد لله الذى أزال نعمتك وهتك سترك وأذلك أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك مجاز أهل بيتى يسألك ان تكلمى صاحبك فى الاذن فى دفن ابراهيم ابن محمد فوثبت عليهن واسمعتيهن ما لا سمعن قبل وأمرت فأخرجن على تلك الحالة فضحكت مرنة فما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت يا بنت العم أى شئ أعجبك من حسن صنيع الله بى على العقوق حتى أردت أن تتأسى بى فيه والله انى فعلت بنسائك ما فعلت فأسلمنى الله لذلك ذليلة جائعة عريانة وكان ذلك مقدار شكرك لله تعالى على ما أولاك بى ثم قالت السلام عليكم ثم ولت

عسكر انكسر قلبه فافلح أو تراجع اللهم الا ان تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلى القلب قصدا وتعمدا حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من أهل الحروب ويقال حبب الى عدوك الفرار بأن لا تتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى أمه * ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أيها تستعد قال عدق ثبات قلبي واصابة رأيي ونصل سيفي ونصرة خالقي * وخرج يزيد بن عبد الملك من بعض مقاصيره وعليه درع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب فانشده مسلمة قول الحطيئة

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد اعماذا اذا احار بنا أكفاءنا وأما مثل هذا وظرائه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين عينيه وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد عليهم بهرام جور فقال أحدهما الى أسد بن جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك ففعلوا فدنا منهما فأهوى بأحدهما فأخذ رأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به فقتلهما جميعا وشد على التاج فأخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم (وقيل) لم يكن في العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له ظباء فقال في أي موضع تريدين ان أضع هذا السهم فقالت أريد أن تشمه ذكرانها بالاناث واناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبي وأذنه بنشابة فرمى أصل الاذن بينهما فثم أهوى الظبي برجله الى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه * ويقال ان من أعظم المكائد في الحرب الكمين وذلك أن الفارس لا يزال على حميته في الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه خلاص نفسه وعليك بانتخاب الفرسان واختيار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ما ترى فيه العجب (فمن ذلك) لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن رومية النصراني على مدينة رشقة من ثغور بلاد الأندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين ألف مقاتل خيل ورجل فحدث من حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن رومية لمن يثق بعمله وشجاعته للحروب من رجاله استعلمني من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفونا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان فعد سبعة رجال فقال له انظر من في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية صاحكا مسرورا وهو يقول ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل الضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا جملة ودخلوا مدا خلة فغرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فأشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذوا الحزم والبصيرة من جميع يحتوي على أربعين ألف مقاتل ولم يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر نفرا وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد في ابطاله رجل واحد (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه قال سمعت أستاذنا القاضي أبا الوليد يحيى قال بينما المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملؤوا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفي فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا كبيرا فقال له المنصور ما ترى

مسرعة فصاحت بها الخيزران فرجعت قالت زينب فنهضت اليها الخيزران لتعانقها فقالت ليس في لذلك موضع مع الحال التي أنا عليها فقالت الخيزران لها فالحمام اذا وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها الى الحمام فدخلت وطلبت ماشطة ترمي ما على وجهها من الشعر فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع والطيب فأخذت من الثياب ما أرادت ثم تطيبت ثم خرجت اليها فعانقتها الخيزران وأجلستها في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي ثم قالت لها الخيزران هل لك في الطعام فقالت والله ما فيكن أحوج مني اليه فجعلوا فأتى بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة الى أن اكتفت ثم غسلنا أيدينا فقالت لها الخيزران من وراء الكمن تعنين به قالت ما خارج هذه الدار من بيني وبينه نسب فقالت اذا كان الامر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصرنا وتحولي لها جميع ما تحتاجين اليه ثم لا نفترق الى الموت فقامت ودارت بها في المقاصير فاختارت أوسعها وأزهاها ولم تبرح حتى حولت اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والكسوة قالت زينب ثم تركتها وخرجنا عنها فقالت الخيزران هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر وليس يغسل ما في قلبها الا المال فاحملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحملت اليها وفي أثناء ذلك وافى المهدي فسألنا عن الخبر لحدثته الخيزران حديثها ومالقيته به فوثب مغضبا وقال للخيزران هذا مقدار شكر الله على أنعمه وقد أمكنك من هذه المرأة مع الحالة

هل يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة والبسالة فسكت ابن المضجعى فقال له المنصور ما سكوتك أليس فى هذا الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا لعمرى المنصور ثم قال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال قال لا قال فسبه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فأخرج على أسوء حال فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكى السلاح وجعل يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لها ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادى ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المضجعى فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذى تريد قال أن تكفى المسلمين شره قال الآن يكفى المسلمون شره ان شاء الله تعالى ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهرت أورا كها هزالا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل فى حليته ونفسه غير متصنع فقال له ابن المضجعى ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذى تريد قال اريد أن تكفى المسلمين شره قال حبا وكرامة ثم انه وضع القربة بالارض وبرز اليه غير مكترث به فتجاولا ساعة فلم يرالناس الا المسلم يركض ولا يدرون ما هو الذى ذاد ابرأس العلج يلعب بها فى يده ثم ألقى الرأس بين يدى المنصور فقال له ابن المضجعى عن هؤلاء الرجال أخبرتنى قال فرد ابن المضجعى الى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين (وحكى) انه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم فى زمانه وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجرى له فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى ان الروم اذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون فى الماء فحسده نظرا وعلى كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به عند المستعين فابعده ومنعه من عطائه ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج الى وسط الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى فصاح المشركون سرورا واذا نكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومى يجول بين الصفين وينادى هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا واذا نكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادى ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترئ أحد من المسلمين أن يخرج اليه وبقى الناس فى حيرة فقيل للسلطان ما لها الا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى ما يصنع هذا العلج فقال هاهو بعينى قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفى المسلمين شره فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفى طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فتعجب منه النصرانى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصرانى سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق بركبة الفرس ونزل الى الارض لا شئ منه فى السرج ثم انقلب فى سرجه وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ فى صنعه مع أبى الوليد بن فتحون فاعتذر اليه وأكرمه وأحسن اليه وبالغ فى الانعام عليه ورده الى أحسن أحواله وكان من أعز الناس اليه * وينبغى لقائد الجيش أن يخفى العلامة التى هو مشهور بها فان عدوه قد يستعمل حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كى لا يلتمس عدوه غرة منه واذا سكن الحرب فلا يمشى فى النفر اليسير من

التى هى عليها فوالله لولا محالك بقلبى لحلفت أن لا أكلمك أبدا فقالت الجيزران يا أمير المؤمنين قد اعتذرت اليها ورضيت وفعلت معها كذا وكذا فلما علم المهدى ذلك قال لخادم كان معه احمل اليها مائة بدرة وادخل اليها وأبلغها منى السلام وقل لها والله ما سررت فى عمرى كسرورى اليوم وقد وجب على أمر المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك فمضى الخادم بالمال والرسالة فأقبلت على الفور فسلمت على المهدى بالخلافة وشكرت صنيعه وبالغت فى الثناء على الجيزران عنده وقالت ما على أمير المؤمنين حشمة أنا فى عدد حرمه ثم قامت الى منزلها فخلفتها عند الجيزران وهى تتصرف فى المنازل والجوارى كتصرف الجيزران فأرخها عندك فانها من أحسن النوادر وروى عن عبد الرحمن بن عمر الفهرى عن رجال سماهم أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة من أهل البصرة كانوا قد رموا بالزندقة فحملوا فرآهم أحد الطفيلية قد اجتمعوا بالساحل فقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فدخل معهم ومضى بهم الموكلون الى البحر وأطلعوهم فى زورق قد أعد لهم فقال الطفيلى لا شك انها نزهة فصعد معهم فى الزورق فلم يكن بأسرع من أن قيدوا وقيد الطفيلى معهم فعلم انه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر وسار بهم الى ان دخلوا بغداد وحملوا حتى دخلوا على المأمون فلما مثلوا بين يديه أمر بضرب أعناقهم فاستدعوهم باسمائهم حتى لم يبق الا الطفيلى وهو خارج عن العدة فقال لهم المأمون من

قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو يمشي خارج عسكره يتميز عساكر المسلمين فجاء الجراني عبد الله بن أبي السرح وهو نائم في قبة فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح * وعمل هذا قهر الب أرسلان ملك الترك ملك الروم وقعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كاتب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد دارت لهم وان نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم الملك الب ارسلان وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج بهم فلم يزل العسكر ان يتدانيان الى أن عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا الا لب أرسلان غدا يترامى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصيهم الا الله الذي خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقي المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو فأمر ألب أرسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثني عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء في الثور الاسود فجمع ذوي الرأي من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص أصوب الرأي فتشاوروا برهة ثم اجتمعه رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتصالحوا وتناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا لألب أرسلان بسم الله تحمل عليهم فقال ألب أرسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا أن المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم اذ ذاك وكان ألب أرسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم أن يفعل كفعلي ويتبع أثري ويضرب بسيفه ويرمي أسهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتعزقوا كل معزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدي ألب أرسلان والحبل في عنقه فقال له ألب أرسلان ماذا كنت تصنع بي لو أسرتني قال وهل تشك أنني كنت أقتلك فقال له ألب أرسلان أنت أقل في عيني من أن أقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل في عنقه وينادى عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيأ حتى باعوه من انسان بكلب فأخذه الذي ينادي عليه وأخذ الكلب وأتى بهما الى ألب أرسلان وقال قد طفت به جميع العسكر فزاد بت عليه فلم يبذل أحد فيه شيأ سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد أنصفك ان الكلب خير منه ثم أمر ألب أرسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب الى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار * فانظر ماذا يأتي على الملوك اذا عرفوا في الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وأهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الحادي والاربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن﴾

هذا قالوا والله ما ندري يا أمير المؤمنين غير أنا وجدنا مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما قصتك قال يا أمير المؤمنين امرأتي طالق ان كنت أعرف من أقوالهم شيأ ولا أعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انهم يدعون الى وليمة فالتحقت بهم قال فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفل ان أحل صاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب قال ابراهيم ابن المهدي هبه لي وأحدثك بحديث عن نفسي في التطفل عجيب قال المأمون قد وهبته لك هات حديثك قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما متنكرا للتنزه فانتهيت بي المشي الى موضع شممت منه روائح طعام وأبازير قد فاحت فتاقت نفسي اليها ووقفت يا أمير المؤمنين لا أقدر على المضي فرفعت بصري واذا بشباك ومن خلفه كف ومعصم ما رأيت أحسن منهما فوقفت حائرا ونسيت روائح الطعام بذلك الكف والمعصم وأخذت في اعمال الحيلة فاذا بخياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت لمن هذه الدار قال لرجل من التجار قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فقلت أهو ممن يشرب الخمر قال نعم وأحسب اليوم أن عنده دعوة وليس ينام الا التجار فبينما نحن في الكلام اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان فاعلمني انهما أخص الناس بصحبته وأعلمني باسميهما فجرت دابتي فلقيتهما وقلت جعلت فداءك ما فد استبطأ كما أبو فلان وسايرتهما حتى أتيا الباب فدخلت

* الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام * حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم قتل فى غزاة أحد رماه وحشى مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع و بطلها غير مدافع وعظم قتله على النبى صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل بهسبعين رجلا من قريش وكبر عليه فى الصلاة تسعين تكبيرة * أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيد بالتأييد الالهى كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الاسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوى الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روى عنه رضى الله عنه أنه قال والذى نفس ابن أبى طالب بيده لالف ضربة بالسيف أهون على من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه الا أوصى بعضنا على بعض وقال رضى الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الى ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شد خايوم بدر وذلك السيف معى وبذلك القلب ألقى عدوى وقيل له كرم الله وجهه اذا جالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتموني وقيل له كيف كنت تقتل الابطال قال لانى كنت ألقى الرجل فأقدر أنى أقتله و يقدر هو انى قتلته فأكون أنا و نفسه عونا عليه وقال مصعب بن الزبير كان على رضى الله عنه حذرا فى الحروب شديد الروغان لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدر الا ظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا مكنت عدوى من ظهرى فلا بقى الله عليه ان أبقى على قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله تعالى عليه غدره وهو فى صلاة الصبح وسبب ذلك ان عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقنع الا بصداق أسميه وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وان تقتل على بن أبى طالب فقال لها لك ما سألت الا على بن أبى طالب وكيف لى به قالت تغتاله فان سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وان أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المخذم
فلا مهر أغلى من على وان علا * ولا قتلك الا دون قتل ابن ملجم

وقيل انه طعنه وهو داخل المسجد فى الغلس وذلك فى تاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين كفن رضى الله عنه فى ثلاثة أثواب ودفن فى الرحبة بمايلى باب كندة من أبواب المسجد فانوا لما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فأخذه فأومأ على رضى الله عنه الى المغيرة ان صل بالناس فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخلوا على فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس بالنفس قال ثم ان الحسن رضى الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فحنقته العبرة ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحببنا وكرهنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه وسلم وانى أحتسب عند الله عز و جل مصابى بأفضل الآباء رسول الله القائل صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبته فى فانها أعظم المصائب والله اللهى لا اله الا هو الذى أنزل على عبده الفرقان لقد قبض فى هذه الليلة رجل ما سبقه الاولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الآخرون فعند الله تحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا أقول اليوم الا حقا لقد دخلت مصيبته اليوم على جميع العباد و البلاد و الشجر و الدواب و لقد قبض فى الليلة التى رفع فيها عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران و يوشع بن نون عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى السرية و يسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما رجع حتى يفتح الله عز و جل على يديه وما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادما لاهله الا أن أمور الله تعالى تجرى على أحوالها فما أحسن ما من الله وأسوأها

ودخلا فلما رآنى صاحب الدار
معهما ريشك انى منهما فرحب بى
وأجلسنى فى أفضل المواضع ثم
جئ بالمائدة فقلت فى نفسى هذه
الالوان قد من الله على ببلوغ
الغرض منها بقى الكف والمعصم
ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فرأيت
مجلسا محفوفا بالالطائف و جعل
صاحب المجلس يتلطف بى و يقبل
على فى الحديث لظنه انى ضيف
لأضيافه وهم على مثل ذلك حتى
شربنا أقداحا اذ خرجت علينا
جارية كانها غصن بان فى غاية
الظرف وحسن الهيئة فسلمت غير
خجلة وأتى بعود فأخذته و جسته
فاذا هى حاذقة والدفعت تقول
ألا يس مجيبا ان بيتا يضمنى
وايا لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تبدى سرائر أنفس
وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب
وتكسير أجفان وكف يسلم
فهيجت يا أمير المؤمنين بلابلى
فطربت لحذقها وحسن شعرها
الذى غنت به فحدثتها وقلت قد بقى
عليك يا جارية شئ فرمت العود
وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء
فى مجالسكم فندمت على ما كان منى
ورأيت القوم قد أنكروا على ذلك
فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما أملت
فقلت أتم عود قالوا نعم فأحضروا
عودا فأصلحت ما أردت فيه ثم
اندفعت فغنيت
هذا مجمل مطوى على كمده
صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته
عليه و يد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستبعدا دنفا
كانت منيته فى عينه و يده
فوثبت الجارية فأكبت على رجلى

من أنفسكم الا أن فريشا أعطت أزمتها شياطينها فقادتها باعنتها الى النار فمنهم من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أظهره الله تعالى عليه ومنهم من أمر الضغينة حتى وجد على النفاق أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى فى كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجر دسيفه ودعا بابن ملجم فاقبل يخطر واضعا شعره على أذنيه حتى قام بين يديه فقال ياحسن انى ما جاهدت الله تعالى على عهد فط الا رفيت به جاهدت الله تعالى على أن أقتل أباك وقد قتلته فان تخلنى أقتل معاوية فان أنا قتلته أضع يدى على يديك وان أقتل فهذا الذى تريد فقال الحسن رضى الله عنه أما والله لا سبيل الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أمرع السيف فيه ففتله ومن الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى رضى الله عنه سيف الله وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم بطل مذكور وفارس مشهور فى الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذى فتح دمشق وأكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة فى الروم أيد الله بها الاسلام مات على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا وما فى جسدى موضع شبر الا وفيه أثر من طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا أموت على فراشى لا نامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول

لا ترعبونا بالسيوف المبرقه * ان السهام بالردى مفوقه
والحرب دونها العقال مطلقه * وخالد من دينه على ثقه

رضى الله عنه * الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته بطل شجاع لا يجارى وشهم لا يبارى قتله عمرو بن جرموز غاشيا وهو فى الصلاة * عمرو بن معدى كرب الزبيدى فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن مشهورة أسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها فعال عظيمة وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرا وروى عنه رضى الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمر وأى السلاح أفضل فى الحرب قال فعن أيها تسأل قال ما تقول فى السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما تقول فى الرمح قال أخولك ورب ما خانك قال فما تقول فى النبل قال هو الداثر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول فى السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه انى عابر على هذا الجسر فان أمرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاءه وجهى وقد عرفنى القوم وأنا فارسهم وان أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بنى زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما نظن انكم تدركونه حتى يحملوا فانتهوا اليه وقد صرع من فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوننى فقالوا أين فرسك فقال رمى بنشابة فعار وشب فصرعنى ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه ومع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمرو بنهاوند فى وقعة الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداس اذا ما عمر وقلت للخيل اوطئى * زبيد فقد أودى بنجدتها عمرو

طلحة الاسدى رضى الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعا عظيما فقاتل خالد بن الوليد جمعه وكان يتكهن ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح * المقداد بن الاسود رضى الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوى الجنان رابط الجأش وله فى الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضى الله عنه وأرضاه سعد بن أبى وقاص الزهرى الانصارى رضى الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو أول من رمى فى سبيل الله بسهم ولما قتل

تقبلها وقالت المعذرة اليك

ياسيدى والله ما علمت بمكانك ولا سمعت بمثل هذه الصناعة ثم أخذ القوم فى اكرامى وتجميلى بعد ما طربوا غاية الطرب وسألنى كل منهم الغناء فغنيت لهم نوبات مطربة فقلب القوم السكر وغابت عقولهم فحملوا الى منازلهم وبقى صاحب المنزل فشرب معى أقداحا ثم قال ياسيدى ذهب ما مضى من عمرى مجانا اذا لم أعرف منلك فبالله يامولاى من أنت لا عرف ندعى الذى من الله على به فى هذه الليلة فاخذت أدارى وهو يقسم على فاعلمته فوثب قائما وقال قد عجبت أن يكون هذا الفضل الا لملك ولقد أسدى الى الزمان يدا لا أقوم بشكرها ومتى طمعت ان تزورنى الخلافة فى منزلى وتنادمنى ليلتى وماهذا الا فى المنام فأقسمت عليه أن يجلس فجلس وأخذ يسألنى عن السبب فى حضورى عنده بالطف فاخبرته بالقصة من أولها الى آخرها وما سترت منها شيأ ثم قلت أما الطعام فقد نلت منه بغيتى فقال والكأس والمغنى ان شاء الله ثم قال يا فلانة قومى لفلانة تنزل ثم جعل يستدعى واحدة بعد واحدة يعرضها على وأنا لا أرى صاحبتى الى أن قال والله ما بقى الا أمى وأختى ووالله لتنزلان فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداءك تمهل بالاخت قال حبا وكرامة ثم نزلت أخته فأرانى يدها فاذا هى التى رأيتها فقلت هذه الحاجة فأمر غلمانه لوقته فاحضروا الشهود وأحضر بدرتين فلما حضر الشهود قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب أختى فلانة وأشهدكم انى قد

عثمان بن عفان رضي الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف أنفه * أبو دجانة الانصاري رضي الله عنه الذي خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام انها مشية يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع * المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف في حرب القادسية * عمار بن ياسر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع علي رضي الله عنه * هاشم بن عتبة رضي الله عنه من أكابر الشجعان صاحب راية علي رضي الله عنه بصفين * مالك بن الحرث النخعي الأشتر رضي الله عنه مات مسموما في شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا من العسل * القعقاع بن عمرو طاعن الفيل في عشية القادسية رضي الله عنه

﴿الطبقة الثانية﴾ عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذي كان يرى أنه كان أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة صف لي عبد الله بن الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحييه وصدره فوالله ما خشع له ببصره ولا قطع له قراءته ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع فقتله الحجاج بعد ان حوصر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج ألا الى الله تصير الامور * أبو هاشم محمد بن علي بن أبي طالب بن الحنفية رضي الله عنه كان أبوه يلقبه في الوقائع ويتقي به العظائم وهو شديد البأس ثابت الجنان قيل له يوما مابال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يحمل الحروب دون الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال لانهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقي عينيه بيديه وقيل ان أباه عليا رضي الله عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد أن يقطع منها فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالاخرى على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده أبوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه في الشجاعة يحسده على قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف أنفه بشعب رضوى * عبد الله بن حازم السلمي رضي الله عنه والي خراسان شجيع مضر وفارسها في عصره قتله وكيع بن أبي سويد بخراسان في الفتنة * وكيع بن أبي سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج والي خرسان قيل لما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره لهوجه مات حتف أنفه * مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله ونفسه قتله عبيد الله بن زياد في الحروب التي كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان * عمير بن الحباب السلمي فارس الاسلام قتله بنو تغلب في الحرب التي كانت بينهم وبين قيس بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان لخذل بني أمية وفارسها والي حروبها قيل انه جلس يوما يقضي بين الناس بمصر فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت ما رأيت أقل حياء من هذا قط فكشف عن ساقه فاذا فيها أثر تسع طعنات فقال لها هل ترين أثر هذا الطعن والله لو أخرت رجلي قيد شبر ما أصابتني واحدة منهن وما منعني من تأخيرها الا الحياء وأنت تخجلينني قتله * المعتصم بطل شجاع فارس صنديد لم يكن في بني العباس أشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن أبي داود كان المعتصم يقول لي يا أبا عبد الله عض على ساعدي بأكثر قوتك فأقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك فيقول انه لا يضرني فاروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فكيف تعمل فيه الاسنان ويقال انه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فأقام المعتصم ظهره فقسم الرمح نصفين وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها ويأخذ عمود الحديد فيليه حتى يصير طوقا في العنق ابراهيم بن الاشتر النخعي كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو في أربعة آلاف وعبيد الله في سبعين ألفا فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه * عبد الله بن الحر الجعفي شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخبار في الشجاعة

زوجتها له وأمهرتها منه عشرين ألف درهم فعلمت ذلك وهي رضيت فشهدوا علينا فدفع البدرة الواحدة الى أخته والاخرى فرقها على الشهود ثم قال ياسيدي أمهلك بعض البيوت فتنام مع أهلك فأحشمني ما رأيت من كرمه وتذممت أن أخلو بها في داره ثم قلت بل أحضر عمارتي وأحملها الى منزلي فقال افعل ماشئت فاحضرت عمارتي وحملتها الى منزلي فوجدت يا أمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا على سعتها وأولدتها هذا الغلام القائم بين يدي أمير المؤمنين فعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال لله دره ما سمعت قط بمثلها وأمر ابراهيم باحضار الرجل ليشاهده فاحضره بين يديه فاستنطقه فاعجبه وصيره من جملة خواصه ومحاضريه (ومن غريب المنقول) ان فتى من ذوي النعم فقد بعد زمانه وكانت له جارية حسناء محسنة في الغناء فضاق بهما الخناق واشتدت بهما الحال في عدم ما يقتاتان به فقال لها قد ترين ما قد صرنا اليه من هذه الحالة السيئة ووالله لموتي وأنت معي أحسن وأهون علي مما أذكره لك فان رأيت أن أبيعك لمن يحسن اليك ويغسل عنك ما أنت فيه وأتفرج أنا بما أعلله يصير الى من الثمن ولعلك تحصلين عند من تتوصلين الى نعمي معه فقالت والله لموتي على تلك الحالة معك آثر عندي من انتقالي الى غيرك ولو كان خليفة ولكن اصنع ما بدا لك قال فخرج وعرضها للبيع فأشار عليه أحد أصدقائه ممن له رأي أن يحملها الى ابن معمر أمير العراق فحملها اليه فلما عرضت

مشهورة * بجدر بن ربيعة العكلي كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا قهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله يوجه بتغلب بجدر عليه ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فتوجه العامل اليه فتيه من بني حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا بجدرا أو أتوا به أسيرا فتوجه الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم وسكن الى قولهم فبينما هو معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت بجدر قال نعم أصلح الله الامير قال ماجرأك علي ما بلغني عنك قال أصلح الله الامير كالب الزمان وجفوة السلطان وجراءة الجبان قال وما بلغ من أمرك قال لوا بتلاني الامير وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا بجدر اني قادف بك في حاجر فيه أسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته عفونا عنك قال أصلح الله الامير قرب الفرج ان شاء الله تعالى فأمر به فصفدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتاد له أسدا ويحمله اليه فتحيل العامل وارتاد له أسدا كان كامر اخبيثا قد أفنى عامة المواشي فحملوا حتى أخذوه وسيروه في تابوت وسجوه على عجل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقي في الحاجر ولم يطعم شيئا ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ثم أمر بجدر وأن ينزلوا اليه فأعطوه سيفا وأنزلوه اليه مقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون الى الاسد ماهو صانع بجدر فلما نظر الاسد الى جدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال وارتاعت أهل الارض فشد عليه بجدر وهو ينشد ويقول

ليث وليث في مجال ضنك * كلاهما وقوة وسفك * وصولة وبطشة وفتك
ان يكشف الله قناع الشك * فأنت لي في قبضتي وملكي

ثم دنا منه وضربه بسيفه فلقق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجبك ثم أمر به فأخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له اختر اما أن تقيم معنا فنكرمك ونقرب منزلتك واما أن نأذن لك فتلحق ببلادك وأهلك على أن تضمن لنا على أن لا تحدث بها حدثا ولا تؤذي بها أحدا قال بل اختار صحبتك أيها الامير فجعله من عماره وخواصه ثم لم يلبث ان ولاه على اليمامة وكان من أمره ما كان

المهلب بن أبي صفرة كان من الشجعان ومن الابطال المعدودة وأولاده كلهم أنجاد أبطال الا ان المغيرة من بينهم كان أشد تمكنا وكان المهلب يقول ما شهدت معي حربا الا رأيت البشري في وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفي يده شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبرها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبيد الله بن معمر ما لقي خيلا قط الا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط في كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب في الحروب مكايد مشهورة ووقائعه أبادت الخوارج بعد ان كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا كريما مات حتف انفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الاعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

وكان في الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم نظار جال وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه * فمنهم أبو بلال مرداس خرج في أربعين فهزم ألفين * وشبيب الحارجي الذي غرق في الفرات نذرت امرأته ان غزا الفرات تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ في الاولى البقرة وفي الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وأدخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرتها والحجاج في الكوفة في خمسين ألفا * ومنهم قطري بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه بأمير المؤمنين وعظموه وبجلوه وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانته منها قتل في بعض وقائع الخوارج

(الطبقة الثالثة) معن بن زائدة الشيباني قتله الخوارج بسجستان في أيام المهدي * الوليد بن طريف الشيباني قتله يزيد بن مزيد * عمر بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه انه كان يتصيد فتتبع

عليه استحسنها فقال لمولاها كم كان شراؤها عليك قال مائة ألف درهم وقد أنفقت عليها مالا كثيرا حتى صارت في رتبة الاستاذين قال أما ما أنفقت عليها فغير محتسب لك به لانك أنفقته في لذاتك وأما ثمنها فقد أمرنا لك بمائة ألف درهم وعشرة أسفاط من الثياب وعشرة رؤس من الخيل وعشرة رؤس من الرقيق أرضيت قال نعم أرضى الله الامير فأمر بالمال فاحضر وأمر فهرمانه بادخال الجارية الى الحرم فامسكت بجانب الستر وبكت وقالت هنيأ لك المال الذي قد أفدته

ولم تبق في كفي غير التفكر
أقول لنفسي وهي في كرباتها
أقلي فقد بان الحبيب أو اكثري
اذا لم يكن للامر عندك موضع
ولم تجدي بدا من الصبر فاصبري
فبكى مولاها وأجاب قائلا

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن
بفرقتي شيء سوى الموت فاعذري
أروح بهم من فراقك موجع
أناجي به قلبا قليل التصبر
عليك سلامي لا زيارة بيننا
ولا قرب الا أن يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر قد شئت فخذها بارك الله لك فيها وفيما وصل اليك منا فأخذها وأخذ المال والخيل والرقيق والثياب وعاد وقد حسنت حاله (ومما جنيته من ثمرات الاوراق) ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رحل الى عبد الملك ابن مروان ومعه ابراهيم بن محمد بن طلحة فلما قدم على عبد الملك سلم عليه بالخلافة وقال قدمت عليك يا أمير المؤمنين برحل الحجاز في الشرف والابوة وكمال المروة والادب وحسن المذهب والطاعة

حمار وحش ومازال يركض الى ان حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وسار على ظهر حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أو سكين فى يده حتى قتله * أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق فى غيره طعن فارسين رديفين فأنفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا ينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو كان مدقاته * ميلا اذا انتظم الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيأ فقال له أتسأل وجدك القائل

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وانا للهو بالسيوف كما لهت * فتاة بعقد أو بخاب فرنفل

فخرج الرجل فجرد سيفه فلم يصادفه فى طريقه الا وكيل لابى دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال دعوه فانى علمته على نفسى * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فاتك له أبشعار مشهورة وأخبار مذكورة (وما جاء فى مدح السيف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان صمصام عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال

أخ ماجد ما خانني يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهب عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال

خليلى لم أخنه ولم يخنى * اذا ما أصاب أوساط العظام خليلى لم أهبه من قلاه * ولكن الهواجر للكرام
حبوت به كريما من قريش * فسربه وصن عن اللئام
وودعت الصفى صفى نفسى * على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل فى آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسرى بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بنى مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه فجد الهادى فى طلبه حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم * ذكر يمان فى يمين يمانى

وقال ابن الرومى

لم أر شيأ حاضرا نفعه * للمرء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الحيف

(وقال زيد بن على رضى الله عنهما)

السيف يعرف عزمى عند هزته * والرمح يخبر والله لى وزر
انا لنأمل ما كانت أوائلنا * من قبل تأمله ان ساعد القدر

(وقال عبد الله بن طاهر) يبيت نجيى السيف طورا وتارة * تعض بهامات الرجال مضاربه
أخو ثقة أرضاه فى الروع صاحبا * وفوق رضاه انني أناصاحبه
وليس أخو العلياء الا فتى له * بها كلف ما تستقر ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير وقال له رده على فانه السيف الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له عبد الملك أو تعرفه قال نعم قال بما قال أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(وقال الاجدع الهمدانى)

لقد علمت نسوان همدان أننى * لهن غداة الروع غير خذول
وأبذل فى الهيجاء وجهى وأننى * له فى سوى الهيجاء غير بذول

(وقال آخر)

عشرون ألف فتى ما منهم أحد * الا كالف فتى مقدامة بطل
راحت مزاودهم مملوءة أملا * فقرغوها وأوكوها من الاجل

والنصيحة مع القرابة وهو ابراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله فافعل به يا أمير المؤمنين ما يستحق أن يفعل بمثله فى أبوته وشرفه فقال عبد الملك يا أبا محمد أذكرتنا حقا واجبا أتدنو الابراهيم فلما دخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس فى صدر المجلس وقال له عبد الملك ان أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفه منك من الابوة والشرف فلا تدع حاجة فى خاصة أمرك وعامته الا سألتها فقال ابراهيم أما الحوائج التى تنتهى بها الزلفى وتوجب بها الثواب فما كان لله خالصا ولنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن لك يا أمير المؤمنين عندى نصيحة لا أجد بدا من ذكرى اياها قال أهى دون أبى محمد قال نعم قال قم يا حجاج فنهض الحجاج خجلا لا يبصر أين يضع رجله ثم قال عبد الملك قل يا ابن طلحة فقال تالله يا أمير المؤمنين ان عمك الى الحجاج فى ظلمه وتعديه على الحق واصغائه الى الباطل فوليتماه الحرمين وفيهما من فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابناء المهاجرين والانصار يسومهم الخسف ويطأهم العسف بطعام أهل الشام ومن لا رويه له فى اقامة الحق ولا ازاحة الباطل قال فأطرق عبد الملك ساعة ثم رفع رأسه وقال كذبت يا ابن طلحة ظن فيك الحجاج غير ما هو فيك قم فر بما ظنن الخير بغير أهله قال فقمت وأنا ما أبصر طريقا قال واتبعنى حرسيا وقال اشدد يدك به قال ابراهيم فما زلت جالسا حتى دعا الحجاج فما زالا يتناجيان طويلا حتى ساءظنى ولا أشك انه فى أمرى ثم دعانى فلقينى الحجاج فى الصحن خارجا

(ومن أخبار الشيعان ماحكاه الفضل بن يزيد) قال نزل علينا بنو ثعلب فى بعض السنين وكنت مشغوفا بأخبار العرب ان أسمعها واجمعها فبينما أنا أدور فى بعض أحيائهم اذا أنا بجارية واقفة فى فناء خبائها وهى آخذة بيد غلام فما رأيت مثله فى حسنه وجماله له ذؤابتان كالسمط المنظوم وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع منها أى بنى وهو يتبسم فى وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد على السلام فوقفت أنظر اليهما فقالت يا حضرى ما حاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت يا حضرى ان شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل ان أضعه فوضعته خلقا سويا فوربك ما هو الا ان صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من حرق المهد الى فراش أبيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته الى المؤدب يحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما ان بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عناق الخيل فتفرس وتعرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحى الجميلا فأخذ فى قرى الضيف واطعام الطعام وأنا عليه رجلة أشفق عليه من العيون ان تصيبه فاتفق ان نزلنا بمنهل من المناهل بين احياء العرب فخرج فتيان الحى فى طلب ثارهم وشاء الله تعالى ان أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق فى الحى غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا أن أدبر الليل واسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فما هو الا هنيهة حتى أحرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألنى عن الصوت وأنا أستره عنه الخبر اشفاقا عليه وضننا به حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات ورمحت دثاره وثار كليثور الاسد وأمر بامراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق بأبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيا صغير الامد وراءهم فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وامتد واقى أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق وسرق كما يسرق السهم ونادا هم خلوا عن المال فوالله لارجعت الابه أولا هلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفيل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجا به فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان أسمع صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول فى وجوه فتيان الحى هذه الابيات

تأملن فعلى هل رأيتن مثله * اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الارض حتى كأنه * من خوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلا حقه ونصيبه * من السهمى اللدن والمرهف العضب
أنا ابن أبى هند بن قيس بن مالك * سليل المعالى والمكارم والسيب
أبى لى أن أعطى الظلامة مرهف * وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بهدة * مجبال الروامى لا تحطمطن الى الترب
وعرض نقى أتقى أن أعيبه * وبيت شريف فى ذرى ثعلب الغلب
فان لم أقاتل دونكن واحتمى * لكن وأحميكن بالطعن والضرب
فلا صدق اللاتى مشين الى أبى * يهنينه بالفارس البطل الندب

فقبل بين عينى وقال أحسن الله جزاءك قال فقلت فى نفسى انه يهزأ بى ودخلت على عبد الملك فأجلسنى مجلسى الاول ثم قال يا ابن طلحة هل اطلع على نصيحتك أحد فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ولا أردت الا الله ورسوله والمسلمين وأمير المؤمنين علم ذلك فقال عبد الملك قد عزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهته لهما وأعلمته انك استقللت ذلك عليه وسألتنى له ولاية كبيرة وقد أوليته العراقين وقررت له أن ذلك بسؤالك ليلزمه من حقك ما لا بد له من القيام به فاخرج معه غير ذام لصحبته (ومن لطائف المنقول عن القاضى أبى الحسين بن عبد المحسن بن على التنوخى رحمه الله تعالى) ان الاسكندر لما انتهى الى الصين ونزل على ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وسلم وقال ان رأى الملك ان يخلى مجلسه فليفعل فامر الاسكندر من يخدمه بالانصراف ولم يبق غير حاجبه فقال له الرسول الذى جئت به لا يحتمل أن يسمعه غيرك فامر بتفتيشه فتش فلم يوجد معه شئ من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مجردا وقال له قل ما شئت ثم أخرج جميع من عنده فلما خلا المكان قال له الرسول انا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت أسألك هل تريد فان كان مما يمكن الانقياد اليه ولو على أصعب الوجوه أجبت اليه وغنمت أنا وأنت عن الحرب فقال له الاسكندر وما الذى أمنك منى قال علمى بانك رجل عاقل وليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل ومتى قتلتنى أقاموا

وقال الشاعر
آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وقال آخر
فوارس قوالون للخيل اقدمي * وليس على غير الرؤس مجال
بأيديهم سمر العوالي كأنما * تشب على أطرافهن ذبال

وقال آخر
قوم اذا اقتحموا الهجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم أقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أوجارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

﴿ذكر الجن والجنية وأخبارهم وما جاء عنهم﴾ قد استعاذ سيد نا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن فقال اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك أن يقال فى وصف الجبان ان أحس بعصفور طار فؤاده وان ظنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويتقى من طنين الذباب ان نظرت اليه شزرا أعمى عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير أنه قال كان حسان فى قاع اطم مع النساء يوم الخندق فأتاهم فى ذلك اليوم يهودى يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاحتجرت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه فانه مامنعنى من سلبه الا انه رجل فقال مالى بسلبه من حاجة (وقيل) كان لغنى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الادب وكان يحبها حبا شديدا فأصابته اضاقة وفاقة فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق وكان ذلك فى زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فأنزله قريبا منه وأحسن اليه فدخل على الحجاج والجارية تكسبه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها وهو بها له فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدرى أين هى وبلغ الحجاج ذلك فأمر منادا يأن ينادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث ان أتى له بها فقال لها الحجاج ياعدوة الله كنت عندى من أحب الناس الى فاخترت لك ابن عمى شابا حسن الوجه ورايتك تسارقينه النظر فعلمت انك شغفت به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت ياسيدى اسمع قصتى ثم اصنع بى ما شئت قال هاتى ولا تخفى شيئا قالت كنت للفتى العرشى فاحتاج الى ثمنى فحملنى الى الكوفة فلما قربنا منها نادانى فوقع على فسمع زئير الاسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل على بما رد ما عنده ثم قضى حاجته وان ابن عمك هذا الذى اخترته لى لما أظلم الليل قام الى فلما علا بطنى وقعت فارة من السقف فضرط ثم غشى عليه فمكث زمانا طويلا وأنا أرشر عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمنى به فهربت فزعا منك فما لبث الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك اكتمى هذا ولا تعلمى به أحدا قالت على أن لا ترد نى اليه قال لك ذلك

(وحدث) جار لابى حنيفة النمرى قال كان لابى حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا فى داره وهو يقول أيها المعتز بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذى سمعت به اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على رجل فاذا كلب قد خرج فقال

غيرى ولم يسألوا اليك البلد ثم تنسب انت الى غير الجميل وضد الحزم فاطرق الاسكندر متفكرا فى مقاله علم انه رجل عاقل فقال له أريد ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه فى كل سنة قال أجبتك قال فكيف تكون حالك قال أكون قتيلا أو مختارا قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف حالك قال أصلح عما تقدم ذكره قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة قال يكون مضرابى ومذهبا لجميع لذاتى قال فان اقتصرت منك على السدس قال يكون السدس موفرا والباقى لجيشى ولاسباب الملك قال قد اقتصرت على هذا فتفكر وانصرف فلما أصبح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الارض واختلط بجيش الاسكندر فارتعب وتواثبت أصحابه فركبوا واستعدوا للحرب فبينما هم كذلك اذ ظهر ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الاسكندر تراجل فقال له الاسكندر أغدرت قال لا والله قال فما هذا الجيش قال أردت أن أعلمك انى لم أطعك من ضعف ولا من قلة وما غاب عنك من الجيش أكثر لكنى رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك فعلمت انه من حارب العالم الاكبر غلب فأردت طاعتك بطاعتك والذلة لامره بالذلة لامرك فقال الاسكندر ليس مثلك يؤخذ منه شئ فما رأيت بينى وبينك أحدا يستحق التفضيل والوصف بالفضل غيرك وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك فقال ملك الصين أما اذ فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر أتبعه ملك الصين من الهدايا

والتحف بضعف ما كان قدره عليه

﴿ومن غريب المنقول عن أبي الفرج الاصبهاني﴾ انه قال أخبرني عمي عن أبيه عن الكلبي عن أبيه قال أخبرني شيخ من بني نبهان قال أصابت بني نبهان سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة وقال كونوا قريبا من الملك يصيبكم من خيره حتى أرجع اليكم ومضى على وجهه يسوق راحلته سبعة أيام حتى انتهى الى عطن ابل عند تطفيل الشمس فاذا خباء عظيم وقبة من أدم قال فقلت في نفسي ما لهذا الخباء بد من أهل وما لهذه القبة بد من رب وما لهذا العطن بد من ابل فنظرت في الخباء فاذا الشيخ كبير قد أوهاه الكبر وهو شبه النسر فجلست خلفه فلما انصرم النهار أقبل فارس لم أر أعظم من شكله وفي خدمته أسودان يمشيان بين جنبيه واذا ثلثمائة من الابل معها فحولها فبرك الفحل وبركن حوله فقال لاحد عبيده احلب فلانة فحلبها ثم وضع اللبن بين يدي الشيخ فكرع منه وأخذه وقدمه الى فشربت نصفه ثم أمره بشاة فذبحت وشويت وأكلنا منها جميعا فامهلت حتى اذا ناموا وحكم عليهم النوم ثرت الى الفحل فحللت عقاله وركبته فاندفع بي وتبعته الابل فمشيت الى الصباح فلما أصبحت نظرت فلم أجد أحدا ولما تعالى النهار التفت فاذا أنا بخيال كانه طائر فما زال يدنو حتى تبينته فاذا هو فارس على فرس واذا هو صاحبي بالامس فعقلت الفحل وعمدت الى كنانتي فقال احلل عقاله فقلت كلا لقد خلقت خلفي عيالا بياعا بالحيرة قال فانك ميت

الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا ﴿وخرج المعتصم يوما الى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفيك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان ورأى الاسكندر رسم ماله لا يزال ينهزم فقال له يا رجل اما أن تغير فعلك واما أن تغير اسمك ﴾ ووقع في بعض العساكر فجعة فوثب خراساني الى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب من الدهش وقال يخاطب الفرس هي جيهتك عرضت فما صيتك كيف طالت (وخرج) أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس في أربعين رجلا فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك وذمه بن أبي زياد فقال لان يذمني ابن أبي زياد حيا أحب الي من أن يمدحني ميتا وكان أسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق ومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك عليه فشكاهم الى ابن أبي زياد فأمر صاحب الشرطة ان يكفهم عنه وفي ذلك يقول بعضهم شعرا

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الحيول الاعوجيات في الوغى * أنازل منهم كل ليث مناهز
ففي السكر قيس وابن معدي وعامر * وفي الصحو تلقاهم كبعض العجائز

وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثاني والاربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في المدح والثناء﴾

المدح وصف الممدوح بأخلاق يعد عليها صاحبها ويكون نعتا حميدا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة وأما قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فقد قال العتبي هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حثا في وجه مادح ترابا وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وفي حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ في الرد عليه والثاني كأنه يقال له يكفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الديلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذي أمر عمر رضي الله عنه على السرية وناداه في خطبته بقوله يا سارية الجبل فمن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبر واوفى ذمة من محمد

وهو أصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضي الله عنه قوله

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه قوله

لولم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

ولما حججت وزرته صلى الله عليه وسلم تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس أبكي من جملتها

ياسيد السادات جئتك قاصدا * أرجو رضاك وأحتمي بحماكا
والله يا خير الخلائق ان لي * قلبا مشوقا لا يروم سواكا

ووحق جاهك انني بك مغرم * والله يعلم انني أهواكا
أنت الذي لولاك ما خلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولاكا
أنت الذي من نورك البدرا كتسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذي لما رفعت إلى السما * بك قد سمت وتزينت لسراكا
أنت الذي ناداك ربك مرحبا * ولقد دناك لقربه وحباكا
أنت الذي فيما سألت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواكا
أنت الذي لما توسل آدم * من ذنبه بك فاز وهو أباكا
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيوب لضر مسه * فأزيل عنه الضر حين دعاكا
وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك ما دحا العلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك في القيامة مرتجى لندا كا
والانبياء وكل خلق في الورى * والرسل والاملاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكى
نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضب قد لباك حين أتاكا
والذئب جاءك والغزالة قد أتت * بك تستجير وتحتمي بحماكا
وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآكا
ودعوت أشجارا أتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لندا كا
والماء فاض براحتيك وسبحت * صم الحصى بالفضل في يمناكا
وعليك ظللت الغمامة في الورى * والجذع حن الى كريم لقاكا
وكذاك لا أثر لمشيك في الثرى * والصخر قد غاصت به قدماكا
وشفيت ذا العاهات من أمراضه * وملأت كل الارض من جدواكا
ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفراء عندما * جرحا شفيتهما بلمس يداكا
وعلى من زمد به داويته * في خيبر فشفى بطيب لعاكا
وسألت ربك في ابن جابر بعدما * قد مات أحياه وقد أرضاكا
ومسست شاة لام معبد بعدما * نشفت قدرت من شفارقيا كا
ودعوت عام المحل ربك معلنا * فانهل قطر السحب عند دعاكا
ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين ندا كا
وخفضت دين الكفر بإعلام الهدى * ورفعت دينك فاستقام هنا كا
أعداك عادوا في القليب بجهلهم * صرعى وقد حرموا الرضا بجفاكا
في يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعدا كا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر في الاحزاب قد وافاكا
هود ويونس من بهاك تجملا * وجمال يوسف من ضيائك سنا كا
قد فقت باطه جميع الانبيا * نورا فسبحان الذي سواكا
والله يا سين مثلك لم يكن * في العالمين وحق من نباكا
عن وصفك الشعراء يا مدثر * عجزوا وكلوا عن صفات علاكا
انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * وأتى الكتاب لنا بمدح حلاكا

حل عقاله لأم لك وانصب لى
خظامه واجعل فيه خمس عقد
وقل لى أين تحب أن أضع سهمى
فقلت فى هذا الموضع فكان اوضعه
بيده ثم أقبل يرمى حتى أصاب
الخمس بخمسة أسهم فرددت نبلى
وحططت قوسى ووقفت مستسلما
فدنا منى وأخذ القوس والسيف
ثم أردفنى خلفه وقد عرف انى
الذى شربت اللبن عنده وأكلت
اللحم فقال كيف ظنك بى فقلت
أحسن ظن فقال أبشر أن لن ينالك
شر وقد كنت ضيف مهلهل فقلت
أزيد الخيل أنت قال نعم أنا زيد الخيل
فلما انتهينا الى منزله قال لو كانت
هذه الابل لى لسلمتها اليك ولكنها
لابنة مهلهل فأقم عندى فأقمت
عنده أياما فشن الغارة على بنى نمير
فأصاب مائة بعير فقال هذه أحب
اليك أم ثلاث قلت هذه قال دونكها
وبعث معى خفراء من ماء الى ماء
الى ان وردت الحيرة فلقينى نبطى
فقال يا اعرابى احتفظ بابلك فقد
قرب مخرج النبى صلى الله عليه
وسلم الذى يملك هذه الارض
ويطرد أهلها حتى ان أحدكم ليبتاع
البستان بثمن بعير قال فاحتملت
بأهلى الى النبط حتى جاء نار سول
الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا على
يديه وما مضت الا أيام حتى اشتريت
بثمن بعير من ابلى بستانا بالحيرة
والله أعلم (ونقل عن الواقدى) قال
كان لى صديقان أحدهما هاشمى
والآخر نبطى فكنا فى الصداقة
كنفس واحدة فقالت التى ضيقة شديدة
وحضر العيد فقالت امرأتى أما
نحن فنصبر على البؤس والشدة وأما
صبيانا هؤلاء فقد تقطع قلبى
عليهم رحمة لانهم يرون صبيان
جيرانا وقد تزينوا فى عيدهم وهم

ماذا يقول المادحون وماعسى * أن يجمع الكتاب من معنا كا
والله لوأن البحار مدادهم * والعشب أقلام جعلن لذا كا
لم تقدر الثقلان تجمع ذرة * أبدا وما استطاعوا له ادرا كا
لى فيك قلب مغرم ياسيدى * وحشاشة محشوة بهوا كا
فاذا سكت ففيك صمتى كله * واذا نطقت فمادح عليا كا
واذا سمعت فعنك قولا طيبا * واذا نظرت فلا أرى الا كا
يا مالكى كن شافعى من فاقتى * انى فقير فى الورى لغنا كا
يا أكرم الثقلين يا كنزالورى * جدلى بجودك وارضنى برضا كا
أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سوا كا
فعساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا مستمسكا بعرا كا
ولانت أكرم شافع ومشفع * ومن التجا لحماك نال وفا كا
فاجعل قراى شفاعة لى فى غد * فعسى أرى فى الحشر تحت لوا كا
صلى عليك الله ياخيرى الورى * ماحن مشتاق الى مثوا كا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والا كا

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصف من مدحه الله تعالى وأثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لوأن البحار مدادا والاشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له ياهذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من المدح وصله وأكرمه وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت انى حيث أنتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك وكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك * وقال الحرث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغات الخير فى عينه قذى * ولا من زئير الحرب فى أذنه وقر

وقال اعرابى لرجل لا يذم بلد أنت تأويه ولا يشتكى زمان أنت فيه * وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمر العكلى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لآخر أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان وقال رجل لابى عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية ابن أبى الصلت الثقفى

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان

(وقال أوس بن حاتم الطائى)

فان تمكمى مارية الخير حاتما * فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه * فكاك أسير أو معونة غارم

(وقال ابن حمدون فى آل المهلب)

آل المهلب معشر أمجاد * ورثوا المكارم والوفاء فسادوا
وأتى بنوه مابناه فشادوا * وكذاك من طابت مغارس نبته * وبنى له الآباء والاجداد

فرحون ولا بأس بالاحتيال فيما نصرفه فى كسوتهم قال فكتبت الى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة على بشئ فوجه الى كيسا فيه ألف درهم فما استقر قراره حتى كتب الى صديقى الآخر يشكوه الى مثل ماشكوته الى الهاشمى فوجهت اليه بالكيس على حاله وخرجت الى المسجد وأنا مستح من امرأتى فلما دخلت عليها لم تعتبنى لعلمها بالحال فبينما أنا كذلك اذ أقبل صديقى الهاشمى ومعه الكيس يختمه فقال أصدقنى عما فعلته فيما وجهت به اليك فأعلمته بالخبر فقال انك وجهت الى ولا أملك الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه الى كيسى يختمه فأخرجنا للرأس مائة درهم وتقاسمنا الباقى أثلاثا وبلغ الخبر الى المأمون فأحضرنى وسألنى عن الخبر فشرحته له فأمر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة والفان لكل واحد منا (ويضارع ذلك ماهو منقول عن الاصمعى) قال قصدت فى بعض الايام رجلا كنت أغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعنى من الدخول اليه ثم قال والله ياأصمعى ما أوقفنى على بابه لأمنع مثلك الا لرقة حاله وقصوره وكتبت رقعة فيها اذا كان الكريم له حجاب

فما فضل الكريم على اللئيم

ثم قلت له أرسل رقعتى اليه ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها اذا كان الكريم قليل مال

تحجب بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لا تحفن المأمون بهذا الخبر فلما رآنى قال من أين يا أصمعى قلت من عند رجل من أكرم الاحياء حاشى أمير المؤمنين قال ومن هو فدفعت اليه الورقة والصرة

وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما مات سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الارض قال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا وقال سرى بن عبد الرحمن الرفاء فى خالد بن حاتم

ياواحد العرب الذى دانت له * قحطان قاطبة وساد نزارا
انى لارجوان أعيشك سالما * أن لا أعالج بعدك الاسفارا

(وقال كعب بن مالك الانصارى فى آل هاشم)

ياآل هاشم الاله حباكم * مالايسبلغه اللسان المفضل
قوم لاصلهم السيادة كلها * قدما وفرعهم النبى المرسل

(وقال الحسين بن دعبل الخزاعى)

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا يقود عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود فى أمواله * وأطاع أمر الله فى أحكامه

(وقال آخر)

يلقى السيوف بصدره وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لسنى القنا * فعقرت ركن الجدان لم تعقر
واذا تراءى شخص ضيف مقبل * متسربل أثواب محل أغبر
أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتنى الاعداء ان لم تنحرى

(وقال شاعر بنى تميم)

اذا لبسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا أثاروا
يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ما كنت جار بنى تميم * فأنت لأكرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بنى غير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذى يقول

لعمرى مارماح بنى غير * ببطائشة الصدور ولا قصار

قال الواز ياد الاعجم قالت أشهدكم أن له الثلث من مالى وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحاة اذا خولف يعطى صديقه الناقلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن النفوس محصورة وعلى المعالى مقصورة كالذهب الابريز الذى يعز كل أوان والشمس المنيرة التى لا تخفى بكل مكان هو النجم المضىء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان

وقال الحسن بن هانئ

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

﴿وله فى الفضل بن الربيع﴾

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خلفها الابصار مطمحا
وكلت بالدهر عين غير غافلة * بجود كفك تأسو كل ما جرحا

(وقال زياد الاعجم فى محمد بن القاسم الثقفى)

ابن المنابر أصبحت مختالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * بأقرب سورة سود من مولد

(ومن بدائع مدائح المتنبى قوله)

ليت المدائح تستوفى مناقبه * فما كليب وأهل العصر الاول
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

وأعدت عليه الخبر فلما رأى الصرة قال هذا من بيت مالى ولا بد لى من الرجل فقلت والله يا أمير المؤمنين انى أستحى أن أروعه بر سلك فقال لبعض خاصته امض مع الاصمعى فاذا أراك الرجل قل له أجب أمير المؤمنين من غير ازعاج قال فلما حضر الرجل بين يدى المأمون قال له أما أنت الذى وقفت لنا بالامس وشكوت رقة فان الزمان قد أناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الاصمعى ببيت واحد فدفعتها اليه فقال نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت فيما شكوت لامير المؤمنين من رقة الحال لكن استحييت من الله تعالى أن أعيد قاصدى الا كما أعادنى أمير المؤمنين فقال له المأمون لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ثم بالغ فى اكرامه وجعله من جلة ندمائه ﴿ومن لطائف المقول﴾ ماهو منقول عن الربيع انه قال ما رأيت رجلا أثبت ولا أربط جأشا من رجل رفع الى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمرنى بأحضاره فأحضرته ودخلت به اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى لبنى أمية عندك فاخرج لنا منها فقال يا أمير المؤمنين أوارث أنت لبنى أمية قال لا قال فوصى قال لا قال فما سؤالك اياى فى يدى من ذلك قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقهم فأريد أن أخذ أموال المسلمين وأجعلها فى بيت مالهم فقال يا أمير المؤمنين تحتاج فى ذلك الى اقامة البينة العادلة على ان الذى فى يدى لبنى أمية مما خانوه

ومدح أبو العتاهية عمر بن العلاء فاعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال والله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان أحدكم يأتينا فيتغزل فى قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال

انى أمنت من الزمان وصرفه * لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فاذن له وعنده الشعراء فانشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشدكم أيها الامير قصيدة هى كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشد فانشده قصيدته التى منها قوله

اذا لم ترز أرض الخصيب ركابنا * فأى فتى بعد الخصيب نزور
ويعلم ان الدائرات تدور * فما فاته جود ولا ضل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب لهما طرب وأمر له بألف دينار ووصيف ووصيفة (وحكى) ان أبا دلف صار يوما مع أخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للاخرى هذا أبو دلف قالت نعم الذى يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فبكى أبو دلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخى تبكى فقال لانى لم أقض حق الذى قال هذا قال أولم تعط مائة ألف درهم قال والله ما فى نفسى حسرة الا لكونى لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فأين المنحة قال بعضهم

اذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهباء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن جيوش محمد بن نصر صاحب حلب فأجازه بألف دينار ثم مات محمد ابن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لازهادة * ومرت اليكم حين مسنى الضر
فجاد أبو نصر بألف تصرمت * وانى على أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها لرأيناه لعفته له وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة

ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمدانى انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يطرد الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وقال آخر

أخو كرم يقضى الورى من بساطه * الى الروض محمد بالسماح محمود
وكم لجباه الراغبين لديه من * محال سجود فى مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود ورفيق خيله وزميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله ومواهبه الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وغوثه مبذول للضعيف يطفو جوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تفجر من أنامله وربيع السماح يضحك عن فوائله ان طلبت كريما فى جوده من قبل وجوده أو ماجدا فى أخلاقه مت ولم تلاقه باسل تعود الاقدام حيث تزل الاقدام وشجاع يرى الاحجام عارا لا تحموه الايام له خلق لو مازج البحر لنفى ملوحته وصفى كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار أطيب من زمن الورد فى الايام وأبهج من نور البدر فى الظلام خلق يجمع الاهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء المتشتتة فى مودته هو ملح الارض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصنع صفاته والبلاغة عنوان خطراته كانما أوحى التوفيق الى صدره وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يبعث بالكلام ويعوده بأبين زمام حتى كان الالفاظ تتحاسد فى التسابق الى خواطره والمعانى تتغاير فى الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر أو أيبس ويلين تارة حتى

تقول

وظلموه واغتصبوه من أموال المسلمين فان بنى أمية كان لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه الى وقال صدق الرجل يا ربيع ما وجب عليه عندنا شئ ثم بش فى وجهه فقال هل لك من حاجة فقال نعم يا أمير المؤمنين حاجتى أن تنفذ كتابى مع البريد الى أهلى ليكتبوا الى سلامتى فقد راعنى اشخاصى وقد بقيت لى حاجة أخرى يا أمير المؤمنين قال ما هى قال تجمع بينى وبين من سعى بى اليك فوالله ما لبنى أمية عندى ولا فى يدى وديعة ولكننى لما ملكت بين يديك وسألتنى ورأيت ما قتله أقرب الى الخلاص والنجاة فعال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فقال هذا غلامى ضرب على ثلاثة آلاف من مالى وأبق فشدد المنصور على الغلام فأقر انه غلامه وانه أخذ المال الذى ذكره وأبق منه وكذب عليه فخوفه من الوقوع فى يده فقال المنصور للرجل أسألك أن تصفح عنه فقال يا أمير المؤمنين صفحت عن جرمه وأبرأته من المال وأعطيته ثلاثة آلاف دينار أخرى فقال المنصور ما على ما فعلت مزيد فى الكرم قال بلى يا أمير المؤمنين هذا حق كلامك وانصرف وكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رأيت مثل هذا الرجل يا ربيع

﴿رحلة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه﴾

قال الشيخ الامام العالم المقرى أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الاردبيلى المالكى بالجامع العتيق بمصر فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد

تقول الماء أو أسلس فهو اذا أنشأ رشفي واذا عبر حبر واذا أوجز أعجز ذهت به الايام و باهت في يمينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الايام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

وقال آخر

لو كان يحوي الروض ناصر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتائه
أو قابل الاملاك طالع سعده * ما صار يحس في نجوم سمائه

وقال آخر

ووجهك بدر في الغمائم مشرق * وكفك في شهب السنين غمام
عجيب لبدر لا يزال امامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا الغمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

(وقال حسين بن مطير الاسدي)

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيطر يوم الجود من كفه الندى * ويطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على المال لم يصح على الارض معدم

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة)

والله ما عجبي لقدرك انه * قدر على باغي مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * في هذه الدنيا وأنت وحيد

(ولصفي الدين الحلي)

أثني فتثنيني صفاتك مظهرا * عياو كم أعيت صفاتك خاطبا
لو انني والخلق جمعا ألسن * نثني عليك لما قضينا الواجب

(وللشيخ برهان الدين القيراطي)

أوصافكم تجري أحاديثها * مجرى النجوم الزهر في الافق
كما أحاديث الندى عنكم * تسند الى الركبان من طرق

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة)

روت عنك أخبار المعاني محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا * وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

(وقال غيره) من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروي أحاديثما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ولابي فراس بن حمدان لئن خلق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لمجد أو لبأس أو لجود

(وقال آخر) ان الهمات التي جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيك مبتكر
مازالت تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العلياء مقتصر

(ولمحمد بن مناذر في آل برمك)

أثانا بنو الاملاك من آل برمك * فيا طيب أخبار وأحسن منظر
لهم رحلة في كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المنور
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خفقت الاجود أكفهم * وأقدامهم الا سعى مظفر
اذا رام يحيى الامر ذللت صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

الله بن فتح المعروف بابن الحبشي سنة ثلاثين وخمسمائة أخبرنا الشريف القاضي الموسوي أبو اسماعيل موسى بن الحسين بن اسماعيل بن علي الحسيني المقري في سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن ابراهيم الغازي في ربيع الاول سنة احدى وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا يحيى بن عبد الله الرجل الصالح ويحيى بن موسى المعدل بمصر قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الواعظ المصري الكرازة قال حدثني أبو الفرج عبد الرزاق حميدان البطين قال حدثني أبو بكر محمد بن المنذر قال حدثني الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول فارقت مكة وأنا ابن أربع عشرة سنة لانبات بعارضي من الابطح الى ذي طوى وعلى بردتان عانيتان فرأيت ركبا فسلمت عليهم فردوا علي السلام ووقف الى شيخ كان فيهم قال سألتك بالله الا ما حضرت طعامنا قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وما كنت أعلم انهم أحضروا طعاما فاجبت مسرعا غير محتشم فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فاخذت كاخذهم كي لا يستوحش عليهم ما كلي والشيخ ينظر الي ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله وأثنيت عليه فأقبل علي الشيخ وقال أمكي أنت قلت مكي قال أقرشي أنت قلت قرشي ثم أقبلت عليه وقلت يا عم بم استدللت علي قال أما في الحضر فبالرى وأما في النسب فبأكل الطعام لانه من أحب أن يأكل طعام الناس أحب

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وأنشد

ليت شعري أين قوم اجدبوا * فأغيثوا بل من بعد الجحف . نظر الله لهـــم من بيننا
وحرمنا ك بذنب قد سلف * يا أبا اسحق سر في دعة * وامض معصوبا فامنك خلف
انما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

(وقال آخر) لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فأنتم سادة الناس

وللحسين بن مطير الاسدي في المهدي

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم * ما كان في الناس الا أنت معبود
أنحت يمينك من جود مصورة * لابل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة * في السود طرا لدن لا بيضت السود

(وقال آخر) أوليتني نعما وفضلا زائدا * وبررتني حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم * ما كنت الا راكعا لك ساجدا

(وقال آخر) ثناؤك في الدنيا من المسك أعطر * وحظك في الدنيا جزيل موفر
وكفك بحر والامل أنهر * رعى الله كفا فيه بحر وأنهر
أعيذك بالرحمن من كل حاسد * فلا زالت الحساد تعمى وتصغر
لساني قصير في مديحك سيدي * لاني فقـــير والفقير مقصر

﴿الفصل الثاني من هذا الباب في شكر النعمة﴾ أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أي أيقنوا انها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روى ان داود عليه السلام قال الهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر * ولمحمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة * علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقب بها الاجر
فما منهـــما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وفي مناجاة موسى عليه السلام الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته بذلك شكرا لي * وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث ويروى عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر * وأما الشكر الذي على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله ما شاكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا ذكرته واذا رأيت بهما شرا سترته قلت فما شاكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته وفي حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام

أن يأكلوا طعامه وذلك في قريش خصوصا قال الشافعي رضي الله تعالى عنه فقلت للشيخ من أين أنت قال من يثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له من العالم بها والمتكلم في نص كتاب الله تعالى والمفتي بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد بني أصبح مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال الشافعي رضي الله عنه فقلت واشوقا الى مالك فقال لي قد يذل الله شوقك انظر الى هذا البعير الاورق فانه أحسن جملنا نحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل الى مالك فما كان غير بعيد حتى فطر وابعضها الى بعض وأركبوني البعير الاورق وأخذ القوم في السير وأخذت أنا في الدرس فخرجت من مكة الى المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمة وبالنهار ختمة ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنت من القبر فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس مترزرا ببردة متوشحا بأخرى قال حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رضي الله عنه فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بي المجلس فأخذت عودا من الارض فجعلت كلما أملى مالك حديثا كتبته بريقي على يدي والامام مالك رضي الله عنه ينظر الي من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس وانتظرني مالك ان أنصرف فلم يرني انصرفت فأشار الي فدنوت منه فنظر الي ساعة ثم قال أحرمي

النعمة من الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فادار أينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله فى نقصان علمنا انه قد أخل بالشكر اما انه لا يزكى ماله او يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان او اطعام جائع أو شبهه ذلك فيدخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لوصدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا غير وا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دهى الى أقوام ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فأعتق رقبة شكر الله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم ويروى أن غلة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام يا نبى الله أنا على قدرى أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا لله تعالى ثم قال لولا أنى أبجلك لسألتك ان تنزع منى ما أعطيتنى وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام فى محرابه اذ مرت به دودة فتفكر فى خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له فقالت يا داود تحبك نفسك وأنا على قدر ما آتانى الله تعالى أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك وقال على رضى الله عنه احذر وا نفار النعم فما كل شارد مردود وعنه عليه السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اقصالها بقلة الشكر وقيل اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمارة فى المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه * بواجبه وتقضى بعض حقه
فلم تقصد لطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

(وقال آخر) ولو أن لى فى كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسرا لمن وروى اذا جحدت الصنيعة خسر الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود فى الارض سبخة لا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها ومراح يوقد فى الشمس وجارية حسناء تزف الى أعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها وقال عبد الاعلى ابن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فقد افتقرنا فقلت يا أمير المؤمنين بلغنى عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لاشكرن لك معروفا هممت به * فان همك بالمعروف معروف
ولا ألومك ان لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

(وقال) أبو فراس بن حمدان

وما نعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذى شكر تمانعنى أخرى
سآتى جميلا ما حييت فانى * اذا لم أفد شكرا أفدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من امتطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد غاية للنعمة

أنت قلت حرمى قال أمكى أنت قلت مكى قال أقرشى أنت قلت قرشى قال كملت أوصافك لكن فيك اساءة أدب قلت وما الذى رأيت من سوء أدبى قال رأيتك وأنا أملى ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول فجذب مالك يدى اليه فقال ما أرى عليها شيأ فقلت ان الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست وحفظته الى حين قطعت فتعجب الامام مالك من ذلك فقال أعد على ولو حديثا واحدا (قال الشافعى رضى الله عنه) فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر واشرت بيدى الى القبر كاشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدثت بها من حين جلس الى وقت قطع المجلس وسقط الفرض فصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك اليك وسألنى النهوض معه (قال الشافعى رحمه الله) ففعلت غير ممتنع الى ما دعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلنى الغلام الى خلوة فى الدار وقال لى القيلولة فى البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء (قال الشافعى رضى الله عنه) فما لبث مالك رضى الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقا فوضعه من يده وسلم الامام على ثم قال للعبد اغسل عليها ثم وثب الغلام الى الاناء وأراد أن يغسل على أولا فصاح عليه مالك وقال الغسل فى أول الطعام لرب البيت وفى آخر الطعام للضيف (قال الشافعى رضى الله عنه) فاستحسنت ذلك من الامام مالك رضى الله عنه وسألته عن شرحه فقال انه يدعو الناس الى

جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله تعالى على عبده مجهولة فاذا افقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى ان الذى صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك لسلمة

أمسلمة يا فخر كل خليفة * و يا فارس الدنيا و يا جبل الارض
شكرتك ان الشاكرين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

ومدحه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكر له فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم ان أنعمت على بنى سام فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن على بن الحسين رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى الصائم القائم ان شاء الله شاكرين وعن محمد بن على ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم انها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه ان شاء غفر له وان شاء آخذ قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره ولو أن رجل رجلا اعز أبا ما خيرا فقال لا أبلاك الله بلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سأشكرك ما انى أجاز يك منعما * بشكرى ولكن كى يزادك الشكر
وأذكر أياما لدى اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

(وقال آخر) أوليتنى نعما أبوح بشكرها * وكفيتنى كل الامور بأسرها
فلاشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

(وقال آخر) أيارب قد أحسنت عودا وبدأة * الى فلم ينهض باحسانك الشكر
فان كان ذا عذرا لديك وحجة * فعذرى اقرارى بأنك ليس لى عذر

وقال محمود الوراق الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا
ان ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا * كانى بالتقصير أستوجب الفضلا

وقد أحسن نصيب فى وصف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال رجل من غطفان

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا * به الزيادة عند الله والناس

وقيل اشكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك المناصحة

﴿الفصل الثالث من هذا الباب فى المكافاة﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له وما قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقيل له يا رسول الله لو تركتنا كفيناك فقال كانوا لاصحابى مكرمين وقيل أتى رجل من الانصار الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال

اذكرصنيعى اذ أتاك فجأة * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر بأعلى صوته ادن منى فدنا منه فأخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال ألا ان هذا ردعنى سفيها من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد فى عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدى عندك بيضاء قال وما هى قال كبت بك

كرمه فحكمه ان يبتدئ بالغسل وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه (قال الشافعى رضى الله عنه) فكشف الامام رضى الله عنه الطبق فكان فيه صفنتان فى احداهما لبن والاخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك انا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لى يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل الى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن انما العذر على من أساء (قال الشافعى رضى الله عنه) وأقمت عند مالك يسألنى عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قام عنى وقال حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتى فلما كان فى الثلث الاخير من الليل قرع على مالك الباب فقال لى الصلاة يرحمك الله فرأيته حامل اناء فيه ماء فتمشيع على ذلك فقال لى لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض (قال الشافعى رضى الله عنه) فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الامام مالك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لا يعرف بعضهم بعضا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا فى مصلاه يسبح الله تعالى الى أن طلعت الشمس على رؤس الجبال فجلس مالك فى مجلسه بالامس وناولنى الموطأ املاه على وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه (قال الشافعى رضى الله عنه) فأتيت على حفظه من أوله الى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الانس الذى كان بيننا أينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ (قال الشافعى) فأمليت عليهم حفظا

فرسلك فتقدمت اليك قبل غلمانك فأخذت بعضدك وأركبتك وأسقيتك ماء قال فأين كنت الى الآن قال حجبت عن الوصول اليك قال قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم وبما يلكه الحاجب اذا حجبك عنا (وقال) قطري بن الفجاءة لخارجي أمره الحجاج ثم من عليه فأطلقه عاود فقتال عدو الله فقال هيهات شديد مطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال

أ أقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقربانها مولاته * ماذا أقول اذا وقفت ازاءه
في الصف واحتجت له فعلاته * أ أقول جار علي لا اني اذا * لأحق من جارت عليه ولاته
وتحدث الاقوام ان صنائعا * غرست لدى فحنظلات نخلاته

واجتاز الشافعي رحمه الله تعالى بمصر في سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه ومسحه وناوله اياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد عبد الملك عامر الشعبي فأنشده لغير ماشاعر حتى أنشد لحسان

من سره شرف الحياة فليزل * في عصبة من صالحي الانصار * الباذلين نفوسهم لنبيهم
بالمشرفي * وبالقنا الخطار * الناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار

فقام أنصاري فقال أمير المؤمنين استوجب عامر الصلة على ستون من الابل كما أعطيتنا حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندي ستون ألفا وستون من الابل وعن علي كرم الله وجهه أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم وقال المدائني رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته ماشيا في سفر فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشي الناس وكان حقا على الله أن يرحلني حيث يركب الناس

﴿وعما جاء في المكافأة﴾ ماحكي عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا في مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا الى شأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبي خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بني ان لا يبلغ مع أبي هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلي هذا فذكرني أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبي أمرتني أن اذكرك حديث أبي خالد الاحول قال نعم يا بني لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيرا لا يملك شيأ فاشتد به الامر الى أن قال لي من في منزلي انا قد كتمانا لنا وزاد صرنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شيء نقتات به قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت مندبلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الي فأخذته ودفعته الى بعض أصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلي وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآني سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الي نظرا شديدا وما أجابني جوابا فرجعت الى أهلي كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لامر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد ان كنت عنده جليلا فما راك بعد اليوم الا بهذه العين فعلمت قد قضي الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال لي قد ذكرت الساعة ببابك أمير المؤمنين فلم التفت لقوله فاستقبلني آخر فقال لي كمقالة الاول ثم استقبلني حاجب أبي خالد فقال لي أين تكون قد أمرني أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لي بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال علي بغلمان وفلان الخياط بن فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا

بلى قال هو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكم ثم قال لى قم معهما فلما خرجنا قالا لى ادخل معنا بعض المساجد حتى نتكلم فى أمر يكون لك فيه الربح الهنى * فدخلنا مسجدا فقالا لى انك تحتاج فى هذا الامر الى وكلاء وأمناء وكالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شئ فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نجعله لك فتتفرغ به وتسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانى وأنا لا أرضى الى أن قالا لى ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أباخالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فأقبضاه المال الساعة ثم قال لى أصلح أمرك وتهيأ فقد قلد تك العمل فأصلحت شأنى وقلدنى ما وعدنى به فما زلت فى زيادة حتى صار أمرى الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بنى فما تقول فى ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمرى وجب عليك له فقال والله يا ولدى ما أجد له مكافأة غير أنى أعذل نفسى وأوليه فافعل ذلك رضى الله عنه وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ما حكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا الينا فاستوثق منه واحتفظ به ولا بكر به الى فى غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معى فى بيتى فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا لمن أنت من أهلها قال ومن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لى معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالى تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم فبينما هو هارب فى بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفى فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فى يافقالوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحمل رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لى مكانا فى داره ولم يحوجنى الى شئ ولم يقترعن تفقدى حوالى فأقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حالى فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعملتك فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة وذلك على عهد الله ان لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفيتك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الغلانى ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحى فأقاما يومهما ذلك فى كد وتعب فلما كان خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقية من أخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا

الدنانير وودعنى وانصرف وسرت فى جملة الحاج حتى وصلت الى الكوفة يوم رابع عشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت العصر فبينما أنا كذلك اذ رأيت غلاما قد دخل المسجد وصلى العصر فلما أحسن الصلاة تقدمت اليه ناصحا فقلت له أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لى أنا أظن انك من أهل الحجاز لان فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا أصلى هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدى محمد بن الحسن وأبى يوسف فما عابا على صلاتى قط وخرج معجبا ينفض رداءه فى وجهى فلقى للتوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد فقال أعملتما فى صلاتى من عيب فقالا اللهم لا قال ففى مسجدنا هذا من عاب صلاتى فقالا اذهب اليه فقل له بم تدخل فى الصلاة (قال الشافعى رضى الله عنه) فقال لى يا من عاب صلاتى بم تدخل فى الصلاة فقلت بفرضين وسنة فعاد اليهما وأعلمهما بالجواب فعلما أنه جواب من نظر فى العلم فقالا اذهب اليه فقل له ما الفرضان وما السنة فأتى الى فقال ما الفرضان وما السنة فقلت له أما الفرض الاول فالنية والثانى تكبيرة الاحرام والسنة رفع اليدين فعاد اليهما فأعلمهما بذلك فدخلا الى المسجد فلما نظرا الى أظنهما الازدريانى فجلسا ناحية وقال اذهب اليه وقل له اجب الشيخين (قال الشافعى رحمه الله تعالى) فلما أتانى علمت انى مسؤل عن شئ من العلم فقلت من حكم العلم أن يأتى اليه وما علمت لى اليهما حاجة قال الشافعى رضى الله عنه

فحمل عليه صندوقين ونوقهما فرش ودفع الى نسخة ما فى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لانى بعهدته فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه ثم قلت له ما الذى أصارك الى ما أرى فقال ما جاجت بلدة مشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى ان أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمان من ينصرف الى أهلى يخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى أن ترسل من يحضره لى حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباسى قلت بسمع الله وطاعته خيرا ثم أحضر جوادا فى الليل فلك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال على بالفرس الفلانى والفرس الفلانى والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذهبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان أنت احتجبت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأردوا قتل فقال لى اتبع نفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن فى موضع كذا وان أنا سلمت فى غد اغد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذ فى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحفظ وجهزله كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال لله على عهد ان ذكرت له هربا لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله فى أمرى قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انى أريد أن أفى له وأكافئه على ما فعله معى وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين اما أن يصفح عنى فأكون قد وفيت وكافأت واما ان يقتلنى فأفيه بنفسى وقد تحنطت وها كفنى يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا لقد فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هلا عرفتنى خبره فكنا نكافئه عنك ولا تقصر فى وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون هذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه واثننى به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر

فقاما من مجلسهما الى فلما أسلما على قمت اليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين يديهما فأقبل على محمد بن الحسن قال أحرمى أنت فقلت نعم فقال اعربى أم مولد فقلت عربى فقال من أى العرب فقلت من ولد المطلب قال من ولده قلت من ولد شافع قال رأيت مالك هكذا وقعت هذه اللفظة قلت من عنده أتيت قال لى نظرت فى الموطأ قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بدواة وبياض وكتب مسئلة فى الطهارة ومسئلة فى الزكاة ومسئلة فى البيوع والفرائض والرهان والحج والايلاء ومن كل باب فى الفقه مسئلة وجعل بين كل مسئلتين بياضا ودفع الى الدرج وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ (قال الشافعى رضى الله عنه) فأجبت بنص كتاب الله وبسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين فى المسائل كلها ثم دفعت اليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك اليك (قال الشافعى رضى الله تعالى عنه) ثم سألنى النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت الى الباب قال لى العبد ان سيدى أمرنى أن لا تصير الى المنزل الا راكبا (قال الشافعى رضى الله تعالى عنه) فقلت له قدم فقدم الى بغلة بسرج محلى فلما علوت على ظهرها رأيت نفسى بأطمار رثة فطاف بى أزقة الكوفة الى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبوابا ودهليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وما هم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويعصون

النوى ثم أقبل على محمد بن الحسن وأنا في بكائي فقال لا ير عك يا عبد الله ما رأيت فما هو الا من حقيقة حلال ومكتسب ومايط الله فيها بفرض وأنى أخرج زكاتها في كل عام فأمر بها الصديق وأكبت بها العدو (قال الشافعي رضي الله تعالى عنه) فما بت حتى كساني محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فأخرج الى الكتاب الاوسط تأليف الامام أبي حنيفة فنظرت في أوله وفي آخره ثم ابتدأت الكتاب في ليلتي أتحفظه فما أصبحت الا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم شيأ من ذلك وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب في النوازل فانا قاعد عن يمينه في بعض الايام اذ سئل عن مسئلة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت له قد وهمت في الجواب في هذه المسئلة والجواب عن قول الرجل كذا وكذا وهذه المسئلة تحتها المسئلة الفلانية وفوقها المسئلة الفلانية في الكتاب الفلاني فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فاحضر فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلت فرجع عن جوابه الى ما قلت ولم يخرج الى كتاب بعد هذا (قال الشافعي) فاستأذنته في الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عني و بذل لي في مشاطرة نعمته فقلت ما الذ اقصدت ولا لذا أردت ولا رغبتي الا في السفر قال فأمر غلامه ان يأتي بكل ما في خزانته من بيضاء وحمراء فدفع الى ما كان فيها

وهو ثلاثة آلاف درهم وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس و بلاد الاعاجم وألقى الرجال حتى صرت ابن احدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق في خلافة هرون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بي غلام فلا طفني وقال لي ما اسمك فقلت محمد قال ابن من قلت ابن ادريس الشافعي فقال مطلبي فقلت أجل فكتب ذلك في لوح كان في كمه وخلى سبيلي فأويت الى بعض المساجد أفكر في عاقبة ما فعل حتى اذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد وأقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا الي فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا علي وقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلاما بينا فاستحسن الالفاظ ورد علي الجواب ثم قال تزعم انك من بني هاشم فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم في كتاب الله باطل فقال أبن لي عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لي الرشيد ما تكاد هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة الا في رجل من ولد المطلب هل لك ان أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وتنفذ فيهم حكمك وحكمي على ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واجتمعت عليه الأمة فقلت يا أمير المؤمنين لو سألتني أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه بالعشي بنعمتك لفعلت ذلك أيد الله فيك الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شيأ (هكذا وردت هذه اللفظة) قلت يكون معجلا فأمر لي بألف دينار فما برحت من مقامي حتى قبضتها ثم سألني بعض الغلمان والحشم ان أصلهم من صلتي فلم تسع المروءة ان كنت مسؤلا غير المقاسمة فيما أنعم الله به علي فخرج لي قسم كاقسامهم ثم عدت الى المسجد الذي كنت فيه في ليلتي فتقدم يصلي بنا غلام صلاة الفجر في جماعة وأجاد القراءة ولحقه سهو ولم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام أفسدت علينا وعلى نفسك أعد وأعاد مسرعا وأعدت ثم قلت له أحضر بيان العمل لك باب السهو في الصلاة والخروج منها فسارع الى ذلك ففتح الله عز وجل علي فألفت له كتابا من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون - زا يعرف بكتاب الزعفران وهو الذي وضعته بالعراق حتى تكامل في ثلاث سنين وولاني الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى في قبته

ذلك

الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد رفيها كتابه يقول لي يا عبد اسر هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم * ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه ما أورده محمد بن القاسم الانباري رحمه الله تعالى ان سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت واحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل واحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت واحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بامي يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال يا أبا عبد الله أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فاردت أن أحدثك بشيء فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لأسأله شيأ يصلني به وأنزل الى سوار فانه كان صديقا لابي فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الى فقلت له يا هذا ان الله تعالى قد أنالك بسوار منعمه من الطعام والنوم والقرار حتى جاءه فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فصر الى منزلي ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشيء أظرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فأعجبه

فلما أشرت اليه بالسلام أمر قائد القبة ان يقف وأشار الى بالكلام فسألته عن الامام مالك وعن الحجاز فاجاب بخير ثم عاودته الى السؤال عن مالك فقال لى أشرح لك واختصر قلت فى الاختصار البلاغة فقال فى صحة جسم وله ثلثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود اليها الى سنة فقد اختصرت لك خبره (قال الشافعى رضى الله تعالى عنه) فاشتهيت أن أراه فى حال غناه كما رأيته فى حال فقره فقلت له أما عندك من المال ما يصلح للسفر فقال انك لتوحشنى جاسة وأهل العراق عامة وجميع مالى فيه لك فقلت له فهم تعيش قال بالجاه ثم نظر الى وحكمنى فى ماله فأخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على دبار ربيعة ومضر فأتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وما جاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعيرا رأسى شعثا فدعوت المزين فلما بدأ برأسى وأخذ الغليل من شعرى دخل قوم من أعيان البلد فدعوه الى خدمتهم فسارع اليهم وتركنى فلما قضوا ما أرادوا منه عاد الى فأردته وخرجت من الحمام فدفعت اليه أكثر ما كان معى من الدنانير وقلت له خذ هذه واذا وقف بك غريب لا تحتقره فنظر الى متعجبا فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبنى الناس فبينما أنا كذلك اذ خرج بعض من كان فى الحمام من الاعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابى لهم فانحدر عن البغلة بعد أن استوى عليها وقال لى أنت الشافعى فقلت

نعم فدا الركاب عما يلينى وقال بحق الله اركب ومضى بى الغلام مطرقا بين يدى حتى أتيت الى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلت فى منزله فأظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل علينا ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدى فقال مالك يا عبد الله فقلت له طعامك حرام على حتى أعرف من أين هذه المعرفة فقال أما ترى معى مثل الكتاب الذى وضعته ببغداد وأنت لى أستاذ (قال الشافعى رضى الله عنه) فقلت العلم بين أهل العقل رحم متصلة فأكلت بفرحة اذ لم يعرف الله تعالى الا بينى وبين أبناء جنسى وأقمت ضيفه ثلاثا فلما كان بعد ثلاث قال ان لى حول حران أربع ضياع مالا بحران أحسن منها أشهد الله ان اخترت المقام فانها هدية منى اليك فقلت فهم تعيش قال بما فى صناديق تلك وأشار اليها وهى أربعون ألف درهم وقال أتجر بها فقلت ليس الى هذا قصدت

ذلك وأمر لى بالفى دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحاد ثنى ساعة وقال امض الى منزلك فضيت الى منزلى فاذا بخادم معه خمسون الفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاء الى الاعمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قدر رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم (وما هو واضح حسنا وأرجح معنى) ما حكاه القاضى يحيى بن أكثم رحمة الله عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شانا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له اخبرنى عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت نجيجة عظيمة فى القافلة الحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم ترى ما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بثعبان أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لا أهتدى الى ما أصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب وليس لاحد من القوم أن يقربه فقلت افدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعنى فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فمه وصببت الماء كما يصب فى الاناء فلما فرغت القربة تسيب فى الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحالنا ثم عدنا الى طريقنا ذلك وخططنا فى منزلتنا تلك فى ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتى ثم توضأت وصليت

ولما خرجت من بلدى لغير طلب العلم فقال لى فالمال اذن من شأن المسافر فقبضت الاربعين الفا وودعته وخرجت من مدينة حران وبين يدى أحمال ثم تلقانى الرجال وأصحاب الحديث منهم أحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة والاوزاعى فاجزت كل واحد منهم على قدر ما قسم له حتى دخلت مدينة الرملة وليس معى الا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فما زلت من منهل الى منهل حتى وصلت الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم بعد سبعة وعشرين يوما بعد صلاة العصر فصليت العصر ورأيت كرسيا من الحديد عليه محدة من قباطى مصر مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الشافعى رضى الله عنه) وحوله أربعمائة دفتر أو يزدن وبينما أنا كذلك اذ رأيت مالك بن أنس رضى الله عنه قد دخل من باب النبى صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره فى المسجد وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله منهم أربعة فلما وصل قام اليه من كان قاعدا وجلس على الكرسى فألقى مسئلة فى جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعنى الصبر فقمت قائما فى سور الحلقة فرأيت انسانا فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فقبل فراغ مالك من السؤال فاضرب عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل ففرح الجاهل باصابته فلما ألقى السؤال الثانى أقبل على الجاهل يطلب منى الجواب فقلت له الجواب

كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت اليه مالك وأقبل على أصحابه واستخبرهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل (قال الشافعي رضي الله عنه) فلما ألقى السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فأعرض مالك عنه وأقبل على أصحابه فخالفوه فقال أخطأتم وأصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل ليس ذلك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين يديه فقال له مالك فراسة قرأت الموطأ قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق قال لا قال فهذا العلم من أين قال لي جانبي غلام شاب يقول لي قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك رضي الله عنه فقال للجاهل قم فأمر صاحبك بالدخول الينا (قال الشافعي رضي الله عنه) فدخلت فإذا أنا من مالك بالموضع الذي كان الجاهل فيه بين يديه فتأملني ساعة وقال أنت الشافعي فقلت نعم فضمني الى صدره ونزل عن كرسيه وقال

أنتم هذا الباب الذي نحن فيه حتى ننصرف الى المنزل الذي هو لك المنسوب الي (قال الشافعي رضي الله عنه) فألقيت أربعمائة مسئلة في جراح العمد فما أجابني أحد بجواب واحتجت ان آتي بأربعمائة جواب فقلت الاول كذا وكذا والثاني كذا وكذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده الى فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الاول فبكيت فقال لم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله أن قد بعت الآخرة بالدنيا قلت هو والله ذلك قال طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر والهدايا تجبى من أقاصي الدنيا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويرد الصدقة وان الى ثلثمائة خادمة من رزق خراسان وقباطي مصر وعندي عبيد عملها لم تستكمل الحلم فهم هدية مني اليك وفي صناديقي تلك خمسة آلاف دينار أخرج زكاتها عند كل حول فلك مني نصفها قلت انك موروث وأنا موروث فلا يبيت جميع ما وعدتني به الا تحت خاتمي ليجري ملكي عليه فان حضرني أجلي كان لورثتي دونك وان حضرك أجلك كان لي دونك ورثتك فتبسم في وجهي وقال أبيت الا العز فقلت لا يسعني أحسن منه وما بت الا وجميع ما وعدني به تحت ختمي فلما كان في غد اغتسلت الفجر في جماعة وانصرفت الى المنزل أنا وهو وكل واحد منا يده في يد صاحبه اذ رأيت كراعا على بابه من جياد خراسان وبغالا من مصر فقلت له ما رأيت كراعا أحسن من هذا فقال هو هدية مني اليك يا أبا عبد الله فقلت له دعك منها دابة فقال اني أستحي من الله أن أطأ قرية فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة (قال الشافعي رضي الله عنه) فعلمت أن ورعا الامام مالك باق على حاله فأقمت عنده ثلاثا ثم ارتحلت الى مكة فرأيت أسوق خير الله ونعمه ثم انفذت من يعلم بخبري فلما وصلت الى الحرم خرجت العجوز ونسوتها معها فضمتني الى صدرها وضمتني بعدها العجوز كنت آلفها دوما فانها التي وقالت

ليس أمك اجتاحت المنايا * كل فؤاد عليك أم

وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب واذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ماعنده من ذي رشاد يصحبه
دونك هذا البكر مناتر كبه * وبكرك الميسون حتما تجنبه
حتى اذا ما الليل زال غيهبه * عند الصباح في الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي وبكري الى جانبي فأنخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولي فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد أثبت من كثب * ومن هموم تضل المدلج الهادي
ألا تخبرني بالله خالقنا * من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي
وارجع حميدا فقد أبلغتنا مننا * بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر الي وهو يقول

أنا الشجاع الذي الفيتني رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله الباب الثالث والاربعون﴾

هذه فهرسة ما فى النصف الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرسة المجعولة للاستدلال على أى باب من الابواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف

صحيفه	
٢	الباب الثالث والاربعون فى الهمة ومقدماته
٧	الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان
	الفصل الاول فى الصدق
٨	الفصل الثانى فى الكذب وما جاء فيه
٩	الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق
	الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء الخ
١٢	الفصل الثالث فى ذكر الاسباب والاقارب والعشيرة
	الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق
٢٦	الباب السابع والاربعون فى التحتم والحلى والمصوغ والطيب الخ
٢٨	الباب الثامن والاربعون فى الشباب والشيب والصحة الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى الشباب وفضله
٢٩	الفصل الثانى فى الشيب وفضله
٣١	الفصل الثالث فى العافية والصحة
	الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام
٣٢	الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب الخ
٣٥	الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع الخ
٤٠	الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه
٤٥	الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه

صحيفه	
٤٦	الباب الثالث والخمسون فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد
٥١	الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك
٥٣	الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف الخ
٥٦	الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه الخ وفيه ثلاثة فصول
	الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله
٥٨	الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع
٦٤	الفصل الثالث فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر
٦٦	الباب السابع والخمسون فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح الخ
٧١	الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان
	الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا
٧٢	الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم
٧٣	الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم الخ
٧٦	الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل الخ
٨٤	الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ الخ
٩٠	الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات الخ

صحيفه	
١٢٠	الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم
١٢٣	الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم
١٢٥	الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى ذكر البحار
١٢٨	الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون
١٢٩	الفصل الثالث فى ذكر الآبار
١٣٠	الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب
	الفصل الثانى فى ذكر الجبال
	الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها عجائبها
١٣٣	الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها
١٣٦	الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء الخ
١٤٠	الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم الخ
١٤٤	الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى
١٤٩	الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى وصف العشق
١٥٠	الفصل الثانى فيمن عشق رعف والافتخار بالعفاف
١٥٤	الفصل الثالث فى ذكر من مات بالحب والعشق
١٥٩	الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان الخ

صحيفه	
	وفيه فصول
١٥٩	الفصل الاول فى الشعر
١٨٩	فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك
١٩٣	فصل فى الالغاز
٢٠٧	الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه
٢١٣	الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة
٢١٤	الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء
٢١٥	الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن وما لقنهن
٢١٦	الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه
٢١٨	الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها
٢١٩	الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى النهى عن المزاح
٢٢٠	الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم
٢٢١	الباب السادس والسبعون فى النوادر والحكايات وفيه فصول عشرة
	الفصل الاول فى نوادر العرب
٢٢٤	الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء
	الفصل الثالث فى نوادر القضاة
٢٢٦	الفصل الرابع فى نوادر النحاة
	الفصل الخامس فى نوادر المعلمين
٢٢٧	الفصل السادس فى نوادر المتنبئين
	الفصل السابع فى نوادر السؤال
٢٢٨	الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين
	الفصل التاسع فى نوادر النواتية
٢٢٩	الفصل العاشر فى نوادر جامعة
٢٣٠	الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصلان

صحيفه	
٢٣٠	الفصل الاول فى الدعاء وآدابه
٢٣٢	الفصل الثانى فى الادعية وماجاء فيها
٢٣٨	الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله عز وجل
	الباب التاسع والسبعون فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار
٢٤٤	الباب الثمانون فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى الامراض والعلل وماجاء فى ذلك من الأجر والثواب
	الفصل الثانى فى ذكر العلل كالجشر والعرج الخ
٢٤٦	الفصل الثالث فى التداوى من الامراض والطب
٢٤٩	الفصل الرابع فى العيادة وفضلها
	الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله
٢٥٢	الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى الصبر
٢٥٣	الفصل الثانى فى التعازى والتأسى
	الفصل الثالث فى المراثى
٢٥٩	الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها الرغبة فيها
	الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

تمت الفهرست

فهرست بقية كتاب ثمرات الاوراق الموشى به هامش كتاب المستطرف

صحيفه	
٣	من لطائف المنقول عن صدق محبة أبى طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١	من شهى المجتنى من ثمرات الاوراق ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه
١٢	من مناقب الامام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فتح بيت المقدس
١٧	حكاية الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر لما خرجوا حجاجا
٢٠	نادرة حج هشام بن عبد الملك وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر فأقبل على بن الحسين الخ
٢١	ذهاب سيدنا عمر بن الخطاب الى الشام ولقى سيدنا معاوية له
	من لطائف معاوية مع ابن الزبير رضى الله عنهما
٢٣	نادرة تميم بن جميل الحارجى وكان قد خرج على المعتصم
٢٤	ماوقع بين غسان بن عباد وبين على بن عيسى القمر
٢٦	حكاية الرجل الذى عمر ورأى الاعاجيب مع معاوية
٣١	نادرة الشيخ مدرك من أكابر علماء المغرب مع محبوبه عمرو بن وحنا
٣٥	نادرة مهذب الدين مع الشريف الموسوى نقيب الاشراف
٤٠	حكاية تتعلق بدخول ابن الوردى دمشق المحروسة
٤١	تحفة من فوائد كتاب الانشاء
٥٠	من انشاء القاضى الفاضل فى وفاء النيل ورسالة عقبها للمؤلف تتعلق بوفاء النيل أيضا
٥٣	رسالة بحرية كتب بها المؤلف الى علامة العصر الشيخ بدر الدين الدمامينى
٦٢	رسالة حظيرة الانس الى حضرة القدس من بديع انشاء ابن نباتة فى رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين

٧٣ رسالة تتعلق برحلة المؤلف صحبة الركاب الشريف السلطانى المؤيدى	٩٧ جملة صالحة تتعلق بما يجب أن يكون المنشئ متصفا به
٨٣ رحلة المؤلف من الديار المصرية الى دمشق المحمية	

تمت

فهرست الذيل الاول للثمرات الاوراق

صحيفه		صحيفه	
١١٨	ذكر سبب حج هرون الرشيد ماشيا	١٣٩	حكاية عبدالله بن معمر القيسى مع عتبة بن الحباب الانصارى
١٢٠	حكاية تتعلق بمدارس أبى القاسم الطنبورى	١٤٥	نادرة الجاحظ مع معلم كتاب
١٢٦	حكاية عن ابن المبارك حين حج الى بيت الله الحرام	١٤٦	من غريب ما يحكى فى كتاب الفرج بعد الشدة عن منارة صاحب الخفاء
١٣٤	نوادر تتعلق بكرم معن بن زائدة الشيبانى رحمه الله تعالى	١٥٣	نادرة لطيفة من أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة
		١٧٢	قصيدة على بن زريق البغدادى

تمت

فهرست الذيل الثانى للثمرات أيضا

صحيفه		صحيفه	
١٧٨	حكاية تتعلق بأنحى الصاحب بدر الدين وزير اليمن وكان بديعا فى الجمال	٢١٤	نبذة من أخبار البخلاء
١٧٩	حكاية بديعة نقلت من تاريخ ابن خلكان	٢٢٤	من اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم ما حكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون الخ
١٨٢	نادرة الشيخ ابن كثير مع جاره له رث الثياب منتن الريح	٢٣٨	نادرة عن العباس صاحب شرطة المأمون
١٨٤	لطيفة تنقيب الاشراف البغدادى	٢٥٩	موعظة تتعلق بأبى عبدالله الاندلسى شيخ كل من بالعراق
١٨٥	حكاية من المستعذبات عن الفضل بن يحيى	٢٧٠	حكاية عروة بن الزبير وصبره على البلاء غريبة مسلم بن الوليد
١٨٨	حكاية تتعلق ببعض الملوك حين نظر الى امرأة غلامه	٢٧١	من لطائف ما حكاه أبو الفرج فى كتاب النساء عن أبى عباس السفاح
١٩٠	سؤال الحجاج للغضبان بن القبعثرى ليمتحنه وارساله الى ابن الاشعث وافداوما جرى له	٢٧٢	حكاية تتعلق بعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وطوافه بالليل فى سكك المدينة
٢٠٤	أخذ الحجاج ليزيد بن المهلب بن أبى سفرة وتعذيبه ومايتبع ذلك من نوادر الكرماء		

تمت

الجزء الثاني من كتاب المستطرف في كل فن
مستظرف تأليف الامام الاوحد العالم
العلامه اللوذعي الفهامه الشيخ
شهاب الدين أحمد الابشيهي
تغمده الله برحمة
والرضوان
آمين

وبهامشه بقية كتاب ثمرات الاوراق في المحاضرات لحجة العرب وترجمان الادب الامام تقي الدين بن أبي بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي الحنفي تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته ثم يتبعه الذيل الأول لثمرات الاوراق وهو كتاب سمي فاسلسبيل منهله وراق وهو لنا مع برده الموشح بطراز الادب العلامة تقي الدين بن حجة الآخذ من العلوم بأقوى سبب وتلاه الذيل الثاني الثمرات أيضا وهو كتاب تبتهج بتلاوته نفوس الالباب وتطرب للعلامة الاديب والفهامة الاريب الهمام الكامل واللوذعي الفاضل الشيخ ابراهيم بن الاحدب بلغه الله في آخرته كل مأرب بمنه وكرمه آمين بجاه سيد الاولين والآخرين

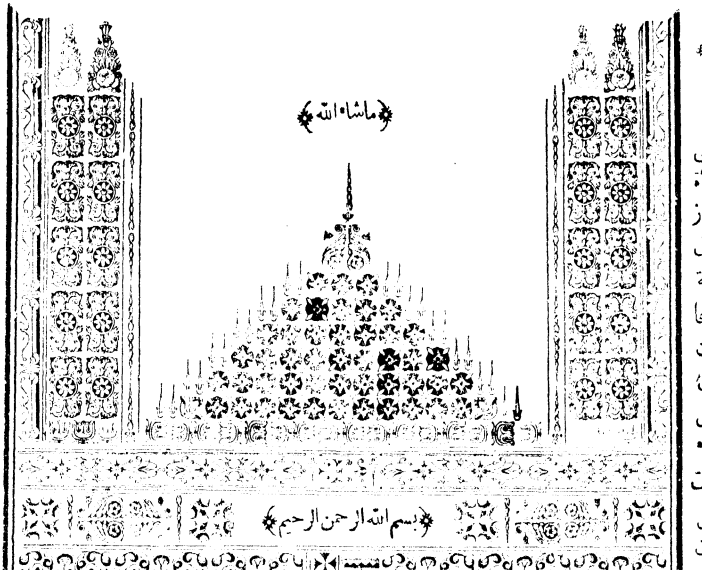

الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه ومافيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يحسن الانسان بهتانا ظلما أو عمدا أو ارها * قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل المأمون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين همو هم * قتلوا أخاك وشردوك بمقعد
شاد والذكر لك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعرى متى كنت حاملا وفى حجر الخلافة تربيت وبدرها غذيت * ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان طنبت فى وصف جعفر * بأول انسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ما روى ان الحطيئة هجا حجاء فلم يجد من يستحمله فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله
أرى بى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بامه فقال

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغر بالاذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

(قال الشافعى رضى الله عنه) وهى أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز الى أين عزمت فقلت الى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالامس فقيرا وتعود اليها مترفا تفتخر على بنى عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت ناد بالابطح فى العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وسار بذلك الفعل الرسال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث الى يستحثنى على الفعل ويعدنى انه يحمل الى فى كل عام مثل ما صار الى منه وما دخلت الى مكة وأنا أقدر على شئ مما جاءنى الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت القرعة فناولتنى اياها أمة على كتفها قمرة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ما تأخر معك فقال فدفعت اليها ودخلت الى مكة فما بت تلك الليلة الا مديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل الى فى كل عام مثل ما كان دفع الى أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق بى الحجاز وخرجت الى مصر فعوضنى الله عبد الله بن عبد الحكم فقام بالكفالة فهذا جميع ما لقيته فى سفرى فافهم ذلك يا ربيع قال الربيع وسألنى المزنى املاء ذلك بحضرته فما وجدنا للمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر الى أحد غيرى (ومن

حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالي أهجيت أو مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل للاحنف هجوتني أتوعدني قال لا قال أفتخرب ضيعتي قال لا قال فرجلي مع ساقي الى حاقي في حرامك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع * وأنا أقول اغا يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوي عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من غير اذا قيل له عن الرجل يقول من غير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم عن الرجل يقول من بني عامر وما لقيت قبيلة من العرب هجوما لقيت نمير هجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير ألف * يا غرابا أتى على ميعاد
يا كرودا في وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمع له بشيء فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فقرضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود ولرب عود قد يشق لمسجد
نصفا ويا قيه لحش يهودي * فالحش أنت له وذاك مسجد * كم بين موضع مسلم ومجود
هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

(ولما هجاه في خالد) أبوك لنا غيث يغيث بوابله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائما ذلك الاثر

(وقال) المبرد في حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له * ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الامين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم ان الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضا)

يا أبا النضل لا تنم * وقع الذئب في الغنم ان حمادا عجردا * سيء سوء قد اغتنم
بين خذيه حربة * في غلاف من الادم ان رأى ثم غفلة * يجمع اللبم بالعلم

فشاعت الابيات فأمر الامين باخراج حماد (وقال) رجل لاخيه لابويه لا هجونك هجاء يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي قال أقول

بني أمية هبوطا ل نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدي فأخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وأمحد الى البصرة ليتظر في أمرها فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظر واما هذا واذا ابن بشار وهو سكران فقال له يا زنديق يحب أن يكون هذا من غمرك ثم أمر به فضربه سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقى في سفينة فقال عين الشمعمق ترى الى حيث يقول ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينة

فلما مات ألقيت جثته في الماء فحملته الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فتبعه أحد وتبا شر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه * فما ادحض الله لي حجة

لطائف المنقول ما نقله القرطبي في كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة أبي طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الكعبة يوما وأراد ان يصلي فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل لعنه الله من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى وأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته وأتى الى أبي طالب عمه وقال يا عم ألا ترى ما فعل بي فقال له أبو طالب من فعل بك هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب والله ان قام رجل جلالته بسيفي هذا ثم قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله بن الزبعرى فأخذ أبو طالب فرثا ودما فلطخ وجوههم ولحومهم وثيابهم وأسماءهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم زالت فيك آية قال وما هي قال تمنع قريشا أن يؤذوني وتأبى أن تؤمن بي فقال أبو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فامض لأمرك ما عليك غضاضة
فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك يقينا

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل تنفع نصرة أبي

ولا تخيب الله فى قافيه * ومن خفت من جوره فى القضاء * فلست أخافك يا قافيه

فقال حاشا لله أشكوك الى أمير المؤمنين ولا علمنه انك هجوتنى قال له أبو دلامة اذا والله يعز لك قال ولم قال لانك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدى وعنده اسمعيل بن على وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله لئن لم تمسح واحدا ممن فى هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير فى أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من ان أهجو نفسى فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه * جمعت دمامة وجمعت لؤما

كذاك اللؤم تتبعه الدمامه * اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وقال) ابن الاعرابى ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب فى محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

(وهجا) بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب أجزة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل السارى ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ فى ابن طليب المصرى وقد احترقت داره

أنظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار

ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

(وكان) للوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب دار بعصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم

فما هو الا كافر طال عمره * فجازته لما استبط أنه جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين على بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى فى ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * ان تكثر الحشرات فى جنباتها

الحصر عنها نازح متباعد * والشردان من جميع جهاتها

من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها

وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها

رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها

وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما لربى سوى غناتها

أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها

وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها

وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها لبست على عاداتها

وبها من الجردان ما قد صرصت * عمه العتاق الجرد فى حملاتها

وبها خنافس كالطنافس أفرشت * فى أرضها وعلت على جنباتها

لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها

وبنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها

أبداتص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها

وبها من النمل السليمانى ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها

ما راعنى شئ سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها

مجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام مجمعن فى شجراتها

وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها

وبها عقارب كالكلاب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها

طالب قال نعم رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحياة والعقارب اغا عذابه فى نعلين من نار فى رجليه يغلى منهما دماغه وهو أهون أهل النار عذابا * وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا ان يعيروني بها يعنى قريشا يقولون اغا حمله الجزع لاقررت بها عينك فأنزل الله تعالى انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (وأما) عبد الله بن الزبعرى فانه أسلم عام الفتح وحسن اسلامه واعتذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات منها فى حكاية حاله

انى لمعتذر اليك من الذى
أسديت اذ أنا فى الضلال مقيم

فاغفر فداءك والدى كلاهما
وارحم فانك راحم مرحوم

ومن غريب ما نقله القرطبى فى الاعلام) ان الانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الاول فيما ذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجه معه لينظر فى ملكه فكان اذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى الى مكة لم تخضع له أهل مكة تخضوع أهل البلاد ولم تعظمه

كيف السبيل الى النجاة فانجا * فولاحيا لم ترأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سمارها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضحيجها كالرعد فى جنباتها * وترابها كالرمل فى خشناتها
واليوم عاكفة على أربائها * والدود تبحث فى ثرى عرساتها
والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكى الخيول الجرد فى حملاتها
والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها
لاتقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
فاذا اذا تذهب الغراب منازلا * يتفرق السكان من ساحاتها
وبدا رنا لفا غراب ناعق * كذب الرواة فاين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دارتبيت الجن تحرس نفسها * فيها وترتدب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسيح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها
أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى * أخرى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بن أهواءها على عاجلا * يا جامع الارواح بعد شتاتها

(ولبعضهم فى بلاد)

أشكو الى الله بلا بليت به * مسئ اثامله ظهرى فأدمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلاد أيضا)

وبلاد له ظفر يباهى * به حد السفار المرهفات * هرى جسمى فألبسه نحيفا
على حلل الستور السابلات * ورام بلين أعضائى برفق * فأيبسها كسر فوق اقى
ولم أنظره أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات * وأعمى مقلتى بصنان ابط
يفوح به على كل الجهات * فلا يبعد الهى مثل هذا * يفسلنى اذا مت وفاتى

(ولبعضهم فى حمام) وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمون

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أجمل يانظام الملك أنى * أعاود من زارك كم قدمت * وأصدر عن حياضك وهى نهب
بأفواه السقاة وما وردت * يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد هم الورى كرما سكت

(ومن) عرض بالهجو فى شعره الحوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر لست بالمصنف * ومثلك ان قال قولا يفى
والاهجيت وأدخلت فى * وقد علم الناس ما بعدى * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض به بالهجاء ويهدده يقول

أعد مدحى على وخذ سواء * فقد أتعبتنى يا مستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواء وقيل لى هذا صحيح

فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عمار يا فقال له كيف شاهدت هذه البلاد فانهم ليهابونى ولم يخشوا عسكرى فقال انهم عرب لا يعرفون شيأ ولهم بيت يقال له الكعبة وهم مجبولون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبى النساء فأخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه واذنيه ومنخريه ومنه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والاطباء وتكلم معهم فى أمرى فاجتمع عنده العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الارض وهذا شئ من السماء لانستطيع له ردا ثم اشتد أمره ونفرت الناس عنه ولم يزل أمره يشتد حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له ان بينى وبينك سرا وهو ان كان الملك يصدقنى فى حديثه عاجلته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ما شئت فقال أريد الخلوة فاخلى له المكان فلما خلا جلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوأ قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبى نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النسأة هى التى أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار قبادر وأخرج من قلبك ما هممت به من أمر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبى ونويت لهذا البيت المبارك ولأهله كل خير فلم يخرج

(وله أيضا يقول) أعدمدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكني سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه
(وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيئا)
مضوا اليه بوارى وجوههم كأنها * تكاد لفرط البشر أن وضع السبلا
وعادوا بأن الفارق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جاؤا بعودا راكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا قلا
(وقال آخر) اذا رمت هجوا في فلان تصدني * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يجبى به المرء يمدح
(وهجا بعضهم امرأة فقال)
لها جسم رغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس في وجه الصحيح وتكلح
لها منظر كالنار تحسب انها * اذا ضحكت في أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسي ويصبح
(ولبعضهم في عظيم انف)
لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله
(وفيه أيضا) رأينا للزكي حدا رائف * يضاهي في تشاخمه الجمال
تصدي للهلال لكي يراه * فلولا عظمه لرأى الهلال
(ولبعضهم في أبخر مخنث)
قالوا فلان به نتن فقلت لهم * ياقوم قد حار فكري في مساويه
ياقوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالابر يدفع ما فيه الى فيه
(ولصفي الدين الحلي)
رأى فرمى اصطبل عيسى فقال لي * فقابلت من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأنني * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أنامل * لما نسجتها من جنوب وشمأل
(وله أيضا) ليهنك ان لم ولدا وعبدا * سواء في المقال وفي المقام
فهذا سابق من غير سبق * وهذا عاقل من غير لام
(وله في طبيب يدعى اسحق)
مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
(وله في أحمق طويل اللسان)
لو أن قوة وجهه في قلبه * قصر الاسود وجندل الابطال
أو كان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الاموالا
(وهجا اعرابي رجلا ثم مدحه فقال)
اني مدحتك من فساد قريحتي * وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

(وقيل) لبعضهم ما تقول في فلان وفلان قال هما نحو ما اليه أنهما أكبر من نفعهما (وقيل) لرجل

العالم من عنده حتى برأ من علته
وعافاه الله تعالى بقدرته فآمن
بالله من ساعته وخلع على الكعبة
سبعة أثواب وهو أول من كسا
الكعبة وخرج الى يثرب وهي
يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها
بيت فبنى على رأس العين هو
وعسكره وجميع العلماء الذين
كانوا معه ومعهم رئيسهم عمار يا
الذي يرى الملك برأيه ثم ان العلماء
والحكماء أخرجوا من بينهم
أربعمائة وهم أعلمهم وبايع كل
واحد منهم صاحبه أن لا يخرجوا
من ذلك المقام وان قتلهم الملك فلما
علم الملك بما عزموا عليه قال للوزير
ما شأنهم يمتنعون عن الخروج معي
وأنا محتاج اليهم وأي حكمة اقتضت
نزولهم في هذا المكان واختيارهم
اياه على سائر النواحي فسألهم
الوزير عن ذلك فقالوا أيها الوزير
ان ذلك البيت وهذه البقعة التي
نحن فيها يشر فان برجل يبعث في
آخر الزمان يقال له محمد وصفوه له
ثم قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به
ونحن على رجاء ان ندركه أو تدركه
أولادنا فلما سمع الوزير مقالتهم هم
بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل
أمرهم الملك أن يرتحلوا فقالوا
لا نفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمة
مقامنا فدعا بالوزير فأخبره بما سمع
منهم فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم
رجاء ان يدرك محمدا صلى الله عليه
وسلم فأقام وأمر الناس ان يبنوا
أربعمائة دار على عدة العلماء
والحكماء واشترى لكل واحد منهم
جارية وأعتقها وزوجها برجل
منهم وأعطى كل واحد منهم عطاء
جزيلا وأمرهم ان يقيموا في ذلك
المكان الى أن يجيء زمان النبي
صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب

كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر ونهاعا للخير * وسمع اعرابيا قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم أثنى مدحته * وما زالت الاشراف آخر مدحى

استب رجلان فقال أحدهما للآخر فطع زبك وعلق لم تدق زانية بالكوفة الا عرفته (وقال) أبو زيد العمدى

ولقد قتلتك يا ابن هجاء فلم تجد * ان الكلاب طويلة لا عمار

وقال المتوكل لابى العيناء ما بقى أحد فى المجلس الا هجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

﴿الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول فى الصدق﴾ قال الله تعالى مبشرا للصادقين بهذا اليوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم (وقال) عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما أحسن ما قيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرق بالصدق بنار الوعيد

وابغ رضا المولى فأنعم الورى * من أسخط المولى وأرضا العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبا الزناد الوفاة جمع بنيه فقال لهم انى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه أقر به والله ما كذبت كذبة قط منذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق منجاة لاربابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة الا به * وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبى صفرة ما السيف الصارم فى يد الشجاع بأعز من الصدق وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعى * ويقال رصدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا فى السموات والارض * وقيل من لزم الصدق عود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالحر أحرى * وقال عتبة بن أبى سفيان اذا اجتمع فى قلبك أمران لا تدرى أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذى يزن وضع الحد لحق عزه وامتدح بن ميادة جعفر ابن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ما قبلت يد فرشى غير يدك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ما قبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها للفقير فقال والله لاضربك عندى أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدوانى فى وصيته انى وجدت صدق الحديث طرفا من العيب فاصدق وان يعبنى من لزم الصدق وعوده لسانه رفق فلا يكاد ينطق بشئ يظنه الا جاء على ظنه وخطب بلال لاخيه أمرا فرشحه فقال لا أعلمها تحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فان زلت لسانى فان تسكتوا عنه تعالى وان ترد وننى الله تعالى أكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ما عدا ذلك فقال مه يا أخى صدقت فانظر كلمة الصدق (وخطب) الحجاج فأطال فقام رجل فقال

وختمه بضائم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير وأمره ان يدفع الكتاب الى محمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا فيوصى به أولاده مثل ما أوصاه به وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الكتاب أما بعد فانى آمنت بك وبكتابك الذى أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فيها ونعمت والا فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فانى من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه بالله لا مر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد الله من الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحميرى ودفع الكتاب الى الرجل العالم الذى ابرأ من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل الى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذى مات فيه تبع الى اليوم الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة سألته أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتلقون ناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى بعثت الى دار أبى أيوب وكان من أولاد العالم الذى ابرأ تبع ابرأيه ثم لاستشار الانصار عبد الرحمن بن عوف فى ايصال الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فاشار عبد الرحمن أن

يدفعوه الى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار فدفعوا الكتاب اليه وأمروه بحفظه فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الاول قال نعم فبقي أبو ليلى متفكرا وقال في نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فاني لست أعرفك ونوهم انه ساحر وقال في وجهك أثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فأخرجه ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى علي كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبي نور الله ضريحه) ماذكرت هذا الخبر وان كان فيه طول الا لما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بألف عام

❊ ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبي ❊ ما أورده من مسند أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل (اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى) فأكتبوه الى آخر الآية ان أول من جحد الدين آدم عليه السلام لانه لما أراه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال

الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليتموه فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

❊ (الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وما جاء فيه) ❊ قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة ❊ وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به ❊ ويقال راوي الكذب أحد الكاذبين ❊ ويقال رأس المآثم الكذب يعود الكذب لهتان قيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن في قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهي لكل واصف كذب الى يوم القيامة ❊ قال الاصمعي قلت لاكذاب أصدقت قط قال لولا اني أخاف أصدق في هذا القلت لك لا فتعجب (وقال محمود بن أبي الجنود)

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله ❊ من كان يخلق ما يقو ل لحيلتي فيه قليله

(ويقال) فلان أكذب من لعبان السراب ومن سحاب تموز ❊ وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتي واني والله لاجد به مع ما يلحقني من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ما يناله من نفعه ❊ وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الكذوب من الملمة بعض ما يحكي عليه ❊ فمتى سمعت بكذبة ❊ من غيره نسبت اليه

وأضاف سمرة قوما فأقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن عبد الله بن السدي قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شيء حتى أنينه في سقمه وحتى ان الصبي ليبكي فتقول له أمه اسكت وأشتري لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة ❊ وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لا يكذب المرء الا من مهانته ❊ أو فعله السوء أو من قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة ❊ من كذبة المرء في جد وفي لعب

(ولما) نصب معاوية رضي الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل فعمل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والا حنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأنتم فكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا مما تقول ثم أمره بألوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر اني لا علم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة ودفع الحرج عن الكذاب في الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه ❊ وكان المهلب في حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوي بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا بالكذب وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وسافح فواحش رجع ولم

ثم كذا باصار صاد فاركان عمرو بن معديكرب مشهورا بالكذب *وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معديكرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال *قيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضى الله تعالى عنه والحمد لله وحده

﴿الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق﴾ قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا *وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا *وقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك الى المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا *وعن على رضى الله تعالى عنه لو علم الله شيأ فى العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار *وقيل ان رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين ﴿وحكى﴾ أبو سهل عن أبى صالح عن أبى نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايا كم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق * وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتعرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات و بلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصنى قال أوصيك بأمك حسنا قال له سمعت مرارا قال حسبى ثم قال يا موسى ألا ان رضاها رضاى وسخطها سخطى وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يعدمك وقدعة والديه *وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره انه كان لا يتوضأ الا بماء مسخن فمنعهم السجان من الوقود فى ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وادناه من المصباح فلم يزل قائما وهو فى يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (وقيل) طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فمازال الولد واقفا بالشربة فى يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه * وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان لى أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضى حاجتها الا وظهرى لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهى تتمنى بقاءك وأنت تصنع وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبى وبات آخر يصلى ولا يسرنى ليلته بليلتى وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذى لا ينتصف منه وقيل لعلى بن الحسين رضى الله تعالى عنه انك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى يدها الى ما تسبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

﴿الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة *وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدوا أو صديقا *وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قلت لسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذى نفسى بيده ان الرجل يشتهى أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذى ينتهى اليه فى ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه عياله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله تعالى عنه انى لاكره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره وقال رضى الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال

يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال يارب زد فى عمره قال لا الا أن تزيده من عمرك قال وما عمرى قال ألف سنة قال آدم فقد وهبته أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقى من عمرى أربعون سنة فقيل له قد وهبتها لابنك داود قال ما وهبت لاحد شيأ فأخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة *وفى رواية ان الله جل جلاله أتم لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة خرجه الترمذى بمعناه وصححه وفيه فقال عليه الصلاة والسلام نسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم ﴿ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الاعلام للقرطبى﴾ أن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات على قافية قديمة أنجبت النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

وأنت لما ولدت أشرقت الار ض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو ر وسبل الرشاد نخترق

فقال يا عم لكل شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة فى عقبك الى يوم القيامة ﴿ومن غريب التفسير ما نقلته من الاعلام﴾ ان فى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أقوالا ذكرت فى أحكام مخارج القرآن أحسنها ما ذكره بعض المتكلمين ان العرب كانت اذا وجدت شجرة منفردة فى فلاة من الارض لا شجر معها مهولة اضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى أى وجدتك لا أحد على

شبيب بن شبة ذهب اللذات الامن ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والجلوس مع النسوان ودخل عمرو ابن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لاتقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولاندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أي ولد أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك * وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمارقلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنتظرهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فأقرئه السلام واحمل اليه مائتي ألف درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعة وشاطره الصلة (وحكى) الكسائي انه دخل على الرشيد يوما فأمر بإحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا كأنهما كوكبي أفق يزينهما هذا وقارها وقارها وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ورد عوالهما بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني أن ألقي عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيئا الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قرني أفق وفرعي شامة * يزينهما عرق كريم ومحتد * سليلي أمير المؤمنين وحائزي
موارث ما أبقى النبي محمد * يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام رؤية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيدهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقعا وأمن الرشيد على دهائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال ركنكم بهما وقدرهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دن خل أخرج الله منه رق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * ويسب اعرابي ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حق عليك قال سيدي عبد العزيز الدينوري رحمه الله تعالى

أحب بنيتي وددت اني * دفنت بنيتي في قاع لحد
ومابي أن تهون علي لكن * مخافة أن تذوق الذل بعدي
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندي
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدي
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندي

(وقال هرون بن علي بن يحيى المنجم)

أري ابني تشابه من علي * ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسري الى الشبه العروق

(وقال أبو النصر مولى بني سليم)

وتفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

(وقال الحسن بن زيد العلوي)

دينك فهديت بك الخلق الى

(قلت) قد تقدم الكلام في سعادة العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وما نال بالاسلام من العز وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الخلافة في عقبك الى يوم القيامة وتقدم ذكر شقوة عمه أبي طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي تقدم قوله مشيرا الى قريش في خطابه الى النبي صلى الله عليه وسلم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا

(قال السهيلي) نور الله ضريحه في الروض الانف هذا من باب النظر في حكمة الله (ونقل) في الروض الانف أيضا عن هشام بن السائب أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المتقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منساة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا الداعي وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعد المولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثره عدد

(وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده ويقول)

ازهر من آل بني عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألده كالدريق

(وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول)

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى في البلد أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلي أحد

(وكان اعرابي يرقص ولده ويقول)

أحبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بداله

(وكان) لاعرابي امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالي * أنقذني العام من الموالي
من كل شوهاء كشن بالي * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الفاليه * وترقم الساقط من خماريه
حتى اذا ما بلغت ثمانيه * أزوجها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه
* اصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتي ألف درهم والله أعلم

ومما جاء في الاولاد البلداء القليلي التوفيق

(قيل) نظر اعرابي الى ولده قبيح المنظر فقال له يا بني انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت فقال لا اقسم بهذا البلد و والدي بلا ولد فقال لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد * وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فمينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة ألا انتظرني بلا غة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا رجل ينادي شابا يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابي كلنا حمزة يا ابن الله فأي حمزة تعني فقال له أبوه ليس يعنيك يا من أتحمد الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فأرسله في حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال عقله عقل طائر * وهو في خلقة الجمل

(فأجابه) مشبهك يا أبي * ليس لي عنك منتقل

(ونهى) اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت علي الآن طابت لي الخمر
سأشرب فاسمحظ لا رضيت كلامها * حبيب الى قلبي عقوق والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

ومما جاء في صلة الرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال * وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء ابن أبي مروان والصديق في العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كاني أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده وقد محضته العرب ودادها وأصفته فؤادها وأعطته قيادها ودونكم يا معاشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك

(ومن شهي المجتني من ثمرات الاوراق) ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكي وتقول

وهو يتبعه من قبل قطع عاثمي
متناسيا مثل القضيب الناعم
فكان نور البدر سنة وجهه
يعشى ويصعد من ذؤابة هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها أحرة انت أم أمة فقالت بل أمة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هو يت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني وتقولي فقالت وانا الذي عمل الفراق بقلبها

فبكت بجنب محمد بن القاسم
فسار أبو بكر رضي الله عنه الى

عن أبيه عن كعب الاحبار انه قال والذى فلق البحر لموسى بن عمران ان فى التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد فى عمرك وأيسر لك فى يسيرك وأصرف عنك عسيرك وعن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

﴿(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة)﴾ قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل النوائب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فربّ رحم مجهولة قد وصلت بمعروف نسيها (وسئل) عيسى عليه السلام أى الناس أشرف فعبض قبضتين من تراب وقال اى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القسرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر ومن كلام على كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير وذنبك الذى به تصول ويدك التى بها تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريهم وعد سقيمهم وأمر كهم فى أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بأنك لا تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

(الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والثياب وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر اللبين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غير شعر الذراعين والمنكبين وله شعر شبيه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زجاجة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبيض الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأن منطقه خرزات تنظم يتحدر قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا

المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث بها الى محمد بن القاسم ابن جعفر بن أبى طالب عفى عنه (ومن مناقب الامام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه)

فى فتح بيت المقدس ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فأقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم فى المسير الى قيسارية أو الى بيت المقدس فقال له معاذ بن جبل أيها الامير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله قال له أصبت الرأى يا معاذ ثم كتب الى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرجفة ابن ناصح النخعى فسار حتى وصل المدينة فسلم الكتاب الى عمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدقت أنت يا أبا الحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه وقد وصلنى كتابك تستشيرنى الى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب الى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير الى بيت المقدس وتقدمه الجيش الى بيت المقدس وأقام

وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكي) انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهي في مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهي الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهي مع وجهه رحمت وجهي من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها في عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

(وقال كثير) لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

﴿ومما جاء في محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم﴾

(ما قيل في الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

(وللمتنبي) نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

(وله أيضا) لبسن الوشي لا متجملات * ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن في الشعر الضلالا

(وقال الصفدي) لو لا شفاعة شعري في صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ) ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظي حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقال آخر) أرخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذؤابا ته * وأسهري في ذي الليالي الطوال

(وقال آخر) بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
يا مجلها الشعر لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

(وقال ابن المعتز) توارت عن الواشي بليل ذوائب * لها من محياها اضاءة فجر
يغطي عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

﴿ومما قيل في الاصداغ﴾

(قال ابن المعتز) ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

(وقال العادلي) وعهدي بالعقارب حين تشتو * يخف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذي * عقارب صدغها تزداد شرا

(وقال آخر) وماضره نار بخديه أضرمت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوي * وأمواج ردفيه بخصر يه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقي وقلبي يشرب

(وقال آخر) حل القباء ولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتي بين محلول ومعقود
وأسكرتني ثنايا ه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

المسلمون في القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم الحوف فلما كان في يوم الحادي عشر أشرفت عليهم راية أبي عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن يساره فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب في أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة وهي البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدي البطرك قال لهم ما هذه الضجة التي أسمع قالوا يا أبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين فلما سمع البطريق منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال انا وجدنا في علمنا الذي ورثناه ان الذي يفتح الارض هو الرجل الاحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم عليكم فلا سبيل الى قتاله ولا بد ان أشرف عليه وأنظر الى صفته فان كان هو أجبته الى ما يريد وان كان غيره فلا بأس عليكم منه وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا الى السور الى ان ورد أبو عبيدة رضي الله عنه فناداهم رجل من الروم بأذن البطرك يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم فامسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربي اعلموا ان الرجل الذي يفتح بلدتنا هذه وجميع الارض صفته عندنا فان كانت في أميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم أبدا فاعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فأشاروا وقاتلوا على دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين

على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فأقاموا عليها أربعة أشهر فى أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطرك وقالوا له قد عظم الامر وأريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذى يريدون فان كان أمرا صعبا فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فلما نقل عن آخرنا أو نزمهم عنا فأجابهم البطرك الى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربى وقال يا معاشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد قبل بطاركم فلمن منا أمير كم فقام أبو عبيدة عيشى ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف بازائهم قال ما الذى تريدون هذا أمر العرب فقال البطرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدتنا أبدا وانما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال أبو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البطرك لانخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندنا كما قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الامر على ما ذكرتم فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأتى فاذا رأيناه وتيقنا نعته فحينئذ

❊ ومما قيل فى مدح العذار ❊ قال أبو نواس بن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب)

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر) ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكن عارضه السواد واغا * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال آخر) ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

(وقال آخر) أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

(وقال آخر) ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندى أن لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

(وقال آخر) من لا رأى كعبة الحسن التى حرست * بالنمل حيث مقام النحل فى فمه
فليتظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدماميني)

يحدث ليل عارضه بأنى * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر) وقالوا تسلى فقد شاله * عذار أراحك من صده
فقلت وهيهات ولكننى * خلعت العذار على خده

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حمى عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحمى

(وقال ابن نباتة) وبهجة رشأ عيس قوامه * فكلة نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآ قده * نعشت لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلى) لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلا وقد مات بها العشاق
فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر) أصبحت مكسور ا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بداسيف العذار مجردا * لحشيت يقتلنى وذا من شانه

(وقال آخر) ياصاح قد حضر المدام ومنيتى * وحظيت بعدا لهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

(ابن نباتة) وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل فى ذم العذار) قال الشاعر

غدا الماء نحى ليلا بهيما * وكان كأنه قرمنير

وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقراوبناء كم النذير

(آخر فى ذمه) قلت لاصحابى وقد مر بى * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر) مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طو رسينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

(وقال آخر) مازال يحلف لى بكل أليـة * أن لا يزال مدا الزمان مصاحبى
لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا السواد وجه الكاذب

(ابن المعتز) يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذى فى لحظ مقلته * واسترملاحة خديه بطيته

(ومما قيل فى الحجبين والحواجب) قال الكاتب

لها من ظبا الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسود اذوائب

(وقال آخر) غزانى الهوى فى جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة أجنادها أعين المها * وميمنة تقضى برج الحواجب

(وقال آخر) أيا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعى ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف احمد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس تلاعبت * فى جفنه سنة وليس بنائم

(وقال ابن المعتز) عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح أحشائى بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

(وقال الاخطل) ولا تلم بدار بنى كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن)

وبيض بألحاظ العيون رغما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لى يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبى بالتصبر غادرا
سفرن بدورا والتقين أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر) ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الا رماه بحتفه
قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هتان) أخو دنف رمته فأقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فوا تك لا يقال سوى احورارى * بهن ولا سوى الاهداب ريش
أصبن فؤاده مهجته فأضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كشيمان ترحل عنه جيش * من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر) وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة الضنى
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به أعين الانس

(عز الدين الموصلى) لها عينا غزو وغزل * مكحلة ولى عين تباكت

البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا. وكتب أبو عبيدة الى الامام عمر رضى الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب الى عمر رضى الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ماترون رحمكم الله فيما كتب اليناأمين الأمة فكان أول من تكلم عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم فان أنت أقمت ولم تسر اليهم علموا انك بأمرهم مستخف فلا يثبتون الا يسيرا فالمهم عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه نعم عندى غير هذا الرأى وأنا أبديه اليك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا أبا الحسن قال ان القوم قد سألوك رفى سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقد أصابهم جهد عظيم البرد والقتال وطول المقام وان سرت اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك فى مسيرك الأجر العظيم واست آمن منهم انهم اذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضرر والصواب ان تسير اليهم ففرح عمر بمشورة على وقال لقد أحسن عثمان النظر فى المكيدة للعدو وعلى أحسن النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا ولست آخذا الا بمشورة على فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر أمر الناس أن يأخذوا الاهبة للمسير معه واستخلف على المدينة على بن أبى طالب وخرج من المدينة وهو على بعيره أحمر عليه غرارتان فى احداهما سويق وفى الاخرى تمر

وحاكت فى فعائلها الاواضى * فيالك مهلة غزلت وحاكت

(برهان الدين القيراطى)

شبه السيف والسنان بعينى * من الاقتلى بين الانام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا * حسدنا دون ذا الحاشى وكلا

(وله أيضا) بأبى أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذوجفون مدرمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بخده

(بدر الدين بن حبيب) عيناه قد شهدت بأنى مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
ياحاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب دارا)

شهدت جفون معذبى بعلالة * منى وأن وداده تكليف
لكننى لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(وقال الشيخ عز الدين الموصلى)

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك وأنت ياوجنتيه * لاتحرقينى بنارك

(وقال ابن الصائغ) املى من لواحظها سهاما * لهافى القلب فتك أى فتك
اذا رمت تشئ به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدى)

ياعاذلى عن عين محبوبة * خف سحر ناظرها فانى السحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها * لاترم نفسك بين السهم والهدف

وقال آخر) بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

وقال آخر) سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى * وأقدرها على قتل البريه

﴿ومما قيل فى الخال﴾ للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(لابن الصائغ) بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخنى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(للشيخ جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حية القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لايرث

(وقال آخر) ياساكن السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارثى بشرارة * علقت بخدك فانطفت من مائه

(للشيخ تقى الدين بن حجة)

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد فزت ياعبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن ايبك)

فى الجانب الأيمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

وقال

وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار الى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ وقوصه وأناخ عمر بعيره وتر جلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا الى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقى من الروم الى أن حضرت صلاة الظهر أذن بلال فى ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال ان يقطع الاذان فلما فرغ الاذان صلى عمر وجلس ثم أمر قهم بالركوب فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم قال المسلمون ياأمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جوادا ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب أعدائك وقبلوا يسألونه ويتلطفون به الى أن أجابهم الى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا فقال لو بير أحسنها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على كتفه منديلا من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له برذونا أشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يمرح به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلونى عثرتى أقالكم الله عثرتكم يوم القيامة لقد كاد أمير كم يهلك عما داخله من الكبر ثم انه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم أنظروا ماشأن

(وقال الحسين بن الضحاك)

ياصائد الطير كم ذا * بالحظ تصبي وتسبي نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبي

﴿ومما قيل في الخدود﴾ قال ابن المعتز

صل بخدي خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخدي لك الربيع رياض * وبخدي للدموع غدير

(وقال آخر) وردا الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين في الخلوات
شيء أمر به وأعلم أنه * وحياته أحلى من اللذات

﴿ومما قيل في الثغور﴾ قال يوسف بن محمد الصواف

بروحي من ولى قولي بهجتي * وولى مناي وهو كالوصل شارد
حمى ثغره مني بسيف لحاظه * وحتام يحمي ثغره وهو بارد

(وقال آخر) أنفقت كنز مدامعي في ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلي في البارد

(وقال آخر) رأى ثغر من أهوى عذولي فقال لي * ولم يدر أن اللوم في خده يغري
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

(وقال ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت في التئام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

﴿ومما قيل في طيب الريق والنكهة﴾ قال ذو الرمة

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كما يعاض الغمام ابتسامها
كان على فيها وماذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

(قال شهاب الدين الكردي)

ذكرت ريح حبيبي * بشرب راح تعطر وليس ذا بعجيب * فالشيء بالشيء يذكر

(غيره) رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لي صبر وسوف أحظى بوصل * فأول الغيث قطر

(الصلاح الصفدي)

نقل الارالك بأن ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الارالك لانه * يروي نصا عن صحاح الجوهري

(وقال آخر) ثلاث تجمعن في ثغرها * ملاح أدلتها واضحه
فان قيل ما هي قل لي أقل * هي الطعم واللون والرائحه

(وقال آخر) يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه على وكأسه * فسكرت في الحالين من خرطومه

(وقال آخر) أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فكدت منه ان أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بأن في الاسماء ريقا

﴿ومما قيل في حسن الحديث﴾ قال البحتري

ولما التقينا والنقاء موعدنا * تعجب راني الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عندا بتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(وقال سلم الخاسر) ظللنا فيتنا عند أم محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

(وقال ابن الرومي) عيسى ويصبح معرضا فكأنه * ملك عزيز قاهر سلطانه

العرب فأشرف رجل من المتنصرة فقال يامعاشر العرب ماقضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المتنصر وأعلم البطرك فأطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لأبي عبيدة تقدم الى القوم وأعلمهم أني قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فأعلم البطرك بذلك فخرج من قامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم علا السور وأشرف على أبي عبيدة وقال ماهذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال البطرك قل له يدنو مني فأنا نعرفه بصفاته ونعته وأفردوه من بينكم حتى نراه فرجع أبو عبيدة الى عمر فأخبره بما قال البطرك فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشم عليك من الانفراد بلا عدة فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وأتبع عبيدة سائر بين يديه الى أن أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذي صفته ونعته في كتبنا ثم قال يا أهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر

رضى الله عنه فى تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بعيره ثم أقبل عليهم وقال ارجعوا الى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم الى البلد ولم يغلقوا الباب ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل اليها وأقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا وهو موضع مسجده وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام فى بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الاحبار على يده وارتحل معه الى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وذلك بعد أن كتب الامام عمر لاهل بيت المقدس وأقرهم فى بلدهم على عهدهم وأداء الجزية

﴿ومن شهى المجتنى من ثمرات الاوراق﴾ مانقله أبو الحسن على ابن عبد المحسن التنوخى فى المستجاد ان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بات على فراش النبى صلى الله عليه وسلم ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين نبيى محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب يباهى الله بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد

(قال أبو الحسن المدائنى) خرج

ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الى لسانه

(وما أحسن هذه الابيات) وهى من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الا حديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف
جرجن بأعناق الظباء وأعين الجآذر وارتجت بهن الروادف
رجحن بأرداف ثقال وأسوق * جذال وأعضاء عليها المطارف

﴿وعما قيل فى رقة البشرة﴾ قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء عتيد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على ثدان * فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

(وقال آخر)

تعير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجرى * فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا * اذا حركته خطا مالا
اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالحمر سالا

(وقال بشار)

وما طرفت عينى غداة لقيتها * بشىء سوى أطرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة * يرى وجهه فى وجهها كل ناظر

(ومنه أخذ أبو نواس)

(قوله)

نظرت الى وجهه نظرة * فأبصرت وجهى فى وجهه

(وقال آخر)

توهمه قلبى فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط تجرحه الفكر

(وقال آخر)

سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نفحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه يفضح

(وقال آخر)

وأهيف قد كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدى * لحمرة خده ما بان فيه

﴿وعما قيل فى التقبيل﴾ لمظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سألته فى ثغره قبلة * فقال ثغرى لم يجز لثمه
فهاكها فى الخد وامنع بها * ما قارب الشىء له حكمه

(وقال صاحب حماة) قال الذى تيمنى * قولوا لمن خبلته يروم منى قبلة * لومات ما قبلته

(الشيخ عز الدين الموصلى) كالورد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور * سوى ان ذاك بعيد المزار
وهذا قريب لمن ينظر * وذاك يغيب وذا حاضر * ومامن يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

(وقال

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومامن بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الظل فوق الآس
فكانني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

(وقال آخر)

قبلت رجل حبيبي * فازور واحمر خدا وقال تلثم رجلي * لقد تنازلت حدا
فقلت ماجئت بدعا * ولاتجاوزت حدا رجل سعت بك نحوي * حقوقها لاتؤدى

(ومما قيل في الوجه الحسن) ابن نباتة

أنسية في مثال الجن تحسبها * شمس ابدت بين تشريق وتغييم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان الريم

(وعبدالله بن أبي خبيص) تصدمن غير علة * بالعز أصحت مذله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظله وان أضاءت بليل * تفوق نورا لاهله

(وقال آخر) أقسم بالله وآياته * ماانظرت عيني الى مثله
ولابدا وجهه طالعا * الاسألت الله من فضله

(وقال آخر) أقيمي مكان البدر ان أفل البدر * وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

(عمر بن ربيعة) ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم في سوى هذا اختلف

(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال)

لوان اجماعنا في فضل سوددة * في الدين لم يختلف في الامة اثنان

(وقال آخر) يامفردا في الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملي

(وقال آخر) ففي أربع مني حلت منك أربع * فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني ام الريق في فمي * ام النطق في سمعي ام الحب في قلبي

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندي قال هذا التقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال

وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في ثنى طيب الرشف
ووجهك في عيني والمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

(ابن نباتة) أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

(محمود الخزرمي) رأيتك في الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عيني أبهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل جحفل * وشمس الضحى ليست تضيء اذا تسى

(وقال آخر) اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدران غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله مامن ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الرومي

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
أسرت قلب صبها المشتاق * قلت من أنت ياغزال فقالت * أنا من لطف صنعة الخلاق
لاترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

(وقال الراضي بالله) قالوا الرحيل فانشبت أظفارها * في خدها وقد اعتلقت خطابها

الحسن والحسين عليهما السلام وعبدالله بن جعفر رضي الله عنه حجاجا فضاقت بهم أنقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها فاشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم فذبحها وكشط لها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أردوا فلما ارتحلوا قالوا لها ضن نفرمن قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمي بنا فأنا صانعون اليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة ففضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفرمن قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا يلتقطان البعر ويعيشان ثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث اليها غلامه فدعا بها فقال لها يا أمة الله أتعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا قالت بأبي أنت وأمي ثم اشترى لها من شاه الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنهما فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبدالله بن جعفر رضي الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما في العطاء أعطوها عطيتهما فرجعت العجوز الى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة

فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

(وقال آخر) لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وقال آخر ولما تسلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فسخمته * بكفي فاحمرت بنانى من دمى

(وقال آخر) دنوت عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم مجريان
فلم يمنحن اكراما جفوني * ولكن من تخضيب البنان

(ومما قيل في النحور) قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهى بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل في نعت النهود) قال العباس بن الاحنف

والله لولا القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته نواهد

(وقال آخر) ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكي حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين في حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد متمسك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد يحق مفلك

(عمر بن كلثوم) نراك اذا دخلت على خلاء * قد امتدت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من أكف اللامسينا

(وقال آخر) بصدرها كوكبا دركانهما * ركنان لم يدنس من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس في الحل والركنان في الحرم

(وقال آخر) صدور فوقهن حقاق عاج * ودرزانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلي من هذي الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدي * جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعدلهن عيب * سوى منع المحب من العناق

(وقال آخر) لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهي سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

(ومما قيل في الاردان والخصور) قال ابن الرومي

وشربت كاس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها

(الطنبغا المحاربي) ردفه زاد في الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

وقال آخر

ياخصره كم جفاه * تبدي وأنت تميل * ياردفه ملت عني * ما أنت الا بخيل

(الغبراطي)

(ومما يضارع هذه اللطائف) انه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب الى أخيه الحسين بن علي ابن أبي طالب * أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي فترضني واياك ان أكون سابقك الى الفضل الذي أنت اولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه (قال أبو الفرج الاصفهاني) حدثني أحمد ابن محمد الجعدي ومحمد بن يحيى قالا حدثنا محمد بن زكريا العلائي قال حدثنا ابن عائشة قال ج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس فاقبل علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو أحسن الناس وجها وأنظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم اجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا أنا أعرفه يا شامي قال من هو قال هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

بدت ورادف بدرى * تحت الحنين لعينى فقلت يا بدر هذا * حقا خيال لحينى

(وقال آخر) أسائلها اين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار بمعلقه * الى معصمى لما تعلق فى خصرى

وقال آخر) بيض ومر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
أقتبى من البحر الاصم فؤاده * وأرق من شكوى المتيم خصره

(وقال آخر) رخيمات المقال مدللات * جواعل فى الثرى قضبا جذالا
جمعن لخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن أبى ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بخفل للقلوب كوالم
حسروا الاكف عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذهز عطفه * أتزعم ان اللين عندك ماثوى
فقم نختكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

(وقيل) ليس لاحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما للذى الرمة حتى كأنه حضر من أهل المدن لا من أهل الوبر (وقال) القاضى مجد الدين ابن مكانس

أقول لحبى قم ومل يا معذبى * كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا وما لها

(وقال آخر)

ومحكم أعطافه * فى قتل صب ما غوى فاعجب لعدل قده * فى النفس يحكم بالهوى

(وقال آخر) ومهفهف عنى يميل ولم يزل * يوما الى فصحت من ألما الحوى
لما تميل الى الرياض غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى الساق) قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر جاءت بساق أبيض أملس * كاللؤلؤ يبدو لعشاقها
فأفتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

(وقال ابن منقذ) بدر ولكنه قريب * ظبى ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فالاعطافه تميس

(ومما قيل فى مشى النساء) قال بعضهم

يهززن للمشى أطرافا مخضبة * هز الشمال نعيمى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيد الرجال فزاد المتن فى اللين

(وقال آخر) يمشين مشى قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

(ومما قيل فى العناق وطيبه) لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد * كأننى عانقت ريحانة
تنفست فى ليلها البارد * فلو ترانا فى قميص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد

(وقال آخر) وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدى وشاحا

اذا رأته قريش قال قائلهم
الى مكارم هذا ينتهى الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم
لاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا
فالدين من بيت هذا ناله الامم
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم
فيسه هشام ثم أطلقه وجه اليه
على بن الحسين عشرة آلاف درهم
وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان
معنا فى هذا الوقت أكثر من هذا
لوصلناك به فردها الفرزدق وقال
ما قلت ما كان الا لله فقال له على
ابن الحسين قد رأى الله مكانك
ولكنا أهل بيت اذا أنفذنا شيأ لم
نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها
(ومن غالى جواهر العقد لابن
عبد ربه) قال يزيد حدثنى أبى ان
عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم
من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه
معاوية فى موكب نبيل فأعرض
عنه عمر فجعل يمشى الى جنبه راجلا
فقال له عبد الرحمن بن عوف
أتعبت الرجل فأقبل عليه وقال
يا معاوية أنت صاحب الموكب مع
ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات
ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال
ولم ذلك قال لانا فى بلاد لا تمتنع من
الجواسيس ولا بد لهم مما يروعهم من
هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك
أقمت عليه وان نهيتنى عنه انتهيت
قال ان كان الذى قلت حقا فانه
رأى أريب وان كان باطلا فانها
خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك
عنه ﴿ومن لطائف معاوية﴾ انه

بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطاف على مـلاحا

(وقال ابن المعدل)

أقول وجنح الدجى مسبل * والليـل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ماضـمنا المسجـد
أياغدان كنت لى محسنا * فلا تدن من ليلتى ياغـد
ويالية الوصل لاتقصرى * كما ليـلة الهجر لاتمتد

(وقال آخر)

وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق
لهو نابغزلان الصريمة تحتـه * تميت الهوى مابين صدر ومرفق

(وقال ابن المعتز)

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار من رقب
نقر العصافير وهى خائفـة * من النواطير يانع الرطب

(وقال دعبل الجن)

ومعدولة مهما أمالت ازارها * فعصـن وأما قـدهـا فقضيب
لها القمر الساري شقيق وانها * لتطلـع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يازين كل مايحـة * وأنت الهـوى أدعى له فأجيب

(وقال على بن الجهم)

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
نبتنا جميعا والوشاة زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم نشرب

(وقال آخر)

باليمن دمى لا أريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى بثغرا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعـد * وجعلت كفى للثام وشاحا
هـذا هو اليوم النعيم فظلنا * متعانقين فلا نريد براحا

(وقال آخر)

ولم أنس نمى للحبيب على رضا * ورشنى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عنـد تقبيل خده * تنقـل فلذات الهوى فى التنقـل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول مارأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

﴿ومما قيل فى مدح الالوان والثياب﴾

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض زهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ماتقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين

فى سوادهما وقال بعضهم قالوا تعشقتها سودا وقلت لهم * لون الغوانى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض من رفعا * عندى ولوحلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان) لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

(دخل) ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لعم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال

ان كنت عبدا ففى نفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق

كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لارض معاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا فى أرض عبد الله فكتب الى معاوية أما بعد فانه يامعاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول فى أرضى والا كان لى ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ماترى قال أرى أن تنفذ اليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال يابنى عندى خير من ذلك على دواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسامنى والله ماساءك والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك وقد كتبت على نفسى رقا بالارض والعبيد وأشهدت على فيه ولتصفن الارض الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه ووقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاه فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه الى ابنه يزيد فلما قرأه اصفر وجهه فقال يابنى اذا رميت بهذا الداء داوه بهذا الدواء ﴿نادرة لطيفة﴾ قال الاستاذ أبو على الماسرجسى غلام خليل بالصوفية الى الخليفة يزندقه أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والنورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النورى فقال له السياف أتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما يعجلك قال أوثر أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف وغاظه فأخبر الخليفة فأمر بردهم الى القاضى ليعرف أحوالهم فألقى القاضى على أبى الحسن

ثم قال ياعم أخرجنا الهزل الى الجد فأنشد لابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبي

(وقال آخر) لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب عثمال
وهام فى الحال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها (وقال آخر)

يكون الخال فى خـــد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف بلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

(وقال آخر) فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد ومن لى بمحبوبا بنات كسرى * فانى محب بينات حام

وتفاخرت حبشيه و رومية فقالت الرومية أنا حية كافور وأنت عدل لحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر)

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال آخر) أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لا شك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحدة

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

أصفراء كان الهجر منك مزاجا * ليالى كان الود منك مباحا
كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

(وقال آخر) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى النار من قبلت * فلست تلقاه الا خائفا وجـــلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان للحية الطويلة عش البراغيث * ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

نهادرهم تدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء ينتدبان
ولو لا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الحمنان

(وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية)

ماشبت داود فاستضحكت من عجب * حـــــ أنه والدعشى بمولود
ماطول داود الا طول لحيتـــه * يظن داود فيها غير موجود

(وقال ابن المقفع) تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها المواليا
حلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال الحواليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر)

قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثرت أسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة أرطال فأتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

اذا ماتذكرت أجسامهم * تصاغر النفس حتى تهون

(وأراد) ملك الروم أن يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقوس بن سعد بن عبادة فنزع قيس مراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت تدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود

النورى مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضى فأرسل الى الخليفة يقول ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فأكرمهم وأطلقهم ﴿ومن المروى عن أحمد بن أبى داود القاضى﴾ انه قال مارأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم بن جميل الحارثى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جئ به أسيرا فادخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ورآه يمشى الى الموت غير مكترث به فأطال الفكرة فيهم استنطقه ليتظر فى عقله و بلاغته فقال ياتميم ان كان لك عذر فأت به فقال أما اذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين وشعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأبار سبل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الالسن وتصدع الافئدة وأيم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو وهو الاليق بشيمك الطاهرة ثم أنشد

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظنى من حيث لا أتلفت
وأكثر ظنى انك اليوم قاتلى
وأى امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعى من أن أموت وانى
لاعلم ان الموت شئ موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم
أكابادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا

وكى لا يقولوا خان قيس وهنده * سراويل عاد أو حمير ثمود

وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فخبر بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرف مغلوبين (وقيل) كان سلمة بن مرة الناموسى امرأ القيس بن النعمان اللخمى الملك وكان الناموسى قصيرا مقحما واللخمى طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس ياهذا القصير أطلق أبى فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس أننى * قصير وقد أعيا أباها قصيرها

ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى جحمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتى يطول تحديبها تدل على الحمق والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل فى الفهم والعمامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا رث الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدرة من قدره يذهب الى النار فلا تحرقه وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلى بمجلس لبنى بشير فقال بعض فتيانهم كان وجهه وجه مجوز راحت الى أهلها بطلا قها وقال الجاحظ ما أخجلنى قط الا امرأة مررت بى الى سائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أردت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأتت بك الى لأصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الحنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ

رجل يغوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى فى عين كل ملاحظ

ولو أن مرآة تجلت شمائله * ورآه كان لكل أعظم واعظ

وقال الاصمعى رأيت بدويا من أحسن الناس وجها رأيت لحاز وج قبيح فقلت يا هذه أترضين أن تكونى تحت هذا فقالت يا هذا العلة أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عذابى أفلا أرضى بما رضى الله به * وج خثعمى فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال يا حبيبى ما أراك تبخل بهذا الوجه على جهنم * وقال بعضهم لرجل طلع فى موضع المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شئ خرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا فيا شقاء بلدة * أحسن ما فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت أنى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لا شك فى احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال) الشاعر فى رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة أنف * لجدار قد أدموه بمعوله

وهو كالعير فى المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

(وقال آخر) لك أنف ذر أنوف * أنفت منه الأنوف

أنت فى القدس تصلى * وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس أخينا * يا ثقيل الثقلاء * أنت فى الصيف سموم

وجليد فى الشتاء * أنت فى الارض ثقيل * وثقيل فى السماء

(ومما جاء فى الملابس وألوان الثياب العمائم ونحوها)

وان عشت عاشوا سالمين بغبطة
اذود الردى عنهم وان مت متموا
وكم قائل لا يبعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت
قال فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كاد والله ياتيم ان يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه حسين ألف درهم ع (ومن لطائف المنقول من المستجاد) انه كان بين غسان بن عباد وبين على بن عيسى القمر عداوة عظيمة وكان على بن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فألح المأمون عليه بطلبها الى أن قال لعلى بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فان أحضر المال والا فاضربه بالسياط حتى يؤدى المال أو يتلف فانصرف على بن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدرى وجها يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له على ما بينى وبينه من العداوة فقال نعم فان الرجل أريحى كريم فدخلا على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذى بينى وبينك على حاله ولكن دخولك الى دارى له حرمة توجب بلوغ مارجوته منى فذكر ان كان للحاجة فقص عليه القصة فقال أرجو أن يكفيكه الله تعالى ولم يزده على ذلك شيأ فنهض على بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه ما أقدمتنى بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل على بن عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب غسان معه البغال

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا جمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدل لها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له في ذلك فقال اني أجالس ربي وقيل المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل لبس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

﴿ ومما قيل في لبس السواد قول أبي قيس ﴾

رأيتك في السواد فقلت بدر * بدا في ظلمة الليل البهيم
وألفيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها نوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدرامي ذلك وكان الدرامي قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في المدينة وهما هذان البيتان

قل للملية في الخمار الاسود * ماذا فعلت براهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر في المدينة ان الدرامي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدرامي الى قعوده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر في لابسة الاحمر

وشمس من قضيب في كثيب * تبدت في لباس جلناري
سقتني ريقها صرفا وحيث * بوجنتها فهاجت جل ناري

(وقال آخر في لابسة ثوب خمري)

في ثوبها الخمري قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
فلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكري من الخمر

(وقال الصنوبري في لابسة أخضر)

وجارية أدبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره
بدت في قميص لها أخضر * كما ستر الورق الجلناره
فقلت لها اما سمعت هذا اللباس * فأبدت جوابا لطيف العباره
شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه يا بني أن تلبس ما يديم الملا نظره اليك به واعلم ان الوشي لا يلبسه الا الاحمق أو الملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه * وقال بعض الامراء لحاجبه أدخل علي بعاقل فأدخل رجلا فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والمنسوج في الحر والحديد في البرد وقيل كان لابراويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا انسخت ألقاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة ومراويل بجوهر وتكة من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والغراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصغر أشكل عليها المال فتقدم وسلم وبكر الى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين ان العلي بن عيسى يحضر تلك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران في ضمان ما تعاوره الناس وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فان رأى أمير المؤمنين أن يجيزني على حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة يجددها على تحرس ما قدمها من احسانه ولم يزل يتلطف الى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فسأل غسان عيسى أن يجدد عليه أمير المؤمنين اضمان ويشرفه بخلعة تقوي نفسه وترهف عزمه ويعرف بها مكان الرضا عنه فأجابه المأمون الى ذلك قال وأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة الى حضرته ليوقع ما رآه من هذه الانعام قال افعل فحمل الدواة الى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج على ابن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر في داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها الى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه ويتقرب بها الى مضربها اليه فلما ردها كاتبه الى علي بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه الى آخر العمر ﴿ ومن غريب ما يقتطف من ثمرات الاوراق ﴾ ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله خلف أحد عشر ابنا فأصاب كل ابن نصف وربع دينار وقال لهم عند وفاته يا بني ليس لي مال فأوصي فيه وخلف هشام بن عبد الملك احد عشر ابنا فأصاب كل

والحمر أجمل والحضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائق والرائع الزعفرانية تتحرك بالغضب والصبغ الياقوتي والرائع الوردية تتحرك بالسرور واذا قرب اللون الأحمر الى اللون الأصفر تحركت القوة العشقية واذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت البلهمائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة بردا كأنه نسج بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما تكلمك من فيها

﴿وما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه﴾ قال الاصمعي رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدني أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت ساعة ثم قال

* أخي ان الحادثا * ت عركتني عرك الاديم * لا تنكرن ان قدرأ
ت آمالي في طمري عديم * ان كان أثوابي رثا * ثفانهن على كريم

(وقال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله تعالى)

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس بعضها * نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته يرى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فانشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه * وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبيه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا عار عليه ولا نكير
فان ألك في شرارهم قليلا * فان في خياركم كثيرا

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفي هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك﴾

﴿ما جاء في التختم﴾ عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله تعالى عنه الى اليسار وأخذ الامويه بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى أيام الرشيد رضي الله تعالى عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب اليه عزمت عليك لما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم علي رضي الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابي نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

واحد من البنين ألف ألف دينار فاما ولاد عمر بن عبد العزيز فما رؤى أحد منهم الا رهو غني ومنهم واحد جهز من ماله مائة ألف فارس في سبيل الله تعالى ومارؤى أحد من أولاد هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد أحدهم رهو يوقد في الاتون (قيل) لمعاوية بن أبي سفيان ان بالحيرة رجلا من بني جرهم قد عمر ورأى أعاجيب فقال معاوية علي به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد بن شرية قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال أخبرني بأعجب ما رأيت في عمرك قال نعم يا أمير المؤمنين كنت في صحن من أحياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذري فمشيت في جنازته وتأسيت بجماعته فلما دفن في قبره وأعول النساء في أثره أدركتني عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بأبيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطري منها هذه الأبيات

يا قلب لا تزل من أعماه مغرور
فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد
حتى جرت لك أطلال فحاظير
فلست تدري ولا تدري أعاجلها
أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به
فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط
اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه
وذو قرابته في الحي مسرور
وذاك آخر عهد من أخيك اذا
ما المرء ضمنه اللحد الخناسير

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ✻ بعفوك ربي كان عفوك أعظما

الآخر حديد صيني عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته ان يغسل الفص ويجعل في فمه قال جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنه ما افتقرت يد تمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصيني للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر ما جاء في الحلي﴾ قيل ان قرطي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما (وقال محمد بن عثمني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي كانت للراشقة جارية خالد بن عبد الله القسري اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحمسة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال ما اكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من ان يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت في تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

﴿ذكر ما جاء في الطيب والتطيب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كأني أنظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان في الجنة ارضي من مسك مثل مراعي الدنيا كم هذه وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطران فاتني ريحه لم يفتني ريحه وتاول المتوكل فتي فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب ✻ لقد طيبته من يديك الأنامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية نسميت بذلك وسمها مالك بن سليمان بن خارجة من اخته هند بنت أسماء فقال علمني كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جواريك هو لك مني كلما أردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم أبان ✻ فارمسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال رأيت بن عباس رضي الله تعالى عنهما يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها الرقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لي لكان رأس مالي وقيل لابني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بفاطمة بنت عبد الملك أمرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله تعالى وجهه تشمموا الفرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا الفرجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل ان يمسوا جاههم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرقا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب في طيبة عند طيب ✻ به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشب تصاد لسرتها فان أصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد

فبينما أنا أورد هذه الابيات وعيناي بنسكبان اذ قال لي رجل الى جنبي من عذرة يا عبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هذا الميت الذي دفناه وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولا تعرفه ولا تعلم انه قائل هذه الابيات وذر قرانته الذي ذكرته مسرور هو ذاك وأشار الى رجل في الجماعة فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة فقال معاوية يا أخا جرهم سل ماشئت قال ما مضى من عمري تردده والاجل اذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لي سل غيره قال يا أمير المؤمنين ليس الملك ردشبابي ولا الآخرة فتكرم مالي والمال فقد أخذت منه في عنفواني ما كفاني قال لا بد أن تسألني قال أما اذ شئت فأمر لي برغيفين أتغدى باحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله واعلم انك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت فأمر له معاوية باشياء من حنطة وغيرها فردها وقال ان أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني والا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف (قيل) وفد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على أحد خلفاء بني أمية فقال له الخليفة كم كان أمير المؤمنين يعطيك يعني أباه قال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف درهم قال زد ذلك لترحمك عليه ألف ألف درهم قال بأبي أنت وأمي قال ولهذه ألف ألف قال لا أقولها لاحد بعدك قال ولهذه ألف ألف قال منعني من الاطناب في وصفك الاشفاق عليك من جودك قال ولهذه ألف ألف فقيل له فرقت يا أمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل

أن كان لابرام نتنا وقد يوجد حر ذا ان سود يقال لها فأرات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر يأتى على طفاوة الماء لا يدرى أحد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا يقرب طائر الا بقى منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا تصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشرى عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر مرند يب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليش فى العنبر زكاة انما هو شئ نثره البحر وأما العود فأجوده المندلى وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبعه فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطيب فى الثوب أسبوعا فلا يغسل ما دامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج نظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصمغ الجامد على الانضجار وأما الند فصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان قال

لو كنت أحمل جمر احين زرتكم * لم ينكر الكلب انى صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يقدمنى * والعنبر الندمشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة وينفرش الورد فى مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد * وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحلل الزكام والصندل يحل الاورام * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا ترد وا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * وتجر بعض الامراء وعنده أعرابى فعرفت من الامير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابى أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيى القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنفى من ريح مسك شممته من الناس الاريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثامن والاربعون فى الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول) *

* (الفصل الاول فى الشباب وفضله) * روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ألا أوتى العلم عالما الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا وسمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى يرز كريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضى الله تعالى عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وهما أكبر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أرائله كان أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شئ ما بكت على الشباب حميدا وزمانه حميدا وسامة صورته وحسن منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لياحياه الله فى جنات خلد مشاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد امرد أبناء ثلاثين وقد جاء فى ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

واحد قال انى فرقته على أهل المدينة أجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر فلما قدم المدينة فرق جميع ما معه حتى احتاج بعد شهر الى القرض (ومن لطائف المنقول) ان رجلا قال لهشام القرطبى كم تعد قال من واحد الى ألف ألف وأكثر قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال اثنتين وثلاثين سنة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لى منتهاشئ والسنون كلها لله قال ياهذا ما ذلك قول عظيم قال أبن لى ابن كم أنت قال اثنين رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى على شئ قتلنى قال كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) عرض محمد بن الجهم داره للبيع بخمسين الف درهم فلما حضروا ليشتروا قال بكم تشترون منى جوار سعيد بن العاص فقالوا له والجوار يباع قال وكيف لا يباع جوار من ان سألته أعطانك وان سكت عنه ابتدأك وان سألت اليه أحسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال أمسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها فأتى بثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا منه فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت الكلب قال لان أرضنا ما هى بارض كلاب وأهله جاءه من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما كنت صانعا اليوم قال أطوى يومى هذا فقال

(الفصل الثانى فى الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفى الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نورى وأنا أستحى أن أحرقه بنارى وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبى صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبير السن آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتى وجلالى ما وافقنى خلق فى الأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الاسلام ان أعذبهما بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكى ممن يستحى الله منه وهو لا يستحى من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله فى الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيآت وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتى سنة فيكمله الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعى كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتعير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل فى بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى ويقال أطمع أكبر منك ولو بليله وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينفعه بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبى الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك الظما * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص فى الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبو دلف فى بياض اللحية)

تكونى هم لبيضاء نابته * لها بعضة فى مضمر القلب نابته
ومن عجب انى اذا رمت قصها * قصصت سواها وهى تضحك نابته

(وقال أيضا) أرى شيب الرجال من الغوانى * يملهن شيبهن من الرجال
(وقال ابن المعتز) فظلت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بأن لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ أدب بكم ابتعت هذا القوس يا عم فقال يا بنى انى أعطيتها بغير ثمن * ومر رجل أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال لها هذا ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فى عينيها قال وما هو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكننى أحببت أن أعلمك انى أكره منك مثل ما تكره منى فأنشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرقى * فأعرضن عنى بالخدود النواضر
(وقال آخر) سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذا مال وذا نشم
فأعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الاشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أفى الحياة يكون القطن حشو فمى
(وقال آخر) قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد احاطتها يد الرمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب أمر غير مستهجن
قالت صدقت ولكن أنكرت ذا بدا * المسك للشم والكافور للكفن

عبد الله بن جعفر الأمر مبنى على المحاه والله ان هذا الامحنى منى فاشترى النخل والعبد فأعتقه ووهب ذلك له ❊ ومن لطائف المنقول ❊ انه رفع للرشيد موت العباس بن الاحنف وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم وعشيقة الحمارة فى يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الأول فقالوا ابراهيم الموصلى فقال أخروه وقدموا العباس بن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى وقال يا أمير المؤمنين كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله

وسمى بها قوما وقالوا انها
لهى التى تشقى بها وتكابد
فجعدتهم ليكون غيرك ظنهم
انى لمجتبى المحب الجاحد

ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين (قلت ويضارع هذا ما حكاه صاحب الاغانى) حكى ان رجلا أدى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضى هل يعرفك أحد من ذوى العدالة قال نعم فلان فلما حضر قال له القاضى هل تعرف هذا قال نعم أعرفه عدلا وماذا لك الا أنى سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت ان هذا لا يرمى الا الى قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رفاقة الشيخ تقى الدين السروجى تسلب العقول وكان يغنى بها فى عصره

(وقال آخر) قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * ستر ته عنك يا مهمى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت من تجربها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر
(وقال ابن نباته) تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب مع المدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه
(وقال ابن المعتز) فما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شامل
وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر
رأت رفحا فى الرأس منى فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب فى السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم
ويقال فى الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس
اذا نازع الشيب الشباب فأصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب
(وقال آخر) ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق
(وقال العتبى) قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر
(وقال على بن ربيع)
كبرت ودق العظم منى وعقنى * بنى وزالت عن فراشى العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الارض بالعصا * يقودنى بين البيوت الولائد
(وقال آخر) عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عينى * فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب
(وقال ابن النقيب) وكم كان من عين على وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبى اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظونى واكتفوا بمشيبى
وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما شيبت الشباب الا كشىء كان فى كمى فسقط (قال الشاعر)
شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب
(وقال الجاحظ) أترجون تكون وأنت شيخ * كما قد كنت فى زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * درس كالجديد من الثياب
﴿وما جاء فى الخضاب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبى عامر الانصارى رضى الله تعالى عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباءة (بيت)
تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل
وفيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا لو دام فقال
ولو دام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نبيلة أو هرم
(وقال آخر) ياخاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريد فلن يعود كما تريد
(وقال محمود الوراق) فما منك الشباب ولست منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

لانها فى الطريق الغرامى غاية
لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله
أنم يوصلك لى فهذا وقته
يكفى من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى
أعطى وصولا بالذى أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حسنك فارس
بالسبق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبه
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم
عبدى ومالك يدى وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
أدرى بدا وأنا الذى شوقته
(قلت) لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه (قال الشهاب محمود) وكان الشيخ تقى الدين السروجى مع دينه وورعه وزهده وعفته مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكرمه مكانا فيه امرأة ومن دعاء من أصحابه قال شرطى معروف وهوان لا يحضر بالمجلس امرأة (قال الشهاب محمود) وكنا يوما فى دعوة فأحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى الصحون فلما أحضر بعد ذلك تغرف منه وقال كيف يؤكل وقد مسسنه بأيديهن (قال الشيخ أثير الدين) ولما توفى الشيخ تقى الدين بمصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محمد به ان لا يدفنه الا فى قبر ابنه وقال كان الشيخ يهواه بالحياة وما أفرق بينهما بالممات هذا لما

﴿الفصل الثالث فى العافية والصحة﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليك انتهت الاماني ياصاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الأبدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ماسألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمه نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تحل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال رأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لمنة فتحها بمحنة وقد تحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا ان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية وكان عند رومى خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له أمه يا بنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب ويقفع فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه أنظرى هل بقى فى خلال أسنانى شئ من ذلك العلف فقلعيه فما أحسن القئ مع السلامة والله أعلم بالصواب

﴿الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام﴾ قال الحسن رضى الله تعالى عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام اذا اسددوا وزعموا أن تبعا الغزارى كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية رستين فى الاسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليله فى أثر ليلة ويوما فى أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلا بيل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا بعد كران لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش

كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وثمر هذه الشجرة فانه ممن هام مع زهده وورعه بالجمال وعف وصبر الى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرئ الادب وله مجلس بحلة دار الروم وكان لا يقرئ الا الاحداث ففتن بنصرانى اسمه عمر وبن يوحنا كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طبعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها فى حجره وهى

يا لائمى العذل الذى
بلغ بجمع جموعها
الا ترثيت لعبلة
غرقت بماء دموعها
بينى وبينك حرمة
الله فى تضييعها

فلما قرأها عمر واستحيا وعلم بها من فى المجلس فانقطع عمر وواشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة قيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين فى دينهم وعده صاحب مصارع العشاق مع الذين ماتوا غراما (وقال فى كتابه الموسوم بمصارع العشاق) أخبرنا القاضى أبو القاسم التنوخى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضى أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيبانى لنفسه فى عمر النصرانى قال القاضى أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه

من عاشق ناه هواه دان
ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان
معذب بالصد والهجران

من غير ذنب كسبت يداه
لكن هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤيته من اشتهاه
كالغاوى من أبلاه
يا ويحه من عاشق ما يلقى
من أدمع منهلة ماترقى
ذاب الى أن كاد يفنى عشقا
وعن دقيق الفكر سعادقا
لم يبق منه غير طرف يبكى
بأدمع مثل نظام السلك
تحمد نيران الهوى وتذكى
منها قطر السماء تحكى
الى غزال من بنى النصارى
فضل بالحسن على العذارى
وغادر الاسد به حيارى
فى ربقة الحب له أسارى
ريم به أى هزبر يصيد
يقتل بالحظ ولا يخشى القود
متى تقل ها قال الاحاظ قد
كم قد ناسوته حين اتحد
يا ليتنى كنت له زنارا
يدير نى فى الحصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا
صرت به حينئذ زنارا
يا عمر وناشدتك بالمسيح
الا سمعت القول من فصيح
ينبيء عن قلب به جريح
ليس من الحب بمستريح
يا عمر و بالحق مع اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذلك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها فى الفم
ثم استحال فى القنوم الاقدم
بكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قصا
يوما على مقداره ماقصصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى اكمها وأبرصا

أكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاش ثمانين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن مكرب الزبيدى وهو من المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسر بالغربية وذكر انه بلغ من العمر مائة واربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه عالما لا من بعض شيبان هذا العصر فى الفوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا وهو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها﴾

فأشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله ولاسمه غفر له بأسر كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عامر رضى الله تعالى عنهما لما مر ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى لفظ بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سماآت الخلق فى كفة لرجحت كفة الاسماء (وأما الاسماء والكنى) ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغى أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخى يا فقير يا سيدى يا صاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه ذلك ودخل عباد على المتوكل وبين يديه غلام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شيء ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شيء له اسم ولا كنية له وعن شيء له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فحجب المتوكل واعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله تعالى عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان فتادة بن النعمان الانصارى رضى الله تعالى عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تقتل أى ترمد عينه الباقية ولا تقتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كانت بهرة صغيرة كنت أحملها فى حجرى فألعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله تعالى عنه كنية الدجال أبو يوسف ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هـذي فيه اللسان * للدولة ان حديثة
وقديمة ورياستان * للثاني الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ * ـت فصرت في هذا المكان

فاهرله بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف و بنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم بن مرة والحرث بن فهر نمسوا أيديهم في خلوق ثم تحالفوا شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت في رأسه حين ولد قال حذاقة بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مربه في سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذي وراءك فيقول عبدلي سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أولانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل الكامل سعد بن عباد رضي الله تعالى عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمي والعوم طلحة بن عبد الله رضي الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه رشيح الحجر وأبو دباب عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله و بخره عكة العسل سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه الحبر عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر لاتساق عمر بن سعيد لانه كان مائل الشدق الفياض عكرمة بن ربعي لقب بذلك لسخائه اصطلق خزيمة بن سعد الحزاعي قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين وكان يتبع الحجاز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا * سليمان التيمي كان داره مسجده في بني تيم ولم يكن منهم وهو شيباني * أبو عمرو الشيباني لم يكن من بني شيبان وانما كان يعلم يزيدين مزيد الشيباني * الزبيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهي مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا أقمه و السوأة اللقب

وقيل في قوله تعالى فتولاله قولا ليناأي كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر لم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أيا لخالد انفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان مما الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضي الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل في الامم كلها يجري في المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تلقيب من ليس من الدين في دبير ولا قبيل ولا نه فيه لا فقه ولا فصيل بل هو محتوعلى ما يضاد الدين وينافي كمال الدين وشرف الاسلام وهي لعمر الله الغصة التي لا تساغ والغبن الذي يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وأن يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل و بناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله تعالى عنه أبو تراب وذلك انه نام في غزوة ذي العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ في التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم لبني لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشري رحمه الله

بحق محيي صورة الطيور
و باعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع
من ساجد له وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعاجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا
مشغلين يعبدون عيسى
بحق مار مريم و بولس
بحق شمعون الصفا و بطرس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل و بيت المقدس
وينبوع اذ قام يدعو ربه
مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا أقيل ذنبه
ونال من مولاه ما أحبه
بحق ما في قلة المرجان
من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون
من بركات النخل والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد ما ثمون وعيد الفطر
و بالثمانين الجليل القدر
وعيد مرماري الرفيع الذكر
وعيد شعياء و بالميا كل
والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خيل كل خابل
ومن دخيل السقم في المفاصل
بحق سبعين من العباد
فاموا لدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من ليس يهتدي
بحق سبعي عشر من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الهدى جلا الظلم
ساروا الى الله ففازوا بالنعم

بحق ما فى محكم الانجيل
من منزل التحريم والتحليل
وخبرنى نبا جليل
بر ويه جبل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد التقى الصالح
بحق لوقا الحكيم الراجح
والشهداء الفلا الاصاصح
من كل غاد منهم ورائح
بحق معمودية الارواح
والذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح
من راهب بالك ومن نواح
بحق تفريدك فى الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
عما بعينيك من السواد
بطول قطيعك الاكباد
بحق ما قد سمعائمه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما رويه
عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم
وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير الفهم
موتهما كان حياة الحصم
بحرمة الاسقف والاطران
والخانيق العالم الربانى
والقس والشماس والقربان
والبطرق الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل
ومارقولاحين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول
وبالمسيح المرتضى وما فعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم
وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم
بحق كل بركة ومحرم
بحق يوم الذبح فى الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقى
والذهب الابريز لا الاوراق
بالفصح يا مهذب الاخلاق

تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبى الرأس وأبى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحرة يكنون بأسماء بناتهم كأبى زهو وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كرية المقداد بن معديكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين * أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير * ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورتهم فحضر معهم من كان اسمه محمد او أحمد فأدخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما جاء فى مدح الاسماء منظوما) قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقدرق لى من بعد هجر وقسوة * وماضر ابراهيم لو صدق الرؤيا
(وفيه أيضا) لازال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع بأمرها * هذا المقام وأنت ابراهيم
(وفيه أيضا) يا مهى الخليل ان تؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وتجيب يا قاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

(وله بعضهم فى مليح اسمه عمر)

يا أعدل الناس اما كنت تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أطفأتهم مرقول العاذل من غير * وأبدلوها بعين خفية العين
(وفيه أيضا) ما عليهم فى الهوى لو نظروا * حين سمولك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا قمر

(وله بعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

وافى الى بشمعة وضيائها * وضياؤه حكما الغمامين
نادينه ما الاسم يا كل المنى * فأجابنى عثمان ذو النورين

(وله بعضهم فى مليح اسمه يوسف)

يا من سبى الشعر اعقل عذاره * النجم يشهد لى بأنى مدنف
صيرت قلبى من صدودك فاطرا * فامنن على برؤية يا يوسف

(ولآخر فى الحلى فيمن اسمه داود)

وثقت بأن قلبى من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خده * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض فى سواد * وآية ذا سواد فى بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله فى الحقب الماضى

(وللغير أيضا)

(وللعبر اطى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق فى حسنه وتما وأجتمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) فى قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى

وعظ الانام امامنا الحبر الذى * سبك العلوم كجوهر فصل طافح

فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور فى ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزرى بكل جميل

فلا خير فى بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير فى الدنيا بغير خليل

(وقال آخر فى مقبل) يا من تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل

من لى بيوم فيه تسمح باللما * ويقال لى هذا حبيبك مقبل

(ولبعضهم فى مليح اسمه محسن)

وأهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها

واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع فى الهوى أسالها

(صفى الدين الحلى فى اسم حسن)

حبيبى وافر والشوق منى * طويل والهوى عندى مديد

واعجب انى أهوى حسنا * وشوقى فى محبته يزيد

(ومما قيل فى أسماء النساء) فى فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجى الوصل لها فاطمه

تنكرما ألفاه من وجدها * وهى بشوقى والجوى عالمه

(ابن مكانس فى اسم عائشة)

يادهر خبرنى بحقك واشفنى * فسهام فكرى فى أمورك طائشه

أيحصل انى فى المحبة ميت * وحبيبتى من بعد موتى عائشه

(شمس الدين البديرى فى اسم حليمة)

ولما رأتنى فى هواها متيما * أكابد من حر الغرام أليمه

فجادت بطيب الوصل منها ولم تعر * ومن أين تدرى الجور وهى حليمه

(ولبعضهم فى اسم بركة دوبيت)

لما نصب الهوى لقلبى شركه * نادیت وقلبى تارك من تركه

ياقلب أفق ولا تمل للشركه * تغفيك سنين ساعة من بركه

(مردوفا أيضا) لما نصب الهوى لقلبى شركه * فى كل طريق

نادیت وقلبى تارك من تركه * لو كان يفيق

ياقلب أفق ولا تمل للشركه * ما الشرك يليق

تغفيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق ونسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

بكل قداس على قداس
قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم خميس الماس
وقدموا الكاس لكل جاس
الا رغبت فى رضا أديب
باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب
أعلى منال أيسر التقريب
انظر أميرى فى صلاح أمرى
محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا منى جميل الشكر
من نثر ألفاظ ونظم شعر
(قلت والشىء بالشىء يذكر) الشيخ مدرك الحائك الشروطى الغرناطية أن يتجنم المشاق ويتقرب الى محبوبه بأقسام لها عند أهل دين النصرانية محل عظيم الموقع كما ألجأت الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسى الشاعر المشهور أن يترك التشيع وكان من كبار الشيعة ويرجع جانب السنة وهى أقوال الرافضة وموجب ذلك أن مهذب الدين المذكور هاجر الى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوى نقيب الاشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوك له بل معشوقه تترا الذى سارت الركبان بغرامه فيه فأخذ الهدية وأعجبه المملوك فأخذه فلما وصل الخبر الى مهذب الدين بن منير أشرف على ذهاب روحه وكتب الى الشريف والى تتر
عذبت طرفى بالسهر
وأذبت قلبى بالفكر
ومزجت صفو مودتى
من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جفنى بالسهر
وكحلت جفنى بالسهر

﴿ أما ما جاء في الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان ﴾

فقد قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الآية وفي الاثر سافر واتغنموا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله يالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلني أمضي لشأني ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا الشديد
تهيني ريب المنون ولم أكن * لاهرب مما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الارض عمري لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب ابن مالك رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل في غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة في ركب فليؤمروا أحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسافة ثمانى ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الخطيم

هممنا لاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الحمر بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضي الله تعالى عنه من مكة الى المدينة في يوم وليلة وقال المأمون لاشيء ألذ من السفر في كفاية وعفيه لانك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل في ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفي الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد
(وقال آخر) وما هي الا بلدة مثل لدتي * خيارهما ما كان عونا على دهري
(وقال آخر) واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

﴿ وقال الصفي الحلي ﴾

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تسقم امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بضلال

(وقال عبد الله الجعدي)

فان تعف عني أو تزرني اهانة * أجد عنك في الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل في الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا في قوله فعلت ما لم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول
قليل الموالي مسلم بجزيرة * له بعد نومات العيون أليل
يقول له الحداد أنت معذب * غدا وغدا أرمسلم فقتيل
بأكبر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيبي ما اليه سبيل
(وقال الشاعر) وما أم خشف طاوي يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

وجفوت سماله
عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب ويحك كم تخا
دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالاغن
من الظباء وبالاغر
ريم يفوق ان رماه لحاظه النظر
تركت أعين تركها
من بأسهن على خطر
ورمت فأصمت عن قسي
لا يناط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيـ
ـط بالحيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعفو
ل عيون أبناء الحزر
فكأنهن صوالج * وكأنهن لها أكر
تخفي الهوى وتسره
وخفي سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى
يفضي اليه فينتظر
نفسي الفداء لشادن
أأمن هواه على خطر
رشأ تخاله الحوا * طران تثنى أو خطر
عدل العذول وما رآ
ه فحين عاينه عذر
قمر زين ضوء صبح جبينه ليل الشعر
تدمى اللواحظ خده * فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما
والبدر حسنا ان سفر
ويلا ما أحلاه في
قلبي الشقي وما أمر
نومي المحرم بعده * وربيع لذاتي صفر
بالمنعرين وبالصفا
والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا * ف به ولبى واعتمر
لان الشريف الموسوي
ابن الشريف أبي مضر
أبدى الجحود ولم يرد * لي عارفي تتر
واليت آل أمية الـ
ـطهر الميامين الغرر

تهيم ولا تدرى الى أين تنتحى * معلمة حزن الجنوب الغوانيا
أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا
اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا
بأوجع مني يوم شدوا حمولهم * ونادى منادى البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله يا عيني على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل ان يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا * فذب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر ما شاء يجتهدا * فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لا عيشنك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا
انى خشيت على الاظعان من نفسى * ومن دموعى احراقا واغراقا

(وقال عمر بن أحمد)

أنى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت رأى البين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر بميناه وقال ألمثلى يقال أحسنت فقررناه فقال أقسمت عليكم لما رجعتم حتى أشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقبلت بتلال السهف ناظرها * يرنو الى ودموع العين تنهمل
وودعت بنان زانه عسم * نادبت لا حملت رجلاك يا جمل
ياحادى العيس عرج كى أودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * يا ليت شعرى طول البعد ما فعلوا

فقلنا له ما تو فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فمات وهو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بأن القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يا فتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى)

ما رحلوا يوم سار وا البرزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطوار يسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا غشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
أسفقة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار نامو سا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناوسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أربطار يقا شمامسا
نادين اذ رحلوا البين ناقتها * ياحادى العيس لا تحدو بها العيسا

وجدت بيعة حيدر
وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا
بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ
ـم ثم صاحبه عمر
ماسل قط ظبا على
آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو
ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما
شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ
ـد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته
جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراقى مص
حفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير
بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز
جر من لحانى ان زجر
وأقول أم المؤمنين
عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لنصـ
ـج من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيـ
ـش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل
حامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى
وبعير أمهم عقر
ماضره لو كان كف
عف عنهم اذ قدر
وأقول ان امامكم * ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطا معا
وية فقد أخطا القدر
هذا ولم يعد رمعا
وية ولا عمرو مكر

غيبت أجنادصبري يوم بينهم * على الطريق زاديا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهو * والوجد في القلب لا ينفك مغروسا

وقال آخر

ولما تبددت للرحيل جمالنا * وجدنا بنا سير وذلت مدامع
تبددت لنا مسعودة من خبائها * ونظرها بالدر رطب دامع
أشارت بأطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها مني أنت أجمع
فقلت لها والله ما من مسافر * يسير ويدري مايه الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهي كن عليه خليفة * فيارب ما نابت لديك الودائع

(وقال آخر)

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية * ولا أوفى لك قلبي وهو يحترق

(وقال البغدادي)

قالت وقد مد الهلال بين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما قيه واضعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

(وقال ابن البديري)

قفا حادي ليلى ذاني وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق
وزماما يا هاتميل مسيرها * ليلتذ منها بالتزود عاشق
ولا تزجروا السوق أظعان عيسها * فان حبيبي للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * وفحن كلانا في التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقني في نظرة وأسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا أن الشوق وشائق

وقال أيضا

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خليات بلقع
بكيت عليها والقفار تقرع القنا * وسمر العوالي للمنايا تشرع
وخالفت لوامي عليها وعذلي * وخالفت سهدي والخليون هجع
ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادي أسى من حرها يتقطع
فقال خليلي اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتي ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجري صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادي

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفي وقلبي دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة * كأني سحاب والوشاة برق

(ولأبي الفتح رحمه الله تعالى)

يا سادة في سويداء القلب مسكنهم * وفي مناجي أرى أني أعانقهم
أوحشتموا وعز الصبر بعدكمو * يا من بعز علينا أن نفارقهم

وقال آخر

لو أن مالك عالم بذري الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بغراق

بطل بسوأته يقا
تل لابصاره مه الذكر
وجنيت من رطب النوا
ضب ما تثمر واختمر
وأقول ذنب الحارجـ
ـين علي علي مغتفر
لا تأثر افتالهم * في النهر وان ولا أثر
والاشعري يمايؤو
ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لي منبرا
فأنا البري * من الحطر
فعلا وقال خلعت صا
حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيدما
شرب الحمور ولا أجر
ولجيشه بالكف عن
أبناء فاطمة أمر
والشعر ما قتل الحسـ
ـين ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت في عشر المحرم
ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره
وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو
ب للابس يدخر
وسهرت في طبخ الحبو
ب من العشاء الى السحر
وغدوت ما تعلا أصا
فع من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطري
ق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو
ل بلحم جوني الجفر
وجعلتها خير الما
كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلي كله
ومسحت خفي في السفر
وأمين أجهر في الصلا
ة كمن بها قبلي جهر

وقال

(وقال ابن الوردى)

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا ياليالى الوصل عودى * أجمعينا أجمعينا

(وقال الشريف الرضى)

عللانى بذكرهم واسقيانى * واعزبا لى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر عند ذلك)

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر

(وقال الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف مدوعدا الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

﴿وما قيل فى البكاء﴾ قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل * عما حالها ياماجرى

(وقال آخر) ان عينى مذغاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لا تسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر) ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يادمع ان ظهرت بما * أخفيه من قلبى سقطت من عينى

(وقال آخر) خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما عدا كالبحر مرعة سيره
فحسبنه لا يصون مرهواكمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

(وقال ابن المواز) رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق بينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

(وقال آخر) لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مدامعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر) ولم أرمثلى غار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معى
ومازلت أبكى فى دجى الليل صنوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال الموصلى) عين أفاضت دموعى * لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلى بعينى

(وقال آخر) وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل انسى * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أنى ابتليتهم بفراق الاحبة

﴿ومما جاء فى الحنين الى الوطن﴾ أما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى ان أبان قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والفام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضى الله تعالى عنه

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة ﴿ومن حب الوطن﴾

وآسن تسنيم القبو
ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغدير
ـ ر أقول ماصح الخبر
وسكنت جلق واقتديـ
ـت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم
بالفاشريا قد فشر
مصطبحتى مكسورة
وفطيرتى فيها قصر
بقرترى برئيسهم
طيش الظلام اذا نفر
وخفيفهم مستثقل
وصواب قولهم هذر
وطباعهم كطباعهم
خمثت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب تغـ
ـر يد البلابل فى السحر
وأقول فى يوم تحا
ربه البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها
والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف أضلنى
بعد الهداية والنظر
مالى مضل فى الورى
الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشريف
فستغفر كاستغفر
لوحة تسطو افما * تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للسى * ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعـ
ـلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية نوشامها
قس الفصاحة لا تفخر
وروى وأيقن انني * بحر وألفاظى درر
حبرتها فغدت كزهـ
ـر الروض باكرة المطر
والى الشريف بعثتها
لما قراها وانبهر
رد الغلام وما استقر
على الجدود ولا أصر

(ومن لطائف المنقول) ما نقله الشيخ الامام العالم العلامة الحبر زين الدين أبو حفص عمر بن الوردي رحمه الله تعالى لما دخل دمشق المحروسة في أيام قاضي القضاة نجم الدين بن مصري الشافعي تغمده الله برحمته ورضوانه فأجلسه في ضفة الشهود المعروفة بالشمال وكان الشيخ زين الدين يلبس زي أهل المعرة فاستزراه الشهود لحضر كتب مشتري فعال بعضهم أعطوا المعري يكتبه فقال الشيخ زين الدين ترمون الكتبه نظما أو نثرا فاستهزأ بهم فقالوا نظما فأخذ القرطاس وكتب

بسم الله الخلق هذا ما اشترى
محمد بن يوسف بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الأزرق
كلاهما قد عرف من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه
بكورة الغوطة وهي جامعه
لشجر مختلف الأجناس
والأرض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الأرض بالذراع
عشرون في الطول بالذراع
وذرعها في العرض أيضا عشره
وهي ذراع اليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقي
وحائر الرمي حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد علي
والغرب ملك عامل بن جهبل
وهذه تعرف من قديم
بأنها قطعة بيت الرومي
بيعا صحيحا لازما شرعيا
ثم شراء فاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه
وازنة جيدة مبيضه
جارية للناس في المعامله
ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه
فعادت الذمة منه خاليه

ما حكى أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأعلمه الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فدفنه بالارض المقدسة * وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته في تابوت من ذهب الى بلاد الروم حيث الوطنه * واغتسل سابور ذو الاكتاف وكان أسير ابملاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهي قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر في زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستعذب الأرض التي لا هواؤها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان في نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد ولاه اياها على بلدة تجرها السكك وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول ببغداد حاضرة الدنيا وماسواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله في أرضه والسلام

﴿وما جاء في ذم السفر﴾ قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابي السفر فقال لامرأته

عدي السنين لغيبتي وتصبري * وذري الشهور فانهن قصار
(فاجابته) فاذكر صبابتها اليك وشوقها * وارحم بناتا انهن صغار

فأقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز بغبته (وقال ابن الهيثم)

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه﴾

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر راس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروأة ومذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت زدري به ومن صار كذلك كان كالرمه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي الحديث لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه وقال علي كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تملني اذا وقيت الأواقي * بالأواقي لماء وجهي واقي

وقال لقمان لابنه يا بني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا يتقصصوك ولكن أسأل الله تعالى من فضله فان ذا الذي سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف ما به وكان العباس رضي الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد خطؤه

صواب وسيآته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يعل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عليه ان غاب ان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجدها أروح من ترك ما لا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقرمن قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوي ويكسره فلم أر شيأ أذل له ولا أكثر من النفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

(وقال آخر) المال يرفع سوقة لا عمامة له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

(وقال آخر) جرح الليالي ما لهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغتر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضر في ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

(وقال آخر) الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

(وقال آخر) لعمرك أن المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(وقال آخر) اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

(وقال ابن الاحنف)

يمشي الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وترا به مبغوضا وليس بمذنب * ويرى اعداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقال آخر) فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب

والله ما الانسان في قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

(وقال آخر) ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أرادفصاحة * وهي السلاح لمن أراد قتالا

(وقال آخر) ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كذاب

(وقال الكناني) أصبحت الدنيا لنا عبرة * فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

(وقال الزمخشري) واذا رأيت صعوبة في مطلب * فاجعل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الاحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم حاسبني الله عليها أحب الي من أن أحتاج الى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا باخل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل

وسلم الارض الى من اشترى
فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق
طوعا فلا لاحد تعلق
ثم ضمان الدرك المشهور
فيه على بائعه المذكور
وأشهدا عليهما بذلك في
رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشره
من بعد خمس تلوها الهجره
والحمد لله وصلى ربي
على النبي وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا العمر
ابن المظفر المعري اذ حضر
فلما فرغ الشيخ زين الدين وتأمل الجماعة سرعة بديهته مع استيعاب الشروط الشرعية اعترفوا بفضله واعتذروا اليه لما علموا ان ابن الوردي وأجلسوه في الصدر ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة نظما وسألوه ذلك فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى بن رسول

قد حضر العقد لذاك أحد
ابن رسول وبذاك يشهد

﴿تحفة من فوائد كتاب الانشاء﴾

قال عبد الحميد كاتب مروان آخر ملوك بني أمية وكان الوحي ينزل على أحد بعد الانبياء لنزل على كتاب الانشاء وقال البلاغة هي مارضيته الخاصة وفهمته العامة ومن كلامه خير الكلام ما كان لفظا ومعناه بكرا (اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد) كتب الى يحيى بن خالد في شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استيطاء ما تأخر منه جميع من الشكر والاستزادة بابلغ عبارة وأوجز (عمرو بن مسعدة كاتب المأمون) كتب اليه كتابي هذا وأجناد أمير المؤمنين

واحفظ على نفسك من ذلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

﴿وأما ما جاء في الاحتراز على الاموال﴾

فقد قالوا ينبغي لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطمين والمحترفين الموهمين والمتنمسين (فأما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة ويرعاقضوا ما قدروا عليه من حوايجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث الى أن يقول الى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضي التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشيء اليسير من ماله ثم يجتمع عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال وقايحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا برأيك فان رضي صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه بقية المال وثيقة فلا يستوفي ما فيها الا في الآخرة وان هو لم يأمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع محرزا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول فيه فان حصل لصاحب المال أدنى ريح أوهمه أن مفاتيح الارزاق بيده وان كسد المشترى أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب * ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شيء من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم يفيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بأن ما يلجئهم الى ذلك الاعدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى ان يدخل الى مكان ويترك عنده عدة لها فيقبل خدمها ويتصنع ومنهم من يشرط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيمتنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية ويسيء له بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهته كيت وكيت ويقول للذي يتفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا هو ومن المطمعين قوم يجعلون في الجمال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون لنا معرفة وتفاق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن يتفق عليهم ما شاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة في قماشه أو في العدة التي معه فربما قتلوه هنالك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما أمر المبرطمون) فهم من الحونة والناس بهم أكثر غررا وذلك أنهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة تسارع واحتاط في جودتها وتوفير كيلها ووزنها أو زرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه من عنده مسرحا يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته وتجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشيء يبيعه استظهر واستمهل النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الاول في الباطن فينبغي لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوي الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه ربح الارباح العظيمة

فيما

على أحسن ما تكون عليه طاعة جنده تاخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمر وما أبلغه ألا ترى الى ادماجه المسئلة في الاخبار واعفائه من الاكثار (ابراهيم الصولي كاتب المعتصم والواثق والمتوكل) كان يقول التصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من منشئه وكان يقول الخبز ليومه والطبيخ لساعته والنبيذ لسنته (ومن بديع نثره) ما كتبه عن أمير المؤمنين الى بعض الخارجين يتهددهم ويتوعدهم أما بعد فان لامير المؤمنين اناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فانه يغني أغنت عزائمه والسلام * وهذا الكلام وجازته في غاية الابداع وينشأ منه بيت شعر وهو

اناة ان لم تغن عقب بعدها ... وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه

(وكان) يقول ما تكلمت في مكاتبتي الا على ما يتخيله خاطري ويجلس في صدري الا قولي وصار ما يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعقلهم وقولي من أخرى فانزلوه من معقل الى معقل و بلوه آجلا من آمال فاني الممته يقول آجلا من آمال يقول مسلم بن الوليد الانصاري المعروف بصريع الغواني

موف على مهج في يوم ذي رهج ... كالليث أجل يسعى الى أمل

وفي المعقل والعقال يقول أبي تمام

فان يأشر الاصحى فبالبيض والقنا ... قراه وأحواض المنايا مناهله

وان تبن حيطانا عليه فانما ... أوائل عقلان له لا معاقله

والا فأعلمه بأن سأخط ... عليه فان الحوف لاشك قاتله

فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر في ذهن صاحب المال الذي يكتسب في كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالي اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركني في متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدري انه مثل البازي ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندي علم أنك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيعطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحاله المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتنسكون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك وتجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الاموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون الى أبواب المولة على صفة التهافي بالاعياد وربما يأتي معه بأحد من الاولاد ويظهرون التزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهاداتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان أمله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لافقير أفقر من غني يأمن الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى نيله الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه ومامن خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا قال ابن كثير

الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه * حتى كمن مات الا انه صنم
لما رأيت اخلائي وخالصتي * والكل مستترعني ومحتشم
أيدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزير البعض الخلفاء فزور عنه يهودي كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من أسرار الدولة ثم تحيل اليهودي الى أن وصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودي فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي كان في الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفي موكبه كل من في الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية في أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تخالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادا لي لدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عني * عودوا فقد عاد لي الزمان

*(ومن رقيق شعره حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر فقال ارتجالا

صد عني وصدق الاقوالا
وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود
وعلى وجهه رأيت الهلالا
فطرب المتوكل واهتز وخلع عليه
(ومن رقيق شعره أيضا قوله)
دنت بالناس عن تنائر زارة
وشط بليلى عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنعرج اللوى
لاقرب من ليلى وهاتيك دارها

(الحسن بن وهب سئل عن مبيته فقال) شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح غمت فلم أستيقظ الا بلبسي قميص الصبح ﴿ بديع الزمان الهمذاني ﴾ الحمد لله الذي بيض الفار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ودويكره الشيء وليس منه بدهذه العرب تقول لا أبالك ولا يقصدون الذم وويل أمه لامر اذا هم وسبيل ذوي الالباب في الدخول من هذا الباب أن ينظروا في القول الى قائله فان كان وليا فهو للولاء وان خشن وان كان عدوا فهو للبلاء وان حسن (ومن انشاء أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بالمغربي) وصلت الرقعة فاستجفيت النسيم بالاضافة الى لطافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها (ومن بديع انشائه وغرقت في هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور والله تعالى أسأل أن يسقط بيننا في تسا كي ألم الفراق

ثم اقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

اغاقوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم أزرى به الدهر يوما * ولئيم تسمى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمسالیق التي يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(واعلم) أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (وحكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه في ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بني شيآن اذا أنت حفظتهما لا تبالي بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام في هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان في الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا (فمن ذلك) ما حكي عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير في كتابه الملقب بالجواهر والطرف أن أبا الوليد ذكر في كتابه المعروف بأخبار مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح في سنة ثمان من الهجرة وجد في الجب الذي كان في الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمي يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها لاثنين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتي ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم ير أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس أنا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبي وقاص فأعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد بخارى في سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أنجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتي ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى في سنة تسع وثمانين وجد فيها قدورا ذهب يغزل اليها بسلالم * ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصامن ياقوت أحمر وقال له ان به وكان قوم ذلك القصر بألف ألف درهم فأخذه زياد ورضيه بين حجر بن قال والله لا يتقبعه أحد بعد مصعب * وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان في ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفي ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا بادا وأولانا جميلا دع لي عبد الله بن أبي بردة فدفعها اليه (ولما) صار موجود عماد الدولة في قبضة أمير الجيوش وجد في جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بسبعين ألف دينار وجد في بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعده من آنية الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد الملك بعده وتة اثني عشر ألف قميص وشيء وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بني العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع

سنين

اسناد القلم بمشافهة الغم للفم (أبو الحسن بن بسام) من انشائه عارض اذا هم استوشلت البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لا يسمح وجهه الا بهيا دب الغيوم وصارم لا يحلى بمده الا بافراد النجوم (ضياء الدين بن الاثير الجزري) ودولته هي الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهي خير دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لا تهرم وانها لا تزال مخبوة من أبكار السعادة بالوصل الذي لا يصرم وله في القلم فهو الملقب بالجواد المضمر واذا أخذت السوابق في احضارها بلغ الغاية وما أحضر وله لون تحقق فيه القول النبوي لو جمعت الخيل في صعيد لسبقها الاشقر (ومن انشاء القاضي تاج الدين بن الاثير) والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهي للحصون من آكد الحصوم واذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خلق في آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغى فتكلم وما أقيمت بلاغ حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم (ولقد سهوت عن الصابئ وكان في هذا الفن أمة وهو أبو اسحق ابراهيم بن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة ابن بويه وكان متشددا في دينه واجتهد معز الدولة أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم

سنين (ولما) قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعد ه مائة الف الف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردب بارخمسة وسبعين الف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ماعليها من الجواهر واليواقيت بمائتى الف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوأة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبارا لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوأة دراهم خارجا عن الاراديب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء مالا يحصى عددا الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما لا يحتاج الايوان وداخل قصر الزمرد وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب ما لا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد مختفيا به فلما رأوه سحر وامنه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضربه فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخر يقولم يدر خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للفرح فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره * وقد جمعت الملوك من الأموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصيرذلك للزوال

فضمنت أنا هذا البيت وقلت

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال
وجمع من حرام أو حلال * هب الدنيا تقاد اليك عفوا
أليس مصيرذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبيل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الاغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا ليالى ماله ولا لاهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر وهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولم يختره الا أولياء

شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله فى رسائله والصابئ عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابئ ان الصاحب بن عباد قال ما بقى من أرطارى وأغراضى الا أن أملك العراق وأتصدر ببغداد وأستكتب الصابئ ويكتب عنى وأغير عليه فقال الصابئ ويغير على وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به الى أبى الخير عن رقعة وصلت تتضمن انه أهدى اليه جملا وصلت رقعتك فقضيتها عن بلاغة بعجز عنها عبد الحميد فى بلاغته ومهيان فى خطابته وتصرف بين حد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا أن الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جملا جعلته لصفتك جملا وكان المعيدى ان تسمع الا أن تراه صغر عن الكبر وكبر عن القدم يهب العاقل من حلول الحياة به ومن تأتى الحركة فيه لانه عظم مجلد قد طال للكلا فقده وبعد بالمرعى عهده لم يراق الا ناعما ولا عرف الشعير الا حالما وقد كنت ملت الى استبقائه لما تعرفه من محبتى للتوفير ورغبتى فى التشمير فلم أجد فيه مستبقى لبقاء ولا مدفعا لعناء لانه ليس بانثى فتلد ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت أذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقسمه رطبا مقدم قديد الغزال فأنشدنى وقد أضرمت النار وحددت الشفار

أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولست بذى لحم فاصلح للاكل لان الدهر قد أكل لحمى ولا بذى جلد يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت أدمى ولا بذى صوف يصلح للغزل

الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكته أدنوا الى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ماشئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا عما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيكرمون ويخبرون ويرفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهمته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما الا ان كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقديما لك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبد الله بن طاهر) ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ ينال به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله تعالى عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويلان لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها الغنا بتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها

ان شئت ان تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الارضيت بدونها

(وقال آخر) ولا ترهن الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله وارد

﴿وقال هرون بن جعفر الطالبى﴾

بوعدت همتى وقورب مالى * ففعالى مقصر عن مقالى

ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسوا من بالى

ولقد تعلم الحوادث انى * ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطر الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده الا تواضعا فأحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

(روى) الامام مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابى على رضى الله تعالى عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح فى بيتى شئ فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك

لان الحوادث قد حصت وبرى الا
ان تطالبنى بذحل أو بينى وبينك
دم فوجدته صادقا فى مقالته نأصعا
فى مشورته ولم أعلم من أى أمريه
أعجب أمن مطالبته الدهر بالبقاء
أم من صبره على الضر والبلاء أم
من قدرتك عليه مع عدم مثله أم
من هديتك اياه للصديق مع خساسة
قدره ولبيت شعرى ما كنت مهديا
لو أنى رجل من عرض الكتاب
كأبى على وأبى الخطاب ما كنت
مهديا الا الكاتب أحرب أو قردا
أحدب والسلام (وله من رسالة) هو
أخفض قدرا ومكانة وأظهر عجزا
ومهانة من أن يستقل بدقدم فى
مطاولتنا أو تطمئن نفسه طلوع فى
منابذتنا وهو فى نشوزه علينا وظلمنا اياه
كالضالة المنشودة والظلامة
المردودة * وكان له عبد اسمه عين
وكان يهواه وله فيه المعانى البديعة
فمن ذلك قوله فيه
قد قال عين وهو أسود للذى
ببياضه استعلى علوا فاحشا
ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى
ان قد أفدت به مزيد محاسن
ولوان منى فيه خالا زانه
ولوان منه فى خالا شانى
(الصاحب بن عباد) من بلاغاته
المخترعة انه قيل له ما هو أحسن
السجع قال ما خف على السمع
قبل مثل ماذا قال مثل هذا وسئل
ابن العميدة عن بغداد فقال بغداد
فى البلاد كالاستاذ فى العباد (وله
جواب كتاب) وصل كتاب مولاى
فكانت فاتحته أحسن من كتاب
الفتح ووساطته أنفس من واسطة
العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك
(ومن شعر برنى كثير بن أحمد الوزير
يقولون قد أودى كثير بن أحمد
وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا
فمثل كثير فى الرجال قليل

الله عز موقفي بين يديك يوم القيامة فبكى على رضي الله تعالى عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتني بدرهي الغلانية فدفعها الى الاعرابي وقال لا تحدث عنها فطالما كشف بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرني ان لي زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله مني ذلك وانه يسألني عن موقف هذا بين يدي وقال علي رضي الله تعالى عنه ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار * وسأل رجل الحسن رضي الله تعالى عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتي اني أتيتك عام أول فبررتني فقال مرحبا بمن توسل الينا بنائم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع (ولما) وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهما حجري

فقال المهدي صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرع ذلك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره * وسمع الرشيد اعرابيا بمكة تقول

طحنتنا كلا كل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام * فأتينا كموغد أكفا
لالتقام من زاد كم والطعام * فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الا مادفعتم اليها صدقاتكم فألقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير * وسأل اعرابي بمكة وأحسن في سؤاله فقال أخ في الله وجار في بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسيني في الله قال الشاعر

ليس في كل وهلة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصري

أفحمت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال يا كميل مر أهلك ان يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا مرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا أتاه نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه للزوال والهلاك وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم ورب ما ذبح العذاق اذا ضاق الخناق لخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمت ما جعل أبو عقيل على نفسه فأعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بني عقيل
ويل الباع أبلج جعفري * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعيري بمانواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتاله خماسية وقال يا بنية اني تركت قول الشعراء فأجيبي الامير عني فقالت

اذهبت رياح بني عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع أبلج جعفري * أعان على مروأته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن راعيا * عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعدان الكريم لمن يعاد * وظني في ابن عتبة أن يعودا

(القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم) علم المتقدمين والمتأخرين وزير السلطان صلاح الدين بن أيوب الملقب بالملك الناصر تمكن منه غاية التمكين وبرز في صناعة الانشاء على المتقدمين قال ابن خلكان في تاريخه أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في أكثرها (وذكر) ابن خلكان في تاريخه أيضا ان العماد الكاتب قال في الخريدة هو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بعبدنة عسقلان وولي أبوه القضاء ببيسان فلهذا نسبوه اليها (وقال) الفقيه عمارة اليمني في كتاب النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية في ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التي لا تتوارى بل هي اليد البيضاء التي لا تتجازى خروج أمره الى والي الاسكندرية باحضار القاضي الفاضل الى الباب واستخدامه بحضرته في الديوان فانه عروس الدولة بل للدولة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها في السماء (وتوفي الفاضل) في ليلة الاربعاء سابع ربيع الاول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن في تربة بسفح المقطم في القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان القاضي الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فمن انشائه المرقص المطرب قوله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا تدخل عليه آفة وان يد الدهر البخيلة به كافة أنتم يا بني أيوب

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان المولى لا يستحيا منهم فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا الشعر مني * وقد مر رجل من بنى ضبة على عبد الملك فأنشده

والله ما ادرى اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحد اسوالك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عودتنا * أرلا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى ليتنازعنى وان الحياء يمنعنى فأمر له بألف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك * وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه * وروى أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال أعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلاب ويصيد به قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد قطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد قطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة فمن فيها فى بنى أسد فمحلل وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن أكثم يوما مر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فألقته على الارض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على ردمالم تفعل أقدر من ردما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ما قلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل بأصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حفرانى ثم أنشد يقول

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهر فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل أقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أمانهم فشمر وا مالا نمر يحة فلما قرأها كسرى دفع له فى كل سطر ألف دينار (وحكى) ان رجلا كان جارا لابن عبد الله فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لى على ابن عبيد الله دينارا ومعى به اشهاد عليه شرعى فخذى الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكى
من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكى

أيديكم آفة نفائس الاموال كما ان سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لاعطيتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم وهبتم شموسه وأقماره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس وماتم فيها الاعلى الاموال ماتم والجود فى أيديكم خاتم ونفس حاتم فى نقش ذلك الخاتم (ومن انشائه فى كاحل) كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بخيوط من كحله المنعون لعلة المنون ويدرجه فى كفن من الحرقة السوداء التى يلبسها سواد العيون ينقل العين الى بياض الثغور ويسلبها سوادا لما ومارحت عصبه مردودة ولديها عصا العماء قد انتهى الى فوق ما يضرب به المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل وهو لص من أكابر اللصوص وسموا كحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص فد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجد معجز القميص اليوسفى فلو مر وايه على ناظر افرحت جفناه وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هى لشمس العيون مزولة واذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل فى المكحلة (ومن انشائه سقى الله ثراه) والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المهجور والحر وصاليه فى هذا النحو جار ومجرور والهامه قد نشرت فيها ملا السراب وزخرفيها بحر ماء ولد لغير رشده على غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن فى أكثر من جوع صفين الا أننا نخاف وقعة الجمل وو ردنا ماء هذه العيون وهو كالمحابر يغترف منه

فضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة ففرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) أن مطيع ابن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كم مدحتنا فاستحياه طيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عنده معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي * ومالي كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا اني جعلتك ناسيا * لامري ولا اني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(وقال آخر) ماذا أقول اذا رجعت وقيل لي * ماذا القيت من الجواد الافضل
ان قلت أعطاني كذبت وان أقل * يخل الجواد بماله لم يجمل
فاخترلنفسك ما أقول فانني * لابد أخبرهم وان لم أسئل

(وقال آخر) لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتي * أم في الميعاد تجود بالانعام

﴿ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في ذم السؤال والنهي عنه﴾ روى عن عبد الرحمن ابن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلاة الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهي ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه مسلم * وقال رجل لابنه يا بني اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بني اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لان تدخل يدك في فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غني قد نشأ في الفقر * وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو مسلم السعدي

اذا مارماك الدهر في الضيق فانتجع * قديم الغنى في الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه

قال الشاعر ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(وقال أحمد الانباري)

وت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شيء لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

(وقال سلم الخاسر) اذا أذن الله في حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفي هذا المعنى

المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ فقره فمقتله وهو مع هذا قليل كأنه مما جادت به الآماق في ساعات النفاق لا في ساعات الفراق فيالك من ماء لا تتيمر أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كالا يرتفع بالسراب ولا يعد ما وصف به أهل الجحيم في قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل ينتدبون ميتا قد حال بينه وبينهم التراب يجهز للدفن ونعشه المرادو يحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد * وفي غير من قد وارت الارض فاطمع * على أنه لو كان دمعا لما سبل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان (ومن انشائه) الى أن يرد كتب العسكر وأعلامها من مدات ألفاته ورؤس العدا قطعات همزاته (ومنه) فبنت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الاسنة وطارت اليهم عقبان الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الاعنة وتصوبت عيون السمر الى قلوبهم كأنما تطلب سوادها وقصدت أنهار السيوف صدورهم لترى أكبادها (ومنه) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها صمت خرسا الا قبل أن ينفث سيدنا في روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت الا ليبعثها ما ينفخ فيها من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الا لانها أعلام عباسية وتناولتها الخضرة بيدها الا لجرم انها تحامى الحمى وتسفك دماء وتحقن دما وتقشيح بها يده عنانا وترسلها فتعلم الفرسان ان في الكتاب لفرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم

قيل لا تسألن بني آدم حاجة * وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

(وقال محمود الوراق)

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

(وقال ابن دقيق العيد)

وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غايته فصده * سؤال المخلوق فليس بنابه
اذا مات من يرجى فمقصودنا الذي * ترجيئه باق فلوذي ببابه

(وقال بعض أهل الفضل)

لما افتقرت لصحبي ما وجدتهمو * لجأت لله لبانى وأغنانى
واها على بذل وجهي للورى سفها * فلو بذلت الى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت قلانا حاجة أقل من قيمته فردني ردا أقبح من خلقته وسأل عمرو بن مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى أن لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لاشئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الاشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل ملء ثيابه
تجردت من همد القناعة صارما * قطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه
غنى بالمال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا * ولج عتوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته * أتاخت صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقى في كتابه
وجوزي بالامر الذي كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

(وقال آخر)

لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ما صان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه متململ
وأخوك من وفرت ما في كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

(وقال آخر)

ليس جوادا أعطيته بسؤال * قديما السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الاسترداد

(وقال آخر)

لا تحسبن الموت موت البلا * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

(وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه)

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان
فصل فلان على فلان * من كنت عن ماله غنيا
ومن رآني بعين نقص * رأيته بالتي رآني
فلا أبالي اذا جفاني
ومن رآني بعين تم * رأيته كامل المعاني

والله

الالسنة ان في الايدي كما في الافواه لسانا (قلت) ومن مخترعاته قوله وان ادهى سحر البيان انه يقضي أيسر حقوقه ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه كنت أفضح باطل سحره وأديقه وبال أمره وأصب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام (ومن انشائه في وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه) نعم الله سبحانه وتعالى من أصوبها بزوغا وأصفاها سيوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصري الذي يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويربي النبات حجره ويحيي مطلقه الحيوان وتجني ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوي حريرها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله عز وجل وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تنقب وآمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا الابانة عن لطائف الله التي حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفي حقه من الاذاعة وتبعده من الاضاعة وتتعرف على ما يصرفك في الطاعة وتشهر ما أورده البشير من البشرى بابانته وتمده بايصال رسمه مهنأ على عادته (ورسم لي في الايام المؤيدية وأنا منشئ الديوان الشريف المؤيدي سنة تسع عشرة وثمانمائة) ان أنشئ رسالة توفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ممن تقدمني من المنشئين بالديار المصرية

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك﴾

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها * وفى الأثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا استلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال رضى الله تعالى عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذاك اذا كان عن ظهر مسئلة فأما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال فى نشر المهاداة طى المعاداة

﴿ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها﴾

أهدى الى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجراد من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد * وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسك ومائتا فروة سمور (وأهدت) قطر الندى الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل وزنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلوق وثمن قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت ثمامات ليوم النيروز بلعت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم * وأهدت تر بانت الاوبارى ملكة افرنجة وما والاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين زحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبارا لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرز يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها * وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها

حتى أن المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المسطرة ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان غرضه فى ذلك اختبار الالفاظ والمعانى من الرسالتين فأنشأت بعد المستعان بالله * ونبدى لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذى عامل منافيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عاده وخلق أصابعه لنزول الابهام فاعلن المسلمون بالشهادة كسر جسره فامسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا وأتبعناه بنوروز ومارح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا دق فقا السودان فالرواية البيضاء من كل قلم عليه وقيل ثغور الاسلام وارشفها ريقه الحلو فالت أعطاف غصونها اليه وشب خريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بأم دينار وقلنا انه صبغ بقوة الماء وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد فى الآثار وعمته البركة فأجرى سواقى مكة الى أن غدت جنة تجرى من تحتها الانهار وحضن مشتهى الروضة فى صدره وحناعليها حنو المرضعات على الفطيم وأرشفه على ظمإ زلالا

ألذ من المدامة للنديم
وراق مديحه لما انتظمت عليه تلك الابيات وسق الارض سلافته الحمرية فخدمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت وأحياله أمهات

على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فأنفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء * وأصلح حاله من بعد شرب
بهذا الجام من هذا الطلاء * فينعم للتى قد أنفذته * اليه بزيرة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية معه أعظم موقع وزارالخيزران وأقام عنده ايومين * وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سموقدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع * وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيأ يجمال أو ممن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فأهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال اغا ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا * وكتب الحدونى الى جارية اسمها برهان وقد جهز اليها فقال

جهزوا اليك ببرهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فأطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
ولست أقبل الا ما جلوت به * ثنيتيك وما رددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به القدرة وفى سودد ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بأنه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فان رأى أن يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثيرا ما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

العصف والاب وصالحته كعوف الموز لختمها بخواتمه العقيقية ولبس الورد تشريفه وقال أرجو أن تكون شوكتى فى أيامه قويه ونسى الزهرى بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ما كان له فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم بأقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج ومرح بطائق السفن فحفقت أجنحتها بمخلق بشائر وأشار بأصابعه الى قتل المحل فبادر الحصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ما نفعه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الحور وزاد بسرعته فاستعلى المصريون زائده على الفور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وحمل على الجهات البحريه فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه وصار أهل دمياط فى برزخ بين الملح وبينه وطلب الملح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست وأوت دوائره على وجنات الدهر عاطفة ونقلت أرداف أمواجه على خصور

﴿الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك﴾

﴿أما العمل﴾ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قليل مداوم عليه خير من كثير مملول وفى التوراة اطرق بابك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالاكراه ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل * وعن على رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما يغنى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى * وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * فنى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لاشئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشد وافى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاثة يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك * وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل ﴿وأما الكسب﴾ فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك ان داود عليه الصلاة والسلام كان يدور فى الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لا أجد فى داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترف فوارا ستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يعقدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا انى لارى الرجل فيعجبنى فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سليمان وسبعمائة من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس اذا أخرت رزقها

الجوارى فاضطربت كالحائفة ومال شبق النخيل اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وأمست سود الجوارى كالحسنات فى حمرة وجناته وكلما زاد الله فى حسناته فلا فقير سدا لا حصل له من فيض نعماء فتوح ولا ميت خليج الاعاش به وردت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين أصبع فنشر أعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الخرير زمجرة ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدى وكسره وقد أرذا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحناله حالا وصدرا لنأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة ويشفى من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مشنفا ولا برح من نيلها المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا

﴿قلت﴾ تقدم قولى ان الشئ بالشئ يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك هنا بشارة المقر البحرية التى كتبت بها الى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدماميني فسح الله فى أجله من القاهرة المحروسة الى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولى اليها من ثغر طرابلس الشأم وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها شائبا من أهوال برها وبحرها وذلك فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنين وثمانمائة (وهى) يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث فأثمر الفواكه البدريه وطلع بدرها من المغرب

اطمأنت قال بعضهم في السفي

خاطر نفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس اغاريتون بالشاهيني وعن أنس رضي الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق واني لارجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبني بمظلمة ظلمته بها في أهل ولا مال ﴿وأما ماجاء في العجز والتواني﴾ فقد روى عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه أنه قال من أطاع التواني ضيع الحقوق ومن العجز طلب مافات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضي الله الخلق ما كان قاضيا

وعلى المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

ومثله قوله

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر رئيسا ما في العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الاماني ومن التوفيق بغض التواني وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال باكروا في طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال علي رضي الله تعالى عنه التواني مفتاح البؤس ربا العجز والكسل تولدت الفاقة وتحجبت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وأفضى الى الفساد *وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير *وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتواني هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف *وقيل من العجز والتواني تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كان التواني أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا

فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي * فانكما لا بد أن تلدا الفقرا

(وقال آخر) توكل على الرحمن في الامر كله * ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضي الله تعالى عنه سعيد بن العاصي عن المروءة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختياني يقول يافتيان احترفوا فاني لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم يعني الامراء وقال رجل للحسن اني أشتري مصحفي فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشي ويكون يومك في صنعتك ومالا بد منه ومر رجل الله تعالى باسكاف فقال يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلي ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه في الملمات راكبه

ذريني وأهوال الزمان أقاسها * فأهواله العظمى تليها غرائبه

أرى عاجزا يهمي جليد القسمة * ولو كاف التقوى لكانت مضاربه

وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه

وليس يعجز المرء أخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

(وقال آخر) فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابي العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم الاماني المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التواني في صورة التوكل ويريه الهوينا بحالته على القدر وقال لقمان لابنه يا بني اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق (قال أبو العتاهية)

فسلمنا لعجزاتها المحمديه وجرى
لسان البلاغة في ثغرها فسما على
العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد
ابتسم عن محاسنه التي ليخلق
مثلها في البلاد
لقد حسنت بك الايام حتى
كأنك في فم الدهر ابتسام
فأكرم به مورد فضل مبارح منهله
العذب كثير الزحام ومدينة علم
تشرفت بالجناب المحمدي فعلى
ساكنها السلام ومجلس حكم
ماثبت للباطل به حجة وعرفات أدب
ان وقفت بها رفقة كنت على الحقيقة
ابن حجه وأفق معالم بالغ في سموبدره
فلم يقنع بدون النجوم وعيدان
عرشه تجول به فرسان الفصاحة
من بني مخزوم وتالله ما الفرسان
الشعراء الا بلق في هذا الميدان
مجال واذا اعترفوا بما حصل
للفارس المخزومي عندهم من الفتح
كفى الله المؤمنين القتال وينبي
بعد أدهمة مبارح المملوك منتصبا
لرفعها وثغر ثلاثية ما السجع
المطوق في الاوراق النباتية
حلاوة مجتمعها وأشواق برحت
بالمملوك ولكن تمسك في مصر بالآثار
وأبرح ما يكون الدهر ريما
اذا دنت الديار من الديار
وصول المماليك الى مصر محتميا
بكاتبها وهو بسهام البين مصاب
مذعور المشاهده من المصارع
عنده مقابلة الفرسان في منازل
الاحباب مكلما من ثغر طرابلس
الشام بألسنة الرماح مجروحا على
جناب غراب وقد حكم عليه البين
أن لا يبرح من سفره على جناح
وكان في البين ما كفاني
فكيف بالبين والغراب
(يا مولانا) لقد قرعت سن هذا
الثغر بأصابع السهام وقلع منه
ضرس الامن وليبق له بعد ما شعر

اذا وضع الراعي على الارض صدره * لحق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال (وأما التأنى) فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب *وقد قيل من نظر فى عواقب الامور سلم من آفات الدهور وعما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه *وفى التوراة الرفق رأس الحكمة *وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة *وو جد على سيف مكتوبا بالتأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل *وقال بعض الحكماء اذا شككت فاحزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأنى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأنى فيما دانى يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ما تمنى بالرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء ياك والعجلة فانها تكبنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويعيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحبت الندامة وجانب السلامة

*وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها * فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل *وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس عليه السلام خياطا *ووقف على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه على خياط فقال له ياخياط تكلتك النوا كل صلب الخيط ودقق الدرز وقارب الغروز فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافأة وقال فيلسوف ان من القبيح ان يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع * وفى الحديث اكذب أمتى الصواغون والصباغون *وكذب الدلال مثل وقالوا الكل أحمد أرس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل اليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل يخس الموازين سوادا فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرن الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعدن الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر لحما فطاما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علمنا ان نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حلال قال لا قيل فمن يشبع لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان أردشير بن بابك لا يرتضى لمادته من صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشر والحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم (قال أبو العتاهية)

ألا انما التقوى هى العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقى نقيصة * اذا صح منه التقوى وان ساء أو وجم

به اليمن نظام وكثرت الحرب فى
ثنا ياه عن أنياب واقتلعنا منه مع
انهم لم يتركوا النافيه ثنية ولا ناب
وأمست شهب الرماح قافية على
آثارنا والسابق السابق منا الجواد
ولزمت الزوى من دمائنا الثلا يظهر
لقافيتها عند نظم الحرب سناد
وفسد انسجام تلك الابيات
المنظومة على ذلك البحر المديد
وبدلت جنتها بنار الحرب التى كم
تقول لها هل امتلأت وتقول هل
من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم
جرح خصم السيف فى ذلك اليوم
شهودا وانفصل الحكم بقضاء
القضاء فلم يسلم منهم الا من كان
مسعودا ووقع غالبنا فى القبض من
عروض حربهم الطويل وتبدلت
محاسن ملابس الشأم بأوحشة فلم
نفارقها على وجه جميل وتالله لم
يدخلها المملوك فى هذه الواقعة
الا مكرها لا بطل وكم قلت لسارية
العزم لما كشف لى عن مضيق
سهلها يا سارية الجبل ولم يطلق
المملوك عروس حماته الا جبرا
أظهر وا به كسره والعلوم الكريمة
محيطة كيف يكون طلاق المكره
(يا مولانا)

بوادى حماة الشأم من أعين الشط
وحقك تطوى شقة الهم بالبسط
بلاد اذا ما ذقت كوثر مائها
أهيم كانى قد نزلت بأسفنط
ومن يجتهد فى أن بالارض بقعة
تشا كلها قل أنت مجتهد مخطى
وصوب حديثى ما ؤها رهواؤها
فان أحاديث الصحيحين ما تخطى
بعصمها ان دارى ملوى سوارها
فما الشأم بالخلخال أو مصر بالقرط
تنظم بالشط بن درة مارها
عقود الهنا العاصى رأيناه كالسمط
وترخى علينا للغصون ذوائبا
يسرحها كف النسيم بلا مشط

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الاول في شكوى الزمان وانقلابه بأهله﴾

روى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضي الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكر معروف زمان لم يأت وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثني أهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع الحميري بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخرله من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها في بلاء وأذى
ان صفا عيش امرئ في يومها * جرعته غصصا كاس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتي علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه (ومن ذلك قوله)

رب يوم بكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

(ومثله) وما مر يوم أر تجي فيه راحة * فأخبره الا بكيت على أمسي

(ومن كلام ابن الاعرابي) عن الايام عد فعن قليل * ترى الايام في صور الليالي

وقال علي رضي الله تعالى عنه ما قال الناس لشيء طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم السوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام فارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان بن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمري الى ان بعثت زنبيلا من الدراهم في رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فلم تمكني فان أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض أغنى منه أماته الله كما تتي * وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولي خراسان حاز من الاموال ما قدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق في كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤي بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة في يوم شات وهو جالس في قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور وبين يديه دنون فضة يجر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك في رأس الجسر وهو يسأل الناس (ولما) قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل في داره وقعد على فرشه ودخلت عليه عمدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ في عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن

ألا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوي كل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان (وقال أبو العتاهية)

لئن كنت في الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

ومذ مد ذاك النهر ساقا مدملجا
وراح بنقش النبت يمشي على بسط
لو يناخلخيل النواعير فالتوت
وأبدت لنا دورا على ساقة السبط
سقى سفحها ان قل دمعي سحابة
مطنبة بالدمع منهلة النقط
و يا أسطر النبت التي قد تسلسلت
بصفحتها الازلت واضحة الخط
ولازال ذاك الخط بالطل معجما
ومن شكل أنواع الازهر في ضبط
لويت عناني في حماها عن اللوى
وعمت بها الا المحصب والسقط
ولذ عناق الفقر لي بفنائها
وفي غيرها لم أرض بالملك والرهط
منازل أحبابي ومنبت شعبتي
وأوطان أوطاري بها ورضاء مخطي
نعمت بها دهرا ولكن سلبته
برغمي وهذا الدهر يسلب ما يعطي
وقد جاء شرط البين اني أغيب عن
حماها الفدا وفي فؤادي بالشرط
وحط على الدهر عمدا وشالني
الى غيرها صبرا على الشيل والحط
وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها
منظمة لكن قضى الدهر بالفرط
أمثل شوقا شاكها في ضمائري
فتتبع عيني ذلك الشكل بالنقط
وقد سار عشي الهم نحوي بسرعة
فيا ليته لو كان في مشيه بطي
وأصبح نظمي راجعا بي الى ورا
كأني في الديوان أكتب بالقبطي

(يا مولانا) وأنشدك ما لقيت من أهوال هذا البحر وأحدث عنه ولا حرج فكم وقع المدلوك من أعاريضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر الميم وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجواري الحسان وقد رمت أن أزر قلوعها وهي بين يديه لقلة رجالها تسبي فتحققت أن رأي من جاء

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضي الله تعالى عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت السرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله تعالى عنه

تأه الاعرج واستعلى به البطر * فقل له خيرما استعملته الحذر
أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغترت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة * وأعجب ما وجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومديده يسأل الناس بعد ان كان ملكه لاقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء * وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والمحرث الا أنه من أهل الادب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرق له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير فدته نفسى * مقال مذكر اما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا احادا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم
(وقال آخر) يا معرضا عنى بوجه مدبر * ووجود نياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

(وقال آخر فى معناه)

يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للكارم مرتع
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

(وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى)

يسعى فى الفلك جالسا غير صائب
واستصوبت هنارأى من جاء يمشى
وهو راكب وزاد الظما بالمهلوك
وقد اتخذ بالبحر سبيلا وكم قلت من
شدة الظما يا ترى قبل الحفرة هل
أطوى من البحر هذه الشقة
الطويلة
وهل أباكر بحر النيل منشرها
وأشرب الحلو من أكواب ملاح
بحر تلاطمت علينا أمواجه حين
متنا من الخوف وحملنا على نعش
الغراب وقامت واوات دوائر مقامع
فنصبتنا للغرق لما استوت المياه
والاخشاب وقارن العبد فيه
سوداء استرقت موالينا وهى
جارية وغشيهم منها ما غشيهم فهل
أتاك حديث الغاشية واقعها
الحرب فحملت بنا ودخلها الماء
فجاءها الخاص وانشق قلبها الفقد
رجالها وجرى ما جرى على ذلك
القلب وفاض وتوشحت بالسواد فى
هذا الماء ثم وسارت على البحر وهى
مثل وكم مع للغارية على ذلك
النوشيج رجل برج مالى ولكن
تعرب فى رفعها وخفضها عن النسر
والحوت وتتشاخ كالجبال وهى
خشب مسندة من تبطنها عدمن
المتصبرين فى ثبوت تأتى بالطباق
ولكن بالقلوب لان صغيرها كبير
وبياضها سواد وتمشى على الماء
وتطير مع الهواء وصلاحها عين
الفساد ان نصر الموج على دفوفها
لعبت أنامل قلوعها بالعود ورقص
على آلتها الحداء فتقوم قيامتنا
من هذا الرقص الحارج ونحن قعود
نتشاهم وهى كما قيل أنف فى السماء
وأست فى الماء وكم نطيل الشكوى
الى قامة صار بها عند الميل وهى
الصعدة الصماء فيها الهدى وليس
لما عقل ولا دين وتنصبنى اذا هبت

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا مرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

(وقال بعضهم) ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكاد يفقر أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن فى زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتنى مكانه (ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل (بيت)

ما من مسىء وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساويه

(وقال الامين) يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مماضيا * فى ويرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم) وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتى من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

(وللامير أبى على بن مقلة)

أما والذى لا يعلم الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندى أشد وأعظم
وبى كل ما يبكى العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وأيم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع﴾ قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر واثنى على فاعله وأخبر انه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الاشياء مجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلنا هم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر فى الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر فى مواطن طلباته والتثبت

الصباوهى بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال وتدعى براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تناقل أردافها الامواج وكم وجلت القلوب لما صارلاهداب محاجرها فى مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح فى تشويشها وكم مر على قريتها العامر فتركها وهى خاوية على عروشها تتعاظم فتهزأ الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيناها بعد ذلك قد تبت وهى حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد وخلص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتنصل من ذلك العدو الازرق ذى الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر وتلا لسان الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضى الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين (وبعد) فان المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله انها صدرت من فكر ترتكه البين مشتتا وأعضاء مع كثرة تبريدها قد خرجت من البحر عارية فى فصل الشتاء وليست عوراتها بستائر الحلى وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ما جرحت بسيوف البين وثالثة لرسالك المملوك هذه الجادة الا يجد له سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود على الضعيف الذى قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا اذا عد للابواب العالية من جملة الخدام يحصل لكبده الحرى

فى حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل عرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الطاعات فى البكر
انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسى الصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن أنس بن مالك قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عنى خمسا لتتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجوا الا ربه ولا يستحى أحدمنكم اذا سئل عن شئ وهو لا يعلم ان يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأعار جل حبسه السلطان ظلما فمات فى حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى فى الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يارسول الله كيف الفرج بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست تصيبك الاذى ألست تحزن قال بلى يارسول الله قال فهذا ما تجزون به يعنى جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء * وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفى محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضى الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضى الله تعالى عنه والذى بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء فى الرخاء (وحكى ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بنى اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليه فهذه المرأة فأرسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت

من ذلك النسيم الغربى برد وسلام والله تعالى يمن بقرب المنول بين يديه ليحصل للملوك بعد التخلص من البين حسن الختام (القاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك) وان الشوق يحير وقلبه والله الغريق بأمواجه وجمر وصدره المظلم بسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طلقائه والكفر مجاهد ولكن بأتقائه وسيوفه تحن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمس السماء ان تقع على الارض (ومن انشائه) وكيف لا يحمد المملوك تلك الاشواق وهى تقربه من المولى بالتخييل اذا أبعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيما بله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فيلوذ ناظره به لما كانت عينه مطرقة وستورا هدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بطلاعة طلعته لالتهب من دموعها بماء محرقة فهو منها فى نار وجنته مغلول بغلة مطوق عنه (ومن انشائه) ولقد رأيت أنساء فراق مولاه وحروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذى كفر بالبلاد فاسقط عليه من سمائها كسفا شوق ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الا ومر كلع بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر (القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر) خليفة القاضى الفاضل (ومن انشائه قوله) نعلمه بفتوحات استطم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الحرصان وذلك بفتح حصن الاكراد الذى كان فى حلق البلاد الشامية

عصة لم تسغ بماء السيوف المجردة ونجي في صدرها لم تقومه أدوية العزائم المفردة (ومن انشائه بابطال الحشيش بعد الخمر) نعلمه ان المنكرات أمرنا ان نمحلا الصحائف باجرها وتفرغ الصحاف وأن لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زجاف وقد بلغنا الآن انها اختصرت وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ما قصرت وان ام الخبائث ما عقمت وان الجماعة التي كانت ترضع ثدي الكاس عن ثديها ما فطمت وانها في النشوة ما خيب ابليس مسعاها وانها لما أخرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فشا في كثير من الناس وعرف في عيونهم ما يعرف من الاحمرار في الكاس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر بأن تجتث أصولها وتقلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها في المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهي بعدها خضراء ولا خضراء الدمن (ومن انشائه عن لسان الشريف الى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان) وفرق بين من يتصيد بالصقور من الجيل العراب وبين من اذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسورة فقد أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك فقلنا وعلم الله ان قولنا من الصحيح واتكل واتكلنا وأين من اتكل على الله

سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فعل في بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فرعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه ساقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرج عاجلا * ومن أحسن ما قيل في ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت
وأتت بعده نوائب أخرى * سئمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الاماني * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

(ولمحمد بن بشر الخارجي)

ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(ولزهير بن أبي سلمى)

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب
وقال بعضهم — عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح في البيدا اذا ما تغيرا
(ولابن نباتة) — صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

(وقال أبو الاسود وأجاد)

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصر به لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأي ولا استنبط الرأي بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر

(وقال نهشل) — ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرت له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

(وقال ابن طاهر)

حذرتني وذا الحذر * ليس يغني من القدر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر
نفس يا نفس فاصبري * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبني والصبر ربى * والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الايام تجربة * حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

(وما أحسن ما قال محمود الوراق)

اني رأيت الصبر خير معول * في النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكدت * بعرا الغنى لجعلتها الى معقلا

فاذا نبا بى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على ترحكته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

(وقال بعضهم) اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فأفرغ لها صبرا وسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

(وقال بعضهم) ومما سنى عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا
(ومما أحسن ما قيل) الدهر لا يبقى على حالة * لابد أن ينقل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد هى وكادت نفسى أن تزهق وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل على ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عم على رضى الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لا تدر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر فى الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفى عند مؤلمه * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدنى فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرنى شئ عن النبى صلى الله عليه وسلم ولكنى أقول أما والذى لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس فى كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مر مذاقه * لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك فى الكوفة ثم أخرجت فى ذلك اليوم من السجن وقد حصل لى سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع فى نفسى انه من الابدال الصالحين قبضه الله تعالى يوقظنى ويؤدبنى ويسلينى وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان فى هؤلاء القوم الذين وقفوا على صديقا لى يعتقد فى الشجاعة والجلادة وهو يرقبنى بعينه فأخشى ان صحيت يذهب ما وجهى عنده ويسوء ظنه بى فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه * ويحمد منه الصبر عما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفنى الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم والله لا صبرن كما صبر وان قال النبى صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجهه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضى الله تعالى عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذى صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولوا العزم فأقول ذكر ما صبروا عليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) فقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون أنه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاء رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بنى انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكنى من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوح عليه الصلاة والسلام شج بها

عمن اتكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا) فى بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة اثنين وأربعين وستمائة فلا روضة الا درع ولا جدول الا حسام ولا غمامة الا نقع ولا وبل الا سهام ولا مدامة الا دم ولا نغم الا صليل ولا معربدا الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضاء فجعلته مضيقا وضرب النقع فى السماء طريقا (شعر)

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(قلت) ذكرت بهذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين تلاعب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى شفاعة ما نسج على منوالها (وهى) أدام الله نعمة مولانا ولا زال علمه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا بخفض العدا ولا برحت أقلامه لافعال الشك حازمه ولا عدائه متعدية ولآرائه لازمه (أما بعد) فان مولانا حضر وادعى انه رخم فى غير النداء وجزم والجزم لا يدخل فى الاسماء واستثنى من غير موجب لخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر ان العامل الذى دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه فى الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف ما يوجب العطف ومن المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف لا زال مولانا بالعطف والصلة وما أثر مكارمه متصلة لا منفصلة (قلت) قد

انتهت الغاية هنا الى التحلي بالقطر النباتي وقد عن لي أن أو ردهنا حظيرة الانس الى حضرة القدس فانها من بديع انشائه وهي في رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهي) الحمد لله حافظ سر الملك بأمنه وحامي حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن اذا رفعت راية مجد تلقاها غرة براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد المعالي حلاها من عقد التدبير بثمينه واذا نوى في السيادة فعلا أمضى العزم السني قبل دخول سينه واذا حمل بنانه القلم ويناعن ان يحر كتاب بيانه في الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذي أيد بالروح الامين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا الى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما اراد بدء من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الارضي في سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الاعظم بمدبره تمام لحظ الطرس بسواده جعل لكل دربة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها مفرغا حصن العلم بتشميرها منفذا أمر سلطانها وملبغا أحكام عدلها واحسانها يبني تماثيلها على الاسل من أقلامه ويحوط أطرافها احاطة الزهر بكمامه ويتحفها بأوصاف وزيرية يعقدها العدل خضرة ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه (وكان) صاحب هذه الدولة التي خضعت لها الدول وفاضل أمرها الجليل وراض روحها الذي ما مال مع الهوى وقديم محاسنها الذي تلا تسديده ما مال صاحبكم وماغوى وضابط أمورها الذي طال ما استشرفت اليه اسماع وأبصار وانتصرت به تقديم هجرته فلا غرو

رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان لم يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يارب وأين الماء قال أنا على كل شيء قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا انهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاءه أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وهذا بهم الامن آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفي تمام قصة وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبد صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه (وأما ابراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لمير وافي قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حوشا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادي ملكهم أن احتطبوا للاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما لياليها ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائر وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قد فوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الارض وأخرج نبعة ماء عذبا فكان كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمروذ وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وسيروفوض أمره الى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه وثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه في رضاه وبما دربته الى طاعته ولاه وصبره على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه واما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال اني أريد أن أتقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقي كي لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي واذا القيت أمي فاقرأ السلام عليها فاقبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يا بني على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعني بها طعنا وقال السدي جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودي أن يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا

جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثالا لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام) فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كتاجر العبيد وفراقه لأبيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جميع ما حملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة (وأما أيوب عليه الصلاة والسلام) فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله * ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فرلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبسله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فتقيح ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى اما عاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فتر ددت اليه متفقدة لحاله فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ ومعه مخلة وقال لها يا بنية أيوب هذه المخلة على اسمى فبيرا لجاءته فأخبرته فقال لها ان شفانى الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة تأمرينى أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى لا يسر له من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذا البلوى طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك رأته تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه بلوى نقسمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه فخلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب رأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤلهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم *وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا (ومما) شنف السمع من نجح هذه الاشارة وأنحف النفع فى نجح هذه العبارة ما روى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنام ذلك كله صابرا لا أتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت الهى اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل

ان صار من المهاجرين بها والانصار المقر الأشرف الصاحبى الوزيرى الامينى أعلى الله تعالى أبد شأنه ورفع على فوق الفرقدين مكانه وزان بأقلامه أقاليم مصر فيذه سهام وهذه كنانة عن استدعته رواة المحافل وتردد فى المناصب العلية تردد الاقمار فى المنازل وجمع الاوصاف الوزيرية جمع أبى حماد للحروف وتنبه قلمه ونامت مسلولة اجفانها السيوف وعرف بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السرى وقدره معروف وكنت أود لو نقلت الشهادة بصفاته عن الخبر الى المعاينة وجمعت بلازمة مقره الشريف الظاهر الوسيف باطنه ورويت الاخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التبرمن معدنه هذا وأشغاله بتدبير الدول شاغله وأيام البعد عند فراغه بينى وبين القصد حائلة (فلما) هزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف أطلع رأيه الشريف على ما فى خاطرى وأمرنى بالمسير فى ظل ركابه فسر على الحقيقة سائر وكاشف ولا ينكر الكشف لمن كثرت زواياه فى البلاد ونظر لحالى ولا ينكر النظر فى الاحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له فى استصحاب مقصد تقبل الله عمله الصالح ومتجره الرابح وذلك انى كنت لابسا ثياب الحزن على ولدى مقيما بين المقابر اقامة تفت حسنة قلبى على قطعة كبدى سافيا روض الحزن بغمائم الجفون باكيا على ديار وجهه عاجلته الايام بصرف المنون أطلب قلبى فى التراب وأنشده وأطارح صوت الصدا فينشدنى وأنشده شعر

أكثر فأخذتني غشية وأزالني اليقظان والنائم اذا أتاني آت فقال لي قم فصل ركعتين وقل يامن لا يشغله شئ عن شئ يامن أحاط علمه بما ذر أو برأ أنت عالم بخفيات الامور ومخفيها وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يامغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف علي منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت الى أبواب السجن نيرانيتها قد فتحت فقمت لأخرج ولم يعارضني أحد فأتاني الله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم رد عني وانصرف يقصد الحجاز * وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف في خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يامن أحل عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل من مثل * عند الاياس فان الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتي بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما) حبس أبو أيوب في السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلي ولعلها

فاجابه أبو أيوب يقول صبرتني ووعظتني وأنالها * وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

اذا البليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أيابا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله واستسلم لقدرته * فما تراني حيلة فيما قضى الله

﴿ الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر ﴾ قال النوري رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بد له ان يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ريح وقال العتبي اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا لسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكي (وقيل) تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك * وقال وهب بن منبه * اذ سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبي فاستصغرته * وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة الى لحومهم كانت تقرض بالمقاريض مما يرون من ثواب الله تعالى لاهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا * ومر موسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجبا فقال أي رب

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا
شوقي اليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون واواه الحمام لقد
أحرقت بالنار كانون احشائي
(وقال أيضا)
آها لعقد قد وهى سلكه
وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتني لا فيت عنه الردى
وعاد ذاك الدر در اليتيم
فاقتضى تدقيق النظر الصاحبي
في اسداء العوارف وابداء عواطف
الفضل وفضل العواطف ان ينتزع
عني بصحبة ركابه الكريم لباس
الباس ويشغلني بمشافهة الانس
القابل لا هكذا فليصنع الناس
وينهضني بالانعام من حوادث
الزمن ويقرب مثلي قريبا لا يفطن
لمثله الامن ومن فيها سفرة قابلها
وجه الاقبال بالسفور وتلافضلها
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
ان ربنا لغفور شكور ودميها
الانعام على ظلا ظليلا وملأ بيتي
وعيني دقيقا وجليلا وأمرني ان
أصف له المنازل والطرق وصفا
كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدي
السعد قد ذللت الطرق بل طوتها
وقدمت وعود الآمال بل أنجزتها
والارض قد شرعت في لباس
حليها وحللها ومراعي الربيع قد
وعدت حتى الشمس لتسمين حملها
والشتاء قد آن أن يقوض الخيام
والافق قد شمر للانصراف ذيل
الغمام ومبدأ الروض أحق بقول
أبي الطيب المتنبي
لقد حسنت بك الايام حتى
كأنك في فم الدهر ابتسام
فأتينا الكسوة فلبسنا منها للمسرة
ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة
الفضل طوافا راضع الاقبال والقبول
وقلنا للمقاصد تباشري بالحظوة

عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لابلغه تلك الدرجة (وكان) عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى حكى انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطىء عظما فابلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه أطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينهما فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا غيري يده مالة على مالي فعرسنا في بطن واد فطر قنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فخطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه * وقيل الحوادث المهلكة مكسبة لمحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد دهمتك الحادثات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما في نبي الله يوسف أسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

﴿وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل﴾

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لولم يكن في الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد
غير الليالي بادیات عود * والمال عارية يعار وينفد
ولكن حتى معقب ولربما * أجلى لك المكروه عنما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الاتكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا وأمات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غد * وبدا الخلافة لا تطول لها يد

قال وأنشد اسحق الموصلي ابراهيم بن المهدي حين حبس

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوم تخفض العالي

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضي عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب في ابراهيم بن المدبر حين عزل

ليهن أبا اسحق سباب أنعمة * مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

ولعيون الاقبال تأملي فما أحسن الكعبة في الكسوة ومرزنا والحيل تجمز جمزا وجزنا بالصنمين فهمت أن تفتخر بواطىء خيلنا على اللات والعزى وصعدنا منزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزه هزا ورأينا بينها وبين منزلة المغير أرضا قد اخضر جنابها وطرزت بآثار طرف ثيابها فأمرت بالقول فقلت

سقى الله أرضا طرقها مثل طرزها * وسائرها بردن الوشي أخضر
تذكرت أحبابي بمنوى بريدها * فعيني رأس الماء وجسمي المغير
ووافينا الحصين وقد راغت الخيل رفاق أبيه وتلقتنا بالبشر والبشرى وجوه أهليه وسألونا أن نريح عندهم الركاب من الاين ويحملوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح للحصين ووجدنا هنالك فقيرا مغربيا حسن التلاوة وقد عجز عن المسير وارتدى طرف قصده على القدس خاسئا وهو حسير فأمرت له الصدقات الصاحبية بمركوب ونفقة تعينه على السفر والاقامة ولحقه في ذلك فقير عجمي ينشد لسان حاله بي مثل مابك يا حمامة فلم أر مثلها صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصدقا يجلس لحظة واحدة فيركض نداه في الغرب والشرق وعجبنا يحملون لحشر الناس لدينا ضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الاصوات بالادعية الوافية وأردنا أن نكتم دخولنا البلد وكيف تكتمنا وهي ذات عين صافية ثم نزلنا بالحيام في مرجتها الخضراء تحت قلعتها الغراء وهي في معارج السحب صاعدة شاهدة في الجو كأنها في السحر على عمود الصبح قاعدة

(وقال آخر) قد زاد ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط في المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمي المعزول الحمد لله الذي ابتلى في الصغير وهو المال وعافى في الكبير وهو الحال
ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عار أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود * وسئل بزرجمهر عن حاله في نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أني قلت القضاء والقدر لا بد من جريانهما الثاني أني قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أني قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أني قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والخمسون ما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرج والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب﴾

(فمما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهي الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتي انتظار الفرج من الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق لهم وقال أبو طالم

اذا اشتملت على اليؤس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست في مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

(وقال آخر) عسى الهم الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان * ويأتي أهله النائي الغريب

(وقال آخر) تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن العباس)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

(وقال آخر) لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

﴿ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة﴾

روي ان الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذا حاء علي ابن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم

مضيئة بين عقود الانجم كانها درتها اليتيمة جالسة على سرير الجميل تنادم الفرقدين كانهما جذيمة فنظر في المصالح وميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم ينتظر الغادي الذي هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المخيمة واقتحمنا الى الغور عقبة سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبة واستفحمنا المزارات التي نويناقصدها وطوينا غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه فتراميا اليه بالعزم الفاخر وزار أمين هذه الامة لاول أمينها الآخر وأجرى أمر مشهده على سنن الصلاح ونظر في مرتبه بين العدل وأعانه بيد السماح وجعل والى الناحية عبيدة وماجعل لشاهده المعروف بالجراح وسلكنا جانب الغور المطوفا بالحجر نار يا ورواه وكنا نظن الماء فيه غورا فوجدنا الغور ماء رخصنا في حديثه وخاضت الخيل وترکنا عقباته كالمعلقة وملنا الى السهل كل الميل وتلقينا كل ذي قصد بشير الصباح ولم نقل أهلك والليل ومازلنا كذلك لا نمر بواد الا أتت مع الابتهال بطول العمر مانه وأزامله ولا بناد الا قامت للدعاء رجاله وأطفاله وحلائله ولا بولاية الا ارتج غدرها ولا ببلدة الا زها على التي بين السماكين بدرها ولا ماش الا حمله المعروف ولا عار سبيل الا آنسه من النعماء صنوف ولا جائزا الا شملته جائزا ولا منقطع بفازة الا وعقباه فائز ولا ظليمة من ظبيات دمشق الا والمكارم تؤاليها وتواليها وتوجدها في القفار

مالك أدع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ماهو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراك في مجنه مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى * وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضي الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدي الي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص علي الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا فعاهدني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي فقال والله ماذاك من شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فأصبح الاعلى الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزن وان طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بإزاء منزل قريبي انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لاضيفه وليس معي درهم بل كان عندي زوج اخفاف فارسلتهما مع جارية لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له الخياط على ذلك فأخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها للقدوم علينا فانطلقت الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدنا في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل قيل هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال قيل مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا اليه فقبلت الارض وسلمت فرد علي السلام فأنشدته ما لي فيه من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم وأمر لي يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء وانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الامن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

(ولما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتي به اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في القفط وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل

كما توجدها أولياء الله فيها الى أن قدمنا القدس الشريف نحن والغمام وسبقنا اليه طرة الصبح تحت أذيال الظلام فخف بنا جناح الشوق والسوق حين دنت الحيام من الحيام وألقينا بباب حرمه عصى السفر وألقت هنالك رحالها ركائب المطر وزرنا باب الرحمة من الارض وزرنا باب الرحمة من السماء وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى فشممنا على الماء وحمدنا الاوطان والاقطار واستمرت السحب حتى عادت الصخرة كجعفر موسى تتفجر منها الانهار وأقمنا في بيوت أذن الله أن ترفع شأنها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شيخ يلقب بالخالد سكن بيتا حسنا ونمض عينه على الرفاق تغميضا بينا (فقال) مولانا الصاحب ما تقول في بيته فقلت ما أقول في جنة الخلد وشكا قوم عشرة هذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ما يفعلون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم دخل الناس على الابواب الصاحبية أفواجا وما ترك أحد منهم منها جاذا ناحية الا منها جا ومكثنا في البيوت الى ان محا الافق من مدامة نمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقنا بقيه المشاهد قاصدين ولتلك المعاني المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطئ القدم دموعا عزت بلمسها ولا تقول هانت ونثرنا آثارا قديمة تذهل عيون النظارة وآثارا متجددة في هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة ومحاسن يقف في طريق الزيارة متأملها ووقفة في الطريق نصف الزيارة فمنها

أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني انه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم في فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد علي واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت ستر الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فأمسكوني وأتوني اليك وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذين وهبتني لهما لا أعود الى معصية أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرني الى غد قال وأي فرج لك في تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو في شان وأمر باطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة نتفقد رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفي سويعة ففعلنا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتوني بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك في السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق علي الكسب ببلدي فأخذت حملي وتوجهت الى بلد غير بلدي لاعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمي الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيئا للاعوان فأطلقوه وأمسكوني عوضه وأخذوا حملي فنافشتهم الله فأبوا وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلي هذا فقلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذا الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل لم يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرولها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الامر أدناه الى الفرج

(وقال آخر) فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر) لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

اذا كانت الارزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق في عواقبه سعه

وقال الرياشي ما اعتراني هم فأنشدت قول أبي العتاهية حيث قال

هي الايام والغير * وأمر الله ينتظر أتيأس أن ترى فرجا * فأين الله والقدر

الامر عني وهبت ريح الفرج ويروى ان سلطان سقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فأرسل الى قائد البحر وقال له انفذ الآن مركبا الى افريقية يأتوني بأخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب في موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل

ما هو مخصوص بالحرم الشريف نستلم كالحجاج أركانه ونقلب وجوهنا في سماء سقف يكاد يعطر علينا لجينه وعقيانه ونشاهد رخاما بلغ في الحسن والجمال الاقصى في الاقصى وتمت به في بهجة المكان زيادة فتحالف قول النحاة ان في الترخيم نقصا فأما المياه التي تجري في الحرم على رأسها وتطوف على مواضع المنافع بنفسها فتلك نعمة مقيمة يكافئ الله عنها في دار المقامة وحسنة في المعنى والصورة تجارية الى يوم القيامة ومن المباني المذكورة ما هو خصيص بمولانا ملك الامراء أعز الله أنصاره وأبقاه سيفا يقف كل ذي قدر عند حده فلا يجاوز مقداره من مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده ودار حديث يروى فيروى الامهاع الظامئة مورده وخانقاه تضيء عليها أنوار البركات الكواملة ورباط ومكتب هما كما قيل

* تمال اليتامى عصمة للارامل *
وقلت فيها
بنيت رباطا للنساء ومكتبا
يدر على الايتام سحب الفواضل
فلله من هذا وذاك كم ترى
تمال اليتامى عصمة للارامل

لجينا من تلك المحاسن باسقات دانية القطوف ولحظنا من الظلال السيفية جنة نشأت وكذلك الجنة تحت ظلال السيوف وشرعت صدقات السر والجهر وقو بل السؤال بجر لا يسمع عند هدير نهر وغص بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصي يأتين من كل فج عميق فوضع في مواضع النوال وقدرت الكساوى حتى على

فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون اذ بصوت يقول يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في أسماعنا نادينا مرارا البيك لبيك وهو ينادي يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من أفريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك قال أخبرني أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث في حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه في الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر في طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطني بها أشياء سماها له من العطر فأعطاه اياها فأخذها في طبقه وأراد أن يمضي فسقط الطبق من يده فأنكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص صاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما قدر على جمعه منها ودفعه له ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فلعمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعي لضياع ماضاع لقد علم الله تعالى أني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولدي ولد لي في هذه الليلة فاحتجنا الى ما نحتاج النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت في نفسي أشتري بها شيأ من العطر فأطوف به صدرا لنهار فعسى استفضل شيأ أسد به رمق أهلي ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لي الا الفرار منهم فهذا الذي أوجب جزعي قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبي يستوعب الحديث فقال للشيخ أبي حفص ياسيدي أريد أن تأتي بهذا الرجل الى منزلي فظننا أنه يريد أن يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فأقبل على الطواف وقال له بحجتي من جزعك فأعاد عليه القصة فقال له الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفي أي موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندي اذا رأيته تعرفه قال نعم فأخرج الجندي له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا همياني والله وعلامة صحة قولي ان فيه من الفصوص ما هو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت في حل منها ونفسي طيبة بذلك فقال الجندي ما كنت لآخذ على أمانتي مالا وأبى أن يأخذ شيأ ثم دفعها للطواف جميعها فأخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمر نا برحمتك يا أرحم الراحمين (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه ولم يجد والله شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان في بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان * وبهذا حكاه أبو بكر الطرطوشي قال حدثنا القاضي أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فآووا الى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والامطار واستوقدوا ناردهم وسووا معيشتهم وكان في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد في هذه البقعة فأبوا الا دخولها

المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض اشراقها عن مقال اللاحسين واتخذ الفقراء والاغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا الى حين وجاءت الدراهم بعد التفاصيل بالجمل وقال جودها لحاتم هذي الذي لا ناقة لك فيها ولا جمل ﴿ وما قلت في ذلك ﴾

لله حال امرئ مقتر
قضيت في القدس بتنفيسه
ودرهم ولي ولكنه

قد أخذ الاجر على كيسه
ثم تليت الختمات التي شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التي أجرت الاوقات الصاحبية أجرها وشرع في بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية بباب الحرم الشريف وأخذ راقم الرخام في التوشيع والتفويف فيها لها الواحا كتب فيها من الحسن كل شئ وأطرد ماء رونقها فكل العين منها في ماء وفي هوائه رواقا شاق وصفه ورق ورفع محله فقال لسان المتصوف حمدا رفيعي الرواق ثم رتب للشيخ والفقراء ما يحتاجون اليه من كل نوع فريد وأصبح كل أحد وهو للنزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا في اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا نقصد الخليل صلوات الله عليه النبية الجليه وطربنا التلك المنازل وكيف لا تطرب لها وهي الخليليه وزرنا قبر يونس عليه السلام في طريقنا ورفعنا الانواره الجفون وتلى عند الزيارة ذو العين بذي النون ثم نزلنا من محل الخليل على محل القرى وحمدنا عند صباح ذلك الوجه المسرى واستقبلنا بمقام ابراهيم أمانا واستلمنا من ضريح شاد الركن ومن ضرائح

أهله أركانا وأكلنا من شهى
عدسه لونا ووجدنا من الحناء ألوانا
وقلنا لانفاس الشوق كوني بردا
وسلاما على ابراهيم ووردنا مورد
اللقاء نشفي ظمأ ابراهيم وفرقت
الهمبات وتليت الختمات وحرت
المواعيد على عوائدها المحكمات
فقلت

قصدنا خليل الله في ظل صاحب
جلي العلى والمكرمات جليل
فهذا الدنيا وهذا دينا

فما حمد امن صاحب وخليل
وسرنا في ظل الصاحب من الخليل
وكادت دمشق تمد أيدي اعطائها
لمجاذبة ركابه ومصر تتضرع
بأصابع نيلها طمعا في اقترابه
وترضه ندى هرمها داعية الى الله
بعوده اليها وايابه وهم شمالك
الوزارة ان يتلقى صاحب فتحه
وصدر الخزائن ان يعانق ما اعتاده
من رأى عطفه ونحه فانه ما جلس فيه
أبهر وبهى من الطلعة الامينية
باجماع الامامين المتأملين والخزائن
التي كم قال لها تدبره اني حفيظ عليم
فقال الملك وانك لدينا مكين أمين
ثم عطفنا الاقدار الى وجهة الرملة
وجاءت الوفود كلها مثل وخفت
أكياس دراهم الصلات وثقلت
أكياس دراهم الحمل وأقنا ثلاثة
أيام نكاد ننشد

خرجنا على ان المقام ثلاثة

فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا
ورأينا مسجدا يعرف بالركني قد
غير الزمان محاسنه الا بقه وهدم
الخراب والموت ركنيه على الحقيقة
فأمرت ولاتا الصاحب بعمارة ما منه
اندثر ولحظت الآراء حجارته المنقضة
فتبين ان السعادة تلحظ الحجر ولقد
صنع في هذه المنزلة من المعروف
ما لا صنع ذو الدهر الطويل مثله

فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فأصبحوا في عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضي حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته * قال وأخبرني أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت في هذه الدار وأشار الى دار هناك قصة عجيبة قلت وما هي قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة في تجارة الخز فاتفق أنه جعل جميع ما معه من الخز في خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما زالت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل لما كل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقي آنس بك وتعينني على سفري ونفقتك ومؤنتك علي فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب في مرافقتك فسار معه في سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوايجنا حتى أدخل المدينة وأشتري ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوايجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يرتحل يسير ويجد السير في المشي الى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فأسلم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على أثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت يسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا تائها موجودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشي أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعني نفسه فأظهر والله سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشتري به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ردهن نسرج به علينا فلما سمع ذلك ازداد تمامه على تمامه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت امام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطني ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال يا عدو الله أنت تعنى بمالي فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمت متعديا ولا أنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجي هرب به خادم كان يخدمني وأخذ حماري وجميع مالي فقال البياع والله ما علم غير أن رجلا ورد علي بعد العشاء واشترى مني عشاءه وأعطاني هذا الخرج لجعلته في حانوتي وديعة الى حين يصبح والحمار في دار جارنا والرجل في المسجد نائم قال له احمل معي الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم في المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالي ياخائن قال هاهو في خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذي معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه مسالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته وازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب في الالواح وامتزج بالارواح وعد في جملة البشائر العظام وجرى في العروق وتغشى في العظام وكان خالد بن عبد الله القسري أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له اني لأرى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك

العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما والاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدرز ادحسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسه أين مثلك أينا

(ودخل) على المهدي اعرابي فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتاني آت في منامي فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكم الابداع روسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تميس ومالها أن لا تميسا

فقال المهدي ياغلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها في بخانق صبياننا (وقال) ابراهيم الموصلي في تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا * ودخل عطاء بن أبي صيفي على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله فقضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه وليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية * ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بني سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهي تقول لا والذي أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول في مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا﴾ عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضي الله تعالى عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضي بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فأعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لا يقل أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن ابن مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال حدثني أبو القاسم نبي التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جارية فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت مني ما أخرجتك من يدي فأعتقها وتزوجها

وبنى من المكرمات ماثبت ولولا
ابداع سعادته ماثبت البناء فوق
الزملة ورحلنا عن الزملة بنية
الزيارة لمشهد زكريا يحيى
عليهما الصلاة والسلام فمررنا في
طريقنا بجملة خير معترضه وبنية
في وجهة القبول مبيضة تحتوي
على قبر بنيامين أخي يوسف عليهما
السلام فالحقناه بالزيارة باخيه
وتوكلنا على الله في القبول توكل
أبيه وتيممنا ببنيامين وقرعنا
أبواب السماء بادعية فاتحة فقال
النجح عقيب الفاتحة آمين ومررنا
والصدور منشرحة والطريق الى
خير الدارين متضحة وجئنا المشهد
وقد ظهرت عليه بضريحين كريمين
بهجة الدين والدنيا وتلا مزارهما
للعادم الناشر لك يحيى وبتنا ليلة
طيبة تحييها وغيت النوم ونعصي
بالسهر أمره فماله سلطان على
أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت
القلوب سرورا والاعين نورا
وقوينا على قصد جني الجنان
واستقبلنا المحاسن ببيان وختمنا
الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضي
الله تعالى عنه فأنقذت أنواره
القلوب من الهم أي انقاذ وكدنا
نفتن بالانس حتى نقول أفتان أنت
يامعاذ وأمسكنا عنده من الدعاء
بعروة لا تنفصم وأوينا من طوفان
الذنوب الى جبل ينجح من به يعتصم
وأمر بما يحتاج اليه من تجديد
عمارة وانشاء طهارة وألحق بكل
مزار وردنا عليه في هذه السيارة
فانا لا نفارقه الا عن اقامة صلاة
وصلات وتجديد آثار يزين به وجه
القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا
عن النور نهوض ليثه المليد وجزنا
مبتسمين فما بكينا بكاء لبيد يوم
فراقه أريد وانتشقنا من تلقاء طيبة

وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم على ابن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك ان عمر رضى الله تعالى عنه أتى بنات يزدجرد بن شهربار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق فكشف عن وجهه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقوموهن وأعطاهن أثمانهم وقسمهن بين الحسن بن على ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فقتل عبد الملك يقول عمر والعبدى

نهيتكم وأن تحملوفوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلى ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما ان كمونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بأرماح قسرا
فمازادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقى الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ بان الطعان بكفه * فيورد هابيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يابنى ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريد الخدمة * ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالى غلام فأدعو به * سوى من أبوه أخو عمتى

وقال أكثم الحرحر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر * ورد بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حرقعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشترى له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عجل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة ان تقضى حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتنى وأمرتنى ان أقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفرلك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الاعجمى يلى حكم السند فكتب الى يوسف الهادى ان رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبى صفرة اشترى غلاما أسود فر باه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فأبت فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فأذاهو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برئ من علته فأقام الغلام بعد هذا مدة يطلب أن يأخذ ثأره من مولاه ويدور عليه أمر ليكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فأخذ الاسود

الصبيين

الاسم أطيب العرف وسلكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا المنازل التى قد مناذكرها ورجعنا كما ترجع منازل الافق زهرها وتنسمنا أرواح دمشق حتى كدنا ننشق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الديار على هذا السعى الجليل وقاصلنا السفر على أكرم وجه للفضل جميل وقطعنا بالكسوة ليلا طالما لاذ به كل ليل للعاشقين طويل وفى تلك الليلة كان دخولنا الى دمشق المحروسة كدخولنا الى القدس الشريف سائرين مرى النجوم فى الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين لحواظر الملتقين وهيهات وقد سال منهم السيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الازهار وأجرت امام ركابنا الانهار ولبست من وشى البديع حللا لها من أوائل ما انعقد من الثمار أزرارا فزرين من الثناء والثواب بفوق الاراده داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لرتبته باب الزيارة وتمت هذه السفرة على أحسن ما يكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت فى الليل المذاكره والتقطت من الفوائد الوزيرية ما كنت أرتقب جواهره وأزهره وأردت أن أذكرها فى هذه الخطبة لانها جواهر وأضمنها بعض العلم فى هذه الاوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المسجوع واقتضى الحال أن أجعلها فى سفر يقال فيه تلك رحلة وهذا تاريخ ومجموع وقد علم الله ان هذه النبذة من العول وردت من قريحة مسها فقد الولد

الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنه فى شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذى لا يحلف العبد بأعظم منه ان لم تجب ذكرك مثل ما جيبتنى لأرمين بهما فقال الله الله يا ولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ما هى الا نفس واحدة ان لا سمع بها فى شربة ماء لجعل يكر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فدله ما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخرج مدية فجيب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبلك لنفسك ثارى وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الاسود وكتب بخبره لموسى الهادى فكتب موسى لصاحب السند عمر والاعجمى بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردد أمن العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثر هم رداءة المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه أنكره كان لم ير منك شيأ وكلما أحسنت اليه تمردوان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لأمى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الام من الزنوج وأردأ لان المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجى أبو يه ويقال فى المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا والعكس فلا تثق بمولد لانه قل أن يكون فيه خير اوان كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم﴾

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكرا بحروا أذنها اى شقوا أذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث * وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهى الاوثان وأحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهى لم يمض * ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن أحياء كانوا فى الجاهلية اذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها اضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات * وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشترى البنات وبفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وحمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بنى أمية فقال أنا ابن محيى الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وأما الرفادة فى الحج) فكانت خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من

بقرح وأى قرح وقال تفكرها الذى كان حائن الكلام لست اليوم من ذلك الطرح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذرى ويعلم السبب فى كونها ليست عادة نظمى ونثرى واذا كانت القريحة فى بقايا قرحها فليت شعرى أينهض سعيى وشعرى والله تعالى المسؤل أن يجعل فى البقاء الصاحبى سلوة عن كل فقيد ويصل أسبابنا أبدا بتحريره الوافر وظله المديد ويرزقنا فى شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهنا بصره حديد (قلت) ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى الى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبى الامينى رحلتى صحبة الركاب الشريف السلطانى المؤيدى سقى الله ثراه الى البلاد الرومية وبروزاهره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد واستيعاب الرحلة الشريفة فى البشارة المجهزة الى الديار المصرية وأن لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الشافعى عظم الله شأنه فقرأها بالجامع المؤيدى والازهر فى شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد عن لى أن أقرنها بالرحلة النباتية فانهما رحلتان (وهى) ضاعف الله تعالى نعمه الجناب العالى ولا زالت طرف أخبارها السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وترتحه بنسمات قربنا ونجاور كريم سمعه ليأخذها بالشفعة وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق فما تلفنا الشريف يبشره بالرجعة (صدرت) هذه المكاتبة تهدى اليه من أوراقها

أموالهم الى قصبى فيصنع به طعام للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما يشربا أيام الحاج حتى يصدر واعنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم * وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين على بابى الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر فى الكعبة ﴿ واعلم ﴾ وفقنى الله واياك انه لم يسمع بجبب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمى وابن مملك الاسدى الذين ضرب بهم المثل * فأما سعيد ابن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هناة مثلى يكون من عبيد الله * وأما عبد الله بن زياد التميمى فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودى من نواحى المسجد كثر الله فيناء مثلك فقال لقد كلفنى الله شططا وأما ابن مملك فانه أتى راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتى على لاصلبت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم الى الكفر وصار واحد يناشد متبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدى الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿ حكى ﴾ عن الحجاج ابن يوسف الثقفى انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرنى بأناس يلقنى الامل فيهم وأعانى على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة انهم من محاسن الحجاج وان قلت فى جنب سيآته والله تعالى أعلم

﴿ ذكر اديان العرب فى الجاهلية ﴾ كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية فى غير وبنى كنانة وبنى الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية فى بنى تميم منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صفا من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى أبو خزاعة وهو الذى رحل الى الشام فرأى العماليق يعبدون الاصنام فأعجبه ذلك فقال ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فنمطر ونستنصرها فننصر فقال أعطونى منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه * وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار فى بنى اسمعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأقضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكان قريش قد اتخذت صفا على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فيخرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبنى كنانة العزى وكان سدنتها بنى شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها بنى معتب من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم * وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات

ثمرات الفتح ليتفكه بالفواكه الفتحية وتعرب عما أبدته عربياتنا من شواهد التسهيل فى فتح البلاد الرومية فانها رحلة مؤيدة تشهد اليها الرحال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فهى لها من أظهر الاذيال ونبدى لكريم علمه تجلى مخدرات الحصون بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيديه واستقرار رئيس فى هذه الحلبة على قديم عاداتها بين الجنائب الحلبيه وفتح قلعتها وقد حرك بأيها مصراعى شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت أقفاله بعد ما عسرت على الغير فان مع اليسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الادعية من أفواه مرامية فرحا بنا ومرورا وبدلت صوامعها رتلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة لشيخ ملوك الارض طاعة الارمينية وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة الشريعة الصوفية ورغب ابن رمضان فى طاعتنا الشريفة فجعلنا له فى ربيع خلاوة الرغائب ورفعنا قواعد بيته الابراهيمى وأدنيناه من أرمنة قد نأمنها الى أهلى المراتب وتناظت سيوفنا بحلاوة الفتح ورشفت بألسنتها فى كل قطر قطرها ففتحت اياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت أبياتها لما ناظمت على بسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصة من رحيق هذه الطاعة فأمسى ثغره بأفواه الشكر يقبل وبسط جبين جسره لمواطئ خيلنا فرحة وتهلل وجانس الفتح بين اياس وبانياس ولم ينتظم لبيتى كند بيت بلطفية يقام له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم

أحدهم لحزنوا عليه حزنا شديدا لجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته فى قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروا فكرهوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هنالك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال ألهتكم المصورة فى مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طمسها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نسأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم وقال الواقدى كان يغوث على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويعوق على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أى ذلك كان

﴿ذكر أوابدهم﴾ الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخنى الرتمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت ويزعمون انه اذا بعث من قبره ركبها * التعسمة والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا فقأ عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى * العرّ داء يصيب الابل شبيه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العر * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى الى أن يؤخذ بثاره * وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هى الدم وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحيا مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون علينا * فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا عدو ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت تعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا أن الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن * تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت فى أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغول للعرب فى الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها ويخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رآه فى سفره الى الشام فضربه بالسيف * وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم انه أنثى وأما القطرب فى قولهم فووتوع من الانخناس المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيده مصر فى أعاليه وربما ناله يلحق الانسان فيتمكك فيه ودود دبره

لا يستحيل بالانعكاس وتسجر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته بلسان جمر لا يفهم وما هو الا كافر طال عمره

فجاءته لما استبطأته جهنم وفر الى ملك عثمان فحكمنا بقتله فى تلك الارض علما ان الجهاد فى أعداء الدين عند العصابة المحمدية من الفرض وسمع العصاة بطرسوس زئير آساد نا من بعيد ذادر مقبلهم وتخيل ان الموت أقرب اليه من حبل الوريد وأعربت أنيابها بعد كسرة عن الفتح وقال أهلها ادخلوها بسلام آمنين وأوى العصاة الى جبل القلعة لما رأوا بعد القتال هذا الفتح المبين وصفق مقبلهم وجهه فصعقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عند ذلك الحكم مدافع وشاهد القرمانيون من سيوفنا شدة القرم فخشى كل منهم أن يصير لحما على وضم ورأوا ألسن السهام فى أفواه تلك المراجيز أنيابا الصائب ناطقه وما أظهروا على سماء برج غيوم ستائر لامعة فيها من بوارق نقوطنا بارقه فزقوا الاطواق من الحنق فطوقناهم بالحديد وأحيينا الفتح المأمونى برأينا الرشيد وما خفى عن كريم علمه وقوع انتقامنا الشريف فى الغادر ابن الغادر لما أدبر وقطع الله دابره وظهور السر الابراهيمى لما دعى الغدر وذ تلك الفئة الغادرة كلها بسيوفنا فأحرسه وتخبطه شيطان الرعب عسفو رأى فيه تلك الهمة العالية فنجا من تلك الوقعة بفرسه ونفسه وأوى من قبل الى جبل ليعصمه فقال له لا عاصم اليوم من أمر الله

فيموت وربما نزل على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور وان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

﴿ذكر الهواتف﴾ أما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي ﴿ومن عجيب ما حكي من أمر الهواتف﴾ ما حكاه أبو عمر بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه ليت شعري هل بغت على فلما انصرفنا من مكة قالها في بعض الطريق فأجابه صوت في الظلام نعم ونا كها بحجيه وهو رجل أحمر ضخم في قفاه كيه فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة أخبر بذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون علي فاذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كية فقلت لأهلي من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حجية فقلت الحق بأهلك (وأما) بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه (وأما) رمي السن فكانوا يزعمون أن الغلام اذا أثغر فرمى سنه في عين الشمس بسمابته وابهامه وقال ابدليني بأحسن منها فانه يأمن على اسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها للتعرف بها (واما) جزاء النواصي فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطير والله ﷺ كانوا يقولون من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل اذا قدم قرية تخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل في فروج الابكار فتفضهن ويزعمون أن الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة اذا نفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق اذا حكها وشرب ماء يخرج منها صبر وتسمى السلوان ﷺ ونكاح المقت من سنتهم وهو أن الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورثت نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها البعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الستون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك﴾

(أما الكهانة) فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهانة أخبار (فمنهم) سطيح وزرد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون عما جاء لاجله وذلك أن الموبذان رأى الابل صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سرير موجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الي رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم عما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فأخبره بما

ورماه من شاهقه في بحر عساكرنا
بعد ما عض عليه بثنايا موسع
الرعد من سيف ابراهيم فقر وقد
شاهد من أصيب بصواعقه من
عصاة الترك كان وصدقت فيه عزائم
أترا كما وما رؤي أحد في ذلك اليوم
من الترك ما ن وسقوا أوعار تلك
الجبال من دمائهم فكادت أحجارها
ان تورق وتخضب بعد المحل وجنوا
بالعسال على النصر وغنموا من
الانعام مازاد في عدد أجناسه على
النحل ونفرت عنهم أوانس تلك
الظباء والمتيم ينشد لها في الظبية
أنس منكم نفرت وانفطرت كبده
لما رأى كواكب الحلى من أفلاك
تلك الصدور وقد انتثرت وسن المقر
الصارمي فيهم عزمه فقطع بهذا
الصارم من عواتقهم أوصالا وحميت
نار حربه فسبكت أوانيهم من
الذهب والفضة تحت حوافر خيله
نعالا ورخصت أنواع الديباج
فكم من معد ني صار مع دفي لان
قبورهم بعثرت وتلا لسان حال
الكتب على السمور وغيره من
أصناف الوبر واذا الوحوش
حشرت وانقادت ركائبهم الينا
وبدورا مواطنها في بروج تلك
الجبال قد أشرقت والناظر يتلو
متعجبا أفلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت وكانت نار حرب القوم
على المقر الابراهيمي بردا وسلاما
فانه رفع قواعد بيته في ذلك اليوم
وعلمنا ان الله قد جعل لابراهيم في
هذا البيت الشريف مقاما وارقاه
في عمر الابدار الى بروج الكمال
فأبدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال
بهذا المقال

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمه لا يعرف القمرا
وان كان شبلا فهو في الخبر كاسده
ومصارع ليوث الحرب قد جعلها

رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن بكنن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك
واتنى بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح * فسلم عليه وحياه
ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه انه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر
له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس
الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة
وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه وفاض وادي سماوه وفاضت بحيرة ساوه وخمدت
نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما برتفع أمر العرب وأظن ان وقت
ولادتي قد اقترب يملك منهم ملوكا وملكات بعدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح
مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (وحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما
هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره لك الا شق وسطيح فأحضرهما وقال لسطيح اني رأيت
مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل
منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين أبين
الى جرش فقال الملك ان هذا الغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من
ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم يقتتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي
يملك بعدهم قال أراه ذا زين يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم
ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من العلي قال ومن يكون هذا النبي
قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر يكون في قومه الملك الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر
قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون قال أوحى ما تخبر قال
والشفق والقمر اذا اتسق أن ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح ﴿ومن ذلك﴾
ما حكي أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة
سود الحدق تخبر بمكة فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن حكما فخبؤا له شيأ وخرجا اليه
ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فأن علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك
فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت قالوا صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما
أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر
وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ولأميه أو اخرفأخذ هاشم الابل وخبرها
وأطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بني هاشم
وبين أمية ﴿وحكى﴾ أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من
فتيان قريش وكان له بيت ضيافة فنظر جاعن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم
واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هند ارجع
هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت
أحدا قط وما انتبهت حتى أنبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان
الناس قد كثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا سبيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان
يك كاذبا طلبته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت
ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في
جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا ترد على هذا الرجل فتغيرت حالة
هند فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف أنكم
تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسيما تكون على سبة فقال لها لا تخشي فسوف أختبره

الله من صغره تحت يده ورفعه له في
هذا المبتدا وسيره في الآفاق خبرا
وعلم الاعداء ان دمعهم يجري عند
لقائه دما وكذا جرى وهذه المقابلة
تلبق بان الغادر على قبح سريرته
وغدره فانه أخرج أهل تلك البلاد
من أرضهم بظلمه لا بسحره وسألنا
قبل ذلك في ولده وقد كره العود اليه
وألف أبو تنا الشريفة وتوطن
فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا
تحزن عليه فخالف نص الكتاب
ومشى في ظلم الطغيان ولم يعمل
بقوله تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان فقابلته سطواتنا
الشريفة على قوله وفعله وما حاق
المكر السيئ الا بأهله وحل ركابنا
الشريف بالابليستين في العشرين
من ربيع الآخر فجمعنا بحصنها
الزاهر بين ربيعين وتمنا ها بعشر
الاقامة لاستيفاء ما لنا في ذمة
جيرانها من الدين فرحبت بنا
وبسطت بساطها الاخضر وقالت
على الرأس والعين وألقتنا الى
درنده وما العيان من صنع الله في
أخذها كالخبر وقررنا صدغ
صخورها باختلاف الآلات فجاء
ماقررناه نقشا على حجر وادعت ان
صخرها أصم فأسمعناه من آذان
المرامي تنقير المدافع وتحريك الوتر
وطلعت في ظهر الجبل كدمل
فطار كل جارح من سهامنا ريشه
الى فتحها وظنت صون من بها العلو
ذلك السفح فطالت سيوفنا الى
دماء القوم وسفحها وقرعنا حبلها
بسبابات المدافع وكسرنا منه الثنيه
وأمست حلق مرامينا كالخواتم
في أصابع سهامنا المستويه وخر
بحرها طائعا فركبنا عليه سفن
جسور على الزحف حامره وأقلعنا
الى خشب سفنها المسندة فمزقنا
قلوع سائرها وخربنا قريتها

فصفر افرسه حتى أدلى ثم أدخل فى احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم وفخر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لى ثمرة فى كمرة قال انى أريد أبين من هذا قال حبة فى احليل مهر قال فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتى الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضى حتى بلغ هند فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله انى لاحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضى الله تعالى عنه ❊ وأما القيافة ❊ فهى على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر ❊ فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم موجود فى عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم ❊ (وحكى) ❊ عن بعض أبناء التجار أنه كان فى بعض أسفاره راكبا على بعير يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع فى نفسى من ذلك شئ فلما رجعت الى أمى ذكرت لها القصة فقالت ياولدى ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا له فكنت هذا الغلام من نفسى فحيلت بذلك ولولا ان هذا شئ ستعلمه غدا فى الدار الآخرة لما أعلمتك به فى الدنيا ❊ وأما قيافة الاثر فاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن فى قبيلة وثغر البرلس أقواما بهذه الصفة وقعت من قريش حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار رصم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فعماهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا ان هناك لطيفة لايتساوى الناس فيها يعنى فى علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان العيافة لبنى مدلج فى احياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بنى عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأسابا جميعا ❊ ومنهم من كان يخط الرمل فى الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتى بعد وقال رجل شردت لى ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمرنى أن أخط لى فى الارض فخططت ثم قلت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها الا شئ قلت لا قال قد علمت انك لتجدها بملك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها ❊ وخرج عمر وبن عبد الله بن معمر ومعه مال لابن خراش الخزاعى فازيين فرايا مرأة وهى تخط للناس فى الارض فضحك منها مالك هزؤا وقال ما هذا فقالت أما والله لاتخرجن من محبستان حتى تموت ويتزوج عمر وهذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فأحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا وصورا فقال للزاجر انظر ما ترى فى طريقك وعند وقال للمصور ائتنى بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ما ذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره علينا لانك وضعت صورته على وسادتك ❊ وبعث صاحب الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم ولنا مسة فقدم الرسول فرأى النبى صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمى فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة ❊ وقال المدايني وقع الطاعون بصعر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى

العامرية هذا مع أن الملك خطبها لنفسه وأراد أن يعرج اليها فترفعت عليه ولم ترضه لنفسها فلما رفعت العرج أن يعلو عليها فرحل عنها ولم يحظ من ديوان وصلها بسوح ولكن ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بأبى النصر وأبى الفتوح وتعلق سكانها باذيال الامان فامناهم ولكن كانوا فى صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل التخلص منها براعيه فأحسنا الختام بدرنة والقينا الكسير المدافع على جرها الذى كان غيره مكرم وأحسنا التدبير فى الصناعة وسمعت كرت برت بذلك فالقت من بهامن بثر معطلة وزعت فرحة بقصرها المشيد ووصلت مفاتيحها يوم هذا الفتح مهنئة بلسانها الحديد وغارت عروس بهتنان من ذلك لخطبتنا لجمالها البارع وجوزت كتابها يشهد لها بالحلو من الموانع وهى أيضا من خطبها الملك لنفسه فمنعت وأراد السمو الى أفقها العالى فاستغلته وترفعت وعوت كلابه فلقمتهم ماثقل وزنه من أحجارها الثقال خلافا لمن أصم الصخر عنده مثقالا بمثقال وعلم طرق ان سهامنا فى كل عضو من أعضاء العصاة جارحة أفواه مدافعنا فى أعراض الصخور من سائر القلاع قادحة فتبت يداه عن المنع وجنح الى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته فى الفاتحة وضحك ناموس ملكنا الشريف على من ادعى بكتاوكر ولكن ابكتهم سهامنا مناد ماجرى من مجاجر القلعتين ولم يتعثر وقال حصن لكتا ان كانت قلعة نجم عمقا بانى عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتى باجنحة أو كان الهلال قلامة

الصعيد

الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أوا ما أظن أني أرجع الى الفسطاط ثمات ولم يرجع وكانت تلك بنت عمار الكلبي تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها في حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه في حجرها وبينما مروان بن محمد جالس في ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس عن ملك مروان يقوم من التراك أو خراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهر حتى مضى ملك مروان (وروى) المدايني ان عليا رضي الله تعالى عنه بعث معقلا في ثلاثة آلاف لتعم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فأخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبي ربيعة الجشمي الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر لما بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا طويلا وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الاولى دخلت علي والشقة بيدي أديرطولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة في يدي أريد قطعها لاني قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوي فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لامير ه اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكانه أنت من مقاتلتهم على شئ من ذلك الا على حمار لما رآه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) انه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فعلت له بأي شئ عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التقت عيناي فما لاقى وجدت رجلا على ظهره قربة ماء فغرغها ثم حملها على كتفه فاولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك (وأما الفال) فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلاما من له يا بشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعي سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذا الطيرة شئ فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته في دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا تظلمها التي علاها من الاصيل
خضاب فكف الخضيب يتيمم
تربي وسيع بياض جبهته فانا
الهيكل الذي ذاب قلب الاصيل
على تذهيبه وودد بنار الشمس ان
يكون من تعاويذه والشجرة التي
لولاه وفرعها تفكهت به حمات
التريا وانتظمت في سلك عناقيده
وتشاخ هذا الحصن ورفع أنف
جبله وتشامخ فأرمد بعيون مراميه
بدم القوم وأميال سهامنا على
تكحيلها تتزاحم ووصل النقب
بتثقيبه عن مقاتلهم الى الصواب
وأيقنوا ان بعده لم يضرب بيننا
بسوره باب وكان منهل مائهم عذبا
فأكثرنا على منبعه الزحام وتطاولوا
على رضاع ذي دلوفلم ترض أم
المنع بغير الغطام وأمسى دلوهم
كدلو أبي زيد السروجي لا يرجع
ببلة ولم يجلب نغله وحكم الدفع
الكبير على صور القلعة فقال له
السور دائم النفوذ والاحكام
وانقلبوا صاغرين الى الطاعة وقد
قابلنا أنف جبلهم بالارغام
ورجعوا عن خيلهم الكردي
مافاموا لهم على جهله الدليل وقالوا
طاعة السلطنة الشريفة ما يرا هي فيها
من العصاة خليل وسألونا الصفح
عن حديث جهلهم القديم وسلموا
القعلة أرضا خواطرنا الشريفة
فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم
وتنكرت أكراد كركر بسور القلعة
فعرفناهم بلامات القسي وألفات
السهام وعطست أنوف مراميهم
بأصوات مدافعنا كان بهاز كام
ونبروا من خيلهم الكردي لما
شاهدوا الخطب جليلا وقال كل
منهم بالتي لم أتخذ فلانا خليلا
وأورت عاديات المدافع بالقلعة
قدحا فامست بالزلزلة مهددة وفروا

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب ما يجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال

(وقال لبيد) لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

(وقال آخر) تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور

بلى شيء يوافق بعض شيء * أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطير ونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما يتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ما شيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقالا من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد زعموا بأن مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب

وقالوا من تطير من شيء وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق الليلة فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمه وتى ففنت وهى تقول هذه الابيات

هم وقتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وجندأخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصدتك ويحك انتهبى وغنى ما يسر فى فغنت تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر حزما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

ما زال يعد وعليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكى فراقهم عيني فأرقها * ان التفرق للشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومى الى لعنة الله فقالت والله يا مولاى لم يجر على لسانى غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور وكان أبو به به فأصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدى فالتفت الى وقال يا عمى أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقال لى أسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدى به * وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه فى أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبه * تخشى ولا أمر يكون مبذلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

من سطواتنا الشريفه الى البروج فادركهم الموت فى بروجهم المشيدة وسألنا كريمهم فى جزيل ماله ليفدو بنفسه الخبيثة وروحه فلم يرض منه على كفره الا بالمال والروح وسجناه فى قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها * كريشة فى مهب الريح ساقطة * وتمام البيت معروف عند من له عليه اطلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد أزهرت باسمنا الشريف أغصان منابرها وسألت قلعتها التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فأجبناها الى ذلك وأمست بنا بعد التنكير معرفه وصارت أبراجها بالنسبة المؤيدية مشرفة وجهز قراعثمان مفاتيح الرها وآمد وسأل تشريفه بتشريفهما بتقليدين يرفعان لهما فى الشرف محلا لخليناه بذلك وكان من العواطل لخلت المطابقة بالعاطل الحلى والتهب ابن الغادر بحرارة المعصية ففر الى برد الطاعة من غير فترة وهز جدع مراحنا الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين الثمرة والجمرة وأقر بذنوبه وقال التوبة تجب ما قبلها ودوحة المراحم الشريفة قد مد الله على الخافقين ظلها وعلم انه ما أحسن البيان عن درنه فى تخليص ذلك المفتاح وسأل أن يحظى من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فأذقناه حلاوة قربنا بعد ماذاق مرارة بينه وألبسناه تشريفه بنيابة الاباليستين فباس الارض وهو لا يصدق انه يرى محاجر تلك العين بعينه وجهزنا ولده داود بدروع من الأمر ليأمن بها من يد داود ويتقيه بظلال جبرنا

فسر خالد وأمر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم * ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدى ويؤثم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وانى على أعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر وانى لاعجب من لوط وقوله لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فاى ركن أشد من الله تعالى أوما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فى أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسىء الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم انكم تقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة وأنا أعجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم * وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فاول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فامر له بمال فقال لا حاجة لى به ولكن الذلى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتنى فضربتنى وحبستنى وتلقيتك قصدت وسلمت فاينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة ﴿وحكى﴾ أيضا أن صاحب قرطبة أصابه وجع فامر بعض جواريه أن تغنيه ليلها وعن وجعه فقالت مفردا

هذى الليالى علمنا أن ستطوينا * فشمر عينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات ﴿وحكى﴾ أن نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام ﴿وأما الفراسة﴾ فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على على رضى الله تعالى عنه بشىء فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ﴿وحكى﴾ أبو سعيد الحراز أنه كان فى الحرم فمر ليس عليه الا ما يستر عورته فانفتت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴿وحكى﴾ عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال أحدهما له تجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن تجار ﴿وحكى﴾ أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك انه سافر للسائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن ابن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحرز منه كان ينظر الى السفينة فيحرز ما فيها فلا يخطئ وكان حرزه للكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشئ وما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته

ويصير بعد حر المعصية فى ظل محدود
وقد تقدم سؤال قسارية أن يقام بها سوق الامان فاجبناها وسعرت بها انارا لخوف بعد ما غلت لجهزنا اليها بضائع الامن وأرخصناها وأيقن أهلها انهم ان مشوا فى حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة فأزلنا عنهم بايناس عدلنا الوحشة وأمست قساريتهم فى أيامنا الزاهرة هشة وسجعت خطباء منابرها بامضاء الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم

ولم يخل من امضائنا عود منبر
ولم يخل دينار ولم يخل درهم
وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعة ومات العصيان بتلك البلاد فقالت ارز يكاز الصلاة جامعة وصلت طائعة مع الجماعة فلا قلعة الا اقتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من عز آثرها الحجاب ولا كاسر برج أترعوه بالتحصين الا وجئنا رأسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت فى الروم لعساكرنا التى هى عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد اذ لم يبق بتلك البلاد ما تعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التى اتخذوها لشرفها قبلة يرودكل منهم أن يحظى من جهات أعتابنا بقبله وتنوعوا من الهدايا باجناس صدقت من كل نوع مقبول وبالغوا فى الرقة وهدوا من الرقيق ما قام له عندنا سوق القبول وأسفر قرابوسف من الجمال اليوسفى ونور الطاعة عن جبهتين وأظهر كتاب الطهارة بتطهير الارض ممن ندبنا

قبيحة واذا رأيت انسانا يمشي ويلتفت فاعلم أنه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رأيت رجلا حارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت العرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الفار دل على الخصب واذا نعق غراب بخراب بيته دجاجة عمر الخراب واذا فوقت دجاجة بخراب بها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ❁ وأما النوم والسهر وما جاء فيهما ❁ فقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجىء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلى ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيتوا ثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى (وأنشدوا)

يا أيها الراقدكم ترقد * قم ياحبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته * حظا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب انه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أوما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة * والنوم على ثلاثة أنواع نومة الحرق ونومة الحلق ونومة الحمق فنومة الحرق نومة الضحى ونومة الحلق هى التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم وتنكد وقال النورى لطبيب دلنى على شئ اذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لان تختلف السباع على ظهرى أحب الى من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتسلى على فراشه كالحية على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتنى النوم

وأنشدوا فى المعنى

غيرت موضع مرقدى * يوما ففارقنى السكون
قل لى فاول ليلتى * فى حفرتى أنى أكون

(وأنشد أبو دلف)

أما لكتى ردى على رقادى * ونومى فقد شردته عن وسادى
أما تتقين الله فى قتل عاشق * أمت الكرى عنه فاحيا الليالى

(وأنشد أبو غانم الثقفى مفردا)

رقدت رقاد الهم حتى لوانى * يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب، وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا أسود قيل انه نام أسبوعا وقيل انه تمادى على أهله وقال اندبونى لاعلم كيف تندبونى اذا أنا مت فسجى ونام

وندب

اليه من أعداء الدولتين ودنت الديار من الديار فكانت سيوفنا فى القرب له حصنا وملاذا ولم يباشر فى اخلاص الطاعة مما يقال له بسببه يوسف أعرض عن هذا وجاهت هذا باه التى هبت نسمات القبول على اقبالها وجنيت منها ثمارا لمحبة وجعل التفاسيل التى وسعها سناء الملك بهجة ولم يترك لابنه فى دار الطراز رتبه والنمورة التى يجمجم ابن فهد عن وصفها اذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذى تميز بأوصاف ماصاحب مجرى السوابق من الفحول التى تجاريها فانه غرة فى جباه الخيل الذى قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التى همت عندنا على السروجى بقاماتها العالية ورأيناها أهلة تغنى عن الفجر لخضنا كل مرج منها بالغاشية والجوارح التى تخشى النذير الطائر أن يصير منها واقعا وصدق فيما تفرسر وخافت النمس لما شمت بالغزالة ولف سرحان الافق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذى أصابه به أغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب وجاء عبارة عن رأى مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الاشياء التى وقعت فى محلها ونحن نقيم دلائل ذلك وبرهانه فان القوس اذا عانق سهامه بنصر علم أنه وصل الى الكنانة وبالغ المقر الجمالى فى نظم بديع الهدايا ونسج الحفايا كثرة رقيقه وأدار من أوانى الصينى كؤسا اترعها الود بلا فرجيقه ودخلنا حلب المحروسة وأوصلناها ما استحق لها من ديون الفتح علينا

وندب وإذا هو قدمات

﴿وأما الرؤيا﴾ فقد قيل فيها أقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك يقدح مزاج كل واحد منها وقوته فالذي يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى في منامه أجداثا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهي والثياب المصبغة والذي يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح * والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجيء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا في صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ما حكي) ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابي جهل بن هشام فقال مالابي جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فاتاه عكرمة ولده مسلما تأثما لها به وكذلك تأول في قتل الحسين لما رأى ان كلبا أبقع يلغ في دمه وكان ذلك بعد رؤيا عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه اني رأيت كأني رقيت أنا وانت درجا في الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضي الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقمار في حجرتها فأولها أنها موته وموت النبي صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضي الله تعالى عنهما وسد فنهم في حجرتها فكان الامر كذلك (وحكي) ان أم الشافعي رضي الله تعالى عنه لما حملت به رأت كان المشتري خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه بأكثر البلاد فكان كذلك (وحكي أيضا) ان عاملا أتى عمر رضي الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليتك لي عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضي الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية بما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية (وأما) من مهر في تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأني أسقي شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التي تحتك قال علجة اشتريتها وفي رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أملك فكشف عنها فوجدها أمه * وجاءه رجل فقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقلت له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارتي قد ذبحت في بيت من دارها فقال هي امرأتك فشكت في ذلك البيت وكانت امرأة الصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم في تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت * وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت في النوم كأن أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغي أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون في جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان * وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت في النوم كأن القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي ان ائتي ابن سيرين فقصي عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فأعادت عليه فقال لا ختنه هذه تزعم ان أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام * وجاءه رجل فقال رأيت كأني آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقي صفاره فقال ان صدق منامك فأنت تباشر الموتى فكان كذلك (وحكي ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصي وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكي) ان رجلا رأى عيسى عليه الصلاة والسلام فقال له يا نبي الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه

وردد ما اغتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التي استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فاه بعد كلومه وهذا البيت الشريف ونسيب مدحه المقدم فيأخذ منها حظه ويثلج صدر البرايا ففيها لهم رد وسلام ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع فيهم عرف العدل ويصير مسكا لهذا الختام والله تعالى يتعته في ليله ونهاره من أخبارنا السارة بالاعياد والمواسم ويجعل له من صباغة أنعامه ان شاء الله حسن الخواتم (قلت) وذكرت بهذه الرحلة أيضا رحلتي من الديار المصرية الى دمشق المحروسة المحمية سنة احدى وتسعين وسبعمائة والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصرية والشامية وحدث بدمشق المحروسة ما حدث من القتال والحصار والحريق فكتبت الى المقر المرحومي الفخري القاضي ابن مكانس في شرح ذلك رسالة لم ينسج على منوالها ولم تسمح على غلمة الظن قريحة بمثالها (وهي) يقبل المملوك أرضا من عمها أو تيمم بثراها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى أبوابها أكثر من هيام العرب الربا بنجد ولا زالت حقول الشعراء تطلق أعنة لفظها فتركض في ذلك المضمار وتهم بوادها الذي يجب أن ترقم فيه على أعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهى بعد أشواق أمست الدموع بها في محاجر العين معثره ولولا يقرانسانها بمرسلات الدمع لقلت قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فيالينه قبض قبل ما كتب عليه

ولكن شبه لهم وعائد على الرائى فكان كذلك * ورأتى ابنة مغيث آت فى المنام فقال لها

لك البشرى بولد * أشبه شئ بالاسد * اذا الرجال فى كبد

تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد

فولدت المختار بن أبى عبيد وذلك فى عام الهجرة * وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأنى بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال بلى أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه رأيت علياً رضى الله تعالى عنه فى المنام فقال لى ناولنى كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت أخاكاتبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من رأنى فى منامه فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأن رأسى قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بأى عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفى وأولوا رأسه ببنيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلى بن الحسين رأيت كأنى أبول فى يدى فقال تحتلك محرم فنظر وإذا هى بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه رأيت كأنى نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدرى فهالنى ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغى لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت اذا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة المؤمن بما له عند الله من الكرامة فى الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال تضرعت الى ربى سنة ان يرينى أبى فى النوم حتى رأيته وهو يسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألنى عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقى الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادى والستون فى الحيل والحدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر﴾

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضى الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال ألم تؤمنى قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك أمان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت منى أماناً ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولد بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الأقرع وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل * وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصرانى لو أسلمت فقال ما زلت محجما للاسلام الا انه يمنعنى منه حجى للخمر فقال أسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حد بنا لك وان ارتددت قتلناك فاخترلنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى ان ظهرت فيهم الحديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها فى مكانه فى عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذى أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعى اللهم ان كنت صادقا فلتدن منى السلسلة فدنت منه فسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعى وقال

ذلك الوصول ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك الى قبة يلبغا وقد طار بها طير الحمام وجثمت حولها تلك الاسود الضارية فتطيرت فى ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشية ودخلت بعد ذلك الى القبيبات التى صغر اسمها لاجل التحبيب فوجدتها قد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فأنشد به لسان الحال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ونظرت من بعد القباب الى المصلى وما فعلت به سكان تلك الخيام والتفت الى بديع بيوته التى حسن بناه تأسيسها وقد فسد منها النظام

فسال وقد وقفت عقيق دمعى

على أرض المصلى والقباب

ونظرت الى ذلك الوادى الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضاء فتوهمت أن وادى المصلى قد تبدل بوادى الغضا

فسقى الغضا والساكنيه وان هم

شبوه بين جوانح وقلوب

واصطلت النار وقد أرادت سبى ذلك النادى فشبت عليه من فوارس لهيبها الغارة وركضت فى ميدان الحمى فوجدت أركانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة فى موضع القصر وأصبح أهله فى خسر وكيف لا وقد سار واعبرة لاهل العصر وتأملت تلك الالسن الحمريه وقد انطلقت فى ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بالسنة الالسنة الاتراك فاذهل أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد تعرفه فى سورة الدخان

اللهم ان كنت تعلم انى رددت الجوهرة اليه فلتدن منى السلسلة فدنت منه فسبها فقال الناس قدسوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم عاد برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فارسلها ثم قال للناس انى لاجد فى مخلب الكتاب ورقى اليقين وا لصواب ان الله يمدكم بملائكة غضاب صعاب تأتى فى صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما فاكله فاختصمتا فى الصبى الباقى الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أشقه يانبى الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وحاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يانبى الله ان لى جيرانا يسرقون أوزى فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان أحدكم ليسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد وا ريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فارسلت اليهما أن يحضرا عندها الخضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم انها تؤثره عليه فاقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى على منه شئ وانى لاستدرك منه أدق من الحردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة * وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شاهخه ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار امام القافلة فنزل القوم فاخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغلة وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فاكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم * وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فاقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فحبى به بكوز زرماه بين يديه فارتاع أحدهما ورثبت الآخر فقال للذى ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهددته فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرى يجزع ولو تركك عصفورا لفزع منه * وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحد المستودع فاخبر بذلك القاضى اياسا فقال أعلم بانك جئتنى قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضى اياسا بعث الى ذلك الرجل فاحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لا يتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيى موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وبا صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالى والا شكوتك للقاضى اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فاخذه وأتى الى القاضى اياس فاخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعدان أخذ الرجل ماله منه بدا لى ترك السفر امض لشأنك لا كثر الله فى الناس مثلك * ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال أبرويز للداخل عليه ليقتله

فوجب أن أجرى الدموع على وجيب كل ربع وأنشد

وقد دخل صبرى بعد ان كان فى خبر
كان دمع جرى فقضى فى الربع ماوجبا
ووقفت أندب عرصاتها التى فجعت
بالبين فخابت من أهلها الظنون
وكم داروا بقصبها خيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدقت المثل بان القصب يدور ويجنى الى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحداد بن وقد ناداتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتون زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قطريرا أصبح المسلمون فيه من الخيفة وقد روا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكرت ما أشار به مولانا على المملوك من الاقامة بمصر فانشدت من شدة الكرب

آها لمصر وأين مصر وكيف لى
بديار مصر مراتعا وملاعبا
والدهر سلم كيفما حاولته
لا مثل دهرى فى دمشق محاربا

يامولانا لقد لبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما تقدم على نار ابن وسلة وامن الالسنة بألسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشفوا رائحة الغادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشكا الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا من هذا الامر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم فى كانون ولعمرى لو عاش ابن نباتة ورأى هذه الحال وما تم على أهل دمشق فى

انى لا دلك على شئ فيه هناك لو جوب حفك على قال وماهو قال الصندوق الفلانى فلما قاله ذهب الى شرويه وأخرج الحبر فاخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فولك من ساعته فكان ابر ويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله * ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد وتخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال ء قنى عاتق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن أنه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الى قيامه من المجلس * وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحرث بن كعب فانى ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرنى انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها * وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ماحملك على هذا فقال جعل لى جعل على ان ألطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة ابن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبى وجهنى عبد الملك الى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فقلت اغما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألنى عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبى فقال لله أبوه ماعدا ما فى نفسى * ولما ولى عبد الملك بن مروان أتاه بشر الكوفة وكان شابا ناظريفا غزلا بعث معه روح ابن زنباع وكان شيخا متورعا فقتل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى ان ان دخل بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعالك لاهل المغرب النعى
ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك * ومن الحيل الظريفة * ماحكى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون بجاه الحجاج بن علاط السلمى وكان أول من أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يارسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فأذن لى يارسول الله فى العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن له لعلى أخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أحتاج أن أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يستمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا العير مالله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندى من الخبر مايسركم قال فاحدقوا حولى ناقتى يقولون ايه يا حجاج قال ففتلت هزم هزيمة لم تسمع اعثلها قط وأمنز محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جمع مالى من غير مالى فانى أريد أن أقدم خيبر فأغنم من نفل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى هناك فباعوا معى فجمعوا لى مالى كا حسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف الى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ماهذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عنى حتى أقالك على خلاء فانى فى جمع مالى

كانون لتركك رثاه ولده عبد الرحيم وقال

يا لهف قلبى على وادى دمشق و يا
حزنى عليه و باشهرى و يا دائى
فى شهر كانون وافاه الحريق لقد
أحرقت بالنار يا كانون احشائى

ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة وستر وابرجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للحرب ومالها غير الارواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب فيها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا كشفها وهم فى رقعة الارض كانهم لم يعلموا بأن الطارقة عالية وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس فى الامحار وقد استيقظوا لحمل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فاعيد رواسيها التى هى كالجمال الشامخة بمن أسس رواسى المجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج وتطاولت الى السور الرامق وقد فضل فى علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فارتقفنا على باب الاوجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشكلات وما أحقه بقول القائل

فضائل السور لم تحد حائط
وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا

كما ترى فانصرف عني حتى اذا فرغت من جميع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ علي حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى أن يتبعوني فاكتم علي ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال لك على ذلك قال قلت والله ما تركت ابن أخيك الاعرو ساعلى ابنة ملكهم يعني صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولاصحابه قال أحق ما تقول يا حجاج قال قلت أي والله ولقد أسلمت وما جئت الا مسلما لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلته وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحرا لمصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم به جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا تفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوجل الحجاج بغطمته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله * ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا جاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد علمتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأي ثم أتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه قد بلغني أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه علي قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذي بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي منهم فنستأصلهم فارسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بني غطفان الى بني قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فأنا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليهم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذي حدثكم به نعيم ابن مسعود لحق فأرسلوا الى بني قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون

كم حملوا عليه وطنوا في طريق
حملتهم نصرا ونصبوا دست الحرب
ولم يعلموا بأنه قد طبع لهم على كل
باب قدرا فلما وأبيك لو نظرته يوم
الحرب قد تصاعدت فيه أنفاس
الرجال لقلت ونفخ في الصور ذلك
يوم الوعيد والى المحاضرين وقد
جاؤا ارجلا وفارسا يشهد القتال
لقلت وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد والى كواكب الاسنة وقد
انتثرت والى قبور الشهداء وهي من
تحت أرجل الخيل قد بعثرت والى
كرا الفوارس وفرها لقلت علمت نفس
ما قدمت وأخرت والى نار النقع وقد
تقطعت من غيضها والذكور
السيوف وقد وضعت لمنايا السعود
وتعذرت من شدة الدماء الكثيرة
حيضها

ومن العجائب أن بيض سيوفهم
تلد المنايا السود وهي ذكور
والى فارس الغبار وقد ركب صهوات
الجو ولحق بعنان السماء والى
اهداب السهام وقد بكت المتحضبة
بالدماء والى كل هارب سلب عقله
وكيف لا وخصمه تابع والى كل
مدفع ماله عند حكم القضاء دافع
والى قامات أقلام الخط وقد صارت لها
في طروس الاجسام منسق
فاستصوبت عند ذلك رأي من قال
عرج ركابك عن دمشق ونظرت
بعد ذلك الى العشير وقد استحل في
ذي الحجة المحرم وحمل كل قيسي
عيانيا وتقدم فخرج النساء وقد
أنكرن منهم هذا الامر العسير
وغير بدع للنسا

اذا تنكرت العشير

وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر
فودته بالاخلاص وزدت لله شكرا
وحمدا وتأملت أهل الباب وهم

القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى ان ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

﴿ وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الامور ﴾ فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا على أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقولون متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته (وروى) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا بالبقيع قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا قال فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن وائتنى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى الى المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا فعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيأ من أمور المسلمين ينبغى له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسؤل ومتى تغفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله تعالى عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقى من البرمة وفى غدائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يحرس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حسا بشا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قد أمامه اناء فيه خمر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضرب عليك خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فى واحدة فانت قد أخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى ولا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت ولم تسلم فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن

يتلون لاهل البلد فى صورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت الى ما تحت القلعة من أسواق النجار فوجدت كلا قد محت النار آثار وأهله يتلون قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فمنهم من هم شأنه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فوقفت أنشد فى تلك الاسواق وقد سعرت * ألا موت يباع فأشتريه ونظرت الى المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من ترك فى بيوتهم أخدودا من وقود النار وقعد لحرهم فى ذلك اليوم المشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود هذا وكم مؤمن قد خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاضطرار ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ونظرت ضواحى البلد وقد استدت فى وجوههم المذاهب وما لهم من الضيق مخرج وضاقت عليهم الارض بما رحبت لما غلق فى وجوههم باب الفرج قلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولعدم أموالهم من كل عسير يسرا ولانتهاك محذراتهم من كل فاحشة سترا ولقطع الماء عنهم الى كل خير سبيل فانك حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم نظرت الى سماء ربيع غربت شمسه بعد الاشراق فأنشدت وقد ازددت كربا من شدة الاحتراق

أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه في حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الي وأنا أعرف بك منك بنفسك والله اني لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التي عليك وهي لفلان وقد أعارك اياها فهبت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم هو عبد الملك بن مروان والحجاج لم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثاني خلفاء بني العباس ولي الخلافة بعد أخيه السفاح وهي في غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث في البلاد والنواحي من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات وقد ابتلى في خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمرد واعليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره مائبت له في الخلافة قدم ولا رفعه له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم بأسيافه وكان لكل يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعالج المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فدلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها وتتبع الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة الازدي قال دخلت مع الجند على المنصور فرأيت ابني فلما خرج الجند أدناني وقال لي من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال اني لأرى لك هيبة وفيك نجابة واني أريدك لامر وأنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت اني لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضرني يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لي اعلم ان بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان قرية كذا يكاتبونهم ويراسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندي والطافا وكتبا واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ريقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيرني مراراسير وامعي الطافا وعينا وكلما جهلك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله ابن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها وانهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وان معي ألطافا وعينا فأنس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتابا فلا أكتب الى أحد ولكن ائت كتابي اليهم فأقرئهم السلام وأخبرهم أن ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته بذلك فقال لي المنصور اني أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقاني بنو الحسن وفيهم عبد الله فاني أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدي رقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدرحتي تقف من ورائه وتغمز ظهره بابهام رجلك حتى يلا عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فأجلس عبد الله الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما أعطيتني من العهود والمواثيق انك لا تريدني بسوء ولا تكيدني لسلطاننا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدي عبد الله بن الحسن فأعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم أقتلك ثم أمر بحبسه

فديناك من ربع وان زدتنا كريا
فانك كنت الشرق للشمس والغريا
وانتهيت الى الطواقيين وقد أسبل عليهم الحريق شدته فكشفوا الرؤس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بغير مكشوف ورمت العصائب وبعلها بعينه فاثر هذا وكم ناعدات أسبلن من فوق النهود ذوائبا
فتركن حبات القلوب ذوائبا
ووصلت الى ظاهر الفراديس وقد قام كل الى فردوس بيته فاطلع فرآه في سواء الجحيم واندهشت لتلك الانفس التي ماتت من شدة الخوف وهي تستغيث للذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ونظرت الى ظاهر باب السلامة وقد أخفت النار أعلامه وقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال بالصحة والسلامة والى الشلاحة وقد لبست ثياب الحزن وذابت من اهلها الكبود وقعدوا بعد ذلك الربوع على أديم الارض ونضحت منهم الجلود ولقد والله عدمت لذات الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست فلم ترق الى دمعه وأكلت الانامل من الاسف لما سمعت بحريق أطراف السبعة فاعيذ ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتغربت الى ظاهر الباب اشرقي فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله من دار عينه وكرومه الكريمة في جنتين من نخيل وأعناب وتوسلت الى ظاهر باب كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الازهار والدراهم رياها وسمعت بعد ذلك بالعين واستخدمت

وجعل يتطلب ولده محمدا ابراهيم ويستعمل أخبارهما * قال علي الهاشمي صاحب غدائره دعاني المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول لها ويلك أصدقيني فوالله ما أريد الا الافة ولئن صدقتيني لأصلن رحمه ولأتبعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال ما دواؤها مثلها قالوا شم الطيب وهب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتجسكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع بها يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما اصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من الغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم

(حرف الهمزة)

(الاسد) من السباع والانثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحارث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الأبطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع * منها ما وجهه وجه انسان ورشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتتفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عينا ومغلقة سبعة أيام ثم يفتح ويقيم على ذلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكالب الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعند مشرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذلك لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعند شجاعة وحين يكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفزعه صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أن لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين الفهر وعين السنور وعين الأفعى * وروي أنه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الاسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أي شيء ترتعد فقال والله ما نحن وأنت الا

فقلت بسم الله مجراها وكارت الى أطراق الباب الصغير فوجدت فاضل النار يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فيا لها في على عروس دمشق التي لم تذكر محاسنها سماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستبعدها ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرام وفطم جنين نبتها عن رضاع ندى الغمام فاستقيت لها بقول ابن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأيامها مضت فيها * مواطر السحب سار بها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن في احشا رواضيها
فما نضاحبها قلبي لنيرها * ولا قضى نحبه ودي لواديها
ولا تسلبت عن سلسال ربوتها * ولا نسيت مبيتي جار جاريها

هذا وكم خائف قبل اليوم آوى بناءها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعدما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنسل لما انقطعت أوتارها هاره فلم يبق له مغنى وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى واستمع الناس من قال

انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده * في الروض بين الجلنك والدف

وأصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الحضل والنسر عسيره ولقد كان أهلها في ظل عمد وده ومياه مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير توبة عطره الباسم ولم ينتظر زهره المنثور على ذلك الوشي المرقوم رسالة من النسيم مصريه

سواه فقال ان محمدا دعا علي والله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الأسد يتمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو يأخر ويقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الاسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جرى على الاقران للقرن قاهر
برائنه شثن وعيناه في الدجى * كجمرا الغضى في وجهه الشر ظاهر
بديل بأنياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

﴿فائدة﴾ اذا أقبلت على وادمسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ماقيل ان بختنصر رأى في نومه أن هلاكه يكون على يدي مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرب له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يصيحان حوله ويلحسانه فأقام ماشاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرميا بالشام أن اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرميا فصرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب نادينه فعرفني فقال من أرسلك الي قلت أرسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو نعمنا حين تسوء ظنونا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحبل عنا قال ثم صعد به أرميا من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكي) أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شيء (وحكي) أن ابراهيم بن أدهم كان في سفر ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا * وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا اليه العذرة فأمر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفأر فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فأمر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فجعل الفار عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (خواصه) من خواصه أن صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحمل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غير من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ماذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت وفي الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهي من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمي وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض جبال دهن هرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماؤه قليل وماؤه كثير جعل الله تعالى له صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفي الحديث لا تسموا الابل فانها من

وكيف لا وقد حمى جميع المطوق
من طروس تلك الاوراق النباتية
هذا وكم عروس روض سور
معصمها النقش فلما انقطع نهرها
صح أنها كسرت السوار وكم دلاب
نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم
بالقضب وعطلت نوبته من تلك
الادوار فوقفت اندب ذلك العيش
الذي كان ذلك التشبيب موصولا
وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة
المطربة الى مغنى الربوة دخولا
لا أشيب بالعيش الذي انقرضت
أوقاته وهو باللذات موصول
ونقص مزيد فاحترق ولا يتكسر
ليزيد الحريق على صنعه وانقطع
ظهر ثور فأهلك الحرث والنسل
بقطعه وذاب بردي وحمى مزاجه
لما شعر بالحريق ولم يبق في ثغره
الا شنب برد حصبائه ما يبلل الريق
وانقطع وقد اعتسل من غيضه
بانياس ولم يظهر عند قطعه خلاف
ولا بان آس وجرى الدم من شدة
الطعن بالقنوات وكسرت قناة
المرجة فذاقت مرارة العيش بعد
حلاوة تلك القطوف الدانيات
وكسرا لخلخال لما قام الحرب على
ساقه وسقط رأس كل غصن على
الجبهة فهاجت البلابل على
أوراقه وخرنهر رحص خاضعا
وتكدر بعدما كان يصفي لناقله
وافتقر اغنياء غصونه من حبات
تلك الثمار فصار والا يملكون حبه
طالما كان أهله فاكهين ولكنهم
اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا نخوض
مع الخائضين وذبلت عوارض
تلك الجزيرة التي كانت على
وجنات شطوطه مستديرة فقلنا
بعد عروس دمشق إو حماتها
لا حاجة لنا بحمص والجزيرة
فيالهفي على منازل الشرف وذلك
الوادي الذي نعق به غراب البين

و ياشوقي الو رأس تلك المرجة التي
كانت تجلسنا قبل اليوم على الرأس
والعين هذا وقد اسودت الشقراء
فأمست كابية ما حصل على ظهرها
من الجولان وجانسها العكس
فاضحت باكية على فراق الابلق
واخضر ذلك الميدان يا مولاتا لقد
بكى المالوك من الاسف بدمعة
حمراء على ما جرى من أهل الشهباء
هل في الميدان على الشقراء حتى
كذب الناس من قال

قل للذي قاس بين حلب
وحلق يمقتضي عيانها
ما تحق الشهباء في حليتها
تعثر الشقراء في ميدانها

فقال لسان الحال والله ما كذب
ولكنه قد يخون الزمان وقد يكبو الجواد
وقد يصاب الفارس بالعين التي
تغمز قناته ويمز واتشد

ومن ظن ان سيلقى الحروب
وان لا يصاب فقد ظن عجزا

ودخلت بعد ذلك الى البلد فوجدت
على أهلها من درع الصبر سكينه
فعلمت يارب مكة والحرم انظر الى
أحوال أهل المدينة ولكن ما دخلت
بها الى حمام الا وجدته قد ذاق
لقطع الماء عنه حماما وعلمت قوام
والقاعدون بأرضه انها ساعت
مستقرا ومقاما وتلى على بيت ناره
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على
ان أنشد قول ابن الجوزي (من
كان وكان)

الجار عندك بارد
والنهر أمسى منقطع
والعين لا ماء فيها
ما حيلة القوام

وأتيت بعد ذلك الى الجامع الاموي
فاذا هو لاشتات المحاسن جامع
وأتيته طالبا البديع حسنه فظهرت
بالاستضاءة قوة الاقتباس من ذلك

نفس الله تعالى أي عما يوسعه على الناس حكاه ابن سيده والذي يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس
الرحمن قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان ليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء
خلقه فيظهر زبد وهو يقل رغوة وفلوحل عليه لانه أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه
شقشقة لا تعرف من أي شيء هي من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لا يتزوج على أمه ولا على أخته
حتى قيل ان بعض العرب سترنا قة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد
على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر همه وقيل يوجد على كبده شيء رقيق يشبه المرارة ينفع
الغشاوة في العين كحلا وفي معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما
تحريم يعقوب عليه الصلاة والسلام أكلها فاجتهاد منه رذلا انه كان يسكن البوادي فاشتكى عرق
النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها * وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف
العلماء في ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبي وابن عباس
وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعي وأبو حنيفة
وأصحابهم وخالف في ذلك أحمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي وهو مذهب
الشافعي القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه زيد في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق
السكران وورمه اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارنبة)
بفتح الهمزة والراء وبينهما نون ساكنة وبعدها موحدة صغيرة كنصف العدسة تأكل الحشيب والورق ولما كان فعلها في الارض أضيف
اسمها اليها قال القزويني اذا أتى على الارنبة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة
التي دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها انها تبني لنفسها بيتا من عيدان
تجمعها مثل بيت العنكبوت مخرطا من أسفله الى أعلاه وله في احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم
الاوائل وضع الاواوين لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتي من خلفها ويحتملها ويمشي بها الى
جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يطيقها (الارنب) حيوان شبيه الغنال قصير اليدين طويل الرجلين يطأ
الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة تشبق وربما تسفد وهي حبلى
ويكون عاما ذكرا وعاما أنثى * ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة
فيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أو ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه راصطبح به لم تقض له حاجة
في ذلك اليوم ومن عجيب أمرها أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا
على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفر الغويبة حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها
ينتحل شعرها وهي تحض الاولاد الى عشرين يوما ومزاجها طبيعة انها له وفيه قوة وشدة وفي سفاده سالة تزوه
يصرخ الذكر وراء أنثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدير له
وجهها فاذا ملكها بعد ذلك فانها تجري به وهو راكب عليها يجري معها ﴿فائدة﴾ ذكر ابن الأثير في
الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج * وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها
الثعلب فأكلها فنطا لقا يتخاصمان الى الضب، فقالت الارنب يا أحسل فقال سمعا وعوت قالت أتيناك
لتحتصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة حلوة قال فكليها
قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغي الخير قالت فلطمته قال بحقن أخذت قالت فلطمني قال اقتص
قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقوالة أمثالا (ومن ذلك) ما حكي ان عدي بن ارطاة أتى شريحا
القاضي في مجلس حكمه فقال له أبن أنت قال بيننا وبين الحائط قال فاسمع مني قال لا استماع جلست
قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم
بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملأ قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال فاقض بيننا
قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص)

قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد ان شربت المرأة الحامل أنحنحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنحنحة الانثى لدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والأرنب البحري من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت ومليحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضع منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان ومن أعجب ما يحكى عنها انها الدغت انسانا في رجله فانصدعت جبهته ﴿وحكى﴾ انها نهشت نائمة فصيلها بر نصفات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فما له نهم قال صف لي أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هي دقاق الاعناق صغار الاذناب مقلصة الزؤر رقش برش كأنها كسين إعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تدفن في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أطلمت عيناها فتمر بشجر الزاج وهو الشمراخ فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشري اذا عمرت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتي البساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطعت ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهي أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها في كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ انما الذي ينسلخ قشر فوق الجلد وغلافي يخلق لها كل عام وهي تبيض عدد أضلاعها أي ثلاثين بيضة ويجتمع عليها الذمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا

ومن عجيب أمرها انها ترد الماء ولا ترد ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها انها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم في الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأي جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها الادرة واذا قلعت عادت ﴿ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفر به بالنار وتقرب منها وتحب اللبن جدا شديدا واذا دخلت بصدرها في جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوي قال كنا في طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطارا فجاء على أحدهما ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذوني جعلوني في أواخر بيوتهم فمكثت في حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك اذ أتوا يوما بأفاعي اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها وبعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلي ان أكلت منها لم تضرني فاستطعمتهم فأطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واذا دفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم ما كولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت وو ثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى وانما وجد في زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا في بعض متفرجاته اذ مرت به حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذي يشتكي وأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذي تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنحسها بعضهم برمح فقتلها

النور الساطع وتمسكت باذيال حسنه فما نشقت تلك النفحات السحريه وتشوقت الى النظم والنثر فما نظرت الى تلك الشذور الذهبيه وآنست من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حتى واندهشت لذلك الملك السليماني وقد زها بالبساط والكرسي وقلت هذا ملك سعد من وقف في خدمته خاشعا وشقي من لم يدر بساطه ويأته طائعا ولقد صدق من قال

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق
وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتعالى بالجوامع معشر
فقل لهم باب الزيادة مفتوح

معبد له قصبات السبق ولكن كسرت عنه قطع الماء قناته ورأيته في القبيلة من شدة الظما وقد قويت من ضجيج المسلمين اناله وخفض النسر جناح الذل وود بأن يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش لذلك الناظر هذا وكم نظرت الى حجر مكرم ليس له بعد اكسير الماء جابر واختفت نجوم تلك الاطباق التي كانت كالقلائد في جيد الغسق ومرت حلاوة نارها بعد ما ركبت طبقا عن طبق وأصبح دوحة وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلمت لفقد الماء ان تقطع السلاسل ولم تشر الناس بأصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبة ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة بعد الماء وحلاة سكبه الطبيعة وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضه وأنشد لسان حاله

لوان مشتاقا تكاف فوق ما
في وسعه لسعى اليك المنبر
وودت العروس ان تكون مجاورة

وتركوها ورجعوا فأخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفي فمها بازرفيرته بين يدي الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوها في الأرض لننظر ما يكون من أمره قال فقعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ ﴿لطيفة﴾ من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا في ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت في سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذي خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر في داخلها فاذا هي مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن ألطف ما اتفق له أيضا) انه كان بذلك البلد خياط أطرش وكان الملك الذي قبله قد أودع عنده وديعة مال فقال فطلبه عماد الدولة يخيطه له على عادته لانه هو الذي يخيط للملوك قال فتوهم الاطرش أنه تمم عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدي عماد الدولة قال له ان فلانا الملك ليدع عندي سوى اثني عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فاذا أمر باحضارها فأحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة * وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فلانذارهما متعين وفي الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فليبتدئ بيمناه ومن آوى الى فراشه فلينفضه (الحواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الأوجاع للاوجاع والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غداؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمري (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الحواص) في جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلي به ولسانه ينفع لقطار البول وغداؤه جيد وأما أنه يطفئ الهضم (الابل) بتشديد الباء المكسورة ذكر الوعل ولبنه أسماء باختلاف اللغات وهو يشبهه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفي (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتي لهم وهو ولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع تؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذي يسمى بالبنزهير الحيواني وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه المسلوع في فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان في أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كالحلتين ثم بعد ذلك يلقيهما في كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشعلونه بذلك ويأوونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مهما تحامل عليه من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذي يزيد في السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حكم أكله (الحواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التي فيه واذا أحرق واستنشق به الذي به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شيء منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التي بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿حرف الباء الموحدة﴾

(بازكنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال النووي انها لا تكون الا

لحماتها التبل ريقها برحيق الامن اذا نظرت الى عاصي الحميدية وقد دخل جناتها ونظرت الى فوارة أبي نواس وقد انقطع قلبه بعد ما كان ينبض ويتحرر أو كاد أن ينشد من شعره ولعدم الماء ألا فاسقني خمرا ودخلت الى الكناسة وقد علا بها غبار الحزن فتنهدت من الاسف على كل ناهد ورثيت للنساء وقد فقدت بعدك تلك الانعام المائدة واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الاكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم في هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استعدوا بسهام من الادعية أطلقوها عن قسي الركوع مريشة بالهدب من جفن ساهر متصلة أطرافها بدموع ونظرت الى الربان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظمأه وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين الطريق الى باب المياه ومشيت بحكم القضاء الى الشهود فوجدت كلا منهم قد راجع سهاده وطلق وسنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسنه وتزلت في ذلك الوقت من الساعات الى الدرج في دقيقه فانتهيت الى مجاز طريق الفوارة فوجدته كأن لم يكن له حقيقة كم وردته وهو وكأنه سنان يطعن في صدر الظمأ أو شجرة كدناء تقول انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها في السماء أو مغترف بيده الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضا أو عمودا وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كأن اكليل الجوزاء له

أنثى وذكرهما من غيرهما اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما * ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيدما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجوغليظ الذراعين مع قصر فيهما ﴿لطيفة﴾ من عجيب أمره ان الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فأحضر الرشيد الماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لما اجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالبة) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهى تظهر فى بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طفوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وراد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق بأذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هى أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه أهدى لعز الدولة دررة ببغاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بج) طائر لطيف يأوى أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنتين فقط (براق) هو الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربى وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضى الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من عمل هذه الحيلاء وليركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق فى ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطى
تمشى الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطى

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الماء وتضم وكنيته أبو طمار وأبو عدى وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه ﴿وحكى﴾ انه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطول السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما فى الاماكن المظلمة وسلطانه فى أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتى أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقى على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشى تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقلى نوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس فى ذلك فقال أبدا بالفرسان رأكر على الرجالة وأنشد اعرابى

من خيلة الودائع أو أبيض طائر علا
حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم
الثواقب أو شجاع ذو همة عالية
يحاول ثارا عند بعض الكواكب
تخفض لفقد الماء مناره وخفى بعد
ما كان به أشهر من علم رجدع أنفه
وطالما ظهر وفى عرنينه شمم فقلت
لست أنسى الفوارس وهو ينادى
غيض مالى وعطل الدهر حالى
فتمنيت من لهيبى مالى
أشترى غيضه برزقى ومالى
فلا والله ما كانت الا أيسر مدة
حتى رجع الماء الى مجاريه وابتسم
ثغر مشقى عن شنب الرى بعد
ما نشف ريقه فى فيه هذا وقد خمدت
نار الحرب وقعدت بعد ما قامت على
ساق وقدم وبطلت آلتها التى
كانت لها على تحريك الاوتار
وجس العيدان نغم واعتقل الرمح
بسجن السلم وعلى رأسه لواء
الحرب معقود وهجعت مقل
السيوف فى جفانها الما علمت ان
الزيادة فى الحد نقص فى المحدود
وفاضت غدران الرحمة على رياض
الامن فظهرلها من المسرة نبات
حسن فالحمد لله الذى أذهب عنا
الحزن * وبعد فالمعذرة من فهاهة
هذه الرسالة التى هى فى رياض
الادب باقليمه والصفح عن طولها
وقصر بلاغتها بين يدى تلك
المواقف السحبانية وليكون محمولا
على متن الحلم كلامها الموضوع
فقد علم الله انها صدرت من قلب
مكسور وفؤاد مصدوع وذهن
ضعيف وليس لكثير ضعفه عاصم
ولا نافع وراحلة فكر أمست وهى
عند سيرها الى غايات المعانى ضالع
فسيروا على سيرى فانى ضعيف كم
وراحلتى بين الرواحل ضالع

(هذا) وكم تولد للملوك فى طريق

ليل البراغيث أعياني وأنصبني * لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي إذ خلون به * قضاة سوء أغاروا في المواريث

﴿وقال أبو الرماح الازدي﴾

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن * بوادي الغضى ليلي على يطول
تؤرقني حدب قصار أذلة * وإن الذي يؤذيه ليس يزيل
إذا جئت بعض الليل منهن جولة * تعلقن في رجلي حيث أجول
إذا ما قتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا ينسى لهن قتيل
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

﴿وقال ابن أبيك الصفدي﴾

أشكو إلى الرحمن ما نالني * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا * أني تفتعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فإنه أيقظ نبيا إلى صلاة الفجر ﴿فائدة﴾ سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال الله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الأنفس حين موتها * ولقد شكا عامل افريقية إلى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب إليه إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقرأ رمالنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن إسحق الحيلة في دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به في البيت فإنها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق في البيت مع قشور النارنج ﴿بعوض﴾ قيل إنه على خلقة الفيل إلا أنه أكثر أعضاء منه وإن للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فإذا طعن به جسدا نسان استقى الدم وقد في به إلى جوفه فهوله كالملعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى إنه إذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فإنها أرق وأسرع له في اخراج الدم وعنده شره في مصه حتى قيل إنه لا يحس شيأ فيتركه باختياره إلى أن ينشق أو يطار * ومن عجيب أمره إنه ربما قتل البعير وغيره من دوات الأربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وإنها إذا طعنت في ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها قوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تنل فيه البعوض
يملله فليس له قرار * ويمنعه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأن حين تهدي بالأفاعي * تكرر في مسامعنا العروض

ومن الحكم التي أودعها الله تعالى إياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخارج وقاوعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشري في تفسير سورة البقرة في ذلك

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم في أوداجها * متنقلا من مفصل في مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * في ظلمة الاحشا بغير تمثل
ويرى مكان لوطء من أقدامها * في سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها * في قاع بحر مظلم متهوّل

الرمل من عقله وحكمه ذاق من قطاع الطريق انكادا حتى ظن انه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع وصله وكاد ان يعقى عليه غراب تائه لسهام البين وقد مصر التي هي نعم المكان هو نشد وقد تصير في الرمل لفراق ذلك التخت الذي أعز الله سلطانه

من زعفة الغراب بعد الملتقى
فارقت مصرا وبها أحبابي
وفي طريق الرمل صرت حائرا
مروعا من زعفة الغراب

واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام فمشى الحال ومشى الاستقبال فوالرحمن ما وصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال وحصدوا سنبل الرشاد فدرست فلا أعيد لعيد حريم دروس وأدار وارحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال

من كل عاد كعاد في تجبره
من فوق ذات عماد شادها ارم
لا يجمعون على غير الحرام اذا
تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك الى انه شالح بقرب الكسوة في الشتاء وانتظرت ملك الموت وقد أمسيت

لي مهجة في النازعات وعبرة
في المرسلات وفكرة في هل أتى

(هذا) والليل قد انطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لو كان في قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم فخرج ولم يجد له تعديلا ولكنه صبر على الالم بعدما كاد يدمى من الوهم ولم يلق مجيرا لما قوى أله وضعف منه الحيل الا أنه دخل تحت ذيل الليل فوصل الى البلد

امتن على بتوبة تمحو بها * ما كان مني في الزمان الاول

﴿بغل﴾ معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن علي كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع في نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشهر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الحواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكر ﴿بقر﴾ حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهي أكثر ألبانا وكل حيوان أنثاه أرق أصواتا من ذكوره الا البقر وأنثاه يضربها الفحل في السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل ﴿عجيبة﴾ حكى في الاحياء ان شخصا كان يقرو وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الاودية وهي واقفة ترعى فرعليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التي كانت تخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها ﴿فائدة﴾ ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب بن منبه انه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يديه من المشرق ويديه من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن له صخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذن وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق ﴿الخواص﴾ شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلي به اناء اجتمعت السراعيث اليه واذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلي به على الاثر الاسود في البدن أزاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فانها تزيد في الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل افراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في اشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام في يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فالقها في الماء فالراسية للنوم والطافية للنقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدث بجميع ما فعلته في نومها ﴿بوقير﴾ طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيئا فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل

وقد رؤي يومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له في رقعة الحرب غير الفرس والنفس ولكنه أنشد

ما تفعل الاعداء في جاهل

ما يفعل الجاهل في نفسه فأعاذك الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة وبدأ به في الدنيا ببراعة الامن وفي الآخرة بحسن الخاتمة ﴿قلت﴾ قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشاء ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين ان أذكر بعد ذلك ما يحتاج اليه المنشئ الكامل الادوات من المحاسن اللائقة به وبالله المستعان ﴿قال أبو حيان التوحيدي﴾ يجب على المنشئ أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وان يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشاكل المعاني عارفا بما يحتاج اليه ماهرا في نظم بديع الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام ليس قي الدواة حاد السكين متوددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رقيق الحواشي ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضرة مليح النادرة غير قنف ولا متجرف ولا متكلف الالفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة ﴿آداب الكتابة﴾ روى الشعبي أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بني اسرائيل وفيها قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها

بالغرب من بلد تمارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي أنثى في ذكر اذا أطبق فمه على شيء لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد بحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع الى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح انه له ستون نابا وستون عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ انثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب لبيوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويقاتل التمساح ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل في جوفه ذاب ما عليه في سخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله

(التواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى للعين واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر في أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها في النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكفر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

(حرف الثاء)

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق *فمن ذلك انه يتماوت ويتفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد * ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه يأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فيه ونزل في الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع في تلك الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج وفروه أدفأ الفراء وفيه الابيض والرمادي وغير ذلك * وذكر في عجائب المخلوقات انه أهدي الى أبي منصور السهاني ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد الصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزي في آخر كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم في حلية الاولياء عن الشعبي انه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فأعلمني فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الاسد أين كنت يا أبا الفوارس قال

(وروى) ان فصل الخطاب الذي أعطى داود عليه السلام أما بعد
(وروى) أن أول من قالها كعب بن لؤي وهو أول من سمى يوم الجمعة
(وعن) جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فأتربهما ولم يترب الآخر فاسلمت القرية التي أتربهما (وقال الحسن بن وهب) كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يليق به وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) في تذكرة الوداعي ان القاضي تاج الدين بن بنت الاعز كان اذا كتب كتابا بدأ في ترسله بالبسملة لتهم بركتها سائر الكتاب ورمله ويخزن ذلك الرمل ويحترز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) في قوله تعالى انى ألقي الى كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه (والعنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الاثر وهو أثر الكتاب ممن والى من هو كما قيل

*فخطوا بأسفط عنوان السجود به *

(والقلم) لا يقال له قلم الا اذا برى والا فهو أنبوبة (ومن بديع ما سمعته في وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الامدي منقول من خط الوداعي تمشي البراعة والمداد وراءها

ظل على شمس الطروس ينوء ع
عوض الغواني لو تلوح لمسلم

هذي المعاني راح وهو صريع

كنت أتطلب لك الدواء قال وأى شئ أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعد قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فربه الذئب فناداه ياصاحب الخلف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات * وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يتقاسمون فقال الاسد للذئب أقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغدى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث يتنقل به فيما دلك فقال له الاسد لله درك من فرضى ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمنى التاج الاحمر الذى ألبسته هذا وأشار الى الذئب ﴿وحكى﴾ أن الثعلب مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلى جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتى لنصلى فقال انتقض وضوئى فاصبر حتى أجدد لى وضوأ وأرجع * ومن العجيب فى قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى أتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا تركت فى برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبى يحسن خلقه ومرارته يجعل منها فى أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبى تنبت أسنانه وفروه أنفع شئ للربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ ﴿ثعبان﴾ هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو يجيب الشأن فى هلاك بنى آدم بلتوى على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا الشمس ولولا النموس لاكلت الثعابين أهل مصر * (لطيفة) * قيل ان عبد الله بن جدعان كان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يقتل ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد فى صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب على فيقتلنى وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال باليه على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفى وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يارسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا انه لم يقل رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين

(حرف الجيم)

*(جراد) * حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما هاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور وضربها بذنبه فتفرج له فيلقى بيضه فيها وله ستة أرجل وأطراف أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبارة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أبل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذى ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا طعن أميره تتابع خلفه وفى الحديث ان جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا جميعا فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك فى بعضها وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها فى

لو لم تكن ألفاظه خطبة
ماراح مرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بو جنة طرسه
فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيخى الخطاب لنطقه
فى المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كأيمان وقضاهى العصا
فغدا يروق بفعله ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا
حاكته فى حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور
والطل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه
هذا يضئ به وذاك يضوع
(وقال فيه وأجاد الى الغاية)
ليمناه ذو طرف كخيل اذا بكى
تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا
وقد راح مشقوق اللسان متى يرى
بثغر الدوى المعسول أبدى اللمى العذبا
(وقلت من قصيدة تراثية)
له يراع سعيد فى تقلبه
ان خط خطا أطاعته المقادير
محبر وبتحبير العلوم اذا
جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة
وجانس النور من أوراقه النور
وأشقر يده البيضاء غرته
له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء تلحظنا
وهدب أجفانها تلك التشاعير
أو سهم علم بأطراف السطور غدا
مريشا وله فى الصدر تأثير
كذا محاجره سود العيون فان
دانت أياديه فهى الاعين الحور
(ويعجبنى قول الشيخ شمس الدين ابن المزين فى الدواة)
أيا دواة يضحك الجود من
بكاير اهى جل من قدير اه
دلواعلى مثلى من شفه
داء من الفقر فانى دواه

(وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ)

كأنه الفضل دواتي ولمها
سهم براها نصله نفاذ
واسمر الخط لديها قاصر
لانها على الحمى فولاذ

(قلت) ويتعين بعد وصف أقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشأوا في وصف السيف والقلم وما ألموا بها وهي أحق بذلك من غيرها لقربها من القلم وقد تقدم ان أباطاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهاني انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين بن نباتة انفرد برسالة السيف والقلم وقد انفردت برسالة السكين (وهي) يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عناه مكروه الفقر بسنون عزائمها وينهى وصول السكين التي قطعيها أوصال الجفا وأضافها الى الادوية فصل بها البر والشفاء والله ما غابت الا بلغت الاقلام من تعثرها الى الحفاز رقاء وكم شاهدت منها البيض ألوان خرساء ومن الهجائب أن لها لسانا لكل عنوان ما شاهدها موسى الا سجد في محراب النصاب وذل بعد ما خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط وعلى الحقيقة ما روى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب في المضايق نفعا وحكم بصدق محبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة من الطرفين أغلة صبح تقمصت بسواد الدجى ولسان برق امتد في لمولمات الليل فتنكرت اشعة الانجم حتى ما عرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذا لم يتجاوز في عروض ضربها الجد ومعلوم ان السيف

البحر وآر بعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه ان الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول

(جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر فقال فلعنه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما أخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فامر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها أن جرا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي فقال لعله حدث في البيت شيء فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي فقالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير ﴿عجيبة﴾ حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو أخذ لفعل في يوم كذا وصار يعد أفعاله لها فقالت له ان صاعقة لم يتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فاخبره بذلك فقال أظنها العينة كانا يلعبان بها قال جرو وكلب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفرين بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به النبي فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى

(جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعفران والزعقوق بعض البهائم في وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكاد أن يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوي على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصياد في أشراكهم (غريبة) قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فربي تاجرا فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقتله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهد الى أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الحواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا سعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الا خطفا وفي طبعها أنها تقف في الطيران وهي أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لا تأكل

أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفي طبعها أنها لا تخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهي سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب (عجيبة) روى الحافظ النسفي في فضائل الاعمال أن عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فاخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسي على الارض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب ياسامع الاصوات ياعجيب الدعوات ياقاضي الحاجات أكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فاذا بحمد أقد طرحت كيسا أحمر فقمت فاخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة في قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لي عقارا وتزوجت (الحواص) مرارتها تجفف في الظل وتنقع في اناء زجاج فمن لسع قطرمنها في ذلك الموضع واكتحل مخالفا لجهة اللسع ثلاثة أميال أبرأته وسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع في بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السهلة ورأسها تشبه رأس الجمل اذا رأت الانسان انتعشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كفين كثيرة منها أم قرتو يقال لها جمل اليهود وهي أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت في كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل تخود ذراع وهو مطوي في حلقها فلذلك تخطف به مابعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشري بريدك ان الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها انشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا انشرت أجنحة احسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ مرأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء

(حمار أهلي) معروف ليس في الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس وتزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو بحش وغير ذلك وهو أنواع منه ماهولين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق (لطيفة) في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبي ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبني وأنا عند يهودي يجيع بطني ويضرب ظهري وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفور وقال له أنشتهي الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضي حاجته فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلي في التعريف والاعلام وللناس في ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض *فمن مدحه أن أبا صفوان وجد رجلا كباعلى حمار فقيل له في ذلك فقال عير هني من نسل الاكراد يحمل الرجل ويبلغ العقبة ويمنعني أن أكون جبارا في الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبي يسارة مثلا في الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من مني الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة *ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لاتركبوا الحمار فان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغي لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال اعرابي الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث مريع الى الغرارة بطيء في الغارة لا توثق به الدماء ولا تعمر به النساء ولا يحلب في الاناء قال الزمخشري

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك

والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد
من اجلنا تدخل في مضايق
ليس لسيف قط فيها مدخل
وكلما تفعله تو جزه

والرمح في تعقيده يطول
ان هيجت حقتها كانت أمضى من
لطيف وكم لها من خاصة جازت بها
الحد على السيف تنسى حلاوة
العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغني
عن آلة الحرب بايقاع ضربها
الداخل ان مرت بشكاها المحلى
تركب المعادن عاطله ولم يسمع
للحديد في هذه الواقعة مجادله شهد
الرمح بعد النبه انها أقرب للصواب
وحكم بصحة ذلك قبل ان يتكامل
لها النصاب ماطال في رأس القلم
شعرة الا مرحتها باحسان ولا
طالعت كتابا الا أزالت غلطه
بالكشط من رأس اللسان تعقد
عليها الخناصر لانها عدة وعده
وتالله ماوقعت في قبضة الا أطالت
لسانها بكلمات بحمد ان أدخلت الى
القراب كانت قد سبقت على
الدخول أو أبرزت من غيمه كان
على طلعتها الهلالية قبول تطرف
بأشعتها الباهرة عين الشمس
وباقامتها الحد حافظت الاقلام
على مواطنة الخمس وكم لها من
عجائب تركت جدول السيف وهو
في بحر نمده غريق ولو معها من
قبل ضربه ما حمل التطريق فلو
عاصرها الكمال لعرك من قوسه
الاذنين وقال له حجدت رسالتك
ياذا القرنين فان جذبت الى
مقاومتها كانت لك يد تمتد وصلت
السكين منك العظم وصار عليك
قطع وانتهى أمرك الى ذا الحد
وهل تعاند السكين صورة ليس لها
من تركيب النظم الا ما حملت
ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط

فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فاكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فأخذوا فاصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ماعندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله *(حمام)* هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الاخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ فى يوم واحد ويرجع من صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسماع الطير تطليه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفأر اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذكر الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكرا والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لا بأس به غير أنه لا يحوج تطهيرها والاشتغال بها والارتفاق بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شئ مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شئ أبلد من الحمام فانه تؤخذ افراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمامة قد تبتاع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شئ من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا يبيع بخمسمائة دينار لكان ذلك ممرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك مهلى عجيب ومنظر أنيق *(الخواص)* دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والشقاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزن بل الاحمر ينفع لسيلان العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دار صينى نفع من الحصاة

﴿حرف الخاء﴾

الخطاف أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغ فى التراب والماء وأتت فطينته وهى لا تزيل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها فى أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى حين الممات حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لا يفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب البرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر البرقان ويلقيه فى عشه لتوهم أن البرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط

بعظم ولو لحما الفاضل تحقق قوله
ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن
نباتة ما أقر برسالة السيف وقل
وقال لقلم رسالته أطلق لسانك
بشكر مواليك وأخلص الطاعة
لمباريك ولم يقصد المملوك الايجاز
فى رسالة السكين ونظمها الا
لتكون مختصرة لحمها لا زالت
صدقات مهديها تتحف بما يتيح
فخر فقرى وتأتى فى كل وقت بما
يبرى من داء الاحتياج ويبرى
(قلت وعلى ما وقع من الغريب فى
رسالة السكين) يتعين ان نورد
ما وقع من غريب النظم فى السيف
فان الشيخ جمال الدين بن نباتة
ذكر من نثره فى رسالة السيف
بدائع ولكنها مشهورة للتنقيب
الناس عنها والاقتباس منها *(قال
عمر بن الخطاب رضى الله عنه)*
لعمرو بن معد يكرب كيف تقول
فى الرمح قال أخوك ورمحانك
فانتصف قال فالترس قال هو
الجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل
قال منه ما يخطئ ومنه ما يصيب قال فما
تقول فى الدرع قال مشغلة للراجل
مشغلة للفارس وانها لحصن حصين
قال فما تقول فى السيف قال هناك
لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر
بالدرة وقال لم تقول لا أم لك قال الحمى
أصرعتنى يا أمير المؤمنين
(الشريف البياضى) شعر
وانا اذا الارواح ذابت مخافة
فتحتها بأسطان الرماح ركابها
متى ما أردنا أن يذاق حديدنا
خلقنا بحمد المشرفية أفواها
(وقال أبو العلاء المعرى)
غر اراه لسانا مشعرا فى
يقول غرائب الموت ارتجالا
وديت فوقه حمر المنايا
ولكن بعدما مسحنت غالا

يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به البرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره انه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشاوته ويفتح عينيه * (لطيفة) * قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمنعين مني ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبي الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم ﴿الحواص﴾ مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ردمه يسكن الصداع ﴿خفاش﴾ طير يوجد في الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذي يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين في ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى في طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهي تكره لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهي سائرة فيرى في مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائي انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطاطئ رأسها وتغبر أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر ابدا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع مالاقاه واذا التقى نابا به من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شئ من لحمه على ما ذكروا * (خنفساء) * دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسو لان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة * (فائدة) * قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرق يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال اثتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذي يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح ان الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن في أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ * (الحواص) * اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت في برج الحمام كثر الحمام في ذلك البرج والا كتحال بما في جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر ﴿خيل﴾ جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال في مشيتها وهي من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبي عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم بإناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال اني خالق منك خلقا اجتمعت فاتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تغادى على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أي الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفي الحديث ما من فرس الا ويقول في كل

يذيب الرعب منه كل عضب
فلولا الغمد يمسكه لسالا

﴿وقال النامي﴾

ذر مدمع من غير ما مستعير
وتبسم من ثغر ممتوانى
ويريك من لألائه متوقدا
حنق المنون به على الآجال

﴿وقال الغنوي﴾

كان على افرنده موج لجة
تقاطر في حافاته وتحول
حسام غذاه الروح حتى كانه
من الله في قبض النفوس رسول

﴿وقال وحيد الدين بن الذروى﴾

فتقت بأجساد الاسود لواحظا
رنت لها عين عيون الثعالب
وأنطقت أفواها على قمم العدا
بألسنة البيض الرقاق المضارب
بحيث الوغى يرض تغنى ذبابه
وسال على نور الطلا كالمذانب
وقد رشفت ورد الكلوم صغاره
وما شربت الا دماء التراثب

﴿وله﴾

سكران من شرب خمر الدماء فان
حيا نشوز الطلا غنى لها هزجا

﴿لسان الدين بن الخطيب﴾

وخليج هند راق حسن صفائه
حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته الشمال فأوشكت
تبغى النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفع منـ
ـه ممرد والشط منه ممهل

﴿القاضي الفاضل﴾

غدا لي الاعداء منها معاصما
فتر جيع من ماء الكلى باسا ور
(وله من أخرى)
ولرب هاتفة دعتهم للوغى
جعلوا صليل المرهفات صداها
هي في بحار يديه أمواج ترى
ونفوس من قتلته من غرقاها

﴿وقال ابن قلاقس وأجاد﴾

يوم اللهم من جعلتني له فاجعلني أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهي المغزو عليها وفرس للانسان وهي التي تسابق عليها وفرس للشيطان وهي التي جعلت للقمار والغلاء وفي الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من اللهو الا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبي صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد عليه نار كوب جبريل في قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فاغرقو الان الحصان اذا رأى الجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فاعمى عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهي أصناف منها الصافنات وهي التي اذا ربطت في مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى في الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فامر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل اغماعقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافي ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها في الماء الكدر فرحابه فانه يرى شخصه في الماء الصافي فيفزعه ولا يراه في الماء الكدر وقد قيل في الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها أناس * ربطناها فأثمر كت العيالا
تقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الاباعر والجمالا

﴿حرف الدال﴾

﴿دابة﴾ اسم لكل مادب على الارض وأما التي ذكرها الله تعالى في سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه يرأراد أن يصفوله يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لي رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقي من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخي ياعزرائيل امهلني حتى يفرغ قال ليس في أمر ربي مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع في التعبد شهرين وثلاثة ثم رأى فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فاكلتها فخرميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التي اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قال فتذكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت * وأما الدابة التي من أشراط الساعة فاختلف في أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهي مختلفة الالوان وذلك في ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو ساثرين الى منى ومعها عصى موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب في وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب في وجهه كافر وروى أنها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس في البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفي حديث الافك ما نعلم الا خيرا انها جارية حديثة السن تجين وتنام فتأتي الداجن فتأكل العجين ﴿دب﴾ من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع عض يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق ويعتزل بالنساء وتضع جرواحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه

أسهرتهم وشهرتهم الجموعهم
مذاحرمت في راحتيك حرام
وكلاهما جفن منعت قراره
لكن ذا عضب وذاك منام

﴿وقال ابن سناء الملك﴾

له منصل لا ينفض فرض حده
فما الضرب الا حين بالنسك أحرما
تنسك بالاسلام لكن رأيته
يحل له في الشرع أن يشرب الدما
فكم سل لما سل من بطن غمده
لسان دم من ضربة خلقت فما

﴿مجير الدين بن تميم﴾

لما قذيت من الصوارم أعوجا
يجري الفضاء بنهره المتموج
جبت القفار وما حملت أوانيا
الا من تقتي بنهر الاعوج

(وقال الغزي)

وقد سلب الطعن الاسنة لونها
فعصفر في اللبات ما كان أزرقا
وأسيافنا في السابغات كانها
جداول تجري بين زهر تفتقا

(ابن خفاجة)

موسد تحت ظل السيف تحسبه
مستلقيا فوق شاطي جدول ثملا

﴿جمال الدين بن نباتة﴾

وصارم كعباب الموج ملتطم
يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا يسقي المنون به
أضحى يشف على حافاته الحلق

﴿برهان الدين القيراطي﴾

قوم منادليهم بيض فكم مسحت
رقاب أعدائهم تلك المناديل

(وقلت)

وسيف له في الحرب حسن تغزل
اذا ما رآني قد علوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر مدرع
فبان احمرار الورد في ذلك الخد
وكم مال قد في الوغى ميل معجب
فقابله ذاك المهند بالقد
وكم أنجموا ألفاظهم ساعة اللقا
فكلمهم ذاك المهند بالهندي

فى الهواء أياما حتى تنفرج أعضاءه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لا يقطع الا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحدا الا قتله ﴿دجاجة﴾ وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مخ وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى ان خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاءه كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاءه فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الماء والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر ﴿دج﴾ طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه ﴿دود﴾ اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر القين ثم تصير دودا وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذرق قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج عما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال يكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينتشران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير تركا فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع القطف حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

﴿وقال آخر﴾

يفنى الحريص بجمع المال مدته * والحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه تهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

﴿ديك﴾ وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس المؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها انه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران ان لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أو زارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه

﴿قلت﴾ وقد وجب ان نذكر هنا ما وقع بعد السيف من غريب النظم فى الرمح

﴿ذكر القاضى الرشيدى ابن الزبير﴾

فى كتابه العجائب والطرف انه كان فى خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائتا ألف رمح

﴿وقال الفضل بن الربيع﴾ لما ولى الامين الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرنى ان أحضر ما فى خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلاة بالذهب عشرة آلاف وخمسون ألف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع محلاة ألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف مرج محلاة بالذهب وثلاثون ألف مرج عامة انتهى

﴿قلت ويعجبنى قول القاضى الفاضل فى بيت من قصيدة﴾

أمنصل الرمح الطويل بكوكب * من دابطا عن والسماك سنان

﴿ومثله فى الحسن قول ابن سناء الملك﴾

ملوك يحوزون الغنائم عنوة * بسمر العوالى أو ببيض القواضب
رماح بأيديهم طوال كأنما * أراد وا بها تثقيب در الكواكب

﴿ابن قلاقس وأجاد﴾

وقد كملت بامیال العوالى * أساة الحرب أحداق الدروع
وشب البأس نيران الموالى * وأسبل غيث أمواه النجيع
فللفرسان من محل وحل

حديث عن مصيف أو ربيع

وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لااله الاهو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لاتسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل اذا ذبح الديك الابيض الاقرف لم يزل ينكب فى أهله وماله *(نادرة)* قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فاراد ت المرأة تمسكه فغرفته فصار يخرق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم شيعيون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء احدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء *(وحكى)* أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك يده موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فعلموا هذا كله حتفا قاضيا ولولا هذا لعلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب انها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت بها المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل ان المواشط تستعمله ويأمرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وألقى عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه

الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو غمامة لونه رمادى وهو من الحيوان الذى ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى ان فيغمضها ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول فى سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه واذا خاف منه الانسان طمس فيه وليس فى الارض أسد يعض على عظم الا وسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتهم سلاحا كان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفأر فيبول عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما صعدوا جبلها وجدوا فى طرفها المعاد وبريقة فتقدموا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالقوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا

(ويحسنى أيضا)

قول القاضى الفاضل من قصيدة فيما يحسن للملك قرقراره

مختلفات من قتال السواحر
طواعن أسرار القلوب نواظر
كأنك قد نصلتها بنواظر
ذوالوزارتين لسان الدين
ابن الخطيب وأجاد
وبكل أزرق ان شكت أ لحاظه
مرة العيون فما لحاجة تكحل
متأود أعطافه فى نشوة
مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له ان النجيع بطرفه
رمد ولا يخفى عليه مقتل
السيد الفاضل شمس الدين بن
الصاحب موفق الدين بن الآمدى
غصون بها طير النفوس تناقرت
وعهدى ان الطير للغصن يألف
فلا ورق الا من التبر حولها
ولا زهر الا من النضير يقطف
ابن نباتة السعدى
وولوا عليها يقدمون رماحنا
وتقدمها أعناقهم والمناكب
خلقنا باطراف القنا لظهورهم
عيونا لما وقع السيف حواجب
قلت رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحومى العلائى تغمده الله برحمته ورضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية أن ينظموا أبياتا فكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة
فنظم المقر المرحومى الفتحى ابن الشهيد قوله
اذا الغبار علا فى الجو عثيره
فأظلم الجو ما للشمس أنوار
هذا سنانى نجم يستضاء به
كأنه علم فى رأسه نار
والسيف ان نام ملء الجفن فى غلق
فانى بارز للحرب خطار

بريشهو جروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولد كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ما ساروا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الأكبر ﴿(رخم)﴾ طير أغبر أصغر المنقار معروف وهو أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ما قيل فى بعض الحكايات ان موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت عوته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فيمتزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فيمتزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح انها خلقة بذاتها ذكرا وأنثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه بيته وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الأربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض وبقى الى أيام الربيع فيتفتح الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويقول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها ﴿(سمندل)﴾ حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدا من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق ﴿(سنجاب)﴾ حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق ﴿(سنور)﴾ حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفار والحشرات كلها وأسماؤه كثيرة ﴿(حكى)﴾ ان اعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الحيدع ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قال له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منه وتراهن يتردد ن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ به ولده بلعابه حتى يصير كان الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفأر فاذا شمه علم أن هنالك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بارض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه *(سوس)* هو دود الحبوب

ان الرماح لاغصان وليس لها
سوى النجوم على العيدان أزهار
(ونظم الرئيس شمس الدين بن المزين)
أنا أعمر والراية البيضا لى
لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يحل بى عيش العداة لانى
نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تفاهمت الكماة بجحفل
كلتهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى
قهر المعظم سطوة الجوبان
﴿ونظم المقر المرحومى وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة﴾
عروس سنانى حين تجلى على العدا
وتظهر تبدى مالهم من بواطن
وقد صيغ من هم فبين حدورهم
مجال له رحب فسيح المواطن
سيلقون يوم الجمع غبنا لموتهم
بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجور فى وعدلوا
فانى قد بينت فيهم مطاعنى
(ونظم قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى سامحه الله)
النصر مقرون بضرب أسنة
لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارد
وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ
يحمر من دمه العدو الازرق
ينسخن يوم الحرب كل كتيبة
تحت الغبار فتسخهن محقق
﴿وقلت﴾
أنار مجد رماح الافق يخشى
من سموى اليوم الطعان
واذا أنكر واعدالة قدرى
يوم حكم جر حتهم بلسانى
وسنانى كالبرق بل صار منه
قلب سيف البروق فى خفقان
رحمه للردين ينسب لكن
صاح لما علاه بالسنان

والفاكهة ومن الفوائد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدي بأئمة ✽ فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ✽ سعيد أبو بكر سليمان خارجه

﴿حرف الشين﴾

﴿شادهوار﴾ حيوان يوجد بأرض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدي الى بعض الملوك شيء من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض في قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع لها صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذ ويأكله وهي تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يسمع منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه ﴿شاهين﴾ طير يكون كهيئة الصقر الا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما خطفه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق في بعض الايام انه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به ﴿شحرور﴾ طير أسود فوق العصفور يصوت بأصوات عجيبة مطربة

﴿حرف الصاد﴾

﴿صرد﴾ حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء ﴿صعو﴾ طير من صغار العصافير أحمر الرأس

﴿حرف الضاد﴾

﴿ضأن﴾ نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض الفصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ودبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لي الاخوان حين طبختها ✽ أتطبخ شطرا نحاعظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتي غنم من الهند للكبش منها آلية في صدره وآليات في كتفه وألية على ذنبه وربما تكبر آلية الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجيب أمرها أنها اذا تسافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم ﴿ومن خواصها﴾ أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد في المني والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكر والله أعلم

﴿ضب﴾ حيوان يجعل بجحره في الارض الصلدة وعنده بلم فر عالا يهتدي لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذي يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال انه لا يشرب فانه يبول في كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها في الارض وتتعاهدها في كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد

﴿مجير الدين بن تميم﴾

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغا
في موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى أنابيب القنا على يدي
تجري دما من تحت ظل القسطل

﴿ابن شرف القيرواني﴾

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى
فبان باطراف الاسنة شائبا (ذكر)

الثعالبي في لطائف المعارف ان أول من عمل السنان من حديد ذو يزن الحميري والسه تنسب الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصي البقر ﴿قلت﴾

لم يبق بعد السيف والرمح غير
القوس ولو أن رسالة القوس مشتملة
بكاملها على اصابة الغرض لاثبتها
هنا ولكن جمع في نظم عقدها بين
الجوهر والعرض وبراعة
استهلالها غاية لا تدرك ﴿وهي﴾

ويسألونك عن ذي القرنين قل
سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له
في الارض وآتيناه من كل شيء
سببا فأتبع سببا ﴿ومن﴾
غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة
مركبة ليس لها من تركيب النظم
الا ما حملت ظهورها أو الحوايا
أو ما اختلط بعظم ﴿ومن أصاب
الغرض بالغازه في القوس﴾
الشهاب الاعرجي بقوله

ما عجوز كبيرة بلغت عمـ
ـرا طويلا وتتقيها الرجال
قد علا جسمها اصفرار ولم تشـ
ـكه سقما ولا عراها هزال
ولها في البنين سهم وقسم
وبنوها كبار قدر نبال

﴿صفي الدين الحلي ملغزا فيه﴾
وما اسم تراه في البروج وانما
يحل به المريخ دون الكواكب
اذا قدر الباري عليه مصيبة
عدته وحلت في صدور الكتائب

الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة فى بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى بينه وبين الافاعى مناسبة وذلك انه لا يخرج زمن الشتاء ﴿فائدة﴾ قيل ان اعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب مجولا لقتلتك ومررت الناس بقتلك فقال يا عمر دعنى يا رسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك الا أن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا يا ضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عند ذلك يا ويلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة منى اليك ولانت الساعة أحب الىّ من أهلى وولدى وماتملك يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى يا حبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال فهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألف مال فقال يا حبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه أعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله عندى ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطفك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى * (الخواص) * قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد فى الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمى حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه وثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها فى خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قليل ماء وشربه زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأرل ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة يقال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفى الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لا سبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة يا داود تعن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لى تسعون سنة ما جف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فماتة ولين فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود رما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من

﴿الشيخ بدر الدين بن الصاحب﴾

لله عاملك اذا
ماقام فى الشغل اعترض
لكنه فى ساعة
محصل لك الغرض

﴿ومن الغايات التى لا تدرك﴾

لغز قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى رحمه الله تعالى فى الكشتوان

مارفيق وصاحب لك تلقا
ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى
وتراه فى غاية الابهام

﴿قلت ومن نظمى فى القوس﴾

قومى اذا جذبته يطربنى
بحس عوده وتحريك الوتر
ونجم ذاك السهم ان فوقته
يرى له فى طارة البدر أثر

﴿الشيخ جمال الدين بن نباتة﴾

فديتك أيها الرامى بقوس
ولحظ ياضنى قلبى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب
وشبهه الشئ منجذب اليه

﴿قلت﴾ لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التى لا بد لفحول كتاب الانشاء من الجولان فى ميدان وصفها ولجرى السوابق الذى جمعته فى هذا الباب قد تقدم فى الجزء الاول من بلوغ المراد ولكن اذا كنت منشئ دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة يتعين على ان أورد هنا لكتاب الانشاء من فقه هذا الفن ما يحتاجون الى معرفته (قلت) السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال فى فواصل القرآن اسجاع أم لا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذى منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل فليس

الحيوان والانثى تبيض حين يمضي لهما من العمر ثلاث سنين وفي ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة في كل شهر ففي السنة اثنا عشر بيضة أو أقل أو أكثر ويسفد الذكر في أيام الربيع ويرمحر يشه في أيام الخريف كالشجر فاذا ابتدأ طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما *(فائدة)* قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاءه ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فسقيت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شاربا الخمر أول ما يشربها وتدب فيه ميزهو بنفسه ويعبس عجبا كالطاوس فاذا جاءه مبادي السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوي سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم بأقامته بالدور قيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

(حرف الظاء)

(ظبي) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهي ظباء الرمل ولونها رمادي وهي سمينة العنق والثاني العفر ولونها أحمر وهي قصيرة العنق والثالث الادم وهي طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويعضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الماء الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحيتها في الماء العذب فأي شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلي مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست في ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب *ويحكى من شؤمها أنها تأتي بيت الظبي فتفسو فيه ثلاثا فتقتل ما فيه وتأكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامري في قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بني اسرائيل فقال ائتوني بحلي قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم *(فائدة)* نقل القرطبي عن سيدي أبي بكر الطرطوشي رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشدلهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة النمل كثير والعدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه

لنا ان نتجاوز ذلك والسجع ينقسم الى أربعة أقسام المرصع والمطرف والمتوازي والمشطر (فالمرصع) عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو المأخوذ من مقابلة العقد في ترصيعه ومن أمثلته الشريفة في الكتاب العزيز ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم * ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريري في المقامات يطبع الاسماع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (والمطرف) هو ان يأتي المتكلم في آخر كلامه أو في بعضه بامساجع غير مترتبة بترتيبة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الامساجع روي القافية كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا (وكقولهم) جنابه محط الرحال ومحيم الآمال (ومن أمثلته الشعرية قول أبي تمام) تحلى به رشدي وأثرت به يدي

وفاض به غدي وأوري به زندي

(الثالث المتوازي) وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى فيهما سرر مرفوعة وأكواب موضوعة (ومنه) قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا (ومنه) قول الحريري في المقامات وأودي بي الناطق والصامت ورثى لي الحاسد والشامت انتهى (القسم الرابع المشطر) وهو ان يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الآخر ولكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبي تمام يمدح أمير المؤمنين

والخنافس تأوى اليها ورعما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لانظر ماذا يصنع فدخرج من الماء وأتا مخله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فاز درت عبرة ري وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت ومررت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فاصعت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك علي أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا ليس لملك الزمان لحارب * وياعبدا اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعي من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأرقبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) اذا لذع أحدفا قرأ عليه هذه الكلمات وهي سلام على نوح في العالمين وصلى الله على سيدنا محمد في المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربي آخذ بناصيتها كذلك يجزي عباده المحسنين ان ربي على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرني لا تلدغوه ان ربي بكل شيء عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم *وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفي البخاري أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتني البارحة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذي أن من قال حين يمسي أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح في العالمين لم تضره الحية والعقرب والسرقي ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب في السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرط له ذلك

(الحواص) من بخر البيت بزنبق أحمر وشمهم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأ من سمها ومن علق عليه شيء من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته *(عنقق)* طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحي الحمامة وهو لا يأوي الا الاماكن العالية وإذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده *(الخواص)* دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة في البدن أخرجه *(علق)* دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالجميل والآدمي فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من ساعتها دخانه *ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلي به مكانه منع نباته *(عنقاء)* اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل بيض بيضا كالجمل ويبعد في طيرانه وسميت بذلك لانه كان في عنقها طوق أبيض قال القزويني انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفار قال وكانت في قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا

المعتصم رحمها الله تعالى تدبير معتصم بالله منتقم

لله مرتقب في الله مرتقب انتهى باب السجع قلت وقالت علماء هذا الفن ان قصر الفقرات في الانشاء يدل على قوة المنشي وأقل ما تكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وأمثال ذلك كثيرة في الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر (وكان) بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كيت مهد كان راكبه في مهد يلطم الارض بزبر ويستنزل من السماء بجبر لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوقه الى ما يرد منه متزايدا على سمعه انتهى (وأما الفقر المختلفة) فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر لتساوي القرينتين الاولين وزيادة الثلاثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس لكن لا يكون أكثر من المثل مثاله في القرينتين قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا أدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الأولى (ومثاله) في الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (ومن فوائد الانشاء) ان تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها في المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى لم

يحسن كقول الصاحب بن عباد فى وصف منهزمين طاروا واقعين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم محورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى المحور (ومنه قول الصابئ) يسافر رأيه وهو دان لا يبرح ويسير وهو باق لا ينزح فلا يبرح ولا ينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك (ومن فوائد الانشاء) التى يتسع فيها المجال على المنشئ أن السجع مبنى على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها الان الغرض أن يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان قافية السجعة اذا كانت فى محل نصب وأختها فى محل رفع سارى بينهما السكون وصار الاعراب مستترا فلو أثبتوا الاعراب فى قول من قال ما بعد ما فات وما أقرب ما هو آت للزم أن تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشئ (ومن ذلك) ان السجع مبنى على التغيير فيجوز أن يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما يجوز فيها حالة الانفراد (فمن ذلك) الامالة فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التى هى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة (كقوله تعالى) والضحى فالضحى أميلت وكتبت بالياء حملا على ما فى السورة الشريفة من ذوات الياء لاجل الموافقة (وكذلك) سورة والشمس

بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزوج اذا مضى عليه خمسمائة *(وحكى)* الزمخشرى فى ربيع الابرار ان الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها له فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت *(عنكبوت)* دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكامل صورته *(فائدة)* قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال ما ولدت سمدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فخافت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر وأقامت هناك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة تجوز هناك اخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتنى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء اشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا أعلم الا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وانها حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره أنها تموت بالعنكبوت لانه اهتم بأمرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هى ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بإبهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف إبهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاد قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة *(فائدة)* نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله ابن أنيس لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة يزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يلبسه *(الخواص)* نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الحلاء ينفع المحموم اذا تبخر به *(ابن عرس)* حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفأر وعنده الحيل قيل

انه عد اخلف فأرقصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر انثناه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذي كان عليه الغار فسقط فأخذته أنثناه * ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه * (عجيبة) * قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فأراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شئ فأفلته له

﴿حرف الغين﴾

﴿غراب﴾ وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما معه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفي طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى في طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريري يارازق الغاب في عشه * وجابر العظم الكسير المهيض

ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها وان يقم من الارض ماوجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد في طريقه رمة فسقط عليها وترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه ورعى في أثرهم * ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب الفة وذلك انه اذا رأى الذئب يقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره * (الحواص) * اذا نهس الغراب في الحلق ثم جفف ومحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الحلو انيق والحنازير طلاء وان صرف في خرقة على من به السعال زال ﴿غرغر﴾ دجاج بني اسرائيل يقال ان فرقة من بني اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنهم الارانب وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد في زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿حرف الفاء﴾

* (فاختة) * طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى ان الحيات تهرب من صوتها وفي طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها في البيوت وهي من الحيوان الذي يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة * (الحواص) * دمها ينفع من الآثار في العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها * (فارة) * وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجد حاقد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهي التي قطعت حبل سفينة نوح واذا ها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتي الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا اتصل اليه ذهبت وأتت في فمها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا المسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة في اناء فان لم تشربه فهي منهم * (الحواص) * عينه تشد على الماشي يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار * (فرس البحر) * حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره * (فهد) * حيوان شرس الاخلاق قال أرسطو هو متولد من الاسد والنمر وفي طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفي طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول

وضعها أميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما فيها من ذوات الياء (ومن) ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل (ومن ذلك) صرف مالا ينصرف كقوله تعالى قوارير صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك في الكتاب العزيز لوجده كثيرا (ومما جاء) من ذلك في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الاصل عين ملة (ومنه) قوله صلى الله عليه وسلم ما زورات غير مأجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن همز ليوافق مأجورات (ومنه قوله) صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الاصل ما وادعوكم ولكن حذفت الالف لتحصل الموافقة (قلت) وهذا نوع من المشاكلة لان المشاكلة في اللغة هي المماثلة وهي في المصطلح ذكر الشئ بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة (ومنه قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك والاصل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك لان الحق تعالى وتقدس لا تستعمل لفظة النفس في حقه الا أنها استعملت هنا للمماثلة والمشاكلة كما تقدم (ومنه قوله تعالى ومكروا ومكر الله والاصل وأخذهم الله (وفي الحديث) قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل

من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراساني * (قيل) * حيوان يوجد بارض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على انثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل انثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعد بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها الا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل وتهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند ان لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثديه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة سن وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة مسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون ان أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنتين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس فى مقدار حرمه وقيل ان الفيل جيد السماحة واذا سيح رفع خرطومه كما يفيء الجاموس جميع بدنه الا مخرجه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أو لحم فى فيه لانه قصير العنق لا يتناول ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخل تحت أمره وقيل جعل الله فى طبع الفيل الهرب من السنور * (حكى) * عن هرون مولى الازد أنه خيأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى الهر فى وجهه فأدبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه قال أبو الشمقمق

ياقوم انى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل
رأيت بيتا له شيء يحركه * فكدت أفعل شيأ فى السراويل

وقيل اذا اغتم الفيل لم يكن لوساوسهم الا الهرب بانفسهم ويتركونه * ومن عجيب أمره ان سوطه الذى به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه فى جبهته والآخر فى يده را كبه فاذا أراد شيأ غمزه به فى لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك * (قيل) * خرج كسرى ابرويز لبعض الاعياد وقد صف له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤوسهم حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا فى بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا ان جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة فى قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد فى غير بلادها * (فائدة) * من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بكلمات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمنى وأساء الى ولا يشهد بذلك غيرك أنت ماله فاهلكه اللهم سريعا سريعا يا الهوان وقصه قيص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له ما لم يكن ظالما (الحواص) جلده اذا مخر به بيت هرب بقه واذا سقى انسان من ريق أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

﴿حرف القاف﴾

* (قاقم) * دويبة تشبه السنجاب الا أنه أردء منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب * (قاوند) * طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيرقها بعد سبعة أيام ويقال ما يسك الله البحر فى هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا اكراما له لانه يقال انه بر والديه * (خواصه) * انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع

حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يل موضع لا يقطع لاجل المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا (ومنه قول الشاعر)

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه

قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أراد خيطوا لى جبة وقميصا وذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه فى صحبة طبخه انتهى (قلت) ومن غايات الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال (والفصاحة) خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة ففصاحة المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا توصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا فى وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ (فمن الانشاء البليغ الفصيح) قول عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فائتوا ربنا تجنى هذه الثمرة تصحو من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل (ومنه) قول أبى نصر العتبى دب الفشل فى تضاعيف احشائهم وسرى الوهن فى تفاريق أعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة (ومنه) قول الصابىء نزغ به شيطانه وامتدت فى الغى أشطانه (ومنه) قول بديع الزمان كتابى

الاعصاب *(قرد)* حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعد وخلف الملهج من شدة المحبة والتفت ابن الرومي يوما الى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكي مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد في قبح وسخف * وما قصرت عنه في الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له افراخ تمرخ في الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعي فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البري فيزول أذاها وهو من الحيوان الذي يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو صحت قوي يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل ناباه شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت في معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبني آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون في ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابا الاسنان والقرون قوي الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه في بطن أمه ويزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهر يأمنه ويسمى الحمار الهندي وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ *(كروان)* طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا في القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة *(ركي)* طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر وبأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال الغزويني واذا مشى وطئ الارض بأحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية *(كلب)* معروف وهو نوعان أهلي وسلوقي وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقي أسرع في التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفي طبعه اكرام الاجلاء من الناس *(حكي)* أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم في منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

ومازال يرعى ذمتي ويحوطني * ويحفظ عهدي والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتي * وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكي) أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه برماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما فعد بعض الكلاب بين يديه خاف عدوله في طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هناك قريبة القعر فتزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو وأتاه الكلب فمازال يبحث في التراب الى أن كشف عن رأسه فتنفس الرجل ومر به اناس فتناولوه ورددوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمي ذلك قبر الكلب وفي ذلك قيل

الى البحر وان لم أره فقد سمعت خبره
والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره (ومثله) قول القاضي الفاضل ووافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمام عمامة وأثلة اذا اخضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة (قلت) ويعجبني في هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله في وصف مقدم مرية كشف الازرار في مقاعده أخف من وطأة ضيف وفي مطالبه أخفى من زورة طيف وفي تنقله أمرع من سحابة صيف وأورع للعدا من سلة سيف (ومثله في الحسن قوله) في صدر مثال شريف سلطاني اصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والحماة منهم الامن استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه (ومثله في الحسن) ما كتب به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد يستدعي الله ثراه الى قراءة يوسف ملك العراق يتضمن خطاب الايناس نظير ما خاطب في مكاتبته (قلت) الجواب قولي وهذه ألفة خولتنا في نعم الله وزمام الاخوة منقادا الينا وقد تعين على المقران يقول أنا يوسف وهذا أخي قدمن الله علينا وقد مرتنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض العدا ومطابقة الطول بالعرض وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض وأما قراءة فان قل سيوفنا ما نهضت عنه في أجفانها وأنامل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضار به

(ومن ذلك) ما حكى أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه ويبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى يبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تصنع اثنا عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاءه اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشمه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته ويؤنس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعه قيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى ان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت فى نفسى وأضمرت أن أرجع اذ لم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى فى هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله *(فائدة أخرى)* قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطعم أن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام وذلك لان قومه كانوا يعبدون بالليل فيفسدون ما صنعه فى السفينة بالنهار فامره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه *(فائدة)* قيل كان كلب أهل الكهف أسمر وامه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان ما يدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم *(فائدة أخرى)* اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(اللغلغ) *طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك ومعنى ذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بأرض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر أنظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى وردها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت

أسنتنا ماذا ذكرت توبته الا شرعت
فى جس عيدانها وجوارح سهامنا
ما برحت تنفض ريش أجنحتها
للطير ان اليه وان كان معنى سافلا
فلابد لاجل المقران نخيم عليه
وينزل سلطان قهرنا بأرضه ونغرس
فيها عيدان المران وان كانت من
الاسماء التى ما أنزل الله بها من
سلطان ولم يهمل الا لاشتغال
الدولتين بالدخول فى تطهير الارض
من الخوارج وبقاع الضرب
الداخل من جس العيدان فى كل
خارج ويدهمه من ابن أبى النصر
أنباء حوب شرف فى انساب الوقائع
جدهم ورد الجموع الصحيحة الى
التكسير فردهم واذا كثرت
الحدود وتوردت بالدماء عذرت
بورق الحديد الاخضر مردهم واذا
امتدوا الى آمد تلاهم حصنها فى
سورة الفتح قبل القتال فانهم
مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة
الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم
المؤيدة لم تكن حصونهم عند ذلك
الصرف مانعة ولم يسع لسكانها
مجادلة اذا سدوا بالحديد وتلت
حصونهم فى الواقعة وما خفى عن
كريم علمه له جمعه الناصر من
الجموع التى فرقها الله أيدى سباوكم
سأل سائل وقد رآهم فى النازعات
عن ذلك العصر بالنبا وقد أشار
منشئ دولتنا الشريفة الى ذلك فى
قصيد كامل بحره مديد والقصد هنا
من أبيات ذلك القصيد قوله
يا حامى الحرمين والاقصى ومن
لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله نحوك ناظر
هذا وما فى العالمين مناظر
زحف على المخبون نظم عسكرا
وأطاعه فى النظم بحر وافر
فأتيت منه زحافه فى وقعة
يا من بأحوال الوقائع شاعر

من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها ان يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تغلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تغلقها أربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم ﴿نحل﴾ حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فأخرج ذلك فأول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وماتا منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى ﴿فائدة﴾ قيل مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فأتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفى * وروى ان شخصا شكى للنبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء فى الثالث فقال يارسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى ﴿نادرة﴾ قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته ﴿الخواص﴾ اذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء فى العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للسموم ﴿نسر﴾ هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب فى يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الغيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه فى تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله فى عشه خوفا من الخفاش ان يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض فى الاماكن العالية ويبقيه فى الشمس فتكون حرارتها بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا وبقال للانثى منه أم قشم وفى الحديث أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطير النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربى وسيد العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة ﴿الخواص﴾ اذا أخذ قلب النسر وجعل فى جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضى الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها (نعام) يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متسارية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تاتا كله فى حضنها وثلثا تكسره وتفحجه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه

وجميع هاتيك البغاة بأسرهم
دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ما تواخيفة
فكان هاتيك السروج مقابر

(وما) خفى عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا واشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السيئ فأجابهم الصدى ولم يكن فى حرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فتره حتى أظهرنا بألوان الشام من دمائهم على تدبيج الدروع الوان البصرة وأخذوا مرعيا بشبان حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المعامع وقد أسمع الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر لمحراب نهضة الا بهاتين القبلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ما قبلت أو صرفت العوامل الى غير نحورهما ما عملت فقد فهمنا كريم الالتفات الى أن تدارك وس الانشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا أنها أحكام صحيحة فى شرع الاخوة ولهذه الاحكام عندنا عهده وقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب المحبة ليس عنها عوض ولم يبق الا اتصال شمل الاوصال بكل رسالة سطورها فى رقاع الاخوة محققة وتصديق ما يقصه فى كريم جوابه فان القصة اليوسفية ما برحت مصدقه والله تعالى يمنع الابصار والاسماع بمشاهدة أمثلته وطيب أخباره ويفكهنا من بين أوراقها بشهى ثماره ان شاء الله تعالى انتهى ما دامت قطوفه من ثمرات الاوراق وحلا فى الاذواق السليمة ورواق

وهذا ذيل ثمرات الاوراق للامام

وتترك بيض نفسها ﴿فائدة﴾ روى كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك فمن فاخرك وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة السم البليغ حتى قيل يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها في شئ اما شعب أو حجر تظن أنها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفي طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأيا ذكره الذكر الى ان يسلمه الى الانثى فتركضه الى ان تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هرب وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعي وسأل أبو عمرو الشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (غر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان أنثاه لا تدع ولدها الا مطوقا لحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الغار فيبرأ وفي طبعه عداوة الاسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون ﴿الحواص﴾ من حمل من جلده شيأ صارمها با عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلد زالت بواسيره ﴿حرف الهاء﴾ ﴿هدهد﴾ طير معروف وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبا أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبي الله اني رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يا نبي الله اذكروقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه ﴿الحواص﴾ اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بجمجه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿حرف الواو﴾

*(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنق يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنقه قال بعضهم انه يقول في صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب *والهدهد يقول اذا نزل القضا عمي البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا ما اذا خلقوا وليتهم عملوا ما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربي الاعلى والباز ي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويعد صوته في الضالين كالقارئ

(حرف الياء)

*(يأجوج ومأجوج) *سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمي غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث ابن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان

تقي الدين بن حجة رحمه الله تعالى وهي محاضرات لا يستغني عنها وعليها يعول فلذلك ألحقت بالاصل في الطبع وجعلت تتمة للاول

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يحكى) أن هارون الرشيد ج ماشيا وان سبب ذلك ان أخاه موسى الهادي كانت له جارية تسمى غادر وكانت أحظى الناس عنده وكانت من أحسن النساء وجها وغناء فغنت يوما وهو مع جلسائه على الشراب اذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساء ماشأنك يا أمير المؤمنين قال قد وقع في قلبي ان جاريتي غادر يتزوجها أخي هرون بعدي فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكلنا فداؤه فقال ما يزيل هذا ما في نفسي وأمر بإحضار هرون وعرفه ما خطر بباله فاستعطفه وتكلم بما ينبغي ان يتكلم به في تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لابد أن تحلف لي قال افعل وحلف له بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة فسكن ثم قام فدخل على الجارية فاحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الا شهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة الى هرون أرسل الى الجارية تخطبها فقالت ياسيدي كيف بايمانك وأيماني فقال احلف بكل شئ حلفت به من الصدقة والعتق وغيرهما الا تزوجتك فتزوجها رج ماشيا اليمينه وشغف بها كثرمن أخيه حتى كادت تنام فيضع رأسه في حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هي ذات ليلة نائمة اذ انتبهت فزعة فقال لها مالك قالت رأيت أخاك في المنام الساعة وهو يقول أخلفت وعدك بعدما جاورت سكان المقابر

مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة انتهى وهم أصناف منهم ماطوله عشرون ذراعا وماطوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتساقد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس يأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة اسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب ومابعث النار فيقول الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا البنة مثل المسحرة ومسامير مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذوالقرنين وهذه الامة خلفه تطلب المجئ الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة *(يحمور)* دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالابل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى *(نادرة)* قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وماهى قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهنالك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ركب الجنى انسانا فما يعمل له قال تشد بهاميه بسير من جلد البحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب فى اليمنى أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا تفلت الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد البحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

﴿فصل فى خواص الطير والحيوان على الاجمال﴾

الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يموت بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان أهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن ومالا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التى تضئ بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده فى هذا

ونسيتنى وحنثت فى
أيمانك الكذب الفواجر
فظللت فى أهل البلاد
وغدوت فى الحور الغرائر
ونهكت نادرة أخى
صدق الذى سماك غادر
لا يهنك الالاف الجديد
ـة ولا تمر عنك الدوائر
ولحقت بى قبل الصبا
ح وصرت حيث غدوت صائر
والله يا أمير المؤمنين فكانها مكتوبة فى قلبى ماتسيت منها كلمة فقال الرشيد هذه اضغاث أحلام فقالت كلا والله ما أملك نفسى ومازالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة (وحكى) ابن أبى حجلة فى كتابه سلوك السنن الى وصف السكن أخبرنى شمس الدين محمد فراج الحسينى أخبرنا شيخنا أثير الدين أبو حيان أنبأنا فتح الدين بن الدمياطية قال رأيت فى المنام شيخا حسن الصورة والمشية وعليه مرد وجبة وكان يمشى فى طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقنى فقال ليس الماشى برفيق الراكب فقلت اركب أنت وأمشى أنا فقال المسئلة بحالها ثم أفضنا فى الحديث فسألنى ماصنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان وكاتب انشاء فقلت شئ من هذا وشئ من هذا فقال ما يدعى دعوالك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال أنشدنى وكنت قد عملت قصيدا حجازيا وكنت أستجيده فانشدته الى أن بلغت قولى

تركوا بماء النيل ما سلسلا
وترشفوا ماء الثمار مكدرا

فقال لى لا شئ فقلت لم قلت ذلك وما عيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا ولكن طبا قالان الكدر

بقابله الصافى قلت له هذا حسن فمن أنت يرحمك الله قال أنو مرة قلت لا خير ولا مير قال بك ثم بعد ذلك بشهر رأيته فى المنام على الهيئة المتقدمة فسلم على سلام من يعرفنى ثم قال هل تعرفنى من الشعر المشهور شيأ قلت نعم قال فانشدنى وكنت قد عملت قطعة شعر حال ضعفى بالغربة فانشدته اياها

لله ما أشكوه من زلة
قد ضرمنها ضيق أنفاسى
ومن صداع ضقت ذرعا به
باتت يدى منه على رأسى

فقال هذا والله الشعر ثم قال أضف اليهما

فأعجب الى داء من قد عززا
بثالث من داء افلاس

(وحكى) فى مرآة الزمان وغيرها فى ترجمة شمس الدين توران شاه ابن أيوب أخى السلطان صلاح الدين قال محمد بن على الحكيم الاديب رأيت شمس الدولة بعد موته قد حنطته بابيات فلف كفنه ورمى به الى وقال

لا تستقلن معرورا فاسعجت به
منيتا فامست منه عارى البدن
ولا تظنن جودا شأنه بخل
من بعد بذلى ملك الشأم واليمن

انى خرجت من الدنيا وليس معى من كل ما ملكت كفى سوى الكفن

(حكى) انه كان ببغداد شخص يعرف بابى القاسم الطنبورى صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة الى أن صار فى غاية النقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبى القاسم الطنبورى فاتفق أنه دخل سوق الزجاج فقال له سمسار يا أبا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد أكسد فابتعه منه

الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

﴿الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم﴾

ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهى أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ما له أيدان كالأسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوى ومنها ما له وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمى وظهره كالسلحفاة وفى رأسه قرن وكلامهم مثل عى الكلاب ومنها ما له شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ما له أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها سبعمائة فى البحر وأربعمائة وعشرون فى البر وفى الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكر والعظة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهى والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفى الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى فى البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية أخرجت لى من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألف ومائتا مثقال وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طوله بلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دانق أودبق كان يأخذ الغرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الغرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذه درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ فى يده شجرة من البلوط كالعصا ويضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقينى يسلم على ويرحب بى ويكرمنى وكان رأسى لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن فى بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات فى بلغار وقال لى قاضى بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته (وروى) عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم الا انه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض فى الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يحتاز بالمدينة فيخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا فى أفعاله يسير فى الارض برا وبحرا ويفعل ما شاء ويقال انه لما حضر بنو اسرائيل فى التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله له طيرا فى منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذى على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق فى عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز فى الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام وكانت مفرزة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفى كل يد عشرة أصابع ولكل أصبع ظفران كالمنجلين وقال على بن

أبي طالب كرم الله وجهه هي أول من بغى في الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه الصلاة والسلام أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها غافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وقتل ولادتها عوجا بستين (ومن ذلك) ما حكي عن بعض فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاد الاكراد المحمدية في جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فارادصاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه (وروى) عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنعوه فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وتركا حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان في جسد واحد فأحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقال لهما لا يمكن فصلهما وما يقال له أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان في بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما (ومن ذلك) ما ذكر أنه أهدى الى أبي منصور الساماني فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمة الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا في السنور البركي وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طغطو وفلا قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولدا ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربعة أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصي ثناء عليه (ومن ذلك) انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الاوقات يطلع بحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب (ومن ذلك) بنات الماء وهم أمة بحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدي وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء ثم يعيدونهن في البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار أنه في سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فقبضوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقها شيء كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فأخذها الرجل الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فألقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فاما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت نفسها في البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا

وأنا أبيعه لك بعدة بمكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال سمسار آخر قد ورد تاجر من نصيبين بماء ورد في غاية الحسن والرخص ابتعه منه وأنا أبيعه لك بفائدة كثيرة فابتاعه بستين دينارا أخرى ثم جعله في الزجاج المذهب ووضعه على رف في صدر البيت ثم دخل الحمام بفلس فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم أشتهي أن تغير مداسك فانه في غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السهم والطاعة ولما خرج من الحمام ولبس ثيابه وجد الى جانب مداسه مداسا جديدا فلبسه ومضى الى بيته وكان القاضي دخل الحمام يغتسل فقعد مداسه فقال الذي لبس مداسي ما ترك عوضه شيأ فوجدوا مداس أبي القاسم فانه معروف فكسوا بيته فوجدوا مداس القاضي عنده فأخذ منه وضرب أبو القاسم وحبس وغرم جملة مال حتى خرج من الحبس فأخذ المداس وألقاه في الدجلة فغاص في الماء فرمى بعض الصيادين شبكته فطلع فيها المداس فقال هذا مداس أبي القاسم والظاهر انه سقط منه فحمله الى بيت أبي القاسم فلم يجده فرماه من الطاق الى بيته فسقط على الرف الذي عليه الزجاج فتبدد ماء الورد وانكسر الزجاج فلما رأى أبو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح وافقراه أفقرني هذا المداس ثم قام يحفره في الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا أنه نقب فشكوه الى الوالي فأرسل اليه من اعتقله وقال له تنقب على الناس حائطهم أمهنوه ففعلوا فلم يخرج من السجن الى أن غرم جملة

فيه درر وجوهر فباعه وصار من التجار (ونظير هذه الحكاية) ماذكره ابن زولاق في تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه درتم سابت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جوزه استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسموات ما يدل عليه قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذي يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذي أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته وان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان في بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبي في كتاب سير الملوك وذكر أن في بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش في أرضهم ذكر وان هؤلاء النساء يدخلن في ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان ولد تبع اليماني وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التي دخلها ذو القرنين وان ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذي بنى افريقية وسماها باسمه وأنه وصل الى وادي السبت وهو واد يجري فيه الرمل كما يجري السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الامة التي لا رؤس لهم أعينهم في مناكبهم وأفواههم في صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم * وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنهج الجزيل والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذي لا خوف معه ففي بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفي بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصيني والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك في سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود نخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغرب بحيث تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع الياقوت وأكثرها في جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان في احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرف أنهارها عليهم في التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا ومالم يسد في التمثال لا يسد في ذلك البلد وفي الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه في ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقي من ذلك الحوض

مال فأخذ المداس ورماه في مستراح الخان فسد قصبة المستراح وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد وفي جسد وا مداس أبي القاسم فحملوه الى الوالي وحكوا له ما وقع فقال غرموه المصروف جملة فقال ما بقيت أفارق هذا المداس وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآه كلب ظنه رمة فحمله وعبر به الى سطح آخر فسقط على امرأة حامل فارتجفت وأسقطت ولدا كرا فنظروا ما السبب فاذا مداس أبي القاسم فرفع الى الحاكم فقال يجب عليه غرة فاتبع لهم غلاما وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شئ فأخذ المداس وجاء به الى القاضي وحكى له جميع ما اتفق له فيه وقال أشتهي أن يكتب مولانا القاضي بيني وبين هذا المداس مبارأة بأنه ليس مني ولست منه وان يرى منه ومهما فعله يؤاخذ به ويلزمه فقد أفقرني فضحك القاضي وفعله بشئ ومضى انتهى

(هذه قصيدة ليزيد بن معاوية وهي عزيزة الوجود)

ومرب كعين الديك ميل الى الصبا ... رواتها بالحادي سود المدامع
معن غناه بعد ما عن نومة ... من الليل يلهن فوق المضاجع
أيادهر هل شرخ الشبيبة راجع ... مع الخفرات البيض أم غير راجع
قنعت بزور من خيال بعثنه ... وكنت بوصل منهم غير قانع
اذا رمت من ليلى على البعد نظرة ... لتطفي جوى بين الحشا والاضالع
تقول رجال الحي تطمع ان ترى ... لليلى وصالا من بعد انطماع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامع

كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة أوزة من نحاس فاذا دخل فيها الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت فى ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم﴾

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلق الملائكة سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء فى بعض الاخبار ان نوعا من الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا فى الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبرما فى السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسر وا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودى أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فمعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألقى عليه قوته شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفى الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتنى الى الارض وطردتنى وجعلتنى رجيما فاجعل لى مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لى طعما ما قال ما لم يذكر اسمى عليه قال فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى صيدا أو قال مصايد قال النساء

﴿فصل فى مكايده لعنه الله﴾ (منها) أنه كان فى بنى اسرائيل عابد يدعى رصيصا وله جارية بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك رصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان بنتا مريضة فاضرك لو جعلتها عندك فى جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها فلما أتاه بها قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاءه ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءه ابليس لعنه الله فقال له اقتلها ثلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قصيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين فى الطريق فقال له ان سجدت

أجلك يا ليلى عن العين انما
أراك بقلب خاضع لك خاشع
وما سر ليلى ما حبيب بذائع
وما عهد ليلى ان تناءت بضائع

(ومن غريب ما يحكى) ان عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان والدة يزيد بن عبد الملك ابن مروان حرمت على اثنى عشر من الخلفاء من بنى أمية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان أبو زوجها والوليد وسليمان ويهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها والوليد ابن يزيد ابن ابنها ويزيد بن الوليد ابن زوجها وابراهيم بن مروان بن الوليد ابن زوجها أيضا ويزيد بن عبد الملك ابنها ومعاوية بن يزيد بن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك ابن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى *(وجد بخط قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر حافظ العصر)* قال وجد بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى حجلة التلمسانى قال أنشدنى القاضى فخر الدين عبد الوهاب المصرى لنفسه فى الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد أمماني الاهرام كم من واعظ
صدع القلوب ولم يفه بلسانه
أذكرنى قولا تقادم عهده
أين الذى الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن
تمتد فوق الافق عن كيوانه
لو أن كسرى جالس فى سفحها
لأجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده
مدد اولم تأسف على حدثانه
والشمس فى احراقها والريح عند
سدهو بها والسيل فى جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة
فبنى الاهرام من أوثانه

أوقائل يقضي برجعة نفسه
من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها لكنوزه ولحسمه
قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أوانها للسائرات مراصد
يختار راصدها أعز مكانه
أوانها وضعت بيوت كواكب
أحكم فرس الدهر أو بونانه
أوانهم نقشوا على حيطانها
علما يحار الفكر في تبيانه
في قلب رائيها يعلم نقشها
فكر بعض عليه طرف بنانه
يحكى أن القاضي أبا الحسن علي
ابن عبد العزيز الجرجاني كان يمر
على الناس ولا يسلم عليهم فلامه
بعض أصحابه في ذلك فقال
يقولون لي فيك انقباض وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس أكرما
واني اذا ما فاتني الامر لم أكن
أقلب كفي اثره متندما
ولم أفض حق العلم ان كان كلما
بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني
ولا كل من في الارض أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض ما لا يشينها
محافة أقوال العدا فيم أولما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أشقى به غرسا وأجنيه ذلة
اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو ان أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما
قال شيخ الاسلام تاج الدين
عبد الوهاب ابن شيخ الاسلام

لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين (ومن ذلك) ما اتفق أن بني اسرائيل اتخذوا شجرة وكانوا يعبدونها فجاء بعض عباد هم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشيء لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفأس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس في الطريق وتحاورمعه وتجاذباً فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عني وأخبرني كيف غلبتني فقال له لما غضبت لله علي تني ولما غضبت لنفسك غلبتك * ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

﴿فصل في المتشيطنة وهم أنواع كثيرة﴾

﴿منها﴾ الولهان يوجد في جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على تعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من في المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزي النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما كانت ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغيرلونها وقالت بنولك و بناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه * ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصود بذلك أن يحبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتي والله اني لا علم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدي الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر * وقال بعض المسافرين ابقى لي غلام فخرجت في ثوره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلاما قلت وما أعمل بغلام فحملني بحملك قلت أو جاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتاني بالغلام مقيدا فلما رأيته غشي علي فلما أفقت قال افتح في يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أفتح في شيء من ذلك ولا في وجيع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه * ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (وقال) بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لي قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتي وضللت عنهم فبينما أنا سائر في أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفني عفريت يقال له ظليم وجعلني ههنا فهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار فقلت لها امضي معي فقالت أهلك أهلك أنا وأنت فان يتمكن يأتينا فأخذني ويقتلك فعلمت لا يستطيع أخذك ولا قتلي ومازلت أردد ها الحديث حتى رضيت فأمخت لها ناقتي فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فلتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان في الارض فقالت هاهو قد أتانا فأمخت ناقتي وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

ياذا الذي للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر

* وان تكن ذا خيرة فينا اصطبر *

قال فأجبته ياذا الذى للحين يدعوه الحق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق
* ما أنت فى الجن بأول من عشق *
قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحد منا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جزتاصيتى أو احد ثلاث خصال قلت وماهن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع ديني بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد * وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك نبيك ولبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعة وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هى سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال اللهى ألبسنى هيبته من عندك وجعل يسألهم عن طعامهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصنائع من قطع الصخور والاحتجار والغوص فى البحار وابنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وتكتفى من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل فى تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول

الفصل الاول فى ذكر البحار

روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء (واعلم) * أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر الزابج خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التى ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذى يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر مينية والبحر الذى عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهى منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله فى البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمى البحر الاسود لان ماءه فى رأى العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان فى يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء فى بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاى شئ ذلك وكذلك يرى فى بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان فى هذه المواضع والماء فى نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض (وأما) ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة فصنا ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فأشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا ناكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينيها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منها أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب

تقى الدين السبكى الشافعى سقى الله عهده لقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم عظمهم قال وأنا أقرأ قوله لعظم بفتح العين فان العلم اذا عظم تعظم وهو فى نفسه عظيم ولكن أهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان وعظم بضم العين والاحسن ما أشرت اليه انتهى (قال) الشيخ الامام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكى فى أجوبته عن الاعتراضات التى على جمع الجوامع ومن ظريف ما يستفاد قول أبى نواس

أباح العراق النبيذ وشربه
وقال حرام المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد
فهلت لنا من بين قوليهما الخمر

سأخذ من قوليهما طرفيهما
وأشربها الا فارق الوازر الوزر
وقد سألنى الاديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى رحمه الله عن معنى هذه الابيات ومعناها أن العراق وهو أبو حنيفة رحمه الله أباح النبيذ وحرم المدامة وهى الخمر أسكرت أم لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شئ وأن الحجازى وهو الشافعى رحمه الله قال الشرابان واحد فأخذ أبو نواس بالموجب فكأنه قال انهما واحد ولكن فى الحل لا فى الحرمة واليه الاشارة بقوله فحل لنا من بين قوليهما الخمر ثم هذا الغلام كره أبو نواس على عادة الشعراء فى الكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لا يقول به أحد ولعله أشار بقوله سأخذ من قوليهما طرفيهما الى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر كما يقول ولا يفعل كذلك لا يعتقد فهو على ما زعم يشربها وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد ما لم يقله مسلم وكيف

عينها واخذ ضلعا من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمها فتطعمونا فارسلنا له منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين (وقال) صاحب تحفة الالباب ركبت في سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبي يخلع وسقطت على وجهي أنا وغيري ثم ألقت السمكة نفسها في البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت في البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كأسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها في البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذا السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة في البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة ففرشوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا لليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شيء لا اله الا هو ولا معبود سواه * وقيل ان في البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقي نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات رجعت فانصرفت بالله تعالى عنهم بفضله ورحمته (وقال) الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما في البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فظلت أن تقبض على رجلي فتباعدت عنها فأخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معي فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدي جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب البحر فتركت البحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هي خمس حيات في رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بأم الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة في البحر صخرة عليها شيء كثير من النارنج الاحمر الطري الذي كأنه قطع من شجره فقلت في نفسي هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هي ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هي حيوان يتحرك ويضرب في يدي فلففت يدي بكمي ثوبي وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاي شيء يصلح ذلك * قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فأخذته وكان ذلك في أيام الشتاء وليس في تلك الارض التي كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانفرطت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفي داخلها جسم كجسم العنب فسألت عن ذلك فقيل لي هذا من عنب البحر وانه تحته كراهة السمك وفي البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلي الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودي وذلك انه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقي نفسه في البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل

البحر

يمكن أن يقال انه يعتقد الحل وقد قال لا أفارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذه الابيات وهي على كل حال من كلمات الشعراء التي لا يحتج بها في دين الله تعالى (اعتل) ذو الرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم أبل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فأنصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء أن يجهلوها منها تمحيص الذنوب وثواب الصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة في حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره وانصرف الناس بكلامه ونسوا ما قاله غيره * (حكي) عن ابن المبارك أنه قال حججت الى بيت الله الحرام فبينما أنا في الطواف اذ عييت فجلست أستريح ووضعت رأسي على ركبتي فغلبني النوم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا ابن المبارك اذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت الى أرض العراق ودخلت دار السلام فاقصد الحلة التي بها رام المجوسي فاذا لقيته فاخبره أن النبي العربي محمدا صلى الله عليه وسلم يسلم عليك وهو يقول لك أبشر فان قصرك في الجنة غدا من أقرب القصور الى قصري قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبني النوم ثانيا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك في مسألك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتي قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت الى العراق فاطلب هذا المجوسي بهرام وبشره بما قلت لك

البحر ولا تحفه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يحدله ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان في بحر الروم سمكا طوله سبعمائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع في بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهي أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفي البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل في شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أرعد حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة في بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى زينته ساعة ثم غاص في البحر وفي البحر دابة يقال لها الدرفين تنجي الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يتحه نحو الغناء والصوت الحسن ويصيوا سماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يغوصون في البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع في تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وأنواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهي صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا ان ماء النيل ينتهي في طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان في البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكي ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهي كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لعلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وما روعوا تخلص منهم وسار فرأى صورا ملونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودورسا قها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسهل وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الامة التي بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وهم في غاية الطاعة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القماري والآبنوس والطواويس وبها من كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفي هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيف سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت

فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا واستعذت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبني النوم فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا تزال تسأل في ذلك وامتثل أمري فهو حق فقلت يا رسول الله أريد بذلك علامة ألقاه بها فأخذ رسول الله كفي بيمينه ثم قال يا ابن المبارك هذا المجوسي شيخ زمن قد أتى عليه مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه ويبس عصبه وجلده فاذا أتيته وسلمت عليه وبشرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التي أخذتها بيميني على رأسه ومرها على وجهه وسائر جسده بيده فانه يعود شابا ويرجع اليه بصره وسمعه ويسود شعره ويطري جسده ويقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كالولهان فلما أن قضيت حجي وحللت عقدي وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسي فقلت يا غلام استأذن لي على مولاك فقال الغلام أغريب أنت قلت أجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت الى دار لم أر مثلها واذا بكتبة ومجوس وصيارف تعود وهم يقتضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم فقلت ياقوم أفيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها وبين الدار الاولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب بين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم في

السفينة الابواب سارت فى ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذى تريده وفيها من الاودية والاشجار والانهار ما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال مالكم فقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبعة مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض المسافرين انه قال بينما نحن سائرون اذا قبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أيها البحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فاحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك الله قال فقلت لرفيقى دعهما قال فلما وثقا منا زلا هاربين فتبعهما الكلبان وجدا فى الجرى فأمسكا بخصا منهما قال فأدركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهانى * دهرى من الهموم والاحزان
فقافليلا أيها الكلبان * لى مدتى الى متى تجريان

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقى وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

﴿الفصل الثانى فى ذكر الأنهار والآبار والعيون﴾ قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الارض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشر فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى الى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب فى البحار الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول ﴿النيل المبارك﴾ ليس فى الانهار أطول منه لان مسيره شهرين فى بلاد الاسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة فى الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب فى البحار لو مشى ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر * واختلف فى زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده فى الوقت الذى يريده الله تعالى وفى الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التى من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور (نهر الفرات) يوجد بأرض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقى وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتى الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفى وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات (جيحون) نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شئ من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب فى بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد فى الشتاء خمسة أشهر والماء يجرى من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أما كن يستقون منها وان اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والاحمال المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين

جيحون

الحساب فسلمت كما أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم فرد على السلام وكان قد شد حاجبه بعصابة فرفعها عن عينه ثم قال من الرجل قلت عبد الله بن المبارك قال مرحبا بك لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبى ادن منى فجلست الى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وما هى قلت أرى أن أخلو بك ساعة فقال نعم وأمر من هناك بالخروج فتهيؤا ثم خرجوا فبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء اصرفهم يا بهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة وأربعين سنة قلت فهل تعرف أنك عملت شيأ استوجبت به من الله الجنة قال لا أدرى الا أنى رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندى وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لا تستوجب الجنة بل تستوجب النار فهل علمت شيأ صالحا لآخرتك قال قسمت ليلى ثلاثة أجزاء أما الجزء الاول فانى أقعد للسامرة وتقر أعلى سيرى الأول فأنفرج بذلك والجزء الثانى أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهار والجزء الثالث أتفكر فيه فى أمر معاشى ومعادى وأمنع نفسى عن النوم فى ذلك الجزء فان النوم فيه جهل وخمول ودماء الانفس ورة فقلت هل لك فعل غير هذا قال لا قلت يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فبم استحققت يا بهرام الجنة قال ويحك يا ابن المبارك أتقطع لى بالجنة وأنت عالم المسلمين من أخبرك بذلك قلت أخبرنى الصادق الامين الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم قال فما القصة حدثته بالمنام الذى رأيته وبما قاله النبى صلى

(سيحون) نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجرى حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون فى بعض الاماكن (الدجلة) نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثر هانفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفى بعض الاوقات يفيض حتى قيل انه يمشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما يجوع غريقه *(وحكى)* انه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كان أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بارض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى ان حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول (نهر حصن المهدى) قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه فى بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه (نهر اذربيجان) قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير (نهر صقلاب) يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام (نهر العاصى) بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى
بهار وضة من حسنها سندسية * تعلق فى أكنافها أذيالها العاصى

(نهر العمود) بارض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى ويقول ياعظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فينقطع (نهر بالين) قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق (نهر ببلاد الحبشة والسودان) يجرى الى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضها الخصب والبركة وبها شجر كالارز يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند فى الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثانى فى ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئرها وروت ومارو تفسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فأمر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح صردابا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففروا اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك (بئر برهوت) بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها مجمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومه (بئر عسفان) ماؤها يستشفى به قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كانغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها (بئر معروفة بأرض حلب) خاصيتها أنها اذا ضرب منها المكاوب زال كلبه مالم يجاوز الاربعين وبنيسابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروز والغالب عنها كثرة عقاربها *وبأرض فارس

الله عليه وسلم مر رافقال يا ابن المبارك وهل لذلك علامة ظاهرة قلت نعم ادن منى فدنا فمسحت بيدى رأسه ووجهه وصدره وبدنه وأولاده ينظرون فصار شابا حسن الظاهر بياض بصيرا واسود شعره وابيضت بشرته فلما جاء دلك امدد يدك ياشيخ أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال ياشيخ أخبرك السبب الذى أوجب الله لى به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولت ولية عامة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فأكلوا ونصرفوا وانقضت الوليمة فلما كان فى بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدأ الناس ونام الخدام لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة وأنا جالس متيقظ فقلت من بالباب فقالت يا بهرام أنا امرأة من جيرانك فأوقدلى هذا السراج قال بهرام والمجوس لا ترى اخراج النار من بيوتهم ليلا فتحيرت فى أمرى وقلت ولم أنبه أحدا فأسرجت لها السراج فانصرفت وأطفأت السراج وعادت وقالت يا بهرام قد انطفأ فأسرجه لى فلما أسرجته قالت يا بهرام والله ما جئتك لاجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روائح طعامك فهن ملقيات على وجوههن يتضاورن كالمرأة الثكلى أو كالحية فى المقلى فان كان قد بقى فى دارك فضل طعام فاعطنى فانك ان شاء الله تملك بذلك الجنة فقلت حبا وكرامة فأخذت مندیلا كبيرا فجعلت فيه من كل شئ كان فى البيت من الحلو والحامض وأخرجت كيسا فيه ألف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج

بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لمحة واحدة ويجري فينتفع به في سقي الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تنكاد تحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

﴿الباب السادس والستون في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول﴾

(الفصل الاول في ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى غمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كحلقة في كف أحدكم وقال رواه الاثران الله عز وجل دابة في مرج من مروجه في غامض علمه رزقها في كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك *وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثاني الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الأقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو مرة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم فلا عتدال هوائه اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين * والممالك المشهورة التي ضبطت عدتها في زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء مر بيعان وصيفان وخريفان وشتا آن في سنة واحدة وانه يكون في بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شيء فأتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

﴿الفصل الثاني في ذكر الجبال﴾ قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت وتجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس (فمن أعجبها جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين أهبط وحوله الياقوت وفي أوديته الماس الذي يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهي الى بحر الظلمات (جبل أبي قبيس) سمي بذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التي بين أيدي الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضيء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أرونذ) بهمدان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة في السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشأم) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه وأوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التي بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء في الصيف يصير جلدا وفي الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا محق وطرح في الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثني جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير في كل سنة مرة ويدخل في كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب في تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

﴿الفصل الثالث في ذكر المباني العظيمة وغرائبها وعجائبها﴾ قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بني على وجه الارض الصرح الذي بناه نمرود الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا آثار ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة

آلاف

وستة أثواب مروزية وشددت الجميع وقلت احملي هذا الى عيالك وأقسمي عليهم فدت يدها فلم تطق حملها لضعفها فقالت يا بهرام أعني أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب في ذلك اليوم الشديد فقلت ياهذه كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى على مائة وثلاثون سنة ثم تفكرت لحظة وطاب لذلك قلبي فقلت لها شيلي على رأسي فشالته واستقل على رأسي فقال لذلك عرق حتى صرت في منزلها فحططت الطعام ووضعت الزمكة وجعلت ألقم البنات الى أن شبعن ونشطن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبسمن فلما أردت القيام قلن يأجمعهن يا بهرام أصلح الله لك أمورك وأدام سرورك كما أصلحت أمورنا وأدمت سرورنا وفرحك يوم القيامة كما فرحتنا وختم لك بخير وأزلك أقرب قصر من قصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دار الجنان وأنا أقول آمين ومازلت أرجو استجابة دعائهن قلت يا بهرام ابشر فان الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحقرن المعروف شيأ ولو أنك تفرغ من دلوك في اناء أخيك ماء قال عبد الله بن المبارك فتصدق بهرام في ذلك اليوم بمائة ألف درهم وبمائة ألف دينار وبمائة ألف ثوب مروزيات وبالفي ثوب ديباج وفرق سائر أمواله على أولاده وبناته وأسلموا جميعا وتفرق الاخوة عن الاخوات وزوج أولاده بالمسلمات وبناته بالمسلمين وأسلم في ذلك اليوم خلق كثير من المجوس ثم انفرد عن أهله ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث الا قليلا

آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع والليان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح في ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التي لم يخلق مثلها في البلاد (حكى) الشعبي في كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة في الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ولأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فماذا الى عنده قال يعطيك في الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبني مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدني به قال فامر شداد ألف أمير من جبابرة قومه عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا في الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الارض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فحفروا الاساس في الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليماني حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا وارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة الموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذ لبنا ولم يترك في يد أحد من الناس في جميع الدنيا شيأ من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى في وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلئ وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة من خرفة له وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة ورسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر في مشارق الارض ومغاربها أن يتخذ في البلاد بساطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ آنية الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت في أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدني به بعد الموت وقد حصلت عليه في الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم في طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وانه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل في تلك البرية التي بنيت فيها معادن الذهب والفضة والياقوت تضيء كالمصابيح فاذا رصلوا اليها لم يجدوا هناك شيأ * وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج في طلبها فوصل اليها فلما رآها هش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال في نفسه هذه تشبه الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين في الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير في المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت في وعاء ورجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما نظر بابا له ثم دخل على معاوية رضي الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية في اليقظة رأيتها أم في المنام فقال بل في اليقظة وقد حملت معي من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر

حتى توفي رحمة الله عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (روى عن سعد بن سعيد) انه قال كان في جوار معروف الكرخي رجل مجوسي من ابناء الاغنياء وجد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة انه قد بقي له مال جسيم فلا تظن انه عديم فأمر بمصادرته ثانيا فلما علم المجوسي ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبده من دون الجبار وقال ان لم تخلصني آمنت برب معروف فلم يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جن عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف الكرخي فلم يجده في المسجد فرفع رأسه وقال يا الله ابراهيم وعيسى ومحمد وإله معروف وبإيمان لا إله الا هو تحققت ان ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولا ينفع واني جئتك تائبا مما فعلت متبرئا مما عبدت منفصلا عما اعتقدت موقنا بك شاهد بأن لا إله الا أنت إله الاولين والآخرين وأنت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون الا ما تريد انك على كل شيء قدير فاغفر لي ما تقدم من ذنبي وجهلي وامرأتي ولا تنظر الى سوء عملي ومعصيتي واصرف شر الخليفة واعوانه عني فقد وجهت وجهي اليك ثم قال أشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله يا محمد تشفعت بك الى الله فاقبلني ثم مسجد وأطال سجوده وهو يناجي ربه ويبكي فأتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقي متفكرا في أمره لا يتحقق من هو واذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسي باسمه ونسبه فقال

معروف بيته فى موضع كذا وكذا فقال من هنالك جئت وقيل لى انه فى مسجد معروف فوالله لا بأس عليه فان الخليفة قد بعثنى اليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على أن يؤمنه ويرد عليه ما أخذه منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست أرى فى المسجد أحدا يشبهه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجى له فوضع يده حتى رفع رأسه فوقف صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثنى برسالة لطيفة لتصير اليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم صاحبه وما أقربه الى من دعاه ثم قال يا معروف امدد يدك انى أشهد أن لا اله الا الله محمدا عبده ورسوله وانى رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وان القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخى معه فلما وصلوا الى دار الخليفة واذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسه وأقعدهما الى جانبه وأقبل يعتذر اليهما مما وقع منه وأمر بالاموال التى أخذت من المجوسى فأحضرت بين يديه عن آخرهم قال له تأمل هذه الاموال أليست هى التى أخذت منك قال نعم قال فخذها بارك الله لك فيها واجعلنى فى حل مما وقع منى واستغفر الله لى فقال يغفر الله لك ثم قال يا أمير

والبواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أحفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن المبانى العجيبة الخورنق﴾ الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

(ومن المبانى العجيبة حائط المجوز) واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا للكور ومصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه مشكلا مهولا فأخذه الفزع والهم فضعف ونسل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى (ومن المبانى العجيبة الاهرام) وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما رتجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه وفتحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور الملوك عظام أرادوا أن يتميز وابها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتوالى العصور *ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزالق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد بن سهراق بن مرياق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قائل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المبانى العجيبة منارة الاسكندرية) التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندسة مغموسة فى الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها تمثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا أبصر العدو على تحويلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجىء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة سمعت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصينى عرضها

سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعدا متروكهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق فى البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدى الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك * قال المسعودى قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكاه كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفر وا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد أن تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبيئة بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها حيلة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتوها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم ير وا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليمانى المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشى خلفه لصفائها وفى وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحدى عشرة ذراعا وفى تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ماسببه * وفى مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجارى فى كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى * وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس فى الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذى لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا بلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحى من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان فى دار يجمع فيها عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المبانى العجيبة ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرافاته خمس عشرة ذراعا والمسلمون المدائن أخربوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائها فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمح وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها ﴾

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهى مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى * ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية

المؤمنين أما الاموال فهى لك حلال بعد ان هداني الله الى دين الاسلام ولكن أعلمنى ما الذى دعاك الى طلبى فى هذا الوقت ورد هذا المال على قال نعم كنت نائما واذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل على ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم على وقال ان الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك ان عبدنا فلانا المجوسى كافر قد عونا فى النار فأجبناه وكان فى المجوسية مستترا لنا مع عناية وقد جاء الآن الى تائبا وعما كان منه تائبا وهو فى مسجد معروف الكرخى مستجيرا بجنابنا منك فابعث فى طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوبا فأرسلت فى طلبك وهاهو مالك قد رددناه عليك ودفعناه اليك فخر الرجل ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه وا أسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لى فى هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشئ أمرنى ربى باخراجه فقال يا أمير المؤمنين لا حاجة لى فى المال أشهدك انى قد جعلته صدقة فى فقراء المسلمين لا حظ لى فيه ولا لاحد من أهلى فقال الخليفة يا معروف بقى الامر الىك فاحمل المال وتصدق به على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والايتام والارامل فحمله معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصاحبهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يحلله مما وقع منه ولازم الرجل معروفا الكرخى الى

بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق اجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من نارينه والليونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه * خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا وبمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الأذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينغط ويبرأ سريعا وامساكه في الفم يزيل البخر ﴿الفضة﴾ قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أديبت مع الزئبق وطلي بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول * (النحاس) * قريب منها لكنه أيبس وأغلظ في الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلي بالحامض زال صدؤه والاكل في آنيته يولد أمراضا لا دواء لها ﴿الحديد﴾ كثير الفائدة اذا من صنعة الاوله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحمل ﴿القصدير﴾ صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه أنه اذا ألقي في قدر لم ينضج ما فيها ﴿الاسرب﴾ هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول في كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخلازير والغدد أبرأتها ﴿الخارصيني﴾ حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها في الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

﴿الاحجار الجوهرية﴾ أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل أن حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان في بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفي دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين ﴿الياقوت﴾ سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجوني ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرماني الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردي ثم الحمري ثم العصفري وأردؤه الازرق الذي لونه يشبه زهر السوس وأقله قيمة الابيض خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق في الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل (البلخش) هو مقارب للياقوت في القيمة ودونه في الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوي الحمرة وأسود يعلوه حمرة متوسطة برزقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع بأشراق مغرب ومائيته رقيقة شفافة وفي مائيته سمرة داخل عينها تحركت يسارا وبالعكس (ومن خواصه) اذا علق على العين أمن عليها من الجدري على ما قيل (الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادي فيضع في الوادي مرآة كبيرة فتأتي الحيات فتنظر الى خيالها في المرآة فتنفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم يحرمون الجزر ويلقون لحمها في ذلك الوادي فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتي النسور فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر في مكان ومصيف ستة أشهر في مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها

أن مات تغمده الله برحمته ﴿وحكى عن معن بن زائدة الشيباني﴾ ان شاعرا قصده فأقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه ذلك قال لبعض خدمه اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها في الماء الداخل الى البستان فأتفق ان معنا كان جالسا في ذلك الوقت على رأس الماء فنظر به فأخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهي

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي

فمالي الى معن سوالك شفيع

فقال من صاحب هذه فدهي بالرجل فقال له كيف قلت فأنشد البيت وأمر له بمائة ألف درهم فأخذها وأخذ الامير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني قرأها ودعا بالرجل فدفع له مائة ألف درهم على العادة ثم دعا ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة ألف درهم فلما أخذ الجائزة الثالثة خشي الشاعر أن يندم فيأخذ منه ما دفع اليه فسافر فلما كان في اليوم الرابع طلبه معن فلم يجده فقال معن حق على لو مكث لاعطينه حتى لا يبقى في بيتي درهم ولا دينار (وحكى عنه أيضا) انه أتى بجملة من الاسرى فعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن أسراك وبناجوع وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل فأمر لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قال الرجل أصلح الله الامير كما أسرانا ونحن الآن أضيافك فانظر ما تصنع بأضيافك قال قد عفوت عنكم فقال الرجل

أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك * ومن عجيب أمره أنه اذا أريد كسره جعل فى أنبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا أجعل فى شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب (ومن خواصه) ان الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء (ومن خواصه الجليلة) أنه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرد) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل (ومن خواصه) أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان امحاقى وخلنجى وأجوده الامحاقى الازرق الصافى (خواصه) النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى يتلفى (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمنى أجود (خواصه) التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه وادا وضع بين قوم لاعلم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم (خواصه) النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه يتشجره يشبه النبات ويتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينما فى معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس (خواصه) النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالحل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ ونواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلى بمحاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الماء (السنج) خواصه أنه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء وليسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة (خواصه) الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق

أيها الامير ما ندرى أى يوم أشرف يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنا فأمر لهم بمال وكسوة (وحكى) ان المنصور أهدر دم رجل كان يسعى فى فساد دولته مع الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل عليه وجاء به مائة ألف درهم ثم انه ظهر ببغداد فبينما هو يمشى مختفيا فى بعض نواحيها اذ ضربه رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة اذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرنى أجارك الله فوقف وقال للرجل المتعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين الذى أهدر دمه وجعل لمن دل عليه وأتى به مائة ألف درهم فقال دعه يا غلام نزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل بالناس وقال أيحال بينى وبين من طلبه أمير المؤمنين فقال له معن اذهب اليه وأخبره انه عندى فانطلق الى باب المنصور فأخبره فأمر المنصور باحضار معن فلما أتى الرسول الى معن دعا أهل بيته وموا ليه وقال أعزم عليكم لا يصل الى هذا الرجل مكروه منكم عن تطرف ثم سار الى المنصور فدخل عليه وسلم عليه فرد عليه السلام وقال يا معن أتتجر أعلى قال نعم يا أمير المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين مضت أيام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائى فى خدمتكم فما رأيتموني أهملت لان يرهب الى رجل واحد استجار بى بين الناس وقومى أفنى عنه أمير المؤمنين من بعض عبيده وكذلك أنا فهر ما شئت ها أنا بين يديك

واستعمال وخاصيته أنه يندمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا (ومن خاصيته) أن يحسن الذهب وبزيد في صفرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا علي ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التي غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقي في العجين طبيه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم في أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم * ومن أراد التعمق في ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والستون في الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه﴾

وما ذكرت ذلك الا لاني كرهت أن يكون كتابي هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

﴿فصل في الصوت الحسن﴾ قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا يا نبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أباكم مضر خرج في طلب مال له فوجد غلامه قد تفرقت ابله فضرب على يده بالعصا فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تحتمه عليه فاشتق الحداء وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما في الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضربان جسده ضربا شديدا خيفة أن تخلع أو ساله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجد لي اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادي للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بأن يظمؤا ابلا ثم يوردوها الماء فاني آخذ في الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب ان الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على اثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة ان النغم فضل بقي من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح الا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان استراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس في الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاياة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاياة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيري الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يمكن الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت وعمله في ضمير ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة

فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من الغضب وقال قد أجرنا من أجرت يا معن قال فان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الاجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فأجزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال فعجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر تعجيله فانصرف معن بالمال للرجل وقال له خذ صلتك والحق بأهلك واياك ومخالفة خلفاء الله في أمورهم (حكى الجاحظ) قال أخبرني فتى من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل لما ذكر لي ان به راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وأيامهم فصرت له لاسمع كلامه فوجدته في حجرة معتزلة بالدير وهو على أحسن هيئة في زي المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصف وألت عن سبب اسلامه فحدثني ان جارية من بنات الروم كانت في هذا الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال فأحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدير فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا في التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام في دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخطئ الصورة شيئا منه غير النطق وأتى بها الى الجارية فلما أبصرتها تمنى عليها فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى

وكان أبو يوسف القاضي يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا ان في البحر دوابا رعما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين العشي من حلاوتها فاعتنى بها وضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا ورعما يغشى على سامع الصوت الحسن للطاقة وصوله الى الدماغ وعمازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تتعاطى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد في نشاطها رقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتنة تختر في مشيتها وزعموا ان السماكين بنواحي العراق يبنون في جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك في الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك في باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعي اذا رفع صوته ونفخ في يراعته تلقته الغنم آذانها وجدت في رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت في الشرب وليس شيء مما يستلذه أخف مؤنة من السماع قال فلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتغل منها ما خمد وما زالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيباني

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تناوم الهجم

(وحكى) أن البعلبكي مؤذن المنصور رجع في آذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهي لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمارة في قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت في صوتها كيف تصنع
تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

(وبعد) فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لا سيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن * مقرب من فرح
معبد من حزن * لا فارقاني أبدا * في صحة من بدن

وهل على الارض من جبار مستطار الفوائد يغني يقول جرير

قل للجبان اذا تأخر مرجه * هل أنت من شرك المنية ناجي

الاشاش وشجعت نفسه وقوي قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقضت أطرافه يوما يغني يقول حاتم الطائي يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى في ماله سبلا

اذا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه * واختلف الناس في الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة العراق فمن حجة من أجازه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بني عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام واحتجوا في اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغني قالت لم نفعل قال أوما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * لم نحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة ونحوها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ما روى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم

وأخرج الراهب لي الصورة فرأيتها
فكادان يزل عقلي فلما خلت
الجارية بالصورة رفعتها الى الحائط
حيرتها وما زالت كل يوم تأتي
الصورة وتقبلها وتلثم ما تحب منها ثم
تجلس بين يديها وتبكي فاذا أمست
قبلتها وانصرفت فازالت على تلك
الحال شهرا فمرض الغلام ومات
فعملت الجارية مأتما وعزاء سار
ذكره في الآفاق وصارت مثلا بين
الناس ثم رجعت الى الصورة
وصارت تلثمها وتقبلها الى ان أمست
فماتت الى جانبها فلما أصبحنا
دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها
فوجدناها ميتة ويدها ممدودة الى
الحائط نحو الصورة وقد كتب
عليه هذه الابيات

ياموت حسبك نفسي بعد سيدها
خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهي الى الرحمن مسلمة
ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها
بمن تحب غدا في البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا
محبة لم تزل تشقى بحبيها

قال الراهب فشاع الخبر وحملها المسلمون ودفنت الى جانب قبر الغلام فلما أصبحنا دخلنا حجرتها فرأينا تحت شعرها مكتوبا

أصبحت في راحة مما جنته يدي
وصرت جارة رب واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا
قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت الى الرحمن مسلمة
وقلت انك لم تولد ولم تلد

أتاني رحمة منه ومغفرة
وأنعما باقيات آخر الابد

(قيل) اجتمع الصوفية الى أبي القاسم الجنيد وقالوا يا استاذ أنخرج ونسعى في طلب الرزق قال

النبي صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا

مادعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستر في برد ائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون في المسجد الحرام حتى أكون أنا التي أسأمه ويدل عليه أيضا ماروى في الصحيحين من حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام مني يدففان ويضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه للنابغة الجعدي أسمعني بعض ماعفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فسمعته يغني بالركابية يقول

فكيف نوافي بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لي أسمعت ماقلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم وقد أجاز والتحسين الصوت في القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وماجعلت العرب الشعر موزونا الا لامر الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل في أصله وتأولوا في ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الاية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصري ماتقول في الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويوامي به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتني قال أن يغني الرجل قال وكيف يغني فجعل الرجل يلوي شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخي ماظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويهه وجهه وتعويجه وسمع ابن المبارك سكران يغني هذا البيت

أذلني الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذي أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة * وكان لابي حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغني على شرابه بقول العرجي

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه فقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله مافعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ماياتي أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لي جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من في الحبس اكراما لابي حنيفة فأقبل الكيال على أبي حنيفة يتشكره فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يافتى يعرض له بشعره الذي ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت * وكان عروة ابن أذينة ثقة في الحديث يروي عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا بقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذي يقال فيك

لهم ان علمتم أين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله أن يرزقنا قال ان علمتم أنه ينساكم فذكروه قالوا فنجلس اذا ونتوكل قال التجربة تشكك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (قيل) اجتمع أربعة من الائمة الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضي الله تعالى عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعي ثم مازالوا يصلون في المسجد الى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعي مم تضحك يا أبا عبد الله قال خرجت الى الصلاة ولم يكن في البيت لقمة من طعام والآن فقد وسع الله علينا قال الشافعي فاسببه قال أحمد قالت لي أم عبد الله انكم لما خرجتم الى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكي الرائحة فقال يا أحمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال هاكم خذوا هذا فسلم الينا زنبيلا أبيض وعليه منديل طيب الرائحة وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعي يا أبا عبد الله فما في الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد جعلت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج وأذكى من المسك مارأى الراؤن مثله وخروف مشوي مزعفر حار وملح في سكرجة وخل في قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزذ ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ماشاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من

الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم ابترد

هيني بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك بن الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها بالنظر حتى شغف بها فلما شعرت بملحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وماصرحا

قال فأغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التى كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فالمجب لما تأتى به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

(قدم) عبد الله بن جعفر على معاوية بالشأم فأنزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هل فسمع ما فى منزل الذى جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تتحرله ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله ابن جعفر وهو قائم يصلى فنهيه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى مملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية ترق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره انى قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يدارى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فمروان يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديع المغنى فأمره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داوأذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعاد فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أحدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لا بليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديع هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جوار يه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديع بقال

أليس عندك شكر للذى جعلت * ما البيض من فادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتنى عن تحريك رأسى فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب * وحدث ابن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام بيابنا بلموا * ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فأقبل عليه

ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما ان فرغوا من الاكل حمل أحد ما بقى منه وأدخله الى أهله فأكلوا وشبعوا وبقى منه شئ فأجمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وان الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن أحمد بن حنبل ما أصابنا مجاعة قط مادام ذلك الزنبيل فى بيتنا وكان يأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضى الله تعالى عنهم وأعاد علينا من بركاتهم ﴿قيل﴾ ان عبد الله ابن معمر القيسى كان أمير امن أمراء العرب وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وصحبت مالا كثيرا وتجارا عزيزا فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر فى الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسابا دبا فأنصت اليه فاذا هو يقول

أنى جالك نوح حمائم الدر

فأهجن منك بلابل الصدر

أم زادنومك ذكر غانية

أهدت اليك وساوس الفكر

فى ليلة نام الخلى بها

وخلفت بالاحزان والذكر

يا ليلة طالت على دنف

يشكو الغرام وقلة الصبر

أسلت من يهوى لمر جوى

متوقد كتوقد الجمر

فالبدر يشهد انى كلف

بجمال شب مشبه البدر

قال ثم انقطع الصوت ولم أر من أين جاء فبهت حائرا واذا به قد أعاد البكاء والنحيب وهو يقول

أنى جالك من رد يا خيال زائر

والليل مسود الذوائب عاكر

واعتاد مهجتك الهوى فأبادها

واهتاج مقلتك المنام الباثر

صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال فبنتك هذه سمعتها تقول * قل للكرام بيابنا بنا بجوا * فوجدنا أن كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا اللئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك * وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علي ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرحزة الفحل في الشول وما أظن أني أسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصي * أصل الغناء ومعدنه * قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء القينان وازكان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهر وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابن بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب للحون الثمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء *

(قيل) ان أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا ياقين ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

واغاغنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الاسلام هذا البيت

قدبرانى الشوق حتى * كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا * دلفت لهم بباطية هدور
فلا تشرب بلاطرب فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادي ومن غنائه

امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا في الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول في ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول في العسل الذي من حيث ما ذقته فهو طيب قال فما رأيك في ابراهيم الموصلي قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان * وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

واذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية ان تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليه ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بثمانية آلاف درهم * وحدث بن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال للملى يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومي هذا فلما كان في بعض الايام سال وادي العقيق فلم يبق في المدينة مخبأة ولا مخدودة

ناديت ليلى والظلام كانه
يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسرى في السماء كانه
ملك تبدى والنجوم عساكر
واذا تعرضت الثريا خالتها
كاسا بها حث السلافة داثر
وترى يد الجوزاء ترقص في الدجا
رقص الحبيب علاه سكر ظاهر
ياليل طلت على حبيب ماله
الا الصباح موازر ومسامر
فلجا بنى مت حتف أنفك واعلمن
ان الهوى لهوى الهوان الحاضر

قال عبد الله فنهضت عند ابتدائه بالابيات أؤم الصوت فما انتهى الى آخرها الا وأنا عنده فرأيت غلاما جميلا قد نزل عذاره لكن قد علاه محاسنه الاصفرار والدموع تجرى على خده كالامطار فقال نعمت ظلا ما من الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي فقال ألك حاجة يافتى قلت اني كنت جالسا في الروضة فحاراعني في هذه الليلة الا صوتك فبنفسي أقبل وبروحي أفديك وعالى أوسيلك ما الذي تجد قال ان كان ولابد فاجلس فجلست فقال أنا عتبة بن الحباب ابن المنذر بن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب ولم أزل فيه راكعا ساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا نسوة يتهادين كانهن القطا وفي وسطهن جارية بديعة الجمال في نشرها بارعة الكمال في عصرها نوارها ساطع يتشعشع وطيبها عاطر يتضوع فوقفت على وقالت ياعتبة ماتقول في وصل من طلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا قفوت لها أثرا فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ صرخة عظيمة وا كبد على الارض مغشيا عليه ثم

ولا شاب ولا كهل الا خرج ببصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني وهو مهتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كانهما ساريتان عشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لانكان بكما فقالا اياه ولا ناقل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المهتجر بفضل ردائه فأمسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به في العقيق قال فضيا واالحسن يقفو هما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بعنقه يقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول لك واعلم انك مأسور في يديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه وأعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال افترح واقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرا رجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة مثل ما رقط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا اخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مر بي شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائي فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق * وحدث أبو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبي عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبي عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلي أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبي عيسى قلت أمثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبي عكرمة فما لبث الا ساعة واحدة حتى خرج الغلمان الى فحملوني حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما انظرت الي أبي عيسى قال لي ما يعيش من يحتشم اجلس فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بأرداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدرشار به
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من ورده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعني * يوم الفرق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام ينشد وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يا دير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى دوبيس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح

أفاق بعد ساعة وكانما صبغت
دنياجة خده بورس أنشد يقول
أراك بقلبي من بلاد بعيدة
تراكم ترونى بالقلوب على بعد
فؤاد وطرفي في بأسفان عليكم
وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى اراكم
ولو كنت في الفردوس أوجنة الخلد
قال فقلت يا أخي تب الى الرب لك واستقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ما أنا بمبال حتى يكون ما يكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله أن يكشف عنك ما بك قال أرجو ذلك ببركة طلعتك ان شاء الله فنزلنا الى أن وردنا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الاربعاء أما
ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني
يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخمن الناس أن الاجر همته
وما أناط بالمالله جر مكتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا
مصحفا بفتيت المسك مختضبا

فجلسنا ثم حتى صلينا به الظهر فاذا النسوة أقبلن وما الجارية بينهن فلما بصرن به قلن يا عتبة وما طنك بطالبة وصالك وكاسفة بالك قال وما لها لمن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هي رباب ابنة الغطريف السلمي فرفع الشاب رأسه اليهن وأنشد يقول

خليلي ربما قد أجد بكورها
وسارا لى أرض السماوة عيرها
خليلي ما تقضي به أم مالك
على فما بعد وعلى أميرها
خليلي اني قد خشيت من البكا
فهل عند عرعر بقية استعبرها

واعدل الفتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضو أشباح
وخمرة عتقت في دنها حقبا * كانها دمعة في جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق

لا تحفلن بقول الدائم اللاحي * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كالمسك اذ انحدرت في حلق شاربها * أغناه لا لاؤها عن كل مصباح
مازلت أسقي نديمي ثم ألثمه * والليل ملتحف في ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يادير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لي شعري فغناه

يا لجة الدمع هل لغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتي وفؤادي هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاي ملسوع
لا والذي تلفت نفسي بفرقته * ذا القلب من فرق الاحزان مصدوع
ما أرق العين الا حب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكى) عن الرشيد انه قال يوما للفضل ابن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية وأمير المؤمنين يشتهي سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ما تراجعنا الذي كان بيننا * جرى الدمع من عيني بثينة بالسكل
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها * ويا ويح عقلي ما أصبت به أهلي
خليلي في فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم لمده عقدا نفيسا فلما رأه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك ياهاشم فقال يا أمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لي أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه علي قال هذا اعرابي قد ظهر من البوادي ادعوا به فسخر به فدعاني فصرت اليه ولم يعرفني فغنت احدى الجاريتين بصوت هولي فأخطأته الجارية فقلت لها أخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابي يعيب علينا غناءنا فانظر الى كلامه فقلت يا أمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلئن صح وتر كذا ووتر كذا ففعلت وغنت شيئا مما سمعت منها الا في هذا اليوم فقامت الجارية مكبة علي وقالت أستاذي هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم ابن سليمان أنت قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهي وألقت معه بقية يومنا فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين أتأذن لي في بر أستاذي فقال الوليد ذلك اليك فخلت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب في السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتي فأرادت ان ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت في الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لي يا هاشم ما ترجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب ان يكون هذا العقد عندنا نذكرها به فبعتني اياه فعوضني عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لا تعجب فان الله كما ورثنا ملكهم ورثنا أموالهم * وقال علي بن سليمان النوفلي غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا برؤ يالك هاديا

فقلت يا عتبة طب قلبا وقر عينا
فقد وردت الحجاز بمال جزيل
وطرف وتحف وقماش ومتاع أريد
به أهل السفر والله لا بذلته
أمامك وبين يديك وفيك وعليك
حتى أوصلك الى المنى واعطيك
الرضا وفوق الرضا فقم بنا الى مجلس
الانصار فقمنا حتى أشرفنا على
ناديهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت
أيها الملا الكرام ما تقولون في عتبة
وأبيه قالوا خير ان من سادات
العرب قلت فانه قد رمى بفؤاده
الجوى وما أريد منكم الا المعونة
فركبنا وركب القوم حتى أشرفنا
على منازل بني سليم من السماوة
فقلنا أين منزل الظريف فخرج
بنفسه مبادرا فاستقبلنا استقبال
الكرام وقال حييتم بالاكرام
والرحب والانعام فلنا وأنت حييت
ثم حييت أتينالك أضيافا قال نزلتم
أفضل معقل ثم نادى يا معشر
العبيد أنزلوا القوم وسارعوا الى
الاكرام ففرشت في الحال الانطاع
والنمارق والزرابي فنزلنا وأرحنا ثم
ذبحت الذبائح ونحرت النحائر
وقدمت الموائد فقلنا يا سيد القوم
السنا بدائنين لك طعاما وتقضي
حاجتنا وترد نا بغير ما قال وما
حاجتكم أيها السادة قلنا نخطب
عقيلتك الكريمة لعتبة بن الحباب
ابن المنذر الطيب العنصر العالي
المفخر فأطرق وقال يا اخوتاه ان
التي تخطبونها أمرها الى نفسها
وها أنا ذا أدخل اليها أخبرها ثم
نهض مغضبا فدخل على رياو كانت
كما هي فقالت يا أبتاه اني أرى
الغضب بيننا عليك فما الخبر قال
لما ورد الانصار يخطبونك مني
قالت سادات كرام وأبطال عظام
استغفر لهم النبي صلى الله عليه

ذكرتك بالدير بن يوما فأشرفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
اذا ما طوالك الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى المنى والمرى وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر لهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بغلتهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموهم فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ما حكى اسحق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال له يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه فسمى هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما في البيت من حرق * حتى تناديوا بأن قد جئ بالسفن
قامت تودعني والدمع يعلمها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الي وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية * يا ليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم قال وغيبته يوما

ففي ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فأمسيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك وصول

فقال والله لا سمعت ومي غيره وألقى علي خلعة من ثيابه وأمر لي بصلة ما أمر لي قبلها بمثلها (ومن حكاياتُ الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكي عن ابراهيم بن المهدي قال قال جعفر بن يحيى يوما لبعض ندمائه اني قد استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداك أنا أسعد بمساعدتك وأمر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فما زلنا في أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا يومنا ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر ان عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة مالا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لسدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقدر تعمدنا ذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من طرحت عليه ثياب خزمعلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال اخفضوا عني فانه شيء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها لك مكافأة لك على ما صنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فتسأله الرضى عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهرا بي ابراهيم بصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير

وسلم فلن الخطبة منهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هذا انه يفي بما وعد ويدرك اذا قصد وبأكل ما وجد ولا بأس علي ما فقد قال العطريف أقسم بالله لا أزوجك به أبدا فقد غمنا الى بعض حديثك معه فقالت ما كان ذلك ولكن اذا قسمت فان الانصار لا يردون مرد اقبيحا فاحسن لهم الرد واد فع بالتي هي أحسن قال يا رباه أي شيء أقول قالت اغلظ لهم المهر ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد أبرت قسمك وبلغت مأربك وراعيت أضيافك قال ما أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال يا خوتاه ان فتاتا لمي قد أجابت ولكن أريد لها مهرا مثلها فمن القائم قال عبد الله فقلت أنا القائم بما تريد فقال أريد ألف مثقال من الذهب الاحمر قلت لك ذلك قال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبر قلت لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشي المطرز قلت لك ذلك قال وأريد خمسة أكرش من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة لحفة من المسك الاذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قال أجل ثم أجل قال عبد الله فانفتت نفرا من الانصار أو اجميع ما ضمنته وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لا كل الطعام فأقاموا هناك نحو أربعين يوما على هذا الحال ثم قال الغطريف يا قوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها في هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطرف ثم ودعنا ورجع فسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة

المؤمنين بابنته العالية قال وأحب ان تحقق الاولية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبدا الملك بن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ما سأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لأنظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعي بأبي يوسف القاضي ثم بابراهيم ابن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالبية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والاولية تحقق على رأسه وخرج كل من في القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان بيملك يا جعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألني رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فيم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فيم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته العالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تحقق الاولية على رأسه قال فيم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجزله جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم المهدي فوالله ما أدري أي الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتداء عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق وحكى أبو العباس عن عمر الرازي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في جمد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لا توصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد علي ما سمعت فقال والله لو كان عندي قرى أقريكه لفعلت ولكني أجعل لك قرائي فقلت والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغني ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التي وصفها لي فاذا هي كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السبعون في ذكر القينات والاغاني﴾

(حكى) علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت في الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارقه مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها فقال علي بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظني فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة في منامي كأني رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك اغناها جاريتك والرضا الجفاء بيدك فوالله انا لفي حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب بالعود وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمني

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاي رأيت في

خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنها من بني سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منها عدة من رجالها ردها وانحرف راجعا وبه طعنة تفور دما حتى سقط الى الارض فلم يلبث عتبة أن قضى نحبه فقلنا يا عتباه فسمعت الجارية فألقت نفسها عليه وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

تصبرت لا أني صبرت وانما
أعلل نفسي انها بك لاحقه
ولو أنصفت نفسي لكانت الى الردى
أمامك من دون البرية سابقه
فما أحد بعدي وبعدك منصف
خليلا ولا نفس لنفس مصادقه

ثم شهقت شهقة واحدة فقضت فيها نحبها فاحترنا لهما مكانا واحدا ووارينا هما فيه ورجعت الى ديار قومي وأقمت سبع سنين بعدها ثم عدت الى الحجاز ورددت الى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا عودن الى قبر عتبة فأزوره فأتيت الى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها أوراق حمر وصفر وخضر وبيض فقلت لأرباب الجهة ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فأقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت (حكى) ان شخصا جاء الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي رحمه الله تعالى سلطان العلماء فقال رأيتك في المنام تنشد

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال فسكت ثم قال أعيش شلالا وثمانين سنة فان هذا النحر لكثير عزة وقد نظرت فلم أجد بيني وبينه نسبة فاني سني وهو شيعي وطويل وهو قصير وشاعر ولست بشاعر وأنا سلمي وهو خزاعي وشافعي وهو

منامي هذه الليلة كأنك قد رضيت عني فأنشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا علي هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب وقد في موضعه الذي شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب وقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام فجيعتى * مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتنا جميعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لاراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودملجى * وتحل بين مراشفى ونواهدى
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا محاقة راصد

فلما مدت يدها لترمي اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له انه ليجري بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا ان العشق قد خامرهما قال فأعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم * وكان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهد ابنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتنعت فوقع في قلبه منها ما وقع وأحبته هي أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر في الليلة من الليالي في ناحية من القصر فأمسكها فبكت وقالت له يا سيدي الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد فرق الدجا فوجدها نائمة في سدلة وهي سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها وهي فلم يجد فقاما عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الجدين ليلية السحر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وماحب الكواعب من أمرى
فمازلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت يعيرة * أمسوت ولا هذا ردمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى يا غلام فبادنى * وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى يا غلام وانه * تداركنى بالجعل صرت الى القعر
فأقسمت عمرى لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

(ومن ذلك) ما حدث الشيباني قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له أنها تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يحالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا الفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

(وقال) أبو سويد حدثني أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتحاربت وصفقت الرياح على

جاري فلم يبق الا اللسن فأعيش مثله فكان كذلك انتهى (ومن ظرف ما يحكى) ان الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وفراش مليح فقام الي وأجلسني معه فنظرت في القرآن فاذا هو ماهر فنظرته في شيء من النحو فوجدته ماهرا ثم أشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت قد وجب علي تفطيم دفتر المعلمين فكنت كل قليل أتفقده وأزوره فقال فأتيت بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جارية وقالت ما تريد قلت مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء ما يعطي لأحد الطريق قلت قولي له صديقك فلان يطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقال بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وهذا سبيل لابد منه فعليك بالصبر ثم قلت أهذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتي فعلمت في نفسي هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأني بك وقد ظننت اني رأيتها فقلت في نفسي هذه مجنونة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم اني كنت جالسا واذا رجل عابر يغني وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردي علي فؤادي أينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه ما في الدنيا مثلها ما كان الشعراء

يشغلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغني ويقول

اذا ذهب الحمار بام عمرو

فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وقعدت في العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتي وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو (ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة ان منارة صاحب الحلفاء قال رفع الى هرون الرشيد ان رجلا بدمشق من بقايا بني أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له في البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون الخيول ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن من فتق يبعد رتقه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة في بعض حجه في سنة ١٨٦ وقد عاد من الموسم وبايع للامين والمأمون والمؤتمن أولاده فدعاني وهو خال وقال اني دعوتك لامر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف العمل ثم قص علي خبر الاموي وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الجائزة والنفقة والآلة وبضم اليك مائة غلام وللسلك البرية وهذا كتابي الى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئني به وان عصى فتوكل به أنت ومن معك وانفذ هذا الكتاب الى نائب الشام ليركب في جيشه ويقبض عليه ويجيء به وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا المحمل تجعله في

الاشجار فتمايلت فقالت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا يزيد في مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا يزيد ما يطيب في يومنا هذا قلت أصلح الله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشر بها من كفها وأمسح في بخدها فأطرق سليمان مليا ثم رد جوابا تحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا يزيد حضرت في يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أو لتخبرني ما أنا رهذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا انا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة تعليبها بذؤابتين تضربان الى حقويها لها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان عملوتان سحرا وأنف كأنه قضيب بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسبة أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم تر لي ثم قالت أعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا ساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني حسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستغرقني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم أبا يزيد أن تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يوت الا بجبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهبة قم أبا يزيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نقله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بغسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهيجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قراءة أصلحك الله قال وما قراءتكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الاكل والشرب فبما شئتم لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك ولا شرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا تغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما نابه السهر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها الطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الغسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الغسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد

يرو عنه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

قال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام على بسبنان فدعت الذلفاء خادمها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فخذ رتبه فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل ردقت له الحرة وأن الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة ايالك ايالك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) ان الرشيد قصد يوما فأرسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغي صحة * ألبسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الكاس ياسيدى * واهنأ به من كف ذى الجاريه
واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها ذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فابطا قليلا * على الرغم مني فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة * وأهدى داود بن روح المهلبي الى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لا هجرن حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكديرا
فأرسلت اليه تجيبه لا تهجرن حبيبا خان موعده * ولا تدمن وعدا فيه تأخير
ما كان حبسي الا من حدوث أذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * دار بكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسني فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتي من يدى * أبكى عليها آخر الابد
كانت هي الانس اذا استوحشت * نفسي من الاقرب والابعد
وروضة كان بها مرتعي * ومنهلا كان بها موردى
كانت يدى كان بها قسوتي * فاختلس الدهر يدى من يدى

(والمتوكل في قينة)

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فاحسن ذى دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان في المدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جؤزر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله

شفة اذا قبلته وتقعد أنت في الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر النعمة والحال والحمل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من الغاطه من حين وقوع طرفك عليه الى ان تأتيني به واياك أن يشذ عنك شئ من أمره فانطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا مع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلا الى ان وصلت دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت الدخول ليلا فنمت بظاهر البلد الى أن فتح الباب فدخلت على هيئتي حتى أتيت دار الرجل وعليها صف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلماني فقالوا هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت محلا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بي فقلت أفيكم فلان قالوا لا نحن أولاده وهو في الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت باهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان طال واستريت به واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى الى ان رأيت شيخا عزيز الجمام يمشي في الصحن وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فعلمت انه الرجل فجاء حتى جلس

انك لفي لذتك ولا لذة لي قال ومالذتك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فأمر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريته عليه فلما ناق عليه الامر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسهون الكنيف بالمراحيض فقال لهما ياحبيبتي أين المرحاض فقالت احداهما الصاحبتها ما يقول سيدنا قالت تقول غنياني

رحضت فؤادي خليتي * أهيم من الحب في كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه والله ما أظنهما فهمتا عني وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال ياحبيبتي أين المخرج فقالت احداهما الصاحبتها ما يقول سيدنا قالت تقول غنياني

خرجت لهامن بطن مكة بعدما * أقام المنادي بالعشي فأعتما

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه لم يفهمها عني وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسهونها المذاهب فقال ياحبيبتي أين المذهب فقالت احداهما الصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت تقول غنياني

ذهبت من الهجران في كل مذهب * ولم ير حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لم يفهمها عني وما أظن الا فحمتين وأهل المدينة يسهونها بيت الخلاء فقال ياحبيبتي أين بيت الخلاء فقالت احداهما الصاحبتها ما يقول سيدنا قالت تقول غنياني

خلا لي بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعاني الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الا فاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال ياحبيبتي أين الحشوش فقالت احداهما الصاحبتها ما يقول سيدنا قالت تقول غنياني

أرحشوني وعز صبري فيهم * ما احتيالي وما يكون فعالي

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنيف فقال لهما ياحبيبتي أين الكنيف فقالت احداهما الصاحبتها يعيش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن نغني له

تكلفني الهوى طفلا * فشيبني ولا أكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لهما يازانيتان ان لم تعلماني به أنا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ماهذا تسلح على وطائي فقال الرجل حياة نفسي أعز علي من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ماهذا قال المضحك هذه الابيات

تكلفني الملاح واصطبروني * على مابي بنيات الزواني

فلما قال عن ذاك اصطباري * قذفت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله (وقال) علي بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فان الحب أقصاني

قالت تأتي من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تؤمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالداني

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك أذكرك به قالت اذهب وأخاف ان تذهب ولكن خذ هذا لعود فلعلك أن تعود ولتة عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق فاشتاق اليها فعطف عليه أو جد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جارية فلانة فأقلقني الشوق اليها فعسى ان

فسلم على سلاما خفيا وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمره حضرته فاخبرته كما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بالطباق فاكلنا فقال تقدم يامنارة فسكل معنا فقلت مالي الى ذلك من حاجة فلم يعاودني وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا بمائدة عظيمة لم أر مثلها الا للخليفة فقال تقدم يامنارة فساعدنا على الاكل لا يزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فناولني وأكل هو ومن عنده وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جاشه رابضا وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون من بين يديه شيأ قد وضع على المائدة الا نهبا وقد كان غلمانه أخذوا لما نزلت الدار جمالي وجميع غلماني بالمنع من الدخول فما أطاقوا مانعتهم وبقيت وحدي ليس بين يدي الا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع علي من الشخوص لم أطق اضطهاده بنفسي ولا بمن معي ولا أطيق حفظه الى أن يلحقني أمير البلد فجزعت جزعا شديدا ورأيتني منه استخافه بي في الاكل ولا يسألني عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا مفكر في ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا بخور فتبخر وقام الى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال فرأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب أقبل علي وقال ما اقدمك يامنارة فقلت أمر لك من أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فقرأه فلما استتم قراءته دعا

تغنيني شيأ في معنى ما ذكرته الخاطر ملياً ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحي طائر فاطير

فالنعيم ليس فيه بشاشة * والسرور ليس فيه سرور

وان امرأ في بلدة نصف قلبه * ونصف بأخرى غيرها لصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل وجل خير من كثير يدل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل ان يعدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في وصف العشق﴾ قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما ان السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي أن يرى وجلي ان يخفى فهو كامن كمكمون النار في الحجران قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حميته والمرأة تشق رداء حميها وهو يقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء مخبر * ومن برقع عن طفلة غير أنس

اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال انى لاذكرها بينى وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها راحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عند رحلها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخا الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها في الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

وذاكر الهوى في الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقي ولا يذر

وفي الجليس الانيس للعالمية الشامي قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسنح للرء فيهيم بها قلبه وتؤثر ها نفسه وقال غامة العشق جليس يمتنع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه مبثرة ملاك الابدان وأوراحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وفوض تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفي في القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور فقال لسليمان ابن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونعم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جملة المليح ويحسن ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس مسيء الادب فغمه ذلك وكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسأله عنه فيحكمون له ما يفهمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه لحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء في فلاحه قال وما ذاك الذي حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم

أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلما اتكاملوا ابتدأ يحلف بوقعي فلما اتكاملوا ابتدأ يحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد ولا يظهروا الى ان يظهر لهم أمر يعملون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالتوجه اليه ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن وراءي من الحرم خيرا وما بي حاجة من أن يصحبني غلام هات قيودك يا منارة فدعوت بها وكانت في سفط وأحضر حدادا فدس اليه فقيده وأمرت غلمانا بحمله في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم ألق أمير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه أحد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الاثمار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فعال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لي فاشتد غيظي منه فقلت له اعلم أني شديد التعجب منك قال ولم تعجب قلت أليس تعلم ان أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا ما تدري الى ما يصير اليه أمرك ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا تصف ضياعك وبساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندي شجاعا فاذا هو لا فقال لي

دعا بأبي الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدونك فضمن له ستره فاعلمه ان ابنته قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير ان يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجنبه وتمنعه فان استعلمها أعلمته انها لا تصلح الا للملك ثم لتعلمني خبرها وخبره ولا تطلعها على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بادبه حضوه وشجعه على مراسلته المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجني عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لاجله أخذ فى الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لا يدرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها الى و يسألني أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتحويلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهي فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صارا اليه فقال يا بني لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهو أعظم الناس منة عليك بما عرفتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته بصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمره به ❊ وكان ❊ عبد الله بن عبيدة الريحاني يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها و يشكو اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية ❊ وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن الجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * وانني قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضيني الهوى بيبابها * واقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * خطأ يا أخى الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى أحط للذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبي ربيعة كنت بين أمرأتين هذه تساررني وهذه تعضني فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول

لو حز بالسيف أمي فى محبتها * لطار يهوى سريعا نحوها رامي

وقال يحيى بن معاذ الرازى لو أمرني الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

❊ (الفصل الثاني من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) ❊ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم ❊ وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتي أن تنادى فى الموقف بقولي

تزود كل الناس زادا يقيمهم * ومالي زاد والسلام على نفسي

فناديت كما أمرتني واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الى فقال أنا الذى قضيت به اليها فازداد على النظر والبكاء ثم قال له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاءك كما يقتصر على هذا فقال أمسك يا هذا أما علمت ان ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فتقنعني * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لي فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وقال

مجيبا انا لله وانا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك ظننتك رجلا كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الا بعد أن عرفوك بذلك فانا لله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان أما قولك فى أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياى الى بابه على صورتي هذه فانى على ثقة من الله عز وجل الذى بيده ناصيتي ولا علك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فلا اعرف أمرى وعلم سلامتي وصلاحي وبعد ناحيتي وان الحسد والاعداء رموني عنده بما ليس فى وتقولوا على الاباطيل الكاذبة ليستحل دمي وتحلل من أذاى وازعاجي وردني مكرما واقامني ببابه معظما وان كان سبق فى علم الله عز وجل انه يصدر الى منه بادرة سوء وقد حضر أجلي وكان سفك دمي على يده فلو اجتمعت الانس والجن والملائكة وأهل الارض وأهل السماء على صرف ذلك عني ما استطاعوه فسلم أتعجل الهم واتسلف الفكر فيما قد فرغ الله منه وانى حسن الظن بالله عز وجل الذى خلق ورزق وأحيا وأمات وأحسن واجمل وان الصبر والرضا التفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة أولى وقد كنت أحسب انك تعرف هذا فاذ قد عرفت مبلغ فهمك فانى لا أكلمك بكلمة واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى قال ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجرى مجراها حتى شارفنا الكوفة فى اليوم الثاني

وقال بعض بني كلب ان أكن طامح اللحاظ فاني * والذي يملك الفؤاد عفيف
ونحو ذلك قول القائل فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
لحثت ومافي القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستتر اخائفا من عدو له فأنزله في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر ابن أبي ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد * ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الى بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيته في عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذي تسجد الجباه له * مالي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا همت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين في الجزء الاول فيما جاء في الكتابة على سبيل الرمز * وعن أبي سهل الساعدي قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لي يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجوله الجنة قلت أي والله فمن هو قال انى لارجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسي بريبة قط * وعن عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعته بغي الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع بأنبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم منها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا أبي ونستدينه
فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

(وقال آخر) وأحور مخضوب البنان محجب * دعاني فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسي عن مقام يشينها * ولست مريدا ذلك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة موانع لا يعطين جنة خردل * وهن دوان في الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن في اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

(وقال آخر) حور رحائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الحنى الاسلام

وكان الاصمعي يستحسن بيتي العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب في زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدي في هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبي جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها في الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهو بها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهي قائمة على رأسه

يا غرة الالي اليه * شافع من مقلتيه أنا نيف وجزاء الضيف احسان اليه

عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا عني بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهينا الى البعاب في آخر النهار فخططت رحلي على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك بامانة وايالك ان تغفل منه لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموي من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومي ورد فعلي الكتاب اليه وبمبادرته الى احضار ولده وأهله وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد منهم وصرفهما يأهم ومدرجليه حتى قبلته فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت الى ما خاطبني به عند توبيخي اياه لما ركبنا المحمل قال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه واثنني به قال فخرجت فنزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فأجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا فقال مالي الا حاجة واحدة قال مقضية ما هي قال يا أمير المؤمنين تردني الى بلدي وأهلي وولدي قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ما تحتاج اليه في مصالح

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبي اليه فاعلميه أني قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائش فقالت قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا نهاني الحياء والكرم
ولا الى فاحش مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم

(وقال آخر)

يقولون لا تنظر فذا البلية * بلى كل ذي عينين لا بد ناظر
ومن يأتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال نبينما هو في الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا اتق الله أفي مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ما لك الخير لكنها ابنة عمي وأعز الناس علي وان أباها منعني من تزويجها الفقر وفاتني وطلب مني مائتي ناقة ومائة رقيقة من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظايا له أرأيت اليوم يا مولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أسليت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شبكا الى أخ محب * كمثل زماننا ان تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة أبيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله در لك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال * وروي عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأنخيني حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا لما ملك القلب

فقالت ياهذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينب قلت لا قالت أنا زينب قلت حياك الله وحياك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول للاجتماع في هذا اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا أنا برا كب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت اني لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت في نفسي محبان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيره لاشد عليه فقال علي رسلك اني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي أقلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تنائه فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تناشدوا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الغمزة والغمزتان والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد. ما الحب الا هكذا * ان نلع الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد

جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخلو أن يحتاج الى شيء من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فأموري منتظمة وأحوالي مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بامرا ن عرض لك فودعه فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة أحملي من وقتك وسيري راجعا الى أهله كحثت به حتى اذا أوصلته الى محله الذي أخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله أعلم (وحكي) في الكتاب المذكور قال حدثني أبو الربيع سليمان بن داود قال كان في جوار القاضي قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع ان أبا عمر حماه من السلطان فسألته عن الحكاية فأطرق طويلا ثم حدثني قال ورثت مالا جزيلا فأسرعت في اتلافه وأتلفته حتى أفضيت الى بيع أبواب داري وسقوفها وأويت لي حجرة وبقيت مدة لا قوت لي الا من بيع والدتي لما تغزله وتطعمني وتأكل منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة في منامي كأن قائلا يقول لي غنائك بعصر فاخرج اليها فبكرت الى دار أبي عمر القاضي وتوسلت اليه بالجوار وبالخدمة وكان أبي قد خدمه أياما وسألته أن يزودني كتابا الى مصر لا تصرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بعصر أوصلت الكتب وسئلت التصرف فسد الله على باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لي شغل ونفدت نفقتي فبقيت متفكرا في أن أسأل الناس فلم استجز المسئلة ولم يحملني

ثم أنشأت تقول ... قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستهجلا
يريد أن يشكم أحبابه * من قبل أن يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذى أمتعنى بحبها وأشقانى ببطلها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطبع الحب فى لثمها وأعصى الشيطان فى اتهامها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره انى اذن للئيم لم يلدنى كريم * ومر سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ليلة فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل واز ور جانبه * وليس الى جنبى خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربى والحياء يعفنى * واكرام بعلى أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضى الله تعالى عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضى الله تعالى عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (ومن ذلك) ماذكره ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل الحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على نصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع أن يبعد من عمر اليها شئ فدست اليه المرأة أبياتا وهى

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى ولخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لا أقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبينى وبين ابنى الغياث والأوديه فقال لها ان ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة وريدا الى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى * وما ئلت من عرضى عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لى بالمكتين مقام
لئن غنت الزلفاء يوما بجنبة * وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء ومالى جرمة فألام
فيمنعنى مما تقول بتكرمى * وآباء صدق سالفون كرام

الجوع عليها وأنا أمتنع الى أن مشى من الليل صدر صالح فلقينى الطائف فقبض على وجدنى غريبا فأنكر حالى فسألنى فقلت رجل ضعيف فلم يصدقنى وبطحنى وضربنى مقارع فصحت وقلت أنا أصدق فقال هات فقصصت عليه قصتى من أولها الى آخرها وحديث المنام فقال ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة فى النوم كأن رجلا يقول لى ببغداد فى الشارع الفلانى فى المحلة الفلانية قال فذكر شارعى ومحلتى وأضعيت فتم الشرطى الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكر دارى واسمى وفيها بستان وفيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض وخذها فما فكرت فى هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوى قلبى وأطلقنى الطائف فبت فى مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون ألف دينار فأخذتها وأمسكت يدى ودبرت أمرى وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن فضل ما ابتعته منها من ضيع وعقار الى الآن (وحكى القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتابه اخبار المذاكرة ونسوان المحاضرة) قال حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد بن فهمة قال حدثنى بعض الكتاب قال سافرت أنا وجماعة من اصدقائى نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا عدة بغال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا أقبلنا نخترق الطرق لا ندرى أين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة

ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها فى قومها وصيام
فهاتان حالان فهل أنت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولى السلطان فلا أقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر من مات بالحب والعشق﴾ حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثنى أبى قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدى اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء المولاى وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة فى احضارهم اليه وأن يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فى الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فاما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتى ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألنى فانك لا تسألنى حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلى الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التى أكرمتنا بسببها أن تغنى ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فأفعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال ثم تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
ادعو الهى هجرها قلبى فيسعدنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عودا راكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
ألا عرجا بى بارك الله فيكما * وان لم تكن هند الا رضكما قصدا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا أسلوكم أبدا * ما لاح بدر أو بدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حى فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت ﴿وحكى﴾ عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى بأمر ما مر لك فى هذه الاغانى وما رأيت من الجوارى قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى فى شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج منى بيعا ولا هبة فامسكت عندى على تلك

وبناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال أظنكم سفراء ردتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا وأى حل علينا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيئته فخططنا على بابه ودخلنا وقبل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدخلون أحدا من غلماننا بل يخدمنا حتى حملوه بأسره فى أسرع وقت وجاؤنا بالطسوت والابارين فغسلنا وجوهنا وأجلسونا فى مجلس حسن مفروش بأنواع الفرش التى لم نر مثلها واذا الدار فى نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور وبستان عظيم وصاحب الدار يخدمنا بنفسه وعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فأدخلنا الى الحمام فى الدار فى غاية السرور ودخل الينا غلامان أمردان وصبيان فى نهاية الحسن فخدمونا بدلا من القيم وأخرجنا من الحمام الى غير ذلك المجلس فقدم الينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان وفاخر الطعام والالوان ونادر الخبز وغريب البوادر من كل شئ واذا بغلامين أمردين فى نهاية الحسن والزى قد دخلوا الينا فغمزوا أرجلنا فلم نفهم من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع غمزت فأمرناهم بالانصراف وفيما نحن لم يستحمل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا الى مجلس فى بستان حسن وأخرج الينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شئ طيب حسن وشربنا أقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة واذا جوار خلفها فقال غنين فغنت الجوارى الاواتى كن خلفها أحسن غنائه وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال

الحالة لا ازداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتني عجوز من تجارنا فذكرت لي أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها ويراه وأنه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها وهو يبكي شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتابا ولم ير الا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجواري أصلحي فلانة بما يكمل فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت لحقت الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هي هبة مني اليك فدهش الفتى ولم يجبني فدنوت الى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أرشيء قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد تحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام * وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندي رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات

(وذكر) محمد بن واسع الهيتي أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابي وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات أبكارا يكون اليمن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتابا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجد هن لا يقام لهن بقيمة وان ثمن كل واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه أني أشتري له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فاما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها عجب * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فالقة في الجمال معتدلة القدود والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فارهة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني فتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهز واخرجوا في بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيسى لا تسل من البكا * وقلبي بأسهام الأسى يترشق

أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

(فاجابته تقول) لو كان حقا ما تقول لرثتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأراد أن يهرب بها فنظر به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على

ماهذا الاحتشام لاضيافنا أعزهم الله أخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جوار لم ير قط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عوادة وطنبورية زامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر الثياب والحلى فغنينا واحتطن بنا في المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أن ننكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال ياسادتي ان تمام الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وأن يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج اليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفدت اليكم نصف النهار الغلمان فاخيروني بغافكم عنهم فقلت هم أصحاب نساء فاخرجت هؤلاء فرأيت من انقباضكم عن ممازحتهن ما لو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا فقلنا ياسيدي أجللناك عن تبذل ما في دارك وفينا من لم يستحل الحرام فقال هؤلاء مما لكي وهن أحرار لوجه الله تعالى ان كان بد من أن يأخذ كل واحد منكم بيد واحدة يتمتع بها الليلة فمن شاء منكم وجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لا كون قد قضيت حق الضيافة فلما سمعنا بهذا وقد انتشينا طربا أخذ كل واحد منا بيد واحدة فأجلسها الى جانبه وقبل يقبلها ويقرصها ويمازحها فتزوجت أنا بواحدة منهن وغيري ممن رغب في ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد ذلك ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤا فأدخلوا كل واحد وصاحبته الى بيت في نهاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش الوطيئة فبقرونا عليها وغنانا الجواري الى جنوبنا وتركوا معنا شمعة في البيت

عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجواري بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجواري ولم توافق الثالثة وراى في وجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقي يديا
مقر بالقبيح وسوء فعلي * ولست بما رميت به بريا
فان تقتل فعفو القتل ذنبي * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك ياقتى ما حملك على ما صنعت استخفافا بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فاخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى محبوبه وأهله حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك (ومن ذلك) ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخرج خالد بن الوليد المخزومي رضي الله تعالى عنه الى مشركي خزاعة قال خالد فاخرجني اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجدنا السير اليهم فسبق الينا الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بالنصر لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تدار كنا الله برحمته فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم نكد نجد لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا للتقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام أنعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا ماثة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلما رأيت منهم جوادا وعلى على ظهره منادي البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسي بعد ان انشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعري بل حمل علي فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تقللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائم فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له أفد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني اترك كفي حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله ان يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الهك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه وكانت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطايانا هما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار و يبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام و يذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فابتر كناها وحفرنا وواريناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بحديث مار أينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما (ومن ذلك) ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود ومارأيت شيخا أصح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فازلت في طلبها الى ان أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف

وما لمحتاج اليه من آلة المبيت وأغلقوا علينا وانصرفوا فبتنا في أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا ما رأيكم في الحمام فقد أصلح فقمنا ودخلنا وخل المردان معنا فما من أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع منه بالامس وخرجنا فبخرنا بالند الفتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور وقدمت الينا المرآة المحلات وأخبرنا فلما انا أن صورتهم في ليلتهم كصورتنا وأنهم أتوا بجواري الخدمة الرومیات فوطؤهن فاقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا وبعضنا يقول هذا في النوم نراه ونحن في الحديث اذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فاكبر ذلك وأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفناها له وسألنا عن خدمة الجواري لنا فاجبناه بحسنها فقال أيما أحب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج الى أن يدرك الطعام أو اللعب بالشطرنج والنرد أو النظر في الدفاتر فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فاحضر لنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتان أو ثلاثة من النهار حتى أحضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فأكلنا وقمنا الى الفرش وجاء المردان فغمزونا وغمزهم منا من كان يدخل في ذلك وزالت المراقبة فلما انتهينا حملنا الى الحمام وخرجنا فتبخرنا وجلسنا في مجالسنا بالامس وجاء أولئك الجواري ومعهن غيرهن ممن هو أحسن منهن وقصدت كل واحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل وحملوا معنا الى الفراش وكانت هذه حالنا مدة الاسبوع فقلت لاصحابي ويحكم أرى

وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فتبجانى حتى كدت أسقط عن فرسى فقلت لا طلبن الصوت ولو تلفت نفسى فمازلت أقرب اليه الى ان هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الحفيرات البيض ورد جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتالك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندى وطاء وطى وطعام غير بطى فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتى ثم أتانى بقرو زبد ولبن وخبز ثم قال أعذرنى فى هذا الوقت فقلت والله ان هذا الخير كثير فمازال الى فرسى فربطه وسقاه وعلقه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فانى لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شئ واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادى فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها ومازال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربى ولعلها حرمة له فتناومت ومابى نوم فمازالا فى أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما الا يهم أحدهما الصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئى عنى كما أبطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت أنى أنتظر الواشين والرقباء حتى ينام وا ثم رددته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكى فبكيت رحمة لهما وقلت فى نفسى والله لا أنصرف حتى أستضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلنى الله فداءك الاعمال بخواتيمها وقد انانى أمس تعب شديد فاحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندى بقية عمرك ما وجدتنى الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها الى فاكلت وأكل معى الا أنه أكل أكل من لا يريد الاكل فلم أزل معه نهارى ذلك ولم أر شفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا انه كالولهان ولم أعلمه بشئ مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائى فصليت وأعلمته انى أريد الهجوع لما مر بى من التعب بالامس فقال لى نم هنيأ فأظهرت النوم ولم أنم فأقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما طال وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوى فحركنى فاوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس على وانى لها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزويجها لى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها التى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى ان الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

ما بال ميتة لا تأتى كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل

نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فابطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشأ يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد حرمت حقا لك الشرا

وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غدرا

ثم قال بالله يا أخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ شويها فى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة تجوز هى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وشويها تى وقل لها مات ولدك كذا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته

الامر متصلا ومن المحال أن يقول لنا الرجل ارتحلوا عنى وقد استطبتم أنتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم فى هذا فقالوا ما ترى فقلت أرى أن نستأنس الرجل فننظر أى شئ هو فان كان ممن يقبل هدية أو برا عملنا على تكرمته وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك كنا معتدين له المكافأة فى وقت ثان وسألنا أن يحضر لنا من تكرى منه ورحلنا فتقرر رأينا على ذلك فلما جلسنا تلك الليلة على الشرب قلنا له قد طال مقامنا عندك وما أضافنا أحد أحدا أحسن مما أضفتنا ونريد الرحيل الى مصر لما أردناه من طلب التصرف وأنا فلان ابن فلان فعرفته نفسى والجماعة وقد حملتنا من أياديك ومننك مالا يسعنا معه أن نجهلك ونحب أن تعرفنا بنفسك لنأتى بشكرك ونقضى حقك ونعمل على الرحيل فقال أنا فلان بن فلان أحد أهل دمشق فلم نعرفه فقلنا ان رأيت تزيدنا فى الشرح فقال جعلت فداءكم أن لقيادتى خبرا أظرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت أن تخبرنا فقال نعم أنا رجل كان أبى تاجرا عظيم النعمة والاموال وانتهت النعمة اليه وكان محسنا مكثرا وانشأت له فكنت متخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء والمغنيات والشراب فاتلفت مالا عظيما من مال أبى الا أنه لم يؤثر فى ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه فدعانى فقال يا بنى انى قد خلفت لك النعمة وقيمتها مائة ألف دينار بعد أن أتلفت على خمسين ألف دينار وان الانفاق لا آخره اذا لم يكن بازائه داخل ولو أردت أن أتلف هذا المال عليك فى حياتى أو الآن حتى لا تصل الى شئ منه لفعلت ولكن هو ذا أتركه عليك فاقض

وصليت عليه ودفنته ردفنت باقي جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهي كالولهانة فقالت لي هل رأيت شابا برعي غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكي وأنا ألاطفها الى ان أقبل الليل ومازالت تبكي بحرقة الى ان مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هي مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هي ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر رقدت فشددت فرسي وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن
فرق الدهر بالتفريق الفتنا * وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت الى الحي لبني عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحي بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلي وأنا متعجب مما رأيت في طريقي (ومن ذلك) ما حكي ان زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلي أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس في الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جملها فحيته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت ياجمل فبادر ليلطمها ففاتته فوقف على الجمل وقال حييتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحي وحيك من حيالك ياجمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندي ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة * تركت فؤادي هائما مخبولا
لو كنت أملكهم اذا لمبرحلوا * حتى أودع قلبي المتبولا
ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا * جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أني بالبيت الحرام لاصحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لأعرفن بذلك هشاما ثم تواعدا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عمرة من زوجها وتزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فاصغر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم انه مال ليستقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي أراك في طريق شيأ مراعلك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير الى ان وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ماهذا اليوم ياسيدي فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدي لا دردره * وأزجره للطير لاعزناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا وماتت من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد *(وحكى الاصمعي) قال بينما أنا أسير في البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يداري هواه ثم يكتم سره * ويخشع في كل الامور ويخضع

حتى يحاجة تضيها لي لاضر رعليك فيها فقلت افعل فقال أنا أعلم أنك ستتلف المال في مدة يسيرة فعرفني اذا افتقرت ولم يبق معك شئ أتقتل نفسك ولا تعيش في الدنيا فقلت لا قال فعرفني من أين تعيش قال ففكرت ساعة فلم يقع لي الا أن قلت أصير قوادا قال فبكى ساعة ثم مسح عينيه وقال لست بصارف عنك هذه الصناعة فانها ماجرت على لسانك الا وقد دارت في فكرك ولا دارت في فكرك الا وأنت لا تنصرف عنها أبدا بعدي ولكن اخبرني كيف يتم لك المعاش منها فقلت قد تدبرت بكثرة دعواتي القحبات والمغنيات ومعاشرتي لشراب النبيذ فاجمعهم على الرسم فيقيمون في بيتي ويعملون ما يريدون وآخذ أنا منهم الدراهم وأعيش بها فقال اذا يبلغ السلطان خبرك في جمعة فيحلقون رأسك ولحيتك وينادي عليك ويغرق جمعك ويبطل معاشك ويقول أهل بلدك انظروا الى فلان كيف ينادى عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا ولكن اذا أردت هذه الصناعة فانا أعلمك وان كنت لا أحسنها فلا تستغني فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشئ فقلت افعل قال اذا أنامت فاعمل على أنك قد أنفقت جميع مالك وافتقرت وتكون قوادا ولك ضياع وعقار وأثاث ودور وجوار وآلة وقماش وخدم وجاه وتجارات واعمل على ما كان في نفسك أن تعمله اذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك عما معك وهمه عند اخوانك واعمل أنك قد أنفقته واجعل معيشتك ما تريد أن تجعله اذا افتقرت فانك تستفيد بذلك أمورا منها أنك تبدي أمرك بهذا فلا ينكر عليك في آخره ومنها أنك

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبر الكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعى رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحى فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية ثم كان أوفى البرية وثم كان أقواها فقالت يا هذا انه ابن عمى هويني فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فانشدت بيتى شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لا ندبنه حتى أصير مثله فى قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فالا مرى يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها واحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاعمام والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول

الفصل الاول فى الشعر

قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يحمله الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل عيس كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسب ما بوب أبو تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن أبى الاصبع الذى وقع لى أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب * ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر (ابن نباتة)

أ أغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل

وبيض رقاق من جفون فواتر * وسمر رداق أم قدود قواتل

وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشى والمقاتل

بروحى أفدى شادنا قد ألفته * غدوت وبى شغل من الوجد شاغل

أمير جمال والملاح جنوده * يجور علينا قده وهو عادل

له حاجب عن مقلتى حجب الكرى * وناظره الفتان فى القلب عامل

تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع وأحوال قوية فلا يطمع فيك سلطان وان طمع فيك سلطان بذلت وأعطيت من نالك فتخلصت فقلت كيف أفعل قال تجلس اذا أنامت ثلاثة أيام للعزاء الى أن تنقضى المصيبة فاذا انقضت نفذت وصيتى وتجملت بذلك عند الناس وقضيت حقى ثم تظهر أنك قد تركت اللعب وأنك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدى فتشترى من الجوارى المغنيات والسراري كل لون من الغلمان المردان والخدم السود والبيض ما تحتاج اليه وتشتهيه ودارك كما تحب فى السرور وتخوف على سرور من تريد أن تعاشره ولا تدخل الا الامير والعاقل ردعهما مرة فى شهر أو شهرين وهادهما أيام الاعياد بالالطاف الحسنة وألقهما فى كل أسبوع مرة واجتهد أن تعاشرهما على النبيذ فى دورهما وألقهما بالسلام وقضاء الحاجة واتخذ فى كل يوم مائدة حسنة وادع القوم ومن يتفق معهم ولكن ذلك بعقل وترتيب فان ذلك أولا لا يظهر مدة فاذا ظهر صدق به أعداؤك وكذب به اخوانك وقالوا هذه على سبيل المجون والشهوة على طريق التخالع أو مسامحة الاخوان والا فهى لذة له فى ذلك وليس هو مجنونا ولا مخبلا ولا فقيرا ولا محتاجا الى هذا فيبقى الخلاف فيك مدة أخرى وقد اتصلت مع سلطانك ولعل العشرة بينكما قد وقعت فيستدعى مغنياتك ويسمعهن فى منزله فيصير لك بمادمته رسم وجاه لك باق بعلاقاتك لهم فهم يحتاجون اليك وسيحافظ عليك الامير فتصير فى مراتب ندمائه وفى جملته وتصير قيادتك نفعا عليك

رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجرى فهو فى الخد سائل
شكوت فما ألوى وقلت فما صغى * وجد بقلبى حبه وهو هازل
طويل التوانى دله متواتر * مديد التجنى وافر الحسن كامل
أطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل
ويرفع وصلى وهو مفعول بالهوى * وينصب هجرى كلما دا وهو فاعل
تفقهت فى عشقى له مثل ماغدا * خبيرا بأحكام الخلاف يجادل
فيا مالكى ماضر لو كنت شافعى * بوصلك فافعل بى ما أنت فاعل
فانى حنيفى الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغى وان قال قائل

﴿ كمال الدين بن النبيه ﴾

الله أكبر كل الحسن فى العرب * كم تحت لمتة ذا التركى من عجب
صح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافترمبسمه الشهدى عن حبب
لا فى العذيب ولا فى بارق غزلى * بل فى جنى فمه أو ريقه الشنب
كأنه حين يرمى عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
ياجاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فمى ويلثمها سهم من الحسب
من لى بأغيد قاسى القلب مبتسم * لا عن رضا معرض عنى بلا غضب
فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب
أشار نحوى وجنح الليل معتكر * بعصم بشعاع الكاس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ماجليت * فى حجرة الدن أو فى قشرة العنب
(البهاء زهير) يعاهدنى لا خاننى ثم ينكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث
وذلك دأبى لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلنى يقول نعم غدا * ويكسر جفنا هازئا بى ويبعث
وماضر بعض الناس لو كان زارنى * وكنا خلونا ساعة نتحدث
(النابلسى) أمولاى انى فى هواك معذب * وحتام أبقى فى الغرام وأمكث
لحذ مرة روحى ترحنى ولا أرى * أموت مرارا فى النهار وأبعث
فانى لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفاء الذى بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث
تردد ظن الناس فى فأكثروا * أحاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمت فى الحب منى شمائل * ويسأل عنى من أراد ويبحث
ما كنت أعلم والضمائر تصدق * ان المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك أسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لى للدوام تطرق
قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيونى أن ترى للسيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

﴿ أبو الحسن الجزار ﴾

بغير ضرر وتخرج عن حد القواد المحض الذين يؤذون وتكابس منازلهم قال فاعتقدت فى الحال أن الصواب ماقاله ومات فى علته فجلست ثلاثة أيام ثم أنفذت وصيته وفرقتها كما أمر فى ثم بيضت الدور وهى هذه وزدت فيها ما اشتهيت واستزدت فى الآلات والفرش والابنية كما أردت وابتعت هذه الجوارى والغلمان والخدم من بغداد ودبرت أمرى على ماقاله لى من غير مخالفة لشئ منه وأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة ما لحقنى منه ضرر ولا خسران ولا فيه أكثر من اسقاط المروءة وقلة الاكتراث بالعيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهنأه وأمر معاشى عليهم ودخلى بهم أكثر من خرجى ونعمتى الموروثة باقية بأسرها ما ابعت منها شيأ بحمد الله قط فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا أضفته الى ماخلف على وأمرى يمشى كما ترون فقلنا ياهذا فرجت والله عنا وأريتنا طريقا الى قضاء حقك وأخذنا نمازحه ونقول فضلك فى هذه الصناعة غير مدفوع لانك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبر لك هذا الامر الا وهو بالقيادة أحذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحالة فلما كان من الغد جمعنا له من بيننا ثلثمائة دينار وحملناها اليه ورحلنا عنه ﴿ وحكى احمد بن يحيى بن فضل العمرى ﴾ فى كتابه المسمى مسالك الابصار فى ممالك الامصار فى ترجمة صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الموسيقى قال ذكر العماد حسن الاربلى فى تاريخه قال جلست مع صفى الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية وجرى ذكر واقعة

فى خده من بقايا اللثم تخميش * وبى لتشويش ذاك الصدغ تشويش
ظبى من الترك أغنته لواحظه * عما حوته من النبل الفراكيش
اذا تثنى فقلت الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
ياعاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت أطروش
كم ليلة بات يسقينى المدام على * روض نه بثياب الغيم ترفيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
فى مجلس ضحكت ارجاؤه طربا * لان ببديع الزهر مفروش

﴿سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء﴾

ترى منى من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لى خصره المغنى فناسبنى * ففلت خير الامور الانسب الوسط
وقد خفى الردف عنى من تثاقله * فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته محبرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانتاه فيه قلبى أمره فرط
ان الصواب لتجميل السرور فقم * قبل الفوات فاوقات الهنا غلط

﴿القاضى مجد الدين بن مكانس﴾

أهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا فى سعده
بدر جرى ماء الحياة بثغره * وتر ددت فضلاته فى خده
أسكنته قلبى فأوعدت خده * نيران أحشائى عليه ووجده
من لى به حلو الشمائل أهيف * روت العوالى عن مثقف قده
ياعاذلى فى حبه لو أبصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم فى حبه * وعلمت أن ضلاله فى رشده
فوحق موتى فى هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهى وبرده
ماجاد غيث الدمع الا من هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يارسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدى فى الهوى * خبرى فصف فعل الغرام وأبده

﴿عز الدين الموصلى﴾

نفس عن الحب ما أغفت وما غفلت * بأى ذنب وقال الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجارى لقد لقيت * ماقدمت من أسى قلبى وما عملت
أفديك من ناشط الاجفان فى تلفى * والسحر يوهم طرفى أنها كحلت
وأوضح الحسن لوشامت ذوائبه * فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس فى لواحظه * أماتراها الى كل القلوب حلت
من لى بالحاظ ظبى يدمى كسلا * وكم ثيابا ضنى حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت
أما كفانى تكحيل الجفون أسى * حتى المراشف منه باللمى كحلت
أستودع الله أعطافا شوت كبدى * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لى كم ألفت بمسمعها * الى السلام ولا والله ما قبلت

(غيره للفاضل) شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كلف بكم قضيته

بغداد فاخبرنى أن هلاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءه وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوى يسارها على أمراء دولته فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم أمير كبير فوقع الدرب الذى كنت أسكنه فى حصة أمير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه نانوتين وكان هلاكو قد رسم لبعض الامراء أن يقتل ويأسر وينهب مدة ثلاثة أيام ولبعضهم يومين ولبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الامراء الى بغداد كان أول درب جاء اليه الامير الدرب الذى أنا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوى اليسار واجتمع عندى نحو خمسين جارية من أرباب المغانى وذوات الحسن والجمال فوقف نانوتين على باب الدرب وهو مترس بالاخشاب والتراب وطوقوا الباب وقالوا افتحوا والا دخلوا فى الطاعة ولكم الامان والا أحرقنا الباب وقتلنا كم ومعه النجارون وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفى الدين عبد المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا أخرج اليه ففتحت الباب وخرجت اليه وحدى وعلى ّ أثواب وسخة وأنا أنتظر الموت فقبلت الارض بين يديه فقال للترجمان قل له أنت كبير هذا الدرب فقلت نعم فقال ان أردتم السلامة من الموت فاحملوا الينا كذا وكذا وطلب شيأ كثيرا فقبلت الارض مرة ثانية وقلت كل ماطلبه الامير يحضر وصار كل ما فى هذا الدرب بحكمك ومن تريد من خواصك فانزل لاجمع لك كل ماطلبت فشاور أصحابه ونزل فى نحو ثلاثين رجلا من خواصه فاتيت به دارى وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت

وأنا الذى لو مر بى من نحو كم * داع وكنت بجفرتى لبيته * كيف التعرض للسلو وحبكم
حب بأيام الشباب شربته * لله داه فى الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى التجنى مسرف * قاس على العشاق فلت فديته * أوأروم من كافى عليه تخلصا
لا والذى بطحاء مكة بيته * ولو استطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

(للشيخ بدر الدين الدماميني)

سل سيفنا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا * صح عن جفنه حديث فتور
وهو مازال من قديم عليلا * مر أبدى لنا من الحصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كالغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا * كامل الحسن وافر ظل وجدى
فيه ياعاذلى مديدا طويلا * قاتل الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الاقليلا

قلت اذ لاح طرفه والماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

(وقال آخر)

لوان قلبك لى يرق ويرحم * مابت من ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أننى لاسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم
ياجامع الضدين فى وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عند ما تتكلم
ومن المروأة ان تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

(وقال آخر)

تصدق بوعدان دمعى سائل * وزوره فؤادى نظرة فهو راحل
فقد لك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه الماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * رظل عذاريه الدجا والاصائل
تنقلت من طرف لعلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(وقال ابن صابر)

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الظل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

(وقال آخر)

وغزال كل من شبهه * بهلال أو بدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فيه * قد تعديت وأسرفت فمه

(وقال آخر)

يأيها غلام لست غير غلامه * مذ جادلى بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ مارأيت كلامه

(وقال جمال الدين بن مطروح)

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجرى مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
واذا تألق بارق من بارق * فهنالك ينشر من هواه ما انطوى
لهذوا أحاديث الهوا عن صادق * ماضل فى شرع الغرام وماغوى
وبه حيينى رشأ أطالت عذلى * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتى سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى
يروى الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وما روى

له فى الحال أطعمة فاخرة وشواء وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ من الاكل عملت له مجلسا ملوكيا وأحضرت الاوانى المذهبة من الزجاج الحلبى وأوانى فضة فيها شراب مروق فلما دارت الاقداح وسكر قليلا أحضرت عشرة مغنيات كل واحدة تغنى بملهاة غير ملهاة الاخرى فغنين كلهن فراح المجالس وطرب وانبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها فى المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه فى غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر أصحابه بالنهب والسبا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أوانى الذهب والفضة ومن النقد ومن الاقمشة الفاخرة شيأ كثيرا سوى العليق ووهبت له الغوانى التى كن بين يديه وأعتذرت من التقصير وقلت جاء الامير على غفلة لكن غدا ان شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة أحسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت فجمعت أهل الدرب من ذوى النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم هذا الرجل غدا عندى وكذا بعد غد وكل يوم أزيد أضعاف اليوم المتقدم فجمعوا الى من بينهم ما يساوى خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والاقمشة الفاخرة والسلاح فما طلعت الشمس الا وقد وافانى فرأى ما أذهله وجاء فى هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له ولنسائه من الذخائر والذهب النقد ما قيمته عشرون ألف دينار وقدمت له فى اليوم الثالث لآلئ نفيسة وجواهر ثمينة وبغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على أهله

وقال آخر

عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشا تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * لله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

(وقال غيره)

ياحسن مالك لم تحسن * الى قلوب في الهوى متعبه * رقت بالورد وبالسوسن
صفحة خد بالسناء ذهبه * وقد أبى خدك أن أجتنى * منه ورد ألسعني عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسني * وياله من اللفظ ما أعذبه * قلت له كل عندي سنا
وكل ألفاظك مستعذبه * فوق السهم وليحظني * ومذ رآني ميتا أعجبه

وقال كم من عاشق حبني * وحبه اياي قد أتعبه
يرحمه الله على أنني * قتلي له لم أدر ما أوجبه

(وقال آخر) مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شيء بارد غير ريقه

(وقال يحيى بن أكثم)

دنا هاجرى نحوي عقلته الكحلا * فلما رأى ذلي تثنى عطفه دلا
فتيه على شوقا وأبخلني أسى * وأفقدني صبرا وأعدمني عقلا
شكوت فما ألوى ولي ومالوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمي لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

(وقال أيضا) بأبي غزال الاغازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زورة تشفي الجوى * فأجابني عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا في خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكي الناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلعي تشتاقه * كي لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب في لمه ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بأن أراك مفارق

وقال ابن نباتة بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه تخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الالفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى * لنا دراوقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لاني * رأيت على سوالفه غمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبي الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حيا * واشكر من صنائعه الجمالا

(القاضي فخر الدين بن مكانس)

ياغصنا في الرياض مالا * حملتني في هواك مالا

بأرواحهم فيكون لك وجه أبيض عند الله وعند الناس فما بقي عندهم سوى أرواحهم فقال قد عرفت ذلك من أول يوم وهبتهم أرواحهم وما حدثتني نفسي بقتلهم ولا سلبهم لكن أنت تجهز معي الى حضرة الأمير فقد ذكرتك وقدمت له شيأ من المستظرفات التي قدمتها الى فأعجبته ورسم بحضورك فخفت على نفسي وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخبر جني الى خارج بغداد ويقتلني وينهب الدرب فظهر على الخوف وقلت ياخوند هلاكو ملك كبير وأنا رجل حقير مغن أخشى منه ومن هيبته فقال لا تخف ما يصيبك الا الخير فانه رجل يحب أهل الفضائل فقلت في ضمائك أنه ما يصيبني مكروه قال نعم فقلت لاهل الدرب ما عندكم من النفائس فأتوني بكل ما تقدرون عليه فأخذت معي من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهبأت ما كل كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا وأواني فاخرة كلها من الفضة المنقوشة بالذهب وأخذت معي ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندي وأنفسهن للضرب ولبست بدلة من القماش الخليفي وركبت بغلة جليلة كنت أركبها اذا رحت الى الخليفة فلما رآني نائبو نوين بهذه الحالة قال لي أنت وزير قلت لا أنا مغني الخليفة وندعه لكن لما خفت منك لبست القماش اليوم ولما صرت من رعيتك أظهرت نعمتي وأمنت وهذا الملك هلاكو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة فما ينبغي أن أدخل عليه الا بالحشمة والوقار فاحجبه مني هذا وخرجت معه الى مخيم هلاكو فدخل عليه وأدخلني معه وقال

يا راتحا بعد أن سباني * حسبك رب السما تعالى

(وله أيضا) أجارك الله قد رثت لي * مما ألاقي عدا وحسد

وعاذل مذ رأى ضلوعي * تعد سقما بكى وعدد

ابن رفاعة يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا

فقالوا لنا غوصوا على قدر ما * يحا كي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

ووردي خدر جسي لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه روا

وواو ان صدغيه حكين عمارا * من المسك فوق الجلنار قد التووا

ووجنته الحمراء لوح كجمرة * عليها قلوب العاشقين قدا كتووا

ووردي له باق ولست بسابع * لقول حسود والعواذل اذ عووا

ووالله ما أسلو ولو مرت رمة * فكيف واحشائي على حبه انطووا

(وللشيخ برهان الدين القيراطي أيضا)

شبه السيف والسنان لعيني * من تعتلي بين الانام استحلا

فأبى السيف والسنان وقالا * حسد نا دون ذاك حاشى وكلا

(وقال أيضا) بأبي أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده

ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن محده

(وقال آخر) تملك رقي شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد

أقول لصحبي حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندي

(ومما قيل في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديري)

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عياني غير محتجب

وذكرها أنس روحي وهي ثانية * والقلب ما زال عنها غير منقلب

لم أصف فيها الملاح راح يعذلني * ولا لواش خلى بات يلعب بي

عذابها في الهوى عذب ألذه * ومرهبرانها أحلى من الضرب

فان نأت أو دنت وجدي كما علمت * تشيب فيه الليالي وهو لم يشب

دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته في الحب لم يجب

(وقال عفا الله عنه)

سقى ظلال حلته سلمى معاهد * وحيا ه من دمعي مذاب وجامد

فربيع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها قفار جلامد

وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد

رعى الله دهرا سالمتني صروفه * وظلت ليالي به سلمى تساعد

وقد غفل الواشون عني ولم أزل * ويقظان طرف البين عني راقد

وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد

وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا في الحقيقة واحد

وكم قد مرجنا في مروج صبابة * ولم يطردينا من البين طارد

تجر ذيول اللهو في قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد

ولم يخط التفريق منا بخاطر * ولم تحسب الايام فينا تعائد

فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لي أم عاد بالقلب حائد

هلا كوهذا الرجل الذي ذكرته لك وأشار الى فلما وقعت عين هلا كو على قبلت الارض وجلست على ركبتي كما هو من عادة التتار فقال ناتو بن هذا كان مغني الخليفة وقد فعل معي كذا وكذا وقد أتاك بهدية فقال قد قبلتها فقبلت الارض مرة ثانية ودعوت له وقدمت له ولخواصه الهدايا التي كانت معي فكلما قدمت شيأ منها يفرقه ثم فعل بالمأكول كذلك ثم قال لي أنت مغني الخليفة فقلت نعم فقال أي شيء أجود ما تعرف قلت أحسن أن أغني غناء اذا سمعه الانسان ينام فقال غن الى الساعة حتى أنام فقدمت وقلت ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب وربما قتلني ولا بد من الخلاص منها بحيلة فقلت يا خوند الطرب بأوتار العود لا يطيب الا بشرب الخمر ولا بأس بأن يشرب الامير قدحين أو ثلاثة حتى يقع الطرب في موقعه فقال أنا مالي في الخمر رغبة لانه يشغلني عن مصالح ملكي ولقد أعجبني من نبيكم تحريمه ثم شرب ثلاثة أقداح كبار فلما احمر وجهه أخذت عودا وغنيته وكان من مغنية امهما صبياه لم يكن في بغداد أحسن منهما صورة ولا أطيب منهما صوتا فأصلحت انغام العود وضربت ضربا غالبة للنوم مع زمر رخيم الصوت وغنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت الغناء بغتة وقويت ضرب الاوتار فانتبه فقبلت الارض وقلت نام الملك فقال صدقت ثم تمثلت على فقلت أتغنى على الملك أن يطلق لي على السمكية قال وأي شيء هي السمكية قلت بستان للخليفة فتبسم وقال لاصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال للترجمان قل له لم لا تمنيت قلعة أو مدينة أي شيء هذا

وهل دنا باق والاتغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن بالاوى * وقولك لا عاش الخؤن المعاهد
وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ * وهل أنت أحلات الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقيني بالوفا منك شاهد
وانى ما بدلت عهدك فى الهوى * ولا اختلفت فيما علمت العوائد
ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودى طريف فى هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى * لعمرى وجدى بالحشاشة واقد
وان أو ردوا يوما سبابة عاشق * فبى يضرب الامثال من هو وارد
فاشكت كونى انني بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندى الوصل والجفا * وفيك لقد هانت على الشدائد
ولو رمت أولى عن هواك أعنتى * لقاد زمامى نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا لاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وسوق سلوى فى المحبين كاسد
وجل منای القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

(وقال عفا الله عنه)

تهددنى بتسريح وبين * وتوعدنى بتفريق وصد * وتحلف لى لتسلبنى سقاما
تهى جلدى به وتذيب جلدى * وترمينى بنبل من جفون * فتضنينى وتسمينى وترددى
وتحرقنى بنار الصد حتى * تذيب حشاشتى كما وكبدى * فقلت أهار دمى فى انسكاب
يفيض دما على صفحات خدى * ومن لى أن يقال قتيل وجد * واذكر فى هواك ولو بصدى

(وقال عفا الله عنه)

سلوى عنك شئ ليس يروى * وحبى فيك سار مع الركاب
ولم يرر سوالك على ضميرى * وجدى فيك أيسره عذابى
ومالك عن سواد العين يوما * ومالسواد قلبى من حجاب
وما أحضرت دواعى الشوق الا * هززت اليك أجمحة التصابى

(وقال عفا الله عنه)

قفا نبك دار اشط عنا عزارها * وأنجلنا بعد البعاد ادكارها
وعوجا باطلال محتها يد النوى * فأظلم بالنأى المشت نهارها
فقد نابها عما من الانس ان رتت * بقلتها يصمى القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
ويهزأ بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق الغصن منها خمارها
وليس لبدر التم قامة قدها * وماهو الا حجلها وسوارها
منازلها منى الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففى القلب دارها
يمثلها بالوهم فكرى لناظرى * وأكثر ما يضنى النفوس افتكارها
وهيج دمعى حر نار صبابتى * وماخمدت بالدمع منى نارها

البستان فقبلت الارض وقلت يا ملك العالم هذا البستان يكفينى وأنا ما يجى منى صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لى بالبستان وبجميع ما كان لى من الراتب فى أيام الخليفة وزادنى علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوى دينارين وكتب بذلك فرمانا مكمل العلائم وخرجت من بين يديه وأخذ لى نائبين أمير بتخمسين فارسا ومعهم علم أسود وكان علم هلاكو الخاص به برسم حمايته دارى فجلس الامير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب فبقى الامر كذلك الى أن رحل هلاكو عن بغداد قال الاربلى فقلت له كم نابك من المغارم فى الثانية قال أكثر من ستين ألف دينار وذهب أكثرها عن كان انزوى الى دربى من ذوى اليسار والباقى من نعم موفرة كانت عندى من صدقات الخليفة فسألته عن المرتب والبستان فقال البستان أخذه منى أولاد الخليفة وقالوا هذا ارث من أبينا والعلوفة قطعها عنى الصاحب شمس الدين الجوينى وعوضنى عنها وعن البستان فى السنة مائة ألف درهم (وقال) كان بمدينة السلام مغن يعرف بالغيور وكان عنده من الجوارى عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشيا يقصده المتصون وغيره فبلغ رجلا من الكتاب المشهورين خبره فتشوقت نفسه الى قصده ثم تجنبته لما شهر به فحمل نفسه على ان جعل بينه وبين الرجل حالا بأن دعاه ويره ووصله وكان قصد الناس منزله آثر عندهم من دعاه من يدعونه من جواريه لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألنى المصير اليه واقشعر لشناعة لقبه الى ان لقينى بالقرب

وساعدني بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا والانقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعيني فاضت بالدموع بحارها

(ولولفه رحمه الله تعالى) وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وان يدعو له بغفر ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلي * بلطف وقل عن حال صبك سائلي
فقد صار بالاسقام صبا معذبا * قريح جفون من دموع هوامل
صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصنع الم العاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما ذا رحيه وواصلي
الا يا سليمى قد أضر بي الهوى * وهاجت بتبريح الغرام بلابلي
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبي والحشى ومقاتلي
كتمت غرامي في هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمعي برسائلي
سليمى سلي ما قد جرى لي من الهوى * فقد عادلي حال له رق عادلي
لعل تجودي للكئيب وتسمعي * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلي
عسى تنطفي بالوعد ناري وأشتفي * فما السقم أعضاني وهت ومفاصلي
خفيت عن العواد لا تأرهي * وعظم أنيني لا يراني مسائلي
فرق فقد رقت عداي لذلتي * وفاضت على حالي عيون عواذلي
قطعت زماني في عسى ولعلها * وما فزت في الايام منك بطائلي
فما آن أن ترضي علي وترحمي * ضنى جسدي فالوجد لا شك قاتلي
توسلت بالمختار في جمع همتي * نبي له فضل على كل فاضل

(وله رحمه الله تعالى)

يا ربدا الحسن من بالصد أوساكي * حتى قتلت بفرط الهجر مضنا كي
و يا فتاة فتان القوام سبت * من في الورى بالقتل أفتاكي
لقد جننت غراما مذ رأى نظري * في النوم طيف خيال منك محياكي
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليه لا حزنا لا يزال باكي
عذبتني بالتجني وهو يعذبني * فهل ترى تسعفي يوما برؤياكي
ان كنت لم تذكريا بعد فرقتنا * فالله يعلم أنا ما نسيناكي
ما آن أن تعطفي جودا على فقد * أضحى فؤادي أسير الحظ عنا كي
ما كنت أحسب أن العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل أهواكي
حتى توالع قلبي بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى في حسن معناكي
رقي لعبدك جودا واعطفي وذري * ولا تطيلي بحق الله جفواكي
يا هند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت يا هند ما اقساكي
رق العذول لحالي في الهوى ورثى * وأنت يا هند لا ترثي لضنا كي
والله لو مت ما أسلاك يا أملي * ولو فنيت غراما لست أنساكي

(وقال آخر)

كأن فؤادي يوم سرت دليل * يسير أمام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكي أرى * فؤادي سرى في الركب وهو يجول
وقائلة لي كيف حالك بعدنا * لتعلم ما هذا اليه يؤول
فقلت لها قدمت قبل ترحلي * فمن بابه أرلى أن يجد رحيلي

من منزله فحلف على ان لا افارقه فكان ذلك صادف مني موافقة فمضيت معه فرأيت أحسن منزل وآلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلماني اذا كان في غد بكر والجيئوا بالدواب فاستوحشت وقلت لي يقيم بعضهم عندي ويعود الباقون ليلا للانصراف الى منزله فأبى وحلف فاتبعت ما أراد فاحضر أحسن طعام وألطفه وأكملها وأتى بأنواع الاشربة والفواكه والرياحين وأخذنا في أمرنا وخرجت وجوه كالشموس وكنت عند دخولي الى الدار قد رأيت على بعض الابواب طيلسانا معلقا فظننته لبعض الجواري فلم أسأل عنه فلما صرنا على حالنا وأخذ النبيذ منا احضر عودا فجعله بين يديه فاوحش جدا وقلت رجل غيور كالقب وحوار حسان ونبيذ شديد ولست آمن أن اعمث بهن فيضربني بالعمود قال أخبرك يا أخي ان رجل غيور كما قد بلغك ويحضر منزله قوم معهم سوء أدب فما هو الا أن تغنى الجارية حتى أرى الواحد منهم قد لاحظها وضحك في وجهها وضحكت في وجهه فقول أقوم بهذا العمود فالمحاهي ضربة له وصربة لها فاقتلهما واستريح الا اني على ما ترى رجل معي تأن شديد فاقول شرب الرجل فسر وضحك ولعله بعد يعرفها وتعرفه فضحك اليه وضحك اليها قال فلما ذكر هذا الحديث طابت نفسي وأصغيت الى حديثه فقلت ثم ماذا قال ثم ان الامر يزيد حتى أراه قد نافسارها وسارته فتقوم على القيامة وأقول ضحك اليها وضحكت اليه للمعرفة فاضع السر ثم أهم بالعمود والتأني الذي في يقول لعلها طالبها بصوت تغنيه فامسك فلا يطول الامر بينهما حتى أراه قد أدخل يده في ثوبها

وقلت فلي طال هما فأشدت * ومازال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمي لي يزل متزحزحا * فقالت وجسم العاشقين نحيل
فقلت لها لو كنت أدري فراقنا * بيوم وداع ما اليه سبيل
قلعت لعيني في هواك بأصبعي * لكي لا أرى يوما على ثقيل

(وقال ابو اواه الدمشقي عفا الله عنه)

يا من نفت عني لذيذ رقادي * مالي ومالك قد أطلت سهادي
فبأي ذنب أم بأية حالة * أبعدتني ولقد سكنت فؤادي
وصددت عني حين قد ملك الهوى * روحي وقلبي والحشا وقيادي
ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا * قلبي أسيرا ماله من فادي
لا غرو أن قتلت عيونك مغرما * فلكم صرعت بها من الاسادي
يا من حوت كل المحاسن في الورى * والحسن منها عاكف في بادي
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * وبدمعي السيوف تقرف الاكمادي
وتعطفي جودا على بقبلة * فبسمي مبسمكي شفاء الصادي
ماتت أطال الله عمرك سلوتي * ولقد فني صبري وعاش سهادي
ومن المنى لو دام لي فيك الضنى * يا حبذا الارداف من عوادي
وأجيل منك نواظري في ناضر * من خدك المترقرق الوقاد
وأقول ما شئت اصبحي يا منيتي * مالي سواك ولو حرمت مرادي
الا مديح المصطفى هو عمدتي * وبه سألقى الله يوم معادي

(وقال البهاء غير)

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفرق سحاب عطر الهم والاسى * ونحتي بحار بالجوى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففي القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق
وقد خيروني أن قبائي منزل * لليلى اذا ما الليل أرقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي * فما للنوى يرمي بليلى المراميا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد الليماليا
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
عسانا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا لا ينازعني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
خليلي لا والله لا أملك الهوى * اذا علم من أرض ليلى بدا ليا
خليلي لا والله لا أملك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
ولو أن واشي اليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبي الحياة لو انه * يزاد لها في عمرها من حياتيا
على أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا علي ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي أرى الاعضاء منك كواسيا

(مجنون ليلى)

فقرصها وعبث بثديها فتداخلني الغيرة وأقول بعد هذا شيء وأهم بضربهما بالعمود لكن على ما ترى عندي تأن فأقول بعد لم يبلغ الامر بهما الى القتل وهي أوائل وسيكون لها أو اخر فان أتى بما يوجب القتل قتلتهما فاسترخت فامسك فيطول الامر حتى أرى الواحدة قد قامت وقام الرجل في أثرها فيدخلان ذلك البيت وبابه وثيق جدا فاسعى خلفهما بهذا العمود لاقتلهما البتة فيسبقاني فيغلقان الباب وأبقى أنا خارجه وأنا غيور كما قد علمت فاقول متى علمت حركتهما مت أو قتلت نفسي فلا يكون والله الا أحق لي اعتصام الا بذلك الطول المعلق فأتناوله وأضعه في عنقي فلا أزال أضرب أبداحتى يخرجا فوالله فاقت والله وأنا أرى أوفى منه قولا وفعلا (قال صلاح الدين الصفدي في الجزء الخامس والثلاثين من التذكرة ومن خطه نقلت) تجت جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان أخت أبي تغلب سنة ست وثمانين وثلثمائة فسقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكب وعلى الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح عندها وفيها الا بشموع العنبر واعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * وحج عبد الله بن جعفر ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقهم لله تعالى لعل الله ان يعتقني من النار (وكان) حكيم بن حزام رضي الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب

فلاحب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لاتجيب المناديا

وقال آخر

قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لومات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سيمته * يا برد ذا الذى قالت على كبدى

﴿كمال الدين بن النبيه﴾

أما وبياض مبسمك الذى * وسمرة مسكة اللعس الشهى
ورمان من الكافور رتعا لو * عليه طوالع الند الندى
وقد كالقضيب اذا انثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد ربى
الى كم أكتم البلوى ودمعى * يبوح بمضمر السر الخفى
وكم أشكو للاهية غرامى * فويل للشجى من الخلى

﴿صفى الدين الحلى﴾

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود مودة * وكذا لدواء يكون بعد الداء
أحييت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أمت بليل والنجوم كأنها * دربا بباطن خيمة زرقاء
أمست تعاطينى المدام وبيننا * عتب غنيت به عن الصهباء
آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقم الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشاء
أمصيبة منا بنبل لحاظها * ما أنظاته اسنة الاعداء
أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الاعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

﴿وله رحمه الله تعالى﴾

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من حيا الى حين نلتقى
قضيت وما أودى الحمام بمهجتى * وشبت وماحل البياض بمفرقى
قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تفرقى بين المنهم والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير نصح * وأحببت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينقى
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تدعى أفعاله وترفقى

(وقال عفا الله عنه)

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محيا لو جلته لنا * فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
جورية الحد تحمى ورد وجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج
جادت لعرفانها أنى المريض بها * فما على اذا أذنبت من حرج
جست يدى لترى مابى فقلت لها * كفى فذا الجوى لولا لهيب لجج

عشية عرفة ونحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحمده وأخشاه (عمر بن زرارة الهمدانى) لما قضى مناسكه أسند ظهره الى الكعبة الشريفة ثم قال مودعا للبيت ما زلت أتخلل لك عروة ونشدا أخرى ونصعدا كعبة ونهبط واديا وتخفضنا أرض وترفعنا أخرى حتى أتيناك غير محجو بين فليت شعرى هل نكون منصرفنا أبذنب مغفور أم عظيم بهما من نعمة أم بعمل مردود أم عظيم بها من مصيبة فيا من اليه خرجنا واليه قصدنا ونحوه أنخنا ارحم أملاق الوفد لغناك فقد أتيناك بعيسنا معراة جلودها ابلة أسفتها تعبية أخفافها وان أعظم الرزية ان نرجع وقد اكتفينا الغيبة اللهم وان للزائرين حقا فاجعل حقنا غفران ذنوبنا فانك جواد ماجد لا ينقصك نائل ولا يخصك سائل

(ونقلت) من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ما صورته نقلت من خط شيخنا الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزالى رحمه الله تعالى ما صورته قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة فى سنة اثنين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى أرض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفاهها مثل الكرباك ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولهن دون

جفوتني فرأيت الصبر أجمل بي * وأصمت في الحب أولى بي من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

(وقال ابن نباتة) رقت لناحين هم السفر بالسفر * وأقبلت في الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسي فجاد لنا * وكان أبخل من تور بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبي ولم تذر
رشيقة لو تراها عند ما سفرت * والبدر ساه اليها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * في ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت دار الحمى من مقبلها * اذا نهتني اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوي فما نظرت * من يرشف الراح قبلي من فم القمر
راق العتاب وأبدى لي سرائرها * في ليلة الوصل بل في غرة القمر

(وقال ابن الساعاتي) قبلتها ورشفت خمر ريقها * فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحني * رضوانها المرجو شرب المسكر

(وقال آخر) بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كان الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(الوأواء الدمشقي تضمين)

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * ورد اوعضت على العناب بالبرد

(لابن نباتة) عذولي لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولي أذن عن الفحشاء صما

(وقال آخر) ورب ليال في هواها سهرتها * أراعي نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثي عال في السهاد لانني * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

(السراج الوراق)

يا لائمي في هواها * أسرفت في اللوم جهلا ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال آخر) وعدت أن تزورليلا فأولت * وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(لعز الدين الموصلي) قد سألوناعن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

(وقال آخر) قالت وناولتها سواكا * سادبغيها على الاراك
سواي ماذاق طعم ريق * قلت لها ذاقه سواكي

(وقال آخر) سألتها أن تعيد لفظا * قالت محب دعوه يعتذر
حديثها سكر شهي * وأحسن السكر المكرر

(ابن نباتة) وملولة في الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال أبو الطيب المتنبي)

بأبي الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلابيا
الناهبات عيوننا وقلوبنا * وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا

الشعر وعرض أصبعين وفي فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنامثل بيادق الشطرنج رطول يدها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان أصفر مجعد ودو رحافرها مثل السكرجة بآر بعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين وصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفي بطنها ثلاث كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه كطعم الجمل وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه (ونقلت منه أيضا) كتب الى زين الدين الرحبي انه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كلبة ميتة ولها جرو ان يرضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها و بلعبان حولها والابن يخرج من أبزازها من الجانب الاعلى وأما الجانب الاسفل فانه يبس وكان الناس يمرون بها و يتعجبون فسبحان من لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير (وذكر الشيخ في حوادث سنة ٧٢٦) قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الفرازي قال في السابع من ذي الحجة سنة (٧٢١) أخبرني شخص ان كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا وأنها أحضرت بين يدي السلطان فلما رآها أعجب من أمرها وسأل المنجمين عن ذلك فاعترفوا انهم ليس لهم علم بذلك (يحكى) أن المهدي خرج يتصيد فلقيه الحسين بن مطير الاسدي فأنشده

أضحت يمينك منها صورة الجود
لا بل يمينك منها صورة الجود

حاولن تفديتي وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه * من حر أنفاسي فكنت الذائبا
ياجيذا المتحملون وجيذا * وادلشمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد ان أنشبن في مخالبا

(وله أيضا من جملة قصيدة)

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عناطات أبكي وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلي ميتا يتكلم

(الشريف الرضي) وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر ومسك ومصندل
هيفاء ان قال الشباب لها انهض * قالت روادفها أقعدي وتمهلي
واذا سألت الوصل قال جمالها * جودي وقال دلالها لا تفعلي

(ابن امرائيل) وعدت بوصل والزمان مسوف * حوراء ناظرها حسام مرهف
نشوانة خضباء منهل ثغرها * درور يقتها سلاف قرقف
وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف
يابانة قد أطلعت أغصانها * ورد اجنيا باللواحظ يقطف
وغزالة يحكي الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الأوطف
ماتأمرين لمغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق * وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبريق ثغرك البسام منك على النقا * مالي الى أحد سواك تشوف

(ولنذكر) ان شاء الله تعالى في هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

(للشيخ شمس الدين بن البديوي)

ولما رأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت اني بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلاهيا * ليطفي ضرام في الحشا ولهيب
وكان هيامي والهوى وصبابتي * لمن هو في الاولى الى حبيب

(وله في المعنى) تلاهيت عنها في الغرام بغيرها * وقلت لقلبي هذه هي زينب
وقبلت فاها مبردا اصابتي * فاضرمت نارا في الحشا تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذي يتقلب

(وقال أيضا) سألت القلب هل ميل للبلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأتى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * ويعتاد المحب تغيرات
فلا يظهر لها يوما سلوا * فتفضحك النصابي الواردات
وترمي بالصدود وبالتجني * وتهلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا الجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

(وقال البيطار) يقولون هذه أم عمرو قريبة * دنت بك أرض نحرها وسماء
الا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

(وقال غيره) وقالوا بع حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخرا تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى * وخان فكيف آتمن الجديدا

(وقال

من حسن وجهك تضحي الارض مشرقة

ومن بنانك يجري الماء في العود
فقال المهدي كذبت يا فاسق وهل تركت في شعرك موضعا لاحد مع قولك في معن بن زائدة

ألما بمعن ثم قولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض حطت للمكارم مضجعا
و يا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
ولكن حويت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضاقت حتى تصدعا
وما كان الا الجود صورة وجهه * فعاشر بيعا ثم ولى فودعا

فلما مضى معن مضى الجود والندى * وأصبح عرين المكارم أجدعا

فأطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين وهل معن الا حسنة من حسناتك فرضي عنه وأمر له بألفي دينار

(قال سعيد بن مسلم) لما ولي المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة فلما صاروا ببابه استأذنوا عليه فدخل الاذن فقال أصلح الله الامير وفد من أهل العراق قال من أي أهل العراق قال من الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه فنظر اليهم معن في هيئة رثة وثوب على أريكته وأنشد يقول

اذا ثابت صديقك فاغتنم * ترقبها فالدهر بالناس منقلب
فاحسن ثوبيك الذي هو لابس * وأوفره مهر بك الذي هو راكب
و بادر بمعروف اذا كنت قادرا * زوال اقتدار فهو عنك يعقب

قال فوثب اليه رجل من القوم فقال أصلح الله الامير ألا أنشدك أحسن من هذا قال لمن قال لابن عمك هرمة قال هات فأنشد يقول

(وقال

(وقال آخر) لم أنس ان قلت من وجدى لها غلطا * ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سألوت عنك فقالت وهى ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم

(وقال آخر) أمن المروءة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسى بدموعى
وتبيت ربان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

(وقال آخر) الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالى من يديه خلاص
جرحت بعينى خده وهو جارح * بعينيه قلبى والجروح قصاص

(وقال آخر) قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب وما يقول فأعجب
حتى رميت بحبه وبسره * من كان يتهم الهوى فيجرب

(وقال آخر) سألتها التقبيل من خدها * عشرا ومازاد يكون احتساب
* فذ تلاقينا وقبلتها * غلطت فى العدد وضاع الحساب

(وقال آخر) يا من سقامى من سقام جفونه * وسواد حظى من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

(وقال آخر) صبحته عند المساء فقال لى * تهزى بقدرى أو تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرنى * حتى توهمت المساء صباحا

﴿أبو عبد الله الغواص﴾

من عذيرى من عدول فى رشا * قامر القلب هواه فقمر
قمر لم يبق منى حسنه * وهواه غير مقلوب قمر

(وقال آخر) جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خدمثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عنى بقلب العقرب

(وقال آخر) لومت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعى بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا لا ولا نظرت * عينى لغير محياك وجهك القمر

﴿ابراهيم بن العباس﴾

ثمر الصبا صفعا بساكن ذى الغضى * ويسرع قلبى اذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(وقال النوفلى) اذا اختلجت عينى رأت من تحبه * فدام لعينى ما حييت اختلاجها
وماذقت كأسا مذ علقت بحبها * فأشربه الا ودمى مزاجها

﴿وقال آخر رحمه الله تعالى﴾

يا ذا الذى زار ومازار * كأنه مقتبس نارا قام بباب الدار من تيهه * ماضره لو دخل الدار

(وقال آخر) ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

(ابن نباتة) أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده * فوا لعصر ان العاشقين لفى خسر

(أمين الدين بن أبى الوفاء)

يا نازلا منى فؤادا راحلا * ومن الهجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

(وقال آخر) يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو يمر بى كل وقت * وكل مر يحلو
(الحاجبى) ملأن فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائع

وللنفس تارات تحل بها العرى
وتسخو اعن المال النفوس الشحائح
اذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه
أقل اذا ضحت عليك الصفائح
لا بد لحال يمنع المرء ماله
غدا فغدا والموت غاد ورائح
فقال معن أحسنت والله وان كان الشعر لغيرك يا غلام أعطهم أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم الى أن يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال الغلام أجعلها دنانير أم دراهم فقال معن والله لا تكون همتك أرفع من همتى ﴿مدح﴾ مطيع ابن اياس معن بن زائدة فقال له معن ان شئت مدحتك وان شئت أثبتك فاستحى من اختيار الثواب وكره اختيار المدح فقال

ثناء من أمير خير كسب
لصاحب مغنم وأخى ثراء
ولكن الزمان يرى عظامى
وما مثل الدراهم من دواء

فأمر له بألف دينار (ولما) قدم معن بن زائدة أتاه الناس فأتاه ابن أبى حفصة فاذا المجلس غاص بأهله فدق بعصاه الباب ثم قال

وما أعجم الاهداء عنك تقية
عليك ولكن ليروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما
أبى الله الا أن يضر وينفعا

فقال معن أتحكم يا أبا السمط فقال عشرة آلاف فقال معن وزيدلك ألفا (أتى) اعرابى الى معن ابن زائدة ومعه نطع فيه صبى حين ولد فاستأذن عليه فلما دخل جعل الصبى بين يديه وقال

سميت معنا بعد معن ثم قلتله
هذا اسمى فجد فى الناس محمود
أنت الجواد ومنك الجود نعرفه
ومثل جودك فينا غير معهود
أمست يمينك من جود مصورة
لا بل يمينك منها صورة الجود

وقلت لقلبي قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما انا فارغ

(وقال ديك الجن) ولي كبد حرى ونفس كانها * بكف عدو ما يريد سراحها
كان على قلبي قطاة تذكرت * على ظماء ورادا فهزت جناحها

(وقال عبد الله بن طاهر)

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
اقل الناس في الدنيا مرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

(وقال آخر) ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لا ملا ولا لستجنب
لكن خشيت بأن اموت صبابة * فيقال انبق قتلته فتفادني

(وقال ابن المعتز)

هب لعيني رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التي * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

(وقال آخر) وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى * افرق بين ليلي والصباح

(وقال آخر) ولي فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شيء فداك به

(وقال آخر) وما هجرتك النفس يا أمي أنها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

(وقال المحاربي) اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بانضج من كي الغضى المتلهب

(وقال الاقرع بن معاذ)

أقول لمفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها
أضر بجسمي منذ مر خيالها * فقال بلى والله أو سيصيبها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

(وقال آخر) بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما * ما ضر لو يوصل منك تسعفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
وان بدا لكما من سيدي غضب * فقولا طاه وقولا ليس نعرفه

(وقال عبد الله بن أبي الشيص)

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كأني قد قتلت لها قتيلا * فما مني بغير الهجر ترضى

(وقال الحسين بن الضحاك)

بعضي بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننت بأن ذاك العشوقا

(وقال آخر) واجيل فكري في هوا * ك بلا لسان ناطق
أدعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

(وقال آخر) يا ويح من خيل الى الحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه

قال كم الابيات قال ثلاثة قال
أعطوه ثلثمائة دينار ولو كنت
زدتنا زدناك قال حسبك ما سمعت
وحسبي ما أخذت (أخبرنا) الشيخ
الجليل العدل الاصيل شهاب
الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم
ابن غانم بن وافد المهدي قال أخبرنا
المشايخ الثلاثة الامام فخر الدين أبو
الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد
البخاري وأبو العباس أحمد بن
شيبان بن ثعلب الشيباني وأم
حميد زينب بنت مكي بن علي بن
كامل الحراني قالوا أخبرنا أبو حفص
عمر بن عمر بن محمد بن أبي نصر الحميدي
قال أنشدني أبو غالب محمد بن سهل
النحوي الواسطي المعروف بابن
شيران بواسط قال أنشدني الامير
أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين
قال أنشدني علي بن زريق الكاتب
البغدادي لنفسه هذه القصيدة
الى آخرها وقد أنشدنيها جماعة
بالمغرب وقال لي أبو محمد علي بن
أحمد بن سعيد وغيره يقال من ختم
بالعقيق وقرأ لابي عمرو وحفظ
قصيدة ابن زريق فقد استكمل
الظرف وهي
لا تعذليه فان العذل يوجعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حدا أضر به
من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
فاستعمل الرفق في تأنيبه بدلا
من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالبين يحمله
فضلعت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد ان له
من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه
رأى الى سفر بازاء عم يتبعه
كأنما هو في حل ومرتحل
موكل بفضاء الارض يذرعه
اذا الزماع أراه بالرحيل غني
ولو الى السد أضحى وهو يزمعه

عـزوا ومال به الهـوى فأذله * ان العزيز على الذليل يتيه
أنظر الى جسـد أضر به الهوى * لولا تقلب طرفـه دفنـوه
من كان خلوا من تباريح الهوى * فأنا الهوى وحليفـه وأخوه

(وقال أحمد بن طاهر) تقول العـادلات تسـل عنها * وداو عليـل صـبرك بالسلو
فـكيف ونظرتمنها اختلاسا * ألذ من الشـماتة بالعـدو

(وقال اسحاق مولى المهلب)

هبيني يامعـذبتي أسأت * وبالهجران قبلـكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسي * عـلى اذا أسأت كما أسأت

(وقال أبو العتاهية) يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
سـقام على جسمي كثير موسع * ونوم على عيـني قليل مفوت
اذا الشدة ما بي كان أفضل حيلتي * له وضع كفي فوق خدي وأسكت

(وقال بشار) ياقرة العـين انى لاأسميكى * أكنى بأحرى أسمهما وأعنيـك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أوسهم غيران يرمينى ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت قالك وقلت النفس تفديك
ياأطيب النـاس ريقا غير مختبر * الاشهادة أطراف المسـاويك
قد زرتنـا مرة فى الدهر واحدة * بالله لاتجعـلها بيضـة الديك

(وقال آخر) ألم تعلمى ياأحسن الناس أننى * أحبـك حبـا مستـكنا وباديا
أحبـك مالو كان بين قبـائل * من النـاس أعداء لجر التصافيا

(وقال آخر) أقول لشادن فى الحسن أضحى * يصـيد بطرفه قلب الكمى
ملـكت الحسن أجمع فى نصاب * فأذكـاه منظرك البهى
وذاك بان تجـود لمسـتهام * برشـف من مقبلك الشهى

فقال أبو حنيفـة لي امام * يرى أن لازكاة على الصبي

(وقال آخر) سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهنا فى روضة الحسن ضاحك
أقمنـا زمانا والعيـون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

(وقال آخر) ألم تعلمى ياعذبة الماء أننى * أظـل اذا لم أسق ماءك صـاديا
ومازلت بى يابن حتى لوانني * من الوجد استبكى الحمام بكى ليا

(أبو العباس الشهير بالنفيس)

يارا حلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقيالك يتفق
ما أنصفتك جفون وهى دامية * ولا رفى لك قلبى وهو يحـترق

(الوزير ظهير الدين الملقب بأبي شجاع)

لأعذبن العين غـير مفكر * فيها بكت بالدمع أوفاضت دما * ولأهجـرن من الرقاد لذيذه
حتى يعود على الجفون محرما * هى أوقعتنى فى حبائل فتنة * لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمى فلاسفحن دموعها * وهى التى بدأت فكانت أظلما

(وقال العتبي) أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الاعليـك فانه مـذموم

(وقال الاندلسى) ومهفهف كالغصن الا أنه * تتحير الالباب عنـد لفاته
أضحى ينام وقد تكامل خده * عرقا فقلت الورد رش بمـائه

تأبى المطامع الا أن تجشمه
للرزق كداو كم عن وده
وما مجاهدة الانسان واصلة
رزقا ولا دعة الانسـان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم
لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لـكنهم ملؤا حرصا فلست ترى
مستـرزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى المرء والارزاق قد قسمت
بغى الى أن بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه
حقا ويطعمه من حيث يمنعه
أستودع الله فى بغداد لى قمرا
بالـكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودى لو يودعنى
طيب الحياة وانى لا أودعه
كم قد تشفعت بى أن لا أفارقه
وللضرورات حال لا تشفعه
وكم نشبت بى يوم الرحيل ضحى
وأدمعى مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العـذر منخرق
عنى بر قته لـكن أرقعه
انى أوسع عذرى فى جنايته
باليمن عنه وقلبى لا يوسعه
أعطيت ملـكا فلم أحسن سياسته
كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شـكر عليه فان الله ينزعه
اعتضت من وجه خلى بعـد فرقته
كما تجرع منها ما أجرعه
كم قائل لى ذنب البين قلت له
الذنب والله ذنبى لست أدفعه
الا أقمت مكان الرشد أجمعه
لو أننى يوم بان الرشد أتبعه
أن لا أقطع أيامى وأنفذها
بحسرة منه فى قلبى تقطعه
عن اذ هجـع النوام بت به
بلوعة منه ليلى لست أهجعه
لا يطمئن بجنبى مضجع وكذا
لا يطمئن له مذ نأت مضجعه

(وقال آخر) أخضر وأصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف * كأن نسرين وجنتيه
بشعر أصداغه مغلف * يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

وقال آخر مازال ينهل من صرف الطلا قمرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والارداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق
فعائل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق
جاذبته لعناقى فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الخمر بالعرق
وقال لى يفتـــور من لواحظه * ان العناق حرام قلت فى عنقى

(وقال آخر) باركان هذا البيت انى لطائف * وفى الكون أسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالى صيارف
وبى ذهبى اللون صبغ لحمتى * يريد امتحاناتى وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لاغش عنده * فيا ذهبى اللون انك خائف

(وقال آخر) أسنى ليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكأس من أعمالى
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

(ومما قيل فى الرقباء) لو أن لى فى الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الامر فى التعذيب
لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

(وقال أعرابى) يسوءهم الحب كم فى فؤادى * ولا كالكلام من عين الرقيب
تمكن ناظراه بى وأخفى * مكان الكاتبين من الذنوب
ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريب على الغريب
ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

(وقال آخر) من عاش فى الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت فى بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

(وقال أحمد بن أبى سلمة) يعذلنى فيه جميع الورى * كأننى جئت بأمر عجيب
أظن نفسى لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

(وقال آخر) وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نهى بكيت وكل الف * اذا بانت حبيبته بكاها

(وقال آخر) وقائلة ما بال معلم أبيض * فقلت لها ياعلم هذا الذى بقى
ألم تعلمى أن البكا طال عمره * فشابت دموعى عند ما شاب مفرقى

وما قليل لادموع ولادما * ولم يبق الا لوعتى وتحرقى

(وقال آخر) ولم أر مثلى غار من طول ليلة * عليه لان الليل يعشقه معى
وما زلت أبكى فى دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال آخر) رجوت طيف خيال * وكيف لى بهجوع
والذار يات جفونى * والمرسلات دموعى

(وقال آخر) يانازح الطيف من نومى يعاودنى * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل * عن حالها ياما جرى

ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعنى
به ولا أظن بى الايام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد
عسراء تمنعنى حظى وتمنعه
وكنت من ريب دهرى جازعا فرقا
فلم أرق الذى كنت أجزعه
بالله يا منزل الانس الذى درست
آثاره وعفت مذ بنت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا
أم الليالى التى أمضيت ترجعه
فى ذمة الله من أضحت منازله
وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لى عهد لا يضيعه كما
عندى له عهد ولا أضيعه
ومن يصدع قلبى ذكره وادا
جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لاصبر لى عنه لا يمتعنى
به ولا بى فى حال يمتعه
فلما بان اصطبارى معقب فرجا
فأضيق الامر ان فكرت أوسعه
عسى الليالى التى أضنت بفرقتنا
جسمى ستجمع عنى يوما وتجمعه
وان تنل أحدا منا منيته
فما الذى بقضاء الله يصنعه

(يحكى) أنه وقع فى ليلة الجمعة خامس عشر المحرم سنة (٨٣١) ان حضرت صلاة العشاء بالجامع النورى بحماة فتقدم امامه للصلاة بعد الاقامة وكبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح ولم يقرأ الفاتحة ثم قرأ الم السجدة ولما أتى على آية السجدة سجد ثم نهض منها الى آخر هاور كعه وسجد السجدتين ثم قام الى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة ثم قرأ سورة النحل وبنى اسرائيل والكهف ومريم وجانبا من طه فارتج عليه فركع ثم اعتدل واقفا ثم سجد السجدتين وتشهد وسلم على رأس الركعتين

(حكى) الدينورى فى المجالسة فى ترجمة أبى عبد الله سعيد ابن يزيد البناجى قال سمعت أبى يقول قال

(وقال آخر) أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

(وقال آخر) ان عينى مذغاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لا تسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر) يقولون لى والدمع فرح مقلتى * بنار أمى من حيه القلب تقدح
أدمعك حمر اقلت لا تتجيبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

(وقال البدر الذهبى) قالوا تباكى بالدموع وما بكى * بدم على عرش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

﴿قال ابن مطروح فى الغيرة﴾

ولو أمسى على تلقى مضرا * لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

(وقال آخر) أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو انى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

﴿المظفر بن عمر الآمدى﴾

قل للذين جفونى اذ الهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحببكم وهلا كى فى محبتكم * كعابد النار يهواها فتحرقه

(وقال غيره) لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجاو النجاح
ذاك الزمان مر حلوا لجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

(الشريف الرضى) عللانى بذكركم واسقيانى * وأمر جالى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر) قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكم * أنى أعذبه بالدمع والسهر

(عز الدين الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياجبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك) قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر فى أولى تسايره
كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

(وقال آخر) ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الا لان الصبح ثم بنا * فأطلع الشمس من غيظ على القمر

(وقال غيره) فلم أرمثل ليل ذوى التصابى * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافى * ويشكو قصره أهل الوصال

(وقال آخر) ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

(وقال آخر) ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

(وقال غيره) رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عينى فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقى * صحت يا ليلى أما فيك صبر

خبر أحمد بن محمد بن يوسف سمعت محمد بن يوسف يقول كان أبو عبد الله البناجى مجاب الدعوة وله آيات وكرامات بينما هو فى بعض أسفاره اما حاجا واما غازيا على ناقة وكان فى الطريق برجل عائن فلما نظر الى شىء الا أتلفه واسقطه وكانت ناقة أبى عبد الله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال أبو عبد الله ليس له الى ناقتى سبيل فأخبر العائن بقوله فتخير غيبة أبى عبد الله فجاء الى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضطرب فأتى أبو عبد الله فقيل قد عان ناقتك وهى كما تراها تضطرب قال دلونى على العائن فدل عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فى كليته رشيق وفى ماله يليق فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها

(وله فى أسماء الولائم)

وليمة اعراس وخرس ولادة
عقيقة مولود نقيعة قادم
وضيمة حزن والبناء وكيرة
عذيرة ختن مأدبات المكارم

(وله أيضا فى أسماء أيام الجموز على الترتيب)

بصن وصنبر وبرمهل
عطفى جمر آمر نعم مؤتمر
تولت بجوز ثم أعقب بعدها
شباب ربيع زهره يانع نضر

﴿ولغيره فى أسماء خيل الحلبة﴾

سبق المجلى والمصلى والمسـ
ـلى بعد تاليه ترى المرتاحا
وبعاطف وبفسكل وحطيه
خلب اللطيم على الكميت صباحا

﴿لابى العلاء المعرى﴾

(وقال آخر) ياليل طل أولا تطل * لابد لي أن أسهرك لو بات عندي قرى * مابت أرعى قرك

وقال بشار بن برد

خليلي ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل اليها المستشير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

(وقال آخر)

كأن الثريا راحة تشير الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
قليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

(وقال ابن منقذ)

لما رأيت النجم ساء طرفه * والقطب قد ألقى علينا سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

قال آخر في ليلة مطرة

أقول والليل في امتداد * وأدمع الغيث في انسفاح
أظن ليلى بغير شك * قد بات يبكي على الصباح

(ومما جاء في الأشعار الحريرية قول صفي الدين الحلي)

بدت لنا الراح في تاج من الحبب * تحرقت حلة الظلماء باللهب
بكرا ذا زوجت بالماء أولدها * أطفال درعلى مهد من الذهب
بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالعصار لو نطقت * لحدثتنا بما قاسى سالف الحقب
باكرتها برفاق قد زهت بهم * قيل السلاف سلاف العلم والادب
بكل متشح بالفضل مؤتزر * كان في لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليلى غدا في الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب
بذلت عقلي صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطرقنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

(وقال أيضا)

تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور فقم بنا يا صاحبي * نستدرك الماضي بنهب الآتي
توج بكاسات الطلا هام الربا * في روضة مطلولة الزهرات
تفد وسلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار غنيمتي * وفراغ راحاتي على الراحات
تركي لاكياس النضار جهالة * من ذا أحق بها من الكاسات
تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى أوقاتها داعي الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تمم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة للذات

(وقال أيضا)

حي الرفاق وطف بكاس الراح * وأطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح
حاش الانام وها طغى مشمولة * ظنت فسادي وهي عين صلاحي
حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلالؤها عن المصباح
حجب تظل به الكؤس كانها * خصر القتاة تحفه بوشاح
حجب الحباب شعاعها فكأنه * شفق تلهب تحت ذيل صباح
حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لا تقنع بأنك صاح

سألن فقلت ما قصدنا سعيد
فكان اسم الأمير لمن قالا
اذا ما الغيم لم يعطر بلادا
فان له على يدك اتكالا
ولو أن الرياح تهب غربا
وقلت لها هلا هبت شمالا
وأقسم لو غضبت على ثبير
لازمع عن محلته ارتحالا

(تذنة لغوية يفتقر كل متأدب اليها)

(البلج) هو ان ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما تضام للشعر وكانت العرب تمدح البلج ويقال رجل أبلج وامرأة بلجاء (ثم العين) فجملة العين المقلة وهي الشحمة التي تجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الانسان والانسان ليس يخلق له جسم والجسم ما وجدت مسه والعين كالمرآة اذا استقبلتها بشيء رأيت شخصه فيها وفيها الناظران وهما عرقان على حرف الالف يسيلان من الموقين الى الوجه وفيها الاجفان وهي غطاء المقلة من أعلى وأسفل وفيها الاشفار وهي حروف الاجفان التي تلتقي عند الغمض الواحد شفر والشفر الذي ينبت فيه الهدب الواحد هدبة فاذا طالت الاهداب قيل رجل أهدب وامرأة هدباء ورجل أوطف وامرأة وطفاء وكذلك أذن هدباء اذا كانت كثيرة الشعر ووطفاء والكل دليل على الطول والمحجر ما خرج من النقاب من الرجل والمرأة من الجفن الاسفل وفي العين الحاليق والواحد حلاق والحاليق النواحي وفيها اللحاظ وهي مؤخرها الذي يلي الصدغ والموق طرفها الذي يلي الانف وهو مخرج الدمع وفي العين الحوص وهو ضيق في مؤخرها يقال رجل أحوص وامرأة حوصاء وفيها النجل وهو سعة العين وعظم المقلة وكثرة البياض

(وقال آخر) قدقلت اذا أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
بالله ما أنصفتها ياسيدى * تأتيك بالمهجة وأنت تعبس

(عزالدين الموصلى) لثن شبه الساقى المدام بعسجد * فقدمال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فميزما قد حلت الكاس بالذهب

(يزيدبن معاوية) وشمسة كرم برجها قعر دنها * وطلعتها الساقى ومغربها فمى
مدام كثير فى اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كانجم

(وقال آخر) كان الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا فى الروض تملى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

(وقال آخر) فكاتما وكان حاملها كاسها * اذقام يحملوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكوا كب الجوزاء

(وقال كشاجم) صدح الديك فى الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدرى من رقة وصفاء * هى فى الكاس أم هو الكاس فيها

(كمال الدين بن النبيه)

قم باغلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح
خفيت تباشير الصباح فاسقنى * ماضل فى الظلماء من قدح القدح
صهباء مالعت بكف مديرها * لقطب الاتهلل وانشرح
تالله ماخرج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح
هى صفوة الكرم الكريم فما مرت * مراؤها فى باخل الاسمح
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار أوافتضح

(وقال غيره) وليلة أوسعتنى * حسنا ولهوا وأنسا مازلت أثم بدرا * بها وأشهد شمسا

(عبدالله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية)

وكاس بر بنا آية الصبح فى الدجى * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم تزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

(وقال ابن تميم) وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شهابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ابن مكانس)

نزل الطل بكرة * وتوالى تجددا * والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندى

(الشيخ شهاب الدين الحجازى)

كاسنا ياصاح صرفا * حليت بين الندامى * لم نجد ماء لمزج . فقنعنا بالمدامى

(صفى الدين الحلى) كيف لاتخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألغوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء المسمات

(غيره) صهبا فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج
ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

(مجدالدين بن تميم)

ندمى لاتسقنى * سوى الصرف فهو الهنى * ودع كاسها أطلسا * ولاتسقنى مع دنى

(تقى الدين بن حجة) حيابها عاصر هاقى كاسها * مشرقة بامعه كالثغر

وفيها الخنس وهو ضعف فى النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواد والدعج السواد فى العين بين الحمرة والسواد والشهل أن يشوب سواد هازرقة يقال رجل أشهل وامرأة شهلاء ويقال نظر الى شزر اوذلك اذا نظر عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره وفى النظر الاغضاء وهو أن يطبق جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا (ثم الفم) وفى الفم الثنايا والرباعيات والضواحك والاراحة والنواجذ فالضواحك أربعة أضراس تلى الانياب الى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الاراحة فهى ثمانية أضراس من أسفل الفم وأعلاه وفى الاسنان الظلم سا كن وهو ماء الاسنان وفى الاسنان الشنب وهو برد وعذوبة فى المذاق والفلج تباعد ما بين الاسنان (ثم اللثة وهو اللحم ينبت فيه الاسنان وفى اللثة اللمى وهو سمرة تضرب الى سواد وكذلك الحوة واللهاة اللحمة الحمراء المعلقة على الحنك (نقلت من الجزء الثالث والعشرين من التذكرة للصفدى) ان شهاب الدين أحمد الحوى النقاش ورد الى القاهرة سنة ٧٣٢ وكتب الختمة الشريفة على خوصة من أولها الى آخرها مفصلة الاجزاء والسور أخبرنى بذلك المولى السادة الموقعون بالباب الشريف وقدمها المولانا السلطان الملك الصالح وسألته عن مولده فقال فى سنة ٦٩٩ وله نظم رائق (عن) على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه عشر تورث النسيان كثرة الهم والحجامة فى النقرة والبول فى الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكسفرة وأكل سؤر الفأرة وقراءة ألواح القبور والنظر الى المصلوب والمشى بين القطارين

وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

(أبو الطيب المتنبى)

ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضى لنا من أفقها الغسق
خمرا اذا ما نديمى هم يشربها * أخشى عليه من اللالا يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ما غربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

(وقال آخر) بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

(وقال آخر) عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللالى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

(برهان الدين بن المعمار)

يا كرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه
وأعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنابه

(جولان العاذلى) اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * تزاحمت الهموم على الخروج

(وقال فى الشراب المطبوخ)

يا من يعذب ماء الكرم محرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * ولست أخمر لا قدرا ولا حطبا

(وقال أيضا) وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان العابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يحول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

(وقال غيره) لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقة بتصريح
هذا من الحى الاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

(وقال غيره)

عابوا على مداما * أخرتها الصبوحى واستنكروها وقالوا * تخلت قلت روحى

(وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق)

أما ترى الرعد يبكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجى * أفحم وجه الروض لما بكى
وانظر لماء النيل فى مده * كأنه صندل أو مصطكا

(وقال آخر) يا ليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نستى سلافا رقرقا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من فضة قد قدعت عنابا

(وقال آخر) أما ترى الغيث كالما كى بأدمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
فقم فدتك نشكموما نكابده * من الزمان ومانلقى الى القدح

(ابن نباتة) أما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا

(ومن شعر عضد الدولة)

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح

والقاه القملة حية والله أعلم هذا آخر التذييل

﴿وهذا تذييل آخر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أما بعد حمد الله على نعمائه * والصلاة والسلام على خير أنبيائه * فيقول العبد الفقير الى عفو مولاه الكريم ابراهيم بن الحاج على الاحدب قد رأيت أن أزيل الثغرات بما جنيته من الثمار الدانية والفوائد العالية وبالله التوفيق (فمن ذلك ما يحكى) ان الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذى دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه فأسكنه فى منزل قريب منه فأقام على ذلك مدة ثم ان الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوى غرامه فيه فشكا يوما له حاله فقال له ما حيلتى وأنا لا أستطيع مفارقة أخى لا ليلا ولا نهارا أما الليل فان سريرى بجانب سريره وأما النهار فكما ترى تلازمنا فقال الشيخ ان منزلى ملاصق لدارك فيمكن اذا نمت عين أخيك أن تقوم لتستعمل ما فتأتى الى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار فجلس عندى لحظة لطيفة من غير ان يشعر أخوك بشئ فقال السمع والطاعة ونواعدا على ليلة فهيأ له الشيخ من التحف والظرف ما يليق بمقامه فلما نام الصاحب واستغرق فى النوم وأمن انتباهه قام الشاب وتمشى خطوات وفتح بابا يتوصل منه الى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظره فتناوله وصار عنده فى المنزل وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤس الشراب ممزوجة بسيد الرضاب وانتشى الشيخ وأخذ فى الغناء وقد رمى القمر جرمه عليهما وانتبه

وكان النبلج كالكافور نثرا * وناري بين نارنجي وراحي
فشمومي ومشروبي ريناري * وثلجي والصباح مع الصباح
لهيب في لهيب في لهيب * صباح في صباح في صباح

(ابن وكيع) وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواكب در في سماء عقيق
صبت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق

(وقال آخر) وحمراء تميل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاقتست لون عاشق

(وقال آخر) اذا الكرمان صاح على الرمال * وحل البدر في برج الكمال
وجد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال
وحركت الغصون فشاب منها * قدود سقاتنا في كل حال
فهات الكاس مترعة ودعني * أبادر لذتي قبل ارتحالي
فكل جماعة لاشك يوما * يفرق بينهم صرف الليالي

(وقال آخر في الشراب على الغيم)

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بطل
فوجه الرأي أن تدعو برطل * فتشربه وتدعو لي برطل

(وقال آخر) فيا بكرا باكر بكرة بكر كرمة * تغزبيكور بالكر تلك بها بكر
وداوى خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

(الصنوبري) لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفي الهموم ولا تبقي على الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة * تبدو فتخبر عن سالف الزمن
حمرا مروقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسني
يسعى بها غنج في خده ضرج * في ثغره فلج ينمى الى اليمن
في ريقه عسل قلبي به خبل * في مشيه ميل أربى على الغصن
كأنه قمر ما مثله بشر * في طرفه حور برنو فيجرحني
سبحان خالقه ياويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن
في روضة زهرت بالنبت قد حسنت * كأنها فرشت من وجهه الحسن
ياطيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

(كمال الدين بن النبيه)

طاب الصبوح لنا فهاك وهات * واشرب هنيأ يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والزمان مساعد * والدهر سمح والحبيب موات
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فجبت للنيران في الجنات
ينسل في قار الظروف حبابها * والدر مختلب من الظلمات
عذراء واقعها المزاج أماترى * منديل عذرتها بكف سقاتي
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كتعاسيد الحيات

الصاحب فلم يجد أحدا فقام فرآها مرعوبا ووجد الباب الذي استطرق منه أخوه مفتوحا فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نورا ساطعا من البيت ونظر فرآهما على هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد بأحسن صوت

سقاني خمرة من ريق فيه
وحيا بالعذار ومالا ليه
وبات معانقا خدا بخد
غزال في الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا
سلوه لا يتم على أخيه

فكان من لطافة الصاحب أن قال والله لا أتم عليكما وتركهما وانصرف انتهى (ومن بديع ذلك ما حكاه ابن خلكان في تاريخه) في ترجمة شرف الدين المعروف بابن المستوفي قال قد وصل الى أربل بعض الشعراء وهو الشريف عبد الرحمن ابن أبي الحسين بن عيسى بن علي بن يعرب في سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ وزير فسير له مثلوما على يد شخص كان في خدمته يقال له الكمال بن الشعار الموصلي صاحب التاريخ والمثلوم عبارة عن دينار يقطع منه قطعة صغيرة وقد جرت عادتهم في العراق وتلك البلاد ان يفعلوا مثل هذا لانهم يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون أيضا بالمثلوم وهذا كثير الوجود بايديهم فجاء الكمال الى ذلك الشاعر وقال له الصاحب يقول لك اتفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيأ فتوهم الشاعر ان الكمال يكون قد قرض القطعة من الدينار وان شرف الدين ما سيره الا كاملا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه

لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

(وقال أيضا) يا كرصبوحك أهنى العيش يا كره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع العنقود حاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن قتال اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدى جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره
تعلمت بانة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق سدغيه محاجره
فلو رأت معلما هاروت آيته السحرى لآمن بعد الكفر ساحره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

(وقال آخر) شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعلل بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاجرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

(برهان الدين القيراطى) أرى جرارا الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى يجيب
جئنا الخمار وقلناله * احمل الينا جرة كى نطيب
قال زبيبا تريدون أم * خمرا فان الكل منى قريب
قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى جرة عشرين قلنا الزبيب

(وقال أيضا) صرف الزبيب لصرف همى * نص على نفعه طبيبى
آها على سكرة لعلى * أن أخلط الهم بالزبيب

(وقال) قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تتعدا الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

﴿وما قيل فى شرب الفقهاء﴾

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الابارين

﴿فيمن يطيل الحديث والكاس فى يده﴾

وشادن نطقه جار اذا شفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكى وكاس الراح فى يده * حكاية عرضها عرض السموات

﴿وما قيل فى كريم السكر ليئم الصحو﴾

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا فى بذل مال فيه ضنا
يجود بماله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

﴿وقيل فى شجاع السكر﴾

اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان

يا أيها المولى الوزير ومن به
فى الجود حقا تضرب الامثال
أرسلت بدرا تم عند كماله
حسنا فوافى العبد وهو هلال
ماغاله النقصان الا أنه
بلغ الكمال كذلك الآجال
فاعجب لشرف الدين بهذا المعنى
وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر
وأحسن اليه انتهى (ومنه
ماحكى) ان ابراهيم بن سهل
الاشبيلى كان يهوديا فاسلم وحسن
اسلامه حتى انه مدح النبى صلى
الله عليه وسلم قبل ان يسلم وكان
يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وكان
يحب يهوديا اسمه موسى وأكثر
شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه
محمدا وترك هوى اليهودى فقيل له
فى ذلك فانشد

تركت هوى موسى بحب محمد
هديت ولولا الله ما كنت أهتدى
وما عن قلى تركى هواه وانما
شريعة موسى عطلت بحمد

وكان ابراهيم هذا شاعرا مجيدا
اتفق له فى صباه ان الهيثم نظم
قصيدة مدح بها المتوكل على الله
ابن يوسف بن هود ملك الاندلس
وقد كانت اعلامه سودا لانه كان
بايع الخليفة ببغداد فارسل اليه
بالتولية والالوية والنيابة ولا يعلم
أحد من ملوك الاندلس قبله ولا
بعده بايع بنى العباس قط فوقف
ابراهيم بن سهل والهيثم ينشد
قصيدته لبعض أصحابه فقال
ابراهيم للهيثم زد بين البيت الفلانى
والبيت الفلانى
اعلامه السود اعلام بسوددة
كانهن بخد الملك خيلان
فقال الهيثم أهذا البيت ثم ترويه
أم نظمته فقال بل نظمته الساعة
فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام
فسيكون أشعر أهل الاندلس

وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد للقايوم الطعان

(وفيه أيضا) يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الحيول الاعوجيات فى الوغى * أناقل فيها كل ليث مناهز
ومن لى بحرب ليس يخمد نارها * لعمرى انى لست فيها بعاجز
فنى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

(وقال فى شرب الثلاثة) ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغنى ذا وهذا الذى * يسقى وذا بالشرب مسرور

(وقيل فى شرب الاربعة) ألا انما خير المجالس مجلس * به ربه صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

﴿وقيل فى شرب الستة﴾

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانية
فاذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنية
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * ولئن أتيت به فانك زانية

﴿وما قيل فى الشرب مع التجار﴾

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضور نافيه وداعا
فذاك يقول كم أطلقت بيعا * ووفيت الذى بعت الدراعا
وهذا قال عندى كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهمو أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

﴿فيمن أكل على الشراب﴾

وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل ارتعدت يداه
نديم دأبه فى السكر أكل * فلا يبقى على شئ يراه

﴿وقيل فى قدح﴾

غرامى ووجدى بالذى كان فى الثرى * مهانا فاضحى فى المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصارى يستدعى بعض أصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشى أو حرير
وقد صفى الدنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهى نور
ومن يرد السرور يعش هنيئا * اذا العيش الهنى هو السرور
وعندى اليوم فتيان كرام * وجوههمو شموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لامر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك فى الحضور فحق يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

(وقال آخر) باكرصبوحك واشربها مشعشعة * واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم
كأن فى كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم
لا صاحبتنى يد لم تغن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندى من اللوم

﴿سيف الدولة بن حمدان فى ساق﴾

(ومنه ما اتفق) سنة ثمان وستمائة ان الملك المعظم عيسى سار الى أخيه الملك الاشرف فاستعطفه على أخيه الكامل محمد وكان فى نفسه موجدة عليه فازالها وساروا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد اخذوا دمياط واستحكم أمرهم هناك من سنة أربع عشرة بعد حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم فى بعضها ان يرد عليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه فى الساحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقد رالله سبحانه وتعالى ان ضاعت عليهم مراكب فيها ميرة لهم فاخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضى دمياط المياه من كل ناحية فلم يمكن الافرنج ان ينصرفوا بأنفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الاخرى حتى اضطروهم الى أضيق الاماكن فعند ذلك انابوا الى المصالحة من غير مفاوضة فجاء مقدمهم الى الملك الكامل وعنده اخواه المذكوران وكانا قاتما بين يديه وكان يوما مشهودا وأرسلوا محمودا فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد وملوك الافرنج والعساكر كلها واقفة بحضرته ومدمماط عظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر فقام المحلى الشاعر وأنشد هنيئا فان السعد راح مخادرا
وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا الاله الخلق فتحا به المنى
مبينا وانعاما وعزا مؤيدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه
وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
وما طفا البحر الخضم باهله الطـ
ـغات وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام بهذا الدين من سل عزمه
صقيلا كما سل الحسام مجردا

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فما بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت أيدي النجوم مطارفا * على الجود كانوا الحواشي على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(ابن نباتة) سقى وواعدني وصلا ألذ به * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبيله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

﴿وقال آخر في ساق﴾

وساق كالهلال سعى بكاس * لربة جرس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيانا بالثريا

(وفيه لابن النبيه) ساق صحيفة خده ماسودت * عبثا بلام عذاره وبنونه
جمد الذي بيمينه في خده * وجرى الذي في خده بيمينه

(في جارية ساقية) ندمتي جارية ساقية * وتزهتي ساقية جارية
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جارية

﴿فيمن حبس الكاس في يده﴾

قالوا الذي تهواه يحبس كاسه * في كفه من غير ذنب موجب
فأجبتهم كفوا الملام فانه * قرينته طرفه في كوكب

﴿وقال آخر في مجلس أنس﴾

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

(صفي الدين الحلي في عود) وعود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدما وهو ربان ناعم
يغرب في تغريده فكأنه * بعيد لنا ما فقته الحمائم

﴿وقال آخر في زامرة﴾ وناطقة بالشفع عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

﴿ومما قيل في فانوس لابن تميم﴾

انظر الى الفانوس تلقى متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وفيه لابن قزل) وكأنما الفانوس في غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت وراق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

﴿ولبعضهم في شمعة﴾

حكمتني وقد أودي بي السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

﴿ومما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك﴾ قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * ستجاوب في أيكه أطياره
وبدا البنفسج والشقائق مونق * والورد يضحك بينها ونهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغن لي * هذا هواك وهذه آثاره

(وقال غيره) غدونا على الروض الذي طله الندى * سحيرا وأوداج الابارين تسفك

فلم ينج الا كل شاو مجدل
ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الارض رافعا
عقيرته في الخافقين مشيدا

أعباد عيسى ان عيسى وقومه
وموسى جميعا يخدمون محمدا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغني انه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق انتهى (ومنه ما حكي عن جمال الدين) كاتب مرا الملك المعظم عيسى أنه كان بينه وبين السلطان مداعبة ومنادمة فاتفق انه حضر في بعض الليالي عنده فلما رجع الى منزله قالت له زوجته أين انعام السلطان فقال ما أنعم علي الليلة بشئ فقالت أنا أعوض عنه وقامت اليه هي وجواريها في الحال وتناولته بالخفاف الثقال الى أن ألانت أعطافه وأدارت في حانة الصفع سلافه فكتب للمعظم رقعة في ذلك منها

وتخالفت بيض الاكف كأنها الـ ـنصفيق عند مجالس الاعراس
وتتابعت سود الخفاف كأنها
وقع المطارق من يدي نحاس

وقال أجب عنها فأجابه عما في آخره فاصبر على أخفافهن ولا تكن
متخلفا الا بخلق الناس

واعلم ان اختلفت عليك بأنه
ما في وقوفك ساعة من باس

(وضمنه أبو جعفر الاندلسي فقال)

ومورد الوجنات دب عذاره
فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا
قدرا م يخفي الورد منه باس
نادبته قف كي أودع ورده
ما في وقوفك ساعة من باس

(ومن البديع ما يحكى) ان الشيخ

فلم ترشيأ كان أحسن منظرا * من النور يجرى دمعه وهو يضحك

(وقال آخر) أما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة كتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء فى جوانبها * وللربيع ابتسام فى نواحيها

(غيره) ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شئ من الزهر
والارض لا تجلى أنوارها أبدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

(وقال ابن قرناص) أيا حسنها من رياض غدا * جنون فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

(وقال آخر) انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتغارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

(وقال ابن تميم) وحديقة ينساب فيها جدول * طرفى برونق حسنها مدهوش
يبدو وخيال غصونها فى مائه * فكانما هو معصم منقوش

(وقال أيضا عفا الله عنه) لما أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافى
والزهر حيانى بثغر باسم * والماء وافانى بقلب صافى

(وقال آخر) قد سعينا نبتغى زيادة روح * قد حيانا بالطف والاكرام
ناولتنا أيدى الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

﴿وما قيل فى الازهار والثمار﴾ قال بعضهم فى الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * فى روضة القصف والاطيار تنتحب
الورد ضيف فلا تجهل كرامته * فهاتها قهوة فى الكاس تلتهب
سقيانه زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

(وقال آخر فيه) طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طولت للئام الناس أعمار

(وقال آخر) اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

(وقال آخر) اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

(وقال بعضهم) ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يخنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

﴿وما قيل فى البنفسج﴾ وقال ابن المعتز

ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات مفقن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

(وقال آخر) اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدى السرور لكل سمح مكمد
فكأنه قرص بخده مهفهف * أو أعين زرق تحلن بأغيد

(ولبعضهم فى الورد)

للورد فضل عن زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه فى المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص يد فى خد ذى غنج

(وقال آخر) يا مهديا لى بنفسجا ارجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرى فى عاجل لامصحفه * بان ضيق الامور ينفسح

ابن كثير صاحب التاريخ كان له صفة على باب داره يجلس ويطالع فيها استئناسا بالمارة لسآمة الوحدة والى جواره جار له رث الثياب وكان اذا رأى الشيخ جالسا على الصفة يجيء ويركب أكتافه فتفوح له رائحة فيتأذى منها ويستحيى أن يصرفه فاشتد غيظه يوما فقال له ياشيخ أما تستحيى كلما تراني جالسا تجيء تركب أكتافى وأنت لست تعرف ما أطالعه ولا للشعور به فلما أخجله بهذا التعنيف قال له ياسيدى الشيخ ما هذا الذى تطالع فيه من العلوم فقال شئ فى الاقتباس فقال له أنشدنى منه شيأ فأفكر ابن كثير ساعة واقتبس فى مطالعة الحال وقال كيد حسودى وهنا * ولى مرور وهنا
الحمد لله الذى * أذهب عنا الحزنا
فلما فرغ من انشاده قال له هذا الذى أفكرت فيه وتتكثر به اسمع ما أقول فأنشد ارتجالا من غير وقفة قلبى الى الرشد يسير
وعنده النظم يسير
الحمد لله الذى * فضلنا على كثير
فقام الشيخ له اجلالا وأجلسه واعتذر له وقال له اياك ان تزدرى بأحد فان مواهب الله تعالى فى الصدور لا فى الثياب اه (ومن اللطائف ما حكى) أن بعض الملوك حاصر ملكا وأطال فى حصاره فلما اشتدت به المحاصرة استدعى بوزرائه فقال ماترون وقد تأخرت بنا هذه الحال هل نسلمه أم نخرج عليه ليلا ونفعل الله بنا ما يشاء فقال بعض وزرائه قد بدا لى رأى أرى انهم ينصرفون به عنا من غير قتال فقال ما هو قال يجمع مولاى ما فى خزانته من الذهب ويحضره فلما أحضره استدعى بالصياغ وأمرهم أن يصيغوه جميعه سهاما

(وقال غيره فى النرجس)

وقضب زمرد تعلوها عيون * لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

(وقال آخر فيه) أنت يانرجس روض * زهور الارض ست
ودليل القول فيك * ان أوراقك ست

(وقال آخر) أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللنمام حولى المام
أيارب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين غمام

(وقال أيضا فيه) لما تمادى الورد فى زهره * وراح من اعجابه يرأس
تلون المنثور عما به * واصفر من غيظ به النرجس

(ومما قيل فى اللينوفر لابن المعز المصرى)

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه ينشر الطيب * مفتح الاجفان فى نومه
حتى اذا الشمس دنت للمغيب * طبق جفنيه على خده * وغاص فى البركة خوف الرقيب

(وقال تميم بن المعز المصرى)

رأيت فى البركة لينوفرا * فقلت ماشأنك وسط البرك * فقال لى غرقت فى أدمعى
وصادنى ظبى الفلا بالشرك * فقلت مابال اصفرار بدا * فيك وماهذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفر ولوذقت الهوى صفرك

(ومما قيل فى البان) قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفر والبرا

(وقال آخر فيه) أما ترى البان الذى زهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى ببشر بالربيع وقربه * يختال فى الصنجاب والبرطاس

(وقال فى الشقيق) حييته بشائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فأثبت خده * اضعاف ماحملت يداى اليه

(وقال آخر) لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم يذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق فارقته ولزمته * فأنا الشقيق الصادق

(ومما قيل فى المنثور)

تخال منثورها فى الدوح منتثرا * كأنما صيغ من در وعقيان
والطير ينشد فى أغصانه سحرا * هذا هو العيش الا أنه فانى

(وقال آخر) قد أقبل المنثور ياسيدى * كالدر والياقوت فى نظمه
ثمانك لازال كانفاسه * ومخ من يشنأك مثل اسمه

(ولبعضهم فيه) ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
مابين منثور اقام ونرجس * مع الخوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنوا اليه وثغر هذا يضحك

(ومما قيل فى الياسمين)

والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكان مخضر الرياض ممالاة * والياسمين لها طراز مذهب

وقال

زنة كل سهم قدر معلوم ففعلت على الامر المذكور فكتب الوزير على كل فصل سطرين ثم أمر أن تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بأن يأخذ كل واحد سهما وأمرهم أن يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلألأ لمعان نصالها حتى أدهش العيون فأمر الملك أن تجمع فلما جمعت بين يديه أمر أن يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب

ومن جود مرجى العفاة بأسهم
من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها بحر وحها فى دوائه
ويشترى الاكفان منها قتيلها

فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لايحاصر ولا يقاتل (ومن ذلك ماحكى) ان الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت فى دبره فسأله فقال دمل فى ذلك المحل ففضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال مارأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب ولم قال الدمامل تطلع فى أضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء فى أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى انتهى

(لطيفة) يحكى أن نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقة فأخذه ابن المنير الطرابلسى يوما وأضافه وجلس فى طبقة له فذهب اليهم على خيفة وقال

يامن هم فى الطبقه
هل عندكم من شفقه
لسائل متيم * يطلب منكم صدقه

فأجابه ابن المنير ارتجالا فى الحال بقوله يامن أتانا مرقه * بجمجمة محترقه
جدلك ياذا العجز * أخذك مناصدقه
نقبل الشريف وذهب انتهى

(وقال آخر) رأيت العقل بشرفي بخير * وقد أهدى الى اليامين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

(وما قيل في السوسن للاخطل الاهوازي)

سقيا لارض اذا ما نمت نبهني * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها في كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

(وما قيل في الاخوان لعبد القادر بن مهنا المغربي)

أفدي الذي زارني سرا فأتحفني * بالخوان يحاكي ثغره متسم
فبت من فرحي أفدي مقبله * لما وأرشف من ريق له شبم

(ولبعضهم فيه) ان فاه ثغر الاقاحي في تشبهه * بثغر جملك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(وما قيل في الجلنار)

وجلنار مشرق * على أعالي شجره * كأنه في غصنه
أحمر وأصفره * قراضة من ذهب * في خرقة معصفره

(وما قيل في الآس) أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الانفاس

(وما قيل في الريحان)

وغصن من الريحان أخضر ناضر * غمامي غصني نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

(وفيه أيضا) وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه مشرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكان شيف الرؤس

(وقال آخر) قضيب من الريحان شا كل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذارا تبدى في سوالف أغيد

(وما قيل في الفواكه والثمار على اختلافهما) في الاترج قال ابن الرومي
كل الخلال التي فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

(ولبعضهم فيه) حيا لمن تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غصنه
فجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

(وقال آخر) يا حبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب * كانها كافورة * لها غشاء من ذهب

(في الليمون قول أبي الحسن رئيس الرؤساء)

يا حسن ليمونة حيا بها قمر * حملوا المعبل ألمى بارد الشنب
كأنها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

(وفيه أيضا) وصاحب ناديته * والطير لم يغرد * انهض الى الراح ولا
ترضى بعيش نكد * واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق أغيد
قد اكتست تلهبا * من خده المورد * ولا تدع مجتهدا
لذة يوم لغد * أما ترى الليمون في * غصن من الزبرجد
كأكرة من فضة * حملوا تمن عسجد

(في النارنج لعبد الله بن المعتز)

(ومن المستعذب ما يحكى عن الفضل) قال دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جاريته مارية وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال فقال يا فضل قل في هذا الورد فأنشدته بديها كأنه فم المحبوب يقبله
فم الحب وقد أبدى به خجلا
فقال الرشيد ما تقولين يا مارية فأنشدته
كأنه لون خدي حين تدفعني
كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا
فقال الرشيد قم يا فضل فقد هيجتني هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه (ومن الغايات التي لا تدرك) ما حكاه الشريف المقري في شرح بديعته ان صائغا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض أولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيى فنقش عليه نجم عشق يحيى ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلأ غيظا وذهب الى أبيه وقال له اقرأ ما على هذا الخاتم فلما قرأه جعل في نفسه تأثيرا فأرسل خلفه وعقد مجلسا لدى القاضي وأراد قتله فلما حضر أعلم بذلك فقال ما ذنبي وأنتم تروون عن نبيكم من قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أو تتكلم وخطك يشهد عليك كيف تكتب نجم عشق يحيى فقال والله ما كتبت الا ما تتبركون به في كتابكم فكتبت نجم عسق يحيى فطرب المجلس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه بالاسلام فهذا من الاتفاق العجيب اه (ومثل ذلك) قول أبي نواس يمدح جارية الرشيد
لقد ضاع شعري على بابكم
كما ضاع درعي على خالصه
فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل الا ضاء فاستحسن موارباته وقال بعض من حضر هذا

نظرت الى نارنجة فى عينه * كجمرة نار وهى بارده اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس

(وقال آخر) ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كأنها * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

(وقال آخر) ونارنج يلوح على غصون * ومنه مازى كالصولجان
أشبهها ندايا ناهدات * غلا ئلها صبغن بزعفران

(وقال آخر) وأشجار نارنج كان ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
فطالعها بين الغصون كأنها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بر ياحبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لا يدرى

﴿فى التفاح لبعضهم﴾

ولما بدا التفاح أحمر مشرقا * دعوت بكأسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فغدنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

﴿وقال آخر فى تفاحة﴾

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كان الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

(ولبعضهم فيه) تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدى محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

(وقال آخر) وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ايل هموم
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بخمر تجلت باحمرار أديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

(وقال آخر) حمرة التفاح فى خضرته * أشبه الاذان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

(وفيه أيضا) أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

﴿وقيل فى السفرجل﴾

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما ورشح المسك رائحة * والتبر لونا وشكل الدر تدويرا

(وقال آخر) سفرجلة صفراء تحكى بلونها * محيا محب للحبيب فراق
اذا شمها المشتاق شم ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المزاق قطعها * كريق حبيب طاب منه مذاق

(وقال آخر) سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

﴿وقيل فى الكمثرى﴾

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهى جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور اذا افتتلنا * مغبرة بلون الزعفران

(ابن برغش متغزلا) وكمثرى سبانى منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر فى معنى وقد

(ولما

البيت قلعت عينه وابصراه (حكى) عن أبى العيناء أنه قال رأيت جارية مع النخاس وهى تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدى انه يواقعنى من قيام ويصلى من قعود ويشغلنى باعراب ويلحن فى القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلى الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله منله فى المسلمين اه وقيل زنى رجل بجارية فاحبلها فقيل له ياعدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغنى أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام (وقيل) لاعرابى كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها بعض ما تنفق عليها قال فمن لى اذا الى بلدة الخلسة والقاء المسارقة وانتظار الموعد (وحكى) أن علية بنت المهدى كانت تهوى غلاما خادما اسمه ظل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين (قيل) دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ما قالت المرأة فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة واذا أسكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك

﴿ومما قيل في المشمش﴾

بدا مشمش الاشجار يزكو شهابه * على غصن أغصان من الروض مبيد
حكى وحكت أشجاره في اخضراره * جلاجل تبر في قباب زبرجد

﴿ماقيل في الاجاص﴾

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه في أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج في خضر من الازر

(ماقيل في الخوخ) أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه في مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعير * بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

﴿ماقيل في الفستق﴾

تفكرت في معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها بعيان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * وأحشاه ياقوت وقلب زبرجد

﴿ماقيل في البندق﴾

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبي البهي ببندق * شبيهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

﴿وماقيل في النبق﴾

وسدرة كل يوم * من حسنها في فنون * كانما النبق فيها
وقد حلا في العيون * جلاجل من نضار * قد علقت في الغصون

﴿وماقيل في اللوز﴾

ومهد الينا لوزة قد تضمنت * لمصرها قلبين فيها تلاصقا
كانهما حبان فارا بخلوة * على رقبة في مجلس فتعانقا

(في العنب لبعضهم) هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ رافقت من يده
نوعان من عنب جا أعلى طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فأبيض العين يحكي لون أبيضه * وأسود العين يحكي لون أسوده

﴿في قصب السكر﴾ وزماح الغيد طعن وضرب * بل لاكل وهص لب ورشف
كملت في استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

﴿وماقيل في البطيخ الاصفر﴾

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء في لون عاشق
فشبهته بدرا يقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم بمارق

(وقال آخر) وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
تخيل لي شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالسبرق بدر تمام

﴿وماقيل في البطيخ الاخضر﴾

وظبي أتى في الكف منه بعدية * وقد لاح في خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق

فاخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها والتم الله سعدك فاخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه
ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فاخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتجهما من ذلك (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور في حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليتجنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم في تجارة في نفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عذره علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى في أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعني ان الكل صار وافقراء لا يملكون شيأ من الدنيا يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أي ليشكوا حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الا ون أحسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها من هذه فقالت يا مولاي هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز

فشبهتها لما بدت فى اكفهم * وقد عملت فيهم كوسر رحيق
صفائح بلور بدت فى زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

(وقال آخر) و بطيخة خضراء فى كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمدية * وقد فرى طرفه الساجى القلوب مع المهج

﴿وما قيل فى القثاء﴾ انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرد خضرا ما لها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار فى عكسه انى بكم أثق

(وما قيل فى الباذنجان) وكأنما الاباذنج سود حمائم * أوكاره خمل الربيع المبكر
نقرت مناقر الزمرد سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

﴿وما قيل فى الانهار والبرك والنواعير﴾

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس من حافاتها طلعا
والنهر من فوقه يلهيك منظره * شهب سماوية فارتج والتمعا
كأنه السيف مصقولا يغلبه * كف الكمى الى ضرب الكتائب سعى

(وقال آخر فى بركة) يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآس آنسات اذ الاحت معانيها
فلو تريها بلقيس عن عرض * قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجرى فى مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
تحاجب الشمس أحيانا بضاحكها * وروق الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت فى جوانبها * لبلا حسبت سماء ركبت فيها

(وقال آخر) وبركة للعيون تبدو * فى غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * فى الارض جزء من السماء

﴿وقال محمد بن سارة المغربى﴾

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

(وقال آخر) يوم لقينا بالنيل مختصرا * ولكل رقت مسرة قصر
فكان أمواجه عكن * وكأنما دارته سرر

﴿وقال آخر فى نهر يسبح فيه الغلمان﴾

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للراقى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى المجره

﴿وقال آخر فى النيل﴾

النيل قال وقوله * اذ قال مل مسامعى * فى غيظ من طلب العلا
عم البلاد منافعى * وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعى

(وقال آخر) كان النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

(وقال آخر) وفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذا أصابع ذى أيادى

(وقال آخر) سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطانا فكيف توارت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

وقال

وقال له خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فأخذ فير وزا الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا الحاجة الملك ولم يعلم بما قدبره الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فير وز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فير وز من بالباب قال أنا الملك سيدز وجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انى أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتينى فقالت يا موى لقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

سأترك ماء كم من غير ورد
وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام
رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء
اذا كان الكلاب ولغن فيه

ويرتجع الكريم خميص بطن
ولا يرضى مساهمة السفيه

(وما أحسن يا مولاى قول الشاعر)

قل للذى شفه الغرام بنا
وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبدا
قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى الى موضع شرب كليك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها فنسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك وأما فير وز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم

(وقال آخر) ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعاله فى كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى

(وقال آخر فى ناعورة)

وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

(وقال آخر) وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبى لانى فقدته * وأمادموهى فهى تجرى على جسمى

وفيها أيضا وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنثور العقد
أحن اذا حنت وأبكى اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكى بغير صبابة * وأبكى بافراط الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعى من عينى يفيض على خدى

(وفيها أيضا قال الخطيرى)

رب ناعورة كان حنينا * فارقته فقد غدت لى تحكى
أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى الفها تدور وتبكى

(ابن تميم) تأمل اذا الدولاب والنهر اد * جرى ودمعهما بين الرياض غدير
كان نسيم الجوى قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذا يدور

(فصل فى ذكر أرباب الصنائع والحرف والامها وما أشبه ذلك)

(لابن عفيف فى قاض مليح) ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رمانى بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

(وقال فى فقيه مليح) وبهجتى ظبى غدا منتقها * وهو المهذب فى الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الحصر منه المختصر

(وقال فى محدث مليح) علقته محدثا * شرد عن جفنى الوسن
حديثه ووجهه * كلاهما عندى حسن

(وقال فى امام) جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت ان وجهى أرض * حين يومى بوجهه للسجود

(ابن الرومى وأجاد) بى عروضى مليح * موتتى فيه حياة
عاذلاتى فى هواه * فاعلات فاعلات

(فى مؤذن مليح) ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل أى شحيح
أبدا أموت بهجره لكننى * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

(لابن عربى) وبنفسى مؤذن قد سبانى * لم يفدنى شكوى الغرام اليه
كيف يصغى لما يقول حبيب * واضع أصبعيه فى أذنيه

(وقال آخر فى مريد)

مرد قلبى مريد * مخبأ فى الزوايا * وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

(وفى فقير مليح)

بى فقير يتغنى * بسنا نه وجه منير * لا تلمنى فى اقتضاحى * فغرامى بالفقير

(فى أمير شكار لابن دانيال) بى من أمير شكار * وجديذيب الجوارح
لما حكى الظبى حسنا * حنت اليه الجوارح

يرسله فى هذه السفرة الا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فأنعم عليه بمائة دينار فمضى فبر وزالى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فاقامت عند أهلها مدة أشهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يافيروز زاما أن تخبرنا بسبب غضبك واما أن نحكما الى الملك فقال ان شئتم الحكم فاقعدوا فاتركت لها على حفا فطلبوه الى الحكم فاتى معهم وكان القاضى اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضى القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان بيثر صامعين عامرة وأشجارا مثمرة فاكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضى الى فيروز وقال له ماتقول ياغلام فقال فيروز أيها القاضى قد استأجرت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى هل البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ماقولك قال والله ياموالاى ماردد البستان كراهية فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الاسد فخفت أن يفترسنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يافيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا اتلف منه ورقا ولا ثمرا ولا شيأ ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير

(في مليح مغن) أضحى يخر لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

(في مليح عواد) غنى على العود ظبي سهم ناظره * أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنا الى وجست فيه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(في مليح كاتب) بروحي كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأيت منه أجمل
على ريحان عارضة المفدى * بوجنته غدا دمعي مسلسل

(غيره) وراقنا ذا المفدى * فيه تزايد عشقي * فلو يجود بوصل * لكان مالك رقي

(وفيه أيضا) ياحسن وراق أرى خده * قد راق في التقبيل عندي ورق
تميل في الدل كان أعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

(للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطي فيه أيضا)
فديتك أيها الوراق قلبي * لطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلبا وفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

(في مليح صيرفي) ياسائلا عن حالتي ما حال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بي صيرفي لا يرق لحالتي * قدمت من جور الزمان وصرفه

(في مليح خانقي) تسلطن في الملاح بخانقي * ولا يرضى بمصر نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * وأصبحوا كباتحت العصائب

(في مليح فراء) قلت لفرا فري أدبي * وزاد سقما وطال هجرا
قد فر نومي وفر صبري * فقال لما عشقت فرا

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء في مزين)
حبي المزين وافى * بعد البعاد بنشطه * ومص دمل قلبي * بكاس راح وبطه

في مليح قصاص أشكوا الى الله قصاص يجرعني * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص يناء فقلته * أيضا تقص علينا أحسن القصص

﴿في مليح صياد﴾
ومولع بفقاخ * يعدها وشراك * قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكي

(في مليح رمى بندق) وأهيف القد ذي دلال * طار قلبي عليه واجب
كالشمس في كفه هلال * يرمي الى البدر بالكواكب

(وقال آخر في راع) أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيفني بالجدي ناديته * ما القصد يا مولاي الا العناق

﴿القيراطي في مليح طحان﴾
حسن طحان سباني * بلحاظ وبقامه خاف * من واش فأضحى * يجعل الغمز علامه

(القاضي بدر الدين البلقيني في تراب)
رب تراب مليح * أورث القلب عذابا * قلت لما أن بدالي * ليتني كنت ترابا

﴿وقال آخر في مليح عوام﴾
ياحسن عوام كغصن النقا * يخل بالوصل لمن هام
وتمنع العشاق منه بأن * يريهم الارداف ان عاما

﴿ابن نباتة في مليح حبشي﴾
بروحي مشروطا على الحد أسمرا * دنا ووفى بعد التجنب والسخط

بأس والله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فبر وزار داره ورد زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك اه (وحكي) أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثري عن مسائل يتحنه فيها من جملتها ان قال له من أكرم الناس قال أنفقهم في الدين وأصدقهم للعين وأبذلهم للسلمين وأكرمهم للهاجرين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطي على الهوان المقترعلى الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صمتا وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أنجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأركبهم للحتف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السيوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفيهق في الملام الضنين بالسلام المهذار في الكلام المقعي على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الامير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله لشله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهي عندهم

وقال على اللئيم اشترطنا فلا تزد * فقبلته الفاعلى ذلك الشرط

(وله أيضا) ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وروذ كرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

﴿وقال آخر فيمن به صفرة﴾

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذا لئمن عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

﴿للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد﴾

وزائر قال قلبى * للطرف ياطرف شاهد * مدحته فتجنى * تيها على بزائد

﴿وقال آخر فى مليح أرمد﴾

شكارمدا فقلت الآن كلت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

﴿لمجد الدين بن مكانس فيه﴾

تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والالما
وبات يرمى محبيه بأسهمه * فيا له من حبيب قد شكا ورما

(لابن أبى حجلة فى أعور)

ماشان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأمرهم * ماظل ينظرهم بعين واحده

(وقال آخر فى مليح راهب)

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أى الضرب يؤلمكى * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

(القيراطى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق فى حسنه وتما * وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

(آخر فى مليح اسمه حمزة) متى يبدو لحمزة ما بقلبى * ويرقى لى ويلحظ فى بلائى
وأشقى بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائى

(وقال آخر) كلفت به ولم أبلغ مرادى * غزال قد تحكم فى قيادى
فتصحيف اسمه فى وجنتيه * وفى معسول فيه وفى فؤادى

(فى مليح سروجى) فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من فجيعى
اذا جذب الغرام له عنانى * يلذ لى الركوب على السروج

(وقال آخر فى مليح محموم)

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * أنا الذى كنت فى حماه السببا
عانقته ولهيب النار فى كبدى * فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

(لأبى نواس فى مليح أثغ)

ومهفهف دنف الصبا ذى لثغة * تصبو اليه ذو والعقول الربح
قبلت فاه فقال لى متخوفا * من كشح متدلل بالثاء اتتحى

(وقال فى مليح خباز) ان خبازنا المليح المفدى * فى حشا القلب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

(وقال فى مليح حائك) وحائك ياصاح أبصرته * كالبدر فى كفيه ماسوره

لمعرفتهم بها حسنة عظيمة فقال الحجاج لله أبوك فما العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضحك غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فى الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فمن العاجز قال المعجب برأيه المتفتح الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير انى بشأنهن خبير ان شاء الله ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المدارات فمن دارهن انتفع ومن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشته وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فاكرمهن أعفهن وأكرمهن أحسابهن العفة فاذا زلزلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج ياغضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير أقول ما يرديه ويؤديه ويضنيه فقال انى أظنك لا تقول له ما قلت وكأنى بصوت خلخالك تجليل فى قصرى هذا قال كلا أصلح الله الامير سأحدد له لسانى وأجريه فى ميدانى فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتفد به قبل ان يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف

فلم أرح الا وروحى لما * عاينت فى كفيه مأسوره

(وقال فى مليح لاعب شطرنج)

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

(وفيه أيضا قال) تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وأنشدنى مالى أراك مفكرا * تدور على الشامات وهى على الخد

(فى مليح خياط) خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

(وقال غيره) فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسى للثوب خائطا * فتقسم حقا أنه آية الكرسى

(الصفى الحلى فى مليح قلع ضرسه)

لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى فى كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

(وقال فى مليح سلم عليه)

تنبأ فيك قلبى فاسترابت * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا انه مجزوء محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الى وقيل كلهم الغزال

(وقال فى مليح يرمى بالسهام)

وظبى بشعر فوق طرف مفوق * يقوس رمحى فى النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى فى الليل جنبا بأنجم

وقال فى مليح يضرب بالعود)

فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه فى فيه

(وقال أيضا فيه) وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيد اذا ما خطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

(وقال فى مليح مشيب)

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نابك تأى الهم والفكر
صوت بسيط فيه أرواحنا انبسطت * اذ جئت فى اللفظ والمعنى على قدر

(وقال فى مليح ساق)

وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جميع الرفاق
أملكه فبادى وهو رقى * وأفديه بعينى وهو ساقى

(وقال أيضا فى رسول مليح أتاه من عنده من يحبه)

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله
جاء الصباح دليله * لم يبد وجهك قبله
الا ارتقبت وصوله * فلذاك ذو اجهتنى * بل الفؤاد غليله

راجعا فأتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة فما قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الامير ابن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابى ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال أكره ان يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الارض قال فأين تريد قال أمشى فى مناكبها فقال الاعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتعرض الشعر قال اغايقة رض الشعر الفأر فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لى ان أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقتنى الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو طلعت روحك فقال الاعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابى ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فجعتنى وطردتنى هلا أدخلتنى قبتك وطارحتنى القريض قال مالى بمعاد ثتك من حاجة فقال

(فى ملمع قارئ) تقسى الفؤاد لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا فى المصحف
فتن الانام بهجة وبهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتلاه ليا جل سورة يوسف * وجلا محياه مثل صورة يوسف

﴿وقال آخر فى ملمع مكتمل العذار﴾

وكامل العارض قبلته * فصدنى واز ور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر فى لحيتى

﴿وقال آخر فى ملمع حجام﴾

كلفت بجعام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواظبى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

﴿فصل فى الالغاز﴾

(فى غزال) اسم من قد هويته * ظاهر فى صروفه * فاذا زال ربعه * زال باقى حروفه

(فى كوز فقاع) ومحبوس بلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

(فى زرموزة) مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تأكل

﴿وقال فى طاحون﴾

ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ما تقطع الا كل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وما قطعت فى السير خمسة أذرع * ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب

(فى دواة) ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن مالذ قط لشارب
وفى بطنها السكين والندى رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

(فى دواة أيضا) وما أم مجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا لمواحشاها * أفاع فى أماكنها رقود

(فى قلم) وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترحم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

(وفيه أيضا) يصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

(وفيه أيضا) وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مغطوما كما كان تحتمى * به الاسد فى الغابات وهو رضيع

(وفيه أيضا) وذى نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

(فى مرملة) معشوقة لذوات العز قد صنعت * حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكى دما على ما سطر القلم

(فى كتاب) وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تماجيل بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

﴿فى سلطان حسن لابن أبى حجلة﴾

ما اسم محبب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان

﴿٢٥ ف ني﴾

الاعرابى بالله ما اسمك ومن أنت
فقال أنا الفضيل بن العيعرى
فقال اسمان منكران خلقا من
غضب قال قف متوكئا على باب
قبتى برجلك هذه العوجاء فقال
قطعها الله ان لم تكن خيرا من
رجلك هذه الشفاء فقال الفضيل
لو كنت حاكما لجسرت فى حكومتك
لان رجلى فى الظل قاعدة ورجلك
فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى
لاظنك حرورياً قال اللهم اجعلنى
ممن يتحرى الخير ويريده فقال انى
لأظن عنصرك فاسدا قال
ما أقدرنى على اصلاحه فقال
الاعرابى لا أرضاك الله ولا حيالك
ثم ولى وهو يقول
لا بارك الله فى قوم تسودهم
انى أظنك والرحمن شيطانا
أتيت قبتة أرجو ضيافته
فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا
فلما قدم الفضيل على الحجاج وقد
بلغها الجاسوس ما جرى بينه وبين
الاشعث وبين الاعرابى قال له
الحجاج يا فضيل كيف وجدت
أرض كرمان قال أصلح الله الامير
أرضا يابسة الجيش بها ضعاف
هزلا ان كثروا جاعوا وان قلوا
ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب
الكلمة التى بلغتنى انك قلتها لابن
الاشعث تغدبالحجاج قبل أن يتعشى
بك فوالله لأحبسنك عن الوساد
ولأزالنك عن الجياد ولأشهرنك
فى البلاد قال الأمان أيها الامير
فوالله ما غرت من قيلت فيه ولا
نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل
لك كانى بصوت خلاخلك تجلجل
فى قصرى هذا اذهبوا به الى
السجن فذهبوا به فقدموه سجن
فكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى
الخضراء بواسط فأعجب بها فقال
لمن حوله كيف ترون قبتى هذه

وبناءها فقالوا أيها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة سمحة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفيها الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال أصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لانك لا تولد لك ولا تولد لك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما انت لها بباق فعال الحجاج قد صدق لغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فعال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فعال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فعال جروه فاقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فعال الحجاج ويلكم اتركوه فقد عفى عني دهاءه وخبثه ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله

(وقيل) بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذ هو بعجوز تمي به على قارعة الطريق تمشي فعال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت وتجهل الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

ومارونة بالحسن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا
اذا أوقدت بالجمر الذكن نارها

ويحك يا هذا لو تخبر بالجمر الذكن مثلي ومثل أمثلك لطاب ريحهما لا قلت مثل سيدك امرئ القيس وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا

وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا (حكى عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى)

تصحيفه أمسى حبيبا كلما * صحفت أحرفه بحسن بيان
لو جاد لي يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

(في شبابة) وما صفراء شاحبة ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها انقاب
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

(وفيها ايضا) ومقروحة الاجفان مثلي شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها العبد
تزوجها عشر وذاك محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطئها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

(وفيها أيضا) منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها الثماد ينظرها شزرا
وتصحيفها في كف حامله افقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

(في دملج) الى النساء يلتجي * وعندهن يوجد * الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

(في خلخال) أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على انه أضحى يدور على الكعب

(في شعر اللحية) وذي عدد كالرمل سام محله * جميل على كر الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفي قلب هرون له الهلك والمحق

(في التين) أي شئ لذ طعما * ناعم الملمس ولين
كيف لا يبدو وضوحا * وهو في التصحيف بين

(في الموز) ما اسم لشئ أحسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدردا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

(في حزة) من لي بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

(وفيه أيضا) اسم الذي أنا أهواه وأعشقه * وطول دهري أخشى من تجنيه
تصحيفه في فؤادي دائما أبدا * يبدو وفي خده أيضا وفي فيه

(في ساقية) وجارية لولا الحوافر ماجرت * أشاهدها تجري وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هي أمهم * وليس لها ثدي وليس لها بعل

(وفيها أيضا) وجارية تبكي اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شمقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

(في زر وعروة) وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجواز الحكام طرا * وفي أعناقهم ذاك النكاح

(في راوية) وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون أختها * وثنتاهما واحد في العدد
وتحمل في الوقت هي واختها * وفي ساعة يضعان الولد

(في شطرنج) يا ذا الذي ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

(في فيل) أيا اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه

فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لي ثلثاه

(في بحم) ما طائر في قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره في بطنه * والعين منه في الذنب

(في نار) وما اسم ثلاثي به النفع والضر * له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له فما * وليس له سمع وليس له بصر
يعد لسانا يختشي الرمح بأسه * ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فدم عنها ونبه لها عمر

(وفيها أيضا) وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

(في يد الهارن) قل لي لماشي يرى ناطرا * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبيره حزة * مفيشل الرأس قوي الجنان
يسمع في القعر له رنة * ويظهر الصفق بأعلى مكان

(وفيه أيضا) خبروني أي شئ * أوسع ما فيه فمه * وابنه في بطنه * يرفسه ويلكمه * وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

(في خشخاش) وما قبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكي الملاحة بالظرف
وأولادها في بطنها في جماعة * يكونون ألفا أو يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

(في كوز زير) وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا لب
اذا استولى على صب * فقل ما شئت في الصب

(في اسم علي) اسم الذي أعشقه * أوله في ناظره * ان فاتني أوله * فان لي في آخره

(في سومى للصفدي) وما شئ له جسد وخد * يكلم من يلامسه بحلقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

في حلب لابن النارض رحمه الله تعالى

ما بلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طير اشجى النغم

(وقال في سمرقند) وما اسم سدا مي اذا ما لحنته * ترى فيه أجزاء تتم وتشكر
له ثلث يأتي به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله يا صاح له * على مسدد الايام نشر معطر
وفي نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهي في الليالي يذكر
وفي نصفه الثاني اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذا حجى * فليس على ذي العقل لغز معسر

(وقال في كمون) يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل في سومك
تواه بالعينين في يقظة * كما ترى بالقلب في نومك

وقال في قالب الطوب

وما آكل في قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل الماكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها دراع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قالت فقلت لها رحمك الله أتصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت انها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فعلمت انها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما قالت كان هو يطعمني ويسقيني فقلت فبأي شئ تتوضئين قالت فلم تجد ماء فتيممت واسعيدا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت قد أبيح لنا الافطار في السفر قالت وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لها لا تكلميني مثل ما أكلك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت الناقة قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ففضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من

(في العين) وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الجراط مأنت * وتجزع أن يبادرها الحرير

ويكفي من ذلك ما أشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها (ولنذكر) ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والعوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يعتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو الموالي وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التي لا يجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي والمرخص الغالي ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

﴿فصل في بيان الفن الثاني وهو الموشح﴾

(لابن المبارك) قد أخجل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مدخل

(دور) أميل له فلا يل * يحول وعنه لا أحول * أقول اذا زار دبي النحول
أما حل عقد الصدود ويحل * ويرحل عن نجم المرحل

(دور) كم أبعدوكم أبيت مكمد * ويعمد هجره لا فقد * وأجهد لارتصاد من قد
تحمل والحاسدون رحل * تحمل والوعد منه ما حل

(دور) متوج بالحسن هذا الابلج * مدبج عذاره البنفسج * مفلج وطرفه ذا الادعج
مكحل وثغره مخلل * مخلل بعنبر مجدل

(دور) برغمي من يستحل قتلي * ويرمي بحربه لسلمي * وجسمي من التزام سقمي
منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمي وما حل

(دور) فلاني واشتط ذا الفلاني * غزاني بطرفه اليماني * تراني أنشد لمن يراني
قد أخجل الجسم أسمرا لكحل * وأوحل القلب فيه مدخل

(لابن سناء الملك) كلي يا محب تبجحان الربا بالحلى * واجعلي سوارك المنعطف الجدول

(دور) يا معمافيك وفي الارض نجوم وما * كما أخفيت نجما أظهرت أنجما
وهي ما تهطل الا بالطلى والدما

فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي * وانقلي للدن طعم الشهد والقرنفل

(دور) تتقد كالكوكب الدري للمرتصد * يعتقد فيها المجوسي بما يعتقد
فاتئد يا ساقي الراح بها واعتمد

وامل لي حتى تراني عندك في معزل * قل لي فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور) لا أليم في شرب صهبا وفي عشق ريم * فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا أهيم الا بهذين فهم يا نديم

واجل لي من أكؤس صيرت من نوفل * ألذ لي من نكهة العنبر والمندل

(دور) خذ هني وأعطني كاسي مثل كاسك هني * واسقني على رضاب الغطن الملسن
والهني ببعض ما صيغ من الالسن

مصيبة فيما كسبت أيديكم فقلت لها اصبري قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فاخذت برمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها قد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قالت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت ان لها أولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادیت یا ابراهیم یا موسى یا یحیى فاذا أنا بشيبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فقضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

﴿قيل﴾ ان معن بن زائدة دخل

لو تلى مدح سنا مع رشأ ... كحل * لتلى على سنا الصهباء والسلسل

(دور) أزهرت ليلتنا بالوصل مذ ... أسفرت * أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت ثقلت للظلماء مذ قصرت

طولى يا ليلة الوصل ولا تتجلى * واسبلى ستر لك فالمحبوب فى منزلى

(دور) من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم * فالا لم يحول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم

من ولى فى دولة الحسن لم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الا كحل

﴿وله أيضا﴾ ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

(دور) لقد أسرفت فى هجر وصدى * بلا سبب سوى كلفى ووجدى
وماذا فى سلوعنك يجدى

خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

(دور) لئن شحيت عنى بالسلام * وطيفك قد جفا جفنا المنام
فقد جادت بأربعة سجام

جفون بالبكا كادت تحول * على خد أسف به النحول

(دور) لقد أرسلت فى طى النسيم * حديث هوى عن الوجد القديم
فعادت وهى عاطرة الشميم

تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لا يليم لها نزيل

(دور) تلقته الموالى والموالى * بألحاظ وزرق من نصال * وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف مر لواحظه قتيل

(وله أيضا) شمس الحيا أم القمر * أم بارق الثغر يا بشر
أم البهاء حفه الخفر * بطر زخديك مستطر

(سلسلة) قم تباها بما تباها ولا تلاها
(قفلة) فكل أحبابنا حضروا * والعود يشجيك والوتر
(الدور) أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى
بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

(سلسلة) اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى
(قفلة) تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر
(الدور) فهاك حدث عن الطرب * وعن سلافى ابنة العنب
اذ اسقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال زبى

(سلسلة) فى ظل بان على المثانى من غير ثانى
(قفلة) الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

﴿وقال رحمه الله تعالى﴾

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب هوا بالمنحنى * فارقونى ولم أقض الوطر
من لقاهم ولا نلت المنى * قلت يا قلبى صبرا ما صبر * والنبى ما الهوى الا عنا
ما كتمت الهوى الا ظهر * من شهود المدامع والضنى

(دور) ليس تمنع وصالك يا حبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك

على المنصور فقال له هيه يا معن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم على قوله
معن بن زائدة الذى زادت به شرفا على شرف بنو شيبان
فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله
مازالت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه مر وقع كل مهند وسنان
فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والحلع ﴿ووفد﴾ ابن أبى محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية فقال له أنت الذى أوصاك أبوك بقوله
اذا مت فادفنى الى جنب كرمة ترّوى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفنى فى الفلاة فانى أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها
قال بل أنا الذى يقول أبى
لا تسأل الناس ما مالى وكثرته وسائل الناس ما جودى وما خلقى
أعطى الحسام غداة الروع حصته وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس انى من مراتهم اذا سمامهم الرعديد بالفرق
فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبى محجن وأمر له بصلة وجائزة
(وقيل) دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وكان فى الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال منذ هتك ستر ك ﴿ومن ذلك﴾ ما يحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته انصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له من أين أيها

لست ألقى لداتى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لمالك
لو رأى حالتى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

(دور) يا قرفوق غصن من نقا * أخفنتنا مط الك والصدود * يا راعى الله ليلات اللقا
ليتها يحل يومالى تعود * ليلة السعد ما فيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يعازجه كدر * يا مسرات أوقات الهنا

(غيره) حملت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باقى

(دور) سار واوسار الفؤاد لكن * جسمى مقيم على المساكن * وعنى الحب صار ظاعن
مالى الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

(دور) وغادة كالقضيب قدا * والورد والياسمين خدا * كأنها البدر اذ تبدى
وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

(دور) هوناً أتتنا تميل ميلا * سحابة كالسحاب ذيلا * تقلت شمس تزور ليلا
ومادرى كاشح عذول * فذاك من أعجب اتفاق

(دور) وسدتها ساعدى لسعدى * وبت أرعى رياض ورد * وخمر ريق كذوب شهد
لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح فى التراق

(دور) لما رأتنى أذوب سقما * ومن ورود الرضاب أظما * قالت كلت الخدود لثما
ما يشتفى منك ذا الغليل * بغير فوه وشيل ساق

﴿فصل فى الفن الثالث وهو الدوبيت﴾

﴿لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى﴾

أهو البرق المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق
تدرى بالله ما يقول البرق * ما بين ثنايا ه وبينى فرق

(وقال أيضا) أهوى رشا كل الانسى له بعثا * مذ عاينته تصبرى ما لبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

(وقال أيضا) عرج بطويلع فلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصى عليهم وابك على * قل ما رأيت الوصل بشئ

(وقال أيضا) روحى لك يا زائرى الليل فدا * يا مؤنسى وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك الصبح أبدا

(وقال آخر) يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ماتوا كمدا وبالهوى ما ياحوا

(وقال آخر) أهواه مهفهفا نقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واصد غه حين بدت * يارب عسى تكون واو العطف

(وقال التلعفرى) قلبى ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فرثى لمابه شامتة * لا كان فراقكم ولا ساعته

(وقال المنشد) احسانك طول الدهر لا أنساه * لا أذكر بعدك الا الاهو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

(وقال آخر) ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكر واهى وما جناه العبد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * يا ليتهم عادوا وعاد الصد

﴿فصل فى الفن الرابع وهو الزجل﴾

الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس و يستحلون أموالهم قال فكيف قولك فى الحجاج قال ذاك ما ولاه العراق شر منه فجعله الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أو تعرف من أنا قال لا قال أنا فلان ابن فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة ﴿وحكى أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى﴾ قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه مستبشرا وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح تروننه محدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه واتونى به وكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة فجئنا به المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال اصدقنى يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتنعثم وقال ثم كنت محدرا فى الشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشوا الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين فأخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال أين الحلى والسلب قال فى صدر

(حل للبغارى) قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا النفار
لهم اجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

(دور) مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا ملبح أسمر لوعيون تجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قد وقد الا غصان جهار
وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذا شمس النهار

(دور) تدر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود
وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم ياعشاق لكم قلنا والحسود راح بنار
أنتم التفاح ومانقصد منكم الا الخيار

(دور) وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوة وطيبة الاخلاق فى الخلائق مباح
احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد مسار
وورثنا الحسن من يوسف واكتسينا الفخار

(دور) حسن حبى الغرار بن فرحه بدر فى السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح
كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر ردجفنى بنار
وجفانى وخد بياض جسمى خلطوا بالصفار

(دور) وقع الظل خط بالابيض فى اخضرار الطروس
قم ياساقى على بساط زهرى تحت ظل الغروس
هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذار عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج النسمار
قد جلوها فى كأس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

(دور) خمر فيه سر لو جعل أشياف رد الاعمى بصير
واقطع القطف أسود يحاكى الليل شفق أحمر يصير
يا ترى ذا السر فى كرمه أو يكون فى العصير
وترى النور داعليه يلمع فائه من ايش استنار
وكذا الكأس يحاكى ياسمير من كساه جلنار

(دور) فهو عطار عند وشراب هندى وبرانى جناه
كل من مص من لسانو ريقو يلتقى فيه شفاه
وردخد ووجنتو سواد شبه خال فى صفاه
جبل آس عارضو أسر قلبى والكبار والصغار
فى الحجا غاروا على حسنو وكل من حب غار

السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضر وابه فامر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحروا عليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها وأعطوا صفاتها وصفة ما كان عليها فسلم لذلك اليهم قال فقلت يامولاى من أعلمك أنى رحى البلم بهذه الحيلة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحمد أول ملاح يحضر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ففعلت ما رسم لها ثم أقام عليه الحدود لا بفتوى فكان ما شهدتم

(رجوع) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه يبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى الى العنان وكان مليسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى ان وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (قيل) مرض أحمد بن أبى دواد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين

فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال لو بت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال الشعبى لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه ان المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع من لم يكن بأمين الله معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع

﴿ومن محاسن الاخلاق﴾ ما حكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا أراه فينغص على نومى فرأيته قد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء بينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطا خطوات خائفا الى ان ينتهى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول ان أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداءك يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الانبياء وأحب لك السرور تم فهنأك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك وأمر لى بألف دينار فأخذتها وانصرفت (قال) وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فأنتبه (وكنت) معه يوما فى بستان فدور

(دور) دور وفى الملاح على كعبى ونصوا نصوص
بلاد عوى التف لف اليسير فى هواهم خصوص
وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين مارأوا خلف له هم ولوا صطبار
قرونى فى عشق هذا القمر والمحبـــــه قمار

(دور) لحبيبى ثغر من جوهر والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق
وخدود وردن غير غش ووصفناعن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت أهداب غزار
فى صفاء وجهو أنزه طرفى عند خلع العذار

(دور) فى رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف
وأعجب من النهر اذا صفق لونين الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار أعلى مطار
باختلاف الالحان سحر فى الروض صاح على عود وطار

(دور) أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال
نبى من بين أصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولو أن النبات جميعه أقلام والمداد البحار
والحلائق تكتب مديحوه كل كاتب وحار

(دور) خلف أستاذ فى الفن ماينطاق ذاق عداه المنون
مايعيبو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون
* شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون
ياتضاعو مع الصغار مرفوع فوق رؤس الكبار
وأهل الفنون تجرى وماتلحق للغبارى غبار

(غيره لناصر الغيطى)

كنز روضى طالما يسعد ياخليع قم فى دجى الاسحار
تلتقى در الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار

(دور) كنز روضى نزهة الطالب جوهر وبين الندى يرهج
ولجين الماء يتكسر ياخليع هيا تعالتفرج
بين عنبار تلتقى الجلع كل أحد مع الفويدرج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين أغصان وماوأطيار
فوق بساط زمرد رقشتها كل ورده أحكت لنا دينار

(دور) وترى اليامين بحال فضة ضربت لاهل النزه صلبان
والشحارير لابسين أسود وقلانس كنهم رهبان
وكذا الكتاب وهو أصفر بعمائم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار

والقطيع

والقطيع الراهبي يحكي لشماس لابس الزنار
(دور) الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبوعليه راضي وداحبوبوعليه يشفق
ولهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندي وأنا مطمن وسط روضة زهرها معطار
في نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صيح في نار
(دور) وعمل في الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور انقام
والنسيم شب والغدير صفق والخليع من كتر وجدهام
والتخيل بأكمها رقص وأقبل الريحان بحال أنجام
والعصافير شيخهم زيق لوطريق بين الازاهر طار
والبلبل بالغناء يشجي فكانوا في أو مزمار
(دور ناصر الغيطي) ياأخلاء يامحبة انسان أنكر الصحبه وعادا في
وبغضني حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسماني
في بلاد قبلي وأرض الشام يشكروني سايرا قراني
والشجيع الشاطر المذكور في جميع الارض لوتذكار
والبلط يوقع لو تعلق مايحصل شيء مع الشطار
(للغبارى) جارحبيبي فقلت ذا الحجاج جايجور أويزيد
لوعدل عشت بومسرور ويكون الرشيد
(دور) اقلع القلب في هوى العشاق والدموع في انحدار
ومحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار
كنت أحسب قلبي معوريس غرتوذى البحار
صحت لما وحلت ياحبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد
(دور) أنا اليوم في الغبوق باتفرج على شط الغدير
اذرأيت عالشط واحد واقف شب صياد صغير
نظرت مقلتي الى منظر ما لحسنو نظير
قلت ياعين ان غرك الصياد بالجمال المصيد
يوقعك في لخاخ شباك عشقو وكرا كي يصيد
(دور) من صبوحديد حبيب قلبي يوم صدفتو صدف
قلت لين ياقاسي لمن دمعو سال وطالو وقف
دار وقال لي ما الاسم بالانجيل قلت اسمي خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع ذا الكلام يستفيد
في الحقيقة من لايكون داود مايلين لوالحديد
(دور) لك عوارض في الخد مرقومه ليس لها من مثال
وجفاك صار حماق وباب وصلك كان وكان ياغزال
وأنت دوبيت موشح القاما يا عزيز الدلال
ولك ألفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد

فيه فجعلنا نخر بالريحان فيأخذ منه
الطاقة والطاقتين ويقول لغيم
البستان أصلح هذا الحوض ولا
تغرس في هذا الحوض شيأ من
البقول قال يحيى ومشينا في
البستان من أوله الى آخره وكنت
أنا مما يلي الشمس والمأمون مما يلي
الظل فكان يجذبني ان أتحول أنا
في الظل ويكون هو في الشمس
فأمتنع من ذلك حتى بلغنا آخر
البستان فلما رجعنا قال يحيى والله
لتكونن في مكاني ولاكونن في
مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس
كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك
من الظل كما أخذت نصيبي فقلت
والله يا أمير المؤمنين لوقدرت ان
أقيك يوم الهول بنفسي لفعلت فلم
يرل بي حتى تحولت الى الظل
وتحول هو الى الشمس ووضع يده
على عاتقي وقال بحياتي عليك
الاوضعت يدك على عاتقي مثل
مافعلت أنا فانه لاخير في صحبة من
لاينصف اه (وحكى) ان أخوين
اصطحبا في طريق فقال أحدهما
تعالى نقتن على الله فان الطريق
تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا
أتغنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها
وصوفها وقال الآخر أنا أتغنى قطائع
ذئاب أرسلها على غنمك حتى
لاتترك منها شيأ قال ويحك أهذا
من حق الصحبة وحرمة العشرة
فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما
حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على
ان أول من يطلع عليهما يكون حكما
بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه
زقان من عسل فدعاه بحديثهما
فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال
العسل على التراب ثم قال صب الله
دمحا مثل هذا العسل ان لم تكونا
أحمقين (وقال الاصمعي) بينما أنا
أطوف بالبيت ذات ليلة اذرأيت شابا
متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

وبشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد
(دور) عن محرم شرابنا صهنا ونفطر بالنسمار
حين وجدنا سفر جل البستان يذهب الاصفرار
وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
في ربيع حين رأى الفرقا عند فيه تعالبق عقيد
حسب الروض النص من شعبان صار بقيد فيه وقيد
(دور) من لهيب مدمعي جرى الطوفان للهيب ماطفى
واناهـ والغباري في العشاق ماجرى لي كفى
حين عليا بالصد والهجران والبعاد والجفا
جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جايجور أو يزيد
لو عدل عشت بومسرور ويكون الرشيد
(غيره) حين سكنت القلب ياعيسى أمسي من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان
(دور) مارضوا لما عشق خدو غرت من وجدي بقيت حاير
جيت الى طرنو وناديت لو أحرسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت في خدو النسقي العارض وهو دار
وعليه قدد بالسرقة جيت لطرفو قلت يا كسلان
هكذا في عادة الحراس قال لي اعذرني أنا نعسان
(دور) بدر شعبان منيتي لما في بروج السعد لاح نجمو
قلت لو قضى بفيض دمعي اطلقو واجراه على رسمو
قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ايش قد أذنب حين قطرتو داغلط قول بالبهتان
قال لي صوم عن الوصال نادبت ليس أصوم يابدر في شعبان
(دور) حين تبيح احمرار خدو باخضرار العارض أسماني
فحمك فابيض وابتسم واسوداد شعري وأبكاني
وحين أضحيت ياسفرار لوني أشعث اغبر في هواه عاني
قال لي لو نك قد صح حايل وقد أبصر مدمعي طوفان
ذقت تبريح الغرام زادبت في هوالذ ذقت الهوان ألوان
(دور) قلت لو حين عني تخلف لله كن لي يارشيد مهدي
قد تلون دمعي من بعدك وتجرى اليوم على خدي
دار الى انسان مقلتي قال لو أنت ماعندك نظر بعدي
ماترى ماقد جرى منك على الخدود قال لو أيافتان
جرى الماتحت من بعدك راقب الله فينا يا انسان
(دور) ذا الغزال النافر الانسي للغزاله قد أعار النور
كسر قلبي كسير جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور
وبغمزة الدن قد عربد وادعى اني أنا المخمور
وابتسم لي عن ثغر لؤ وخطر والبشر فيابان

ياأمن يجيب دعا المضطر في الظلم
ياكاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت ياحي ياقيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا
فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجو مزيد له
فمن يجود على العاصين بالكرم
ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول
ألا أيها المقصود في كل حاجة
شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
ألا يارجائي أنت تكشف كربتي
فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت باعمال قباح رديئة
وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى
فأين رجائي ثم أين مخافتي
ثم سقط على الارض مغشيا عليه
فدنوت منه فاذا هو زين العابدين
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله تعالى عنهم أجمعين فرفعت
رأسه في حجري وبكيت فقطرت
دمعة من دمعي على خده ففتح
عينيه وقال من هذا الذي هجم
علينا قلت عبيدك الاصمعي سيدي
ماهذا البكاء والجزع وأنت من
أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة
أليس الله تعالى يقول انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا قال هيهات
هيهات ياأصمعي ان الله خلق الجنة
لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا
وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا
قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا
نفخ في الصور فلا أنساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت
موازينه فأولئك هم المفلحون ومن
خفت موازينه فأولئك الذين
خسروا أنفسهم في جهنم خالدون
انتهى (وكان) أبو العباس السفاح
بعصه العمر ومنازعة الرجال بعضهم

صحت ياقلبي صفاوردك أنت مابين النقاوالبان

(للصفي الحلي) أنت ياقبلة الكرام زينت المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدلك على السنين

(دور) أنت شاما بين الانام الله يحرس شمايلك
وبزيدك بالدوام كي نعيش في فواضلك
مايغطوي ذكر الكرام لما تنشر فضايلك
ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين
قد بقيتابك في أمان الله يحييك طول السنين

(دور) مارأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم
كل من جالسالك ليس تقول له سوى نعم
أملك أنت أوملك ضاعف الله لك النعم
أنت في الجود كالغمام وسمالك فوق ماردين
درغيثك في انسجام عم كل السائلين

(دور) لاعدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا
كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

(دور) حتى تقضي ذا الصيام ويليه باقي السنين
وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

(غيره) خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم ثغر معشوق الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم دالي قد هواه قلبي صاد وباويا
مليح ما رأيت مثله ما وبا ويا أحلاه عندما يلبس قاف وبا ويا
ذقت من صدود حبي غين وصاد وصاد لما رأيت صبري نون وقاف وصاد
النوم من جفون عيني خاء ولام وصاد وأصحت وجود فكري عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لي سين ونون ودال اعدل في الذي صبره نون وفؤادال
ولا تجور العشاق باوعين ودال ماأقطع قط ياناس من ظاولام وميم

﴿حل في الألغاز﴾

﴿المطلع في العين﴾

وماطير اكلوا الحجر باكرام * وجوهر حبابه يفسد أهل الصلاح
ولمس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

﴿دور في السراج﴾

وما بحر ماهو ماوفي الليل يزيد * وينقص ولاهو خوض ولاهو غريق
وفيه شيء صفات حيه بلاوكر استفيد * لها جوهرة في فمها يا رفيق
بلاشك ينظره القريب والبعيد * ويخفي ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب في النهار لكن اذا جا الظلام * تشوفو يضي بين الوجوه الصباح
ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الرباوالبطاح

(دور في جوزة الكافة)

وماهي التي تركب على ستين ألف * ومامثل ذاك فسرلنا ياخبير

بعضا لحضر عنده ذات ليلة ابراهيم ابن مخرمة الكندي وخالد بن صفوان ابن الاهيم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم ابن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب الحيرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شيء له خطرا الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف أقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمي رضي بقولك ثم قال ماتقول أنت يا خالد قال ان أذن لي أمير المؤمنين في الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال اخطأ المتكلم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك القوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء ومالا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والوصي والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وبالهم اليقين فمن زاحمنا زحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجميمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم

مليحة وقصيفة وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير
لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير
لها فصل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح
وأكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلت ومن غير مزاح

﴿دور فى الغربال﴾

وما هو الذى يا سعد كله عيون * ولا يعتلى ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيى أصول الحيا
اذا غاب عن أهله فربوم ما يرون * ولا لاحد يعوض موضعه لوعيا
وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكبد عجاجه فى المساوا الصباح
ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

﴿الفن الخامس فى الموالياوله وزن واحد وأربع قوافى﴾ فمن تلك الاربعة واحدة (لصفى الدين الحلى)

ياطاعن الخيل والابطال قد غارت * والمخصب الربع والامواه قد غارت
هو اطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضوالك قد غارت

(وقال أيضا) سل مقلتيك الكحل عن سلاسلها * ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها * كم من أسود ضوارى فى سلاسلها

(وقال آخر) قد أوعدونا الغضا بأننا نخلو * فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط ما نخلو

(وقال آخر) قسما بالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بسجدها وجامعها
لو حل مع بغيتى عابدو جامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

(ومن اثنين واثنين قال آخر)

قوم اسقنى ما تبقى فى أباريقو * أما ترى الصبح قد لاحت أبا ريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقه * سقى المدام وان عزت سقى ريقو

(وقال) البارحة قربت بعينى فى الدجا جيين * اثنين مثل البدر فى الدجى جيين
نادتهم فين كنتم يا خفاجيين * قالوا لمن قد وعدنا فى الخفا جيين

(وقال) قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجيرتكا در قلب من حبك * ما ظن فى الناس أقسى قلب من قلبك

(غيره خرى عاطل)

كأس الطلا لطلاها طال لما سر * وصار لما حوى خمرا مكال در
مدام لو طعم كله حلو ما هو مر * ما حل عاوك الا صار مالك حر

(غيره حربى) لك يا امام الوغا فى كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفى الكرب
هذا ولاك كما دارت رحاة الحرب * سيوف تغنى وكفك لا يمل الضرب

(الصفى الحلى فى المدح)

أغنت وأقنت كفوفك فى الندى والحرب * فى القرب والبعد من فى شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قد رمى فى الكرب

﴿وقال أيضا﴾

من قال جودة كفوفك يا الحيا مثلين * أخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ما جدت الا رتغرك مبتسم يازين * وذا ما جاد الا وهو باكى العين

لذئب اقال الكنع أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربى مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم ولم يقل شناتيرهم فى صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم انى أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال والقرآن أنزل علينا أو علينكم قال علينكم قال المنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لهما لدوحبا هما جميعا ﴿وحكى﴾ ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبى صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستمالته وهرب هو والسجان وقصد الشأم الى سليمان بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى

(وقال فى التهنئة)

رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * ورأيت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
ورأيت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

(فى المعاتبة) عنى تسليت وأسباف الجفا سلبت * ومذ توليت عن طرق الوفا ولبت
لما تمليت بالاهمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

(وقال أيضا) يا قلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نخن وان هم قساوا فاقس وان لانوا
فان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

(وقال آخر) حلف على احكاره أن يقاطعنى * وصد عنى واقسم ما يطاوعنى
كم ذا يصد وكم يرجع يصدعنى * ان كنت آتا المطلق لا يراجعنى

(وقال آخر هجوا)

قطع قفا ان أخت خالك وابن أخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك أو ابن أمك
وان تكلمت تصفع بل يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب فى فمك

(وقال آخر)

ان رددت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تيأسن ولا تقنط ولا تسرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك فتفكر فى ألم نشرح

(وقال آخر) ان كنت عاقل ورب ك بالتقى برك * ادفع أذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * نادبه يا أيها الانسان ما غرك

(وقال آخر) يا قلب ان خانك المحبوب لا تدر * عنه وعن قصة السلوان لا تخبر
واستعمل الصبر للعداتقهر * فان والله ما خاب الذى يصبر

﴿الغن السادس كان وكان﴾ وهو ن وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثانى * فمنه هذه الواعظيات

يا قاسى القلب مالك تسمع وما عندك خبر * ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك * ليتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غائب وذهنك مشتغل * فكيف يا مختلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع * ففى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعالك وتمر لحظك يعلمه * وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع * ما فى النصيحة فضيحة كلا ولا انكسار

(وقال أيضا)

صرح بذكر المحبة ما فى المعمى فائده * وقل نعم أنا عاشق صادق بسلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الحب مثل النظر * أنا عاشق الحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى * حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت ندمى * وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى * وفيه عزى وذلى بهجتى أفديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر * هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

(الصفى الحلى)

شاهدت فى الليل طيرى وقت حتى انصب شركه
* ما كل صيد يحصل يفرح الصياد *

أخيه يقول يا أمير المؤمنين انى ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وجدى شاكر لم أجر عدو الامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الى واسط تجاربى فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزينى فى ضيفى فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لا بد أن ترسل الى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا بزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيده هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبى أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فاخذ يزيد يتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما تحتاج الى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك ان تعاودنى فيه بعد

طيري الذي كان الفي لوردت مثله ما حصل
* وهو على معود وأنا عليه معتاد *
قد كان شرطي وخلفي لبرج غيري ما عرف
* كانت لنا في الصحبه جيناعلى ميعاد *
من قبل ما أبصبص له يجي ويدخل مصوري ،
* وأنا أرصده في مطاره خائف عليه ينصاد *

(وقال آخر)

ماذقت عمري جرعه أمر من طعم الهوى الله يصبر قلبي على الذي يهواه
الناس تعلم مني حال الجلاده والقوى وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لي حب مثل الحوخه لونون وطعم وريحه ما أكثر مغابن حبيبي وما أقل وفاه
أنا عمر فتو حظي وكل ما أحسن لو يسي* لو كنت أعشق ظلي ما كنت قط أراه

(وله في الفراقيات)

يا سادة هجروني وهم نزول بخاطري لا أوحش الله منكم في سائر الاوقات
أوحشتم العين مني وأنستكم في خاطري والقلب في النور منكم والعين في ظلمات
قد انتهى الصبر مني وما بقى فيا رمق هيهات اني أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالي يلوح كالشبح الخفي أعد بين الاحيا وأنا ميم الاموات
ودعتموني وسرتم والقلب يتبعركبكم ايش ضر لو كان جسمي من جملة التبعات
ما مر ما رأيت ضدي يقول لي من فرحته هنا تشق المرار وتسكب العبرات
لو لم أسل روحي وأرض نفسي بالمني لكان قلبي تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين أطلعانكم أخفض جناح المذلة وأرفع الاصوات
طول الليالي أساهر كني أريد الكيميا أقطع الدمع مني وأصعد الزفرات
ما أطول ليالي جفاكم ساعاتها مثل السنة وما أقصر أيام وصلي كأنها ساعات
مالي أرى حسنات بالسيآت تبدلت وسيآت الاعادي اتبدلت حسنات
خالفتموني وعمري مازلت أتبع أمركم كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكم وما يفعل الله ما يشاء والدهر من عاداته يقلب الحالات

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من أخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر في نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة موت أبيه ليجربه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ما قاله قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات أنا بني ابن نقطه * تعيش أبو يامات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعف ما كان لابيه

(ومنها الصفي الحلي)

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الحدور بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس في الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور يسمع والافيبقى * من بينهم مهدور
كم بين مجنف الخدور * من عاشق مصدور يرعى الكواكب العلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور اشراقها في المعاجز * وغربها في الصدور

اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك واقام عنده في اعلى المراتب وأرفع المنازل انتهى * وحكى أبو علي المصري * كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الايام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب فخرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت ورحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرتني وقالت أرسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقته فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت
لبعدكم أضالعها وضماها
وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت
رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق قد حلتم

قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور فصرت أحسد من أبصر * خيامهم والحدور
نوائب المقـــدور * مثل الكواكب تدور من بعد طيب الخواطر * يقضي بضيق الصدور
غيري يلازم الصدور * وأنا عليكم أدور وأصطلي الصدوأنا * من بينهم مهدور

(وقال أيضا)

حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور يصون سره والا * يبقى من أهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور ومن هتك سر حبو * يحمى من الدستور
ابذل لبيض النحور * أموال مثل البحور ان ردت تملك وتظفر * ولدانهم والحور
قم فابذل المدخور * وفي العطا لا تجور تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الحدور * من عاشق مغدور مثل الدواليب تجرى * دموعها وتدور
من ير كب المحذور * هو في الهوى معذور يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويفوز بالنذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبت مغرور واجعل تراب أعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبه وعور * كم بينها مذعور من قتلك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * في حب بيض الثغور يغار قلبه ولكن * مدامعه ماتغور
كم بينهم يعفور * كالظبي آنس نفور من أهل بدر فديته * ايش ما عمل مغفور

(ومن ذلك) ما نظمه بعضهم ليسخر بعض الخلفاء في رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وحدك سعيد ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد
في الدهر أنت الفريد * وفي صفاتك وحيد والخلق شعر مفمع * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * ولطف رأيه سديد ومن يلاقي الشدائد * يقلب مثل الحديد
لازلت في تأييد * في الصوم والتعييد ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد ونبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * ما فوق جودك مزيد وكم نمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت في كل عيد * تحظى بمجد سعيد عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد ولا برحت مسوقى * كما يوقى الوليد
مازال برك يزيد * على أقل العبيد ومابرح جود كفك * منا كجبل الوريد
لازال برك مزيد * دائم وبأسك شديد ولا عدمنا نوالك * في صوم فطر وعيد

(ومما قيل في فن الحماق)

أنا ما عبوري الحمام * لجسمي لكي ينظف الا لدمع جاري * على المأ ولا يوقف
ودمك المجاري تجري * ودمعي يسابقها تقول الانام في الحمام * له أحباب فارقها

(وقال آخر)

ترى كل من نعشقو * علينا يقيم أنفه فاسلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفه
وان زاد على عشقو * وزادني الهوى والذل تركته ولو كان يحيى * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية لخفاء بتوفيق الله في الحسن نهاية وأسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والسبعون في ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايحمد ويذم من عشر تمن وفيه فصول

الفصل الاول في النكاح وفضله والترغيب فيه

قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى

بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة
فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يراني بسا ما خليلي يظن بي
سرورا يا حشاه السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة
يشب لظاها أو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم
تقضت وحيانا الحيا وسقاها
فقالت لها بعدها لمسامر
من الناس الا قال قلبي آها

قيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أمضى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له ان نزل بنا ضيفان جاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما كنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لا أطعم ضيفاني الفائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا فقفوا فوقفنا فلما دنا منا قال خذوا دنانيركم فاني لا آخذ على اكرامي ثمنا وان لم تأخذوا طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا (وكان) يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله أخبار في الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الامير ان رأيت أن تأذن لي فاصحبك قال اذا قدمت واسط فأتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال فسرت

وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغي للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب في ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكي أن نوح بن مريم قاضي مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جاره مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لابد أن تشير علي قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدي وقال رجل للحسن ان لي ابنة فمن ترى أن أزوجها قال زوجها ممن يتقي الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أمومر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوها اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى ما لم يركب وأحب اللآلئ ما لم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا أسكحت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطى الى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

(فاجابته امرأة)

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يألف بالنظام ويثقبا

(قال خالد بن صفوان)

عليك اذا ما كنت في الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام في التزويج فقال له سل سليمان واخبرني بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر والفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربنك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخير والنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر في أي شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وأنشد وافيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الفصن وعن منبته

(وقال بعضهم)

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدي وقيل ان جعفر بن سليمان بن علي عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يجب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك أحمدت الى فاسقات مكة والمدينة وأما الحجاز فأوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن نجيء نحن وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فتزوجها لك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها لالاولى الالباب مختصرا
صبية ذات دين زانه أدب * بكر ولود حكت في نفسها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التي أجلو لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهي ثابتة * أحاط علما بها من في العلوم قرا

(وقال آخر)

مطيات السرور فوق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا

حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت الي يزيد وقال اية يا عقيل فقلت أفاض القوم في ذكر الجواري

فأما الاعزبون فلن يقولوا قال انك لا تبقى عزبا فلما رجعت الى منزلي اذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثالثة كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لي في الرجوع فاكمت عدوي وأمر صديقي فقال انما أخرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغنني أيها الامير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله ما لا أقدر على وصفه

(وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فجاءه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحمر الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وامضي الى أم فلان أخبرها أني قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك (وقيل) ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فأذن له فلما أبصره قال أيا خالد ضاقت خراسان بعدكم

وقال ذو الرمة الحاجات أين يزيد فما قطرت بالشرق بعدك قطرة ولا اخضر بالمروين بعدك عود

فان حزت المسير فسر قليلا * وبت الاربعين من الرزايا
فاياك اياك العجوز وطأها * فما هو الا مثل سم الأراقم

(وقال آخر)

واعلم أن العيش كله مقصور على الخليلة الصالحة والبيت الواسع وما يأمن به الغريبة السوء التي لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه ويروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله بن أخي من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان في المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل والمخاطب عمرو بن حجر الكندي الى عوف بن ثعلم الشيباني انتسه أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أم هالة ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أي بنية انك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له أمة ليكون لك عبدا واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فأما الاولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة الرابعة فالتفقد لوقت فقده والتعهد لموقع عينه منك على قبح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحتراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصي له أمرا ولا تفشي له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمني غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فاز نجبت ولدت لحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر وعن الهيثم بن عدي الطائي عن الشعبي قال لعبيد بني شريح فقال لي يا شعبي علمك بنساء بني تميم فأني رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت ببدورهن واذا أنا بعجوز زعلى باب دار والى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري فعدلت اليها واستسقيت وما بي عطش فقالت لي أي الشراب أحب اليك فقلت ما تيسر قالت ويحك يا جارية ائتيه بلبن فأني أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية مملكة قالت هي زينب بنت جرير احدى نساء بني حنظلة فقلت هي فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أزوجتها قالت ان كنت كفأ لم تقل كفوا وهي لغة بني تميم فتركتها ومضيت الى منزلي لا قيل فيه فامتنعت مني القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخواني من العرب الاشراف علقمة والاسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال مرشانا أيا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال ما بها عندنا رغبة فزوجنيها فلما صارت في حجالي ندمت وقلت أي شيء صنعت بنساء بني تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت علي فقلت لمن معي من النسوة اذا دخلت لمراة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين ويسأل الله تعالى من خير ما هو يتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هي ثنوصأ بوضوء وصليت فاذا هي تصلي بصلاتي فلما قضيت صلاتي أنتنى جواريها فأخذن ثيابي وألبستني ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما دخلا البيت دنوت منها فمددت يدي الى ناصيتها فقالت علي رسلك أيا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فاني امرأة غريبة لا علم لي باخلاقكم فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح في قومك رلي في قومي مثل ذلك رلكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما المسألة بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

ومالسرور بعد عزك بهجة
ومالجواد بعد جودك جود
فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه ما منعتك من دخولك عليه فأخذها وانصرف (ومر) يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بعوزا عرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه برضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان برضيها اليسير فأنا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي (وقال أبو العيناء) تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على أن أحمد بن داود أسخى منهم جميعا وأفضل (وسئل) اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا
ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة
توارثني عن والد بعد والد

(وفي الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة
رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سئل حاجة
ولا ممكب في ثرى الارض ينكب

(وفي محمد يقول القائل)

سألت الندى والجود ما لي أراكما
تبددتما عز ابذل مؤيد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما
فقالا أصبنا بابن يحيى محمد

فقلت فهلا متما بعد موته
وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أفانا كي نعزي بفقده
مسافة يوم ثم نقلوه في غد

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الي في كتاب لا صون وجهه عن المسئلة (وجاء) رضي الله تعالى عنه اعرابي فقال له يا أمير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحياء يمنعني ان أذكرها فقال خطها في الارض فكتب اني فقير فقال ياقنبر اكسه حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ايه أبا حسن قد نلت مكرمة
ولست تمشي بما قدمته بدلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به
كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال ياقنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله تعالى عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكر والمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وسئل) امحق الموصلي عن المجلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عظاما من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان ابن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفرا براً حب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين علي فقال أوقر واله زورقهما وأمر له بالف ألف درهم (وشكا) سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان مولى بني شيبان الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال

لي ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتني والله ياشعبي الى الخطبة في ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لي وان تدعه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فابثثنيها وما رأيت من سيئة فاسترها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب أن يلقى اصهاري قالت فمن تحب من جيراني يدخل دارك آذن له ومن تكره أكره فلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبي بأنعم ليلة ومكثت معي حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت أبا أمية ان المرأة لا يرى أسوأ حالا منها في حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما أو خطبت عند زوجها فان رابك ريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجل في بيوتهم أشر من الرواء المدلة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ماشاؤا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فمكثت معي ياشعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لي جار من كندة ينازع امرأته ويضربها ففلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فسلت عيني يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتيته * فما العدل مني ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافد نازل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكمك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذاك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نسائها بني عبد مناف فعرضتها لعبد ثقيف يتخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأبالك منعتماني وقد كان حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه اغاظة بني مروان فلما رجعت بها رفيني فلما رجعته كلمه حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا ومازال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده غير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة تحف (وحكى) ان المغيرة ابن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عيماء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع عيماء واعور وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يابني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال

اقسمت

أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لأبي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن يراه وهو مضطجع فى الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله ما أنساك ما ذر شارق * وما ناح قمرى الحمام المطوق
فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شئ يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوى فى الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بنى فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فما ليت لا تنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فتى طول عمرى ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ودعا الناس الى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لى فى كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فأذن له يا أمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الحدر فنظر اليها فاذا ما بين جيدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

فما ليت لا تنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد فعاد تها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة فى ظهر المسجد وهى لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس ومابهم من بأس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو ناثم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا انى لاحسب أنى لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث ابن عوف بن أبى حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى أنى أخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث ثم قال ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هنالك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فما لك لا تستعزله قال انه استهجننى قالت وكيف قال لانه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال فدكان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فبماذا قالت بأن تلحقه فتردد قال وكيف وقد فرط منى اليه ما فرط قالت تقول له انك لقيتنى وأنا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل ما طلبت قال فركب فى أثرهما قال خارجة بن سنان فوالله انا لنسير اذ حانت منى التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمنى هذا أوس فى أثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال يا حارث أربع على فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته اهدى لى فلانة أكبر بناته فأتته فقال لها أى بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءنى خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان فى خلق رداءة وفى لسانى حدة ولست بابنة عمه فيراعى رحمى ولا هو بجار لك فى البلد فيستحى منك ولا آمن أن يرى منى

لا أم لك تهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت انى أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتى دينار وقد أتيتك فقال لى بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالى فقال يا جارية هاتى مطرفا فأتته به فطرف خز فصر لى فى زرايته مائتى دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد
أما العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى
أبوه أبوه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما غاثر يرضى به الندى
فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه وذروانكم قد قدرتموه
وما هو عن احسانكم بمرقود

فقال سليمان قل ما شئت وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا تكرهت ان تعطى القليل ولم
تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته
فكل ما سد فقرا فهو محمود

فنظر ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله (ودخل) طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى لك فقال يا طلح أنت أخو الندى وعقده
ان الندى ما مات طلحة ماتا
ان الندى ألقى اليك رحاله
بحيث بت من المنازل باتا

(ووفد أبو الشمقمق) الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده فى دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما
قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فتكنعا
كانوا بارض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم
فالبوم ان رأموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفى الحراج الى الخليفة ووقع العامل باسقاط الحراج عن محمد بن عبد السلام تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته (وحكى عن أبي العيناء انه قال) حصلت لي نسبة شديدة فكتمتها عن السيد فاني ذات يوم على بن أكثم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه اجلسه وأجلستني ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فأنشدته

لعمر جوتك دون الناس كلهم
وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لي أسباب أعيش بها
ففي العلا لك اخلاق هي السبب

فقال يا سلامة انظر أي شيء في بيت مال النادون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفعه له مائة ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيآن لو بكت الدماء عليهما
عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما
فقد الشباب وفرقة الاحباب

ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة قال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فأجابته بمثل جواب اختها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكرا لها مقالتهما فقالت له والله اني الجميلة وجهها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا ان طلقني فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال له زوجتك يا بارث يا بني همسية قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها ان تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر بيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعند أبي واخوتي هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال الي تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فلما البث ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بي كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل بها يعمل مثلك لمثلي فعلت والله اني لأراها عمة وعقلا فقال صدقت قال وأراد والله أن تكون المرأة النجيبة فورد نا الى بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الي فقال أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فعلمت لها قد أحضرت من المال ما ترين قالت والله لقد ذكرت من الشرف عالي ما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ في لنكح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا بعضار كان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت اخرج الى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فعلت والله اني لأراي عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا الخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فأقام عنده في ألذ عيش وأطيبه وولد له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب ﴿وحكى﴾ الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض أصحابنا ان رجلا من بني سعد مرت به جارية لأمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسأل لها الهاز وج ويذكر لها ركان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فأبلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت خيل الخميل رأيتني * امام رعيل الخيل أحمي حقائقي
أصبر نفسي حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلما قها الرسول فأنشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

ألا انما أبغي جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق
فتى همه مكان خود خريدة * يعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى * وثوب بأيدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديد فسمعتها وقالت

تقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل

وقال عمر بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسأل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وماضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لاتشتمن امرأ منهن يكون له * أم من الروم أو سوداء مجماء

فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات ولانساب آباء

وقال الاصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أختي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن أختي أما القصيرة النسب فالتي اذا ذكرت آباءها اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لاتعرف حتى تطيل في نسبها فاياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا معدناة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا ابلغوا أم البنين بأننا * غنمنا وأعفتنا الغطارفة الجعد

بعيد مناط المكرمين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد

فهذا لايام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت ياغلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقرء مني السلام وقل له * غنمنا وأعفتنا غطارفة المرد

اذا شئت أغنانى غلام مرجل * وأزعته في ماء معتصر الورد

وان شاء منهم ناشئ مذكفه * الى عكن ملساء أو كفل نهد

فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد

فعجل الينا بالسراح فانه * منانا ولا ندعوك الله بالرد

فلا قائل الجد الذي أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها المرد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله في قلبي أعظم وأجل وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصي الله فيك فكيف ذقت طعم الغربة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

﴿ الفصل الثاني في صفات النساء المحمودة ﴾ كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد ملجمة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب اليه لايكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفي الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لي أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لماء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها في خالص العرب وفي خالص فارس وقال حكيم عليكم بمن تربت في النعيم ثم أصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ابنة له امرأة لاتؤنس جارا ولاتوطن دارا يعني لاتدخل على الجيران ولاتدخل الجيران عليها وفي مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها لطف * عيطاء غامضة الكعبين معطار

خود من الغفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لابعل ولا جار

(وقال الاعمش) كانت عندي شاة فرضت فقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لما أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثمانمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ (وحكى أبو القدامة العشري) قال كنا مع يزيد بن مزيد وما سمع بالمحابقول يا يزيد بن مزيد فطنبه فأتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى

فنادبصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان محبسا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (ومن الغرائب) ماحكى أن قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أمحيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر في المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعني بعيرك بنجيبي وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائي بعير سمين فقال نعم باعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عند صاحب القبر الى البعير فحفره في النوم فانتبه الرائي من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقسم لحمه وطبخوه وأكلوه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيري بنجيبه في النوم فقال هذا نجيبه

(وقال الاعشى) لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل
وكانت امرأة عمران بن قعطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا وإياك في الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت والصابر والشاكر في الجنة وقال بعض مهرة رأيت في طريق مكة اعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ فصير خفر دابتها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجي قلت كيف يرضى مثلك بمثله فانشدت

أيا عجبا للخود يجري وشاحها * ترف الى شيخ بأقبح عثمال
دعاني اليه أنه ذو قرابة * يعز علينا ما بنى الهم والحال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحي فان مدائحي * توافق عند الأكرمين نوامي
توافق عند المشترين الحمد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخي لو فعل هذا ابليس بناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

فضاعية الكعبين كدرية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال علي بن زياد في وصفه

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما هاك حائك ديباجا

(وقال علي بن عبد ربه)

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تمكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن يحبك ولدك فأغضبه ثم وقع عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن قواعد * حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به في ليلة مزءودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها)

في حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شر هن الضخيفة الجسم القليلة اللحم المحماض المراد المصفرة الميسومة العسرة المبسومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء واست في الماء عرقوبها حديد مفتخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعواء تأكل لما وتوسم ذما ضيعة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع باديه من مجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد

وهي

فخسده وأنا ولده وقد رأيته في النوم وهو يقول ان كنت ولدي فادفع تحيتي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أباه فاقه بعد موته (قيل) ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فانشد شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أين ما * فقالا بقينا ان العبيد

فقلت ومن مولاكما فتطاولا * الى وقالا خالد بن يزيد

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب * تدفق كفاه الندى وشمائله
هو البحر من أي الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله
جواد بسيط الكف حتى لو أنه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى حسبتك تلعب
وأنبت ريشا في الجناحين بعدما * تساقط مني الريش أو كاد يذهب

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما الندى عنك مذهب

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبي ما أخذت وانصرف (وجاء) الى خالد بن عبد الله بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فانشد يقول

يا واحد العرب الذي * ما في الانام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا فقير

فقال يا غلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف (وحيث ذكرنا) نبذة من أخبار الكرماء

وهي غائبة قد دلى لسانها بالزور ونسال دمعها الفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

(وقال زيد بن عمير) أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كما رأها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

﴿الفصل الرابع في مكر النساء وغدرهن وذمهن ومحاسنهن﴾ في حكمة داود عليه الصلاة والسلام وجدت في الرجال واحدا في ألف ولم أجد واحدة في جميع النساء وقيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لقى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدهما قال الجو وقال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثاني قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شركلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفي لك انها * على قدم الأيام سوف تخون
وان هي أعطتك اليمين فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

(وقال ابن بشار) رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حائل
ومنتظر الموعود منهن كالذي * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شيء قط الا فعلته وقال الغنوي

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال علي رضي الله تعالى عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل وقال السمعاني

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما في الرجال على النساء أمين
ان الامين وان تحفظ جهده * لا بد أن بنظرة سيخون

(وقال غيره) لا تركنن الى النساء * ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن جميعهن * معلق بفروجهن

وقال علي رضي الله تعالى عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أو ردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه دل من أسند أمره الى امرأة * وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة وأعجبه حسنها وسمنها فأمر له بأربعة آلاف درهم فخط أنه سيرين زوجته

فلنذكر نبذة من أخبار البخلاء

(فمن ذلك) أن رجلا من البخلاء اشترى دارا واستقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان فقالت يا أبت ما دمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فأتنا بالى كثروا أم قلوا (وألأم اللئام وأبخلهم) حميد الأقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله من قصيدة ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت
وبين أخرى تليها قيد اطفور
(وقال فيه أيضا)
تجهز كفاه ويحسل حلقه
الى الزور ما ضمت عليه الانامل
وأكل اعرابي مع أبي الاسود رطبا فأكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها (وقال اعرابي) لنزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورحل بك غير مسرور وقأم بعدم أو ارحل بندم *(وللحمدوني)*
رأيت أبا زرارة قال يوما
لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الحوان ولاح شخص
لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ
يغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق عليه
ببيت لم يرد فيه القيام
أبى وأبينا أبي والكلب عندي
بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له أبن لي يا ابن كاب
على خبزي أصادر أو أضام

فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكرا فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال اثنتى ذكرها فقال هرالله الملك كانت بكرا لم تتزوج فتمازوه رأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا فى الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء مروالة وافعل ماشئت وقال عمر رضى الله تعالى عنه أكثر والهن من قول لا فان نعم تغرين على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر

﴿ومما قيل فى الباءة﴾ ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه فأرأكثر وقال معاوية رضى الله تعالى عنه مارأيت ثم مافى النساء الاعرفت ذلك فى وجهه وخلائقهم بجارية له فعجز عنها فقال ما أرسم حرك فأنشأت تقول

أنت الفراء لمن قد كان يلوه * ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

(وقال آخر) شفاء الحب تقبيل ولمس * ومحجب بالبطون على البطون

وزهر تذرف العينان منه * وأخذ المناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هى مع زوجها فى القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الى وجيئها بقصب عرقا فقلت لها ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فأجابها بقول

أالشيخ ولى امرأة عجوز * تراودنى على مالا يجوز

وقالت رق ابرك مذ كبرا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكانا خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلوها بهذه القتلة وعلى أثرها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وتقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بدكور الحيوان وذلك انه ليس فى الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

﴿الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه﴾ عن عبد الرحمن بن محمد بن أبى الأصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغنى أن رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك راغبا لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الا من قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبى فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة فيحك لله فوالله لقد كانتا البارحة محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أيادى سبا طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الأن تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارية له فأشرفت عليه وقالت له والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوا منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك فى ساعة واحدة فقال لها وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان أجازنى بعلك فأجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضرنى والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك محبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلنى عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جريت من صاحب ومصحوب بخير انما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجدك فى الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

اذا حضر الطعام فلا حقوق
على لوالدى ولا ذمام
فما فى الارض أوقع من خوان
عليه الخير يحضره الزحام
(ويجمعى قوم بعضهم)
زففت الى نهاك من صفوف فكرك
عرو ساغد ابطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها

فلما دارت المهر طنقها عشرا
(ومن أخبار البخلاء) ما حكاه بعضهم قال كنت فى سفر فضللت الطريق فرأيت بيتا فى الفلاة فأتيته فاذا به أعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فاكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما أنما وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما أنا وللضيف فبينما هى تكلمنى اذ أقبل صاحب البيت فلما رأنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بى بالامس فتبسمت فقال لم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هى أختى وان بعلها أخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله (وقال عمر بن ميمون) مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لى

﴿ ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه ﴾ قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن الغربان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذى ضيعت مشغول

(فكتب اليها يقول) ان كان ذا شغل فالله يكفؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استظرافه وطرا * وفى الليالى وفى أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك أن تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فأمر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال انتها فأنشدها

أسعدى هل اليلك لناسبيل * ولاحتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

قال فأتاها أشعب فاستأذن عليها فأذنت له فدخل فقالت له مابدا لك فى زيارتنا يا أشعب فقال ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال ياسيدتى انه دفع الى عشرة آلاف درهم فهى لك وأعتقينى لوجه الله فقالت والله لا أعتقتك أو تبلغ اليه ما أقول لك قال ياسيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فأخذه وألقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لاشعب اختر منى احدى ثلاث اما أن أقتلك واما أن أطرحك من هذا القصر واما أن ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال ياسيدى ما كنت لتعذب عينا تنظر الى سعدى فتبسم وخلى سبيله * ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار

فأصبحت الغداة ألوم نفسى * بأمر ليس لى فيه اختيار

وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أنى ملكت بها يمينى * لكان على للقدر الخيار

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن دريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها فندم على ذلك فأنشد يقول

فنى صبرى وعاودنى ردامى * وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفنى الوشاة فأزعجونى * فيا للناس للواشى المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسى * على أمر وليس بمستطاع

كعبون بعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبى قال جاء رجل بامرأة كأنها بارج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتى هذه شجتنى فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يامولاى غير متعمدة لذلك كنت أعالج طبيبا فوقع الفهر من يدى على رأسه وليس عندى علم ولا يقوى بدنى على القصاص فقال الرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما ترى فقال يامولاى ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسى بفراقها قال فان أعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هى لك قال فهى اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسى علينا نفسك وأنشأ يقول

ياشيخ ياشيخ من دلاك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل

رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاهمد لنفسك نحو القرح الذلل

زارنى فاشتهى رأسا فاشتريته وتغديناه وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها لحاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذى اشترى الرأس (وقال) رجل من البخلاء لاولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فامر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا العظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمشمشها يا أبت وأمصها حتى لا ادع للذرفيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط الوكها يا أبت والحسها حتى لا يدرى أحد ألعام هى أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت امصها ثم أدقها وأسفها سفا قال انك صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما (وقيل) خرج اعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الايام ورد عليه اعرابى من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأل عن أهله وقال ما حال ابنى عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحى رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلينا البقاع قال قد ملأ الارض نباتا فما حال حملى زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابى ثم أقبل عليه يسأله وقال يامبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبى ايقاع قال مات قال وما الذى أمانه قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أو مات جملى زريق قال نعم

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها﴾

قد أنزل الله تعالى فى الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ بلحى بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكأن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
أبوعدنى ابن كبشة ان سنحيا * وكيف حياة اصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عنى * وينشرنى اذا بليت عظامى
ألا من مبلغ الرحمن عنى * بأنى تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعنى شرابى * وقل لله يمنعنى طعامى

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله تعالى عنه انتهينا انتهينا * ومن الاخبار المتفق عليها فى تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهانى ربى بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحات الرجال * ومن تركها فى الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك انه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضربه على عينه فأصبحت عين أمية محضرة تخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ منى الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا * ومن حرمها فى الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أو ما علمت ما صنعت البارحة فأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه * ومن حرمها فى الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتثاول القمر ويقول والله لآخرج حتى آتزنه ثم يثب الوثبة بعد الوثبة يقع على وجهه فلما أصبح وافق قال مالى هكذا فأخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك فقال أكره ان أصبح سيد قومى رأسى سفيههم * ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فأنشده فأعجبه انشاده وشعره وصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدى أسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح وتكفينى مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلنى الى ذلك الا عقلى وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفد وفدها عليه هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملى منه وأكره ان أمنعهم عن شئ ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما نريد ان اخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابى لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلى وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامى قال اما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبى أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

الا يا قومنا ليس فى الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل

قال وما الذى أماته قال كثرة نقل اللبن الى قبر أم عمير قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أو مات عمير قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أو سقطت الدار قال نعم قال فقام نهقه بالعصا نهارا بقولى من بين يديه هارا با (وقال دعبل) كنا عند سهل ابن هارون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداء فأتى بقصعة فيها دبك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال للغلام وأين الرأس فقال رميته فقال والله انى لاكره من برمى بر جله فكيف برأسه ويحك أما علمت ان الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولمز عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أنى لا آكله ما قلت عنده من بأكله انظر فى أى مكان رميته فلقنى به فقال لا أعرف أين رميته فقال لكنى أنا أعرف أين رميته قد رميته فى بطنك حسبك (واشتكى رجل مروزى) سدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يعاطل الايام ويدفع الآلام أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال له انه يحلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها الجلى صدره ووجد يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها

فاني رأيت الخمر شيئا ولم يزل * أخو الخمر ذخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى به ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ

اذا دارت الأرطال أرضوك بالثنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم يا لئام اخوان النبيذ فبينما أنت متوج عند هم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم

فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

(وللاعرج الطائى) تركت الشعر واستبدلت منه * اذا دامى صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

(وقال الصفدى) دع الخمر فالراحات فى ترك راحها * وفى كاسها للمرء كسوة عار

وكم أبست نفس الفتى بعد توبها * مدارع قار فى مدارع عار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداك انما هى خمر قال من أين علمت انها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف انها خمر فشربها المحدث عن محلل وقال للنصرانى يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون أفتصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ما شربتها الا لضعف الاسناد * ومن الجنون فى ذلك ما حكى ان سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفته فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حارا أيضا أدرك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة ترد حركا رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زوبت فنامت ومر عقال الناس بمرداس بن خدام الاسدى فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلى عقالى

قرعت بام الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليالى

و يقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

(الباب الخامس والسبعون فى المزح والنهى عنه وما جاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول)

(الفصل الاول فى النهى عن المزاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن على ما مزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضى الله تعالى عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح وتأكد الهزل فانهما يابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شئ بذر و بذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لى أمى لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابى بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما الله زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت فأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فايا لئا يالئ المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا

و يذهب ماء الوجه بعد بهائه * و يورث بعد العز صاحبه ذلا

يعصم ويحلوا الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة (وعن خاقان بن صبيح) قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فأتانا بعسرجة فيها فتيلة فى غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشان ونخشى ان يشرب الدهن قال بينما أنا أتعجب واسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شئ ووقعت فيما هو شر منه أما علمت ان الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد املس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما تعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الحر اسألى ارشدك الله ونفع بك فلقد كنت فى ذلك من المسرفين (وقال الهيثم بن عدى) نزل على أبى حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخذ لى له المنزل ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه فى هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له

يا أيها الخارج من بيته
وهارب من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاده
فارجع وكن ضيفا على الضيف

(وكان) أبو العاهية ومروان بن أبى حفصة بخيلين يضرب بهما المثل قال مروان ما فرحت بشئ أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها الى المهدى فوزنتها فرجحت درهما واشترى لحمابدرهم فلما

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب المهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به وهما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم انهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حمالیقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم) لا بأس بالمزح مالم يكن سفها والله تعالى وعد فى اللهم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقى عيسى عليه الصلاة والسلام فقال مالى أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالى أراك عابسا كأنك آيس فقال لا تبرح حتى ينزل علينا الوحى فأوحى الله اليهما ان أحبكما الى أحسنكما ظنا بى ويروى ان أحبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لجارية خلفنى خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال لا بأس عليك فان الله خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر

وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم انه جاءه رجل فقال يا رسول الله احملنى على جمل فقال عليه الصلاة والسلام لأحملنك الا على ولد الناقة فقال يا رسول الله انه لا يطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها مادهاك قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز انصارية فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها ما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما بقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كبرت سابقته فسبقنى فضربنى بكتفى وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتى ولا يعيب على وسئل النخعى هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى أنول فأخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فأجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى قاد نعيمان قال الله على نذر ان أضرب به بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاءه اليه وقال له يا أبا المسور هل لك فى نعيمان قال نعم قال هاهو قائم يصلى وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلى وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادنى قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا ورعا أقامنا حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من موعظته قال سمعت الناس يتكلمون فى التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع فى قلبى أن أتعلمه فدخلت فى سوق الكتبية واشتريت كتابا فى التصحيف فأول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه مشك تاج فرميت الكتاب من يدى وحلفت أنى لا أشتغل به أبدا فضحك الناس - حتى غشى عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتوضأ فقال أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وأيامها سطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذى تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بى عرق النسا فى ليلتى هذه فبلغ منى ما ترى فقال ان يدى بحامولاى أرقى الحلق منه فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح أرق رجلى فقال يا مولاى أنا أرقى الناس لهاشم ووضع يده عليها وجعل يقول مالا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت

وضعه فى القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم ويقول هذا لحم مروان * واجتاز يوما باعرابية فأضافته فقال ابن وهب الى أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق *(ومن الموصوفين بالبخل آل مروان)* يقال ان من عادتهم اذا تزافقوا فى سفر ان يشترى كل واحد منهم قطعة لحم و يشبكها فى خيط و يجمعون اللحم كله فى قدر و يعمل كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتفاسموا المرق *(وكان)* عمران بن يزيد الاسدى بخيلا جدا أصابه القولنج فى بطنه فخنقه الطبيب بدهن كثير فلحل ما فى بطنه فى الطست فقال لغلامه أجمع الدهن الذى نزل من الخنقة وأمرج به *(وكان)* المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادى فى طريقه الى الحج فحداه يوما بقول الشاعر

أغر بن الحاجبين نوره
يزينه حيا وؤ وخيره
ومسكه يشوبه كافوره
اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال يا بديع أعطه نصف درهم فقال نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا بديع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فمازلت أمشى بينهما وارضه حتى شرط مسلم على نفسه ان يحدوله فى ذهابه وايابه بغير مؤنة وأخبار البخلاء كثيرة وفيما أوردناه كفاية

(نادرة) قيل لابى الحرث ما تقول

راحة بهذه الرقيمة أن فلانة أتتني بهاتكتبها لئلا يهيج بي الوجع بالليل فقال يذبح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتعجيل جائزتي فأمر له بأربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتي الى بيتي قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا بمباسطة بقول نصيب حيث قال

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * على البعد مني ذنب غيري تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتمها علي فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى خر لقيه وأعجبه هذا البسط وروى ان ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت ان فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء في الشطرنج واللعب به والنهي عنه والترخيص فيه) أما النهي عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروي يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا عند الشطرنج * واحتضر شطرنجي فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبي عن اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا في السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتي ويقول ارفع الفرس ارفع كذا الفعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديق في بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلي بن الجهم في الشطرنج وقيل للأموي

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين حرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطما * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا بغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى هم جاشت بمعركة * في عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان في كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر العطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء في لعب الغلمان) ما حكي أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصولجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا عليه بصولجتهم فما زالوا يخطبونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضي الله تعالى عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفالا صغارا شتم نبيهم فعضبوا له وانتصروا وأهدروا دم الاسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والسبعون في النوادر وفيه فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب في نوادر العرب) خرج المهدي يتصيد فغار به فرسه حتى وقع في خباء اعرابي فقال يا اعرابي هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدري من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك في موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا اعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب سوادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكني أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابي الركوة فوكاها وقال اليك عني فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك

في الفالوذجة قال وددت لو أنها ومالك الموت اختلجا في صدري والله لو أن موسى لقي فرعون بالفالوذجة لآمن به ولكنه لقيه بعصا (ودخل) * ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا يدعوني الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذي أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت ذبدا وعسلا أطيب التمر كأنه مخ الشهد سهل المفشرين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس في الحلقوم ثم مديده وأكل * (وسمع) * رجلا يذم الزبد فقال له ما الذي ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه * (وقيل) * له ما تقول في الباذنجان قال أذناب الحجاجم وبطون العقارب وبزور الرقوم قيل له انه يمشي بالفهم فيكون طيبا فقال لو حشي بالتقوى والمغفرة ما أفطح (وضع) الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قام فاذا ان هل عمل كسرى مثلها فلستغفاه فاقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وسيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا * (وقال) * معاوية لرجل على مائدته خذ الشعر من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لأكلت لك طعاما بأبدا (وحضر) اعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بمجرد كان أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كان أمه أرضعتك (ودعت) أبا الحرث صبية له فجاءت ثيابه

ساعة فجاع فطلب الاكل فقالت له
أمانى وجهى ما يشغلك عن الاكل
قال جعلت فداك لون جميلا
وبضعة قعدا ساعة لا يأكلان
لبصق كل منهما فى وجه صاحبه
وافترقا (وقال الشمردل) وكيل
عمر بن العاص قدم سليمان بن
عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر
ابن عبد العزيز الى وقال يا شمردل
ما عندك ما تطعمنى قلت عندى
جدى كاعظم ما يكون سمنا قال عجل
به فأتيت به كله فكلة سمن جعل
يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم
يبق منه الا الحذا قال هم يا ابا جعفر
فقال انى صائم وأكله ثم قال
يا شمردل ويلك أما عندك شئ قلت
ست دجاجات كأنهن الحذا نعام
فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال
يا شمردل أما عندك شئ قلت سويق
كأنه قرارضة الذهب فأتيته به فعمه
حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت
من غدائنا قال نعم قال ما هو قال
نيف وثلاثون قدرا قال اثنى بقدر
قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من
كل قدر لقمة ثم مسح يده واستلقى
على فراشه وأذن للناس فدخلوا
وصف الحوان وأكل مع الناس
(ونزل رجل) صومعة راهب فقدم
اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب
ليحضر اليه العدس لحمله رجاه
فوجده قد أكل الخبز فذهب وأتى
بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل
معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب
أين مقصدك قال الى الاردن قال
لماذا قال بلغنى ان بها طبيبا طاعونا قال
أسأله عما يصلح معدتى فأنى قليل
الشهوة للطعام فقال له الراهب انك
اليك حاجة قال وما هى قال اذا
ذهبت وأصحت معدتك فلا تجعل
رجوعك من ههنا (يحكى) ان زيادا
أمر بضرب عنق رجل فقال أيها

المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له
لا بأس عليك ولا تخوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل * ووجد اعرابى يأكل ويتغوط ويغلى ثوبه فقيل له
فى ذلك فقال أخرج عتيقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال
والله لا بد دين شمله بالاسفار * وسمع اعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا
ونفاقا فقال لقد هجانا من بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا
ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه افرحوا الأخيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراحكم
ان أطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن أن طنبا من
أطنابك قد انقطع * ورؤى اعرابى يغطس فى البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له
ما هذا قال جنابات الشتاء أقضيها فى الصيف * وسرق اعرابى فاشية من على مربط ثم دخل المسجد يصلى
فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل فى الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال
خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهى لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج * وحضر اعرابى مجلس قوم
فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أنول وأرجع أنام * وسرق
اعرابى صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلى وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما أتاك يا موسى فقال
الاعرابى والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج * (وحكى) ان الاصمعى قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها
وكان البرد شديدا فالتجأت الى حى من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء
وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب ان السبرد أصبح كالحا * وأنت بحالى يا الهى أعلم
فان كنت يومى فى جهنم مدخلى * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا * ويكسو غيرى كسوة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسنى ربى قميصا وجبة * أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فأعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا على ورددتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل
فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى من صلاتى جالسا * على غير طهر وميا محوقبلتى
فمالى ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاى لا تقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يارب فى وجه صيفتى
وان أنا لم أفعل فانت محكم * بما شئت من نفعى ومن نتف لحيتى

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانه رفت وصلى اعرابى مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان
أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فقال الاعرابى أهلكك الله وحدك أيش كان ذنب الذين معك فقطع القوم
الصلاة من شدة الضحك * وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ما طاب لكم من
النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تغدو وهى هاربة حتى جاءت لاختها فقالت يا أختاه مازال الامام
يأمرهم أن ينكحوا حتى خشيت أن يقعوا على وصلى اعرابى خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين
وكان فى الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين

وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يا مجرم فقال ان الامام اهلك الاولين والآخرين وأراد أن يرثيه لكنى فى الجملة والله لا رأيته بعد اليوم وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه وأنشد يقول

اذا ما خلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلا شك مصاريع فقحته

فمن كان ذا عقل فبعذر نضارطا * ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك فى أنه كلب فقال انظروا ما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فضى الملك هاربا وضمت العلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فأفحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلما وذئبا وحمارا وفرسا فلما غضب على الملك قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح

قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * ووجلى فى عطيته السحابا

أما فى مال ردفك من زكاة * فتدخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الاصمعى ان عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت وزمزم والكعبة والله ان سدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى اعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يردد ها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ لن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يردد ها فقال الاعرابى يا فعيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما ان جاء ليسافر قال له سفيان يا اعرابى ما تحبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالصلاة وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ما صفة الارنب عندكم قالت عصية ينفر فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل دلك على دوائه عينك قال ما أحوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض النعام واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك أجر وصفعتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما طفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حمارى فى حرامه وارجع الى أهلى خائبا

الامير ان لى بك حرمة قال وما هى قال ان أبى جارك بالبصرة قال وما أبوك قال يا مولاى أنى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فرد ادكه على فهو فحك وعفا عنه

(وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر سخط مغضب فقال يا مولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله الكريم

(وقيل) لما قدم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمات أقولهن قال قل قال فأنشأ يقول

زعموا بأن الصقر صاد فى مرة
عصفور برساقه التقدير
فيتكلم العصفور تحت جناحه
والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا تهم لقمة
وأبن شويت فانى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده
كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (وكتب) عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره ان يبعث اليه برأس عماد ابن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلنى فوالله انى لاعول زهاء عشرين امرأة مالهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن فاذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا ابنته فاسمع يا حجاج منى ما أقول ثم قالت

أحجاج اما ان تمن بتركه
علينا واما ان تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به ان قتلته
ثمان وعشر وانتتين وأربعا

أحتاج لاترك عليه بناته

وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة (وحكى) ان رجلا زور رقعة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن انه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع في أن يبذل له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فأطرق الفضل برهة ثم قال للوكيل أتدري لم أبتلك في هذا الوقت قال لا قال جئت لاستهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فامرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى

﴿ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم﴾ ماحكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا ومعناهما أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا ما أقول لك فانه قد يلقاني ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلي ودينار حتى تراه فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد

فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فأدخل به علي فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذي أتى بك أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء في غير أوانه فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميئوسا علي ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى ان قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال ياسيدي ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وهو معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابي المال وانصرف

﴿الفصل الثاني في نوادر القراء والفقهاء﴾ عن محمد بن عبد الله قال كان في دهليز عثمان بن شيبة خرج الينا فقال ن والقلم في أي سورة * ومر بعضهم بقارئ يقرأ ألم غلبت الترك في أدنى الارض فقال له الروم قال له كلهم أعداؤنا فاقتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية في أي سورة الحمد لله لا شريك له فقال له في سورة الحمد فضحكوا عليه * وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد علموا أمونية فسبقتني يدي اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد علموا هريسة فسبقتني يدي اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك * وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل واني توضأت وصليت فبينما أنا في الصلاة اذ أحسست ببلل في سراويلي يلزق فشممته فاذا رائحة كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خربت باجماع المذاهب * وجاء رجل الى فقيه فقال أنا رجل أفسو في ثيابي حتى تفوح رائحتي فهل يجوز لي أن أصلي في ثيابي قال نعم لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك * ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء ان يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أباك محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه ونحف ركبتيه وتتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الاعمش قم فجعلك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه * وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت فجاء صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له اصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال اخشى أن تدركه رقة فيسجد

﴿الفصل الثالث في نوادر القضاة﴾ كان لبعض القضاة بغلة فقصر أيوما في المصحف رمان دابة في الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والازقة وتأكل قشور البطاخ نجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها الى ظاهر المدينة فأحضرهم فطلبوا من القاضي عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شيء نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غني وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضي المثلي يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلم والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وما تروحوا من هذه البغلة بلاشيء جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطيبها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك ورد عاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشيء ولا تدعنا نروح بلاش * تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والهلم جباية الاسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا

ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه * وولى يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضي لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد في الحراقة ومعه أبو يوسف القاضي فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثني على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد م تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثني على القاضي هو القاضي فضحك الرشيد حتى خص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل * وأحضر رجل ولده الى القاضي فقال يا مولانا ان ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلي فأنكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدي أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد اني أقرأ القرآن فقال له القاضي اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي وأنا الآخر أحفظ آية منها وهي

فارحمي مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضي قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به وتقدم اثنان الى أبي عصمة القاضي فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فأنكر فقال للمدعي ألك بينة فقال لي شاهدان فأحضر رجلين شهد انه فقال المدعى عليه سلهما يا سيدي عن صناعتهما فأخبر أحدهما انه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعي عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره * وتحاكم الى الرشيد وزيده الى أبي يوسف القاضي في الغلام وجد والوديع أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لا أحكم على غائب فأمر الرشيد باحضارهما وقد ما بين يدي أبي يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته وأتى بعض الجان لبعض القضاة فقال يا سيدي ان امرأتي حبلى فانا نقول له القاضي طلقها فانا فقال عشقانا قال قودها نا * وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حتى أعرض من هذا النهار فقال له القاضي اسكت يا عدو الله فان الشمس أوضح من النهار فلم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لا جزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها * ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك انى أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطاطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكى) أن تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الامام وأسأله فجاءه اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الأخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لامضين الى القاضي وأخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فأفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فأخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجر نا يهوديا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ

شيأ فأتوني به قال فأخذتم ما وضعنا حتى أتينا الحربات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي جديد واذا بشيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار فقد أقبل فجلس على الكرسي وجعل يبكي ويتعجب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا

وناداي مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزادت تأسفي
عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا
مع أبيات أطالها وردها فلما فضضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين فرزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي وصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم مر به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين زجره وقال له ومن أنت وبماذا استوجبت البراءة منك ما تفعله في خراب دورهم حيث أتوه فيها فقال يا أمير المؤمنين ان للبراءة عندي أيادي خطيرة أفتأذن لي ان أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج الى البراءة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبي وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فرعوت بثوبيات لي كنت قد أعددتها للاستمتاع بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائل عن دور البراءة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب

غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاءه جماعة شهد واعندي انه بلغ فانا امتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا

﴿الفصل الرابع في نوادر النحاة﴾ وقف نحوي على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الارز بالعسل والاخل بالأبقل فقال بالاصغم في الارؤس والاضرط في الاذقن * ووقع نحوي في كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا فقال له النحوي اطلب لي حبلا دقيقا وشدني شدا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا فقال الكناس امر أنه طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أتحاشا قال لان جاءني قتلني فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالأمس فاهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوذج وافلوذج فصاح أبوه تمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي * وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال يا عم رمت رجليه قال لا تظن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تظن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله في بطر عيالك وعيال سيبويه وقطويه ورجشويه * ورد عا بعضهم نحويا فقال ما الذي تشتكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية باليتها كانت العافية

﴿الفصل الخامس في نوادر المعلمين﴾ قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار اوباش فاقول لاحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفسر من بين يدي فأضم الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الضرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم ﴿وحكى﴾ الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا أنا بمعلم وهو يبيع نبيع الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن انه صوت الكلب فيخرج فأمسكه وجاءت امرأة الى المعلم ولدها تشكوه فقال له اما أن تنتهي والا فعلت بامك فقالت يا معلم هذا صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام فعل بها أمام ولدها * وقال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب أن أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لا بد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذني فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جعل يعض أذن نفسه * وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البغال قد رأيت الذي علمت وسوف أكافؤك اذا فرغت من الصلاة ﴿وحكى﴾ عن الجاحظ انه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوى عزمي على تقطيع الكتاب قال فكنت أختلف اليه وأزوره فجئت يوما لأزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجد أحدا فسألت عنه فقيل مات له ميت فخرج

خادمان فطمعت في القوم ووجدت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني لأنها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعد نامائة واحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد قد عذر خداه أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنته عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين مل كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بين والمشايخ وولده والغلام مائة واثني عشر رجلا فخرج الينا مائة واثني عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت أباطهم ويقوم الاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمز لي الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في

من الدار ويحيى يلحظني اذ قال

عليه وجلس فى بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ما تريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقال باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لك فى رسول الله أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى تو فى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وما هو منك قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن انى رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم ترفقال اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه

بردوهو يقول يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى أينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه ما فى الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكاتب وجلست فى الدار فقلت يا هذا انى كنت ألفت كتابا فى نوادر كم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمى على ابقائه وأول ما ابدأ أبدأ بك ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل السادس فى نوادر المتنبئين ﴾ ادعى رجل النبوة فى أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذى يقال عنك قال انى نبى كريم قال فأى شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل اصحاب هذه اللحى مرد افى لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة * وتنبأ انسان فطلبوه بحضرة المأمون ليجعزه فقال طرح لكم حصاة فى الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها فى الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه * وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبى قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ * وتنبأ رجل فى أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقى فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا وانظر حلك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هى حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه على أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هى قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضى يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق * وتنبأ آخر فى زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا فى هذه الساعة قال أمهلنى ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتنى يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ما يخرجه الا فى ثلاثة أشهر فما تصير أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله * وتنبأ آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبى قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبى فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله * وتنبأ آخر فى زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبى قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتى فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمى نصر الله قال فما معجزتك قال أتونى

للخادم اثنى بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بنصب الدنانير والصينية وما كان فى كمى ثم أمرنى بالجلوس فجلست فقال لى عن الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى موسى فأتى به فقال يا بنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدى وأدخلنى الى دار من دوره فأكرمنى غاية الاكرام وأقمت عنده يومى وليلتى فى ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرنى بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمنى غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمنى أخوه ثم لم أزل فى أيدى القوم يتداولوننى عشرة أيام لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الاموات هم أم فى الاحياء فلما كان اليوم الحادى عشر طرحانى فى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لى قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلمت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالى على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فانى مأمور بقضاء جميع ما تأمرونى به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل الى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التى كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة

في دو رهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم
الناس أمن البرامكة أنا أم رجل
غريب اصطفوني فلما جاءتهم البلية
ونزلت بهم من أمير المؤمنين الرشيد
ما نزل بجعفر بن يحيى بن مسعدة
وألزمني في هاتين الضيعتين من
الخراج مالا يفي دخلهما به فلما
تحاملني على الدهر كنت في أواخر
الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم
وأذكر حسن صنيعهم الى
واشكرهم على احسانهم فقال
المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما
أتى به قال له ياعمرو أتعرف هذا
الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو
بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته
في ضيعتيه قال كذا وكذا قال ردله
كل ما استأديته منه في مدته ورفع
له بهما اليكونانه ولعقبه من بعده
قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما
رأى المأمون كثرة بكائه قال له
ياهذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال
يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من
صنائع البرامكة اذ لولم آت
خرباتهم وأندبهم حتى اتصل
خبري بأمير المؤمنين ففعل بي
ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير
المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون
فلقد رأيت المأمون وقد دمعت
عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري
هذا من صنائع البرامكة فعليهم
فابك وايانا هم فاشكر ولهم فأوف
ولاحسانهم فاذكر (ومن ذلك
انه خرج سليمان بن عبد الملك
ومعه يزيد بن المهلب في بعض
جبانات الشام فاذا امرأة جالسة
على قبر تبكي قال سليمان فرفعت
البرقع عن وجهها فحكت شعاعا من
متون غمامة فوقفنا متحيرين ننتظر
اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة
الله هل لك في أمير المؤمنين فنظرت
اليناثم أنشأت تقول

بامرأة عاقر أشكلها تحبل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بربه فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه
زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد انه نبي الله واغا يعطي زوجته من لا يؤمن به فضحك
المتوكل وأطلقه * وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتى به الى خالد
فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا
أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فامر به خالد فضرب عنقه وصلب قريبه خلف بن
خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا عطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك
أن لا تعود * وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتي انى أعلم ما في نفسك قال وما
في نفسي قال في نفسك انى كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فاقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحى
اليك بشيء قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت
في أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال
لا نبي بعدي قالت فهل قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها * وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق
نهاه فلم يقبل فامر السلطان بقتله فصلب قريب صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على
الصاري

﴿ الفصل السابع في نوادر السؤال ﴾ وقف أعرابي بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك
فقال وفتح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا * ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب
الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل باقرنان كنت تصير لعلي حيث أدعوك الى وليمة
وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقالوا له كذبت فقال جرنونى برطلين من الخبز
ورطلين من اللحم * ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل
من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا نجد ه قال فشربة ماء
قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم هنا قوموا فاسألوا فأنتم أحق مني بالسؤال

﴿ الفصل الثامن في نوادر المؤذنين ﴾ قيل لمؤذن ما تسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى أسمع صوتي
من مسيرة ميل وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب ان أسمع أذاني أين
بلغ واختصم رجلان في جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت
الامانة من الناس قالوا كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التي وضعت عندي قيل انها
بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا وسمعه مؤذن حمص يقول في سحور رمضان تسحروا فقد أمركم ونجحوا في
أكلكم قبل أن أؤذن فسبخهم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال
سلوا القاضي فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن
وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه
الصلاة ومر سكران بمؤذن ردي الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال
والله ما بي زدا ما صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

﴿ الفصل التاسع في نوادر النواتية ﴾ حكي أن بعض النواتية تولى أحد الكرامي السلطانية لما ساعده
الزمان فبينما هو جالس في داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته انى أسمع غاغة في البر حسبي فلو عي
واعملي اسفيرتي على جامورى وقدمي الى استقالة الرجل وقيميني بدرقة فامتثلت كلامه فنزل وجلس
على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الحبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل
وثيابه مقطعة وعمامته في حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالي فقال له تعال
يا شيخ مالي أرى ارطمونك في حلقك وشاربك مكسورة وأنت بتزلع ماء مبتغير وتقيم الهلبلة في الساحل
دخل عليك شرد غربي والا دخلت على بواجي فقال الشيخ والله ياسيدي بعض نواتية البحر عمل بي هذا

فقال

فقال يا أولاد جيبوا غرغرو بخنسوا عدته وقشطوا ظهره وجزروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القلس وخرجت فى الشعث حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لولا أنى لم كنت عملتك فى بدراوة وعملتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الوالى علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمرة النواتية والله يا خوند هو كار زنى فى معاشى اجصطن على الوحسة وأنا عايم فى الليل الاوشرد جانى من الشرق كابس هز أطرافى وكسر شابورتى وقطع لبانى وهاهو بحمد الله على بر السلامة وان كان أنصلح فيه شئ فأنا بمرسوم الامير أجيب له القلفاط أسد فتحه وأعيد له وسقه وأخليه يروح فى طريقه فقال له الوالى أنت بتقدف فى وجهى وتطرح مقاديفك حتى تعبر على الحجر يا رجالة الصارى سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شبينة اللبان وازلوا عليه وأوسقوه الجنبين والظهر حتى تلعب اميه على بطونسته هيا قوا مك خلوا جنب براوجنب جوا قدام الحمن وراه الصارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية يا خوند هو خنفست عليه الظلمة البحرية قال مدارتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال يا خوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يسليك بحجر اللبان فى الحلق وأنت حاف فى الصيانى ويكفيك شر الار بعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع بالليان الحلفا عند بخنسة الريح وفروخ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعد البرق فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهد أسقاتلك وأقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله يا خوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت أعبر لهذا الوجه أخنف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الامير احمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله يا عملات على أبوس

﴿ الفصل العاشر فى نوادر جامعة ﴾ * سمعت امرأة فى الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان * وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس * وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلاقص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف * وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها * وسئل جامع الصيد لانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الا أن أمها ذكرت أنها ولدتها فى أيام البراغيث * وقيل لطفيلى أى سورة تحبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وماهم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دارج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك أصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له اتعرف بستان فلان قال أى والله انه لجنة الحاضرة فى الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل بأشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بى أم ستخافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى

وان تسألان عن هوى فانه
يجول بهذا القبر باقتيان
وانى لاستحييه والقرب بيننا
كما كنت استحييه وهو يرانى

ومن ذلك ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم قال ان أحمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه وربا وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يراعاه ويعلمه حتى تهذب وترقى فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فأخذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندى بمكانة ارعاك بها ولكن عادتى انى آخذ العهد على كل أحد اعرفه ان لا يخونني فى شئ فعاهده ثم حكمه فى أمواله وقدمه فى اشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى أحواله متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى أمور يهمه عليه فقال له يوما أحد امض الى الحجرة القلانية فى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من العراشين ممن هم من الامير بمحل قريب فلما رأى أباه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله ان أخون الامير وقد أحسن الى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعد ما أخذ السبحة وخرج من

الحجرة لتلاذكرها للامير فأقامت أياما لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه ونعمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الحائنة العاهرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة وصرف لهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأمرة على أميره لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غضبا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شيء فلما مثل بين يدي الامير وأخذ منه الشراب شرع في التذكير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق

ظن ظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلي فتفكرت الآن في شيء من حديثه وكلامه ففحكت والعهدة يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد اثنتي الساعة به فخرج مسرورا مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلي فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط اذا أنهم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي فقال له بل اجعل لي النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لي ولك الثلثان فاجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فاحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتني أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكني أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلي في نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن في نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر ويفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلي وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذي شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط علي شرطا وانتفت أنا وياه على مصلحة وهو أن ما حصل لي من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولي فيه الثلث وما أجابني الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبي منها واحدة ونصيبه اثنان وقد أخذت نصيبي وبقي نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك الرشيد وأمرهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلي شاكرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والسبعون في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الدعاء وآدابه﴾ قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان اختلف في سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء في رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادي عني فاني قريب وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أي أقبل عبادة من عبدني فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة في الدنيا واما أن يكفر عن الداعي واما أن يدخره له في الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخرها له في الآخرة واما أن يكف عنه من السوء بمثلها وروي أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة فبينما العبد المؤمن في قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو الله في الدنيا بهذا دعاؤك الذي كنت تدعوه فادخرناه لك ﴿واعلم﴾ ان اجابة الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر الا الله وان الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون متجنبا لاكل الحرام ولا بد من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يؤثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق

أركانه قوى وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعا لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الحمداني قال صليت مع أبي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمتنعن أحدكم من الدعاء مما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرني الى يوم يبعثون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما * وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الاخير من الليل لما جاء في الحديث ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئا الا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم مغلظ لا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الاجابة وفي بعض الكتب المنزلة يا عبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا أفشيت سرك فافشه الي فاني وفي واذا اقترضت فاقترض مني فاني ملي * واذا دعوت فادعني فاني حفي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وقال وهب بن منبه بلغني ان موسى مر برجل قائم يبكي ويتضرع طويلا فقال موسى يارب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام * ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا

مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال انا ماض في حاجة الامير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل بها على الامير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه ووجعله في الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمل وقال له ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكر قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير أبو الجيش بتلك الجارية واستقرارها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاها ياها وأمره بقتلها وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه (قلت) ويقرب من ذلك ما حكي ان ملكا من ملوك الفرس يقال له أزدشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان

ذا بأس شديد فوصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وان هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليقتلن بهما أخبث منلة فسار اليه أردشير في جيشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقد اعتد الا فيهت أردشير من رؤيته اياها فقالت له أيها الملك انني ابنة الملك الغلاني ملك المدينة الفلانية وان الملك الذي قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبي وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وانه أسرني في جملة الاسارى وأتى به في هذا القصر فلما رأتني ابنته التي أرسلت تخطبها أحبتني وسألت أباها ان يتركني عندها تأنس بي فتركني لها فكنت أنا وهي كأننا روحان في جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر في البحر الملح عند بعض اقاربه من الملوك فقال أردشير وددت لو اني ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة في الجمال فمالت نفسه اليها فأخذها للتسرى وقال هذه اجنبية من الملك ولا أحنث في يميني بأخذها ثم انه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق انها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت تعلمت أبي وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التي خطبتها منه

يا أبا امحق ما الذي دعوفلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدو كم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع اقتبتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقربالله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله في دعوته من الله عليه باجابته وقال علي رضي الله تعالى عنه ارفعوا أنواع البلايا بالدعاء وعن أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

﴿الفصل الثاني في الادعية وما جاء فيها﴾ كان من دعاء شريح رحمه الله اللهم اني أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهي لك أذل وعليك أذل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة بلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلي ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمني خير ما من عندك لشر ما عندي فان لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات ﴿وحكي﴾ عن معروف القاضي ان الحجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو فخشم قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم اني لا أحسن شيأ من الدعاء فاسألك ما يطلبون منك عامة دعوا فرأى بعض الصالحين في منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعي حدث عبد الملك على كلمة تتكلم بها عند الموت وهي اللهم ان ذنوبي وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني وركب ابراهيم بن أدهم في سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما في كساء فاستوى جالسا وقال أزيتنا قد رتك فأرنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدني في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا تزغنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أرى الى فراشه قال اللهم اني أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضم رأسه وسمعت بدوية تقول في دعائها يا صباح يا مناح يا طعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعني أصف ربي وأمجد الهي بما تحسنه العرب وقال الزمخشري في كتابه ربيع الابرار سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليماني يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابي أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغني أن الله تعالى يقول كيف أرحمه من شيء به أرحمه وقال طاوس بينما أنا في الحجر ذات ليلة اذ دخل علي بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها

في كرب الافرج عني ودعا اعرابي فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت أسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا محاذيق الضعفاء أي دعواتهم ودعا اعرابي فقال اللهم امح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثوري سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقي في السماء فأنزله وان كان في الارض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لي فيه (وقال أبو نواس)

أحببت من شعر بشار وكلمته * بيتا لهجت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلي في منازلنا * وجاور بنا فقد تلك النفس من جار

وكان بشار يعني بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ونعني بها هنا رحمة الله التي وسعت كل شيء وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال علي والذي نفسي بيده لو قلتها وعليك مثل السموات والارض من الذنوب لغفرلك ومن دعائه رضي الله عنه اللهم من وجهي باليسار ولا تبتل جاهي بالاقتار فأسترزق طعام رزقك من غيرك واستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمدهم أعطاني وأفتتن بذم من منعني وأنت من رزاه ذلك كله ولي الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليماني قط الا وجدت جبريل قد سبقني اليه يقول قل يا محمد اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهي من مواقف الخزي وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الحيل يا دائم المعروف رد علي ابني فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراساني اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما امتحنني الذي استعبده بلاء بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهري يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم اني أسألك من خير ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبي الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر فربنا كاب فبلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعي على الكاب آنفا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكاه ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمي وهو يا علي يا عظيم يا حليم يا علیم قال الراوي فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى صربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يا رب يا رب يقول الله عز وجل لبيك عبدي وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن علي بن أبي زفر عن أخيه وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب فنمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهي واذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام

وانني سمعت انك أقسمت لتقتلني فتحملت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا يتهيأ لك قتلي فعظم ذلك على الوزير وشيرا ذفهرته امرأته وتحيلت عليه حتى تخلصت من بين يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه وتيرا على قتلها خشي ان يتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأي هو الذي خطر لك والمصلحة هي التي رأيتها انت وقتل هذه الجارية في هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأي الملك رحمته في يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صور تهاء حومة وحل الملك معها وهي أولى في الستر ولا أرى في قتلها أهون ولا أستر عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيئا في البحر أوهمهم من كان معها انها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على فعله ثم ان الوزير تأول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك اني نظرت مولدي فرأيت أجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس في النجوم وان لي أولادا وعندي مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك ان يقسمه بين أولادي بالسوية فانه ارثي الذي قد ورثته من أبي وليس عندي شيء اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب في عمرك ومالك لك ولا لادك سواه

ومن دعاء الكرب ما روى عن وهب أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم إني أسألك باسمك يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فإن لكل مسئلة منك سماعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن ابن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة إلى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط إليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به في الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتم النعمة حتى تهنيني المعيشة اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة معافى وعن معروف الكرخي قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام برأيهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفي باطن جناحيه مكتوب اللهم إني أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد أدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الاركان كلها أن تكشف عني ضر ما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدي الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطئوا الاجابة فإن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخي ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا في قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفي رضي الله عنه قال وجهني الحجاج بن يوسف في طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عني فأتيت بخيلي ورجلي فإذا هو جالس على باب داره ما دار جليسه فقلت له أجب الامير فقال أي الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أراني أعز الله العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدي الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذي تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدري ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء وقال من دعا به في كل صباح لم يكن لاحد عليه سبيل وقد دعوت به في صباحي هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لاحد ما دمت أنت في الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا في طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلي سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فالتحمين أفواههما ثم إن أنسا رضي الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو (بسم الله الرحمن الرحيم) باسم الله خير الاسماء باسم الله الذي لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافي باسم الله المعافي باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسي وديني باسم الله على أهلي ومالي باسم الله على كل شيء أعطانيه ربي الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربي لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم إني أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شيء قدير اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك

كنت حيا أو ميتا فأحي عليه الوزير إن يجعل الحق عنده وديعة فأخذه الملك ودعه عنده في صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل القمر فلاحظ الوزير جانب الادب في تسميته فرأى أنه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعناه بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوك له حتى شاه بور الى أن اشتهى البلوغ هذا كله وأزد شير ليس له ولد وقد طعن في السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمي وضعفت قوتي وانى أرى اني ميت لا محالة وهذا الملك يأخذ بعدي من قضي له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولي بعده الملك ثم ذكره بامر بنت ملك بحر الأردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندي حية وقد ولدت ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان في الولد روحانية تشهد بابوة الاب وفي الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وانى آتي بهذا الغلام

عن خطيئتي وستركَ علي قبيح عملي أطمعني أن أسألكَ مالا استوجبه منكَ بما قضيته لي أدعوكَ آمنا وأسألكَ مستأنسا لا خائفا ولا وجلا لانكَ أنت المحسن الي وأنا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينكَ تتودد الي بالنعم مع غناكَ عني وأتبغض اليكَ بالمعاصي مع فقري اليكَ فلم أزل مولى كريما أعطف منكَ على عبد لئيم مثلي لكن الثقة بكَ حملتني على الجراءة عليكَ بذنوبي فاسألكَ بجودكَ وكرمكَ واحسانكَ وطولكَ أن تصلي على محمد وآله وأن تفتح لي باب الفرج بطولكَ وتحبس عني باب الهم بقدرتكَ ولا تكلني الى نفسي طرفة عين فأعجز ولا الى الناس فاضيع برحمتكَ يا أرحم الراحمين *وروى الحافظ النسفي باسناده عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول في سجوده اللهم اني أستغفركَ وأتوب اليكَ من مظالم كثيرة لعبادكَ قبلي فأيما عبد من عبادكَ أو أمة من امائكَ كانت له قبلي مظلمة ظلمتها اياه في مال أو بدن أو عرض عليها أو لم أعلمها ولم أستطع أن تحللها فاسألكَ أن ترضيه عني بما شئت وكيف شئت ثم تهب الي من لدنكَ انكَ واسع المغفرة ولديكَ الخير كله يا رب ما تصنع بعذابي ورحمتكَ وسعت كل شيء فتسعني رحمتكَ فاني لا أميز وأسألكَ يا رب أن تكرمني برحمتكَ ولا تهني بذنوبي وما عليكَ أن تعطيني الذي سألتكَ يا رب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسكَ فقد غفر الله لكَ ان هذا دعاء أخي شعيب عليه السلام وقال صالح المري قال لي قائل في منامي اذا أحببت أن يستجاب لكَ فقل اللهم اني أسألكَ بأسمائكَ المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت بها في شيء الا تعرفت الاجابة (وقيل) ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني أسألكَ بالعزة التي لا ترام والملك الذي لا يضام والعين التي لا تنام والنور الذي لا يطفأ وبالوجه الذي لا يبلى وبالديمومية التي لا تفنى وبالحياة التي لا تموت وبالصمدية التي لا تقهر وبالربوبية التي لا تستذل أن تجعل لنا في أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيركَ يا أرحم الراحمين وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد في ليلة مقمرة وظن أني قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلي وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفي يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم اني أسألكَ بأنكَ ملكٌ وأنت على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط في شيء الا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميري قال روينا عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن منجا الفزاري خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي بقراءتي عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد بن الامام أبي محمد ابن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال روينا بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعي الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنهر تيرى فاتانا أهل ذلك المنزل فقالوا النار حولنا فان لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابي وخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما تمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتي أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الي فلما أصبحت رحلت فلقيني شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لي ياهذا انسي أنت أم جني فقلت بل أنا من بني آدم قال فما بالكَ لقد أتيتنا في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفي كل ذلك يحال بيننا وبينكَ بسورة من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في تلك الليلة لص طار ولا سبع ضار ولا عوف في نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا أن لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسي الى قوله وهم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وأنه تعالى جدر بنا الى قوله شطط وازاد البوني الى قوله شهابا رصدا والله

بين عشرين غلاما في سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذو وآبا معروفين خلا أباه وانى أعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديكَ في مجلسكَ هذا وتتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسكَ وروحانيتكَ فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذي قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي فيهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة ان يتقدم ليأخذها الا شاب وزيرفانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذها الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام ما اسمكَ قال شابور فقال له صدقت أنت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا ابنكَ أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فأثبت لكل صبي منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير أيها الملك قد رعت الضرورة في الوقت الى احضار الحق المختوم فأمر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفتح ختمه وقبعه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة صفانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عددا لا من الحكم وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك اردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة ورشدة نصحه فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة

من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعدوامنها الجذام وغير ذلك قال محمد بن على قرأتها على شيخ لنا قد أفلج فأذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البوني هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبي أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له فى العلم قدم راسخ وقد رشاخ وهى على مار وبناء بل مار أبناء أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات * وقال أبو العباس احمد القسطلانى سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي يقول سمعت أبا يزيد القرطبي يقول فى بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداء من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها الأهلى وعملت أعمالا ادخرتها لنفسي وكان ذلك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبي منه شئ فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول ياعم هذه أمي فى النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فألهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت فى نفسي الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر فى نفسي أن قال ياعم هذه أمي أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندي فائدتان امتحاني لصدق الأثر وسلامتي من الشاب وعلى بصدقه * ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول ياشديد المحال ياعزيز أذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفني فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفي رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن على بن الحسين رضي الله تعالى عنه انه كان يقول لولده يابني من أصابته مصيبة فى الدنيا أو أنزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول ياموضع كل شكوى وياسامع كل نجوى وياشاهد كل بلوى ويا منجي موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضي الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك يا مؤنس كل وحيد يا قريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحي ياقيوم يا بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلي على محمد وعلى آله وأن تعطيني كذا وكذا انك على كل شئ قدير * وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البوني قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذاك متى * لابد ان يشرما كان طوى
جودا وأن يعطرما كان خوى * وربما ينشرما كان زوى * وربما قدرما كان لوى
وكل شئ ينتهى الى مدى * والشئ يرجى كشفه اذا انتهى * لطائف الله وان طال المدى
كلمحة الطرف اذا الطرف رمى * كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم مسرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال مارجا * سبحان من نهفو ويعفو دائما
ولم يزل مهما هفا العبد عفا * يعطى الذي يخطى ولا يمنعه * جلاله من العطا الذي الخطا

ومن المنظوم أيضا

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع * يا من يرجى للشدائد كلها
يا من اليه المشتكى والمفزع * يا من خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع

الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شابور بعد موت ابيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرى منزلته حتى توفاه الله تعالى (قلت ومن بديع ماحاه فى المكافأة على الصنيع) ماحكى عن الحسن بن سهل قال كنت عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحد ابن أبي خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يابني ان لابيك مع أبي هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فاذكرنيه أحدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبي أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد الاحول قال نعم يابني لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيرا لا يملك شيأ فاشتد به الامر الى أن قال لى من فى منزلى الا قد كتمناحالنا وزاد ضررنا ولنا ثلاثة أيام ما عندنا شئ نقتاته قال فبكيت يابني لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلي وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدى

مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى أدفع * مالى سوى قرعى لبابك حيلة
فلئن رددت فأى باب أقرع * ومن الذى ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع * ثم الصلاة على النبى وآله
* خير الأنام ومن به يتشفع *

(وقال آخر) ياخالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال فى محكم التنزيل أدعونى
انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى * ياجاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجينى
واطلق سراحى وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم بقرأ ذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال بعضهم يارب مازال لطف منك يشملنى * وقد تجدد لى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما * فمن سوالك لهذا العبد يرحمه

(وقال آخر)

يامن تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد يامن اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
ياحى ياقيوم يا * صمد تنزه عن مضادد أنت الرقيب على العبا * د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد انى دعوتك والهموم * مجيوشها تضوى تطارد
ففرج بحولك كربتى * يامن له حسن العوائد نحفى لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد يسر لنا فرجا قريبا * بالهى لاتباعد
كن راحمى فلقد يئست من الاقارب والاباعد ثم الصلاة على النبى وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخور الر حمن ساجد

(دعاء عظيم مأثور)

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيض يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك يارب العالمين

(وما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض) دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما سألك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق ودعا اعرابى لآخر فقال رحب واديك وعزز ناديك ولا الم بك الم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك * سمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الزهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الاعنة والاسنة ودعا اعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده * وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(وما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) دعا اعرابى على ظالم فقال لا ترك الله لك شفرا ولا طرفا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج اعرابى الى سفر وكانت له امرأة تنكره فأتبعته نواة وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم أتبعته مزودة وقالت رنتك أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص أثرك ودعا اعرابى على آخر فقال أطفأ

فاذا الناس وقوف على دابره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم على وقال كيف حالك فقلت يا أباخالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابنى جوابا فرجعت الى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما تفوه لى مع أبى خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك للامر جليل فكاشفته بسرك وأطلعته على مكنون أمرك فزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد ان كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الحليفة فلما بلغت الباب استقبلنى صاحب أبى خالد فقال لى أين تكون قد أمرنى أبو خالد باحلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآنى دعانى وأمر لى بركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الخياطين فاحضرا فقال لهما ألم تشترا منى غلات السوداء بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال فهو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكما ثم قال لى قم معهما فلما خرجنا قالا لى ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك فى أمر يكون لك فيه الربح الهنى فدخلنا مسجدا فقالا لى انك تحتاج فى هذا الامر الى وكلاء وأمناء وكالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شئ فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائتا ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا

الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا وردعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ دينه فشرب لبنها ورد اعرابى على آخر فقال بعث الله عليه مسنة فاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ورد عارجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

(وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها)

ومادعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين

فليته كان أرض الروم منزله * وليتنى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الاحزاب اللهم أكل سلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم فى البلاد تمزيق الريح للجراد ورد عارجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك البسوء احاطة القلائد بتراقب الولائد ثم أرسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا رب بيتك وغرفتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك اللهى ان ظلمة ظلمنا النفوس قد عملت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم اللهى ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضنا لعذابك ولكن سولت لنا نفوسنا وأعانتنا شقوتنا وغرنا ستر لك علينا وأطعنا فى عفوك برك بنا فالآن من عذابك من يفتدنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبالك عنا واخجلتنا غدا من الوقوف بين يديك وافتضحتنا ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت اللهى ان كنا عصيناك بجهل فقد رددنا ذلك بعقل حيث علمنا أن لا مار بنا يغفر ولا يبالى اللهى أنحرق وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذى دللنا عليك وأمرنا بالحشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا العزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل﴾

اعلم ان كل ما يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا قطن بعوضة ولا تسقط ورقة لا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجرى شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما أن ما فى علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شئ فبتقدير وان اتفق شئ فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور ليس الطريق فى تحصيله أنه يغلق بابه عليه ويفوض أمره اليه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع فى طلبه على الوجه الذى شرعه الله فيه وقد ظاهر النبى صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويهىء الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم واسترق وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذى أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فهو برىء من التوكل قلنا أليس قد قال أعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية أو الكى وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله

تزيد انى وأنا لا أرضى الى أن قال لى ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور ربا خالد قال لا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعاهما وقال لهما هل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فاقضياه المال الساعة ثم قال لى أصلح أمرك وتهيأ قد قلدتك العمل فاصلحت شأنى وقلدنى ما وعدنى به فما زلت فى زيادة حتى صار أمرى الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بنى لما تقول فى ابن مروان فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حتى أعصى ربى وحب عليك قتله فقال والله ما ولدنى ما أجد له مكافأة غير أن أعزل نفسى وأوليه ففعل ذلك وهكذا تكون المكافأة ﴿ومن ذلك ما حكى عن العباس صاحب شرطة المأمون﴾ قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى ياعباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وكر به الى غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معى فى بيتى فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لى معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالى

وقد أمرنا بالكسب والتسبب ألا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب الى فيها وأنشد وافي ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شيء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر في باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل ارزاقها اليها في أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما أرجح مما في الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضر بوا فيه مثلا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا في قرية يفسد فيها ويضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما قوتهما في كل يوم احتسابا بالله تعالى فلم يزالا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فأجمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا في ذلك على الله واثقا بأن تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولأمر الله كارها قال الغزالي أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى ام أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال عبد الله ابن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو في بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا بحية في فيها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدي الى هذا * وعن عبد الله الهروي قال كلمني الفضيل بن عياض على جمل أبي قبيس فقال لو ان رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن * وفي الامر اثيليات ان رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء لبعض رجال من المتمولين فسأله في ذلك وقال له تحمل علي بدينك الى أن أسافر الى البلد الفلاني فان لي مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بيني وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فأنا ما أعطيك مالي الا أن تجعل لي كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد علي أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن أدفع المال الرجل فأخذه ومضى الى البلد الذي ذكره فلما قرب الاجل الذي بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر في البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها في خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم اني جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر علي وجود مركب وعزمت على طرحها في البحر وتوكلت عليك في ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها في البحر بيده وأقام في البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سرت الالف دينار في خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الي والله نعم التكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بيني وبينك بقيت أتردد الى البحر لأجد أو أجد من يخبرني عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الي ولم أر لها طالبا فأخذتها الغلام ليحملها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فأخبرني بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذي النون المصري رحمه الله تعالى انه رأى طيرا أعمى

تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفي فما زلت أعدو أمامهم حتى فهتم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل الرجال معهم يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ما ههنا فصاحت بهم المرأة وزجرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجلها وأفرد لي مكانا في داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد أحوالي فأقمت عنده أربعة أشهر في أرغد عيش وأهنأه الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لي في الخروج حتى أتفقد حال غلماني فلعلي أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لي علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت علي هذه المدة

ولك على عهد الله انى لا أنسى لك
هذا الفضل ولا فينك مهما
استطعت قال فدعا غلامانه أسود
وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم
جهز آلة السفر فقلت فى نفسى
أظن أنه يريد أن يخرج الى
ضيعة له أو ناحية من النواحى
فاقاموا يومهم ذلك فى كد
وتعب فلما كان يوم خروج القافلة
جاءنى فى السحر وقال لى يا فلان
قم فان القافلة تخرج الساعة
وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى
كيف أصنع وليس معى ما أتزود به
ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا
هو رامر أته يحملان بقجة من الحر
الملابس وخفين جديدين وآلة
السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة
فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا
فحمل عليه صندوقين وفوقهما
فرش ورفع الى نحو قامتى فى الصندوقين
وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى
الفرس الذى كان جهزه وقال
اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك
ويسوس مركوبك وأقبل هو
وامرأته يعتذران الى من التقصير
فى أمرى وركب معى يشيعنى
وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع
خيره لا فى بعهدى له فى مجازاته
ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين
فلم أتفرغ ان أرسل اليه من يكشف
خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع
الرجل الحديث قال لقد أمكنك
الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على
فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة
عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت
وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل
وانما الضرر الذى أنا فيه غير عليك
حالى وما كنت تعرفنى ثم لم يزل
يذكر لى تفاصيل الاسباب حتى
أثبت معرفته فلما تمالكت ان قمت
وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى آل

بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما
ذهب والأخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها تمر فلقط التمر وشرب الماء ثم غاب بعد ذلك فذهل ذو
النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة
الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة فى بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل
عن سوق الصاغة فوجد دكانا لمعلم السلطنة تحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة
ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصانع الغريب الى أن بقى من أحد الصناع الذين فى
دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكان فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوى
عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب
مرصعة بفصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له
الحمها فأخذها المعلم وقد ان ضرب عليه فى عملها فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له
أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على
احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع
الغريب شدة ما نال المعلم قال فى نفسه هذا وقت المروءة أعملها ولا أؤاخذه بحيلة على وعدم انصافه ولعله
يحسن الى بعد ذلك فحط يده فى درج المعلم وأخذ هاوفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها
جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها
وأدعى المعلم انها صنعته فأحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقى الصانع رجوعا فأتته
مما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده على الدرهمين شيأ فما مضت الا أيام قلائل واذا الملك
اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد عليه فى
تحسين الصنعة وسرعة العمل فجاء الى الصانع وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى
أن عمل الزوجين وهو لا يزيده شيأ على الدرهمين فى كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى
المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش فى باطن أحدهما هذه
الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفى * ان لم تكفنى فعنى * خرجت أطلب رزقى * وجدت رزقى تونى
فلا برزقى أحظى * ولا بصنعة كفنى * كم جاهل فى الثريا * وعالم تحت فنى

قال وعزم الصانع على انه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ما عنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب
توصله الى الملك ثم انفهما فى قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة وما سبق له
فى القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك فى انهما صنعته فخلع عليه
وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع ومازاده فى آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم
الثانى خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التى عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما فى يديها فأخذهما
ليعيد نظره فيهما وفى حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب
فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما
سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم آراه النقش وقال ان لم تصدقنى الحق
لأضربن عنقك فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما
جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضا عنه فى الخدمة
ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضى عن
المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء فى الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

(وقال

(وقال آخر) ماسلم الله هو السالم * ليس كما يزعمه الزاعم
تجرى المقادير التي قدرت * وانف من لا يرتضي راغم

﴿وقال كعب بن زهير﴾

لو كنت أعجب من شئ لأعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ماعاش ممدود له أمل * لا ينتهي دونه حتى ينتهي العمر

روى في الاسرائيليات أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مر بغرس منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يانبي الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الغرس ليصيد فيه وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له يا طائر ألست أنت القائل كذا وكذا آنفا فقال يانبي الله اذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين * ويروى أن رجلا قال لبرزجمهر تعال نتناظر في القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محرورا فعلمت أن التدبير ليس للعباد * ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد في التخوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحمة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشد وافي ذلك

واذا أخشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

(وقال آخر) أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديها
وقال أخاف عادية الليالي * على نفسي وان ألقى رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

(ولما) قتل كسرى برزجمهر وجد في منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طبا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت لكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهم في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انه كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته أياما ففي بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فأنفلت في بعض الطرق وتراءى في بئر والمدينة اذ ذاك مسرداب يسرداب يمشي الماشي فيه فلما طال الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة فقطع منها فاذا البئر في دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر القهار من القضاء الغالب كالمنقلب في يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا اتقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر
لا تلت خيرا ان بقيـ * ـت ولا عدا ني الدهر شر
ان كنت أعلم أن غيـ * ـر الله ينفع أو يضر

﴿الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار﴾

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون * ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده

بك الى ما أرى فقال ها جت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيام لك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى أمير المؤمنين وأمر بي عنده عظيم وخطي لديه جسيم وهو قاتلي لا محالة وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من غلماني من ينصرف الى أهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لي ان ترسل من يحضره لي حتى أوصيه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لي بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا في الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم أرسل من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة ومن الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرط خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم وخطبي جسيم وان أنت احتجبت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرادوا قتلي فقال لي اتبع ينفسك ودعني أدبر أمري فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجبت الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا فان أنا سلمت في غداة

عُدْ أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقى بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد فقال الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصرت في مكان أتق به وتفرغ العباس لنفسه وتحفظ وجهزله كفنا فقال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم فقلت فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرني فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال لله علي عهد لئن ذكرت أنه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك وما تريد ان تفعله في أمري فقال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انني أريد ان أوفي له وأكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين اما ان يصفح عني فأكون قد وافيت وكافأت واما ان يقتلني فأديته بنفسي وقد تحفظت وهما كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد به الا غير هلا عرفتني خبره فكأنما كافئته عندك ولا تقصر في وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته قال العباس

وفتح باب الرجاء فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * وروى في الصحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فاني أتوب الى الله تعالى في اليوم مائة مرة * وروى أحمد بن عبد الرحمن السلماني قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثاني أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أو قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع الى المكان الذي ضللتها فيه وأموت فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخاري وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها ناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قول نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكي) أن نهبان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشتري تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا

اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه بما شاء ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ما شاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء وكان قتادة رضي الله تعالى عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار وأما داؤكم فالذنوب وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه واسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم اني أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم أوف لك وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل للملائكته وبحق ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فأغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرني فاغفر له لا هو يترك الذنب من مخافتي ولا ييأس من مغفرتي أشهدكم يا ملائكتي اني قد غفرت له وقال بشر الحافي بلغني أن العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرني فلا تكتبوها والا فاكتبوها (نكتة) قيل انقطع الغيث عن بني اسرائيل في زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدي صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجري على خدودهم ثلاثة أيام فلم تطرهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعوني أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ما ترى من الفاقة والحاجة والذل فأوحى الله تعالى اليه يا موسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبي وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى يا موسى لست بهتاك ولا نمام ولكن يا موسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فأجود بانعامي عليكم فنادى منادي موسى في بني اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا صوتهم بالبكاء فأوحى الله تعالى الى موسى ان بني اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقلوبهم الهناجثناك من أو زارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين * أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين علي ولقد أحسن من قال

أسيء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيولينى براو نهالا
فحتى متى أجفوه وهو يبرني * وأبعد عنه وهو يبدل ايصالا
وكم مرات قد زغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

فاتيت اليه وقلت له لينزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه منه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم بسر وجهاز وجمها وعشرة بغال لآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة جمالي بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به والاطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي ياعباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه) ما أورده محمد ابن القاسم الانباري رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار هو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها واشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال الفادرهم حبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني وأطلقت رأس البغلة حتى عبر الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة

وهذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا الباب والله أعلم بالصواب

﴿الباب الثمانون فيما جاء في ذكر الامراض والعلل والطب والدواء وما جاء في السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الامراض والعلل وما جاء في ذلك من الاجر والثواب﴾ روى عن عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يا رسول الله قال أتحبون أن تكونوا كالحمير الصولة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذي بعثني بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الا حط الله من خطاياه كما تحط الشجر ورقها وكان يقول لا تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية الصفاة وقيل ان الناس قد حموا في فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى زائد الموت ومحن الله في الارض وقطعة من النار فاذا وجد تم ذلك فبردوها بالماء في الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال عليه الصلاة والسلام لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهبلي كنه معرفته ولم يبق مني جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثوري يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء في مرضه ما تشتهي قال ما ترك خوف جهنم في قلبي موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ في ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابي في مرضه ما تشتهي قال الجنة فقيل أفلا تدعو لك طبيبا قال طبيبي هو الذي أمرضني

﴿الفصل الثاني من هذا الباب في ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والعلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة﴾

قيل تسار رأبخر وأصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدري انه قال في أذني وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة وردها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت أميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسار رأبو الاسود الدؤلي سليمان ابن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فسر سليمان أنفه بكمه فعير أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر في البخر والكلب من بينها طيب الفم وليس في البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

يا حبذا والرحمن ان فاكا * أهلكني فولني قفاكا * اذا غدوت فاتخذ مسواكا
من عرفط ان لم تجد اراكا * لا تقربني بالذي سواكا * اني أراك ماضغا خراكا

وفي ديوان المنثور كم من ذي عرج في درج المعالي عرج وكم من صحيح قدم ليس له في الخير قدم وقيل ان من الصمم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشي وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمر بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله أبرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمر ومه ان البرص

الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بامي يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال ايالك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك بشيء فقلت قل قال الا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلني به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لابي فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الى فقلت له يا هذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار متعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاءه فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشيء أطرف من هذه فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فأعجبه ذلك وأمر لي بألفي دينار فأحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينا قلت خمسون ألفا فأحضر ثني ساعة وقال امض الى منزلك فضيت الى منزلي فاذا أنا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ علي الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في أمرك فقلت بقضي دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد

مما تتفاخر به العرب اما سمعت قول سهل حيث قال

أيشتمني زيد بأن كنت أبرصا * وكل كريم لا أبالك أبرص

(وقال) كفى حزنا اني أعاشر معشرا * يخوضون في بعض الحديث وأمسك

وماذاك من هي ولا من جهالة * ولكنه ما في للصوت مسلك

فان سد مني السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

(ومما جاء في العمى) ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن الحرث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل اعرابي يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة في ذلك فقال له والله اني ليعجبني طعامك وتريبني عينك قال فما يريبك من عيني قال أعور وأرالك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت في فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال علي كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو علي البصير

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي * ويقتادني في السير اذ أنا راكب

لقد يستضيء القوم بي في وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

(وقال) اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تسطر في الكتب

غدرت بشمير وجد عليهم * ومحبرتي سمعي وهل دفتري قلبي

(وقال) ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وسمعي منهما نور

فهمي ذكي وقلبي غير ذي غفل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

(وقال) عزاء لك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب

وكنت كريمتي ومراح وجهي * وكانت لي بك الدنيا تطيب

على الدنيا السلام فما الشيخ * ضرير العين في الدنيا نصيب

يموت المرء هو يعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب

اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فأرسل الى امرأة كان يهواها شعرا أنشدته قول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبي * بنظرة منك تشفيه من الرمد

ان تكحلي بك عيناه فلا رمدت * على ربيعة يحثي آخر الابد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن الفالج سيدنا ادريس عليه الصلاة والسلام وأكثر ما يعتري المتوسطين من الناس لان الشباب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج بن عثمان وكان معاوية الوق وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم ومن فلج ابن أبي داود قاضي قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة فضرب المثل بفالجه قال الشاعر في رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبي داود

وشحة عبد الحميد كانت مثلا في الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم وكان بارعا في الحسن والجمال فزاد ته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يحفظن في وجوههن شحة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بني أمية وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول ان من ولدي رجلا بوجهه أثر في جبهته قال أصبغ الله لكبر هذا أشج بني أمية يملأ الارض عدلا وقال أعور

أمرتك بخمسين ألفا أخرى
قال فقبضتها وانصرفت فجاءني الاعمى فدفعت اليه الالفي دينار وقلت له قدر رزق الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأني على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالي فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ومن ذلك ما حكاه القاضي يحيى ابن أكثم) رحمه الله تعالى عليه قال دخلت يوما على الخليفة هارون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف قائل هذا البيت الخير أبقى وان طال الزمان به

والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرني عن قضيته هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة الحقت أولها آخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بثمانين جماع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالني أمره وبقيت لا أهتدي الى ما أصنع في أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يحسر أحد من القوم ان يقرب به فقلت أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فحللتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة تسيب

في الرمل ومضى وتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحيناثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد القافلة حسا ولا قدار تحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم اهتد الى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب فاذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه
ماعنده من ذي رشاد يصحبه
دونك هذا البكر مناتركبه
وبكرك الميمون حقا تجتنبه
حتى اذا ما الليل غاب غيهبه
عند الصباح في الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عند ذي وبكرى الى جانبي فأنخته وركبته وجنبت بكرى فلما مرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقفت البكر فعلمت انه قد حان نزولي فتحولت الى بكرى وقلت يا أيها البكر قد أنجيت من كرب

ومن هموم تضل المدلج الهادى
ألا تخبرني بالله خالقنا
من الذى جاء بالمعروف في الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغتنا منا
بوركت من ذي سنام رائح غادى

فالتفت البكر الى وهو يقول

أنا الشجاع الذى ألفيتني رمضا
والله يكشف ضرا لحائر الصادى
لجدت بالماء لما ضن حامله
تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا أمن به
فاذهب حمدار عاك الخالق الهادي.

لابي الاسود ما الشيء ونصف الشيء ولا شيء فقال أما الشيء فالبصر كانوا وأما لا شيء فلا عمى وأما نصف الشيء فأنت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

﴿الفصل الثالث من هذا الباب في التداوي من الامراض والطب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوا فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا انزل دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة تجنبت لمن يحتمي من الطعام خوف الداء ولا يحتمي من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضي من الطبيب والله ميتي أراد عافاني ولا حاجة لي بطبيبكم وأنشد

فأصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكنني أدعوك يا منزل القطر

﴿وعاد الفرزدق مريضا فقال﴾

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذي أبلاك بالداء
فهو الطبيب الذي يرجى لعافيته * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال اني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألح عليه أهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لا خته اد في اليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي يكان حاذقا في الطب فأتوه بماءته في القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا يا لحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو راهب قد فتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافي فانه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا ومن أعلمك قال المأخوذ مني عندي هتف بي هاتف وقال يا بشر بركة سائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة * وقيل الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الأوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوي ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلاك المداري والمداوى ولذى * جلب الدواء وباعه والمشتري

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب وعرقوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطيبات وهن من أجمل النساس فأحبوا أن يرين حكموا سائ أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا اجريح مريض فهل من طبيب فحرجت صغراهن وهي كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله في مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفي من ريائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولا هل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عود وا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يعسل مما تيل اليه شهوته ولا ينهمل عليه ويقول ترك كاما نحمه لنستغني عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أي الكنف وقيل كفى بالمرء عارا ان يكون صريع ما كله وقتيل أنامله

فكم أكلة أكلت نفس حر * وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام أثمر الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوي عليهم السلام انه كان اذا أصابته

علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما ورد فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنيء المرئ يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والجماعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقالوا لا تتكلح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام علي رضي الله عنه

توقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر الطعام
وفرغ على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تشكح طواعن سنهم * فان لها ما كسم الاراقم
وفي كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر في المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفي الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أم مغيث وهي وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين وفي نهى عن الحجامة في نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مرو ان فوجد غالب أهل المسجد يشكو من السعال فقال في آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر في عين أرمد وايالك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تغسلها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت في محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء ياني الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد ووصف امن الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة في العينين والضربان في الاذنين والقولنج في البطن فعليك أيها الانسان بالطريقة لوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الهم المفرط يميت القلب ويجمد الدم في العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون في يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا في الطب فانت جالينوس في معرفته أو في النجوم فانت هو مس في صناعته أو في الفقه فانت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في علمه أو في السخاء فانت حاتم في كرمه أو في الحديث فانت أبو ذر في صدق لهجته أو في الوفاء فانت السموأل بن عاديا في وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على أن الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر وقيل الشرب في آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ما بي قارورة ولكنه ما بي ميت وأنت حي تكلمني فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع في رأسه فاحضر الطبيب فامره أن يضع قدميه في الماء الحار وكان عنده خصي فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصية يلك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فاحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فارسل اليه قلنسوة وكتب له بلغني صداعك فضعها على رأسك يزل ما بك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع (موعظة) حكي أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الاندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى البئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلادة الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدلها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل اكرمته وخدمته ولا تجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال

فزال مابه فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن وغير ساكن جمعتي لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال علي رضي الله تعالى عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار في الشتاء بارد في الصيف وقال أيضا رضي الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضي الله عنه ان لم يكن في شيء شفاء ففي شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرني بجوامع الطب فقال لا تتمكح الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمري ما فيه ولا تأوي الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة في اقبالها وذرها في ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية وعده انه اذا لازمها لا يمرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا حاممت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك في كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا في أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيطيء الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفطك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
ما من فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى ما يكره

وقال أبو الفيض القضاعي يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن * مثله لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء في العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة في ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطالب الدية وفي رواية ومعزي الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس في العيادة مرض بكر بن عبد الله المزني فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنده فعال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لا حظ لهم دعوا له وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك به له من الخطايا ومتعك بأنس العافية وأعمك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

يا خوانك الادنين لا بل كل ما * شكوت الى اليوم من الم الورد
فكل امرء منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدي

(وقال آخر)

بي السوء والمكروه لا بك * كلما أرادك كانبي وكان لك الاجر

(وقال عبد الله بن مصعب)

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض كلبكم فاعود

فسمي بعد ذلك عائد الكلاب * وعاد مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه بعض المرضى فقال

عادني مالك فلست أبالي * بعد من عادني ومن لم يعدني

(وقال علي بن الجهم)

أراقد الليل مسرورا عدمت اذا * عيشي واحمد يرعى ابله وصبا
الله يعلم أني قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

(وقال آخر)

اذا مرضتم أتينا كم نعودكم * وتذنبون فما أتيكم نعتذر

وقال

ياقوم اعلموا أن الجارية التي رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له ياسيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريدك اثنا عشر الفا فلا تفضحنا وأياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال ياقوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت مني عرى الولاية وطويت أعلام الهداية ثم از بكى بكاء شديدا وقال ياقوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتحيرنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وأغلقت الرباطات والزوايا والخوانق وحلق الناس حزن عظيم فأقاموا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها اذا قام في الخطبة

(قال آخر) أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والحرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

(وعلى الثانى قول بعضهم)

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين

لا تبرمن عليلا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحسرتين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

﴿الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر (وأحواله)﴾

(روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته واعمقوا له فى قبره وجنبوه جارا السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لابى ذر رضى الله عنه تذكر بها الآخرة ولا تزهد بها لليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاص رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كلفتنى رهقا ولا أصعدتنى زلقا ولا جرعتنى علقما فلم أستطل حياتك ولم أستبطئ وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لأهله مهدوا لى فراشا واسندونى وأوسعوا رأسى دهانا ثم اكحلوا عينى بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عند أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى * وذكر أبو العباس الشيبانى قال وفد على أبى دلف عشرة من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى أصيب بها ثم أفاق فقال لحاجبه بشرنى قلبى بحدثنى ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله أنا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت ان تجبر كسيرا وتغنى فقيرا لا يهلك قطميرا فافعل فقال لحاجبه خذ بيدى واجلسنى ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض منى ألف دينار فقالوا فيمتنا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لحاجبه على بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لحاجبه

فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا ياشيخ ماذاك وماذا وماهذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخوانى ليس لى من الامر شئ سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد ان كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل ودادى من صده وابعاده والحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يامولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى ونادى ياشبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى بأعلى صوته بك المستغاث وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بجلالك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دوت منها الجبال قال الشبلى فظننت ان القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا فقال الشبلى فقلت له هل لك ان ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد ان كنت أرعى القلوب فقلت ياشيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا الآيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يؤمن بالله فيأته من مكرم ان الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلى فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا به أمامنا قد تطو

يا بشراد أنا مت فادرج هذه الرقاع فى كفنى فاد القيت محمد اصلى الله عليه وسلم فى القيامة كانت حجة لى أنى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الالف دينارا شيأ حتى يصل الى موضعه قال فأخذناها وعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجد وابردة مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الحولانى عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكى لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدرى الى أين أهبط والى أى مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت والى لم أستعد بعد فقال له يا داود أين جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال أما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام (وفى الخبر) من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان بعد وفى الصحراء والبرارى من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك * وقيل بينما حسان جالس وفى حجره صبى يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبى فمات فقال

اهل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يا مغرور فى مهلى
يرجو الحياة صحيح رب ما كنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملـ (ولما) احتضر عمرو بن العاص دعا بغل وقيد وقال البسونى اياها فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصيناك ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداى لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثم مات رهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه * (ولما) احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يعز بظهر المجلود * وسمع أبو الدرداء رجلا فى جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكثير عزة فى يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما فى زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقى فى المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما) احتضر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فقبض روحى الساعة * وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

﴿حكى﴾ أن شابا تقيا من بنى اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان فى مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبى الله انى خفت من هذا الرجل فرأيت أن تذهب بى الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أتعجب أنى أمرت بقبض روح الشاب الذى كان عندك بأرض الهند وخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا الذى تعجبى فقال له سليمان انه لما زال لخاف وانزعج وطلب منى أن تحمله الريح الى الهند فأمرتها فحملته وفى ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه فى ذلك البلد

وقيل

من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم اعطونى ثوبا طاهرا فاعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى ركعتين فقلنا له الحمد لله الذى ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما ولينتم من عندى سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاى أنا المذنب الجانى فعفيا عنى بجودك وستره غطانى فقلنا له بالله نسألك هل كان لحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسى ما قدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى ليس هذا منك ولو بشئ عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبى فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلى ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا ثم لما ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده فى بعض الايام بعد صلاة الصبح اذ بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التى تركتها بالمرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك الى ههنا وقالت يا سيدى لما وليت من قريتنا جاءنى من

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة تحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النغشة الاخيرة والله أعلم * وقيل ان الرشيد مات له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أما ترى ما بليت به ما أحببت أحدا الا مات فقال يا أمير المؤمنين أحيني فقال ويحك ان الحب ليس هو شيء يصنعه انما هو شيء يقع في القلب تسوءه الاسباب فقال قل أنا أحيك قال نعم أنا أحيك قال لحكم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون ابن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني أن قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان ابن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى مالا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ ابن رفاعة الزرقي قال أخبرني رجل من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتزله العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أوضاحكا كزك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فاني لن فيك نهمة أقطعها دونك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا رضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كرا ما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد منت وان عاقبت فبما ظلمت الا أني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم ادشهق شهقة بعد أن أتمهى عليه ثم أفاق وقال مرحبا بالحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشرونني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما) احتضر عبد الملك بن مروان قال لابنه الوليد اذا أنا مت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة لو كعاء لكن ائتزر وتمعر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عند كما دامة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيه أعيتكما ثم رفع كنار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت عينه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفدت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبرات والعيون سواكب * ومستخبرعنا يريد بنا الردى

أخبرني بك فمت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شمعتا وهو يقول ان أحببت ان تكوني من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت ومادينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قلت كيف لي بالوصول اليه قال اغمضي عينيك وأعطيني يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطيء دجلة فقال امضي الى تلك الزاوية وأقرئي الشيخ مني السلام وقولي له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى تحمل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومعها ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمه الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اه (فليتأمل) العاقل في ذلك ولا يرله فضلا على أحد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطي من يشاء ويمنع فالكل منه واليه (موعظة) قيل عشش ورشان في شجرة دار رجل فلما هممت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ

وقال محمد بن هرون كأني باخواني على جنب حفرتي * يهيلون فوق والعيون دما تجري
فيا أيها المذري على دموعه * ستعرض في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني انزل القبر ثاويا * ازار فلا أدري وأجفى فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حاله ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره صالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمد نا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الصبر﴾ قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فأحدث استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا الصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن توانع لغني سأله مال يده أحبط الله ثلثي عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي نعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اوجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى أنه لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والنذب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضي الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ اني أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سواني وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء من عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا مات انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومني وعن عطاء بن رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كم أتى النعماء سبعين عاما فلا نصبر على الضراء مثلها فما لبث الا يسيرا أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه * وقيل ان معاوية رضي الله تعالى عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال لي ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه

ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما خرج الورشان أخذ أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام وقال يا رسول الله أردت أن يكون لي ولد يذكرون الله تعالى من بعدي فأخذها الرجل بامر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل ان يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا في الحافقين اه وكان الحسن بن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شيء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شيء أعطاه خملا وخرج ابرة وخيطا فرقعهما ثوب السائل (وحكي) انه جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فلما هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته ان السائل كان زوجها وكرت له قصتهما مع ذلك السائل الذي انتهرته زوجها الاول فقال لها انا والله ذلك السائل (ومما وقفت

لا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يا بني سدوس كلا كما * بتقوى الذي أعطا كثيرا كما لما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلا كما

(وقال) أياصاحبي ان رمت أن تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

(وقال آخر) هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة وأنا تابعة له في الصبر فأقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا رازئة على القضاء فيك (ولما) مات ذر الهمداني جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا في مثله ولما وضعه في حفرته قال رحمك الله يا بني وجعل أجرى فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بي بارا وإلى ناقعا وكنت لك صحابا وما بي اليك من وحشة وما بي الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لغيبت ما صرت اليه فليت شعري ما ذا قلت وما ذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لي من الاجر الى ذر صلة مني له فلا تحرمني ولا تعرفه قبيحا تجاوز عنه فانك رحيم بي وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لي فهب له اساءته اليك فانك أجود مني وأكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لي عليه حقا فرنته بحقك فقلت اشكر لي ولوالديك الى المصير اللهم اني قد غفرت له ما قصر فيه من حقي فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفي الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدي عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتي أني بنيت له بيتا في الجنة وسميته بيت الحمد * وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه دفن ابنه وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغي للعبد أن يتفكر في ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى في المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين

﴿ الفصل الثاني من هذا الباب في التعازي والتأسي ﴾ روى الترمذي في كتاب السنن للبيهقي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره ورويناه في كتاب الترمذي أيضا بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة ورويناه في سنن ابن ماجه والبيهقي باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة ﴿ واعلم ﴾ ان التعزية هي التصبير وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أيضا داخلة في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهي من أحسن ما يستدل

عليه) ما حكي ان بعضهم قال دخلت البادية فاذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت قومي
وأنت لشأتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها
فمن أنبأك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء
فلا أدبا يفيد ولا أديب

(قيل) مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقيل ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانيه يقطع سارق السر

(ومن ذلك ما حكي) ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم احتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين خلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلك من رائحة فوه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع اليه الكتاب وقال له امض به

به فى التعزية وثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه * واعلم أن التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا فى صورتين وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى أن يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفى الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عددا روى أن النبى صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يا رسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يا رسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يا فلان أيما كان أحب اليك أن تتمتع به عمرك أو لا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته قد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يا رسول الله سبقنى الى باب الجنة أحب الى من التمتع به فى دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رحمهما الله أن الشافعى قد بلغه أن عبد الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول يا أخى عزنفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور ورحمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر فمهلك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فربى مجوسى وقال ينبغى للعاقل أن يفعل اليوم ما ينفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الملك الذى لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه مستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها الوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان اذا عزى امرأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا أنا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون * وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول .

تعزأ أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو والصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد مات ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يا روى من المكرمات
أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخى والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الامر وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه

الى فلان واثنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوى ما تقول فهل يربح من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك أبى دينار فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما أردت افعل فقال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت للناس عنى انى أبخر فقال يا أمير المؤمنين أنا أتحدث بما ليس لى به علم انما كان ذلك مكرا منه وحسدا وعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه ثم اتخذ البدوى وزيرا وزاح الوزير بحسده انتهى (وحكى) ان معاوية ابن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه لما مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه بعض بنى هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمى فدخل عليه ثم قال متمثلا يقول أبى ذؤيب الهذلى من قصيدة يرثى بها أولاده ماتوا بالطاعون وتجلدى للشامتين أريهم
أنى لريب الدهر لا أتضعضع

اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا فمحمول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن أخاطب مولاي معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمي الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سيرشائرة وسنة ماضية غابره وقدر الله هو المقدر وأجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوي فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاي أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فبمولاي يقتدى في الصبر على النوائب وبنوره يهتدى في مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاي من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يحده كما أحب فقال يا بني سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف * ومات لبعض ملوك كندة ابنه فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ في تعزيته فهي له فدخل عليه اعرابي وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان لعلي بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه علي بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابني كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمد رسول الله والثانية شفاعة جدي صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التي وسعت كل شيء فأين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاه ابن حيوة ان في كبدي حمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر انتظارا لرجاء الله المستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا ان رفت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم انه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابي هذا فاجمعي أهل بلدك وأعدي لهم طعاما ووكلي بالابواب من يمنع من أصابته مصيبة في أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها في نفسه * ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فأما خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد رضي عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر * ومن جزع على ولده جعفر بن علية لما قتله الحرث قام نساء الحي يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين أيديها وقال لها ابكين معي على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تبعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه * وقال يحيى ابن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجدد الحزن والتهنئة بعد سنة تجدد الفرح * ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف * قيل عزا بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

أصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حبانا
لارزاه أصبح في الايام تعرفه * كمارزئت ولاعقبى كعقبانا

(وقال آخر) لابد من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من خالد

(وقال آخر) تبصر فلو أن البكاء رد هالكا * على أحد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فاجابه الهاشمي على الفور من القصيدة المذكورة بعينها واذا الثنية أشبت أظفارها

ألفيت كل تميمة لا تنفع

(ومما يشاكل ذلك) ماحكاه لي سيدي ومولاي عمدة العلماء الاعلام وتتيجة قضايا الايام الفخام الشيخ عبد الغني افندي الرافعي حفظه الله تعالى انه حكى له عبد الله افندي ابن قاضي الموصل ان بعض علماء بغداد وفد على دار الخليفة العلية في أيام السلطان سليم بن السلطان عثمان خان ونزل في دار صاحب المشيخة العظمى اذ ذاك فاتفق انه ان رأى السلطان سليما في الطائف بين أسكي دار واسلامبول فرقائق الشيخ بالقرب من قائق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سمات أهل العلم أحب ان يداعبه فقال عند مارآه

فيم اقتحامك لج البحر ترتكبه * وأنت تكفيك منه مصة الوشل

(فأجابه على الفور من القصيدة)

أريد بسطة كف أستعين بها

على قضاء حقوق للعلا قبلي

فعند ذلك سأله عن مكانه فاخبره انه نزيل شيخ الاسلام ثم مركل منهما بقائقه وبعد أيام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام وسأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم أمره ان يسأله عن مراده فسأله من غير أن يعلمه ان ذلك عن أمر الملك فقال بغيتي القرية الفلانية في محل كذا ان أقطعنيها كفتني ولا أريد سواها فاخبر الملك بذلك فأقطعه القرية وعاد وقد ربحت تجارته ببضاعة أدبه (ومن هذا القبيل) ماوقع في عصرنا لعوض بيك الاسعرد رحمه الله تعالى انه حين بدا تغيير ابراهيم باشا مر عسكر الدولة المصرية على بكوات عكا وكان

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل * فان غاب بدر فالنجوم طوالع
ثوابت لا يقضي لهن أفول * يغار بها في ظلمة الليل حائر * ويسري عليها بالرفاق دليل

(ودخل) عبد الملك بن صالح على الرشيد وقدمات له ولد وولده في تلك الليلة ولد فقال مرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما مرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على أعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بأبيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشتي وأزور رمسي ولولا كثرة الباكين حولي
على أمواتهم لقتلت نفسي * وما يبكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتأسي

(وقال آخر) ولولا الامن ما عشت في الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاو بني مثلي
(وقال آخر) وهون وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه
(وقال آخر) وما يؤدينى الى الصبر والعزا * تردد فكري في عموم المصائب

﴿الفصل الثالث في المراثي﴾ لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة * منها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لموته * والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عندك ما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

(وقال آخر)

فقدت أرضنا هنالك نبيا * كان يغدوه النبات زكيا * خلقا عاليا ودينا كريما
وصراطا يهدى الانام سويا * ومراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا
حازما عالما حليما كريما * عائذا بالنسوال براتقيا * ان يوما أتى عليك ليوم
كورت شمسه وكان خليا * فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبت ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول * وأسعدني البكاء وذاك فيما
أصيب المسلمون به قليل * لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وفجعت أرضنا بما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل * فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرائيل * وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يحلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول * وبهدينا فلا نخشى ملاما
علينا والرسول لنا دليل * أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي فهو السبيل
فغيرأبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

(ولما) مات أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه رثاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بهذه الابيات

جالسا على دكان في سوق العطارين من طرابلس الشام وكان أحد أمراء الالايات جالسا على دكان يقابله فكتب له أمير الالاي يهدده ضمنا بقول عنترة من قصيدة وأرسل يقول له انظر خطي وهو لي النفوس ولطيرا للحوم ولي

وحش العظام وللخيالة السلب

فأجابه بقوله من القصيدة بعينها وأرسل يقول له انظر خط من أحسن ان كنت تعلم يا نعمان ان يدي

قصيرة عنك فالاحوال تنقلب

(وكتب العلامة زين الدين بن الوردي) الى قاضي القضاة الكمال البارزي وقد كان عزله من منصب القضاء وولى أخاه

حملتني وأخي تبارح البلا
وتركتنا ضدين مختلفين
يا حي عالم عصرنا وزماننا
ألك التصرف في دم الاخوين

فأجابه بقوله

أبا عمر ان جرعن مثل هذا
فاحمد بالولاية مطمئنا
فان بك فيك معرفة وعدل
فاحمد فيه معرفة ووزن

(قال صاحب التاج والطريف) وأذكر لك هنا حكاية لطيفة فيها لفظ أمرع من كلام الخطيب أبي محمد أغرب فيه وابدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكر له اني أوزن الشعر فأخبرني بكلام هذا نصه أدام الله عزك ان بيني وبينك ماشددت عليه من بعد ذلك راحتي وبحق ذا كم علينا فاعلموا من ودأمرع والحمد لله وقال لي أخرج من هذا الكلام ببيتين تامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الاول حرف العين من بعده وآخره أمرع فقال أحسنت انتهى (وذكر ابن خلكان في تاريخه) انه كان بين الملك العادل نور الدين وبين أبي الحسن سنان

حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام * لاتذكرين العيش بعدهم فالعيش بعدهم حرام * ان رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود ما لي أراكما * تبددتما لقاء عز بذل مؤبد * وما بال ركن المجد أمسى مهدما

فقالا أصبنا بابن يحيى محمد * فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد

فقالا أقمنا كي نعزي بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

(وقال آخر) ولا أرتجي في الموت بعدك طائلا * ولا أتقي للدهر بعدك من خطب

(وفي المعنى لبعضهم) لقد أمنت نفسي المصائب بعده * فأصبحت منها آمنان أروعا

فما أتقي للدهر بعدك نكبة * ولا أرتجي للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمي عبدالله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح

وما كنت أدري ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح

وأصبح في لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح

سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغض * فحسبك مني ما تكن الجوانح

وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح

لئن حسنت فيك المراثي بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

(وقال آخر) الى الله أشكو لا الى الناس انني * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب

أخلاي لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

﴿وقال العباس بن الاحنف﴾

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر

فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

﴿وقال آخر يرثي صديقه﴾

خليلي ما أزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا * خليلي لو نفس فدت نفس ميت

فديتك مسرورا وابنفسي وماليا * وقد كنت أرجوان تعيش وان أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا

ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كل حذاريا

(أخذها بعضهم فقال) كنت السواد لمقلتي * يبكي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

﴿وقال آخر يرثي بعض أولاده﴾

وقاسمني دهري بني مشاطرا * فلم تقتضي شطر معاد في شطري * ألا ليت أمي لم تلدني وليتني

سبقتك اذ كنا الى غاية نجري * وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه للنساء اخبرني بافضل بيت قلته في أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

لابي المحاسن الشواء في صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم أنسه وبنو الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا

والثلج قد غطى الرباط كأنها * من حزنها لبست عليه بياضا

(وقال آخر) وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا

صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه ويتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبيانا منها

ياذا الذي بقراع السيف هددني * لا قام مصرع حتى حين تصرعه

قام الحمام الى البازي يهددة

واستيقظت لاسود البر أضبعه * وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ما هدد نابه من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل وبعوضة تعض في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهي نجيبة طويلة غريبة

﴿قال صاحب التالد والطريف﴾

أنشدت بعض الاخوان الظرفاء بيتي ذي القرنين بن حمدان الحمداني وهما

اني لأحسد لا في أسطر الصحف * اذا رأيت اعتناق اللام للالف

وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من شدة الشغف

فلما سمعهما قال وقد وقع لي في هذين البيتين حكاية لطيفة غريبة ظريفة وهي اني كنت أحب غلاما لطيفا أديبا ظريفا فكتبت له صورة لام ألف لا وقصدت بها ما قاله الشاعر في البيتين فكتب لي ا مفترقين هكذا وقصد أذيتي بها وأرسلها الى كأنه يقول لا أملكك من عنا قي أبدا فكتبت له لفظ لام هكذا وأردت مقلوب ذلك فكتب لامتصلة هكذا وأرسلها الي فعلمت بذلك رضاه وتعجبت من فهمه وحذقه فلما اجتمعنا عتب علي وقال عيبت الامر علي وأنعبتني قلت مثلك يصلح للمنادمة والمجالسة اه

وليس نسيم المسك ياخنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

﴿وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك﴾

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها عندما عزت الى الصدف

(وقال آخر) وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بأبي وأمي وجهك المقبور
وأرى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور
فالناس كلهم لفقدك واحد * في كل بيت رنة وزفير
عجبا لاربع أذرع في خمسة * في جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفي ولده في يوم عيد فقال

لبس الرجال جديد هم في عيدهم * ولبست حزن أبي الحسين جديدا * أيسر في عيد ولم أرى وجهه
فيه ألابعدا لذلك عيدا * فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقا ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الحرون مودة وعهودا * مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش
من بعده ذا لوعة مكمودا * ما أم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم يجمع وطافت حوله * فيبيت مكلوءا بهام رصودا * مني بأوجع اذ رأيت نواظرا
لابي الحسين وقد لطمن خدودا * ولقد عدمت أبا الحسين جلادتي * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا * والمن بقيت وما هلكت فان لي
أجلا وان لم أحصه معدودا * لاموت لي الا الاجل المقضي * فهناك لا أتجاوز المحدودا
حزني عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا * ماهد ركني بالسنين واغا
أصبحت بعدك بالامي مهدودا * ياليت أني لم أكن لك والدا * وكذاك أنت لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقي الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا * من ذم جفنا باخلا بدموعه
فعليك جفني لم يزل محمودا * فلانظمن مراثيا مشهورة * تنسي الانام كثيرا ولبيدا

وجميع من نظم القريض مفارق * ولداله أوصاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصري

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أسائل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكي رحمه الله تعالى يرثي فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذي الالباب اذ فقد الشهاب * امام قد حوى من كل علم
كنوزا نحوها يسعى الركاب * ليبكي كل ذي علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * ثناها وهي عاصية صعاب * فسلطان البلاغ بغير شك
شهاب الدين ما فيه ارتياب * سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

(وقال الصدفي) ياغائبا في الثرى تسلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كأس الموت واحدة * في كل يوم أذوق الموت ألوانا

﴿وقال محمد بن عبد الله العتبي يرثي ابنا له﴾

أفحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثي بنتا له فقال

عجبا للنون كيف أنتما * وتخطت عبد الحميد أخا كا

(قلت) وهذه الحكاية تشبه أن تكون عن أبي زيد الشروجي أو من باب التجريد (قلت) ومثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل

يا من اذا قرأ الانجيل ظل به * قلب الحريف عن الاسلام منحرفا
اني رأيتك في نومي تعانقني * كما تعانق لام الكاتب الالفا

وقولي من قصيدة

ان تتأمن يعاني فيك كل عنا * فحسبه صوب دمع للنوى وكفا
بالحب صيرت لا ما قامتي أترى * يوما تعانق من أعطاك لا الالفا

(وما أرى قول بعضهم في المعنى)

حكت قامتي لا ما وقامة مزيتي * حكت ألفا للوصل قلت مسائلا
اذا اجتمعت لا مي مع الالف التي * حكتك قواما أما يصير فعالا

﴿ذكر ابن خلكان في تاريخه﴾ انه اجتمع الامام أبو بكر محمد بن الامام داود الظاهري وأبو العباس ابن شريح في مجلس الوزير الجراح فتناظرا فقال له ابن شريح أنت الذي تقول من كثرت لحظاته دامت حسراته أنا أعسر منك بالكلام فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فاني أقول أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي أن تنال المحرما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فما الحر الا من رأى حبا محتما

فقال له ابن شريح ولم تفتخر علي ولو شئت أنا أيضا قلت

ومسامر بالغنج من لحظاته * قد رمت أمنعه لذيذ سناته
فنعا بحسن حديثه وغنائه * وأكرر اللحظات في وجناته

شملتنا مصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذا كا

(وله يرثي الامير بليغا) ألا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفزعا
وما عجبي الا امن بات واثقا * بأيام دهر ماوعى حق بليغا

(وقال آخر) الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

(وقال رجل يرثي صديقا له توفي وكان من الكرماء)

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

﴿ولبعض الكتاب في ابن مقلة﴾

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدي يرثي معن بن زائدة رحمه الله تعالى

هلما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضاقت حتى تصدعا
فتى عاش في معروفه بعد موته * أناس لهم بالبر قد كان أوسعا
ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(وقال آخر) عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

(وقال آخر) فديتك لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

(وقالت ريطة بنت عاصم)

وقفت فأبكتني ديار عشيرتي * على رزئهن الباكيات الحوامر
غدوا كسيوف الهند وراد حومة * من الموت أعيار وردهن المصادر
فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن محمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عمه ادريس بمحمد وكانا في حبسه وكان أبوه قائما يصلي فقال له محمد أو جزفا أو جز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من يومنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدي الله تعالى فكان ذلك فالا على المنصور ولم يعد ذلك اليوم راحة، وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيأ الا رأيته يقصر عنه وأنا أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها﴾

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم أنك ما وتيت من القليل الا القليل ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل حياة قليلة تفني بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عباس لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة

حتى اذا ما الصبح لاح هوده
ولى بخاتم ربه وبرانه
فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقوم شاهدي عدل أنه ولى بخاتم ربه فقال أبو العباس ابن شريح بلزمني من ذلك ما يلزمك في قولك

أزف في روض المحاسن معلني
وأمنع نفسي ان تنال المحرما
فضحك الوزير وقال جمعتما لطفا وظرفا وفهما وعلما اه ﴿وذكر أبو بكر الخطيب﴾ انه كان في مدينة بغداد محلة تسمى باب الطاق كان بها سوق الطيور يرتزق منه من عمر عليه أمر أطلق طيرا فتيسر أمره فمر عبد الله بن طاهر وقد طال مكثه في بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر ذلك السوق فرأى قرية تنوح فأمر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها في ذلك السوق وأنشد يقول

ناحت مطوقة بباب الطاق
فجرت سوابق دمعي المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما
كانت تغرد في فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فأصبحت
بعد الاراك تنوح في الاسواق
فجعت بأفراخ فأسبل دمعها
ان الدموع تبوح بالاشواق
تعس الفراق وبت حبل مقيمة
وسقا من سم الاساود ساقي
ماذا أراد بقصد قرية
لم تدر ما بغداد في الآفاق
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي
من فك أسرك أن يحل وثاقي
قيل انه في ثاني يوم أطلق ورجع الى بلاده (وحكى عن خالد الكاتب) انه قال جاءني يوما رسول ابراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد

خزفا يبقى لوجب علينا أن نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه الصلاة والسلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها فعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فورب لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا بحافيرها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى الى وادمن أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهي اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هي صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها في الدنيا فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت ياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط في جنبه فبكى عمر رضي الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقد ا ريح الجنة غشي عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوي من السماء الى القلوب فلا تسكن في قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم عدو وحسد أخ وحب شرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي يا علي أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضل بن عياض انه قال جعل الخير كله في بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وجعل الشر كله في بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فروان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

اغما الرزق الذي تطلبه * يشبه الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

(وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال)

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان في علم الحقائق راقي
تخبط واشكالا بغير وفاق * تجيء وتمضي بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقي

(وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك)

ما أنعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافيه * وكل من عوفي في جسمه
فانه في عيشة راضيه * والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفي رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

غاص فيها فاستحلني وقال أنشدني
من أجود شعرك فأنشدته
رأت منه عيني منظرين كما رأت
من الشمس والبدر المنير على الارض
عشية حياني بورد كأنه
خدود أضيفت بعضهن الى بعض
ونازعني كاسا كأن حبابها
دموعي لما صد عن مقلتي نمضي
وراع فكل الراح في حركاته
كفعل نسيم الريح في الغصن الغض
فزحف حتى صار في ثلثي الفراش
وقال بافتي شبهوا الخد ود بالورد
وأنت شبهت الورد بالخدود فزدني
فأنشدته
عاتبت نفسي في هوا
ك فلم أجدها تقبل
وأطعت داعيها اليـ
ـك ولم أطع من يعذل
لا والذي جعل الوجو
ه بحسن وجهك يمثل
لا قلت ان الصبر عنـ
ـك من الصبابة أجمل
فزحف حتى انحدر من الفراش
واستخف طربا ثم قال لحامده كم
معك للفقيه قال ثمانمائة وخمسون
درهما فقال له اقسمها بيني وبين
خالد فدفع له نصفها وانصرف

(لطيفة) جاز بعض اللطفاء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله عنده وأجلسه في المكان منفردا ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما اضربا له عليهما وغنيا وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقي الضيف والجاريتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام رائحة كتب في مكان الشيخ هذين البيتين

يا دعوة كانت علينا دعوة
عز الطعام بها وغيض الماء

ياواقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم * لو تنزلون بشعبنا لعرفتمو
أن المفرط فى التزود نادم * لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا فى خفرة * حيث الخدم واحد والخادم

(وقال آخر) عن قليل أصيركوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

(وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر)

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبى يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

(وقال شرف الدين بن أسد)

يا من تملك ملكا لا بقاء له * حملت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة بقى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال فى الكرى زارا

(وقال بعضهم) وغاية عدى الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

(وقال غيره) حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(وقال آخر) فان كنت لا تدرى متى الموت فاعلمن * بانك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى المتكلم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور الدساكر أين الذين أعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف أين الذين أمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله ففنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا لانشدوا

هيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد * كأنى لم أكن لهم وحبيبا
ولا كانوا الاحبة فى السواد * فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأدموا بالسلام على البعاد

وقالوا الآخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين

سودا وصفرا كلما غضبن لى
لعبت بى السوداء والصفراء
(يحكى) ان شهاب الدين الخفاجى المصرى شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخى زاده فكتب له الشهاب بقوله
اذا شرب الدخان فلا تلمنا
وجد بالعفو يا روض الامانى
تريد مهذبا لا عيب فيه
وهل عود يفوح بلا دخان
(فأجابه شيخى أفندى بقوله)
اذا شرب الدخان فلا تلمنى
على لوحى لابناء الزمان
أريد مهذبا من غير ذنب
كريح المسك فاح بلا دخان

﴿وحكى﴾ عن شرف الدين بن الشريحى أنه اجتمع هو وشهاب الدين فى ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق ان قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فأمره الناصر بالاشارة أن يصفع شهاب الدين فلما صفعه أمسك التلعفرى بذقن شرف الدين وأنشد مرتجلا وقد نهبه

قد صفعنا ذا المحل الشريف
وهوان كان يرتضى تشريفى
فاربث للعبد من مصيف طباع
يا ربيع الندى والاخريفى

فانقلب المجلس ضحكا (وروى) أن ابن القطان الشاعر البغدادى دخل ذات يوم على الوزير الرضى وعنده الحيص بيص الشاعر المشهور فقال ابن القطان قد نظمت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير هاتهما فانشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله
فما شفانى منه الضم والقبل
ما زار فى قط الا كى يوافقنى
على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص

ومادرى أن نومى حيلة نصبت
لطيفة حين أعيا اليقظة الحيل
(ومما يشاكل ذلك) ما اتفق للوزير القوصى وقد أنشد ابن المرصص بيتين بين يديه نظمهما فى جارية حسناء كاملة المعانى والاوصاف وزعم أنه لا ثالث لهما وهما

تبدت فهذا البدر منكسف بها
وحقك مثلى فى دجى الليل حائر
وماست فشق الغصن غيظا لقامه
ألست ترى أوراقه تتناثر

فاطرق الوزير يسيرا وقال

وفاحت فألقى العود فى النار نفسه
كذا نقلت عنه الحديث المجامر

وقالت فغار الدر واصفر لونه
كذلك ما زالت تغار الضرائر

وكان فى المجلس النواجى الشاعر فأنشد ارتجالا

وغنت فظل الجند يطرق نفسه
وجادت لها بالروح منها المزامر

ومن لحظها الهندى فى نحره اختفى
وظبى الفلا فى لفتة وهو نافر

ومن وجنتيها الورد راح بخجلة
ألست تراه أحمر وهو فاتر

ومن ريقها الصهبا شكت نار شوقها
فاطفأها بالماء ساق مسامر

﴿ذكر من شاكر الكتبى﴾

فى تاريخه فى ترجمة شمس الدين بن عفيف الدين التلمسانى أن جماعة من أهل الادب اجتمعوا يوما عليلا وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما ملبحا الى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده

أرسلتما لى رسولا فى رسالته
جلوا لمراشف والاعطاف والهيف
وقد تمادى بسيرا ذاك أنكما
أوقدتما النار فى أحشاء ذى دنف

فلما حضر والده شمس الدين وأخبره

لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة. وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة. وروى ان أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لأبى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى (ومن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور وكان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين مرير قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينا أنا راكب فرمى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرمى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرمى فسمعت النداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرمى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت وهيهات جاءك النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شىء من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشأم قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شىء من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينما أنا قاعد على باب البحر اذ جاء فى رجل قاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت فى البستان أياما كثيرة فاذا انا دم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان بخادم ما نظرته فقعد فى مجلسه ثم قال يا ناطورنا فأجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فعمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة. قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد و يحفظ البستان بين ويعمل فى الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندى فقال اعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله يا سيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى * وروى ان داود عليه الصلاة والسلام بينما هو يسيح فى الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى * وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مر وابزرع قد أفرك فقالوا يا نبى الله ائتنا بطعام فأوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون و يأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتها من أبى وجدى فبأذن من تأكلون يا هؤلاء فقال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا فعرف الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة

اليك يا نبي الله اني لم أعرفك زرعي ومالي حلال لك فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

في جوف قبرك ثم اني * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقال عبد الله بن المعتز)

نسير الى الآجال في كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أرمثل الموت حتى كأنه * اذا ماتخطته الامانى باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

(وقال) عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجعلتني واياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك ان تعاد لني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس الى فجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لي ان يغسل لي فراشا من حرير ومخدة بتوريد نثير ففعل فاني لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأرجعته ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

يا خل ان لك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتي هاربا الى ربي كما ترى ثم أنشأ يقول

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وانه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من المقلين الاجلة مكتوبا بالقلم المسندي فترجم بالعربي فاذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهي هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عزمعقلهم * فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد ما أكل قد أكلوا

روى ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب في بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشتري به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فابطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأى

بالقضية كتب الى ولده

مولاي كيف انثني عنك الرسول ولم
تكن لوردة خديه بقة تطف
جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة
فكيف ردت بلا ثغب الى الصدف

(ومما نقلته من التاريخ المذكور) ان علية بنت المهدي العباسية أخت أمير المؤمنين هرون الرشيد كانت من أحسن خلق الله وجها وأظرف النساء وأعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى ابن عيسى العباسي وكان الرشيد يبالغ في اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها الى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها في خادمين اسم الواحد طل والآخر رشاء فمن قولها في طل ومحفت اسمه

أيا سروة البستان طال تشوقي
فهل لي الى ظل لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضي حروجه
وليس لمن يهوى اليه وصول

فبلغ الرشيد ذلك فحلف انها لا تذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما وجدها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل فقالت فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعد هذا حرا ديرين وكانت من أعف الناس كانت اذا طهرت لازمت المحراب وان لم تكن طاهرة غنت وما خرج الرشيد الى الري أخذها معه فلما وصل الى المرج نظمت قولها

الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلاهما ثم مر اعلى وجوههما حتى أتيا على ظمإ ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحدا منها فجاءه فدكاه وأكل منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مر اعلى وجوههما حتى جا آقرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فأنطق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أرالـ هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمر اعلى وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه الصلاة والسلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كان الا اثنين فمر اعلى وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة وادا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة اكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رأها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نهم واحدة لى و واحدة لك و واحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عليه الصلاة والسلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فرثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نهم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلا ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهم مصرعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سمأبن نواس خدمت عيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاخلاق الجفاة يستزلوننى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهديان ويثر أس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون انه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت اعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرسهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال مالم يجمعه أحد قبلى ولم أستطع أن أفتدى به من الموت اذ نزل بى وبروى فى الامر الليلة أن عيسى عليه الصلاة والسلام بناها وفى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا لحلم الناس فمن سمع صوتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه

الابيات
هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم
(وقيل فى المعنى) بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا فى جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب
(وفيه) أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

﴿وحكى﴾ ان رجلين تنازعا فى أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى آناء فاستعملت

ومغرب بالمرج يبكى لشجوه
وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما أناب الركب فى نحو أرضه
تشوق يستسقى براتجة الركب
وغنت بهما فلما سمعن لرشيد الصوت
علم أنها قد اشتاقت الى العراق
وأهلها فامر بردها ومن شعرها
انى كثرت عليه فى زيارته
قل والشىء مألول اذا كثرا
ورابنى منه أنى لا أزال أرى
فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا
انتهى ﴿لطيفة﴾ يحكى أن
عبد الملك بن مروان جمع عمر بن
أبى ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة
وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم
وقال ينشد كل واحد منكم بيتا فى
الغزل فأيكم كان أبدع فهى له بما
عليها فقال جميل
ولو أن راقى الموت يرقى جنازتى
بمنطقها فى العالمين حييت
وقال كثير
وسعى الى بعيب عزة نسوة
جعل الاله خدودهن نعالها
وقال عمر بن أبى ربيعة
فليت الثريا فى المنام تجيبنى
لدى الجنة الحمراء أو فى جهنم
فقال له عبد الملك خذها يا صاحب جهنم والثريا هى بنت على بن عبد الله الاموية تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فقال فيه عمر أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت
وسهيل اذا استقل يمانى
وكان يتشبب بذكرها كثيرا (وحكى)
أنها واعدته يوما فجاءت فى الوقت
الذى وعدته به فصادفت أباه
الحرث قد نام مكانه فلم يثعر الحرث الا
والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه
وجعل يقول أعزبى عنى فلست

ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فاخذني طواب وعملني لبنا وأنا في هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان في هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله سبحانه وتعالى أعلم (وروى) أن ملكا بنى قصرا وقال انظر وا ان كان فيه عيب فأصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وما هما قال يموت الملك و يخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا * وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شيء رآه في الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شيء رأيته اني مررت بمدينة ثم أرعلى وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هي خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التي ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا أعالي بيوتها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها و باعث من خلق منها بعد رده اليها (ولبعضهم)

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا * كم قد وقفت بها أسائل أهلها
عن حالها مترحما ومشفقا * فأجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

(ولبعضهم)

أيها الربع الذي قد درثرا * كان عينا ثم أمحى أثرا * أين سكانك ماذا فعلوا
خبرونا عنهم سقيت المطرا * فلقد نادى منادي دارهم * رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت أو كالحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب * ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل تام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان في ظل الارائك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(ووجد مكتوبا على قصر بادأهله)

هذي منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس مالهم خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما وصفها بأبلغ من قوله

بالفاسق أخزاك الله فانصرفت فلما جاء عمر أخبره الحرث بذلك فاغتم لفوتها وقال له أيم الله لا تملك أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحرث عليك وعليها العنة الله ومات عمر بعد أن تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة ويقال انه تغزل أربعين سنة وتنسك أربعين سنة رحمه الله تعالى ﴿(روى)﴾ أنه عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطلب بها البائع مبلغا جليلا فقال الرشيد أنا أعرض عليها بيتا ان أجابت عنه أعطيتك ما تقول وزدتك والتفت اليها وقال ماذا تقولين فيمن شفه أرق
من أجل حبل حتى صار حيرانا
فقالت بديها
اذا رأينا محبا قد أضر به
أمر الصبابة أولينا له احسانا
فأعجبه جوابها واشتراها ﴿ومن اللطائف﴾ ماحكي عن الشيخ يحيى المالحي انه لما قدم دمشق الشام وقرأ في الجامع الاموي نظر الى غلام بديع الجمال فوقع حبه في قلبه فأفتن به فسأل عنه فأخبر عن أبيه وكان ممن يتردد الى الشيخ فاجتمع معه وقال له لا تحضر ولدك يتعلم عندي العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا أقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندي يكون محصلا للفضيلتين فأجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيى فاجلسه بجانبه وأطال القراءة في ذلك اليوم أكثر من الايام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيى رقعة وقال ادفعها الى شيخك فلما حضر قال له ما أبطأك عن الحضور فأخبره بالقصة ودفع له

وما الناس الا هالك وان هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وروى) ان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه آخرا لا ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا نعم مشى فاذا هو بقبور فجاءها حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى ولله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿الباب الرابع والثمانون فيما جاء في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الأبواب وبه يختم الكتاب﴾

﴿ولنذكر أربعين حديثا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم﴾

(الحديث الاول) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ في السموات ولا في الارض الا صلى عليه

(الحديث الثاني) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام

(الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلي على نبيك

(الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألفا لم يعذبه الله بالنار

(الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات

(الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهي ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا

(الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة

(الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة

(الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن في قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية

(الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في يوم مائة مرة قضيت له في ذلك اليوم مائة حاجة

الحديث

الرقعة فاذا فيها يا جاعلا علم الحساب وسيلة تصطاد فيه فاتن الالباب ان كنت في علم الحساب رزقته فالله يرزقنا بغير حساب فكتب له على ظهر الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها فأخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيى فاذا فيها الهوت به ظنبا غرر امهمها ومذ صارت نسا بعته للسالمي (ومما نقلته) أن أحد أمراء العرب كان عنده جماعة من أجلاء العرب فقام صاحب المنزل الى الطهارة وعاد وهو قابض بيده على شئ من تحت ثوبه كهيئة المستجمر من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال من يأخذ الذي بيدي الى زوجته فأطرق القوم خجلا فقام رجل منهم وقال دعوني أولي به يا أمير العرب فأطلق الامير يده وقال هو لك خذه واذا بعقد مجوهر في يده فبهت القوم وحسدوا الرجل فقال الامير للرجل ما أجرأك على ذلك قال ثقتي انه لا يظهر منك الا الكمال فدفع له ألف دينار ﴿ذكر ابن خلكان﴾ في تاريخه في ترجمة يحيى بن أكثم ما نصه رأيت في بعض الجاميع أنه أي يحيى بن أكثم مازاح الحسن ابن وهب وهو يومئذ صبي ثم جشه فغضب الحسن فأنشد يحيى

أيا قمرا أجشته فتغضبا
وأصبح لي من تيهه متحجما
اذا كنت للتحميش والعض كارها
فكن أبدا يا سيدي متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة
وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مشتاقا وترقين ناسكا
وتترك قاضي المسلمين معذبا

﴿قال صاحب التالد والطريف﴾ أنشد الشيخ أبو اسحق الشيرازي امام الشافعية لنفسه

(الحديث الحادى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى مجلسا أكثركم على صلاة
(الحديث الثانى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته
(الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل عليه السلام وقال لى يارسول الله لا يصلى عليك أحد الا ويصلى عليه سبعون ألفا من الملائكة
(الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة على لا يرد
(الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلى على
(الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة
(الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى الصلاة على أخطأ طريق الجنة
(الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فى الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى أهل بيتى
(الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه
(الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بى أكثرهم على صلاة
(الحديث الحادى والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه مالم يندرس اسمى من ذلك الكتاب
(الحديث الثانى والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى الصلاة على من أمتى فاستغفر لهم
(الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فأنا برىء منه
(الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق فقالوا يارسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمى ولم يصلوا على
(الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فأقول ردوه الى الميزان فأضع له شيأ كالانملة معى فى ميزانه وهو الصلاة على فرجح ميزانه وينادى سعد فلان
(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مجلس ولم يصل على فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه
(الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبرى ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلى على أحد الى يوم القيامة الا بلغنى اسمه وقال يارسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك
(الحديث الثامن والعشرون) عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح
(الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فاكثر الصلاة على النبى الامى صلى الله عليه وسلم
(الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكاه

جاء الربيع وحسن ورده
ومضى الشتاء ورقم برده
فاشرب على وجه الحبيب
ب ووجنتيه وحسن خده

قال ابن السمعانى قال لى المظفر شعيب بن الحسين القاضى أنشدنى الشيخ أبو اسحق الشيرازى هذين البيتين لنفسه ثم بعد مدة كنت جالسا عند الشيخ فذكر بين يديه ان هذين البيتين أنشدا عند القاضى عين الدولة حاكم صور بلد على ساحل بحر الروم فقال لغلامه أحضر ذلك الشأن يريد الشراب فقد أفتانا به الامام أبو اسحق فبكى الشيخ ودعا على نفسه وقال ليتنى لم أقل هذين البيتين ثم قال لى كيف نردها من أفواه الناس فقلت ياسيدى هيهات قد سارت بهما الركبان أورد ذلك ابن النجار فى تاريخه واسمه محمد ويلقب بمحب الدين انتهى ﴿لطيفة﴾ حكى الصفدى رحمه الله بالوفى بالوفيات ان أبا الحسين الجزار رحمه الله تعالى سأله طلبته يوما التنزه فقال له ياسيدى أنت أجد بشراء اللحم منا فتقدم الجزار وأطلعه من مكانه ووقف هو وأخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقال له ياسيدى هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا له يا ولادى لما وقفت خلف القرمة أدركنى لؤم الجزارين ﴿قصد﴾ ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمع له بشئ فانصرف مغضبا فتوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم
بحمالذال وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد
نصفا وباقيه لحش يهودى

فالحس أنت له وذاك بمسجد

كم بين موضع مسلم وسجود
(وله هجاه فى خالد)

أبوك لنا غيث نعيش بوبله
وأنت جراد لست تبقى ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا
وأنت تعفى دائما ذلك الاثر

*(ولما قتل) * جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوبه الهوى وقد بلغه والله انى قلت ولست وان أطنبت فى وصف جعفر

بأول انسان خرى فى ثيابه
فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه (ودخل) أبو دلامة على المهدى وعنده اسمعيل بن على وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله ان لم تهج واحدا منهم فى هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير فى أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رشاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من أن أهجو نفسى فقلت

ألا بلغ لديك أبا دلامة
فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما
كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

اذا لبس العمامة قلت قرد
وخنزير اذا نزع العمامه

ففحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وكان) لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معيرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى
أنقذنى اليوم من الجوالى
من كل شهواء كشن بالى
لاتدفع الضيم عن العيال

حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أخته ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الحادى والثلاثون) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود

(الحديث الثانى والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

(الحديث الثالث والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة

(الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم

(الحديث الخامس والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على

(الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى نبيا نبيا عنا محمدا عاملها وأهلها فقد أتعب كاتبيه

(الحديث السابع والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنت

(الحديث الثامن والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يصلى على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه

(الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى منزلا يوم القيامة أكثركم على صلاة

(الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميرى رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مر به أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة على فانه من صلى على فى كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه وحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله وأعين على عدوه ورعى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه فى الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذى أنزل عليه فى محكم الكتاب العزيز تعظيمه له وتوقيرا يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشرا المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى آدم البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم اعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة فى الارض ويا عيسى اذكر نعمتى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما نزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبى حسبك الله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبى اذا طلقتم النساء يا أيها النبى لم تحرم يا أيها النبى اتق الله يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا فى أربع مواضع اقتضت الحكمة أن يذكر هناك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم * الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزاله ان الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسول لقال الاعداء ليس هو محمدا فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد * الثانى قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين * الثالث

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول وما على ان تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الفالیه وترفع الساقط من خباريه *
حتى اذا ما بلغت ثمانيه أزرتها بنقية يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه * أصهار صدق وهو بن غاليه * قال فسمعها مروان
فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر
ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم *(قيل)* ان رجلا قال لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد
ووالدي بلا ولد فقال لعمري من كنت ولده فهو بلا ولد (وأرسل) رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق
ثم رجع فقال يا أبت عشرون ذراعا في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني (وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة) فبينما هو يوما يمشي
مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة اليه وقال
يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابي كلنا حمامیزا الله فأي حمزة تعني فقال أبوه أعنيك يا من أحمد الله به ذكر أبيه *(ويجبني قول الصفدي)*
لو الشفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما لكن تنازل في الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى (وقال ابن الصائغ)
نبئ غصنا ومد عليه فرعا * نكحطى حين أطلب منه وصلا وبلبله على الارداف منه * فلم أرمثل ذاك الفرع أصلا (وقول الآخر)
بدت تراقصها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى يا عجبا لشعرها لما ابتدى * مني الثرى فانتهى الى الثرى (وقول ابن نباتة)
وبهجتي رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه شغف العذار بخده ورآقد * نعست لواحظه فدب عليه (وقوله أيضا مضمنا)
وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليبق الله سائله
(ولبعضهم في ذم العذار) غدا الماء التحى ليلا بهيما * وكان كانه قرمنير وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاه كم النذير
(ولآخر) مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه كانما المسك سنفا فوق عارضه * طول الزمان فومسي لا يفارقه

قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا
بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولي لكان الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه
وسلم * الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله
الذي أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد في موضع واحد وله حكمة وهي ان الله
تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال لقومه من بني اسرائيل يا بني اسرائيل اني رسول
الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة التي أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد
لانهم كانوا يعرفونه في التوراة أحمد فسماه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وانما ذكر ذلك اعلاما
به وتعريفا له وما ذاك الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا أي شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التمجيد ونذيرا لاهل التجديد وقيل

(برهان الدين القيراطي)
شبه السيف والسنان بعيني
من لقتلي بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا
حسدا دون ذاك حاشا وكلا
(ابن الصائغ)
لمقلتي من لحاظها سهام
لها في القلب قتلك أي فتك
اذا رامت تشك به فؤادا
يموت المستهام بغير شك
(الصلاح الصفدي)

ياعادلا لي على عين محجبة * خف محجرنا ظرها فالسحر فيه خفي وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف
(آخر) أنفقت كنز مدامعي في ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلي في البارد
(عز الدين الموصلي) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما يورد بالغت في اللثم وقبلته * في الحد تقبيلا يفك الزرد (ابن نباتة)
أنسية في مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم
(آخر) بصدرها كوكبا در كانهما * ركبان لم يدر نسا من لمس مستلم صانتهما بستور من غلائلها * فالناس في الحل والركبان في الحرم
(الصلاح الصفدي) تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أتزعم ان اللين عندك ماقوى فقم فتحكم للروض عند نسيمه *
ليقضي على من مال منا الى الهوى (وكأنه ينظر الى قول السراج) ومهفهف عني يميل ولم يمل * يوما الى فسحت من ألم الجوى
لم لا تميل الى ياغصن النقى * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى (أراد ملك الروم) أن يبالغ أهل الاسلام فبعث الى معاوية برجلين
أحدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت
ثدييه فلما وقيسا على نزع السراويل فقال أردت لكي مايعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود وكيلا يقولوا ان قيس وهذه *
سراويل عاد احرزتها ثمود وافى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة بمحمد بن
الحنفية فجره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه في الحالتين وانصرفا مغلوبين (وحكي الجاحظ) ما أخجلني قط الا امرأة مرت بي الى
صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت محيرا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف
أصوره فأتت بك الى لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول بعضهم لو سمح الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الحليم بوجهه * وهو القذى في عين كل ملاحظ ولو أن مرآت جلت لمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ (قيل) انه
قدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمي وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في المدينة وهما
قل للمليحة في الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد قد كان شمر للعبادة ذيله * حتى وقفت له بباب المسجد فشاع الخبر في المدينة
ان الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه
رجع الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها (ومر) رجل أقمط باسر أة عجيبة في الجمال فقال يا هذا ان كان لك زوج فبازك الله لك فيه
والا فأعلمنا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله
ما بلغت عشرين سنة ولكنني أحببت أن أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني (وقال عبد الله الماجشون) وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي
يوما يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين لله بالك علي أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
ما كان والله بشؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا ان الزمان رأى ألف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا * فلا زاد فتى فوق ما صنعا فقال والله لا عنتك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وحكى بعضهم) قال دخلنا
الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شمال وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر بر مينابه وقال لمثلي يقال أحسنت فغر رنا منه سر
فقال أقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أسأت فقولوا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول
لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * وحملوها وسارت بالدمى الابل وقلبت بخلال السجف ناظرها * ترنو الي ودمع العين يهمل
وودعت بنان زانها عنم * ناديت لا حملت رجلاك ياجمل ياحادي العيس عرج كي أودعهم * ياحادي العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعري لطول البعد ما فعلوا فقلنا له ماتوا فقال وأنا والله أموت

ثم شهق شهقة فاذا هو ميت (قيل) لما وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة
اني نذرت لئن رأيتك قادما
أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد
ولتملأن دراهما حجري
فقال المهدي صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرع ذلك للولي وابطأك عن الثانية فضحك وأمر بصدرة فصبت في حجره (وتزوج) من

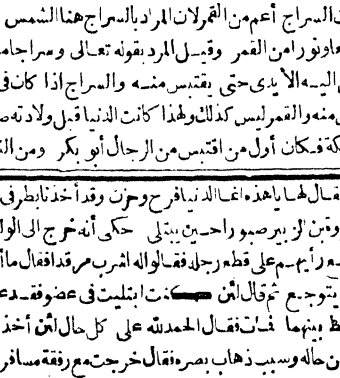
شاهد الاهل القرآن ومبشرهم بالمغفرة ان وتذير الاهل الكفر والعصيان وقيل شاهد الامتك ومبشر بشفاعتك ونذير المن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالملة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أي يدعو الناس بأمر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعي الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أي يهتدى به كما يهتدى بالسراج في ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة في قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا * فالجواب عن ذلك أن السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذي يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدي حتى يقتبس منه والسراج اذا كان في بلد تلألأ ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد

بناصفة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك وكان عروة بن الزبير صبورا حسن بتلى حكى أنه خرج الى الوليد بن يزيد نوطي عظما فما بلغ دمشق حتى بلغه كل مذهب لجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطعه فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحسى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في اعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه أطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينهما فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة (وقدم) على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا بين يديه ماله على مالي فعرسنا في بطن وادفطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عمر وليعلم ان في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه
(ومما نقلته) ما حكي عن مسلم بن الوليد انه قال كنت يوما جالسا عند خبائي بإزاء منزلي فرأيت انسانا أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لانسيفه وليس معي دراهم بل كان عندي زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالضيف على ذلك فأخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تجعل بها القدر ولك علينا اذا دخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا

ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي أقعدك عنا قلت ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أبقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الارض وسلمت فرد علي السلام فأنشدته ما لي فيه من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم وأمر لي بمائة وتسعين ألف درهم قال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء انتهى (نادرة) قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق وانى رجل من الجان لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عند هاديك فاشتر منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ركب الجني انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر في أذنيه من ماء السذاب أربعا وفي السرة ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفر قا ودخل الانسي ففعل ما أمره به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حسن ذبحت الديك سلبت صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم اتوني بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفي الله تلك الشابة واليحمور دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالابل يلقى قرنيه كل سنة وهما صامتان وقال الجوهري هو الحمار الوحشي ٢٧١ (ومن اللطائف) ما حكاه أبو الفرج

في كتاب النساء وابن الكردبوس في الاكتفاء قالا كانت عند أبي العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب بن عبد الله المخزومي وكان قد أحبها حبا شديدا وقعت في قلبه موقعا عظيما فحلف لها ان لا يتخذ عليها سرية ولا يتزوج عليها حرا فوفى لها بذلك فقال له خالد بن صفوان يوما وقال له يا أمير المؤمنين فكرت في أمرك وسعة

زيد ومن العبيد بلال رضي الله تعالى عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أربح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص أمته واحشرنا في زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عما جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

ملكك وأبلك فسد لملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها فاذا امرضت مرضت واذا حاضت حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسراري واستظراف الجواري ومعرفة اختلاف حالاتهن وأجناس التمتع بماتشتهي منهن فتهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء والعنيفة الادماء والزهية السمراء والمولدات المغنيات اللواتي يفتن بحلاوتهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة وذولات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والارداف الخاط الخصرة والثدي النواهد المحققة وحسن زينون وشكلهن رأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين انت يا أمير المؤمنين من بنات الاحراز والنظر الى ما عندهن من الحياء والتخفر والدلال والتعطر ولم يزل خالد يبعد في الوصف ويكثر في الاطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له أبو العباس ويحك والله ما سلك مسلمي قط كلام أحسن مما سمعته منك فأعده علي فأعاده عليه وزاد فيه ثم انصرف خالد وبقي العباس متفكرا مغموما فدخلت عليه أم سلمة وكانت تبره كثيرا وتتحرى مسرته وموافقته في جميع ما أراده فقالت له مالي أراك مغموما يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك أمر ارتعت له قال لم يكن شيء من ذلك قالت فما قصتك فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد قالت فما قلت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحني وتشتمينه فخرجت من عنده وأرسلت الى خالد عبيدا وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد وانصرفت الى منزلي مسرورا بما رأيت من اصغاء أمير المؤمنين الى كلامي وانجابه بما ألقيت اليه وانا لا أشك في الصلة فلم ألبث ان جاءه العبيد فلما رأيتهم أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة فوقفوا علي وسألوا عني فصرفتهم نفسي فأهوى الى أحدهم بعمود كان في يده فبادرت الى الدار وأغلقت الباب ومكثت أياما لا أخرج من منزلي وطلبني أمير المؤمنين طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم هجموا علي فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت وقلت لم أردم شيخ أضيع مني دما وركبت فلم أصل الى الدار حتى استقبلني عدة رسل فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالسا فأومأ الي بالجلوس فثاب الي عقلي وفي المجلس باب عليه ستر وقد أرخيت ورخلفه حركة فقال لي يا خالد مذ ثلاث لم أرك قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال انت وسعت في آخر خلة لي من أمر النساء والجواري ما لم يطرق سمعي قط كلام

أحسن منه فأعده علي قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمك ان العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحد الزيدك عنده امرأتان لا كان في ضرر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا في حديثك قلت نعم يا أمير المؤمنين ان الثلاث من النساء كما في القدر تغلي عليها أبدا وان الارنبة شر مجموع لصاحبه يعرضه ويسقمه ويضعفه وان أنكار الامام رجل ولكن لا خصي لهون قال فقال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت مثل من هذا شيأ قط قال خالد لي والله يا أمير المؤمنين وعرفتك ان بني مخزوم بحانة قريش وان عندك ريحانتي الرياحين وأنت تضع بعينك الى الامام والمراي قال خالد فقال لي أبو العباس ويحك أتكذبني قلت أفتقتلني يا أمير المؤمنين قال فسمعت ضحكة من وراء الستر وقائلا يقول صدقت والله يا محمد هذا الذي حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لساني بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنهما وتركتهما يتراوضان في أمرهما ما شعرت الا برسل أم سلمة معهم المحمل وتخوت ثياب فقالوا الى تقول لك أم سلمة اذا حدثت أمير المؤمنين الحديث بمثل حديثك هذا انتهى (ومن البدائع) ما حكي ان السلطان الملك الكامل أصيح متمرضا فأشار عليه الاطباء باستعمال شراب ليمون شتوي فأمر بعض الخدام باحضاره ففضى الخادم وأحضر شراب ليمون سائل فقال الطبيب ما طلبت الا شتوي وهذا سائل ردوه فقال الامير صلاح الدين والله ما من عادتنا يا مولانا السلطان أن نرد سائلا فقال السلطان والله ما أردت سائلا لها قوه أحسنت والله يا صلاح الدين فأكله وكان الشفاء فيه (ونظير ذلك) ما حكي انه كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى بركن الدين وله معلم اسمه ابراهيم وكان ربما يتهم به وكان بعض الادباء يميل الى هذا الصبي وله فيه غزل حسن قال الناقل فركبت يوما مع الامير صلاح الدين فمررنا على باب ذلك الصبي فوجدت ذلك الاديب قريبا من الباب فقلت له أي شيء تصنع ههنا فقال أطوف بالبيت فلعلي أستلم الركن أو أصل الى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك منه وسألني الامير صلاح الدين ما معنى ذلك فغالطته في الجواب وأقسم أن لا بد أن أخبره فأخبرته فاستحسن ذلك منه وأمر باحضاره الى مجلسه ونال منه راحة (ذكر ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الادباء) عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السهمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الخمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج

تمشي أعراق صدق حين تنسبه * أحنى وفاء من المكروب فراج

فقال عمر رضي الله تعالى عنه لا أدري ٢٧٢ مشى بالمدينة رجلا تهف به العواتق في خدورهن على بنصر

ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزبة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله

بعد حمد الله الذي عمت عطاياه والقبول عطف والصلاة والسلام على أعظم انسان عن المحارم عف فقد تم طبع كتاب المستطرف في كل فن مستظرف وبهامشه كتاب ثمرات الاوراق مع ذيليه بالمطبعة العامرة العثمانية الكائنة في مصر بحارة الفراخة بباب الشعرية لمديرها ومنشيها البارع الفائق الشيخ عثمان عبد الرازق ولاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه في أواخر جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

وجنتان كأنهما شقتا رمانة فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع ان يبدو من عمر الى هذي فدست اليه أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره * مان والخمر أو نصر بن حجاج

لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي

ان الهوى زم بالتقوى لتحجبه * حتى يقر بالجام وامراج

قال فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر وذاهو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أبيبين عبد الله وحاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية ثم قال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة فقال عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فانهم مني هذه الابيات

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني * وما نلت من عرضي عليك حرام

فأصبحت منفيا ما وما بعتبة * وبعض أماني النساء غرام

ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء ومالي جرمه فألام

فيمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعهما تقبل صلاتها * وحالا لها في قومها وصيام

فهان ان حالا نافهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما لي في السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته نحو المدينة اه (وقيل) دخل بعض الشعراء على الاديب جمال الدين ابن نباتة فرأى في نواحي منزله غلا كثيرا فأنشد يقول

مالي أرى منزل المولى الاديب به * غل تجمع في أرجائه زمرا

فأجابه ابن نباتة بقوله (لا تعجبن اذن من غل منزلنا)

فالنمل من شأنها أن تنبت الشعرا (هذا آخر) ما أردت ايراده في هذا الذيل مما وقفت عليه من المستطرف والنكات المفتخرة والزند الواري والتالد والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرست ما فى النصف الاول من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع هذه الفهرسة المجعولة للاستدلال على أى باب من الابواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف

صحيفه		صحيفه	
٥	الباب الاول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول	٥٧	الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء والشعر الخ
	الفصل الاول فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه	٥٨	فصل فى ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم
٦	الفصل الثانى فى الصلاة وفضلها	٦٢	الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى الخ وفيه فصول
٨	الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها الخ		الفصل الاول فى التوكل على الله
١٠	الفصل الرابع فى الصوم وفضله	٦٥	الفصل الثانى فى القناعة والرضا بما قسم الله تعالى
١١	الفصل الخامس فى الحج وفضله	٦٦	الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الامل
١٢	الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك	٦٩	الباب الحادى عشر فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب
١٦	الباب الثالث فى القرآن وفضله الخ	٧٤	الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك
٢٣	الباب الرابع فى العلم والادب وفضل العالم والمتعلم	٧٧	الباب الثالث عشر فى الصمت وصون اللسان الخ وفيه فصول
٢٦	الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك	٧٧	الفصل الاول فى الصمت الخ
٢٦	الباب السادس فى الامثال السائرة وفيه فصول	٧٨	الفصل الثانى فى تحريم الغيبة
	الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم	٨٠	الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة
٢٧	الفصل الثانى فى أمثال العرب	٨٣	الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام الخ
٣٢	الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين		
	الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم	٨٤	الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان الخ
٣٢	الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة الخ	٨٦	الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك
٣٨	الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة الخ وفيه فصول	٨٧	الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر
	الفصل الاول فى البيان والبلاغة	٩١	الباب الثامن عشر فيما جاء فى القضاء الخ وفيه فصول
٣٩	الفصل الثانى فى الفصاحة		الفصل الاول فيما جاء فى القضاء وذكر القضاة وأحوالهم الخ
٤٤	الفصل الثالث فى ذكر الفصحاء من الرجال		
٤٥	ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن		
٥٥	الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة الخ		

صحيفه	
٩٣	الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وماجاء فى الديون
٩٤	الفصل الثالث فى ذكر القصاص والمتصوفة وماجاء فى الربا ونحو ذلك
	الباب التاسع عشر فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك
٩٧	الباب العشرون فى الظلم الخ
١٠١	الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال الخ وفيه فصلان
	الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج الخ
١٠٣	الفصل الثانى فى أحكام أهل الذمة
١٠٥	الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف وانافة الملهوف الخ
١٠٧	الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها
١١٢	الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة الخ
١١٦	الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى الخ وفيه فصلان
	الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم
١١٧	الفصل الثانى فى الشفاعة الخ
١١٨	الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع الخ وفيه فصلان
	الفصل الاول فى الحياء
	الفصل الثانى فى التواضع الخ
١١٩	الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك
١٢٠	الباب الثامن والعشرون فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت
١٢٤	الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسودد وعلو الهمة

صحيفه	
١٢٦	الباب الثلاثون فى الخير والصلاح الخ
١٣٤	الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء
١٤٢	الباب الثانى والثلاثون فى ذكر الاشرار والفجار الخ
١٤٣	الباب الثالث والثلاثون فى الجود الخ
١٥٦	الباب الرابع والثلاثون فى البخل الخ
١٦١	الباب الخامس والثلاثون فى الطعام وآدابه والضيافة الخ
١٧٠	الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح الخ
١٧٩	الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم
١٨٦	الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه
١٨٨	الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة الخ وفيه فصول
	الفصل الاول فى الغدر والخيانة
١٩٠	الفصل الثانى فى السرقة والسراق
١٩١	الفصل الثالث فيما جاء فى العداوة والبغضاء
١٩٢	الفصل الرابع فى الحسد
١٩٤	الباب الاربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها الخ وفيه فصلان
	الفصل الاول فى فضل الجهاد الخ
	الفصل الثانى فى الشجاعة الخ
١٩٨	الباب الحادى والاربعون فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال الخ
٢٠٦	الباب الثانى والاربعون فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافآت وفيه فصول
	الفصل الاول فى المدح والثناء
٢١٢	الفصل الثانى فى شكر النعمة
٢١٤	الفصل الثالث فى المكافآت

﴿فهرست كتاب غرات الاوراق الموشى بهامش كتاب المستطرف﴾

صحيفه	
٢	خطبة الكتاب
	حكاية أبى عثمان المازنى وسؤال بعض أهل الذمة له قراءة كتاب سيبويه
٣	سؤال حامد بن العباس لعلى بن عيسى فى ديوان الوزارة
٤	حكاية أخرى تضارعها
٥	وفود عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء
٦	حكاية هدبة بن خالد فى حضوره مائدة المأمون
	لطائف تتعلق بزيادة راو عمرو
١٠	ترجمة المعتزلة
١٢	سؤال الرشيد لجعفر عن جواريه
١٣	حكاية تتعلق ببعض المغنين المعاصرين
	نوادر تتعلق بعبد الله بن المعتز وأمثاله فى بلوغهم الكمال وغزارة الفضل مع خمولهم وسقوط حظه
١٨	نكتة أدبية
٢١	لطيفة تتعلق بقاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان
٢٣	لطيفة أخرى تناسبها
٢٤	حكاية مجير الدين الخياط الدمشقى
٢٥	حكاية أبى حنيفة رضى الله عنه مع جاره الاسكاف بالكوفة
٢٦	لطيفة أحمد بن المعدل مع أخيه الخ
٢٧	نوادر تتعلق بالاقتباس والتورية
٣٨	حكاية الهيثم بن عدى ومعاشاته للامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه
	غريبة يحيى بن اسحق الطبيب وحذقه فى صنعة الطب
٤٠	نادرة لطيفة تتعلق بالمنصور بن أبى عامر الاندلسى
٤١	عيادة الشيخ شهاب الدين لقاضى القضاة ابن خلكان وما جرى بينهما

صحيفه	
٤١	نكتة لطيفة تتعلق بالشيخ شهاب الدين السهروردى
٤٢	الاجوبة الحماسية وبلاغتها ونادرة تتعلق بذلك
٤٦	غريبة اسحق النديم عن أبيه ابراهيم وما يضارعها
٤٨	لطائف أبى بكر بن فريعة قاضى السندية وغيرها وكان من عجائب الدنيا فى سرعة البديهة بالاجوبة
٤٩	نادرة لطيفة تتعلق بأبى جعفر المنصور العباسى
٥١	نادرة مضمونة من خط قاضى القضاة ابن خلكان تتعلق بابن الدقاق البلنسى
٥٣	لطيفة تتعلق ببثينة وعزة حين دخلتا على عبد الملك بن مروان
٥٦	وفود الشعراء على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما استخلف
٥٨	من لطائف الظرف ما حدث ابراهيم بن المهدى عن جعفر
٦١	حكاية أبى معشر المنجم مع بعض الملوك
٦٢	نادرة عن ابن خلكان تتعلق بغطن المتطببين
٦٣	نادرة لطيفة تتعلق بالامام الجنيد
٦٤	لطيفة لابى محمد الوزير المهلبى
٦٦	حكاية حماد الراوية مع هشام بن عبد الملك
٦٩	حديث أبى الحسن بن مقلة عن خالد الكاتب
	نادرة دحول أبى دلامة على المهدى
٧١	حكاية هشام بن عبد الملك مع طاوس اليمانى
٧٢	نادرة الشعبى مع ملك الروم لما أرسله اليه عبد الملك بن مروان
	نادرة بديعة غريبة منقولة عن سديد الملك
٧٣	حكاية الصابئى عن رجل اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزوزكا بالخ
٧٥	حكاية الجاحظ مع انواتى

صحيفه	
٧٨	نادرة لطيفة تتعلق بابى المسك كافور الاخشيدى
٨٠	ورود أبى نصر الفارابى على سيف الدولة ابن حمدان
٨١	وورود راشد الدين سنان على نور الدين الشهيد وهو جواب فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة
٨٦	نادرة غريبة تتعلق بفيلسوف الاسلام يعقوب بن اسحق الكندى
٨٨	نادرة لطيفة تتضمن المثل السائر فى قولهم عن الحائب رجع بخفى حنين
٩١	قصة زكى الدين مع الملك المظفر
٩٣	المنقول عن القاسم المكنى بأبى دلف وجمعه بين طرفى الكرم والشجاعة
٩٥	غضب المأمون على العكوك من أجل مدحه أبا دلف وقتله اياه
٩٧	حديث النضر بن شميل وهو مع المأمون
٩٩	رسالة أنشأها القاضى الفاضل و رسالة نظيرها للمؤلف
١٠٥	نادرة لطيفة تتعلق بأبى سفيان حين رجوعه من عند ابنه معاوية لما زاره فى الشام
	(استنجاز المواعيد)
١٠٧	لطيف الاستمناح
	نادرة لطيفة تتعلق بأبى جعفر المنصور مع أزهر السمان المحدث
١٠٨	أجواد الجاهلية الذين انتهى اليهم الجود
١٠٩	حكايات تتعلق بجود عبيد الله بن العباس رضى الله تعالى عنهما
١١١	حكايات تتعلق بجود عبد الله بن جعفر
١١٣	وفود أروى بنت الحارث على معاوية رضى الله عنه وحلمه عليها
١١٦	حكاية ابن الزبير لما تزوج امرأة من فزارة
١١٨	حكاية تتعلق بمعاوية بن أبى سفيان ورد الأحنف عليه
١١٩	حكاية تتعلق بالمنصور العباسى الخ

صحيفه	
١٢١	حكاية رجل قدم الى بغداد وأودع عقدا عند رجل يدعى الصلاح
١٢٢	سرد حكايات تتعلق بالأذكياء من لطائف هزليات الاذكياء أن الرشيد خرج متنزها الخ
١٣٢	من الجد المفحم جواب الامام على رضى الله تعالى عنه لليهودى
١٣٤	من المنقول عن أذكياء الاطباء
١٣٥	من المنقول عن أذكياء المتطفلين
١٣٦	من المنقول عن أذكياء المتلصصين
١٣٧	من المنقول عن أذكياء الصبيان
	من المنقول عن أذكياء النساء
١٣٨	نبذة لطيفة من كتاب الحمقى الخ
١٤٤	ذكر جماعة من العقلاء صدر عنهم أفعال الحمقى وأصروا على ذلك
١٥٣	غريبة مفقولة من سلوان المطاع تتعلق بالوليد بن يزيد
١٥٩	حكاية تتعلق بسابور بن هرمز الخ
١٧٤	قصة زينب بنت اسحق زوج عبد الله ابن سلام
١٧٩	غريبة تتعلق برجل من بلاد الصعيد
١٨٣	لطيفة ابراهيم بن المهدى لما دعى الخلافة بالرى
١٩٠	حكاية خزيمة بن بشر مع عكرمة الفياض
١٩٥	حكاية الخيزران امرأة المهدى مع مزينة بنت مروان الاموى
١٩٧	نادرة تتعلق بعشرة قدموا بالزندقة فحملوا الى المأمون فتبعهم أحد الطفيلية
٢٠١	غريبة تتعلق بفتى من ذوى النعم قعد به زمانه فأراد أن يبيع الخ
٢٠٢	رجوع الحجاج الى عبد الملك بن مروان لما قتل عبد الله بن الزبير
٢٠٤	حكاية الاسكندر مع ملك الصين
٢١٠	رحلة الامام الشافعى الى الامام مالك ثم الى أبى يوسف ومحمد بن الحسن رضى الله عن الجميع